(فهرسة كتاب خزانة الادب)

(فهذه الانواع البديعية مائة واثنان وأربعون نوعا)

خزانة الادب وغاية الارب للعالم الاديب
واللوذعي الاريب الشيخ تقي
الدين أبي بكر علي المعروف
بابن حجة الحموي
رحمه الله

م

﴿ وبهامشها رسائل ابي الفضل احمد بن الحسين بن يحيى ﴾
﴿ ابن سعيد الهمذاني المعروف ببديع الزمان رحمه الله ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله البديع الرفيع الذى أحسن ابتداء خلقنا بصنعته واولانا جميل الصنيع فاستهلت الاصوات ببراعة توحيده وهو البصير السميع أدب نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فاحسن تاديبه حتى أرشدنا جزاه الله عنا خيرا الى سلوك الادب وأوضح لنا بديعه وغريبه نحمده حمدا يحسن به التخلص من غزل الشهوة الى حسن الختام ونشكره شكر من شعر ببديع صفاته فاحسن النظم وأعوذ بالله من قوم لا يشعرون بهذا النظام ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة شاعر بانه الواحد وان سيدنا محمدا عبده ورسوله المبعوث من بيت عربى فصاحته على الأعراب والاعراب أعظم شاهد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه الذين هم نظام هذا البيت الشريف ودوائر بحره وأنواع بديعه وديباج صدره وسلم تسليما كثيرا (وبعد) فهذه البديعية التى نسجتها بمدحه صلى الله عليه وسلم على منوال طرز البردة كان مولانا المقر الاشرف العالى المولوى القاضوى المخدومى الناصرى سيدى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة جمل الله الوجود بوجوده هو الذى ثقف لى هذه الصعدة وحلب لى ضرعها الحافل لحصول هذه الزبدة وماذاك الا انه وقف بدمشق المحروسة على قصيدة بديعية للشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى التزم فيها بتسمية النوع البديعى وورى بها من جنس الغزل ليتميز بذلك على الشيخ صفى الدين الحلى تغمده الله تعالى

برحمته

(بسم الله الرحمن الرحيم)
الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبى وآله سالت أدام الله توفيقك وسهل الى نفائس الخيرات طريقك ان اجمع لك آثار ابى الفضل أحمد بن الحسين البديع نظمها ونثرها واؤلف شواردها قلها وكثرها ليكون متمسكها لخاطرك.

برجته لانه ما التزم فى بديعيته بحمل هذا العبء الثقيل غيرأن الشيخ عزالدين ماأعرب عن بناء بيوت اذن الله ان ترفع ولاطالت يده لابهام العقادة الى شئ من اشارات ابن أبى الاصبع وربما رضى فى الغالب بتسمية النوع ولم يعرب عن المسمى وتترشل الالفاظ والمعانى لشدة ماعقده نظما

فيادارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك أهوال

فاستخار الله مولانا الناصرى المشار اليه ورسم لى بنظم قصيدة اطرز حلتها بديع هذا الالتزام وأجارى الحلى برقة السحر الحلال الذى ينفث فى عقد الاقلام فصرت أشيد البيت فيرسم لى بهدمه وخراب البيوت فى هذا البناء صعب على الناس ويقول بيت الصفى أصفى موردا وأنور اقتباس فاسن كل ماحده الفكر واراجعه بيت له على المناظرة طاقه فيحكم لى بالسبق وينقلنى الى غيره وقد صار لى فكرة الى الغايات سباقه فجاءت بديعية هدمت بها مانحته الموصلى فى بيوته من الجبال وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبى بكر عالما انه لايسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال وكان المشار اليه عظم الله شأنه هو الذى مشى امامى وأشار الى هذا السلوك وارشد فاقتديت برأيه وهل يقتدى أبو بكر بغير محمد فقلت

*(لى فى ابتدا مدحكم ياعرب ذى سلم * براعة تستهل الدمع فى العلم)*

اعلم انه اتفق علماء البديع على ان براعة المطلع عبارة عن طلوع أهلة المعانى واضحة فى استهلالها وان لايتجافى بجنوب الالفاظ عن مضاجع الرقة وان يكون التشبيب بنسيبها مرقصا عند السماع وطرق السهولة متكفلة لها بالسلامة من تجشم الحزن ومطلعها مع اجتناب الحشو ليس له تعلق بمابعده وشرطوا ان يجتهد الناظم فى تناسب قسميه بحيث لايكون شطره الاول أجنبيا من شطره الثانى وقد سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء وفى هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع وان أخل الناظم بهذه الشروط لم يأت بشئ من حسن الابتداء وأورد فى هذا الباب قول النابغة

كلينى لهم ياأميمة ناصب * وليل أقاسيه بطئ الكواكب

قال زكى الدين بن أبى الاصبع لعمرى لقد أحسن ابن المعتز الاختيار فانى أظنه تطرب بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس حيث قال

قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فرأى ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معانيه متفاوت القسمين جدا لان صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعانى وليس فى الشطر الثانى شئ من ذلك وعلى هذا التقدير مطلع النابغة أفضل من جهة ملاءمة الفاظه وتناسب قسميه وان كان مطلع امرئ القيس أكثر معانى وماعظم ابتداء امرئ القيس فى النفوس الا الاقتصار على سماع صدر البيت فانه وقف واستوقف وبكى واستبكى وذكر الحبيب والمنزل فى شطر بيت واذا تأمل الناقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين وقال أعنى ابن أبى الاصبع اذا وصلت الى قول البحترى من هذا الباب وصلت الى غاية لاتدرك وهو قوله

أوان فراغك من دواعى أشغالك ومتنزها لناظرك وقت انتفاضك من عوارض أحوالك وكان أبو الفضل وضى الطلعة رضى العشرة فتان المشاهدة سحار المفاتحة غاية فى الظرف آية فى اللطف معشوق الشيمة مرزوق فاضل القيمة طلق البديهة سمح القريحة شديد العارضة سديد السيرة

يودّ لو يهوى العذول ويعشق * ليعلم أسباب الهوى كيف تعلق

انتهى كلام زكي الدين بن أبي الاصبع ولقد أحسن أبو الطيب المتنبي حيث قال

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

ومثله قوله (اى قول حبيب)

حشاشة نفس ودعت يوم ودعوا * فلم ادر أيّ الظاعنين أشيع

وما ألطف قول أبي تمام في هذا الباب

لا انت انت ولا الديار ديار * خف الهوى وتقضت الاوطار

ومثله قول أبي العلاء المعري

يا ساهر البرق ايقظ راقد السمر * لعل بالجزع أعوانا على السهر

وقد خلب القلوب ابن المعتز في تناسب القسمين بقوله

أخذت من شبابي الايام * وتولى الصبا عليه السلام

وما أحلى ما ناسب ابن هانئ قسمي مطلعه بالاستعارات الفائقة حيث قال

بسم الصباح لاعين الندماء * وانشق جيب غلالة الظلماء

وقال الشريف أبو جعفر البياضي يشير الى الرفق بالابل عند السرى وتلطف ما شاء في تناسب القسمين حيث قال

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أو ما تراها اعظما وجلودا

وهذه القصيدة طريقها الغريب لم يسلكها غيره فانه نسجها جميعها على هذا المنوال ومنها

يفلين ناصية الفلا بمناسم * وسم الوجا بدماتهن البيدا

فكأنهن نثرن درا بالخطا * ونظمن منه بسيرهن عقودا

ومما يعذب في الذوق من هذا الباب قول ابن قاضي ميلة

يزيد الهوى دمعي وقلبي المعنف * ويجني جفوني الوجد وهو المكلف

وقد نبه مشايخ البديع على يقظة الناظم في حسن الابتداء فانه أول شئ يقرع الاسماع ويتعين على ناظمه النظر في أحوال المخاطبين والممدوحين ويتفقد ما يكرهون سماعه ويتطيرون منه ليتجنب ذكره ويختار لاوقات المدح ما يناسبها وخطاب الملوك في حسن الابتداء هو العمدة في حسن الادب فقد حكي ان ابا النجم الشاعر دخل على هشام بن عبد الملك في مجلسه فانشده من نظمه

صفراء قد كادت ولما تفعل * كأنها في الافق عين الاحول

وهشام بن عبد الملك احول فاخرجه وأمر بحبسه وكذلك اتفق لجرير مع أبيه عبد الملك فانه دخل عليه وقد مدحه بقصيدة حائية أولها

* أتصحو أم فؤادك غير صاح *

فقال له عبد الملك بل فؤادك يا ابن الفاعلة ومن هذه الجهة بعينها عابوا على أبي الطيب المتنبي خطابه لممدوحه في مطلع قصيدة حيث قال

كفى بك داء ان ترى الموت شافيا * وحسب المنايا ان يكن أمانيا

زلال الكلام عذبه فصيح اللسان عضبه ان دعا الكتابة جابته عفوا وأعطته قيادها صفوا أو القوافي أتشمل الصدور وعلى التوافي ثم كانت له طرق في الفروع هو افترعها وسنن في المعاني هو اخترعها ومصداق ما ادعيناه له تشهد في أثناء شعره ونثره وكان في صفاء العقيدة بين

ومن

ومن مستقبحات الابتداء قول البحتري وقد أنشد يوسف بن محمد قصيدته التي أولها

* لك الويل من ليل تقاصر آخره *

فقال بل لك الويل والخزي وأما قصة اسحق بن ابراهيم الموصلي في هذا الباب فاني انفعل واخجل عند سماعها وما ذاك الا انه دخل على المعتصم وقد فرغ من بناء قصره بالميدان فشرع في انشاء قصيدة تزل بمطلعها الى الحضيض وكان هو وحكاية الحال في طرفي نقيض وهو

يا دار غيرك البلا ومحاك * ياليت شعري ما الذي ابلاك

فتطير المعتصم من قبح هذا المطلع وأمر بهدم القصر على الفور فنعوذ بالله من آفة الغفلة هذا مع يقظة اسحق وسيره الركبان بحسن محاضرته ومنادمته للخلفاء ولكنه قد يخبو الزناد وقد يكبو الجواد مع انه قيل ان أحسن ابتداء ابتدأ به مولد قول اسحق الموصلي حيث قال

هل الى ان تنام عيني سبيل * ان عهدي بالنوم عهد طويل

فانظر الى هذا الاديب الحاذق المتيقظ كيف استطردت به خمول السهو الى ان خاطب المعتصم في قصر رياحين تشييده غضة بخطاب الاطلال البالية وانظر الى حشمة أبي نواس كيف خاطب الدمن بخطاب تود القصور العالية ان تحلى بشعاره مع بلوغه في تناسب القسمين الطرف الاقصى حيث قال

لمن دمن تزداد حسن رسوم * على طول ما أقوت وطيب نسيم

وقصة ذي الرمة مع عبد الملك تقارب قصة اسحق مع المعتصم فانه دخل عليه يوما فامره بانشاد شيء من شعره فانشد قوله

* ما بال عينك منها الماء ينسكب *

وكان بعين عبد الملك رمش فهي تدمع أبدا فتوهم أنه خاطبه وعرض به فقال له ماسؤالك عن هذا يا ابن الفاعلة فمقته وأمر باخراجه انتهى ما أوردته في حسن الابتداء للعرب والمولدين وفحول الشعراء ونبهت على حسنه وقبحه ولكن جذبتني يا أخا العرب نسبة المتأخرين الى ان أثبت في هذا المحل تشبيبها ونسيبها وأظهر في شرح هذه البديعية الا لأهله بديعها وغريبها ليعلم من تنزه في هذه الحدائق الزاهرة ان ماربيع الآخر من ربيع الاول ببعيد واذا تحقق ان لكل زمان بديعا تمتع بلذة الجديد وهنا بحث لطيف وهو ان الاستشهاد بكلام المولدين وغيرهم من المتأخرين ليس فيه نقص لان البديع أحد علوم الادب الستة وذلك انك اذا نظرت في الكلام العربي اما أن تبحث عن المعنى الذي وضع له اللفظ وهو علم اللغة واما ان تبحث عن ذات اللفظ بحسب ما يعتريه وهو علم التصريف واما ان تبحث عن المعنى الذي يفهم من الكلام المركب بحسب اختلاف أواخر الكلم وهو علم العربية واما ان تبحث عن مطابقة الكلام لمقتضى الحال بحسب الوضع اللغوي وهو علم المعاني واما ان تبحث عن طرق دلالة الكلام ايضاحا وخفاء بحسب الدلالة العقلية وهو علم البيان واما ان تبحث عن وجوه تحسين الكلام وهو علم البديع فالعلوم الثلاثة الاول يستشهد عليها بكلام العرب نظما ونثرا لان المعتبر فيها ضبط الفاظهم والعلوم الثلاثة الاخيرة يستشهد عليها بكلام العرب وغيرهم لانها راجعة الى المعاني ولا فرق في ذلك بين العرب وغيرهم اذا كان الرجوع

الكفاة قدوة وفي حسن النظر لكافة نظرائه اسوة وقد اوتي حفظا لا يسمع كلمة الا اعتلقها فاعتقلها ثم اذا شاء اعادها ونقلها وقد اجبت الى مسؤلك وجعلت بعض اوقاتي مصروفة لتحصيل مأمولك وجمعت لك ما وجدته من الرسائل والرقاع لتنظر فيها وتستفيد ويقرب اليك منها ما تريد

الى العقل وقال أبو الفتح عثمان بن جنى المولدون يستشهد بهم فى المعانى كما يستشهد بالقدماء فى الالفاظ قال ابن رشيق فى العمدة الذى ذكره أبو الفتح صحيح بين لان المعانى اتسعت باتساع الناس فى الدنيا وانتشار العرب بالاسلام فى أقطار الارض فانهم حضروا الحواضر وتفننوا فى المطاعم والملابس وعرفوا بالعيان مادلتهم عليه بداهة عقولهم من فضل التشبيه ونحوه ومن هنا يحكى عن ابن الرومى ان لائما لامه وقال له لم لا تشبه تشبيه ابن المعتز وأنت اشعر منه فقال له انشدنى شيأ من قوله اعجز عن مثله فانشده فى صفة الهلال

فانظر اليه كزورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

فقال له ابن الرومى زدنى فانشده

كأن اذريونها * والشمس فيه كاليه
مداهن من ذهب * فيها بقايا غاليه

فقال واغوثاه لا يكلف الله نفسا الا وسعها ذاك انما يصف ماعون بيته لانه ابن الخلفاء وأنا مشغول بالتصرف فى الشعر وطلب الرزق به امدح هذا مرة واهجو هذا كرة وأعاتب هذا تارة واستعطف هذا طورا انتهى كلام ابن رشيق * ورايت الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله تعالى قد استشهد فى شرح البردة الذى سماه بالرقم بغالب أهل عصره فيما عرض له من أنواع البديع حتى أورد لهم شيأ من محاسن الزجل * رجع الى ما كانفيه من حسن الابتداء وتناسب القسمين وايراد ماوعدنا به من كلام المتأخرين قال قاضى هذه الصناعة وفاضلها والمتأخر الذى لم يتقدم عليه بغير الزمان أوائلها

زار الصباح فكيف حالك يادجى * قم فاستدم بفرعه أوفالنجا

انظر الى حسن هذا الابتداء كيف جمع مع اجتناب الحشو بين رقة النسيب وطرب التشبيب وتناسب القسمين وغرابة المعنى ومثله قوله يخاطب العاذل

اخرج حديثك من سمعى فما دخلا * لا ترم بالقول سهما ربما قتلا

وما ألطف ما قال بعده

وما يخف على قلبى حديثك لى * لا والذى خلق الانسان والجبلا

ومثله قوله

سمعتك والقلب لم يسمع * فكم ذا تقول وكم لا اعى

وما ألطف ما قال بعده

يقول وماعنده اننى * بغير فؤاد ولا اضلع
اما مع هذا الفتى قلبه * فقلت نعم يافتى ما معى

واما مطلع قصيدة ابن النبيه فان الاذواق السليمة تتنبه به الى فتح هذا الباب وهو

باساكنى السفح كم عين بكم سفحت * نزحتم فهى بعد البعد مانزحت

والقصيدة كلها تحف وطرف عارضها ابن نباتة فما حلا معها مكرر نباته واجرى الصفى معها يتنابيع فكره فما صفا له معها مورد وجاراها الصفدى فتصفدت سوابق قوافيه عن لحاقها ومنها

والله الموفق للصواب اوّلها * (كتب) * الاستاذ ابو الفضل الهمذانى بديع الزمان الى الشيخ ابى العباس الفضل بن احمد الاسفرايني وهو اوّل ما استوزر لابى القاسم محمود ابن سبكتكين الناصر لدين الله فاتح السند والهند * كتبت اطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد وادام علوّه

وروضة وجنات الورد قد خجلت * فيها ضحى وعيون النرجس انفتحت
تشاجر الطير في أفنانها سحرا * ومالت القضب للتعنيق فاصطلحت
والقطر قد رش ثوب الدوح حين رأى * مجامر الزهر في أذياله نفحت

ومما يحسن نظامه في هذا السلك قوله

رنا وانثنى كالسيف والصعدة السمرا * فما أكثر القتلى وما أرخص الاسرى

ومما اختاره الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله من ديوان أبي الفتوح نصر الله بن قلاقس وهو حسن في هذا الباب قوله

كم قتلة للشقيق الغض رمداه * انسانها سابح في بحر انداء

وقوله

قفا واسألا مني زفيرا وادمعا * اكانا لهم الا مصيفا ومربعا

وهو من الغايات التي اختارها الشيخ جمال الدين بن نباتة من شعر ابن قلاقس فانه قال طالعت ديوان الاديب البارع أبي الفتوح نصر الله بن قلاقس فطالعت الفن الغريب وفتح على بتأمل الفاظه فتلوت نصر من الله وفتح قريب بيد أني وجدت له حسنات تبهر العقول فضلا وسيآت يكاد بذكرها ابن قلاقس يقلى انتهى كلام الشيخ جمال الدين بن نباتة ومما وقع في تناسب القسمين الى الغاية قول الشيخ ظهير الدين بن البارزي رحمه الله وهو

يذكرني وجدي الحمام اذا غنى * لانا كلانا في الهوى يعشق الغصنا

ذكر الصلاح الكتبي في كتابه فوات الوفيات ان الشيخ اثير الدين اباحيان قال رأيت الشيخ المذكور صوفيا بحماة المحروسة وأنشدني لنفسه هذه القصيدة وعدة مقاطيع منها

أراك فاستحيي فاطرق هيبة * واخفي الذي بي من هواك واكتم
وهيهات ان يخفى وانت جعلتني * جميعي لسانا في الهوى يتكلم

وتوفي بعد الثمانين والستمائة واما مطلع الشيخ شمس الدين بن العفيف في هذا الباب فنظراته لا تنكر لانه كان ينعت بالشاب الظريف قال في شطره الاول

* اعز الله انصار العيون * وفي الثاني
* وخلد ملك هاتيك الجفون *

وما اظرف ما قال بعده

وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وجدد نعمة الحسن المصون

وما أحسن ابتداآت الشيخ عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة فجميعها نسجت على هذا المنوال منها قوله

حروف غرامي كلها احرف اغراء * على ان سقمي بعض افعال اسماء

وقوله

وبلاه من نوى المشرد * أواه من شملي المبدد

وقوله

اهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا

وتكينه عن سلامة
والحمد لله رب العالمين
وصلاته على محمد وآله وسلم
لبسوا افئدة بالباب تسعد
بالحضرة واخرى بالمغيب
تكمد بالحسرة والله ما
للساعة من ولي النعمة عن
ولا كالاعتياض من لقائه
غنى وغنى فليت كتاب الاذن
شفى مما نجد وليت هذا
المجز تنا ما تعد معاذ الله ان

وما أحلى ما قال بعده

لكنه وافى وقد * حلف السهاد على ان لا

وقد توارده وابن عنين فى هذا المعنى وكل كساه ديباجة تأخذ بمجامع القلوب ومطلع ابن عنين قوله

ماذا على طيف الاحبة لو سرى * وعليهم لو سامحونى بالكرى

وقول مهيار الديلمى فى هذا الباب مشهور والذى أقوله ان الشيخ جمال الدين بن نباتة نبات هذا البستان وقلادة هذا العقيان ومن مطالعه التى هى ابهج من مطالع الشمس قوله فى هذا الباب

فى الريق سكر وفى الاصداغ تجعيد * هذا المدام وهاتيك العناقيد

وقوله

بدا ورنت لواحظه دلالا * فما ابهى الغزالة والغزالا

وقوله

سلبت عقلى باحداق واقداح * يا ساجى الطرف بل يا ساقى الراح

وما ألطف ما قال بعده

سكران من مقلة الساقى وقهوته * فاترك ملامك فى السكرين يا صاح

وقوله

انسان عينى بتجيل السهاد بلى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

وقوله

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتنى الجنون بالسوداء

وقوله

نفس عن الحب ما حادت وما غفلت * باى ذنب وتالله قد قتلت

وقد تقدم شروط لا بد من اجتنابها فى حسن الابتداء منها الحشو ولكن وتالله حشو اللوزينج وقوله

لام العذار اطالت فيك تسهيدى * كانها الغرامى لام توكيد

ولولا الاطالة لاقعمت الاذواق من هذا السكر النباتى ورايت للشيخ صفى الدين الحلى فى الارتقيات قصيدة قافية مطلعها فى هذا الباب غاية وهو قوله

قفى ودعينا قبل وشك التفرق * فما انا من يحيا الى حين نلتقى

وانشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى قصيدة نونية نظمها بحماة ومطلعها فى حسن الابتداء حسن

سمعنا حمام الدوح فى روضة غنا * فاذكرنا ربع الحبائب والمغنى

ولقد سهوت عن مطلع الشيخ علاء الدين على بن المظفر الكندى الشهير بالوداعى فانه ليس له فى تناسب القسمين قسيم وهو

بدرا اذا ما بدا محياه * اقول ربى وربك الله

اشتاق الى حضرته لكنى افتقر اليها افتقار الجسد الى الحياة والحوت الى الفرات وانما مثل العبد مع الاصحاب مثل الارض مع السحاب افيسمى القحط شوقا ام يكون الموت وجدا انى عبد الشيخ واسمى احمد وهمذان المولد وتغلب المورد ومضر المحتد وعبد بهذه الصفة غريب نادر

وعارضه

وعارضه الشيخ جمال الدين بن نباته فى هذه القصيدة بعينها وترقى الى مطلع بدره وزاحمه فى حسنه فطلع الشيخ جمال الدين

له اذا غازلتك عيناه * سهام لحظ أجارك الله

ومن مطالعى التى حصل لى فيها الفتوح فى هذا الباب قولى

طلعتم بدورا فى أعز المطالع * فبشرنى قلبى بسعد طوالعى

وقولى

اغرامطلك مالى منه تحذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير

وقولى

فى عروض الجفا بحور دموعى * ما أفادت قلبى سوى التقطيع

وقولى

لله قوم لنظم الوصل قد نثروا * شعرت فى حبهم يا ليتهم شعروا

وقولى

جردت سيف اللحظ عند تهددى * يا قاتلى فسلبتنى بتجرد

وقولى

هواى بسفح القاسمية والجسر * اذا هب ذاك الريح فهو الهوى العذرى

وكانى بمنتقد تألم قلبه على المتقدمين بكثرة النقد ومالت نفسه الى مع المتأخرين ليستوفى الشروط الادبية فى مباشرة هذا العقد وقولى

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * يا ليته بنسيم العتب لو عطفا

فاقول وبالله المستعان ان جماعة من المخاديم بدمشق رسموا ان أعارض شيأ من نظم الشيخ جمال الدين بن نباته وتخيروا الى خمس قصائد منها قصيدته الكائنة التى مطلعها

تصرمت الايام دون وصالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

فلما انتهيت الى معارضتها وجدت بين الشطر الثانى من المطلع وبين الشطر الاول مباينة كما تقدم فى مطلع امرئ القيس من الكلام على ان فى شطره الاول ما ليس فى الثانى * وقد اتفق علماء البديع على ان عدم تناسب القسمين نقص فى حسن الابتداء * وقد تقدم قول زكى الدين ابن أبى الاصبع ان مطلع النابغة أفضل من مطلع امرئ القيس لتناسب القسمين وان كان مطلع امرئ القيس اكثر معانى انتهى ولو قال الشيخ جمال الدين فى مطلعه

تمذهبت فى هجرى بطول مطالك * فمن شافعى فى الحب يا ابنة مالك

لجمع بين تناسب القسمين ومطلعى الذى عارضت به الشيخ جمال الدين

رضيع الهوى يشكو فطام وصالك * فداوى بنى الحب يا ابنة مالك

وكذلك من مطلع الشيخ صفى الدين الحلى فى قصيدته الجيمية التى هى من جملة القصائد الارتقيات التى امتدح بها الملك المنصور صاحب ماردين

جاءت لتنظر ما بقت من المهج * فعطرت سائر الارجاء بالارج

فالشطر الثانى ليس من جنس الشطر الاول فان الشطر الاول فى الطريق الغرامية ليس له

والصدور والملوك بغريب الاعلاق ولوع والمولى أحق بعيده وولاؤه وعليه بلاؤه واليه انتسابه وله وعليه كسبه واكتسابه ولا أزيده بجالى وباستقرائها علما وقد تطوّل عام أول وخوّلنى من العناية ما خوّل ووافقت القوم على نصف المال فى العاجل وانظارهم فى الباقى الى القابل ورأيت اوجه الامر مظلمة فاغتنمت وانتهزت صفو المال ولم آخذ من القوم صفراء ولا بيضاء انما أخذت منهم الحمار والحماره والتبن والغراره والطست والمناره والكوز والقصاره والازار والغفاره والجبة والفاره ثم لطف الله فى تلك العقود فحلها وأحياها كلها وذلك بكريم عناية الشيخ الجليل السيد أدام الله تأييده فالله يحسن جزاءه ويجعلنى واهلى من كل مكروه فداءه والزمن الباقى بعون الله

مثيل ومن أنكر هذا النقد ينظر فى مطلع الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله سره فانه فى هذا الباب طرفة وهو

ما بين معترك الاحداق والمهج * أنا القتيل بلا اثم ولا حرج

وهنا نكتة لطيفة تؤيد هذا النقد اتفق ان الشيخ نور الدين على بن سعيد الاندلسى الاديب المشهور الذى من نظمه قوله

واطول شوقى الى ثغور * ملأى من الشهد والرحيق
عنها أخذت الذى تراه * يعذب من شعرى الرقيق

لما ورد الى هذه البلاد اجتمع بالصاحب بهاء الدين زهير وتطفل على موائد طريقته الغرامية وسأله الارشاد الى سلوكها فقال له طالع ديوان الحاجرى والتلعفرى واكثر المطالعة فيهما وراجعنى بعد ذلك فغاب عنه مدة واكثر من مطالعة الديوانين الى ان حفظ غالبهما ثم اجتمع به بعد ذلك وتذاكرا فى الغراميات فانشده الصاحب بهاء الدين زهير فى غضون المحاضرة

يا بان وادى الاجرع * وقال اشتهى أن يكمل لى هذا المطلع فافكر قليلا وقال
سقيت غيث الادمع * فقال والله حسن لكن الاقرب الى الطريق الغرامى أن تقول
هل ملت من طرب معى * وما الطف مطلع الحاجرى فى هذا الطريق

لك أن تشوقنى الى الاوطان * وعلى أن ابكى بدمع قانى

والآراء على هذا النوع تستحسن هنا مطلع ناصر الدين بن النقيب فانه اعدل شاهد مقبول والتشبيب بنفسه الطيب يغنى فى هذه الحضرة عن الموصول وهو

قلدت يوم البين جيد مودعى * دررا نظمت عقودها من أدمعى

وبالنسبة الى حسن الابتداء آت مطلع الشيخ برهان الدين القيراطى مع حسنه وبهجته فيه نقص وهو

قسما بروضة خدها ونباتها * وبآسها المخضل فى جنباتها

فانه لم يأت بجواب القسم ولا ما يحسن السكوت على مطلعه ولا تتم الفائدة الا به ومشايخ البديع قرروا ان لا يكون المطلع متعلقا بما بعده فى حسن الابتداء وقد آن ان أحبس عنان القلم فان الشرح قد طال ولم اطله الا ليزداد الطالب ايضاحا ويدارى علل فهمه بحكم المتقدمين ويتنزه فى رياض الادب على النبات الغض من نظم المتأخرين انتهى ما أوردته فى حسن الابتداء وقد فرع المتأخرون منه براعة الاستهلال فى النظم والنثر وفيها زيادة على حسن الابتداء فانهم شرطوا فى براعة الاستهلال ان يكون مطلع القصيدة دالا على ما بنيت عليه مشعرا بغرض الناظم من غير تصريح بل باشارة لطيفة تعذب حلاوتها فى الذوق السليم ويستدل بها على قصده من عتب أو عذر أو تنصل أو تهنئة أو مدح أو هجو وكذلك فى النثر فاذا جمع الناظم بين حسن الابتداء وبراعة الاستهلال كان من فرسان هذا الميدان وان لم يحصل له براعة الاستهلال فليجتهد فى سلوك ما يقوله فى حسن الابتداء وما سمى هذا النوع براعة استهلال الا لان المتكلم يفهم غرضه من كلامه عند ابتداء رفع صوته به ورفع الصوت فى اللغة هو الاستهلال يقال استهل المولود صارخا اذا رفع صوته عند الولادة

تعالى ثم بعالى رأيه فان تدارك فقدا يثبت الحقوق وحان قطافها وهنالك النوائب واختلافها والايدى واجترافها والافواه واعتلافها والعمالة واعتسافها والزعامة والتقافها والاكرة واتصافها والاعوان واسرافها هذه التى أعلها ثم التى أخافها الجراد واجتحافها والقمل واتلافها والعساكر واجترافها والريح واتسافها فاذا امتلأت أجوافها فالعطاش واغترافها والبطان واشتقافها والشفاه وارتشافها والصوفة وانتزافها والقطنة واستنطافها والشمس واشرافها أفليس عما قريب جفافها هى أيد الله الشيخ الجليل البد لا تسعها الرخصة انه لا ينبص للناحية بعد شهرين عرق ولا يوجد

وأهل الحجيج اذا رفعوا أصواتهم بالتلبية وسمي الهلال هلالا لأن الناس يرفعون أصواتهم عند رؤيته * ومما وقع من براعات الاستهلال التي تشعر بغرض الناظم وقصده في قصيده براعة قصيدة الفقيه نجم الدين عمارة اليمني حيث قال

اذا لم يسالمك الزمان فحارب * وباعد اذا لم تنتفع بالأقارب

فاشارات العتب والشكوى لا تخفى على أهل الذوق في هذه البراعة ويفهم منها ان بقية القصيدة تعرب عن ذلك فان زكي الدين بن أبي الاصبع قال براعة الاستهلال هي ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وهذه القصيدة في حكمها وتحشمها وتسيير أمثالها نهاية والموجب لنظمها على هذا النمط أنه كان بينه وبين الكامل بن شاور صحبة اكيدة قبل وزارة أبيه فلما وزر واستمال عليه فكتب اليه هذه القصيدة التي من جملتها

ولا تحتقر كيدا صغيرا فربما * تموت الافاعي من سموم العقارب

ومنها

اذا كان رأس المال عمرك فاحترز * عليه من الانفاق في غير واجب
فبين اختلاف الليل والصبح معرك * يكر علينا جيشه بالعجائب

ومنها

وما راعني غدر الشباب لأنني * ألفت لهذا الخلق من كل صاحب

ومنها

اذا كان هذا الدر معدنه فمي * فصونوه عن تقبيل راحة واهب
رأيت رجالا حالهم في مآدب * لديكم وحالي عندكم في نوادب
تأخرت لما قدمتكم علاكم * علي وتأبى الاسد سبق الثعالب
ترى أين كانوا في مواطني التي * غدوت لكم فيهن أكرم خاطب
ليالي أتلو ذكركم في مجالس * حديث الورى فيها بغمز الحواجب

ومن الطف البراعات واحشمها براعة مهيار الديلمي فانه بلغه انه وشي به الى ممدوحه فتنصل من ذلك بالطف عذر وابرزه في معرض التغزل والنسيب فقال

أما وهواها حلفة وتنصلا * لقد نقل الواشي اليك فامحلا

وما أحلى ما قال بعده

سعى جهده لكن تجاوز حده * وكثر فارتابت ولو شاء قللا

واذكرني مهيار بحسن براعته ما كتبت به الى سيدنا ومولانا قاضي القضاة صدر الدين ملك المتأدبين أبي الحسن علي بن الآدمي الحنفي الناظر في الحكم العزيز بالديار المصرية والممالك الاسلامية جمل الله الوجود بوجوده من حماة المحروسة الى أبوابه العالية بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة وكانت مطالعاتي قد تأخرت عن أبوابه العالية لعارض حجب الفكر عن هذا الفن وهي رسالة مشتملة على نظم ونثر فصدرت الجواب بقصيدة ترفل في حلل النسيب على طريق مهيار وكلها براعة استهلال أولها

وصلت ولكن بعد طول تشوقي * ودنت وقد رقت لقلبي الشيق

بأهلها الطرق من ورد حوضها الآن ورده ملآن فان احتسب الشيخ الجليل ونشط لقاصد ينهضه بنشوره يدله عن عناية يؤكدها بكتاب يصحبه الى الشيخ الرئيس أبي عامر رجوت أن يرتفع المراد والا فلا وان استسقى عمر ابن الخطاب بالعباس بن عبد المطلب فسقي الناس وكشف الجدب فقد استسقيت بشيخي الجماعة والسنة وابني سيدي شباب أهل الجنة وتعززت بكليهما (وليس امرؤ في الروع كانا سلاحه * عشية يلقى الحادثات باعزلا) وللشيخ الجليل السيد ولي النعمة مولانا في تشريف عبده وخادمه وتصريفه على أمره ونهيه عالي رأيه ان شاء الله تعالى

(وله اليه صدر كتاب)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ عن سلامة يغبر في وجهها

وما أحلى ما قلت بعده

فملت من طرب برجع حديثها * فكأنما قد نادمت بعتيق

وجميعها على هذا الطريق البديعي ومثله ان المقر المخدومي الاميني الحمصي لما انتقل من توقيع حمص المحروسة الى صحابة ديوان الانشاء بدمشق قصد نقلي من حماة المحروسة الى أبوابه العالية وحب حماة يفتر العزم عن ذلك وهذا يفهم من قولي في بعض قصائدي فيها

يلذ عناق الفقر لي بفنائها * وفي غيرها لم ارض بالملك والرهط

ولكنه قطع اسئلته العالية بعد أن كانت كؤس الانشاء دائرة بيننا فكتبت اليه بقصيدة تشعر بعتب لطيف وبلابل الغزل تغرد في أفنانها على طريقة مهيار الديلمي وطريق مولانا قاضي القضاة صدر الدين عظم الله تعالى شأنه وبراعة استهلالها

من باسياف هجرهم كلونا * ما عليهم لو انهم كلونا

ولم اعرب في نحو هذه القصيدة عن غير هذه الاشارات اللطيفة

ومنها

غلقوا باب وصلهم فتح الله لهم بالهناء فتحا مبينا

وصلوا هجرنا وعيش هواهم * لم نحل عنهم ولو قطعونا

ملكوا رقنا فصرنا عبيدا * ليتهم بعد رقنا كاتبونا

ولم ازل اغازل عيون هذه المعاني الى المخلص فقلت

حبكم فرضنا وسيف جفا كم * قد غدا في بعادنا مسنونا

والحشا لم يخن عهود وفاكم * فاسئلوا من غدا عليها أمينا

ومما يشعر بالتهنئة والنصر على الاعداء براعة العلامة لسان الدين بن الخطيب وهي

الحق يعلو والاباطل تسفل * والحق عن أحكامه لا يسئل

فانه قال نظمت للسلطان أسعده الله وانا بمدينة سلا لما انفصل طالبا حقه بالاندلس قصيدة كان صنع الله مطابقا لاسم لالها ووجهت بها الى رندة قبل الفتح ثم لما قدمت انشدتها بين يديه بعد الفتح وفاء بنذري وسميتها الفتح الغريب في الفتح القريب منها

فاذا استحالت حالة وتبدلت * فالله عز وجل لا يتبدل

واليسر بعد العسر موعود به * والصبر بالفرج القريب موكل

والمستعد بما يؤمل ظافر * وكفالك شاهد قيدوا وتوكلوا

ومنها

الحمد والحمد منك سجية * بحليها بين الورى يتجمل

اما سعودك فهو دون منازع * عقد باحكام القضاء يسجل

ولك السجايا الغر والشيم التي * بغريبها يتمثل المتمثل

ولك الوقار اذا نزلت على الربا * وهفت من الروع الهضاب المثل

ومنها

عوذ كمالك ما استطعت فانه * قد تنقص الاشياء مما تكمل

الحرب والحصار وعافية معها الخوف والحذار وصنع الله حارس أثناء الخطوب والشيخ الجليل بحمد الله ملي القلب ثابت القدم وافر الاعوان والخدم مخيل بالظفر والسلاح بعض ويكلم ويهدو يهدم والحرب على ساق والقنيان على تلاق ونحن الى هذه الغاية متضعون ومستعلون والله ولي الكفاية

(وله اليه عتاب)

كتابي والثمرة أدام الله عز الشيخ تخرج من اكمامها فتكون صرة قبل تمامها ثم تصير مزة كثيرا من ايامها ثم تكون بخة عفصة ثم لا يزال الليل والنهار ينضجانها حتى تصبح رطبا جنيا وتؤكل حلوا هنيا وقد تصورني الشيخ الجليل حجرا لا يؤثر في الماء والنار ولا ينضجني الليل والنهار والشباب نزقة طيش ثم يريعون اذا جاء الاربعون وينزعون

تاب الزمان اليك مما قد جنى * والله يأمر بالمتاب ويقبل
ان كان ماض من زمانك قد مضى * باساءة فلقد سرك المستقبل
هذا بذاك فشفع الثانى الذى * ارضاك فيما قد جناه الاول
والله قد ولاك أمر عباده * لما ارتضاك ولاية لا تعزل
واذا تغمدك الاله بنصره * وقضى لك الحسنى فمن ذا يخذل

ومنها

وظعنت عن أوطان ملكك راكبا * متن العباب فاى صبر يجمل
والبحر قد خفقت عليك ضلوعه * والريح تبلع الزفير وترسل
ولك الجوارى المنشآت قد اغتدت * تختال فى برد الشباب وترفل
خرقاء يحملها ومن حملت به * من يعلم الانثى وماذا تحمل
صبحتهم غرر الجياد كأنما * سد الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجياد به اغر محجل
زجل الجناح اذا اجد لغاية * واذا تغنى للصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * اذن ممشقة وطرف اكحل

ومنها

وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد به يقوم الصيقل
غرقت بصفحته النمال وا وشكت * تبغى النجاة فاوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منـشـه مورد والشط منه مهدل
وبكل ازرق ان شكت الحاظه * مره العيون فبالعجاجة يكحل
متأود أعطافه فى نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له ان الجميع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل
لله موقفك الذى وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل

وهى طويلة وجميعها فرائد ولما كثر منها الالعاى ان نظم الوزير لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى غريب فى هذه البلاد ومن البراعات التى يفهم من اشاراتها انها تهنئة بمولود قول أبى بكر بن الخازن رحمه الله تعالى

بشرى فقد انجز الاقبال ما وعدا * وكوكب المجد فى أفق العلا صعدا

ومما يشعر بقرينة الذوق أن الناظم يريد الرثاء قول التهامى

حكم المنية فى البرية جارى * ماهذه الدنيا بدار قرار

وهذه القصيدة يرثى بها ولده وهى نسيج وحدها وواسطة عقدها

ومنها

ومكلف الايام ضد طباعها * متطلب فى الماء جذوة نار

وان كانوا الاوزعون ولقد نظرت فى المرآة فوجدت الشيب يتأهب ويثب والشباب يتأهب ويذهب وما اسرج هذا الاشهب الاسير واسأل الله خاتمة خير وانا أرجو أن يكون ما انسبنى اليه ولى النعمة أدام الله علوه من الظلم والعدوان مطايبة ومزاحا فان كان اعتقادا فلامى الويل وسال بى السيل فأما الخراج وتوابعه فوالله ماأحوج عاملا الى اقتضائه انما الحديث فى جواف يطلب ومحال يكتب فاما حقوق الديوان أصلا وفرعا فلا يدعى العمال على باقيا الا غرمت للدرهم دينارا المجنون أنا واما الشركاء فهم يفدوننى بالامهات والآباء وقد سمع الشيخ الجليل كلامهم والذكرى تنفع المؤمنين * ومما أطرف به المجلس العالى زاده الله شرفا انه كان فى جيرتنا رجل

جبلت على كدر وانت تريدها * صفوا من الاقذاء والاقذار
واذا رجوت المستحيل فانما * تبنى الرجاء على شفير هار
فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سارى

وما علم ان أحدا استهل المراثى بأحسن من هذه البراعات ومنها يشير الى ولده وهو من المعانى المستغربة

جاورت اعدائى وجاور ربه * شتان بين جواره وجوارى

وأما قصيدة الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى فى تهنئة السلطان الملك الافضل بسلطنة حماة وتعزيته بوفاة والده الملك المؤيد سقى الله ثراه فانها من عجائب الدهر فانه جمع فيها بين نقيضى المدح والرثاء فى كل بيت وبراعتها

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما
ثغور ابتسام فى ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما
يرد مجارى الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى

سبحان المانح والله من لا يتعلم الادب من هنا فهو من المحجوبين عن ادراكه (وكتب اليه) الشيخ صلاح الدين الصفدى قصيدة ضمن فيها أعجاز معلقة امرئ القيس وصرح فى براعتها بغليظ العتب ولم يأت فى البراعة باشارة لطيفة يفهم منها القصد بل صرح وقال

أفى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فاجابه الشيخ جمال الدين بقصيدة ضمن فيها الاعجاز المذكورة وبراعة استهلالها

فطمت ولائى ثم اقبلت عاتبا * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل

والاشارة بقوله افاطم مهلا بعض هذا التدلل لا يخفى على حذاق الادب ما مراده منها وفى هذا القدر كفاية وما أحلى ما قال بعده وهو مما قصده فى تلك الاشارة

فدونك عتبا اللفظ ليس بفاحش * اذا هى نصته ولا بمعطل

(وهنا بحث) وهو انى وقفت على بديعية الشيخ شمس الدين أبى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى الشهيرة ببديعية العميان فوجدته قد صرح فى براعتها بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وهى

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانثر له المدح وانشر طيب الكلم

فهذه البراعة ليس فيها اشارة تشعر بغرض الناظم وقصده بل أطلق التصريح ونثر المدح ونشر طيب الكلم فان قال قائل انها براعة استهلال قلت ان البديعية لابد لها من براعة وحسن مخلص وحسن ختام فاذا كان مطلع القصيدة مبنيا على تصريح المدح لم يبق لحسن التخلص محل ولا موضع ونظم هذه القصيدة سافل بالنسبة الى طريق الجماعة غير أن الشيخ الامام العلامة شهاب الدين أبا جعفر الاندلسى شرحها شرحا مفيدا (وهنا فائدة) وهو ان الغزل الذى يصدر به المديح النبوى يتعين على الناظم أن يحتشم فيه ويتأدب ويتضاءل ويتشبب مطربا بذكر سلع ورامة وسفح العقيق والعذيب والغوير ولعلع واكناف حاجر ويطرح ذكر محاسن المرد والتغزل فى ثقل الردف ورقة الخصر وبياض الساق وحمرة الخد وخضرة العذار وما أشبه ذلك وقل من يسلك هذا الطريق من أهل الادب وبراعة الشيخ صفى الدين

يكفى أبا الهول كأنه سميه اسطوانة المسجد لكثرة صلاته وكان له عم موسر لا عقب له فرزق ولدا على كبر السن فحمل أبا الهول فرط غمه ان زوى الله عنه ميراث عمه على ترك الصلاة أصلا فكان لا يؤدى فرضا ولا نفلا ولا يرد سلاما ولا يعمل فى الخير عملا ولا يغسل استه مثلا وقد وجدت لابى الهول عدلا وهو أبو فلان وكان فيما مضى يعتق فى كل شهر عبدا ويصلى بالليل وردا ويتخذ مصانع وربطا فرجع من الحضرة وقد سلخه الله من كل خير وضربه فى قالب غير فهو الآن لا يشهد جامعا ولا جمعه ولا يصلى فى الطاهر ركعة ولا يعطى فقيرا حبه ولا يرزق طفل منه محبه وقد اتخذ نقباء واعوانا وارتبط رجالة وفرسانا وقد ملأ الرساتيق والبلاد اجمالا وما اجمل أحد قبلى على سعايه ولولا أمر خفى لرأيت حقا

الحلى

الحلى فى هذا الباب من أحسن البراعات واحشمها وهى

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقر السلام على عرب بذى سلم

فقد شبب بذكر سلع والسؤال عن جيرة العلم والسلام على عرب بذى سلم ولا يشكل على من عنده أدنى ذوق ان هذه البراعة صدرت لمديح نبوى ومطلع البردة أيضا فى هذا الباب من أحسن البراعات أيضا وهو

أمن تذكر جيران بذى سلم * مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

فمزج دمعه بدمه عند تذكر جيران بذى سلم من الطف الاشارات الى ان القصيدة نبوية وما أحلى ما قال بعده

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة * وأومض البرق فى الظلماء من اضم

وحشمة الشيخ جمال الدين بن نباتة فى براعة قصيدته الرائية النبوية يتعلم الاديب منها سلوك الادب وهى

صحا القلب لولا نسمة تتخطر * ولمعة برق بالغضا تتسعر

وما احشم قوله بعده

وذكر جبين المالكية ان بدا * هلال الدجى والشئ بالشئ يذكر

سقى الله اكناف الغضا سائل الحيا * وان كنت أسقى أدمعا تتحدر

وأما قصيدتى النبوية الموسومة بامان الخائف فانها عذيب هذا البارق وحلبة مجرى هذه السوابق لانى لم اخرج فى تغزلها عن التبارى والتشبيب بذكر المنازل المعهودة وبراعتها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم

وقلت بعده

وضاع شذاكم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم

وجزتم بوادى الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ منمنم

ولما روى أخبار نشر ثغوركم * اراك الحمى جاء الهوى يتبسم

وما أليقه أن يكون صدر الامداح النبوية ومنها

فيا عرب الوادى المنيع جنابه * واعنى به قلبى الذى فيه خيموا

رفعتم قبابا نصب عينى وفحوها * تجر ذيول الشوق والقلب يجزم

ويا من اماتونا اشتياقا وصيروا * مدامعنا غسلا لنا وتيمموا

منعتم تحيات السلام لموتنا * غراما وقدمتم فصلوا وسلموا

يقولون لى فى الحى أين قبابهم * ومن هم من السادات قلت هم هم

عريب لهم طرفى خباء مطنب * بدمعى وقلبى نارهم حين تضرم

ومن ألطف الاشارات الى ان هذا التغزل صدر قصيدة نبوية قولى منها

أورى بذكر البان والرند والنقا * وسفح اللوى والجزع والقصد أنتم

ولم ازل فى براعة الاستهلال استدل أهله هذه المعانى الى ان وصلت الى حسن التخلص فقلت

الله ان انهض الى المجلس العالى لتصوير حاله وقد طويت هذا الكتاب على ما عاملنى به واذا كانت هذه حالى وأنا امشى بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء علم الشيخ الجليل حال العامة واذا أنعم بالنظر فى الرقعة التى طويت كتابى هذا عليها وفى جواب القاضى فى آخرها وعلى ظهرها علم صدق ما يقوله العبد وللشيخ الجليل فى تأهيل العبد للجواب وزجر هذا الطويل عما يتعاطاه رايه العالى ان شاء الله تعالى

(وله اليه فى شأن أبى البحترى)

جزى الله الشيخ الجليل السيد النبيل أفضل ما جازى مولى عن عبده ثم أضعف الله له من عنده ومن قال جزاك الله خيرا فقد أولى جميلا وأعطى جزيلا وما قصر من اتخذ الله وكيلا وما بى أدام الله تمكين الشيخ الجليل مال حصل أو حق وصل انى لا اعلم فى كنفه المال

تقنعت فى حبى لهم فتعصبوا * على وهم سادات من قد تلثموا

لهم حسب عال يطاطا مكة * لان رسول الله فى الاصل منهم

ومن الاغزال التى لاتليق أن يكون غزلها المديح قصيد نبوى قصيد السرى الرفاء فانه مدح بها الفاطميين وجدهم صلى الله عليه وسلم وجرح القلوب بندبة الحسين عليه السلام فانه قال منها

مهلا فما نقلوا آثار والده * وانما نقضوا فى قتله الدينا

وهذه القصيدة مشتملة على مدح النبى صلى الله عليه وسلم وآل بيته وندبة الحسين بن على عليهما السلام فما ينبغى ان تكون براعتها

نطوى الليالى علما ان ستطوينا * فشعشعيها بماء المزن واسقينا

ما أحق هذه البراعة لبعدها من المديح بقول القائل

تغنيتم بالرقمتين ودارهم * بوادى الغضى يابعد ما اتمناه

وما كفاه حتى قال بعد ذلك

وتوجى بكؤس الراح راحتنا * فانما خلقت للراح أيدينا

قامت تهز قواما ناعما سرقت * شمائل البان من اعطافه اللينا

تدير خمرا تلقاها المزاج كما * القيت فوق جنى الورد نسرينا

فلست ادرى أتسقينا وقد نفحت * روائح المسك منها أم تحيينا

وقد ملكنا زمان العيش صافية * لو فاتنا الملك راحت عنه تسلينا

أقول غفر الله له هذا الغزل فيه اساءة أدب على ممدوحه فانه شبب بوصف القيان وبذكر الخمر وبينه وبين المديح مباينة عظيمة (رجع) الى البراعات البارعة التى تشعر انها صدر المديح النبوى بالاشارات اللطيفة منها براعة الشيخ برهان الدين القيراطى وهى قوله

ذكر الملتقى على الصفراء * فبكاه بدمعة حمراء

وأما براعة بديعيتى فانها ببركة ممدوحها صلى الله عليه وسلم نور هذه المطالع وقبلة هذا الكلام الجامع فانى جمعت فيها بين براعة الاستهلال وحسن الابتداء بالشرط المقرر لكل منهما وابرزت تسمية نوعها البديعى فى أحسن قوالب التورية وشنفت باقراط غزلها الاسماع مع حشمة الالفاظ وعذوبتها وعدم تجافى جنوبها عن مضاجع الرقة وبديعية صفى الدين غزلها لا ينكر غير أنه لم يلتزم فيها تسمية النوع البديعى مورى به من جنس الغزل ولو التزمه لتجافت عليه تلك الرقة واما الشيخ عز الدين الموصلى فانه لما التزم ذلك نحت من الجبال بيوتا وقد أشرت الى ذلك فى الخطبة بقولى وهى البديعية التى هدمت بها مانحته الموصلى فى بيوته من الجبال وجاريت الصفى مقيدا بتسمية النوع وهو من ذلك محلول العقال وسميتها تقديم أبى بكر عالما انه لايسمع من الحلى والموصلى فى هذا التقديم مقال ومن أحسن اشارات براعتى التى تشعر انها صدر مديح نبوى تشبيبى بعرب ذى سلم وخطابى لهم بان لى فى مدائحهم براعة تستهل الدمع وكأنى وعدتهم بشئ لابد من القيام به وهذا حسبما أراده ابن أبى الاصبع بقوله براعة الاستهلال هى ابتداء الناظم بمعنى ما يريد تكميله انتهى ما أوردته هنا من البراعات

وابلغ فى دولته الآمال ولكن أبو البخترى جانى لذيذ النوم ومنعنى بياض اليوم أنى يكون مثلى وأنا بحتب ضرب يعبث به صفعان كانه درب وكنت أسمع بطرار كانه النبل ولم أسمع بختال كانه الطبل ويقولون لص كالحية فى الظلم وطرار كالزلم فاما طرار كالسلم واص فى طول المنارة وعرض الغرارة فلا الا هذا الحر وعنوان الاحمق كنيته ثم بنيته ثم حليته ثم مشيته والله ما أعرف معنى أبى البخترى فهلا أبو حامد وأبو خالد وان امرأة تقعد مدة تعصر بطنها وظهرها وتعد يومها وشهرها ثم تسميه أبا البخترى لرعناء لاتستحق مهرها وخليقة ان تطم نحرها فلا تلد دهرها ثم الوجه اللحيم لايحمله كريم والانف السمين لا ينقله الامين والقطف سير الحمير والهرولة مشية الخنازير

البارعة نظما وأما براعات النثر فأمثلها ان لم تكن براعة الخطبة أو الرسالة أو صدر الكتاب المصنف دالة على غرض المنشئ والا فليست ببراعة استهلال وقد رأيت غالب البديعيين قد اكتفوا عند استشهادهم على براعة الاستهلال في النثر بقول الصاحب عمرو بن مسعدة كاتب المأمون فانه امتحن أن يكتب للخليفة يخبره ان بقرة ولدت عجلا وجهه كوجه الانسان فكتب الحمد لله الذى خلق الانام في بطون الانعام ورأيت الشيخ صفي الدين الحلي في شرح بديعيته قد الق عند الاستشهاد بها عصي التسيار واحتجبت عنه في هذا الافق الشموس والاقمار أين هو من علو مقام القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وقد كتب عن السلطان الملك الظاهر الى الامير سنقر الفارقاني جوابا عن مطالعته بفتح سوس من بلاد السودان واستهل بقوله وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة الله اكبران من البلاغة لسحرا والله ما أظن هذا الاتفاق الغريب اتفق لناثر ولا هلال كاتب المأمون في هذا الاستهلال بزاهر وهذا المثال الشريف ليس له مثال منه صدرت هذه المكاتبة الى المجلس السامي تثني على عزائمه التي دلت على كل أمر رشيد وأتت على كل جبار عنيد وحكمت بعدل السيف في كل عبد سوء وما ربك بظلام للعبيد وبراعة الشيخ جمال الدين بن عبد الرزاق الاصفهاني في رسالة القوس تجاري براعة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في هذه الحلبة وتساويها في علو هذه الرتبة فانه أتى فيها بالعجائب وأصاب غرض البلاغة بسهم صائب واستهلها بعد البسملة بقوله تعالى ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناله في الارض وآتيناه من كل شئ سببا فاتبع سببا * (منها) * شيطان تطلع شمس النصرة من بين قرنيه ماردلا يصلح الا بتعريك اذنيه صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الا ما حملت ظهورها أو الحوايا أو ما اختلط بعظم وأما براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة في خطبة كتابه المسمى بخبز الشعير فانها خاص الخاص ولابد من مقدمة تكون هي النتيجة الموجبة لتسمية هذا الكتاب بخبز الشعير فانه مأكول مذموم وماذاك الا انه كان يخترع المعنى الذي لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من أبياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي بلفظه ولا يغير فيه غير البحر وربما عام به في بحر طويل يفتقر الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يسع الشيخ جمال الدين الا انه جمع من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين واستهل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لي ولوالدى ولمن دخل بيتي مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا) فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال) فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين قلت

ومولع بفخاخ * يمدها وشباك

قالت لى العين ماذا * يصيد قلت كراكى

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

أغار على سرح الكرى عند ما رمى الشكراكى غزال للبدور يحاكى

فقلت ارجعي ياعين عن ورد حسنه * ألم تنظريه كيف صاد كراكى

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين قلت

وله اليه في هزيمة السامانية بباب سرخس

ما أظن أطال الله بقاء الشيخ السيد آل ساسان الامدعين على الله مقاطعة أرضه ومساقاة ثمارها ياهؤلاء لاتكابروا الله في بلاده ولاتراودوا الله تعالى غير مراده ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده وما أرى آل سجور الا معتقدين انهم يأخذون خراسان قهرا كأنما كانت لامهم مهرا فلهم من حولها محيط والله من ورائهم محيط وبلغني ان صاحبهم أسر فان كان ما بلغني صحيحا فرحبا بالاسر ولا لعا للعاثر حتام كفر الكافر وغدر الغادر وأبو الحسين بن كثير خذله الله لا يكاد يرى الخير من ابن واحد فاتر جومن ابن كثير وهو الترياق المجرب للملك المقرب يقذف من

اسعد بها يا قمرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال من البحر

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت فى قلبى فحركته * فقال لم أخرج عن الواجب

قال الشيخ جمال الدين قلت

ويهيجنى رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

فاخذه الصلاح وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

وأحسن ما وقع فى هذا الباب للشيخ جمال الدين أنه قال

بروحى عاطر الانفاس ألمى * ملئ الحسن خالى الوجنتين
له خالان فى دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فاخذه الصلاح وقال

بروحى خده المحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كأن الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله الشيخ صلاح الدين سرق كتابة من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

يا غادرا بى ولم اغدر بصحبته * وكان منى محل السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسى اخال جفا * لجأ ما خلته نقشا على حجر

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ما زلت اشكو حين وفرلى الضنا * قسما وأسلمنى الى البلوى وفر
حتى توفر من شكاية لوعتى * لى قلبه فرأيت نقشا فى حجر

قال الشيخ جمال الدين قلت

يا عاذلى شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتى ألذ وأزين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتى هى أحسن

فاخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل أخذ الكل مع القافية وقال

بأبى فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها تحار الاعين
كم قد دفعت عواذلى عن وجهها * لما تبدت بالتى هى أحسن

ومن ذلك قال الشيخ جمال الدين واجاد الى الغاية

فديتك أيها الرامى بقوس * ولحظ يا ضنى قلبى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

كل جانب دحورا هذا المؤيد من السماء بين تدبيره يلمس فى بيره وهذا سنان الدولة ببركة ضميره وقع فى تحبيره ولا يزال هذا البائس حتى يسأل الله العافية عن بدنه وحديث ما حديث هذا الجمال كان ابليس يقسم كل صبيحة اللمعى القافصار يقسم الوفا سلطان آتاه الله واسطة البروحاشية البحر وامكنه من طاغية الهند وسخر له ملوك الارض بريد جمال مراغمته

* باللرجال لنازل الحدثان *

انى لاعجب من رأس يودع تلك الفضول فلا ينشق ومن عنق يحمل ذلك الرأس فلا يندق وما أجد لابن محمود مثلا الا ابن الراوندى اذ ذهب الى ابن الاعرابى يسأله عن قول الله تعالى فاذاقها الله لباس الجوع والخوف اتقول العرب ذقت اللباس فقال

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرّط من أحب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعي عليه
عقيق دمي جرى فأصاب خدي * وشبه الشيء منجذب اليه

وما اظن الشيخ صلاح الدين غفر الله له لما سمع ما قاله الشيخ جمال الدين ونظم بعده هذين البيتين كان في حيز الاعتدال وابن انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وليته في براعة استهلاله بقول الله تعالى رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا قال بعدها اللهم ومن دخل بيتي كافرا بفوائدي المنعمة وبيت شعري سارقا من الفاظه ومعانيه المحكمة فاخذله في سره وعلانيته وعاقبه على قوله ونيته * ومنها بلغني ان بعض أدباء عصرنا ممن منحته ودي وانفقت على ذهنه الطالب ما عندي واقته وهو لا يدري الوزن مقام من زكاه نقدي واودعته ذخائر فكري فانفقها واعرته أوراق العتيقة فلا والله ما ردها ولا اعتقها بل انه غير الثناء بالهجاء والولاء بالجفاء ونسبني الى سرقة بيوت الاشعار مع الغناء عنها والغنى فتغاضيت وقلت هما زمشاء بنيم وغصة صديق اتجرعها ولو كانت من جيم واخليت من حديثه بابي في ومجلس صدري وصرفت ذكره عن فكري * ولكن وقفت له على تصانيف وضعها في علم الادب والعلم عند الله تعالى ووشحها بشعره وشعري المغصوب المنهوب يقول يا صاحبي الالا * وما يتوضح من جيد تلك الاشعار لمعة الا ومن لفظي مشكاتها ولا تتضوع زهرة الا ومني في الحقيقة نباتها فضحكت والله من ذهنه الذاهل وذكرت على زعمه قول القائل

وفتى يقول الشعر الا أنه * فيما علمنا يسرق المسروقا

وعجبت له كيف رضي لنفسه هذا الامر منكرا وكيف حلا لذوقه اللطيف هذا الحرام مكررا وقد أوردت الآن في هذا الكتاب قدرا كافيا ووزنا من الشعر وافيا وسميته خبز الشعير المأكول المذموم وعرضته على معدلة مولانا بالعلم ليشامع خلبه له مظلوم ولولا الاطالة لاوردت جميع أبيات الشيخ جمال الدين التي دخلها الشيخ صلاح الدين بغير طريق ليرتدع القاصر عن التطاول الى معاني الغير * ومن البراعات التي يستعمل بها في هذا الافق الذي مرآة سمائه صقيلة براعة المقر المخدومي القضائي الفخري عبد الرحمن بن مكانس مالك أزمة البلاغة وملك المتأخرين نظما ونثرا في رسالة كتبها الى المقر المرحومي القضائي الزيني أبي بكر ابن العجمي عين كتاب الانشاء الشريف بالابواب الشريفة وبقية الفضلاء الذين فضلوا ابالطريق الفاضلية بسبب عبد الله القيرواني الضرير فاني نقلت من خط المشار اليه ما صورته * ورد علينا شخص من القيروان ضرير يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالي من المعاني فتردد الى في مجالس متفرقة ثم بلغني بعد ذلك أنه وشى الى صاحبي الشيخ زين الدين بن العجمي باني اهتضمت من جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى بسبب ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت اليه رقعة براعة استهلالها * ليس على الاعمى حرج * (أقول) انه يستغنى بهذه البراعة عن الرسالة * منها وبلغ المملوك أنه رماه بعض الاصحاب برمية مثل هذه فاصمى وتردد اليه مرة اخرى فعبس وتولى ان جاءه الاعمى * ولقد

لا بأس ولا باس واذا حيا الله الناس فلا حيا ذلك الراس هبك تتهم محمدا لم يكن نبيا أتتهمه بأن لم يكن فصيحا عربيا وجئت تسأل ابن الاعرابي البس الاعرابي نفسه جاء بهذا الكلام كذلك ابن محمود ينقض اسه ويضرب مذروبه لينال الملك لا لوافر عدة ولا لكثرة عدد انما وطمع في الملك لانه ابن محمود أفليس محمود نفسه بالملك أحق فالحمد لله الذي نصركم واخزاهم وثبتكم ونفاهم واركب اخراهم أولاهم فلا رحم الله قتلاهم ولا جبر الله جرحاهم ولا فك اسراهم ولا ارا كم الا قفاهم وان اقبلوا ففض الله فاهم * ويرحم الله عبدا قال آمينا * (وله اليه في هزيمة السامانية بباب مرو) وردت رقعة الشيخ الجليل أدام الله بسطته مني على

خسرت صفقته اذا المملوك مابرح مخلصا لمولانا فى ولائه ومباديا له على سلطنة البلاغة
واجل من تشرف بحمل لوائه ومولانا بحمد الله أولى من استفتى قلبه واستدل
على صفاء صدق محبته بشواهد المحبة والمسؤل من صدقاته امران أحدهما الجواب
فانه يقوم عند المملوك مقام الفرج من هذه الشدة والآخر ردّ كل فاسق عن هذا الباب
العالى فان أبا بكر أولى من يصلب فى الردة انتهى كلام القاضى فخر الدين * ولقد كشف الشيخ
جمال الدين بن نباته عن هذا الوجه القناع واظهر من بهجته فى رسالة السيف والقلم
ماليس لمطالع البدور عليه اطلاع فان الرسالة مبنية على المفاخرة بينهما ولما انتصب القلم
لمفاخرة السيف كانت براعته ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون واستهل
بعدها بقوله الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم * وبراعة استهلال السيف قوله تعالى
وانزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى
عزيز واستهل بعده بقوله الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرع حدها
فى ذوى العصيان فاغصتهم بماء الحتوف وما أظن ان احدا من المتقدمين نسج على هذا
المنوال ولا نفث فى عقد أقلامهم مثل هذا السحر الحلال * وممن طلع من العصريين فى هذا
الافق الساطع فابدر ورقى بلاغته أعواد هذا المنبر القاضى ناصر الدين بن البارزى
صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية فانه اتفق له بحماة محنة كان لطف الله
تعالى متكفلا له بالسلامة منها ولم يضرم نارها الا من غذى بلبان نعمته قديما وحديثا فالحمد
لله الذى اسعف الاسلام والمسلمين بنجاته وامتع العلم الشريف والرياسة بطول حياته ولما
هاجر من حماة المحروسة الى دمشق المحروسة كان اذذاك مولانا السلطان الملك المؤيد كافلها
ففوض اليه خطابة الجامع الاموى فلم يبق أحد من اعيان دمشق حتى حضر فى تلك الجمعة
لاجل سماع الخطبة فكانت براعة خطبته الحمد لله الذى أيد محمدا بهجرته ونقله من أحب
البقاع اليه لما اختاره من تأييده ورفعته فعلا بالجامع الاموى أصوات ترنم حركت أعواد
المنبر طربا وكاد النسر أن يصفق لها بجناحيه عجبا * وما ألطف براعة الشيخ العلامة
نور الدين أبى الثناء محمود الشافعى الناظر فى الحكم العزيز بحماة المحروسة والشهير بخطيب
الدهشة بحماة المحروسة فى كتاب أدعيته المسمى بدواء المصاب فى الدعاء المجاب وهى
الحمد لله سامع الدعاء ودافع البلاء وفيها البناء والتأسيس فانه أشار بسامع الدعاء الى
الدعاء المجاب وبدافع البلاء الى دواء المصاب * واما براعة خطيب الخطباء ابى يحيى
عبد الرحيم بن نباتة الفارقى فانها شغلت أفكارى مدة ولم يسعنى غير السكوت والاحجام عنها
فانه استهلها فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله المنتقم ممن خالفه المهلك
من آسفه ولقد اعتذر عنها جماعة من اكابر العلماء وأورد الشيخ سرى الدين بن
هانئ فى شرحه الذى كتبه على ديوان الخطب على هذه البراعة عذرا لابى البقاء ارجو
ان تهب عليه نسمات القبول * وما احشم ما استهل الشيخ جمال الدين أبو الفرج
ابن الجوزى فى خطبة وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بقوله الحمد لله الذى استأثر بالبقاء
وحق له أن يستأثر وحكم بالفناء على سكان هذا الفناء فاذعنوا لحكمه القاهر * واما

صدر أتنظرها وقلب
استشعرها وانى لاغلط
فى قوم أميرهم صبىّ ولاف
دولة عميدها خصىّ
وسنانها حلقىّ ونصيرها شقى
وعدوّها دوىّ انى اذا
لغوىّ ياقوم بماذا
ينصرون أبمال عليه
اعتمادهم أم بجمع هو مدادهم
أم بعدل به اعتضادهم
أم لرأى هو عمادهم هل هم
الا سطور فى قطور ان الله
تعالى علم انهم ان ملكوا لم
يصلحوا وأمرهم أن لا يفلحوا
فسمعوا واطاعوا طائفة
من المدابير وقوفهم بين
النار والنير ان أقاموا
فالسيوف الهندوانيه
وان أنجدوا فالاتراك
والخلانيه وان أيسروا
فجرجان والجرجانيه وان
استأخروا فالعطش والبريه
هو الموت ان شاء الله آخذا
بالحلاقيم محيطا بالظاعن
منهم والمقيم بجرجان
يامدابير جرجان ان بها
أكله من التنين وموته فى

خطبة الشيخ صفي الدين في صدر شرح بديعيته فان استهلالها نير ولكن فيه نظر وبعض مباينة عما نحن فيه فانه قال الحمد لله الذي حلل لنا سحر البيان وكتابه مبني على البديع ولهذا استهللت خطبة شرح بديعيتي بقولي الحمد لله البديع الرفيع ولما جمعت ديواني استهللت خطبتي بقولي الحمد لله الذي لا يحصر مجموع فضله ديوان * وكان قد رسم لي أن انشي صداقا للملك الناصر وانا اذ ذاك بدمشق وقد حمل ركابه الشريف بها على بنت المرحوم الشريف السيفي كشبغا الظاهري الحموي فاستهللت بقولي الحمد لله الذي أيد السنة الشريفة بقوة وناصر وتمثلت بعد هذا التاريخ بالمواقف الشريفة الامامية الخليفية المستعينية العباسية زادها الله شرفا وتعظيما فبرزت الي أوامرها المطاعة ان انشي عهدا بكفالة السلطنة بالبلاد الهندية للسلطان العادل مظفر شاه شمس الدنيا والدين صاحب دهلي والفتوحات الهندية فاستهللت براعته بقولي الحمد لله الذي وثق عهدا انجاح المستعين به وقلت بعد الاستهلال وثبت أوتاده ليفوز من تمسك من غير فاصلة بسببه وزين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ما فرغ على اطراف الارض حلل الخلافة الشريفة وعلم ان في خلفها الزاهر زهرة الحياة الدنيا فقال عز من قائل اني جاعل في الارض خليفة واختارها من بيت براعة استهلاله من أول بيت وضع للناس وسبقت ارادته ولها الحمد ان تكون هذه النهلة الشريفة من سقاية بني العباس وذلك في العشر الاواخر من رمضان سنة ثلاث عشرة وثمانمائة * ومما انشأته في الديار المصرية وقد استقريت منشئ ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تقليد مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي عظم الله شأنه بصحابة ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية بتاريخ شوال سنة خمس عشرة وثمانمائة واستهللته بقولي الحمد لله الذي أودع محمدا سره وقلت بعد الاستهلال وجعله ناصر دينه فحل به عقد الشرك وشد أزره وارسله لينشي مصالح الامة فهذبنا بترسلاته والله أعلم حيث يجعل رسالاته وبين ديوان الانشاء الشريف بصاحب من بيت ظهر التمييز بكتابته وأيد الاسلام والمسلمين بالمؤيد تمسك بمحمد وصحابته * وانشأت بعد هذا التاريخ توقيع الرئيس الطب بالديار المصرية فكانت براعته الحمد لله الحكيم اللطيف * وبراعة الشيخ صلاح الدين الصفدي في شرح لامية العجم في غاية الحسن فانه استهلها بقوله الحمد لله الذي شرح صدر من تأدب والكتاب مبني على شيء من علم الادب * واما البراعات التي يحاول تقبيلها بوجنات الطروس فمنها براعة الشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة كتبها الى القاضي علاء الدين الحسني واستهلها بقوله يقبل الارض العلية على السحاب نسبا وقال بعد الاستهلال الموفية على حصباء الانجم حسبا هذا الادب ان اطنبت في وصفه فهو فوق الوصف * وكتب اليه الشيخ برهان الدين القيراطي من القاهرة المحروسة الى دمشق المحروسة رسالة بليغة واستهلها بقوله يقبل الارض التي سقت السماء نباتها وقال بعد البراعة وحرس الله ذاتها وعمر بمعاني الحسن أبياتها * ومن اظرف ما وقع من البراعات المتوشحة برداء التبكيت براعة القاضي فخر الدين عبد الوهاب كاتب الدرج فانه كان له صديق منهم يعبده فكتب اليه رسالة يداعبه فيها

الحسن ونظرة الى الثمار والاخرى الى التابوت والحفار وبجارا اذ اراى الخراساني نجر التابوت على قده واساف الحفار على لحده وعطارا يعد الحنوط برسمه وبها للغريب ثلاث قصات للكيس أولها للكراء البيوت والثانية لابتياع القوت والثالثة لثمن التابوت اغلى الله لهم اسواق النجارين والحفارين والمكارين آمين يارب العالمين

(وله اليه في فتح بهاضية)

ان الله وهو العلي العظيم المعطي ما شاء من علي الانسان بهذا اللسان خلق ابن آدم وأودع في كيسه مضغة لحم بصرفها في القرون الماضية ويخبر بها عن الامم الآتية يخبر بها عما كان بعد ما خلق وعما يكون قبل أن يخلق ينطق بالتواريخ عما وقع

واستهلها بقوله يقبل اليد الشهابية كثر الله عبيدها وقال بعد البراعة وضاعف خدمها واضعف حسودها وقد خطر لى ان أوردها بكمالها لوجازتها وغرابة اسلوبها فانه قال بعد يقبل الارض الخ وينهى بعد ولاء يمتد ودعاء يستد وثناء كانه عنبرا وكافورا وند ان مولانا توجه والاعضاء خلفه سائره وكل عين لغيبته ساهره ولا يخفى عليه شوق العليل الى الشفاء والظمآن الى صيب الماء والغريب الى بلده والمحصور الى سعة مسلكه ومقعده فمولانا يطوى هذه الشقة ويقصر هذه المدة ويدع أحد غلمانه يسد مسده فالمملوك قلق لسماع أخبار التشويش فى البلاد وتطرق اهل الجرائم والفساد فمولانا يرسم لغلمانه أن يشمروا فى خدمته ذيلا ويسهروا عليه بالتوبة لمن يطرق ليلا والله المسؤل أن تكون هذه السفرة محجلة ويخص فيها بالتبرك مخرجه ومدخله ويبلغه من فضله مزيدا ويجعل يومه عليه مباركا وليله عليه سعيدا * وكتب المقر المخدومى فضل الله بن مكانس مجد الادب الذى ظهر من بيته فخره ورضيع لبانه الذى ما سقانا منه ذرة الا قلنا لله دره الى والده المقر المرحومى الفخرى من القاهرة الى حلب وهو صحبة الركاب الشريف الظاهرى يشكو اليه رمدا حصل له بعده وكان مبدأ الرسالة قوله

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول * هذا وكم بيننا من ربعكم ميل

وقال بعد الاستهلال لا استهلت لولا نادموع ولا جفا جفنه مدى الليالى هجوع (منها) يطالع العلوم الكريمة بما قاساه طرف المملوك من الرمد وما حصل عليه من الكمد

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى

بدموع كانهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

فلو رآه وقد أخذت عيناه من العناصر الثلاثة بنصيب وعوضها الهواء عن التراب بمضاعفة الماء واللهيب لرأى من نارها ما يفحم القلوب ومن دمعها ما هو البلاء المصبوب واستمر انسانها حتى أنشدها المتوجع فانها الدمع فبئس القرين وطالت مدة رمده حتى اقسد أتى على الانسان حين وتزايد خوف المملوك على مقلتيه وشحه بكريمتيه فقصد فى الذراعين وكاد أن يصير لولا أن من الله تعالى عليه أثرا بعد عين * وكتب الى المقر المخدومى المشار اليه سيدنا الامام العلامة الذى صلت جماعة أهل العصر خلف امامته وملك قياد البلاغة ببراعته وعبارته بدر الدين رحلة الطالبين أبو عبد الله محمد بن الدماميني المخزومى المالكى جوابا عن حل لغز فى ورد أرسله اليه فاستهله بقوله يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى الصدور وروده وقال بعد الاستهلال واللغز الذى نسى بوروده منه بان الحى وزروده (منه) فاستحلى المملوك منه بالتعريف ورده وودلو اقتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذل التقصير عاريا عن ملابس عزه وأنشد قول ابن قلاقس وهو يقلى بنار عجزه

اذا امتنعت أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فظهر من طريق سعته نصره وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الحضره وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا اغصان اقلام لها بيدى الراحة المخدومية بهجة ونضره (ومنه)

من خطب وجرى من حرب وكان من يابس ورطب وينطق بالوحى عما سيكون بعد وصدق عن الله بالوعد ولم ينطق التاريخ بما كان ولا الوحى بما يكون بأن الله تعالى خص أحدا من عباده ليس النبيين بما خص به الامير السيد عين الدولة وأمين الملة ودون المجاحد ان يجد أخبار الدولة العباسية والمدة المروانيه والسنين الحربيه والبيعة الهاشميه والايام الامويه والامارة العدويه والخلافة التيميه وعهد الرسالة وزمان الفترة ولولا الاطالة لعددنا الى عاد وثمود بطنا بطنا والى نوح وآدم قرنا قرنا ثم لم يجد قائل مقالا أن ملكا وان علا أمره وعظم قدره وكبر سلطانه وهبت ريحه طرق الهند فأسر طاغيتها بسطة ملك ثم خلاه وعرض الارض قوة

وغشى

وتمشى نظر المملوك من هذا الغزل فى بساتين الوزير على الحديقة فرأى كل وردة واخت الوجنات الحمر فتحير اوردة هى أم شقيقة وعلمت ان الفكر القاصر لا يجارى من بديهته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو على ضعف من رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا الغزلان شوكته قويه (منه) وتمتعت من ورده الوارد بالمشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر الدين ماء الورد من حدقى * وكتبت اليه من القاهرة المحروسة فى منتصف ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانمائة عند دخولى اليها فى البحر هاربا من طرابلس الشام وقد عضت على أنياب الحرب بثغرها رسالة مشتملة على حكاية الحال وريت فى براعتها بمصنفين له * أحدهما الفواكه البدرية الذى جمعه من ثمار أدبه * والثانى نزول الغيث الذى ذكرت فيه على الغيث الذى انسجم فى شرح لامية العجم للشيخ صلاح الدين الصفدى واستهليتها بقولى يقبل الارض التى سقى دوحها بنزول الغيث واغرى بالفواكه البدرية وقلت بعد الاستهلال وطلع بدر كمالها من الغرب فسلمنا المعجزاته المحمدية وجرى لسان البلاغة فى ثغرها فسما على العقد بنظمه المستجاد وانشد لا فض الله فاه وقد ابتسم عن محاسنه التى لم يخلق مثلها فى البلاد

لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدنيا ابتسام

فاكرم به من مورد فضل ما برح منهله العذب كثير الزحام ومدينة علم تشرفت بالجناب الحمدى فعلى ساكنها السلام ومجلس حكم ما ثبت لمدعى الباطل به حجة وعرفات أدب ان وقفت بها وقفة صرت على الحقيقة ابن حجة وافق معان بالغ فى سمو بدره فلم يقنع ما دون النجوم وميدان عربية يجول فيه فرسان العربية من بنى مخزوم (منها) أورى بدخوله الى دمشق ومطارحته للجماعة وتالله ما لفرسان الشقر أو البلق فى هذا الميدان مجال واذا عرفوا ما حصل للفارس المخزومى عندهم من الفتح كفى الله المؤمنين القتال وينهى بعد أدعية ما برح المملوك منتصبا لرفعها وتغريد أثنية ما السجع المطوق فى الاوراق النباتية مثل سجعها واشواق برحت بالمملوك ولكن تمسك فى مصر بالآثار

وابرح ما يكون الشوق يوما * اذا دنت الديار من الديار

وهذه الرسالة لكونها انتظمت فى طويل البحر ومديده يفتقر الى سرد غالبها لتعلقها بحكاية الحال وينهى وصول المملوك الى مصر مخيما بكائنها وهو بسهم البين مصاب مذعور لما عاينه من المصارع عند مقاتل الفرسان فى منازل الاحباب مكلما من ثغر طرابلس الشام بأسنة الرماح محمولا على جناح غراب وقد حكم عليه البين ان لا يبرح سفره على جناح

وكان فى البين ما كفانى * فكيف بالبين والغراب

(منها) يا مولانا وابثك ما لاقيت من أهوال البحر واحدث عنه ولا حرج فكم وقع المملوك من أعاريضه فى زحاف تقطع منه القلب لما دخل الى دوائر تلك اللجج وشاهدت منه سلطانا جائرا يأخذ كل سفينة غصبا ونظرت الى الجوارى الحسان وقد رمت ازر قلوعها وهى بين يديه لقلة رجالها تسبى فحققت ان رأى من جاء يسعى فى الفلك غير صائب واستصوبت هنا رأى من جاء يمشى وهو راكب وزاد الظمأ بالمملوك وقد اتخذ فى البحر سبيله

قلب وصبح بحستان وهى المدينة العذراء والنطفة العوراء والطبقة الغراء فاخذ ملكها أخذة عز وعنف ثم خلا مخلية فضل ولطف ثم لم يلبث ان خاض البحر اليها ضبة والسهل والليل جنودها والشوك والشجر سلاحها والضح والريح طريقها والبر والبحر حصارها والجن والانس أنصارها فقتل رجالها وغنم أموالها وساق اقيالها وكسر أصنامها وهدم اعلامها كل ذلك فى فسحة شتوة قبل أن يتطرقها الصيف توسطها السيف وهو الله مالك الملك يؤتى الملك من يشاء وينزعه ممن يشاء ثم حكمت علماء الامة واتفق قول الأئمة ان سيوف الحق أربعة وسائرها النار سيف رسول الله فى المشركين وسيف أبى بكر فى المرتدين

وكم قلت من شدة الظمأ يا ترى قبل الحفرة أطوى من البحر هذه الشقة الطويلة

وهل أبا كر بحر النيل منشرحا * واشرب الحلو من أكواب ملاح

بحر تلاطمت علينا أمواجه حتى متنا من الخوف وحملنا على نعش الغراب وقامت واوات دوائره مقام مع فنصبنا للغرق لما استوت المياه والاخشاب وقارن العبد فيه سوداء استرقت مواليها وهي جارية وغشيهم منها في اليم ما غشيهم فهل أتاك حديث الغاشية واقعها الريح فحملت بنا ودخلها الماء فجاءها المخاض وانشق قلبها لفقد رجالها وجرى ما جرى على ذلك القلب ففاض وتوشحت بالسواد في هذا المأتم وسارت على البحر وهي مثل وكم سمع فيها للمغاربة على ذلك التوشيح زجل برج مائي ولكن تعرب في رفعها وخفضها عن النسر والحوت وتتشامخ كالجبال وهي خشب مسندة من تبطنها عدة من المصبرين في التابوت تأتي بالطباق ولكن بالمقلوب لان بياضها سواد وتمشي مع الماء وتطير مع الهواء وصلاحها عين الفساد ان نقر الموج على دفوفها العبث أنامل قلوعها بالعود وترقصنا على آلتها الحدباء فتقوم قيامتنا من هذا الرقص الخارج ونحن قعود وتتشامم وهي كما قيل أنف في السماء واست في الماء وكم تطيل الشكوى الى قامة صاربها عند الميل وهي الصعدة الصماء فيها الهدى وليس لها عقل ولا دين وتتصابى اذا هبت الصبا وهي ابنة مائة وثمانين وتوقف أحوال القوم وهي تجري بهم في موج كالجبال وتدعي براءة الذمة وكم أغرقت لهم من أموال هذا وكم ضعف نحيل خصرها عن تثاقل أرداف الامواج وكم وجلت القلوب لما صار لاهداب مجاذيفها على مقلة البحر اختلاج وكم أسبلت على وجنة البحر طرة قلعها فبالغ الريح في تشويشها وكم مرت على قريتها العامرة فتركها وهي خاوية على عروشها تتعاظم فتهزل الى ان ترى ضلوعها من السقم تعد ولقد رأيتها بعد ذلك التعاظم وقد تبت وهي حمالة الحطب في جيدها حبل من مسد * وأما البراعة التي لخطبة كتابي المسمى بمجرى السوابق في وصف الخيول المسومة فانها أحرزت قصبات السبق وهي الحمد لله الذي يقف عند سابق فضله كل جواد ويتصرف في حلبة هذا الكرم الذي ليس له غاية في بديع الاستطراد نحمده ألهمنا الحزم وارشده الى حد المعرفة حاز قصبات السبق ولا نقول كاد نحمده على ان جعل لنا الخير معقودا بنواصي الخيل ونشكره شكرا نعلو به على أشهب الصبح ونمتطي أدهم الليل ونشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نرجو ان نكون منها في ميادين الرحمة من السابقين ونشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله قائد الغر المحجلين وقد آن ان نقطع طول هذا البحث برسالة السكين فان استهلالها يسن ما كل من الذوق ويبرزه من قراب الشك الى القطع باليقين وماذاك الا أنه لما انفرد كمال الدين عبد الرزاق الاصفهاني برسالة القوس واستوفى جميع المحاسن وجاء الشيخ جمال الدين بن نباتة برسالة السيف والقلم واظهر فيها معجزات الادب اردت ان اعززهما من اختراع رسالة السكين بثالث واستهليتها بقولي يقبل الارض التي قامت حدود مكارمها وقطعت عنا مكروه الفاقة بسنون عزائمها (منها) وينهي وصول السكين التي قطع المملوك بها اوصال الجفا واضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفا وتالله ما غابت الا وبلغ الاقلام من تقشيرها

وسيف علي في الباغين وسيف القصاص بين المسلمين وسيوف الامير وفقه الله في مواقفه لا تخرج عن هذه الاقسام فسيفه بظاهر هراة فيمن عطل الحد واتهم بأنه ارتد وسيفه بظاهر غزنة سد في وجه العقوق نوعا من الكفر والفسوق وسيفه بظاهر مرو فيمن نقض العهد بعد تغلظه ونبذ اليمين بعد تأكيده وسيفه بظاهر سجستان فيمن نبه الحرب بعد رقودها وخلع الطاعة بعد قبولها وسيفه الآن في ديار الهند سيف قرنت به الفتوح وامنت عليه الملائكة والروح وذلت به الاصنام وعز به الاسلام والنبي عليه السلام واختص بفضله الامام واشترك في خيره الانام

الى الحق (منها) ماشاهدها موسى الاسجد فى محراب النصاب وذل بعدما خضعت له الرؤس والرقاب كم ايقظت طرف القلم بعدما خط وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط وكم وجد الصاحب بها فى المضايق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا من أجل انها تدخل فى مضايق ليس للسيف قط فيها مدخل وكلما تفعله توجزه والرمح فى تعقيده مطول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب تركت السيف فى بحر غمده كالغريق ولو سمع بها من قبل ضربه ما حل الطريق انتهى ما أوردته من براعة الاستهلال نثرا ونظما ومن لم يربهجة ما أبرزته للمتأخرين فهو فى هذه اعمى

(ذكر الجناس المركب والمطلق)

*(بالله سر بى فسربى طلقوا وطنى * وركبوا فى ضلوعى مطلق السقم)*

اما الجناس فانه غير مذهبى ومذهب من نسجت على منواله من أهل الادب وكذلك كثرة اشتقاق الالفاظ فان كلا منهما يؤدى الى العقادة والتقييد عن اطلاق عنان البلاغة فى مضمار المعانى المبتكرة كقول القائل واستحى ان أقول انه أبو الطيب

فقلقلت بالهم الذى قلقل الحشا * قلاقل عيش كلهن قلاقل

ولقد تصفحت ديوانه فلم أجد لو اذ هذا النوع نزولا الاما قل فى أبياته وهو نادر جدا ولا العرب من قبله خيمت بابياتها عليه غير ان هذا البيت حكمت على أبى الطيب بها المقادير ومثله قول القائل

وقبر حرب بمكان قفر * وليس قرب قبر حرب قبر

فقرب وقبر لاجل الجناس المقلوب هو الذى قلب عليه القلوب اللهم الا ان يقع الجناس فى حشو بيت من البحور التى تحمل ثقله من غير اعتناء بامره كقول القائل

لله لبنى كلما لبنا على * تعنيقها ونهودها تتقاعد

وبنا راسما وهى اسمى رتبة * لقد احترقت وريقها يتبارد

فنى طلعة شمس التورية هنا ما يغنى عن النظر الى زحل الجناس ولقد احسن من قال

انظر الى صور الالفاظ واحدة * وانما بالمعانى تعشق الصور

والجناس من صور الالفاظ وممن وافق على ذلك علامة عصره الشهاب محمود وقال انما يحسن الجناس اذا قل وأتى فى الكلام عفوا من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل الى جانب الركة ولا يكون كقول الاعشى

وقد غدوت الى الحانوت يتبعنى * شاو مشل شلول شلشل شول

ولا كقول مسلم بن الوليد

سلت وسلت ثم سل سليلها * فاتى سليل سليلها مسلولا

ولا بأس به فى مطالع القصائد ان تعذر على الناظم ان يركبه تورية فانه نوع متوسط بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع كما قرره مشايخه كالتورية والاستخدام والاستعارة والتشبيه وما قارب ذلك من أنواع البديع وحكى عن ابن جنى ان الاصمعى كان يدفع قول العامة اذا قالوا هذا يجانس هذا اذا كان من شكله ويقول ليس بعربى خالص

الجناس المركب والمطلق

وارخت بذكره الايام واحفت لشرحه الاقلام وسنذكر من حديث الهند وبلادها وغلظ اكبادها وشدة احقادها وقوة اعتقادها وصدق جلادها وكثرة اجنادها نبذا يعلم السامع أى غزوة غزاها الامير السيد انها بلاد لو لم تحيها السحاب بدرّها لاهلكتها الشمس بحرّها فهى دولة بين الماء والنار ونوبة بين الشمس والامطار تقدمها صعاب الجبال وتحجبها رحاب القفار ويعصمها ملتف الغياض وتحفها طواغى الانهار حتى اذا خرقت هذه الحجب خاض الى عدد الرمل والحصا رجالا وشبه الجبال افيالا وانزاع المخاض

وقال ابن رشيق صاحب العمدة هو من أنواع الفراغ وقلة الفائدة ومما لا يشك في تكلفه وقد كثر منه هؤلاء الساقة المتعقبون في نظمهم ونثرهم حتى برد ورك انتهى كلامه ولم يحتج اليه بكثرة استعماله الا من قصرت همته عن اختراع المعاني التي هي كالنجوم الزاهرة في افق الالفاظ واذا خلت بيوت الالفاظ من سكان المعاني تنزلت منزلة الاطلال البالية وما احلى قول الفاضل هنا

انما الدار قبل بالسكان * ثم بعد السكان بالجيران
فاذا ما الارواح شرّدها الحتف * فماذا يراد بالابدان

وكان الشيخ صلاح الدين الصفدي يستسمن ورمه ويظنه شحما فيشبع افكاره منه ويملأ بطون دفاتره ويأتي فيه بتراكيب تحقق عندها جلاميد الصخور كقوله غفر الله له

ونم في امان بالحبيب ولا تخف * لقاتنا واش في لقاء طواشي

وقوله

وكم ساق في الظلماء والليل شاهد * رواحل واط في رواح لواط

وقوله

واين اذا كان الفراق معاندي * مطالع ناء في مطال عناء

وقوله في الراح

وكم البست نفس الفتى بعد نورها * مدارع قار في مدار عقار

وقوله

اذا جرح العشاق قالوا اقتفى * مدار جراح في مدارج راح

وقوله

وكم شمت لما قست مقدار ودكم * بوارق ياس في بوارق باس

وقوله

ولا تفتحن باب الهدايا وعدّها * مطار فراش لا مطارف راش

وقوله

ثنت نحوه الاغصان قامة لينها * طواعن شاط في طواع نشاط

وقوله

ومر على غيري سقام وصحة * ولم يرقان مثل ذي يرقان

ورأيت بخط الشيخ بدر الدين البشتكي تحت هذا البيت والذي قبله وهو الضعيف بالبرقان وان من ذلك مبالغه من النظم بجدير ان يقعد مع صغار المتأدبين انتهى ومنه قوله

لجار وابجرى حين جاورت واجترى * فما فاته مما يروم جناس

وقوله

زاروا وزانوا وزادوا * هذا الجناس المليح

وفي ذلك من الركة ما لا يخفى على أهل الذوق السليم ولولا الخشية من سام الاسماع لاوردت له كثيرا من هذا النمط وما اطرف ما وقع له مع الشيخ جمال الدين بن نباتة وذلك

بلادا وصنناف الجمال
طعانا وأركان الجبال ثباتا
ثم لا يعرفون غدرا ولا بياتا
ولا يخافون موتا ولا حياتا
ولا يبالون على أي جنبيه
وقع الامر وينامون ويحتهم
الجهر وربما عمد أحدهم
لغير ضرورة داعية
ولا حجة باعثة فاتخذ رأسه
من القاين اكليلا ثم قوّر
قحفه فشاه فتيلا ثم
اضرم في الفتيل نارا ولم
يتأوه والنار تحطمه عضوا
فعضوا وتأكله جزا فجزا
فاما محرق نفسه ومغرقها
وآكل لحمه ومفصل عظمه
والرامي بها من شاهق فاكثر
من ان يعد واقلهم من يموت
حتف أنفه فاذا مات هذه
الميتة أحدهم سب بها اعقابه
وعظم عندهم عقابه بلاد
هذه حالها وقبلة تلك
أهوالها وجبال في السماء
قلالها وفلاة يلمع آلها
وغياض ضيق مجالها
وانهار كثيرة أوحالها

انه لما وقف على كتابه المسمى بجنان الجناس وقد اشتمل على كثير من هذا النوع قرأه بجنان الخناس وجرى بينهما بسبب ذلك مايطول شرحه وهذا مما يؤيد قولي انه غير مذهبي ومذهب من نسجت على منواله ويعجبني هنا قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردي رحمه الله تعالى

اذا أحببت نظام الشعر فاختر * لنظمك كل سهل ذي امتناع
ولا تقصد مجانسة ولكن * قوافيه وكله الى الطباع

وكان الاسعد بن مماتي أيضا ممن لم يجعل الجناس له مذهبا في نظمه وما احلى ما قال

طبع الجنس فيه نوع قيادة * اوماترى تأليفه للاحرف

ومن غريب مايحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدي مع تهافته على الجناس والتزامه بما صنفه في جنسه وأنواعه زاحم ابن مماتي في لفظ بيته ومعناه فقال

الا ان من عاني القريض بطبعه * يقود فارسه لمن صد واحتشم
الم تره ان قال شعرا مجانسا * يؤلف مابين الحروف اذا انتظم

فانظر كيف أخذ المعنى وغالب الالفاظ ولم يتمكن من نظم ذلك الا في بيتين أتى فيهما بكثرة الحشو مع قلة الادب على أهله فان الاسعد اثبت القيادة لطبع الجنس والشيخ صلاح الدين اثبت الحكم المذكور لمن يعاني نظم الشعر وقد طال الشرح وتعين الكلام على الجناس لان الشروع فيه يلزم لاجل المعارضة لمن تقدمني من ناظمي البديعيات اما هذا النوع فانه ما سمي جناسا الا لمجيء حروف الفاظه من جنس واحد ومادة واحدة ولا يشترط فيه تماثل جميع الحروف بل يكفي في التماثل ماتعرف به المجانسة واما اشتقاق الجناس فمنهم من يقول التجنيس هو تفعيل من الجنس ومنهم من يقول المجانسة المفاعلة من الجنس أيضا الا ان احدى الكلمتين اذا تشابهت بالاخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية والجناس مصدر جانس ومنهم من يقول التجانس التفاعل من الجنس أيضا لانه مصدر تجانس الشيئان اذا دخلا في جنس واحد ولما انقسم أقساما كثيرة وتنوع أنواعا عديدة تنزل منزلة الجنس الذي يصدق على كل واحد من أنواعه فهو حينئذ جنس وأنواعه التام والمحرف والمصحف والملفق وهلم جرا كما أن البديع جنس وانواعه الجناس واللف والنشر والاستعارة والتورية والاستخدام وغير ذلك من أنواع البديع واما حدود أنواع الجناس فقد اختلفت فيها عبارات البديعيين ولكن نأتي بحد كل واحد من الانواع في موضعه ونذكر ما وقع الاتفاق عليه وقد صدرت بديعيتي هذه بالجناس المركب والمطلق حسبما رتبه الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته ولكن فاته شنب التسمية وابرازها في شعار التورية من جنس التغزل فحد المركب أن يكون احد الركنين كلمة مفردة والاخرى مركبة من كلمتين وهو على ضربين فالاول ماتشابه لفظا وخطا كقول الشاعر

عضنا الدهر بنابه * ليت ماحل بنابه

ومثله قول القائل

ناظراه فيما جنى ناظراه * أودعاني امت بما أودعاني

وطريق طويل مطالها شم الهند ورجالها والهندوانية واستعمالها زحم الامير السيد أدام الله ظله هذه الاهوال بمنكبه محتسبا نفسه معتمدا نصر الله وعونه فركض اليم بعون من الله لايخذل ومدد من التوفيق لايفتر وقلب من الاهوال لايجبن وحث على المطلوب لايقصر وسيف على الضريبة لايشكل فسهل الله له الصعب وكشف به الخطب ورجع ثانيا من عنانه بالاسارى تنظمهم الاغلال والسبايا تنقلهم الجمال والفيلة كانها الجبال والاموال ولا الرمال فتح ذخره الله عن الملوك السالفة الخالية الكفرة الطاغية الجبابرة العاتية حتى وسمه بناره وجعله بعض آثاره والحمد لله معز الدين وأهله ومذل الشرك وحزبه وصلى الله على محمد وآله

(وله أيضا)

دواء الشوق أطال الله بقاء

وحفظت من شيخي العلامة الشيخ شمس الدين الهيتي الحسني النحوي وانا في مبادى العمر والاشتغال من الجناس المركب المتشابه قول القائل من دو بيت

في مصر من القضاة قاض وله * في اكل مواريث اليتامى وله
ان رمت عدالة فقل مجتهدا * من عدّله دراهما عدّله

وكان يقول لا أعرف لهما ناظما وما الطف قول القائل

ياسيدا حاز رقى * بما حباني واولى
أحسنت برا فقل لى * أحسنت في الشكر اولا

وقال العلامة شهاب الدين محمود أنشدني الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الوهاب لنفسه من المتشابه لفظا وخطا

سارفي سقمي من بعدهم * كل من في الحي داوى اورقا
بعدهم لاطل وادي المنحنى * وكذا بان الحمى لا أورقا

واورد الشيخ صلاح الدين الصفدي لنفسه في كتابه المسمى بجنان الجناس من هذا النوع قوله

يامن اذا ما أتاه * أهل المودة اولم
انا محبك حقا * ان كنت في القوم اولم

وهذا النوع لم يذكره الشيخ صفي الدين في بديعيته انتهى الكلام على المتشابه من المركب لفظا وخطا والثاني ما هو متشابه لفظا لا خطا ويسمى المفروق وهو الذي نظمه صفي الدين في بديعيته كقول الشاعر

لا تعرضن على الرواة قصيدة * مالم تكن بالغت في تهذيبها
واذا عرضت الشعر غير مهذب * عدوه منك وساوسا تهذى بها

ومثله قول القائل

يامن تدل بعقلة * وانا مل من عندم
كن جعلت لك الفدا * أسيافٌ لحظك عن دمي

ومثله قول ابن أسد الفارقي

عدونا بآمال ورحنا بخيبة * أماتت لنا افهامنا والقرائحا
فلا تلق منا غاديا نحو حاجة * لتسأله عن حاجة والق رائحا

ويحسن هنا قول أبي الفتح البستي فيه

وان أقر على رق أنامله * اقر بالرق كتاب الانام له

وما ألطف قول العلامة شهاب الدين محمود من هذا النوع

ولم أرمثل نشر الروض لما * تلاقينا بنت العامرية
بجرى دمعي وأومض برق فيها * فقال الروض في ذا العام ريّه

ومن لطائف الشيخ جمال الدين بن نباتة

لم ار اراه أم مليحا أمردا * ولحاظه بين الجوانح أم ردا

القاضي الامام ان يخلص فلم لا يطلب منه الخلاص وان انتظر حتى تمكنه قضبة همته طال عليه وعلى منتجعي مالديه وود الشيطان لو ظفر بهذا منه فحاضر الوقت وموجود اليوم ان هذا العالم الاصيل متبرم بالمقام منتقض للمطار صوفي الطبع في الانتظار ناري المزاج حار الامشاج ولا علقة له بهراة الا القاضي الامام والسلام

(وله اليه أيضا)

رقعتي هذه أطال الله بقاء الشيخ الجليل من بعض الفلوات ولو جهلت ان الحذق لا يزيد في الرزق وان الدعة لا تحجب السعة لعذرت نفسي في الرحل أشده والحبل أمده ولكني أعلم هذا وأعمل ضده وأصل سراي بسيري ليعلم أن الامر لغيري والافن أخذني بالمطار في هذه الاقطار والمصار في هذه

ومثله قول شمس الدين محمد بن العفيف

اسرع وسر طالب المعالى * بكل واد وكل مهمه
وان لحا عاذل جهول * فقل له يا عذول مه مه

ومثله قوله

ان الذى منزله * من مخصب دمعى امرعا
لم أدر من بعدى هل * ضيع عهدى ام رعى

ومثله قول القاضى بهاء الدين السبكى رحمه الله تعالى

كن كيف شئت عن الهوى لا انتهى * حتى تعود لى الحياة وانت هى

وأنشدنى قاضى القضاة تقى الدين بن الحسنى الحنفى بحماة فى مبادى العمر وقد ذكرت بين يديه الجناس المركب

قلت للعاذل الملح على الدمع واجرائه على الخد نيلا
سل سبيلا الى النجاة ودع دمع عيونى تجرى لهم سلسبيلا

ومن أنواع الجناس المركب نوع يسمى المرفو وهو أن يكون أحد الركنين جزأ مستقلا والآخر مجزأ من كلمة أخرى كقول الحريرى

والمكر مهما اسطعت لا تأته * لتقتنى السودد والمكرمه

وقوله

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه * بدمع يحاكى المزن حال مصابه
ومثل لعينيك الحمام ووقعه * وروعة ملقاه ومطعم صابه

وهذا النوع لا يخلو من تعسف وعقادة فى التركيب انتهى الكلام على الجناس المركب واقسامه غير ان هنا بحثا لطيفا وهو أنه قد تقرر ان ركنى الجناس يتفقان فى اللفظ ويختلفان فى المعنى لانه نوع لفظى لا معنوى وهو نوع متوسط بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع والتورية من اعز أنواعه وأعلاها رتبة فاذا جعلت الجناس تورية انحصر المعنيان فى ركن واحد وخلصت من عقادة الجناس وحركت الاذواق وابهجت خاطر السامع بما تحققه من بديع تركيبها وتأهيله بغريبها وانا اذكر المثالين هنا ليتضح فى الاذهان الصحيحة ان النهار لم يحتج الى اقامة دليل قال صاحب الجناس المركب

أعن العقيق سألت برقا أومضا * أأقام حادى الركائب أو مضى

قال صاحب التورية

واذا تبسم ضاحكا لم التفت * ان عاد برقا فى الدياجى أومضا

وهنا يحسن ان يتمثل بقول القائل

ومن يقل للمسك أين الشذا * كذبه فى الحال من شما

ومثله قول الشاعر

نديمى لا تسقنى * سوى الصرف فهو الهنى
ودع كاسها الطلسا * ولا تسقنى مع دنى

الامصار لولا الشقاء لم يأتنى العمر مهيجا والرزق نهجا نضيجا حتى آتيه قصدا واتكلف له زرعا وحصدا واعارضه شيا وطيا واعرض له الشعاب والجبال الصعاب وانزل بمناخ سوء لكن المرء يساق الى ما يراد به لا الى ما يريد اما هذه الاشقاص ان تيسر منها الخلاص بعد ما سافرت وسفرت وناظرت ونظرت وحضرت وحرثت وبدرت وبذرت وزرعت وعمرت حمدت الله كثيرا ورأيته مغنما كبيرا وان لم يكن من اتمام القصة بد فلا غنى عن نظر كريم ومهلة فيها مجال وتسويغ يصلح به فاسد وقرض يتألف به شارد

وما كل يوم لى بارضك حاجة
وما كل يوم لى اليك رسول

والسلام

نسخة ما جرى بينه وبين الاستاذ أبى بكر الخوارزمى

ومن التورية المركبة ما أنشدنى من لفظه علامة عصرنا القاضى بدر الدين بن الدماميني بما كتب به الى مولانا الحافظ الشيخ شهاب الدين ملك المتأدبين وعمدة المحققين أبى العباس أحمد بن حجر الشافعى

حى ابن على حوزة المجد والعلا * ومن رام اشتات المعالى وحازها
وكم مشكلات فى البيان بفهمه * تبينها من غير عجب ومازها (ومازها)

فاجابه شيخنا المشار اليه

بروحى بدرا فى الندا ما أطاع من * نهاه وقد حاز المعالى فزانها
يسائل ان ينهى عن الجود نفسه * وها هو قد بر العفاة ومانها (ومانهى)

وما أحلى ما قال متغزلا

سالت من لحظه وحاجبه * كالسهم والقوس موعدا حسنا
ففوق السهم من لواحظه * والقوس الحاجبان وقد رنا (واقترنا)

ومن نثر الشيخ بدر الدين المشار اليه فى التورية المركبة يشير الى تقريظ كتبه لبعض أهل الادب على مصنف سافل لم يمكن تسميته والتزم فى التقريظ نوع الايهام من الاول الى الآخر (٢) وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف قوله ولقد كنت أرتجى بابا أدخل منه الى التقريظ ففتح لى المقر التقوى بابا مرتجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حين رأيت منهجا ومثله قوله فى التقريظ الذى كتبه على بديعتى هذه كتبت واسياف الخطوب ليس لها الا الجوانح اغماد والزمن قد كادنى بسهام أوتاره المصيبة ورمانى بعد ان كاد ومثله ما أنشدنى من لفظه لنفسه الكريمة احد اعيان العصر القاضى مجد الدين ابن مكانس حيث قال

اقول لحبى قم ومس يا معذبى * كميسة خود حولك السكر راسها
ولا تسه عن شئ اذا ما حكيتها * فقام كغصن البان لينا وماسها

واحجية الشيخ شهاب الدين ابن حجر فى هذا الباب من طرف الادب فانها تورية خفية مركبة فى الاصل

يا فاضلا هو فى الاحا * جى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى * يشكو الحبيب اسكت رجع

فصه مرادف اسكت وبا مرادف رجع فحصلت التورية فى صهبا وصهبا ومن النظم فى هذا النوع الغريب قول المعمار

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع فى الهوى اسالها (اساءلها)

ومثله قول الشيخ شمس الدين المزين فى غلام مليح وله الالا مليح

ومليح لالاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجا يتلالا
قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

ومن نظمى الغريب فى هذا النوع

٢ قوله وكتب الشيخ بدر الدين على ذلك المصنف هكذا فى النسخ والصواب اسقاطه

من المناظرة يوم اجتماعهما فى دار الشيخ السيد أبى القاسم المستوفى بمشهد من القضاة والفقهاء والاشراف وغيرهم من سائر الناس وهى باملاء الاستاذ ابى الفضل بديع الزمان رحمه الله (من هجا)

(أنكاد)

قال الاستاذ أبو الفضل احمد بن الحسين الهمذانى بديع الزمان سأل السيد امتع الله ببقائه اخوانه ان أملى جوامع ما جرى بيننا وبين أبى بكر الخوارزمى أعزه الله من مناظرة مرة ومنافرة أخرى وموادعة اولا ومنازعة ثانيا املاء يجعل السماع له عيانا فما

تصديتم لقتل ضعيف جسم * لغير الوجد فيكم ما تصدى
وعدّ ضلوعه بالسقم لما * تعديتم عليه وما تعدّى (وما تعدا)

وقلت فيه

بعد هند وبعد سلمى تعطشت الى رشف كل العس الى
وفؤادى يقول لا تطلب الرى من الريق بعد هند وسلمى (وسلما)

وقلت من قصيدة مطولة

حين قابلت خده بدموعى * أثرت خلت ثوب خز منمنم
وانظر اليوم خده مع دموعى * واحل ما نشئت عن عقيق وعن دم (وعندم)

والبيت الاول من المعانى المخترعة التى لم يسبق اليها انتهى ما أوردته من الكلام على الجناس المركب واستجلاء عرائس التوريه وأما الجناس المطلق فان للناس فى الفرق بينه وبين المشتق معارك وسماه السكاكى وغيره المتشابه والمتقارب لشدة مشابهته وقربه من المشتق وكل منهما يختلف فى الحروف والحركات ولكن الفرق بينهما دقيق قل من أتى بصحته ظاهرا فان المشتق غلط فيه جماعة من المؤلفين وعدّوه تجنيسا وليس الامر كذلك فان معنى المشتق يرجع الى أصل واحد والمراد من الجناس اختلاف المعنى فى ركنيه والمطلق كل ركن منه يباين الآخر فى المعنى وانا اذكر لكل واحد منهما شاهدا يزول به الالتباس فالمشتق كقوله تعالى قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ولا أنا عابد ما عبدتم وقيل ان ما مصدرية أى لا أعبد عبادتكم ولا تعبدون عبادتى فعلى كل تقدير الجميع راجع الى العبادة والمعنى فى الاشتقاق راجع الى أصل واحد ومنه قوله تعالى ومن شر حاسد اذا حسد وقوله تعالى اذا وقعت الواقعة وقوله تعالى أزفت الآزفة ومن النظم قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

وما ألطف قول كشاجم فى خادم اسود مشهور بالظلم

يا مشبها فى فعله لونه * لم تخط ما أوجبت القسمه
فعلك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

فان النبى صلى الله عليه وسلم قال الظلم ظلمات يوم القيامة ومن السحر الحلال قول بعض المتأخرين فى هذا الباب

عاتبت طيف الذى أهوى وقلت له * كيف اهتديت وجنح الليل مسدول
فقال آنست نارا من جوانحكم * يضئ منها الذى السارين قنديل
فقلت نار الجوى معنى وليس لها * نور يضئ وهذا القول مقبول
فقال نسبتنا فى الحال واحدة * انا الخيال ونار الشوق تخييل

وقد نبه على الاشتقاق فى قوله نسبتنا فى الحال واحدة ورأيت الشيخ شمس الدين بن الصائغ فى شرحه على البردة لما انتهى الى قول المصنف

ظلمت سنة من أحيا الظلام الى * ان اشتكت قدماه الضر من ورم

تلقيته الا بالطاعة على حسب الاستطاعة الا ان القصة تشبيبا لا تطيب الا به ومقدمات لا تحسن الا معها وسأسوق بعون الله صدر حديثنا الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز فنبدأ فيها باسم الله عزوجل والصلاة على النبى محمد صلى الله عليه وسلم ذهابا بالقصة ان تكون بتراء وصيانة لها عن ان تدعى جذماء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل خطبة لم يبدأ فيها باسم الله فهى بتراء وقد خطب زياد خطبته البتراء لانه لم يحمد الله عزوجل ولم يصل على رسوله عليه السلام وهذا مقام نعوذ بالله منه ونسأله التوفيق والصواب بورده وصدره نعم أطال الله بقاء السيد وامتع ببقائه أحياءه ان قعدنا تعد آثاركم ونروى

قال ظلت وظلام جناس اشتقاق وهو كقوله تعالى وأسلمت مع سليمان قلت أما ظلمات وظلام فاشتقاق بلا خلاف وأسلمت مع سليمان جناس مطلق لانه لم يرجع فى المعنى الى أصل واحد وهو أعظم شواهد البديعيين على الجناس المطلق انتهى الكلام على المشتق وأما الجناس المطلق فلشدة تشابهه بالمشتق يوهم أحد ركنيه ان أصلهما واحد وليس كذلك كقوله تعالى وان يردك بخير فلا راد لفضله وكقوله تعالى ليريه كيف يوارى سوأة أخيه ومنه ما كتب به الى المأمون فى حق عامل له وهو فلان ماترك فضة الا فضها ولا ذهبا الا اذهبه ولا مالا الا مال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا دارا الا اذارها ملكا ولا غلة الا غلها ولا ضيعة الا اضيعها ولا عقارا الا اعقره ولا حالا الا أحاله ولا جليلا الا اجلاه ولا دقيقا الا ادقه فهذه الاركان هنا شواهد على الجناس المطلق ليس فيها ركنان يرجعان الى أصل واحد كالمشتق بل جميع ماذكرنا اسماء أجناس وهى محمولة على عدم الاشتقاق ومثل ذلك من النظم قول الشاعر

عرب تراهم أعجمين عن القرى * متنزلين على الضيوف النزل
فاقت بين الازد غير مزود * ورحلت عن خولان غير مخول

ومثله قول الآخر

بجانب الكرخ من بغداد عن لنا * ظبى ينفره عن وصلنا نفر
ضفيرتاه على قتلى تظافرتا * يامن رأى شاعرا أودى به الشعر

وما أحلى قول القائل

سلم على الربع من سلمى بذى سلم

فالثلاثة عنان جنسها مطلق فى المطلق وقال الآخر واجاد

اذا اعطشتك اكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا

وما أحلى قول أبى فراس فى هذا النوع

فما السلاف ازدهتنى بل سوالفه * ولا الشمول دهتنى بل شمائله

ومثله قول الصاحب بهاء الدين زهير

يامن لعبت به شمول * ما ألطف هذه الشمائل

وللبحترى

واذا ما رياح جودك هبت * صار قول العذول فيها هباء

ويحسن هنا قول الشاب الظريف محمد بن العفيف

أراك فيحلى لى قلبى سرورا * واخشى أن تشط بك الديار
بجور واهجر وصدولا تصلنى * رضيت بأن تجور وانت جار

وما احسن ما قال الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى بمنه وكرمه

تولى شبابى فولى الغرام * ولازم شيبى لزوم الغريم
ولولم يصدنى بازيه * لما صار مثنى مهاة الصريم

ما ترك نقد العصر قبل نقاد نقودها وفنيت الخواطر قبل أن تفنى المآثر فكيف لا وان ذكر الشرف فأنتم بنو بجدته أو العلم فأنتم عاقدو بردته أو الدين فأنتم ساكنو بلدته أو الجود فأنتم لابسو جلدته أو التواضع صرتم لسدته أو الرأى صلتم بحدته وان بيتا تولى الله عزوجل بناءه ولزم الرسول صلى الله عليه وسلم فناءه وأقام الوصى كرم الله وجهه عماده وخدم جبريل عليه السلام أهله لحقيق ان يصان عن مدح لسان قصير نعود للقصة نسوقها (وأولها) انا وطئنا خراسان فما اخترنا الا نيسابور دارا والاجوار السادة جوارا لاجرم أنا حططنا بها الرحل ومددنا عليها الطنب

انتهى

انتهى الكلام على المطلق وعلى الفرق بينه وبين المشتق منه نظما ونثرا وقد رسم لى ان أثبت فى بديعيتى هنا أبيات من تقدمنى فى النظام كالشيخ صفى الدين الحلى والشيخ عز الدين الموصلى وما ورد فى بديعية العميان من القدر الذى استعملوه ليشاهد المتأمل فى هذا الميدان مجرى السوابق فان الشيخ صفى الدين جمع بين الجناس المركب والمطلق فى بيت واحد وهو المطلع فقال

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم * واقر السلام على عرب بذى سلم

والعميان لم يأتوا فى البيت الا بنوع واحد فقالوا فى المركب

دع عنك سلمى وسل ما بالعقيق جرى * وأم سلعا وسل عن أهله القدم

وقالوا فى الجناس المطلق

جار الزمان فكفوا جوره وكفوا * وهل أضام لدى عرب على اضم

فالمطلق فى أضام واضم واما جار وجور فمشتق ولكن لم يخف ما فى البيتين من التقسل مع خفة الالتزام وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

فى سلى وسل ما ركبت بشذا * قد اطلقته أمام الحى عن امم

فالشيخ أتى بالنوعين فى بيت واحد وورى بالاسمين من جنس الغزل ومع ذلك تلطف وتضاءل عليهم واحتشم وبيتى تقدم ذكره ولكن دعت الضرورة الى ذكره هنا حسب المرسوم وهو

بالله سر بى فسربى طلقوا وطنى * وركبوا فى ضلوعى مطلق السقم

وفى تسمية النوع هنا ما يغنى عن التنبيه عليهما وقد تقدم الشرح على كل واحد منهما والشيخ صفى الدين والعميان لم يثقل التقييد بتسمية النوع لهم كاهلا مع ان يكون مورى به من جنس الغزل وشتان بين عالم الاطلاق والتقييد بضيق هذا الخناق لان الرقيق لم يقم له سوق بل يصدق اذا ما ادعى عتقه والله المسؤل أن يقيم لنا سوق القبول فى متاجر الرقة فان الشيخ صفى الدين قال فى خطبته مع اطلاق قياده فانظر أيها العالم الاديب الى غزارة الجمع وهى ضمن الرياقة فى السمع ثم قال بعد ذلك

ودع كل صوت غير صوتى فاننى * أنا الصائح المحكى والآخر الصدى

(ذكر الملفق)

*(ورمت تلفيق صبرى كى أرى قدمى * يسعى معى فسعى لكن أراق دمى)

حد الملفق ان يكون كل من الركنين مركبا من كلمتين وهذا هو الفرق بينه وبين المركب وقل من أفرده عنه وغالب المؤلفين ما فرقوا بينهما بل عدوا كل واحد منهما مركبا الا الحاتمى وابن رشيق وأمثالهما ولعمرى لو سموا الملفق مركبا والمركب ملصقا لكان أقرب الى المطابقة فى التسمية لان الملفق مركب فى الركنين والمركب ركن واحد كلمة مفردة والثانى مركب من كلمتين وهذا هو التلفيق وما ألم بالملفق احد من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفى الدين الحلى وما ذاك الا أنه قال فى خطبة بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وهذا دليل على انه لما عارضه الشيخ عز الدين والتزم تسمية الانواع التى ذكرها الشيخ صفى الدين لم يجد بدا من نظمه لاجل المعارضة ولكن نحت فيه بيتا من الجبال وسيأتى وأما العميان فانهم عدوه فى بديعيتهم من المركب فاختصرته هنا وكذلك بقية أبياتهم فى انواع

وقديما كنا نسمع بحديث هذا الفاضل فنتشوقه ونخبره على المغيب فنتعشقه ونقدر أنا لو وطئنا ارضه ووردنا بلده يخرج لنا فى العشرة عن القشرة وفى المودة عن الجلدة فقد كانت لحمة الادب جمعتنا وكلمة الغربة نظمتنا وقد قال شاعر العرب غير مدافع

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

فأخلف ذلك الظن كل الاخلاف واختلف ذلك التقدير كل الاختلاف وقد كان اتفق علينا فى الطريق من العرب اتفاق لم يوجبه استحقاق من بزة بزوها وفضة فضوها وذهب ذهبوا به ووردنا نيسابور براحة أنقى من الراحة وكيس أخلى من

الملفق

جوف حمار وزى أوحش من طلعة المعلم بل اطلاعة الرقيب فما حلنا الاخصبة جواره ولا وطئنا الاعتبة

الجناس تعين اختصارها فانهم لم يأتوا في البيت الا بالنوع الواحد ومن الملفق في النظم قول الشاعر

وكم لجباه الراغبين اليه من * مجال سجود في مجالس جود

وما الطف ما قال القاضي أبو علي عبد الباقي بن أبي حصين في هذا النوع وقد ولي القضاء بالمعرة وهو ابن خمس وعشرين سنة وأقام في الحكم خمس سنين وهو

وليت الحكم خمسا وهي خمس * لعمري والصبا في العنفوان

فلم تضع الاعادي قدر شاني * ولا قالوا فلان قدر شاني

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن عنين في هذا الباب

خبروها بانه ما تصدى * لسلو عنها ولو مات صدا

ويعجبني قوله بعد المطلع

وسلوها في زورة من خيال * ان تكن لم تجد من الهجر بدا

انتهى وبيت الحلي في الملفق

فقد ضمنت وجود الدمع من عدم * لهم ولم استطع مع ذاك منع دمي

ولم يمكن الشيخ صفي الدين ان يحصر مع الملفق غيره من انواع الجناس في بيت واحد لما تقدم من صعوبة مسلكه وهو عزيز الوقوع ولكن له رونق وموقع في الذوق لطلاوة تركيبه وغرابة اسلوبه وبيت الشيخ صفي الدين في غاية الرقة والانسجام غير ان التعريف حكم عليه فصار مشوشا والمشوش كل جنس تجاذبه طرفان من الصنعة فلا يمكن اطلاق احدهما على الآخر وبيت صفي الدين تجاذبه المحرف والملفق انتهى وبيت الشيخ عز الدين

ملفق ظاهر سري وشان دمي * لما جرى من عيوني اذ وشى ندمي

هذا البيت فيه الجناس الملفق على الصنعة وتسميته على الشروط المذكورة ولكن عجزت اعقادة تركيبه عن الطيران باجنحة الفهم لا احوم له على معنى وتطرت بعد ذلك في شرحه فوجدته قد قال ان لفظة ملفق صفة الجار والمجرور في قوله خفي سلي وسل ماركبت بشذا يعني ان الشذا الذي أطلقته سلمى امام الحي كان ملفقا وبيتي المسؤل له من الله السلامة

ورمت تلفيق صبري كي أرى قدمي * يسعى معي فسعى لكن أراق دمي

والكلام في رقة قولي ورمت تلفيق صبري الخ البيت انما وقع من أصحاب الغراميات لا من أصحاب البديعيات وقد تقدم قولي ان الفرقة الناجية من التعسف والتكلف في النظم لم ترض بالجناس اذا امكنت التورية وقال المقر المرحوم الفخري في التورية التي سماها جناسا ملفقا

ان الهوى أين يامعشوق قد عبثا * بالروح والجسم في سري وفي علني

فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فيك فني (في كفني)

وانشدني من لفظه لنفسه علامة عصره الشيخ بدر الدين الدماميني

تدرى لماذا أتالك قلبي * في عسكر الوجد وهو ذائب

اذنب ثم اختشى فوافى * من ذلك الذنب فيك تائب (في كتائب)

داره وهذا بعد رقعة كتبناها واحوال انس نظمناها فلما أخذنا الحظ عنه سقانا الدردي من أول دنه وأجنانا سوء العشرة من باكورة فنه من طرف نظره بشطره وقيام دفع في صدره وصديق استهان بقدره وضيف استخف بأمره لكنا أقطعناه جانب أخلاقه ولبناه خطة رأيه وقاربناه اذ جانب وواصلناه اذ جاذب وشربناه على كدورته ولبسناه على خشونته ووردنا الامر في ذلك الى زي استغشه ولباس استوبله وكاتبناه نستمد وداده ونستلين قياده ونستميل فؤاده ونقيم مناده بما هذا نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم) الاستاذ أبو بكر والله يطيل بقاءه ازرى بنفسه أن وجدته يضرب اليه آباط القلة في أطمار الغربة فأعمل في رتبته أنواع المصارفة وفي الاهتزاز اليه أنواع المضايقة من ايماء بنصف الطرف واشارة

وأنشدنى من لفظه لنفسه الكريمة احد أعيان العصر ابن مكانس

كمال أوصافى يامنيتى * فى الحب أن اصبحت مثل الخلال
وملت من سكر الهوى نشوة * فارحم معنى مغرما فيك مال (فى كمال)

ومن نظمى فى هذا النوع الغريب

رأت حياة شبابى قد قضت اجلا * والسقم قد زاد لما قل مصطبرى
قالت سرقت نحول الخصر قلت لها * مايعمل الشيخ هذا وهو فى كبر (فيك برى)

انتهى والله عز وجل أعلم (المذيل واللاحق)

*(وذيل الهم همل الدمع لى يجرى * كلاحق الغيث حث الارض فى ضرم)*

المذيل اختلف جماعة المؤلفين فى اسمه ولم يتقرر له أحسن من هذه التسمية فان فيها مطابقة للمسمى وماذاك الا أن المذيل هو ما زاد احد ركنيه على الآخر حرفا فى آخره فصار له كالذيل وهو الفرق بينه وبين المطرف ويأتى الكلام على المطرف فى موضعه فالمذيل كقول كعب بن زهير

ولقد علمت وأنت خير عليمة * أن لا يقربنى الهوى لهوان

وما الطف من قال

وسألتها باشارة عن حالها * وعلىّ فيها للوشاة عيون
فتنفست صعدا وقالت ما الهوى * الا الهوان فزال عنه النون

ومنه قول أبى تمام

يمدون من أيد عواص عواصم * تصول بأسياف قواض قواضب

وقال آخر

عذيرى من دهر موار موارب * له حسنات كلهن ذنوب

ومن النثر فلان حام حامل لأعباء الامور كاف كافل لمصالح الجمهور ومثله فلان سال عن اخوانه سالم من زمانه * ومن غراميات البهاء زهير فى الجناس المذيل قوله من قصيدة

أشكو وأشكر فعله * فاعجب لشاك منه شاكر
طرفى وطرف النجم فيك كلاهما ساه وساهر

ولم يخرج عما نحن فيه قوله منها

ياليل بدرك حاضر * ياليت بدرى كان حاضر
حتى يبان لناظرى * من منهما زاه وزاهر

وما احلى ماختم القصيدة بقوله

بدرى أرق محاسنا * والفرق مثل الصبح ظاهر

وقد تأتى الزيادة فى آخر المذيل بحرفين كقول حسان بن ثابت

وكنا متى يغزو النبى قبيلة * نصل جانبيه بالقنا والقنابل

ومنه قول النابغة

(المذيل واللاحق)
بشطر الكف ودفع صدر القيام عن التمام ومضغ الكلام وتكلف رد السلام. وقد قلبت تربيته صغرا واحتملته وزرا واحتضنته نكرا وتأبطته شرا ولم آله عذرا فان المرء بالمال وثياب الجمال ولست مع هذه الحال وفى هذه الاسمال أنقز رصف النعال فلو صدقته العتاب وناقشته الحساب لقلت ان بوادينا ثاغية صباح وراغية رواح وناسا يجرون المطارف ولا يمنعون المعارف (شعر)
وفيهم مقامات حسان وجوههم *
واندية ينتابها القول والفعل
ولو طوحت بأبى بكر أيده الله طوائح الغربة لوجد منال البشر قريبا ومحط الرحل رحيبا ووجه المضيف خصيبا ورأى الاستاذ أبى بكر فى الوقوف فى هذا العتاب الذى معناه ود والمنزل الذى يتلوه شهد موفق ان شاء الله تعالى

لها نار جن بعد انس تحولوا * وزال بهم صرف النوى والنوائب

ومنه فى رثاء قوله

فيا لله من حزم وعزم طواهما * جديد الردى تحت الصفا والصفائح

وارق ما سمعته فى هذا الباب قول القائل

ان البكاء هو الشفا * من الجوى بين الجوانح

انتهى الكلام على الجناس المذيل وأما اللاحق فقسل من فرق بينه و بين المضارع والمراد بالمضارع هنا المتشابه والفرق بينهما دقيق فان اللاحق هنا ما ابدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سمى مضارعا وان كان قريبا منه كان مضارعا أيضا وانا اذكر شاهد كل منهما فان الفرق بينهما يدق عن كثير من الافهام ولم يساعده على ظلمة شكه غير ضياء الحسن والمضارع هو المتشابه فى المخرج كقوله تعالى وهو الى الغاية التى لا تدرك وهم ينهون عنه وينأون عنه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ومثله قول بعضهم البرايا أهداف البلايا ومن النظم قول الشريف الرضى رحمه الله

لا يذكر الرمل الا حن مغترب * له الى الرمل أوطار وأوطان

فاللام والراء والنون من مخرج واحد عند قطرب والجرمى وابن دريد والفراء قال بعض أهل الادب فى كتاب راش سهامه بالعقوق ولوى ماله عن الحقوق فالعين والحاء من مخرج واحد ويعجبنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى هذا الباب

رق النسيم كرقتى من بعدكم * فكأننا فى حبكم نتغاير

ووعدت بالسلوان واش عابكم * فكأننا فى كذبنا نتخاير

فالغين والخاء من مخرج واحد انتهى الكلام على المضارع ومقاربه فى مخارج حروفه على الابدال واللاحق قد تقدم انه ما ابدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر وكتب بعضهم فى جواب رسالة وصل كتابك فتناولته باليمين ووضعته مكان العقد الثمين ومن النظم قول البحترى وأجاد الى الغاية

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ * ـراف تلفى منازل الاشراف

وقعودى عن التقلب والار * ض لمثلى رحيبة الاكناف

ليس عن ثروة بلغت مداها * غير أنى امرؤ كفانى كفافى

فكفانى وكفافى هو اللاحق الذى لا يلحق * وهنا نكتة لطيفة تؤيد قول البحترى فى بيته الاول وهو

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـراف تلفى منازل الاشراف

قيل لبعضهم فى أى موضع فى القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال فى قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين فهذا أشرفهم وكان صلى الله عليه وسلم ينزل من أقصى المدينة والاطراف والاشراف مما نحن فيه * وما أحلى قول أبى

(فاجاب بما نصه)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلت رقعة سيدى ومولاى ورئيسى أطال الله بقاءه الى آخر السجاع وعرفت ما تضمنه من خشن خطابه ومؤلم عتبه وعتابه وصرفت ذلك منه الى الضجر الذى لا يخلو منه من مسه عسر ونبا به دهر والحمد لله الذى جعلنى موضع انسه ومظنة مشتكى ما فى نفسه اما ما شكاه سيدى ورئيسى من مضايقتى اياه فى القيام فقد وفيته حقه أيده الله سلاما وقياما على قدر ما قدرت عليه ووصلت اليه ولم أرفع عليه الا السيد أبا البركات العلوى أدام الله عزه وما كنت لارفع أحدا على من جده الرسول وامه البتول وشاهداه التوراة والانجيل وناصراه التأويل والتنزيل والبشير به جبريل وميكائيل فاما القوم الذين صدر سيدى عنهم فكما وصف حسن عشرة وسداد طريقة وكمال

هلال العسكري في اللاحق

اراعى تحت حاشية الدياجى * شقائق وجنة سقيت مداما
وان ذكرت لواحظ مقلتيه * حسبت قلوبنا امطرت سهاما
وان مالت بعطفيه شمول * سقانا من شمائله سقاما

انتهى الكلام على الجناس اللاحق والفرق بينه وبين المضارع ومن الناس من يسمى كل ما اختلف بحرف تجنيس التصريف سواء كان من المخرج أو من غيره ولكن رأيت استجلاء الفرق أنور ولا يشترط ان يكون الابدال فى الاول ولا فى الوسط ولا فى الآخر فان جل القصد الابدال كيفما اتفق وبيت الشيخ صفى الدين يشتمل على المذيل واللاحق وهو

أبيت والدمع هام هامل سرب * والجسم فى اضم لحم على وضم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

يذيل الدمع جار جارح بأذى * كلاحق ماحق الآثار فى الاكم

قال شيخنا الشيخ شمس الدين الهيتى وقد تقدمت ترجمته لما أنشدته هذا البيت والذى قبله بعد حفظى لهما من المصنف بحماة لو عزا أحد هذين البيتين الى الجان ما شككت فى قوله وبيت بديعيتى

وذيل الهم همل الدمع لى بجرى * كلاحق الغيث حيث الارض فى ضرم

فالمذيل فى هم وهمل واللاحق فى غيث وحيث (التام والمطرف)

*(ياسعد ما تم لى سعد يطرفنى * بقربهم وقليل الحظ لم يلم)*

أما الجناس التام فهو ما تماثل ركناه واتفقا لفظا واختلفا معنى من غير تفاوت فى تضعيف تركيبهما واختلاف حركتهما سواء كانا من اسمين أو من فعلين أو من اسم وفعل فانهم قالوا اذا انتظم ركناه من نوع واحد كاسمين أو فعلين سمى مماثلا وان انتظما من نوعين كاسم وفعل سمى مستوفى وجل القصد تماثل الركنين فى اللفظ والخط والحركة واختلافهما فى المعنى سواء كانا من اسمين أو من غير ذلك فان المراد أن يكون الجناس تاما على الصفة المذكورة من حيث هو أكمل الانواع ابداعا وأسماها رتبة وأولها فى الترتيب فمنه قول الامام أمير المؤمنين على بن أبى طالب كرم الله وجهه صولة الباطل ساعة وصولة الحق الى الساعة وقيل ما وقع فى القرآن العظيم غير هذين الركنين وهو قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة ولكن استخرج ابن حجر من القرآن جناسا آخر تاما عظيما وهو قوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار يقلب الله الليل والنهار ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار * ومن الشعر قول بعضهم وأجاد

وسميته يحيى ليحيى فلم يكن * الى رد أمر الله فيه سبيل

ومن ملح هذا النوع قول ابن الرومى

للسود فى السود آثار تركن بها * وقعا من البيض يثنى أعين البيض

ومثله قول أبى الفتح البستى

سما وحمانى سام وحام * فليس كمثله سام وحام

تفصيل وجملة ولقد جاء بتهنيتهم فاحمدت المراد ونلت المراد
فان كنت قد فارقت نجدا وأهله * فما عهد نجد عندنا بذميم
والله يعلم نيتى للاخوان كافة ولسيدى من بينهم خاصة فان أعانى الدهر على ما فى نفسى بلغت اليه ما فى الفكرة

(التام والمطرف)
وجاوزت مسافة القدرة وان قطع على طريق عشرتى بالمعارضة وسوء المؤاخذة صرفت عنانى عن طريق الاختيار بيد الاضطرار فالنفس الالطفة بقرارة فان لم تكدر كان صفوا معينها وبعد فجدد عتاب سيدى اذا استوجبنا عتبا واقترفنا ذنبا فاما أن يسلفنا

٢ قوله سواء كانا الخ المناسب حذف من وكذا فيما بعد

أما ابو الفتح فانه ثابر على استعمال الجناس كثيرا ولكن ما أعلم انه نظم أحسن من هذا البيت وقد تجمل به نوع الجناس وكاد ان يكون تورية * وما أحسن قول المعرى فيه واحشمه

لم نلق غيرك انسانا يلاذ به * فلا برحت لعين الدهر انسانا

ومطلع الشيخ صفى الدين فى قصيدته البائية التى عارض بها المتنبى وامتدح بها السلطان الملك الناصر سقى الله عهده حسن فى هذا الباب وهو

اسبلن من فوق النهود ذوائبا * فتركن حبات القلوب ذوائبا

ومن محاسنها

عاتبته فتضرجت وجناته * وازورّ ألحاظا وقطب حاجبا

فأذابنى الخدّ الكليم وطرفه * ذو النون اذ ذهب الغداة مغاضبا

ومطلع قصيدة ابن نباتة التى امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة غاية فى هذا النوع وقد عارض أبا الطيب المتنبى ولكن أتى فيها بما لو سمعه ابو العلاء لرجع عن ديوان احمد واقر بمعجزات محمد فمطلع المتنبى

ارق على ارق ومثلى يأرق * وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومطلع ابن نباتة

ما بت فيك بدمع عينى اشرق * الا وأنت من الغزالة اشرق

ولاجل اطنابى فى هذه القصيدة تعين ايراد شئ من محاسنها هنا * فمنها

انفقت عينى فى البكاء وحبذا * عين على مرأى جمالك تنفق

وتكاثرت فى الجفن انجم ادمعى * فكأن غرب الجفن منى مشرق

واخافنى فيك العذول وما درى * أنى بجورك فى الهوى اتشوق

قسما بمن جعل الاسى بك لذة * والدمع راحة من يحب ويعشق

ان العذول هو الغبى وان من * يفنى عليك حياته لموفق

لى من نصيب هواك سهم وافر * وسهام سحر من جفونك ترشق

بمثار من دمعى عليك ذو والبكا * فاعجب له من سائل يتصدق

ولقد سقيت بكاس فيك مدامة * فى غيظ عذالى عليك فلا سقوا

وضممت من عطفيك غصن ملاحة * بالحلى يزهر والغلائل يورق

وقرأت من خديك بعد تأمل * خطا به حب القلوب معلق

ورزقت من جفنيك ما حسد الورى * حظى عليه وهو رزق ضيق

ونعمت باللذات وهى جديدة * ولبست ثوب الراح وهو معتق

فى ليل أفراح كأن هلاله * للشرب ما بين الندامى زورق

حتى استطال الفجر يطعن فى الدجى * فهو السنان أو العدوّ الازرق

ياحبذا ليل نبيع به الكرى * لكننا لا عن رضا نتفرق

حيث الشباب الى المسرة راكض * لا يستقر وطالب لا يرفق

ما سرنى أن الكميت بجنبها * تحوى السقاة وأن فودى ابلق

العربدة فنحن نصونه عن ذلك ونصون أنفسنا عن احتماله ولست أسومه أن يقول استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين ولكنى اسأله أن يقول لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين حين ورد الجواب وعين العذر رائدة تركناه بعزه وطوبناه على غرّه وعمدنا الذكره فسحوناه عن صحيفتنا ومحوناه وصرنا الى اسمه فأخذناه ونبذناه وتركنا خطته وتجنبنا خاطته فلا طرنا اليه ولا طرنا به ومضى على ذلك الاسبوع ودبت الايام ودرجت الليالى وتطاولت المدة وتصرم الشهر وصرنا لا نعير السماع ذكره ولا نودع الصدور حديثه وجعل هذا الفاضل يستزيد ويستعيد بالفاظ تقطعها الاسماع من لسانه وتوردها الى وكلام تخطفه الالسنة من فيه وتعيده على فكاتبناه بما هذه نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم)

أما أرد من الاستاذ سيدى

زار الشنا ونأى الحبيب وعادنى * ارق على ارق ومثلى يأرق

والعذر عن طول ما أوردته واضح لغرابة اسلوبها غزلا ومدحا منها فى المدح

قوم اذا كراهم على صحف العلا * أصل الفخار وكل ذكر ملحق
الملك بعض ديارهم فلينزلوا * والنجم بعض جدودهم فليرتقوا
ان يسمع الدين الحنيف بمدحهم * فلأنه بابى الفتوح مطوّق
أو يبق ماضيهم على سنن الوفا * فلأنهم يبقاه أفضلهم بقوا
ملأت مواهبه القلوب مهابة * فالقلب قبل الطرف فيها مطرق
وكأنما اقلامه بسوادها * غربان بين فى الخزائن تنعق
لاعيب فيه سوى العزائم قصرت * عنها الكواكب وهى بعد تحلق

منها

يا أيها الملك المكمل فضله * وقيت من حدق البلاء تحدّق
وبقيت للمدّاح تجلب عيسهم * جلبا بغير بلاد كم لا ينفق
اذكرتنا زمن المؤيد لاعدت * مثواه باكية الغمامة تشهق
حتى تجر به ذيول حديقة * اكمامها بيد النسيم تفتق

منها

وبديعة كالروض الا انها * تجلى بجارحة السماع وتنشق
نظمتها عقدا بدون مثاله * فى النظم شاب من الوليد المفرق
لافضل لى فيها وبحرك قاذف * درر الصفاء يقول للناس أنفقوا
من عش بيتك قد درجت فطار لى * فى الخافقين جناح ذكر يخفق
ولكم علقت من القريض صناعة * ما كنت لولا كم بها أتعلق
لكم الولا منى لأن نداكم * فى كل حادثة لفقرى يعتق

ومن مطالعى فى الجناس التام قولى

ياطيب الاخبار ياريح الصبا * يامن اليه كل قلب قد صبا

وهذه القصيدة كتبتها من القاهرة المحروسة سنة اثنتين وثمانمائة الى القاضى تاج الدين بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف تشوقا اليه والى حماة المحروسة وقلت بعد المطلع أخاطب النسيم بما هو ارق منه

ياصادق الانفاس ياأهل الذكا * ياطاهر الاذيال كم لك من نبا
يامن نراه عبارة عن جابر * ياروح نجد مرحبا بك مرحبا
يانسمة الخبر الذى من طيبه * تتنشق الاخبار عن تلك الربا
بالله ان رفعت ذيلك بالحمى * ووردت شعبا من دموعى معشبا
وهززت فيه كل عود أراكة * اضحى بها تيك الثغور مطيبا
ولثمت من ثغر الاقاحى مبسما * آبدى بدر الطل ثغرا أشنبا
ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع أجفان الغمام مطنبا

أطال الله بقاءه شرعة وده وان لم تصف وألبس خلعة بره وان لم تضف وقصارى أن اكيله صاعا عن مد وان كنت فى الادب دعى النسب ضعيف السبب ضيق المضطرب سيئ المنقلب أمت الى عشرة آهله بنبغة وانزع الى خدمة أصحابه بطريقة ولكن بقى أن يكون الخليط منصفا فى الوداد ان زرت زار وان عدت عاد وسيدى أطال الله بقاءه ناقشنى فى الحساب القبول أولا وصارفنى فى الاقبال ثانيا فاما حديث الاستقبال وأمر الانزال والانزال فنطاق الطمع ضيق عنه غير متسع لتوقعه منه وبعد فكلفة الفضل بينة وفروض الود متعينة وارض العشرة لينة وطرقها هينة فلم اختار قعود التعالى مركبا وصعود التغالى مذهبا وهلا اذا الطير عن شجر العشرة وذاق الحلو من ثمرها فقد علم الله أن

وطرقت حى العامرية ظامئا * فنعمت فى الوادى برياز ينبا
وحلت من نشر الخزامى نفحة * مشمولة بالطيب من ذاك الخبا
عج بالعذيب فان محجر عينه * أضحى لما حلته مترقبا
واصحب عبير المسك منه فانه * لشوارد الغزلان أضحى مشربا
واذا تنسمت الشذا وتعطرت * منك الذيول وطبت يا ريح الصبا
عرج على وادى حماة بسحرة * متيمما منه صعيدا طيبا
واحمل لنا فى طى بردك نشره * فبغير ذاك الطيب لن نتطيبا
وأسرع الى وداو فى مصر به * قلبا على نار البعاد مقلبا
لله ذاك السفح والوادى الذى * مازال روض الانس فيه مخصبا
وانعم بمصر نسبة لكن أرى * وادى حماة ولطفه لى أنسبا
أرض رضعت بها ندى شبيبتى * ومزجت لذاتى بكاسات الصبا
ياساكنى مغنى حماة وحقكم * من بعدكم ماذقت عيشا طيبا
ومهالك الحرمان تمنع عبدكم * من أن ينال من التلاقى مطلبا
واذا اشتهيت السير نحو دياركم * قرأ النوى لى فى الاواخر من سبا
وقد التفت اليك يادهرى بطو * ل تعتبى ويحق لى أن أعتبا
قررت لى طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعى فى الخدود مرتبا
وأسرتنى لكن بحق محمد * يادهر كن فى مخلصى متسببا
محمد ومدينة قد حلها * لم ألق غيرهما اقابى مطلبا
مولى اذا قصد الزمان بجنبه * خفضى غدا عن رفع قدرى معربا
ذو رتبة نصب السعود بيوتها * من فوق هام الفرقدين وطنبا
وفضائل أمست على حلل العلو * م برقها الزاهى طرازا مذهبا
وكتابة منسوبة لكن الى * عين الكمال وحقها أن تنسبا
واذا تسنم ذروة من منبر * لخطابة فابن الخطيب هناهبا
من بيت فضل قد علت طبقاته * وأراه للعلم الشريف مبوبا
واذا وقفت لحاجة فى بابه * تلقاه بابا للنجاح مجربا
ياكاتب الاسرار يامن فضله * قد جمل الدنيا وزان المنصبا
اقلامك السمر الرشاق اذا انثنت * أغنت نهار الخطب عن بيض الظبا
سود العيون كانما الحاظها * قد كحلت بسواد احداق الظبا
لكن الى وجه الطروس اذا رنت * ابدت لنا سحرا حلالا طيبا
وسرى نسيم الذوق فى قصباتها * فغدا بها بين الانام مشببا
فلاجل ذا ان رجعت أقوالها * لم نلق الا مرقصا أو مطربا

رجع الى ما كنا فيه من الجناس التام * ومن نظمى فيه أيضا مع زيادة التورية

طلبت تقبيل من احب وقد * انكرت فى الخد نقطة حسنه

شوقى اليه قد كدّ الفؤاد برحا الى برح ونكأه قرحا على قرح ولكنها مرّة مرّة ونفس حرة لم تقصد الا بالاعظام ولم تلق الا بالاجلال واذا استعفانى من معاتبته وأعفى نفسه من كلف الفضل يتجشمها فليس الا قصص الشوق أتجرعها وحلل الصبر أتدرعها ولم أغره من نفسى فانا لو اعرت جناح طائر لما طرت الا اليه ولا وقعت الا عليه وبقينا نلتمس حيلا ونقنع بالذكر وصلا حتى جعلت عواصفه تهب وعقاربه تدب وهو لا يرضى بالتعريض حتى يصرح ولا يقنع بالنفاق حتى يعلن وأفضت الحال به وبسامعه الى أن قال لو أن بهذا البلد رجلا تأخذه أريحية الكرم وتملكه هزة الهمم يجمع بينى وبين فلان يعنينى فلما وردت عليه الرقعة

فسرق لي قلبه وقال اذا * لم تخدي لاتنكرا الحسنه

انتهى الكلام على الجناس التام وقد تقدم قولي ان جميع من نهلت من شرابهم الصافي لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكن استدراك التورية من ركنيه لعلمهم بعلو رتبتها عنه والتفات الاذواق الصحيحة السليمة الى حسن موقعها واذا راجعت النظر في كلامهم وجدت غالب ما نظموه من التورية جناسا تاما فمن ذلك قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل من دوبيت

كم قال معاطفي حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن أوامري عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ففي تحد وتعتقل جناسان تامان اذا أبطلت الاشتراك وأبرزت كلا من الركنين في موضعه على طريق من له رغبة في الجناس ومثله قول محيي الدين بن عبد الظاهر في كوز

وذي أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب
اذا استولى على حب * فقل ما شئت في الصب

ومثله قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهي اللمى أحوى المراشف أشنبا
وقالوا بدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الي محببا

ومثله قول الشيخ شرف الدين الانصاري شيخ شيوخ حماة

لنا من ربة الخالين جاره * تواصل تارة وتصد تاره
تعاملني بما يحلو وتلوي * ولكن ليس في جوفي مراره

ومثله قول الشيخ ظهير الدين البارزي سقى الله ثراه

يا لحية الحب التي * طال لها تلفتي
هل أنت مسك التركي أو * هل أنت مسك تبتي

ومثله قول الشيخ علاء الدين الوداعي

أثخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء
زاد في عشقها جنوني فقالوا * ما بهذا فقلت بي سوداء

ومثله قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * وانفصل البرد في الجو احتكام
فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومثله قول الشيخ سراج الدين الوراق فيمن بخل بالراح والتورية ثلاثية وهو

لا تطمعن براحة من معشر * سادوا بغيرهما تر السادات
قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا فخلت من الراحات

ومثله قول نصير الدين الحمامي

لي منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب
اقبل ذا العذر به * واقبل الحمار الجنب

ومثله قول شهاب الدين الحاجي

حشر تلامذته وخدمه وزم عن الجواب قلمه وجشم الايجاف قدمه وطلع مع الفجر علينا طلوعه ونظمنا حاشيتا دار الامام أبي الطيب فقلت الآن تشرق الحشمة وتنور وتجد في الفضل وتغور وقصدناه شاكرين لآلائه فانتظرنا عادة بره وتوقعنا مادة فضله فكان خلبا شمناه وآلا وردناه وصرفنا الامر في تأخره وتأخرنا عنه الى ما قاله ابن المعتز

انا على البعاد والتفرق
لنلتقي بالذكر ان لم نلتق

وأنشدنا قول ابن عصرنا أبي الطيب

أحبك يا شمس البلاد وبدرها
وان لامني فيك السها والفراقد
وذاك لان الفضل عندك باهر
وليس لان العيش عندك بارد

وقول آخر وقد أحسن وزاد

أحبك في البتول وفي ابيها
ولكني أحبك من بعيد

ثم رأى اذا انجلى الغبار
أفرس تحتي أم حمار

له عين لها غزل وغمز * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

ومثله قول ابن الوردي

قالت اذا كنت ترجو * وصلي وتخشى نفوري
صف ورد خدّي والا * أجور نادبت جوري

ومثله قول ابن الصائغ

هجرت فاحشاني لذاك توقدت * جمرا ولست في المحبة فاتره
هذا وتحرمني التقبيل في الهوى * من ذا الذي يرضى بنار الهاجره

ومثله قول ابن نباتة في الملك المؤيد صاحب حماة

لنا ملك قد قاسمتنا هباته * فنثر العطا منه وتظم الثنا منا
يذكرنا أخبار معن بجوده * ونشي له لفظا فينشي لنا معنى

ومثله قوله وهو أعدل شاهد في هذا الباب

دمعي عليك مجانس قلبي * فانظر على الحالين في الصب

فذكر التجانس هنا أحد لازمي التورية والدمع هو اللازم الآخر وقد نبه هنا الشيخ جمال الدين على أنه لم يرض بالجناس ويؤيد ذلك قوله على الحالين ومنه قول القيراطي

أباح لي نرجس الحاظه * في مجلس ما فيه ما انكره
فقلت ورد الخد جد لي به * أيضا فقال الكل في الحضره

ومثله قول بدر الدين بن الصاحب

فتنت بنبت من عوارض خده * فها أنا في قيد الغرام أسير
وما كان لي بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

ومثله قول صلاح الدين الصفدي

ان لم تصدقني تصدق بالكرى * ليزورني فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقري لوصلك واغتنم * أجري وقل للدمع قف يا سائل

ومثله قول ابن أبي حجلة

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس

وما أظرف قول يحيى الخباز الحموي

أصبحت في العالم أعجوبة * عند ذوي المعقول والفهم
جدي حموي فاسمعوا واعجبوا * وما كفى حتى ابي امي

ومثله قول المعمار

قدبت من كربي افقد النسا * أفور كالتنور من نار به
وقد طفى الماء فمن لي بأن * أحمل بالجود على جاريه

ومثله قول الشيخ شرف الدين حسن المشهور بالزغاري

وعلم يقينا أيناييرز خلابه
عقوا وأيناغادر في المكر
وودفلان لو سطاه بل عناه
لو رحلنا وقلنا في المناخ له نم
الى كلمات تحدو هذا الحذو
وتحو هذا النحو وألفاظ
أتتنا من عل وكان من
جوابنا ان قلنا بعد الوعيد
يذهب بالبيد وقلنا الصدق
ينبئ عنك لا الوعيد وقلنا
ان أجرأ الناس على الاسد
أكثرهم رؤية له وقد قال
بعض أصحابنا قلت لفلان
لاتناظر فلانا فانه يغلبك
فقال أمثلي يغلب وعندي
دفتر مجلد ووجدنا عندنا
دفاتر مجلده وأجزاء مجوده
وأنشدناه قول حجل بن نضله
جاء شقيق عارضا رمحه
ان بني عمك فيهم رماح
بل أحدث الدهر بنا نكبة
أم بل رقت أم شقيق سلاح
وقلنا انا نقتصم الخطب
ونتوسط الحرب فنردها
مقدمين ونصدرها بلغاء
وألسنتنا قبل النزال قصيرة
ولكنها بعد النزال طوال

قــل لى اذا رأيت أقمار تم * عن بدور السماء للطرف تلهى
أى وجه أضناك قلت دعونى * فسقامى قد صح من كل وجه

ومثله قول عز الدين الموصلى

حديث عذار الحب باد وساقه * له أوجه تبدى لقلبى اشتياقه
درى انتاه فى الى الحسن دائما * فابدى لنا ذا الحديث وساقه

ومثله قول ابن مكانس

يقول معذبى اذهمت فيه * بخد خلت فيه الشعر غلا
أتعرف خده العشق أهلا * فقلت له نعم أهلا وسهلا

وأنشدنى من لفظه لنفسه بقية السلف ومن كان للفروع النباتية نعم الخلف الشيخ زين الدين أبو بكر بن العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية وقد تمثلت بين يديه بالقاهرة المحروسة سنة احدى وثمانمائة وطالبته بشئ من لفظه فى المواليا فانه كان امام فنونه المتشعبة فقال

للحب قالوا معناك الذى اذبلتو * جدلو بقبله فقلبو فيك خبلتو
فقال اقسم لوان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومنه قول ابن خطيب داريا

تقول وقد أتتنى ذات يوم * مخبرة عن الظبى الجموح
يسرك ان أروح اليه أجرى * فقلت لها خذى مالى وروحى

ومنه قول بدر الدين الدمامينى

قم بنا نركب طرف الـلهو سبقا للمدام
واثن باصاح عنانى * لكميت ولجام

ومثله قول ابن حجر

سالوا عن عاشق فى * قمر باد سناه
اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

ومثله قولى

عاتبته ودموعى غير جارية * لان دمعى من طول البكا نشفا
فقال لم أر وكف الدمع قلت له * حسبيك الله يا بدر الدجى وكفا

ولم استطرد الى هذا الالتأييد قولى ان جميع من نسجت على منوالهم لم يرضوا بالجناس التام اذا أمكنت التورية التامة وصح الفرق بينهما بحمد الله ظاهر وبدر مثاله فى ليالى السطور سافر انتهى ما أوردته من محاسن التورية التامة ووجوب تقديمها على الجناس التام اذا كان عند الناظم يقظة وكان ممن يميل الى هذا المذهب واما الجناس المطرف فهو ما زاد أحد ركنيه على الآخر حرفا فى طرفه الاول وهذا هو الفرق بينه وبين المذيل فان الزيادة فى المذيل تكون فى آخره واما المطرف فتكون زيادته فى أوله لتصيره كالطرف ويسمى الناقص والمردف وفى تسميته اختلاف كثير ولكن مطابقة المطرف فى التسمية طرفة كقوله

فارضك ارضك ان تأتنا
تنم نومة ليس فيها حلم
فمن ظن أن سيلاقى الحروب
وان لا يصاب فقد ظن عجزا
فانك متى شئت لقيت منا
خصما ضخما يهشك قضما
ويأكلك خضما وحثثناه
على الاخذ بأدب الله من
قوله والصلح خير وان جنحوا
للسلم فاجنح لها وأنشدناه
قول القائل
السلم تاخذ منها ما رضيت به
والحرب يكفيك من أنفاسها
جرع

(وقلنا له)
نصحتك فالتمس يا ويك غيرى
طعاما ان لحمى كان مرا
ألم يبلغك ما فعلت ظباه
بكاظمة غداة ضربت عمرا
وجعل الشيطان يفتل بفلك
أجفان طرفه ويقيم به
شعرات أنفه
وحتى ظن ان الغش نصحى
وخالفنى كأنى قلت هجرا
واتفق ان السيد أبا على
نشط للجمع بينى وبينه فدعانى
فأجبت ثم عرض على حضور

قوله حرفا المناسب ان يزيد
أو حرفين بدليل تمثيله

تعالى والتفت الساق بالساق الى ربك يومئذ المساق والزيادة تارة تكون فى أول الركن الثانى كما تقدم وتارة فى أول الركن الاول كقول أبى الفتح البستى

أبا العباس لا تحسب بانى * بشئ من حلى الاشعار عارى
فلى طبع كسلسال معين * زلال من ذرى الاحجار جارى
اذا ما اكبت الادوار زندا * فلى زند على الادوار وارى

ومثله

وكم سبقت منه الىّ عوارف * ثنائى على تلك العوارف وارف
وكم غرر من بره ولطائف * فشكرى على تلك اللطائف طائف

ومثله قول القائل

قام يسعى ما بين شرب أعزه * من بنى الترك أغيد فيه عزه

وقصيدة هذا المطلع رأيتها فى بعض التذاكر بخط الشهاب محمود ولم أعرف لها ناظما وأعجبنى فيها أبيات منها

يقظ ما يشير طرف اليه * بمرام الاويعرف رمزه
كلما تفعل المدام تغنى * عنه الحاظه المراض بغمزه

ومن نظم ابن نباتة الذى جعله نفثا

عطفت كامثال القسىّ حواجبا * فرمت غداة البين قلبا واجبا

ومثله قولى

والله ما هب النسيم بحاجر * الا ترقرق مدمعى بمحاجرى

انتهى الكلام على الجناس التام والمطرف وهما فى بيت البديعية ظاهران وبيت صفى الدين الحلى قوله

من شأنه حمل اعباء الهوى كمدا * اذا همى شأنه بالدمع لم يلم

وبيت عز الدين الموصلى

مذ تم للعين انس حين طرفها * مرأى الحبيب بذل العين لم يلم

وبيتى

ياسعد ما تم لى سعد يطرفنى * بقربهم وقليل الحظ لم يلم

وللمتأمل ان يستحلى ويستجلى ما يظهر فى مرآة ذوقه ولا يميل عن جادة الانصاف

(المصحف والمحرف)

*(هل من يقى ويقى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم)*

يقى ويقى فيهما جناس التصحيف ومنهم من يسميه جناس الخط وهو ما تماثل ركناه خطا واختلفا لفظا والمقدم فى هذا قوله تعالى والذى هو يطعمنى ويسقين واذا مرضت فهو يشفين ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم لعلىّ بن أبى طالب كرم الله وجهه قصر ثوبك فانه انقى وأتقى وأبقى وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين سمع رجلا ينشد على سبيل الافتخار وقيل سأله عن نسبه فقال

انى امرؤ حميرىّ حين تنسبنى * لا من ربيعة آبائى ولا مضر

أبى بكر فطلبت ذلك وقلت هذه عنة كنت أستنجزها وفرصة لا أزال انتهزها فتجشم السيد أبو الحسين وكاتبه يستدعيه فاعتذر أبو بكر بعذر فى التأخر فقلت لا ولا كرامة للدهر أن نقعد تحت حكمه أو نقبل خسف ظلمه ولا عزازة للعوائق أن تضعنا ولا نضعها وتعيننا ولا ندفعها وكاتبته أنا أشحذ عزيمته على البدار وألوى رأيه عن الاعتذار وأعرفه ما فى ذلك من ظنون تشتبه وتهم تتجه وتصاوير تختلف واعتقادات تختلف وقدنا اليه مركوبا للسكون قد ألزمناه اللجم وأعطيناه الراحلة فجاءنا فى طبقة اف وعدد تف كل بغيض قده اصبع وانفه خمسة أشبار مع أرباب عاهات وأصحاب

(المصحف والمحرف)

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ذلك والله الأم لحدك وأقل لحدك ومنه قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لو كنت تاجرا ما اخترت غير العطران فاتني ربحه لم تفتني ريحه ومنه قول القاضي الفاضل في بعض رسالاته فانتم يا بني أيوب ايديكم آفة انفس الاموال كما ان سيوفكم آفة انفس الابطال فلو ملكتم الدهر لاعطيتم لياليه أداهم وقلدتم بيض أيامه صوارم ووهبتم شموسه واقماره دنانير ودراهم واوقاتكم اعراس وما ثم الاعلى الاموال فهي ما تم والجود خاتم في أيديكم ونقش خاتم نقش في ذلك الخاتم وقال أهل الادب خلف الوعد خلق الوغد والاربعة أركان بغير حشو وهو غاية في هذا الباب ومن النظم قول الشاعر

فان حلوا فليس لهم مقر * وان رحلوا فليس لهم مفر

ومثله قول أبي فراس

* من بحر جودك اغترف * وبفضل علمك اعترف

ولم اذكر هنا من جناس التصحيف الا النوع السالم من اختلاف الحركة بالتحريف فانه اذا اجتمع فيه النوعان صار مشوشا كقول الحريري

زينت زينب بقد يقد

فهذا فيه التحريف والتصحيف وقد تقدم ان الركنين اذا تجاذبهما نوعان من التجنيس ولم يخلصا لواحد كان الجناس مشوشا ومثله قول أبي تمام

في حده الحد بين الجد واللعب

ومن المصحف السالم ما كتبت به الى المقر المخدومي فخر الدين بن مكانس في رسالتي التي ذكرت فيها حريق دمشق وهو وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيره ولقد كان أهلها في ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة فعبس بعد ذلك ثغر روضها الباسم وضاع من غير تورية عطره الناسم ومن غراميات البهاء زهير ولطائفه في الجناس المصحف قوله

وليس مشيبا ما ترون بعارضي * فلا تمنعوني ان أهيم وأطربا
وما هو الا نور ثغر لثمته * تعلق في اطراف شعري فالهبا
وأعجبني التجنيس بيني وبينه * فلما تبدى اشنبا رحت اشيبا

وما أظرف قول شمس الدين بن العفيف وقد كنى باحد الركنين عن الآخر وهو

ياذا الذي صد عن محب * فيه أذاب الغرام قلبه
مالك في الهجر من دليل * لكن هذي علو قبه

ولم يطالب فيه بالتشويش لظرافته ولطافته انتهى الكلام على الجناس المصحف واما قولي وحرفوا وأتوا بالكلم في الكلم فهذا جناس التحريف وهو ما اتفق ركناه في عدد الحروف وترتيبها واختلفا في الحركات سواء كانا من اسمين أو فعلين أو من اسم وفعل أو من غير ذلك فان القصد اختلاف الحركات كما تقرر والمقدم فيه وهو الغاية التي لا تدرك قوله تعالى ولقد أرسلنا فيهم منذرين فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ولا يقال ان اللفظين متحدان في المعنى لانهما من الانذار فلا يكون بينهما تجنيس فاختلاف المعنى ظاهر اذا المراد بالاول الفاعلون

جربانات لا تنال العين منهم الا جسا وسرحنا الطرف منهم ومنه في احمى من است النمر وأعطش من أنف النغر فظننا انه يريد أن يلقى كتيبة أو يهزم دوسرا أو يقل الانكدين أو يرد الوفدين ثم رأينا رجالا جوفا قد حلقوا صوفا فأمنا المعرة ولم نخش المضرة وقناه واليه وجلس يحرق أرمه ويتمثل بيت لا تقتضيه الحال

مرّ انا في الحبالة نسترق

فتركناه على غلوائه حتى اذا نفض ما في راسه وفرغ جعبة وسواسه عطفنا عليه فقلنا يا عافاك الله دعونا منك وغرضنا غير المهارشة وأستزنا لك وقصدنا غير المناوشة فلتهد أضلوعك وليفرخ روعك

يا مارس رحمس لا نريد قتالا

وما اجتمعنا الا لخير فلتسكن سورتك ولتلن فورتك ولا ترقص لغير طرب ولا تهم لغير سبب واتماذ كرنا لك

وهم الرسل وبالثانى المفعولون وهم الذين وقع عليهم الانذار وقول النبى صلى الله عليه وسلم اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى ومثله قولهم جبة البرد جنة البرد ومثله قولهم رطب الرطب ضرب من الضرب ومنه قول القاضى الفاضل لازالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلائق له فى دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق اذا جردوا لتقاضيه سيوفا سيوفى ومن النظم قول أبى تمام

هن الحمام فان كسرت عيافة * من حائهن فانهن حمام

وما أحلى قول أبى العلاء المعرى

لغيرى زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكرى ابن سبيل

ومثله قول ابن الفارض رحمه الله تعالى

هلا نهاك نهاك عن لوم امرئ * لم يلف غير منعم بشقاء *

ومثله قول الشيخ عبد العزيز شيخ شيوخ حماة

لعينى كل يوم فيه عبره * تصيرنى لاهل العشق عبره

وغاص هو والقاضى الفاضل فى هذا البحر وأظهروا من هذا الروى جواهر العقود فى قصيد شيخ الشيوخ بحماة

اذا غفل الوشاة بعثت دمعى * فيغدو مرسلا من غير فتره

علامة شقوتى فى الحب انى * ثقلت عليك لا من طول عشره

سالزم باب خمار الثنايا * ليطلق لى ولو فى العمر سكره

وظريف هنا قول الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف من قصيدة

لا جازى حبيب قلبى بظلمه * انا أحنى عليه من قلب أمه

جور مثل عدله عند من يهـ * ـواه مثلى وظلمه مثل ظلمه

وما اظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير من غرامياته فى هذا النوع

زها ورد خديك لكنه * بغير النواظر لم يقطف

وقد زعموا أنه مضعف * وما علموا أنه مضعفى

وأورد الشيخ كمال الدين الدميرى فى كتابه المسمى بحياة الحيوان عندما انتهى الى ذكر المها أبياتا تعجبنى فى هذا الباب أولها تام وآخرها مطرف وباقى الابيات تحريفها تمتزج بالاذواق حلاوته المعتدلة والابيات لجميل بثينة

خليلى ان قالت بثينة ماله * أتانا بلا وعد فقولا لها لها

أتى وهو مشغول لعظم الذى به * ومن بات طول الليل يرعى السها سها

بثينة تزرى بالغزالة فى الضحى * اذا برزت لم تبق يوما بها بها

لها مقلة كحلاء نجلاء خلقة * كأن اباها الظبى أو أمها مها

دهتنى بود قاتل وهو متلفى * وكم قتلت بالود من ودها دها

ويعجبنى قول من قال ان الصديق الصدوق أول العقد وواسطة العقد ومثله قولهم البدعة شرك الشرك وما أحلى قول ابن نباتة

اتلا المجالس فوائد وتذكر أبياتا شوارد وامثالا فرائد ونباحثك فتسعد بما عندك وتسألنا فتسر بما عندنا ويقف كل واحد منا موقفه من صاحبه وقديما كنت أسمع بحديثك فيعجبنى الالتقاء بك والاجتماع معك والآن اذ سهل الله ذلك فهلم الى الادب نتفق يوما عليه والى الجدل نتجاذب طرفيه فاسمع خيرا واسمعنا مثله ولنبدأ بالفن الذى ملكت به زمانك وفت به أقرانك وملكت به عنانك وأخذت منه مكانك فطار به اسمك بعد وقوعه وارتفع له ذكرك عقب خضوعه واختصمت به الرجال حتى اذعن العالم وقلد الجاهل وقالوا قول الصوفية يا دهشا كله فجارنا بفرسك وجدلنا بنفسك فقال وما هو فقلت الحفظ ان شئت والنظم ان أردت والنثر ان اخترت والبديهة ان نشطت فهذه أبوابك التى أنت فيها ابن دعواك تملأ منها فاك فاحجم عن الحفظ رأسا ولم

قوامك تحت شعرلئيا أمامه * غدا لك حاملا علم الامامه

ولى مع زيادة التورية

ولما أرانى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف
بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

انتهى الكلام على الجناس المصحف والمحرف وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

من لى بكل غرير من ظبائهم * غزير حسن يداوى الكلم بالكلم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى الحنبلى

هل من تقى نقى حين صحف لى * محرف القول زان الحكم بالحكم

أما التصحيف والتحريف فى هذا البيت فظاهران واما المعنى فالسريرة عند الله وبيتى

هل من يقى ويبقى ان صحفوا عذلى * وحرفوا وأتوا بالكلم فى الكلم

(ذكر اللفظى والمقلوب)

*(قد فاض دمعى وفاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذل ملا لاسماع بالالم)*

اما اللفظى فهو النوع الذى اذا تماثل ركناه وتجانسا خطا خالف أحدهما الآخر بابدال حرف منه فيه مناسبة لفظية كما يكتب بالضاد والظاء وشاهده قولى فى البيت فاض وفاظ فان الاول من فيض الماء والثانى من التلف وجاء فى هذا النوع من القرآن العظيم وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة فالاول من النضارة والثانى من النظر والحقوا به ما يكتب بالهاء والتاء كقولهم جبلت القلوب على معاداة المعادات وقيل هو حديث أو بالنون والتنوين كقول الارجانى

وبيض الهند من وجدى هواز * باحدى البيض من عليا هوازن

أو بالالف والنون كقول الشاعر ابن العفيف

أحسن خلق الله وجها وفما * ان لم يكن أحق بالحسن فمن

ولم ينظم هذا النوع غير الصفى وهو قليل جدا وأصعب مسالكه تركيبه بالضاد والظاء لاجل ابدال الحرف الذى فيه المناسبة اللفظية وقد تقدم قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ انه أورد فى شرحه الذى سماه رقم البردة شيأ من محاسن الزجل على هذا النوع البديعى الذى أطلق عنان القلم فى الكلام عليه والزجل فن يتمكن الناظم فيه من المعانى بجولانه فى ميادين الاغصان والخرجات وهو لا يحسن رسمه فى الكتابة الا من عرف اصطلاحه وكان الشيخ علاء الدين بن مقاتل اذا ذكر الزجل كان ابن بجدته وأبا عذرته وممن سلمت اليه مقاليد هذا الفن وأورد الشيخ صلاح الدين الصفدى له نبذة من غرر ازجاله فى تذكرته وتاريخه تغنى عن الاكثار فى ترجمته وله فى الجناس اللفظى زجل جانسه بالظاء والضاد لم يسبق اليه ومطلعه قوله

ان مع معشوقى جفون ولحاظ * لو رآهم عابد لهام وحاض
ومع أنوار من سحر عينيه اذا * حفظو بباب أنساء صلا تودا
ان ماعو عيون فواتر حور * فى فحور ولدانها بواتر جفون

(اللفظى والمقلوب)

يجيل فى النثر قدحا وقال ابادهك فقلت انت وذاك فمال الى السيد أبى الحسين يسأله بيتا ليجيز فقلت يا هذا أنا أكفيك ثم تناولت جزأ فيه اشعاره وقلت لمن حضر هذا شعر أبى بكر الذى كد به طبعه وأسهر له جفنه وأجال فيه فكره وأنفق عليه عمره واستنزف فيه يومه ودونه فى صحيفة ما ترة وجعله ترجمان محاسنه وعبر به عن باطنه وأخذ مكانه وهو ثلاثون بيتا وسأقرن كل بيت بوفقه وانظم كل معنى الى لفقه بحيث اصيب اغراضه ولا اعمد الفاظه وشريطتى ان لا أقطع النفس فان تهيأ لواحد أو امكن لناقد ممن قد حضر يريد النظر ان يميز قولهم من قولى ويحكم

كيف لا يفتن عشاقو ذاك الفتور * وعلى خده شامه بنقطة فتون
من نظرهم نظره بقى مسحور * وكيف أنوما ينسحرون عيون
يعتقدهم رقودوهم ايقاظ * وجفون كل جفن بسيف أى قاض
يقضى فيمن يسروباح وهذى * حكمه ممن أضل ناس وهدى
حضرتى لما ان يغيب عنى * فى غيابو ياما بتحفظ فصول
حتى نوا يصير قريب منى * ولو انو يكون فى ميدان يجول
ايش تضيق الدنيا على ذهنى * ولا يدرى ايش كان يريد لو يقول
وانس ماقد حفظتو من الالفاظ * ويضيق بى رحب المكان الفاض
ولا اطلب يومى شراب وغذا * فابقى سكران طول الليلى وغدا
يانسيم السحر على حبى * بث منى طيب السلام كاو
لله وأوصيه بالعاشق المسبى * و بقلبى ذاك الذى استلو
وان تيسر لك أن ترى قلبى * وان يسل عن جسمى الضعيف قلو
انو صل من بعدك الى انفاظ * واغتسل مما من عيونو فاض
وعلى حذو الدارجين قد حذا * وفى نايو حادى المنايا حدا
اذكرانى فى عنبو خدو البهار * عصتو حتى وقف على ماجرا
وبقى هو يحمر ونا بصفار * ونوادر منى ومنو ترا
فلا تعجب من خد وكيف يحمار * فوق ورد الخدود وتحتو جرا
ماء الحيا فى وجناتو لما انغاظ * ونشف ماء لونى الى ان غاض
وماينكر حالى وحالو فذا * سرفيه ممن أنا لوفدا

ونظمت فى هذا النوع الغريب تورية شفاءت فى غاية الحسن ولم أسبق اليها الامن الشاب الظريف محمد بن العفيف كقوله

عبتم من المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدليله لم تشعروا
لاتنكروا ما احمر منه فانه * بدماء أرباب الغرام مضفر

وقولى

خاطرت فى عشقى له يامهجتى * لاتشغلى قلبى الحزين وخاطرى
فالطرف شاهد منه ناضر قده * فغدا يهيم بكل غصن ناضر

وقولى

مرج حماة بنواعيره * زاد على المقياس فى روضته
واغتاظ نهروذ دمشق له * فقلت لا انكر فى غيضته

وقولى

حضيت عزمى اليك شوقا * فلم أطق مكثة بارض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى ان الوم حضى

انتهى الكلام على الجناس اللفظى واما الجناس المقلوب وسماه قوم جناس العكس وهو

الذى

على البيت انه له أولى او يرجح على ما ماانظمه بشار الرويه على ما امليته على لسان النفس فله يد السبق او يكون غيرها فاعضاء عن هذه المقاومة و يتنحى لنا عن أرض المماثلة ويخلى بنا الطريق لمن يلى المناربه فقال أبو بكر ما الذى يؤمننا من ان تكون نظمت من قبل ماتريد انشاده الآن فقلت اقترح لكل بيت قافية لا اسوقه الا اليها ولا أقفيه الا عليها ومثال ذلك ان تقول حشر فاقول بيتا آخره حشر ثم عشر فانظم بيتا قافيته عشر ثم هلم جرا الى حيث يتضح الحق ويفتضح الزرق وتستقر الحجة وتستقل الشبهة ويتطرد فيعرف الحالى من العاطل و يفرق بين الحق والباطل فابى ابو بكر ان يشاركنا فى هذا العنان ومال الى السيد ابى الحسين يسأله بيتا اليه فتعنار أيه فيها رآه ولم نرض الارضاه وأعمل كل منا لسانه وفمه وأخذ

الذى يشتمل كل واحد من ركنيه على حروف الآخر من غير زيادة ولا نقص ويخالف أحدهما الآخر فى الترتيب كقوله تعالى حكاية عن هرون خشيت ان تقول فرقت بين بنى اسرائيل ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم يقال لصاحب القرآن يوم القيامة اقرأ وارقأ وما الطف ما أشار الصاحب بن عباد الى الجناس المقلوب بقوله لابى العباس بن الحرث فى يوم قيظ وقد طلب مروحة الخيش مايقول الشيخ فى قلبه يعنى الخيش ومروحة الخيش احدثها بنو العباس وذكرها الحريرى فى المقامات وقال اسمعوا وقيتم الطيش وانشد لغزا فى مروحة الخيش

وجارية فى سيرها مشمعلة * ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على انه فى الاحتثاث رسيلها
ترى فى اوان القيظ تنطف بالندى * ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

وكان السبب فى حدوث هذه المروحة ان هرون الرشيد دخل يوما على اخته علية بنت المهدى فى يوم قيظ فألفاها وقد صبغت ثيابها من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فصارت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه وأمر أن يصنع له مثل ذلك وقال ابن الشريشى فى شرح المقامات وهذه المروحة شبه الشراع للسفينة تعلق بالسقف ويشد بها حبل وتبل بالماء وترش بالماورد فاذا أراد الرجل فى القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجىء فيهب على النائم منها نسيم بارد رطب انتهى كلامه * رجع الى الجناس المقلوب * فمنه قول بعضهم

حكانى بهار الروض حين ألفته * وكل مشوق للبهار مصاحب
فقلت له مابال لونك شاحبا * فقال لانى حين اقلب راهب

وما احلى قول ابن العفيف مع زيادة التورية

أسكرنى باللفظ والمقلة الـ * كحلاء والوجنة والكاس
ساق يرينى قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس

وبديع هنا قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى الامير شجاع الدين بهرام

قيل كل القلوب من * رهب الحرب تضطرب
قلت هذا مخترص * قلب بهرام ما رهب

وبيت عبد الله بن رواحة غاية فى هذا النوع وقيل أمدح بيت قالته العرب فانه من جملة مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهو قوله

تحمله الناقة الادماء معتجرا * بالبرد كالبدر جلى نوره الظلما

وما احلى قول القائل

والقيتهم يستعرضون حوائجا * اليهم ولو كانت عليهم جوائحا

ومثله

ان بين الضلوع منى نارا * تتلظى فكيف لى ان أطيقا

دواته وقلمه فاجزنا البيت الذى قاله وكلما اجزناه اجازة جارى القلم فيها الطبع وبارى اللسان بها السمع وسارق الخاطر بها الناظر وسابق الجنان فيها البنان اذ قلنا

هذا الاديب على تعسف فتكه * وبروكه عند القريض ببركه
متسرع فى كل مايعتاده * من نظمه متباطئ عن تركه
والشعر أبعد مذهبا ومصاعدا * من أن يكون مطيعه فى فكه
والنظم بحر والخواطر معبر * فانظر الى بحر القريض وفلكه
فتى توانى فى القريض مقصر * عرضت اذن الامتحان بعركه
هذا الشريف على تقدم بيته * فى المكرمات ورفعه فى سمكه
قد رام منى أن أقارن مثله * وانا القرين السوء ان لم أنكه
واذا تلطمت قصمت ظهر مناظرى * وحطمت جارحة القرين بدكه

فحق عليك يا بن سقالى * أرحيقا سقيتنى أم حريقا

ومن الغايات فى هذا الباب قول القائل

ابق اقبل فيه هيف * كل ما أملك ان فنى هبه

فهذا البيت كل كلمة منه بانضمامها الى أختها تجانسها فى القلب وأعلى منه رتبة قول سيف الدين ابن المشد

ليل اضاء هلاله * أنى يضىء بكوكب

وهذا البيت كل كلمة منه تقرأ مستوية ومقلوبة وهو مما لا يستحيل بالانعكاس كقول الحريرى ساكب كاس وهذا النوع يأتى الكلام عليه فى موضعه لان المراد هنا جناس القلب وللشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى ايضا زجل فى هذا النوع سارت به الركبان انشده المصنف فى حماة بحضرة الملك المؤيد والشيخ صفى الدين والشيخ جمال الدين بن نباتة فوقع فى المجلس شئ اذا استوعبت الزجل كتابة علمته

قلبى يحب تياه * ليس يعشق الا اياه * فاز من وقف وحياه * برصد على محياه
بدر السما لو يطبع * من رام وصالو يعطب

صغير بحير فى امرو * غزال قهر بسمرو * ليث الهوى ونمرو * فاعجب لاصغر عمرو
ريم ابن عمرو اربع * اردى الاسود وارعب

اذ كرتهار تبعتو * وروحى كنت بعتو * وخيب ما فيه طمعتو * فقال وقد سمعتو
ارجع ولا لى تتبع * اخشى عليك لا تتعب

كم قدامو وخلفو * مشيت مطيع لخلفو * ورمت لثم كفو * قال دع منالو كفو
فان لثم اصبع * من الثريا اصعب

ما زلت لو ندارى * حتى حصل فى دارى * ناديت ودمعى جارى * ايش كان يصيب يا جارى
لو كنت من فيك اشبع * قال ايش يكن لك اشعب

من حاز حسن خدو * لحظو لقتلى حدو * وورد خدو ندو * ما فى الرياض شئ ندو
روض الحيا مبرقع * عليه ساج معقرب

من فى الجمال فريدو * للصب من وريدو * يذبح وهو يزيدو * وكم ذا شيخ مريدو
خلاه دوعو يبلع * وهو بعقلو يلعب

كم خصم فى المقاتل * صابو ابن مقاتل * وكم ذا فى المحافل * قد انشا لو جحافل
من كل بيت مربع * ملحون بألف معرب

والشئ اللطيف الذى وقع فى المجلس المشار اليه ووعدت بذكره ذكروا ان الشيخ علاء الدين بن مقاتل لما وصل الى قوله ملحون بألف معرب صار الشيخ جمال الدين بن نباتة ينظر الى الشيخ علاء الدين بن مقاتل ويشير الى الشيخ صفى الدين الحلى ويقول ملحون بألف معرب والملك المؤيد يتبسم لذلك اه واذا نظر المتأمل الى بعض هذه الاحرف فى رسم كتابة الزجل لا ينتقد فان شرط رسمه ان يوضع كذا لاجل تحرير وزنه انتهى الكلام على الجناس اللفظى والمقلوب وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فيهما

ودبغت منه أديمه وتركته
نهج الاديم بدبغه وبدلكه
اصغوا الى الشعر الذى نظمته
* كالدر رصع فى مجرة سلكه
فتى عجزت عن القرين بديهة
فدمى الحرام له اراقة سفكه
وقال أبو بكر ابياتا جهدنا
به أن يخرجها عن الغلاف
ويبرزها من اللحاف فلم
يفعل دون أن طواها
وجعل يعركها ويفركها
فقلت ان البيت لقائله كالولد
لناجله فما لك تعق ابنك
أو تضمه أبرزها للعيون
وخلصها من الظنون فكره
أبو بكر أيده الله ان تكون
الهزة أعقل منه لانها
تحدث فتغطى فلم يستجرئ
أن يظهر ثم مسح جبينه
وبسط يمينه للبديهة نفسا
دون ان يكتب فقلنا أنت
وذاك واقترح علينا أن
نقول على وزن قول أبى

بكل قد نضير لا نظير له * لا ينقضى أملى منه ولا ألمى

وبيت الشيخ عز الدين

لفظى حض على حظ بهائه * مقلوب معنى ملا الاحشاء من ألم

وبيتى

قد فاض دمعى وفاظ القلب اذ سمعا * لفظى عذول ملا الاسماع بالالم

انتهى والله أعلم

(ذكر الجناس المعنوى)

*(أبا معاذ اخا الخنساء كنت لهم * بالمعنوى نهذونى بجورهم)*

اما الجناس المعنوى فانه ضربان تجنيس اضمار وتجنيس اشارة ومنهم من سمى تجنيس الاشارة تجنيس الكناية وكل منهما مطابق التسمية ولم ينظم الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته غير نوع الاضمار وهو اصعب مسلكا من جناس الاشارة ولابد أن انوع هذا الشرح بمحاسن النوعين فان المعنوى طرفة من طرف الادب عزيز الوجود جدا ولم يذكره الشيخ جلال الدين القزوينى فى التلخيص ولا فى الايضاح ولا ذكره ابن رشيق فى العمدة ولا زكى الدين بن أبى الاصبع فى التحرير ولا ابن منقذ فى كتابه والعميان ذكروه فى شرح بديعيتهم ولكن ما تيسر لهم نظمه وذكر الشهاب محمود فى كتابه المسمى بحسن التوسل فى صناعة الترسل منه نوع الاشارة لا نوع الاضمار ولكن ما نظمه ولم يذكر نوع الاضمار فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين الحلى وقد تقدم القول أنه قال عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا فى هذا الفن وكان شيخنا قاضى القضاة علاء الدين بن القضامى رحمه الله يقول وهو امام هذا العلم ما اعلم لبيت أبى بكر بن عبدون فى اضمار الركنين ثانيا غير بيت الشيخ صفى الدين الحلى ولو لم يفتح ابن عبدون هذا الباب فى بيته ما حصل للشيخ صفى الدين دخول الى نظم هذا النوع انتهى والكلام على البيتين يأتى بعد تعريف النوع فالمعنوى المضمر هو أن يضمر الناظم ركنى التجنيس ويأتى فى الظاهر بما يرادف المضمر للدلالة عليه فان تعذر المرادف اتى بلفظ فيه كناية لطيفة تدل على المضمر بالمعنى كقول أبى بكر بن عبدون المشار اليه وقد اصطبح بخمرة ترك بعضها الى الليل فصارت خلا

الا فى سبيل اللهو كاس مدامة * اتتنا بطعم عهده غير ثابت

حكت بنت بسطام بن قيس صبيحة * وامست كجسم الشنفرى بعد ثابت

فبنت بسطام بن قيس كان اسمها الصهباء والشنفرى قال

اسقنيها يا سواد بن عمرو * ان جسمى من بعد خالى لخل

والخل هو الرقيق المهزول فظهر من كناية اللفظ الظاهر جناسان مضمران فى صهباء وصهباء وخل وخل وهما فى صدر البيت وعجزه ومن هنا أخذ الشيخ صفى الدين الحلى وقال

وكل لحظ أتى باسم ابن ذى يزن * فى فتكه بالمعنى أو أبى هرم

فابن ذى يزن اسمه سيف وابو هرم اسمه سنان فظهر له جناسان مضمران من كنايات الالفاظ الظاهرة فظهر قول شيخنا قاضى القضاة علاء الدين ان هذا الباب ما فتحه للشيخ صفى

(الجناس المعنوى)

الطيب المتنبى حيث يقول

أرق على ارق ومثلى يأرق
وجوى يزيد وعبرة تترقرق

وابتدر أبو بكر ايده الله الى الاجازة ولم يزل الى الغايات سباقا فقال

واذا ابتدهت بديهة يا سيدى * فأراك عند بديهتى تتقلق
واذا قرضت الشعر فى ميدانه * لا شك أنك يا أخى تتشقق
انى اذا قلت البديهة قلتها * عجلا وطبعك عند طبعى يرفق
مالى أراك ولست مثلى عندها * متموها بالترهات تمخرق
انى أجيز على البديهة مثل ما * تريانه واذا نطقت أصدق
لو كنت من صخر أصم لهاله * منى البديهة واغتدى يتفلق
لو كت لبنا فى البديهة خادرا * لرؤيت يا مسكين منى تفرق
وبديهة قد قلتها متنفسا * فعل الذى قد قلت يا ذا الأخرق

ثم وقف يعتذر ويقول ان

الدين غير ابن عبدون وكنت أودّ ان يكون شيخنا رحمه الله حيا ويرانى قد عززتهما بثالث وهو

آبا معاذ اخا الخنساء كنت لهم * يا معنوى فهدّونى بجورهم

أبو معاذ اسمه جبل وأخو الخنساء اسمه صخر فظهر لهم من كنايات الالفاظ الظاهرة أيضا جناسان مضمران فى صدر البيت وهما جبل وجبل وصخر وصخر وبالنسبة الى الجبل فى الركن الواحد يحسن قولى فهدّونى بجورهم وقد أظهرت محاسن هذا الجناس المضمر وكشفت عن جماله الباهر سطور الاشكال ليتمتع به صاحب الذوق السليم فان فحول المتأخرين وقفوا عن المجاراة فى حلبته ولم يتعلق أحد منهم الا باذيال الضرب الثانى وهو جناس الاشارة ويأتى الكلام عليه * ومن غريب ما يحكى ان الشيخ صلاح الدين الصفدى قال فى شرح لامية العجم وفى كتابه المسمى بجنان الجناس لما اعترضه الجناس المعنوى قال هذا النوع عندى باطل ولم يتيسر له منه نظم بيت واحد مع كثرة تهافته على الجناس وانواعه والذى يظهر لى انه عجز عن نظمه فانه قال فى غضون ذلك وقد استخرجت من شعر أبى الطيب المتنبى من الجناس المعنوى قوله

حاولن تقريبى وخفن مراقبا * فوضعن أيديهن فوق ترائبا

وهذا دليل على أنه لم يفهمه انتهى الكلام على الجناس المعنوى الذى يضمر فيه الركنان وما أخرت بيت الشيخ عز الدين الموصلى ونثرت نظم الترتيب الذى تقدم الا لتخيمه عن نظم الجناس المعنوى المضمر الركنين وصيله الى جناس الاشارة لسهولة مأخذه فلم يبق لبيته طاقة على المناظرة لتحوله عن النوع الذى عارض فيه الشيخ صفى الدين والظاهر انه قنع بقول القائل

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

والضرب الثانى من المعنوى وهو جناس الاشارة والكناية هو غير الاول وسبب وروده هذا النوع فى النظم أن الشاعر يقصد المجانسة فى بيته بين الركنين من الجناس فلا يوافقه الوزن على ابرازهما فيضمر الواحد ويعدل بقوّته الى مرادف فيه كناية تدل على الركن المضمر فان لم يتفق له مرادف الركن المضمر يأتى بلفظة فيها كناية لطيفة تدل عليه وهذا لا يتفق فى الكلام المنثور والذى يدل عليه المرادف قول امرأة من عقيل وقد أراد قومها الرحيل عن نجد ثم لان وتوجه منهم جماعة يحضرون الابل وهو

فما مكثنا دام الجمال عليكما * بثهلان الا أن تشدّ الاباعر

ارادت أن تجانس بين الجمال والجمال فلم يساعدها الوزن ولا القافية فعدلت الى مرادفة الجمال بالاباعر والذى يدل على مضمره اللفظة الظاهرة بالكناية اللطيفة قول دعبل فى امرأته سلمى

انى أحبك حبا لو تضمنه * سلمى سميك ذاك الشاهق الراسى

فالكناية اللطيفة فى سميك لانها أشعرت ان الركن المضمر فى سلمى يظهر منه جناس الاشارة بين الركن الظاهر والمضمر فى سلمى وسلمى الذى هو الجبل ومثله قول الآخر

هذا كما يجى ء لا كما يجب
فقلت قبل الله عذرك لكنى
أرالك بين قواف مكروهة
وقافات خشنة كل قاف
كجبل قاف منها تتقاق
وتتشقق وتتفلق وتمزق
وتحرق وتطلق وتعلق
وتبرق وتشرق وأحمق
واخرق الى أشياء لا اكثر
بها العدد فذا الآن بجزاء
عن قرضك وأداء لفرضك
وقلت
مهلا أبا بكر فزندك اضيق * فاخرس فان أخاك حى يرزق
دعنى أعرك اذا سكت سلامة * فالقول يحدق فى ذويك ويعرق
وافاتك فتكات سوء فيكم * تدع الستور وراءها لا تخرق
وانظر لاشنع ما أقول وأدعى * أله الى اعراضكم متسلق
يا أحمقا وكفاك ذلك خزية * جربت نار معرق هل تحرق
فلما أصابه حرّ الكلام
ومسه لفح هذا النظام

وتحت البراقع مقلوبها * تدب على وردتلك الخدود

فكنى عن العقارب بمقلوب البراقع ولاشك ان بين اللفظ المصرح به والمكنى عنه تجانسا ومثله قول الآخر يهجو مغنيا ثقيلا

قال غنيت ثقيلا * قلت قد غنيت نفسك

ومن الكنايات بالمرادف قول شرف الدين بن الحلاوى وهو نهاية فى هذا النوع

وبدت نظائر ثغره فى قرطه * فتشابها متخالفين فاشكلا

فرأيت تحت البدر سالفة الطلا * ورأيت فوق الدر مسكرة الطلا

اراد أن يجانس بين سالفة الطلا وسلافة الطلا فلم يساعده الوزن فعدل بقوته الى المسكرة وهى مرادفة السلافة وقد تقدم ان الشيخ عز الدين الموصلى لم ينظم من المعنوى الا هذا الضرب وهو الذى أوجب تأخيرنا عن المناظرة وقد تقرر ان الشاعر يريد فى هذا النوع اظهار الركنين فلا يساعده الوزن فيعدل بحسن تصرفه الى مرادفه وأراد الشيخ عز الدين أن يمشى على هذا الطريق فحصل له فى الطريق عقلة فانه قال

وكافر بضمر الاحسان فى عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوى عمى

فالليل يسمى كافرا وهو الذى يستر الاشياء وكافر هنا بمعنى ساتر وهذا هو الركن الذى اضمره عز الدين ورادفه بالظلمة وكنى بها عنه فظهر منها جناس الاشارة بين كافر وكافر غير أن الوزن ما عصى على عز الدين حتى عدل الى المرادف فلو أراد ان يبرز الركنين لكان الوزن داخلا تحت طاعته اذا قال

وكافر بضمر الاحسان فى عذل * ككافر الليل عن ذا المعنوى عمى

ولما وقف مولانا الشيخ شهاب الدين بن حجر على هذا النوع قال هذا عزيز الوجود وانشدنى بعد أيام فى مولانا السلطان الملك المؤيد هذين البيتين وهما فى نوع المضمر المقدم ذكره غاية وهما

جمع الصفات الصالحات مليكنا * فغدا بنصر الحق منه مؤيدا

كأبى الامين برأيه وبجده * أتى توجه وابن يحيى فى الندى

ومن نظمى فى نوع الاشارة الغريبة قولى من جملة قصيد فى سكر حماة

وجناس ذاك السكر يحلو للورى * تحريفه ويروق فى تشرين

ففى صريح الجناس وتورية التحريف كنايتان لطيفتان يظهر منهما جناس الاشارة محررا بين السكر والسكر والمراد بقولى يروق فى تشرين ان عاصى حماة يروق فى هذا الفصل الى ان يرى قراره من أعالى شطوطه وهذه القصيدة كتبت بها من القاهرة المحروسة فى عام ثمان عشرة وثمانمائة الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى كاتب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية وقد حل ركابه الكريم بحماة المحروسة وقالت شطوطها اهلا بعيش اخضر تجدد وروى عاصيها بعد نار شوقه الكامل عن المبرد وعادت الى عصر الشبيبة وقد شاهدت الملك المؤيد ومطلع القصيد

خل التعلل فى حمى يبرين * فهوى حماة هو الذى يبرينى

قطع علينا فقال يا أحمق الا يجوز فان أحمق لا ينصرف فقلنا يا هذا الا تقطع فان شعرك ان لم يكن عيبه عيب فليس بظرف ظرف ولو شئنا لقطعنا عليك ولوجد الطعن سبيلا اليك واما احمق فلا يزال يصفعك اتصفعه حتى ينصرف وتنصرف معه وعرفناه أن للشاعر أن يرد ما لا ينصرف الى الصرف كما ان له رأيه فى القصر والحذف وانشدناه حاضر الوقت من اشعار العرب فقال يجوز للعرب ما لا يجوز لك فلم يدر كيف يجيب عن هذا الموقف وهذه المواقفة وكيف يسلم من هذه المصارفة لكنا قلنا أخبرنا عن بيتك الاول امدحت ام قدحت وزكيت أم جرحت ففيه شيئان متفاوتان ومعنيان

وأطع ولا تذكر مع العاصي حي * مافي وراء النهر ما يرضيني
انا سائل والنهر فيها لذلي * وسع افتقاري نظرة تغنيني
والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير في التلحين
والغصن يحكي النون في ميلانه * وخياله في الماء كالتنوين
والله ما انا آيس من قربها * بالله صدقني وخذ بيميني
فالطرف قد أبقى بقايا ادمع * وهناك اجريها برجع انيني
فاحذر ملامي عند فيض مدامعي * فالدمع دمعي والعيون عيوني
قالوا تسلى عن ثمار شطوطها * فاجبت لا والتين والزيتون
بالائمين على شريعتها لكم * في ذاك دينكم ولي أنا ديني
قلنا على الاعراف من ريحانها * قصص أتت بتناسخ البشنين
وبسط شرعا يا لنا كم شرعت * اعوادها وتنقفت باللين
لكن اذا اشتبكت رأيت الظل قد * ألقته مضطربا بشبه طعين
وخيال ضوء الشمس في تدويره * يحكي فم الطعنات في التكوين
وعيونها كم قال هدب نباتها * ما للنباتي مثل شرح عيوني
تلك المعالم والمعاهد بغيتي * بحماة لا الجيران من جيرون
كم قال دمع الصب ليتهم على * تلك الرسوم بفضلهم يجروني
يا نازلين حمى حماة نعمتم * فيها صباحا نوره يهديني
قد كنت أنساها برؤيتكم وقد * صرتم بها فالصبر غير معيني
غبتم وهذا محضري لي شاهد * بالعسر من صبري وبالمضمون
وحللتم دار السعادة بالحمى * فحقكم بالبعد لا تشقوني
ذنبي عظيم لانقطاعي عنكم * فلاجله في مصر لا تبقوني
وتكونت نار اشتياقي في الحشا * لفساد تكويني فدع تكويني
وعجزت ضعفا عن وفادين اللقا * فترفقوا بفؤادي المرهون
فعسى يزول ظلام بعدي عنكم * وارى ضياء القرب من شمسين
ولرقة فيكم أظن بانكم * حنيتم طربا بالرجع حنيني
هذي غراميات صب ماله * أرب بتورية ولا تضمين
لكن اذا ذكروا بديع مدائح * في البارزي فكل فوق دوني
ما القصد فخري انما أنا عبده * فالشك أدفعه بحسن يقيني
الغصن نسقيه وغصن يراعه * يسقي الورى لكن أنا ينشيني
فالطرس وهو مطوق بيمينه * ينسي السواجع معرب التلحين
هو كامل في فضله وعلومه * والله اعطاه كمال الدين
حسنت لياليه وايام له * فهدى الزمان بطرة وجبين
يا صاحب البيت الذي عن وصفه * قد اعجمت شعراء هذا الحين

متباينان منها المبتدأت
نخاطبت يا سيدي والثانية
انك عطفت فقلت تتقلق
وهما الاركضان في حلبة
ولا يعطفان في خطة ثم قلت
لمخدوم اسن الشعر حتى
اسكت عليك فتستوفي من
القول حظك واسكت علينا
حتى نستوفي حظنا ثم اني
احفظ عليك انفاسك
واوافقك عليها واحفظ على
أنفاسي ووافقني عليها فان
عجزت عن اختلافها حفظتها
لك فسألني عنها بعد ذلك
وأخذنا بيت أبي الطيب
المتنبي
أهلا بدار سباك اغيدها
أبعد ما بان عنك خردها
فقلت
يا نعمة لا تزال تجددها
ومنة لا تزال تنكدها
فاخذ بعنق البيت قبل
تمامه ومضيق الشعر قبل

ان جاء نظمى قاصرا عن وصفه * عذرا فهذى نشطة التحسين
ولئن كبرت وبان عجزى انما * كانت مسرات اللقا تصبينى
وعجبت من عن جماة رعبتموا * عنى فهذا من فنون جنونى
وقعدت عن ديوان شيخ شيوخنا * فى مصر جار عويس والمتبنى
برهان شوقى قد أقمت دليله * بسنا فتحوت مع ضياء الدين
لازلتم بكمالكم فى نعمة * مقرونة بالنصر والتمكين . انتهى

(ذكر الاستطراد)

*(واستطردوا الخيل ه برىء عنهم فكبت * وقصرت كابا الينا بوصلهم)*

الاستطراد فى اللغة مصدر استطرد الفارس من قرنه فى الحرب وذلك ان يفر من بين يديه يوهمه الانهزام ثم يعطف عليه على غرة منه وهو ضرب من المكيدة وفى الاصطلاح ان تكون فى غرض من اغراض الشعر توهم أنك مستمر فيه ثم تخرج منه الى غيره لمناسبة بينهما ولا بد من التصريح باسم المستطرد به بشرط أن لا يكون قد تقدم له ذكر ثم ترجع الى الاول وتقطع الكلام ٣ فيكون المستطرد به آخر كلامك وهذا هو الفرق بينه وبين المخلص فان الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول وقطع الكلام بعد المستطرد به والامران معدومان فى المخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر الى ما يخلص اليه وحد صاحب الايضاح الاستطراد بحد أتى فيه بالغرض بعدما بالغ فى الايجاز فانه قال الاستطراد هو الانتقال من معنى الى معنى آخر متصل به ثم يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى فى قوله متصل به حل القصد وعدم الاحتياج الى الكلام الكثير وذكر الحاتمى فى حلية المحاضرة انه نقل هذه التسمية عن البحترى وذكر غيره ان البحترى نقلها عن أبى تمام وقال ابن المعتز الاستطراد هو الخروج من معنى الى معنى وفسره بان قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط او الاخبار أو غير ذلك الى معنى آخر يتضمن مدحا وهجوا او وصفا وغالب وقوعه فى الهجاء فمنه قوله تعالى فى كتابه العزيز الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود فذكر ثمود استطراد وقيل ان أول شاهد ورد فى هذا النوع وسار مسير الامثال قول السموأل

وانا القوم لا نرى القتل سبة * اذا ما رأته عامر وسلول

فانظر الى خروجه الداخل فى الافتخار الى الهجو وحسن عوده الى ما كان عليه من الافتخار بقوله

يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

ومنه قول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

ان كنت كاذبة الذى حدثتنى * فنجوت منجى الحرث بن هشام
ترك الاحبة أن يقاتل دونهم * ونجا برأس طمرة ولجام

فانظر كيف خرج من الغزل الى هجو الحرث بن هشام والحرث هو أخو أبى جهل أسلم يوم الفتح وحسن اسلامه ومات يوم اليرموك بالشام ومنه قول البحترى من قصيدة فى

(الاستطراد)
تطاعمه فقال ما معنى تكندها فقلت يا هذا كند النعمة كفرها فرفع يديه ورأسه وقال معاذ الله أن يكون كند بمعنى جحد وانما الكنود القليل الخير فأقبلت الجماعة عليه يوسعونه بريا وفريا ويتلون له قول الله تعالى ان الانسان لربه لكنود وقلت له ألبس الشرط أملك والعهد بيننا ان تسكت ونسكت حتى تتم ونتم ثم نبحث ونفحص فنبذ الادب وراء ظهره وصار الى السخف يكيلنا بصاعه ومده وينفض فيه جعبته

٣ قوله فيكون المستطرد الخ صوابه فلا يكون المستطرد كما يفهم من سابقه ولاحقه

وصف فرس

كالهيكل المبنى الا أنه * فى الحسن جاء كصورة فى هيكل
ملأ العيون فان بدا أعطينه * نظر المحب الى الحبيب المقبل
ما ان يعاف قذى ولو أوردته * يوما خلائق حمدويه الاحول

ومنه قول أحمد بن يحيى البلاذرى يرثى أباتمام

أمسى حبيب رهن قبر موحش * لم يدفع الاقدار عنه بكيد
لم ينجه لما تناهى عمره * أدب ولم يسلم بقوة أيد
قد كنت أرجو أن تنالك رحمة * لكن أخاف قرابة ابن حميد

ما أحسن ما خرج من الرثاء الى الهجو فى حميد بن قحطبة والقرابة التى بينه وبين ابن حميد انهما كانا طائيين ومنه قول الحسين بن على القمى

جاورت اجبالا كأن صخورها * وجنات شجم ذى الحياء البارد
والشوك يفعل فى ثيابى مثل ما * فعل الهجاء بعرض عبد الواحد

ومنه قول أبى محمد بن مكدم وهو غاية فى هذا الباب

وليل كوجه البرقعيدى ظلمة * وبرد اغانيه وطول قرونه
قطعت فنومى عن جفونى مشرد * كعقل سليمان بن فهد ودينه
بذى اولق فيه اعوجاج كانه * أبو جابر فى خبطه وجنونه
الى أن بدا ضوء الصباح كانه * سنا وجه قرواش ونور جبينه

فانظر الى قوة الاستطراد من وصف حاله مع الليل الى هجاء الثلاثة ومدح قرواش * ومنه

اذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه * فليس به باس وان كان من جرم

انظر ما ابلغ ما خرج من الوعظ الى الهجو المؤلم فى قبيلة جرم ومثله

وشادن بالدلال عاتبنى * وامتنى من تدلل العاتب
فكان ردى عليه من خجل * ابرد من شعر خالد الكاتب

ومنه قول ابن المعتز

ولقد شربت مدامة كرخية * مع ماجد طلق اليدين جميد
علت بماء بارد فكأنما * علت ببرد قصيدة ابن سعيد

ومثله قول بعضهم يصف خمرا طبخت حتى راقت وصفت

لم يبق منها وقود الطابخين لها * الا كما ابقت الأنواء من دارى

انظر ما أحلى استطراده من وصف الخمر الى وصف داره بالخراب بألطف كناية والغريب فى هذا الباب الاستطراد من الهجو الى الهجو وهو كقول جرير يهجو أم الفرزدق

لها برص بأسفل اسكتيها * كعنفقة الفرزدق حين شابا

ومثله قوله

وكأنى اقرا بحرف ابى عمرو على القوم سورة الانعام
محنة تصفع ابن عمرو بن يحيى * فى دماغ الاعشى بنعل القطامى

جهده وأفضى الى السفه يغرف علينا غرفا ويستقى من جرفه جرفا فقلت ياهذا ان الادب غير سوء الادب والمناظرة حضرنا الالمنافرة فان نقضت عن هذا السخف يدك وثنيت عن هذا السفه قصدك والا تركت مكالمتك ولو كان فى باب الاستخفاف شئ أعظم من الاحتقار والانكار لبلغته منك فاخذ يمشى على غلوائه ويعن فى هرائه وهذائه فاستندت الى المسند ووضعت اليد على اليد وقلت أستغفر الله من مقالتك ونفضتها قائمة معه وسكت حتى عرف

ولقد

ولقد اردت ان استطرد هنا الى ذكر ما وقع لى وللمتأخرين من الاستطرادات الغريبة فلم اجد أبدع من بيت البديعية فاكتفيت عند قضاة الادب بحسن آدابه فانه اعدل شاهد فى هذا الباب وحبست عنان القلم عن الاستطراد فى وصفه علما ان فى انصاف علماء الادب اذا وقفوا عليه ما يغنى عن ذلك وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

كأن آناء ليلى فى تطاولها * تسويف كاذب آمالى بقربهم

الذى يظهر لى ان الشيخ صفى الدين عبر على الاستطراد ٢ بتقديم اداة التشبيه فى اول البيت وقد تقدم قول صاحب الايضاح أن يقصد بذكر الاول التوصل الى الثانى وما خرج أحد من الاستطراد بطريق التشبيه الا جعل اداة التشبيه مع المستطرد به فى آخر الكلام كقول السرى الرفاء

لنا روضة بالدار صبغ لزهرها * قلائد من حلى الندى وشنوف
يمر بنا فيها اذا ما تبسمت * نسيم كعقل الخالدى ضعيف

فاداة التشبيه جاءت هنا فى الآخر مع المستطرد به كما تقرر ولم يقدم الناظم فى اول البيت ما يتوصل به الى آخره اهـ ومثل هذا الايراد قول ابن جانك الحلبى وهو أظرف ما رأيت فى هذا الباب حكى أنه كتب رقعة الى بعض الحكام وقيل الى قاضى القضاة كمال الدين بن الزملكانى يسأله فيها شيأ فوقع له بخبز وأستحيى أن اقول انه رطلان فتوجه ابن جانك يوما الى بستان بر ناصر فيه فقيل انه لقاضى القضاة المشار اليه فكتب على حائط البستان

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت ابوابها
والبان تحسبها سنانير رأت * قاضى القضاة فنفشت اذنابها

فاستطراده من وصف البستان وتشبيه البان التشبيه المخترع الى هجو قاضى القضاة مرقص عند سماعه * وما شك احد من اهل الادب أن التشبيه غريب فى اختراعه وقيل ان الشيخ بدر الدين بن مالك املى عليها كراسة فى البديع وانا بالاشواق الى رؤيتها ٣ ومن استطرادات ابى عبد الله محمد بن حجاج البغدادى فى طريقه التى لم ينسج على منوالها غيره فان الشيخ جمال الدين ابن نباتة قال فى خطبة كتابه المسمى بتلطيف المزاج فى شعر ابن حجاج فانى رأيت نتائج افكار الشعراء ذرية بعضها من بعض وامم اشعارهم تبعث جميعها فى صعيد واحد من الارض الا اشعار الاريب الفريد ابى عبد الله الحسين بن حجاج فانها امة غريبة تبعث وحدها وذرية عجيبة تبلغ باتقان اللهو واللعب رشدها لم يخطر خاطر احد بمثلها خبرا ولا استطاع على معارضة شهدها صبرا انتهى قول الشيخ جمال الدين واستطراده الموعود بذكره

قوله

تفديك امى وابى * وابنى وان كان صبى
يامن اليه حينما * وجدته منقلبى
يامن مديح غيره * عندى عزيز المطلب
لحية من يشنا الذى * حال رضا او غضب
من عين من يطلبها * بالليل فى استى تختبى

الناس وايقن الجلاس انى املك من نفسى مالا يملكه وأسلك من طريق الحلم مالا يسلكه ثم عطفت عليه وقلت يا ابا بكر ان الحاضرين قد عجبوا من حلمى اضعاف ما عجبوا من علمى وتعجبوا من عقلى أكثر مما تعجبوا من فضلى وبقى الآن ان يعلموا ان هذا السكوت ليس عن عى وأن تكلفى للسفه اشد استمرارا من طبعك وغربى فى السخف امتن عودا من نبعك وسنقرع باب السخف معك ونفترع من ظهر السفه مفترعك فتكلم

٢ قوله على الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد وقوله بعد ذلك من الاستطراد كذا فى النسخ وصوابه الى الاستطراد

٣ قوله ومن استطرادات الخ كذا فى النسخ وهو خبر مقدم لم يذكر مبتدأه ولو قال ولنذكر بعض استطرادات الخ لسلم من هذا

وامه ام الشكو * لذفي استها والريب
ذات حر أوسع من * شارع باب اللعب
وشعرة غليظة * ذات نبات اشيب
قد شاب منها بعضها * وبعضها لم يشب
تنفت منها طاقة * بشدة او تعب
فاشكت انها * لحية ابن الحلي

ومنها في الاستطرادات الغريبة لما بلغه ان المهذب يعشق ابن اخيه وينكر ذلك ويعقد الأيمان عليه بسببه قوله

جارية مثل شرا * ع المضرب المطنب
صعدت من عليها * بالليل فوق مرقب
حتى رأيت ابن اخي * بحضرة المهذب

ومثله قوله من قصيدة

حتى متى أفديك ياستي * بندف قطن استك دقاستي
متى ارى مرمك منهدما * وخصيتي تهزمن تحتي
قالت بهذا الاير واستصغرت * وكان قد نام على بختي
* قلت نعم هذا على مابه * قد ضرط البخت فما انت
هذا اذا قام أستوى طوله * بطول ساقيك اذا نمت
فلو رأيتيه على بيضه * مثل ابن منصور في الدست
خريت بالطول على عارضي * صاحب ديواني او بلت
* يا أيها الاستاذ يامن به * يمسي كما أملته وقتي
خذ بيدي اني في محنة * زلقت فيها في خرا تحتي

وأما قول القاضي الفاضل في هذا الباب على طريقته الفاضلة فانه عجيب وهو

لي عندكم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادي المرهون
فكانني الف ولام في الهوى * وكان موعد وصلكم تنوين

ومثله قول مسلم بن الوليد

سريت بها حتى تجلت بغرة * كغرة يحيي حين يذكر خالد

وغاية الغايات في هذا الباب قول عبد المطلب جد النبي صلى الله عليه وسلم

لنا نفوس لنيل المجد عاشقة * ولو تسلت اسلناها على الاسل
لا ينزل المجد الا في منازلنا * كالنوم ليس له مأوى سوى المقل

انظر الى هذه البلاغة الهاشمية كيف جمعت بين حشمة الافتخار وتفخم الحماسة وبديع الافتنان وغريب الاستطراد ورقة الانسجام انتهى الكلام على بيت الشيخ صفي الدين الحلي وبيت العميان

قد افصح الضب تصديقا لبعثته * افصاح قس وسمع القوم لم يهم

الآن فقال لي انا قد كسبت بهذا العقل دية أهل همذان مع قلته فما الذي افدت انت بعقلك مع غزارته فقلت أما قولك دية أهل همذان فما اولاني أن لا أجيب عنه لكن هذا الذي تمدح به وتتبجح وتتشرف وتتصلف من انك شحذت فاخذت وسألت فصلت واجتديت فاقتنيت فهذا عندنا صفة ذم يا عافاك الله ولأن يقال للرجل يا فاعل يا صانع احب اليه من ان يقال يا شحاذ ويا مكدي وقد صدقت انت في هذه الحلبة اسبق وفي هذه الحرفة اعرق ولعمرك انك اشحذ وانك في الكدية انفذ وانا قريب العهد بهذه الصنعة حديث الورد لهذه الشرعة مرمد البد في هذه الرقعة فأما مالك فعندنا يهودي يملك في مذهبه ويزيد بذهبه ومع ذلك لا يطرف الابعين الرهبة ولا يمد الى الآيد الرغبة ولو كان حظا لأخطأ مثل هذا العقل ولو كان المال غنما لما ادركته بهذا السعي ولكن عرفني هل كنت فيما سلف من زمانك ونبت من اسنانك الا هاربا بذمائك مضرجا بدمائك جرتها بقولك بين وجنة

وهذا البيت على طريق الشيخ صفي الدين الحلي فان ناظمه قصد بذكر الاول التوصل الى الثاني وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يستطرد الشوق خيل الدمع سابقة * فيفضل السحب فضل العرب للعجم

الذي اقوله ان الشيخ عز الدين رحمه الله أحرز قصبات السبق بما استطرده هنا على الشيخ صفي الدين وعلى العميان مع التزامه بتسمية النوع المورى به من جنس الغزل ومراعاة جانب الرقة ونظم الاستطراد على الشرط المذكور وبيت بديعيتي

واستطردوا خيل شوقي عنهم فكبت * وقصرت كلما البنا بوصلهم

وهذا البيت غريب ولابد لاهل الادب من تأهيل غريبه انتهى

(ذكر الاستعارة)

(وكان غرس التمني يانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم)

الاستعارة عندهم افضل من المجاز وهي اخص منه اذ قصد المبالغة شرط في الاستعارة دون المجاز ووقعها في الاذواق السليمة ابلغ وليس في انواع البديع اعجب منها اذا وقعت في مواقعها وللناس فيها اختلاف كثير وأما اصحاب المعاني والبيان فانهم اطلقوا فيها اعنة اقلامهم وجالوا بها في ميادين البحوث وليس الغرض هنا الانفس الاستطراد الى ماوقع فيها من المحاسن نظما ونثرا بعد تقريبها الى الاذهان بحدود يزول بها الالتباس * حد الرماني الاستعارة فقال هي تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على سبيل النقل وذكر الخفاجي كلام الرماني وقال تفسير هذه الجملة قوله عز وجل واشتعل الرأس شيبا استعارة لان الاشتعال للنار ولم يوضع في اصل اللغة للشيب فلما نقل اليه بان المعنى لما اكتسبه من التشبيه لان الشيب لما كان يأخذ من الرأس شيأ فشيأ حتى يحيله الى غير لونه الاول كان بمنزلة النار التي تسري في الخشب حتى تحيله الى غير حاله المتقدمة فهذا هو نقل العبارة عن الحقيقة في الوضع للبيان ولابد ان تكون الاستعارة ابلغ من الحقيقة لاجل التشبيه العارض فيها لان الحقيقة لو قامت مقامها لكانت اولى بها ولا يخفى على اهل الذوق أن قوله تعالى واشتعل الرأس شيبا ابلغ من كثر شيب الرأس وهو حقيقة ولابد للاستعارة من مستعار منه ومستعار ومستعار له فالنار مستعار منها والاشتعال مستعار والشيب مستعار له انتهى * ومنهم من قال هي ادعاء معنى الحقيقة في الشئ للمبالغة في التشبيه وهذا يؤيد قول ابن جني ان لم تكن الاستعارة للمبالغة والا فهي حقيقة وكلام ابن جني حسن في موضعه فان الشئ اذا اعطي وصف نفسه لم تكن استعارة وقال ابن المعتز هي استعارة الكلمة لشئ لم يعرف بها من شئ عرف بها كقول النبي صلى الله عليه وسلم ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء فاستعار صلى الله عليه وسلم الفحمة للعشاء لقصد حسن البيان ومنهم من قال هي استعارة الشئ المحسوس للشئ المعقول قال فخر الدين الرازي هي جعلك الشئ للشئ للمبالغة في التشبيه وقال ابن ابي الاصبع في تحرير التحبير هي نقل اسم الراجح الى المرجوح لطلب المبالغة في التشبيه وحسن البيان فانك اذا قلت زيد اسد فقد نقلت اسم الاسد لزيد لكن الاسد راجح في الجراءة وزيد مرجوح وقد بالغت في تشبيه زيد بالاسد واحسنت البيان انتهى ولا تحسن الاستعارة

(الاستعارة)

موشومه وجوارح مهشومه ودار مهدومه وخدود ملطومه ومتى صفت مشاربك او اخصبت مرابعك الا في هذه الايام القذرة وستعرف غدك من بعد وتنكر أمسك وتعلم قدرك في غد وتعرف نفسك وما أضيع وقتا انطقته بذكرك واسانا دنسته باسمك وملت الى القوال فقلت أسمعنا خيرا فدفع القوال وغنى ابياتا منها

وشبهنا بنفسج عارضيه
بقايا اللطم في الخد الرقيق

فقال ابو بكر احسن ما في الامر اني احفظ هذه القصيدة وهو لا يعرفها فقلت يا عافاك الله اعرفها وان انشدتكها ساءك مسموعها ولم يسرك مصنوعها فقال انشد فقلت انشد ولكن روايتي تخالف هذه الرواية وأنشدت

وشبهنا بنفسج عارضيه
بقايا الوشم في الوجه الصفيق

الا اذا كان التشبيه مقربا وكلما زاد التشبيه خفاء زادت الاستعارة حسنا وما احسن قول ذى الرمة هنا

أقامت بها حتى ذوى العود فى الثرى * وكف الثريا فى ملاءته الفجر

فاستعار للفجر ملاءة واخرج لفظه مخرج التشبيه وكان ابو عمرو بن العلاء لا يرى ان لاحد مثل هذه الاستعارة واحسن الاستعارات ما قرب منها دون ما بعد واعظمها فى هذا الباب قوله تعالى والصبح اذا تنفس فان ظهور الانوار من المشرق من اشعة الشمس قليلا قليلا بينه وبين اخراج النفس مشابهة شديدة القرب ومن هذا النور استضاء الحريرى فى مقاماته بقوله الى أن عطس انف الصباح وقد تقدم ان بعد الاستعارة يعد من القلوب عند أهل الذوق كقول ابى نواس مع يقظته

بح صوت المال مما * منك يشكو ويصيح

فاى شئ ابعد استعارة من صوت المال وكيف يصيح ويبح من الشكوى ومثله قول بشار

وجدت رقاب الوصل اسياف هجرنا * وقدت لرجل البين نعلين من خدى

قال ابن رشيق فى العمدة ما اقبح رجل البين واهجن استعارتها وكذلك رقاب الوصل ومثله قول ابن المعتز وهو من انقد النقاد

* كل يوم يبول زب السحاب *

واين هذا البعد من قرب استعارة ابن نباتة القديم فى قوله

حتى اذا نهر الاباطح والثرى * نظرت اليه باعين النوار

فنظر اعين النوار من اشبه الاستعارات وأليقها وأقربها لان النوار يشبه العيون اذا كان مقابلا لمن يمر به كأنه ناظر اليه ويعجبنى هنا قول القائل ولم يلحق مما قاله

مجرة جدول وسماء آس * وانجم نرجس وشموس ورد

ورعد مثالث وسحاب كاس * وبرق مدامة وضباب ند

ومن الغايات فى هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم

ما زلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

والذى اتفق عليه علماء البديع ان الاستعارة المرشحة هى المقدمة فى هذا الباب وليس فوق رتبتها فى البديع رتبة واعلاها واغلاها قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم فان الاستعارة الاولى وهى لفظ الشرا رشحت الثانية وهى لفظ الربح والتجارة ومن الاستعارات المرشحة قول الامام على بن ابى طالب رضى الله تعالى عنه الدنيا من أمسى فيها على جناح امن أصبح فيها على قوادم خوف فان الاستعارة الاولى التى هى لفظ الجناح رشحت الثانية وهو لفظ القوادم مع زيادة المطابقة بين الامن والخوف والصباح والمساء وناهيك بالبلاغة الهاشمية وباب المدينة وما احلى قول بعض العرب فيما جعلنا رماحنا ارشية الموت فاستقينا بها ارواح العدا ومثله قول الشاعر

سلامة بن نجاح * يجدحث الراح

فاتته السكتة واضمرته السكتة وانطفأت تلك الوقدة وانحلت تلك العقدة واطرق مليا وقال والله لاضربنك وان ضربت ولاشتمنك وان شتمت ولتعلمن نبأه بعد حين ولتعلمن اينا الضارب واينا المضروب وقلت يا ابا بكر مهلا فانك بين ثلاثة فصول لم تخطها من عمرك وثلاثة احوال لم تتعدها فى امرك وانت فى جميع الثلاثة ظالم فى وعيدك متعد فى تهديدك لانك كهل وانت شاعر وكنت شابا وأنت مقامر وكنت صبيا وانت مؤاجر فنطاق القدرة فى الفصول الثلاثة ضيق عن هذا الوعيد لكنا نصفعك الآن ونضربنا فيما بعد فقد قيل اليوم قصف وغدا خسف وقيل اليوم خمر وغدا امر فقال ابو بكر والله لو دخلت الجنة واتخذت السندس والاستبرق جنة لصفعت نقلت والله لوان فقال

اذا تغنى زمرنا * عليه بالاقداح

ومثله لابن سكرة وشتان بين قوله هنا و بين قوله فى الكافات

قبل ما اعددت للبر * دفقد جابشده

ط قلت دراعة عرى * تحتها جبة رعده

والذى يشاهنا قول القائل

والشمس لاتشرب خمر الندى * فى الروض الابكوس الشقيق

ومثله قول ابن رشيق رحمه الله

باكر الى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المزاح

من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادى من ثغور الاقاح

وما الطف قول ابى زكريا المغربى وقد ترجمه ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب فى تاريخه المسمى بالاحاطة فى تاريخ غرناطة وهو

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزامى

كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما

* تحسب البدر محيا ثملا * قد سقته راحة الصبح مداما

ويعجبنى هنا قول ابن قلاقس

وفى طى ابراد النسيم خميلة * باعطافها نورا لمنى يتفتح

تضاحك فى سر المعاطف عارضا * مدامعه فى وجنة الروض تسفح

وتورى به كف الصبا زند بارق * شرارته فى فحمة الليل تقدح

وقال ابو الحسن على بن ظافر العسقلانى فى كتابه المسمى ببدائع البداية اجتمعت انا والقاضى الاعز يوما فى روضة فقلت له اجز * طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال وجاء مبلول الجناح بالمطر * وما ابدع قول ابن خفاجة فى هذا الباب

وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * باضعف من طرف المريب وافترا

وصفرة مسواك الاصيل تروقنى * على لعس من مسقط الشمس اسمرا

وممن تلطف فى استعمال الاستعارة المرشحة الى الغاية مجد الدين الاربلى بقوله

اصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملال

لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذال

وممن جاراه فى هذه الحلبة ابو الوليد بن حيان الشاطبى بقوله

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب يذرف

برداء الشمس اضحى * بعد ما سال يجفف *

وظريف قول مجير الدين بن تميم منها

كيف السبيل لان اقبل خد من * أهوى وقد نامت عيون الحرس

وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومثله قوله

غدا فى درج فى خرج فى
برج لاخذلك من النعال
ما قدم وما حدث وشملك
من الصفع ما طاب وخبث
وانشدت قول ابن الرومى
ان كان شيخا سفيها
يفوق كل سفيه
فقد اصاب شبيها
له وفوق الشبيه
ثم لما آبت نفس العقل
وزال سكر الغيظ تمثلت
بقول القائل
وازالنى طول النوى دار
غربة * اذا شئت لاقيت امرأ
لااشاكله
أحامقه حتى يقال سجية
ولو كان ذا عقل لكنت أعاقله
ودفع القوال فبدأ
بأبيات ولحن باصوات
وجعل النعاس يثنى الرؤس
ويمنع الجلوس فقمنا عن
الليل وهو بحر ومائل الذقن
الى ما وطأ من مضجع
ومهد من مهجع ولم يكن
النوم ملء الجفون ولا شغل
العيون حتى اقبل وفد
الصباح وجعل المؤذن

لما ادعى المنثور أن الورد لا * يزرى وأن يصلى بنار سعير
ودت ثغور الاقحوان لو انها * كانت تعض أصابع المنثور

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من احببته * فى روضة للزهر فيها معرك
مابين منثور أقام ونرجس * مع اقحوان فضله لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الى وثغر هذا يضحك

وما احلى قول محيي الدين بن قرناص الحموى

قد اتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندا بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من انامل الاغصان

وقال البدر الذهبى واجاد

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومثله قول ابن عمار

يا ليلة بتنا بها * فى ظل اكناف النعيم
من فوق اكمام الريا * ض وتحت اذيال النسيم

واما مطلع قصيد ابن النبيه فى هذا الباب فانه ابهى من مطالع الاقمار * وديباجة الاستعارة من حليه تستعار * وهو

تبسم ثغر الزهر عن شنب القطر * ودب عذار الظل فى وجنة النهر

وهذا المعنى مولد من قول ابن خفاجة الاندلسى

* وطرة ظل فوق وجه غدير *

ولكن ابتسام ثغر الزهر عن شنب القطر فى قول ابن النبيه غاية وتلطف الشريف العقيلى فى هذا الباب بقوله

وروضة الجام فيها * من زهرة الراح ورد
فاشرب على وجه روض * له من الماء خد

وما احلى قول القاضى السعيد بن سناء الملك هنا

ولبعدهم طالت ذوائب ليلهم * فيها تغطى ضوء وجه نهارهم

واحلى منه قوله

سرى طيفه لا بل سرى لى شرابه * وقد طار من وكر الظلام غرابه
اتى مع نقس الليل صفحة خده * فقلت حبيب قد أتانى كتابه

وقال من غيرها بشوك القنا يحمون شهد رضابها

وما احلى تكميله بقوله * ولا بد دون الشهد من ابر النحل ومثله قوله

الى حبائل صيد من ذوائبه * فصاد قلبى باشراك من الشعر

واحلى منه قوله

خصر ادير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلى له تعنيق

بالفلاح ونبا الى النهوض بالمفروض فاجبنا فلما قضينا الفروض فارقنا الارض فأوى الى ام مثواه واويت الى الحجرة وظنى ان هذا الفاضل ياكل يده ندما ويبكى على ما جرى دما ودما فانه اذا سمع بحديث همذان قال الهاء هم والميم موت والذال ذل والالف آفة والنون ندامة وانه اذا نام راه مناطيف واذا انتبه راعه مناسيف واخذ الناس يتغامزون بما جرى ويتغامزون وراب هذا الفاضل تغامزهم مثل ماراب المريض تغامز العواد فجعل يحلف الناس بالعتق وتحرير الرق والمكتوب فى الرق انه اخذ قصب السبق وانه ينطق عن الحق والناس اكياس لا يقنعهم عن المدعى يمين دون شاهدين وسعوا بيننا بالصلح يحكمون قواعده ومعاقده وعرفناه فضل السن فقصدناه معتذرين

وغاية

وغاية الغايات قوله

بعثت لى على فم الطيف قبله * فأتانى بعض المسرة جله

ومن الاستعارات الحسنة فى هذا الباب قول شمس الدين بن العفيف فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

حيا الثنايا تربة الهادى الرسول حياه * بمنطق الرعد بادمن فم السحب

وظريف هنا قول ابن قلاقس

هدتنا السرور بنجوم راح * بها قذفت شياطين الهموم
وكف الصبح تلقطها تبدى * بجيد الليل من درر النجوم

ومن اللطائف فى هذا الباب قول ابى الحسن العقيلى

لنا اخ يحسن ان يحسنا * رضاه تجانين عذب الجنى
قدعرفت روضة معروفه * بانها تنبت زهر الغنى
اذا تبدى وجه احسانه * تنزهت فيه عيون المنى

ويعجبنى فى الاستعارة المرشحة قول ابن سعيد الموصلى من قصيدة يتشوق فيها الى دمشق المحروسة فانه اتى فيها فى بيت واحد باستعارات كثيرة مع اجتناب الحشو ومطلع القصيدة قوله

سقى دمشق واياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها

وبيت الاستعارة بعده

ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى احشا اراضيها

ومن اغرب الاستعارات وأبدعها واحشمها قول ابن زيدون من قصيدته النونية المشهورة

سران فى خاطر الظلماء يكتمنا * حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

وقد عن لى ان انثر فى حدائق الاستعارة نبذة من زهر المنثور واورد منه ما زهو بورود على روضات الزهور كقول القائل وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار فى غلائل نور الى ان ذاب ذهب الاصيل على لجين الماء وشبت نار الشفق فى فحمة الظلماء ومثله قول على بن ظافر الحداد فى دوح انعطفت قدود أشجاره وابتسمت ثغور ازهاره وذر كافور رمانه على عنبر طينه وامتدت بكاسات الجلنار انامل غصونه وقال آخر وأجاد وقد عرق بالندا جبين النسيم وابتل جناح الهواء وضربت خيمة الغمام واغرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد فنبض عرق البرق ولقد حاز القاضى الفاضل قصبات السبق فى هذا الميدان بقوله كتبها المملوك وقد عشت مقلة السراج وشابت لمة الدواة وخرس لسان القلم وكل خاطر السكين وضاق صدر الورق وما احلى قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الازهار ودراهمها قد تهيأت لتسليم قابضها وقال جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق وقدود الاغصان قد راسلت اهواء القلوب بالاوراق وقيان حمائمها قد ترنمت وجذبت القلوب بالاطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفككت ازراره من اجياد القضب انامل النسيم وخرجت أكفه من أكمامه لاخذ البيعة على

اليه فاومأ اليها مهيضة واهتزاهتزازة مغيضة واشار اشارة مريضة بكف سحبها على الهواء سحبا وبسطها فى الجو بسطا وعلمنا أن المقمور ان يستخف ويستهين والقامر ان يحتمل ويلين فقلنا ان بعد الكدر صفوا كما ان عقب المطر صحوا فهل لك فى خلق فى العشرة نستأنفها وطرق فى الخلطة نسلكها فان ثمرة الخلاف ما قد بلوتها فقال ظهر الوفاق لفظا كما ذكرت والجميل اجمل كما علمت وسنشترك هذا العنان وعرض علينا الاقامة عنده صحابة ذلك اليوم فاعتللنا بالصوم فلم يقبل العذر والح فقلت انت وذاك فطعمنا عنده واخذنا دندان مزده وخرجنا والنية على الجميل موفورة وبقعة الود معمورة وصرنا لا نتعال الا بحمده ولا نتنقل الا بذكره ولا نعتد الا بوده لا بل

الازهار بالتقديم ومما كتبته فى البشارة الصادرة عن الملك المؤيد عند عوده من البلاد الرومية وحلول ركابه الشريف بحلب المحروسة المتضمنة مامن الله به من الفتح الذى صار له فى الروم قصص سنة عشرين وثمانمائة فمن ذلك قولى عند حصار قلعة طرسوس وفتحها ورأوا ألسن السهام فى افواه تلك المرامى فقالوا رأينا المصائب ناطقة ومارموا على سماء برج غيوم ستائر الالمعت فيها من بوارق نقوطها بارقة وحكم عليهم القضاء بالاعتقال ولم يأتوا عند ذلك الحكم بدافع هذا بعد ماصفق مقبلهم جادوجهه نبصقت فيه أفواه المدافع وقولى فى الاستعارة المرشحة أيضا عند حصار قلعة درندة وفتحها وقررنا صدع سورها باختلاف الآلات فجاء ماقررناه نقشا على حجر وادعت ان صخرها اصم فاسمعناه من آذان المرامى تنقير المدافع وتحريك الوتر وقرعنا سن جبالها بنابات المدافع وكسرنا منه الثنية واستحلق مراميها كالخواتم فى أصابع سهامنا المستوية ومثله قولى عند حصار قلعة كختار وفتحها على لسان حال القلعة فى سموها وافراط علوها فانا الهيكل الذى ذاب قلب الاصيل على تذهيبه وودّ دينار الشمس ان يكون من تعاويذه والشجرة التى لولا سمو فرعها تفكهت به حبات الثريا وانتظمت فى سلك عناقيده وتشامخ هذا الحصن ورفع أنف جبله وتشامم فارمدنا عيون مراميه بدم القوم واميال سهامنا على تكحيلها تتزاحم وغاية الغايات فى هذا الباب قولى عند حصار قلعة كركر وتنكرت اكراد كركر بسور القلعة فعرفناهم بلامات القسى وألفات السهام وعطست انوف مراميها باصوات مدافعنا وكان بها زكام ومن حسن ختامها ولم نخرج عما نحن فيه من بديع الاستعارة وغريبها قولى فلا بكر قلعة الا افتضينا بكارتها بالفتح وابتذلنا من ستائرها الحجاب ولا كاس برج اترعوه بالتحصين الا توجنا رأسه من حبات مدافعنا بالحباب انتهى ولم احبس عنان القلم عن الاستطراد الى ماوقع لى من محاسن الاستعارة نظما الا للتخفيف عن بيت البديعية وقلت تكفيه المزاحمة فى مناظرة الشيخ صفى الدين الحلى ومبارزة الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله وحمل ثقل العميان فبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله فى بديعيته وهو الشاهد على نوع الاستعارة

ان لم احث مطايا العزم مثقلة * من القوافى تؤم المجد عن أمم

وبيت العميان

يقول صحبى وسفن العيس خائضة * بحر السراب وعين القيظ لم تنم

بيت الشيخ صفى الدين وبيت العميان لم يحسن السكوت عليهما ولا تتم الفائدة بهما فان بيت الشيخ صفى الدين متعلق بما قبله وبيت العميان متعلق بما بعده وبيت الشيخ عز الدين صالح للتجريد وهو

دع المعاصى فشيب الرأس مشتعل * بالاستعارة من ازواجها العقم

اقول ولو بلغت ماعسى ان يكون ان فى قوله من ازواجها العقم ماير عب السامع وبيت بديعيتى

وكان غرس التمنى بانعا فذوى * بالاستعارة من نيران هجرهم

وقد تقدم ان المقدم عند علماء البديع الاستعارة المرشحة فلفظة غرس رشحت بيانع واما قولى بالاستعارة من نيران هجرهم بعد ذوى فما اعده الا من المنح الالهامية فان اسم النوع

ملانا البلد شكرا والاسماع نشرا وبتنا نحن من الحال فى اعذبها شيرعة ومن النقة فى اطيبها جرعة ومن الظنون فى احلها فرعة ومن المودة فى اعزها بقعة واوسعها رقعة حتى طرأ علينا رسولان متحملان لمقالته مؤديان لرسالته ذاكران ان ابا بكر يقول قد تواترت الاخبار وتظاهرت لآثار فى أنك قهرت وانى قهرت ولا أشك ان ذلك التواتر عنك صدرت اوائله والخبر اذا تواتر به النقل قبله العقل ولابد ان نجتمع فى مجلس بعض الرؤساء فنتناظر بشهد الخاصة والعامة فانك متى لم تفعل ذلك لم آمن عليك تلامذتى او تقر بعجزك وقصورك عن بلوغ امدى وما أبدى فعجبت كل العجب عما سمعت واجبته فقلت اما قولك قد تواتر الخبر بانك قهرت وان ذلك عن جهتى صدر

الذى هو الاستعارة جمع بين التورية والاستعارة والترشيح مع عدم الحشو وصحة التركيب والمشى على جادة الرقة والالتزام بتسمية النوع مورى به من جنس الغزل انتهى

(ذكر الاستخدام)

(واستخدموا العين منى وهى جارية * وقد سمحت بها أيام عسرهم)

الاستخدام هو استفعال من الخدمة واما فى الاصطلاح فقد اختلفت العبارات فى ذلك على طريقين الاولى طريقة صاحب الايضاح ومن تبعه ومشى عليها كثير من الناس وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين فتريد بذلك اللفظ أحد المعنيين ثم تعيد عليه ضميرا تريد به المعنى الآخر أو تعيد عليه ان شئت ضميرين تريد باحدهما أحد المعنيين وبالآخر المعنى الآخر وعلى هذه الطريقة مشى أصحاب البديعيات والشيخ صفى الدين الحلى والعميان والشيخ عز الدين وهلم جرا الثانية طريقة الشيخ بدر الدين بن مالك رحمه الله تعالى فى المصباح وهى ان الاستخدام اطلاق لفظ مشترك بين معنيين ثم يأتى بلفظين يفهم من احدهما أحد المعنيين ومن الآخر المعنى الآخر ثم ان اللفظين قد يكونان متأخرين عن اللفظ المشترك وقد يكونان متقدمين وقد يكون اللفظ المشترك متوسطا بينهما والطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين وهذا هو الفرق بين التورية والاستخدام فان المراد من التورية هو احد المعنيين وفى الاستخدام كل من المعنيين مراد ونقل الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ما يؤكد هذا فانه قال المشترك اذا لزم استعماله فى مفهوميه معا فهو الاستخدام وان لزم فى أحد مفهوميه فى الظاهر مع لمح الآخر فى الباطن فهو التورية ومنهم من قال الاستخدام عبارة عن ان يأتى المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا متوسطة بين قرينتين تستخدم كل قرينة منهما معنى من معنى تلك اللفظة المشتركة وهذا مذهب ابن مالك وعلى كل تقدير فالطريقتان راجعتان الى مقصود واحد وهو استعمال المعنيين بضمير وغير ضمير وأعظم الشواهد على طريقة ابن مالك ومن تبعه قوله تعالى لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت فان لفظة كتاب يحتمل ان يراد بها الاجل المحتوم والكتاب المكتوب وقد توسطت بين لفظتى اجل ويمحو فاستخدمت أحد مفهوميها وهو الامد بقرينة ذكر الاجل واستخدمت المفهوم الآخر وهو الكتاب المكتوب بقرينة يمحو ومنه قوله من القصيدة النباتية

حويت ريقا نباتيا حلا فغدا * ينظم الدر عقدا من ثناياك

فان لفظة نباتى يحتمل الاشتراك بالنسبة الى السكر والى ابن نباتة الشاعر وقد توسطت بين الريق وحلاوته وبين الدر والنظم والعقد فاستخدمت احد مفهوميها وهو السكر النباتى بذكر الريق والحلاوة واستخدمت المفهوم الآخر وهو قول الشاعر النباتى بذكر النظم والدر والعقد وليس فى جانب من المفهومين اشكال وأما شاهد الضمائر على طريق صاحب الايضاح فجميع كتب المؤلفين لم يستشهدوا فيها على عود الضمير الواحد الا بقول القائل

اذا نزل السماء بارض قوم * رعيناه وان كانوا غضابا

فلفظة السماء يراد بها المطر وهو أحد المعنيين والضمير فى رعيناه يراد به المعنى الآخر وهو

(الاستخدام)

ومن لسانى جمع فبالله ما اتمدح بقهرك ولا أتبجح بقصرك وان انفسك عندك اشأنا ان ظننتنى أقف هذا الموقف أما ان شاء الله تعالى أبعد مرتقى همة ومصعد نفس أسأل الله ستراعنه ووجها لا يسود فاما التواتر من الناس والتظاهر على الى قهرتك فلو قدرت على الناس لخطت افواههم ولقبضت شفاههم فالحيلة وهل الى ذلك سبيل فاتوسل أم ذريعة فأتوصل ثم هذا التواتر ثمرة ذلك التناظر مع ذلك التساتر فان كان قد ساءك فاحرى ان يسوءك عند مجتمع الناس ومحتفل أولى الفضل ولان يترك الامر مختلفا فيه خير لك من ان يتفق عليه وان احببت ان نطير هذا الواقع ونهيج هذا الساكن فرأيك موفقا فاما هذا الوعيد فقد عرضته

الثبات وأما شاهد الضميرين فانهم لم يخرجوا به عن قول البحتري وهو

فسقى الغضى والساكنيه وان هم * شبوه بين جوانحي وضلوعي

فان لفظة الغضى محتملة الموضع والشجر والسقيا صالحة لكل منهما فلما قال والساكنيه استعمل احد معنى اللفظة وهو الموضع بدلالة القرينة عليه ولما قال شبوه استعمل المعنى الآخر وهو الشجر بدلالة القرينة عليه انتهى والشيخ صفي الدين رحمه الله لم يستطرد في شرح بديعيته الى غاية ذلك ولكن رأيته في شرحه قد أورد على بيت البحتري نقدا حسنا ليس فيه تحمل ولا اشكال فانه قال شرط علماء البديع ان يكون اشتراك لفظة الاستخدام اشتراكا أصليا والنظر هنا في اشتراك لفظة الغضى فانه ليس باصلي لان أحد المعنيين منقول من الآخر والغضى في الحقيقة الشجر وسموا الوادي غضى لكثرة نبته فيه وقالوا جمر الغضى لقوة ناره فبكل منقول من أصل واحد ولم يرد في كتب المؤلفين غير هذين البيتين وقول أبي العلاء

قصد الدهر من ابي حمزة الاوّاب مولى حجى وخدن اقتصاد

وفقيها افكاره شدن للنعمان مالم يشده شعر زياد

فالنعمان يحتمل هنا اباحنيفة رضي الله عنه ويحتمل النعمان بن المنذر ملك الحيرة فان الزمخشري صنف كتابا في مناقب أبي حنيفة سماه شقائق النعمان في حقائق النعمان وأما أبو العلاء فانه أراد بلفظ النعمان اباحنيفة وأراد بالضمير المحذوف ابن المنذر ملك الحيرة وزياد هنا هو النابغة وكان معروفا بمدح النعمان بن المنذر وهذا يصح على طريقة ابن مالك فان فقيها يخدم أباحنيفة وشعر زياد يخدم النعمان بن المنذر ولا يصح على مذهب صاحب الايضاح فان ضمير يشده لم يعد على واحد منهما لان شرط الضمير في الاستخدام ان يكون عائدا على اللفظة المشتركة ليستخدم بها معناها الآخر كما قال البحتري في شبوه فهذا الضمير عائد على الغضى وهذا جعل الضمير في يشده غير عائد على اللفظة المشتركة التي هي النعمان فصار طيب الذكر الذي يشيده زياد لا يعلم لمن هو لان الضمير لا يعود على النعمان اللهم الا ان يكون التقدير مالم يشده له فيعود الضمير على النعمان بهذا التقدير انتهى وما أحلى قول بعض المتأخرين مع عدم التعسف والسلامة من النقد وصحة الاشتراك الاصلي وهو

وللغزالة شئ من تلفته * ونورها من ضيا خديه مكتسب

وأنا بالاشواق الى معرفة الناظم وهذا النوع أعني الاستخدام قل من البلغاء من تكلفه وصح معه بشروطه لصعوبة مسلكه وشدة التباسه بالتورية وقد تقدم ما أوردناه من النقد على بيتي البحتري وأبي العلاء وهو أعلى رتبة عند علماء البديع من التورية وأحلى موقعا في الاذواق السليمة ولكن قل من ظفر منه بسلامة التخلص من علق النقد وصعد من غور التعسف الى نجد السهولة قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن أنواع البديع ما هو نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع وهو نوع التورية والاستخدام الذي تقف الافهام حسرى دون غايته عند مرامي المرام

نوع يشق على الغبي وجوده * من أي باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع ولا يقرع بابه قارع الا من نحا البلاغة نحوه في الخطاب ويجري

على جوانحي اجمع وجوارحي
كلها فلم تنشد الامة القائل
وعيد تجرح الآرام منه
وتسكر نية الغنم الذئاب
فكم تشكوكب تلامذتك
ويتعسكرون ويتعيش
أصحابك ويتجيرفون ولست
اراك الا بين فتنتين احداهما
(تروح الى اتى وتغدو الى
طفل) والاخرى تجيب دعوة
المضطر اذا دعاك بسلفات
فان كان الله قضى أن القتل
بأخس السلاح فلا مفر
من القدر المتاح رزقنا الله
عقلا به نعيش ونعوذ بالله
من رأي بنا يطيش وقلنا من
بعد ان رسالتك هذه وردت
موردا لم نحتسبه ووصلت
موقفا لم نرتقبه فلذلك
خرج الجواب عن البصل
ثوما وعن البخل لوما فلما
ورد الجواب عليه وسع من
الغيظ فوق طاقته وحمل
من الحقد فوق عبئه وقال
قد بلغ السيل الزبا وعلت

ريحها بأمره رخاء حيث أصاب على ان المتقدمين ما قصدوه جملة كافيه ولا شعروا به لما شعروا انه دخل معهم فى بيت تحت قفل قافيه وأما المولدون من الشعراء كالفرزدق وجرير ومن عاصرهما وخاض معهما لجة بحر البلاغة فلم يرد أحد منهم ورد هذا الغدير وأما الذين تفقهوا من بعدهم فى الادب وتنبهوا وتخلل ظرفه بالطلب فربما قصدوا بعض أنواع البديع فجادت اذجاءت وفاتت مرة أخرى وأخرى فاءت وقد قصد أبو تمام كثيرا من الجناس وفتح أبوابه وشرع طرقه للناس وأما التورية والاستخدام فما تنبه لمحاسنهما وتيقظ وتحرى وتحرر وتحفظ وتحفظ الامن تأخر من الشعراء والكتاب وتضلع من العلوم وتطلع من كل باب واظن ان القاضى الفاضل رحمه الله تعالى هو الذى ذلل منهما الصعاب وأنزل الناس بهذه الساحات والرحاب حتى ارتشف هذه السلافة أهل عصره وأصحابه الذين نزلوا ربوع مصره وخفقت رياحهم بالاخلاص فى نصره كالقاضى السعيد هبة الله بن سناء الملك ومن انخرط معه فى هذا السلك ولم يزل هو ومن عاصره على هذا المنهج فى ذلك الاوان ومن جاء بعدهم من التابعين باحسان الى ان جاء بعدهم حلبة اخرى وزمرة تترى فكلهم يرمون فى هذا الاحسان عن قوس واحده ويتفقون من مادة هى فى الجود معن بن زائده ويصلون المقطوع بالمقطوع فلا تخلو فيه كلمة فائتة من فائده وغالب شعرهم على هذا النمط وأكثره درر اسماع متى تلتق تلتقط كابى الحسين الجزار والسراج الوراق والنصير الحمامى والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فهؤلاء هم الفحول الذين جدوا بعد القاضى الفاضل الى هذه الغايه ورفعوا راية هذا النوع وكان كل منهم عرابة تلك الرايه تسابقوا جيادا والديار المصرية لهم حلبه وتلاحقوا أفرادا وهم فى شرف هذا الفن من هذه النسبه وجاء من شعراء الشام جماعة تأخر عصرهم وتأزر نصرهم ولان فى هذا النوع هصرهم وبعد حصرهم فيما أرادوه كما زاد حصرهم كل ناظم تود الشعرى لو كانت له شعرا ويود الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا منهم شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص وشمس الدين بن محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد ثم ان الشيخ صلاح الدين قال فى آخر هذا الفصل وهؤلاء معهم جماعة يحضرنى ذكرهم عند شعرهم ويعز على ان لم ارهم على تكاثرهم لفوات عصرهم وكانى بقائل يقول لقد أفرطت فى التعصب لاهل مصر والشام على من دونهم من الانام وهذا باطن باطل وعدوان وحمية لاوطانك وما جاورها من البلدان فالجواب ان الكلام فى التورية والاستخدام لاغير ومن هنا تقطع المادة فى السير ومن ادعى انه يأتى بدليل وبرهان فالقياس بيننا والشقراء والميدان وقد رجح صاحب يتيمة الدهر شعراء الشام على شعراء العراق وقال انهم حازوا قصبات السبق عليهم فى حلبة السباق فانهم قوم جبلت طباعهم على اللطافه وطبعت جبلتهم على الكيس والظرافه انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى قلت واتصل هذا الحديث القديم بالشيخ جمال الدين بن نباتة فاينع فرعه النباتى بغضه

الوهاد الربا فى أمرك وسترى فى يومك وتعرف فى قومك ثم مضت على ذلك أيام ونحن منتظرون لفاضل ينشط لهذا الفصل ويتطريننا بالعدل فاتفقت الآراء على أن يعقد هذا المجلس فى دار الشيخ أبى القاسم الوزير واستدعيت فسرحت الطرف من ذلك السيد فى عالم افرغ فى عالم وملك فى درع ملك ورجل تظلم الى التنبل تبذلا والى الترفع تواضعا ونطق فودت الاعضاء لو انها اسماع مصغيه واستمع فتمنت الجوارح لو أنها السن ناطقه فقلت الحمد لله أن عقد هذا المجلس فى دار من يفرق بين من يحق ومن يزرق وكنت أول من حضر وانتظرت مليا حضور من ينتظر وقدوم من يناظر وطلع الامام أبو الطيب وأخذ من المجلس موضعه

وورقه واستعبد التورية والاستخدام في سوق رقيقه فمن استخداماته ما أرانا من استخدام البحتري عبث الوليد وقلنا بعده في استخدام أبي العلاء ليس على الاعمى حرج فانه مشى على الحس في ظلمة التعقيد واستخدام الشيخ جمال الدين الموعود به قوله من قصيدة رائية امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم

اذا لم تفض عيني العقيق فلا رأت * منازله بالقرب تبهى وتبهر
وان لم تواصل عادة السفح مقلتي * فلا عادها عيش بمغناه اخضر

نظر أيها المتأمل الى صحة الاشتراك بين الاستخدامين وانسجام البيت الاول مع البيت الثاني وسيلان الرقة لهذا القطر النباتي والتشبيب المرقص بالمنازل الحجازيه والغزل الذي يليق ان تصدر به المدائح النبويه ولعمري انه مشى على طريق صاحب الايضاح فزاده ايضاحا ولو دعي الى عروس الافراح زاده افراحا وهذه القصيدة التي ظفرت منها بهذين الاستخدامين محاسنها غرر في جباه القصائد ولانواع البديع بها صلة ومن أبياتها عائد منها

سقى الله اكناف الغضى سائل الحيا * وان كنت اسقى ادمعا تتحدر
وعيشا نضى عنه الزمان بياضه * وخلفه في الرأس يزهو ويزهر
تغير ذاك اللون مع من أحبه * ومن ذا الذي يا عز لا يتغير
وكان الصبا ليلا وكنت كحالم * فوا أسفي والشيب كالصبح يسفر
بعللني تحت العمامة كتمه * فيعتاد قلبي حسرة حين أحسر
وينكرني ليلي وما خلت انه * اذا وضع المرء العمامة ينكر

ومنها
وغيداء أما جفنها فمؤنث * كليل وأما لحظها فمذكر
يروقك جمع الحسن في لحظاتها * على أنه بالجفن جمع مكسر
يشف وراء المشرفية خدها * كما شف من دون الزجاجة مسكر
خليلي كم روض نزلت فناءه * وفيه ربيع للنزيل وجعفر
وفارقتها والطير صافرة بها * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

ومنها في وصف الناقة

ورب طموح العزم أدماء جسرة * يظل بها عزمي على البيد يجسر
طوت بذراعي وخدها شقة الفلا * وكف الثريا في دجى الليل يشبر
ومد جناحي ظلها الف الضحى * فشدت كما شد النعام المنفر
بصم الحصى ترمي الحداة كانما * تغار على محبوبها حين يذكر
اذا ما حروف العيس خطت بقفرة * غدت موضع العنوان والعيس أسطر
فلله حرف لا ترام كأنها * لو شك السرى حرف لدى الشد مضمر

وعارض الشيخ جمال الدين بن نباتة جماعة نسجوا على منواله في عصره لكن الذوق السليم يشهد أنهم كانوا خلاصة قطره وهذا الشرح هو جامعهم الكبير واذا ذكرت فيه نظائرهم فاعلم انه ليس لمغيهم نظير نرجع الى الاستخدام وشواهده وايراد ابيات البديعيات فيه فبيت صفي الدين قوله

والامام أبو الطيب بنفسه أمة ووحده عالم ثم حضر السيد أبو الحسين وهو ابن الرسالة والامامة وعامر ارض الوحي والمبني بفناء النبوة والضارب في الادب بعرقه وفي النطق بحذقه وفي الانصاف بحسن خلقه فجشم الى المجلس قدم سبقه وجعل يضرب عن هذا الفاضل بسيفين لامر كان قدموه عليه وحديث كان شبه لديه وفطنت لذلك فقلت أيها السيد أنا اذا سار غيري في التشيع برجلين طرت بجناحين واذا مت سواي في موالاة أهل البيت بلحمة دالة توسلت بغرة لائحة فان كنت أبلغت غير الواجب فلا يحملنك على ترك الواجب ثم ان لي في آل الرسول صلى الله عليه وسلم قصائد قد تلعمت حاشيتي البر والبحر وركبت الافواه ووردت

من

من كل ابلج واری الزند يوم قری * مشمر عنه يوم الحرب مصطلم

وبيت العميان

ان الغضى لست أنسى أهله فهم * شبوه بين ضلوعي يوم بينهم

أقول لو عاش البحتري ما صبر للعميان على هذه السرقة الفاحشة فانهم أخذوا لفظه ومعناه وضميره وما اختشوا من الحرج ولا سلموا من النقد وبيت عز الدين

والعين قرت بهم لما بها سمحوا * واستخدموها من الاعدا فلم تنم

قوله والعين قرت بهم لما بها سمحوا في غاية الحسن فانه أتى بالاستخدام وعود الضمير في شطر البيت مع الانسجام والرقة واستخدامه في العين الناظرة وعين المال وأما قوله في الشطر الثاني واستخدموها من الاعدا فلم تنم ما اعلم ما المراد به فان الاستخدام في العين التي هي الجارحة قد تقدم والذي يظهر لي ان اضطراره الى تسمية النوع الجأه الى ذلك وبيت بديعيتي

واستخدموا العين مني فهي جارية * وكم سمحت بها ايام عسرهم

فالتورية في جارية بعد استخدموها لم يوجد في سوق الرقيق مثلها والعود بالضمير مع تمكن القافية وعدم التكلف والحشو لا يخفى على أهل الذوق السليم فان قافية مصطلم في بيت صفي الدين عجبه الاذواق انتهى الكلام على الاستخدام (ذكر الهزل الذي يراد به الجد)

*(والبين هازلني بالجد حين رأى * دمعي وقال تبرد انت بالديم)*

قال صاحب التلخيص ومنه يعني فن البديع الهزل الذي يراد به الجد كقوله

اذا ما تميمي أتاك مفاخرا * فقل عد عن ذا كيف اكلك للضب

ولم يزد على ذلك شيأ والهزل الذي يراد به الجد هو ان يقصد المتكلم مدح انسان أو ذمه فيخرج من ذلك المقصد مخرج الهزل والمجون اللائق بالحال كما فعل أصحاب النوادر مثل أشعب وابي دلامة وأبي العيناء ومزبد ومن سلك مسلكهم كما حكى عن اشعب انه حضر وليمة بعض ولاة المدينة وكان رجلا بخيلا فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة فيها جدى مشوى فيحوم الناس حوله ولا يمسه أحد منهم لعلمهم ببخله واشعب كان يحضر مع الناس ويرى الجدى فقال في اليوم الثالث زوجته طالق ان لم يكن عمر هذا الجدى بعد ان ذبح وشوى اطول من عمره قبل ذلك ومن شواهد الهزل الذي يراد به الجد ما أنشده ابن المعتز من قول أبي العتاهية

ارقيك ارقيك بسم الله أرقيكا * من بخل نفسك عل الله يشفيكا

ما سلم كفك الا من يناولها * ولا عدوك الا من يرجيكا

والفاتح لهذا الباب امرؤ القيس وقوله ابلغ ما سمع فيه والطف وهو

وقد علمت سلمى وان كان بعلها * بان الفتى يهذي وليس بفعال

قال زكي الدين بن أبي الاصبع ما رأيت احسن من قوله ملتفتا وان كان بعلها انتهى وهذا النوع أعني الهزل الذي يراد به الجد ما سبكه في قوالبه الا من لطفت ذاته وكان له ملكة في هذا الفن وحسن تصرف ومن أظرف ما وقع في هذا الباب انه حصل لي

(الهزل الذي يراد به الجد)

المياه وسارت في البلاد ولم تسر بزاد وطارت في الآفاق ولم تسر على ساق ولكني أتسوق بها لديكم ولا أتنفق بها عليكم وللآخرة قلتها لا للحاضرة وللدين ادخرتها لا للدنيا فقال أنشدني بعضها فقلت

يا لمة ضرب الزما * ن على معرسه اخيامه

لله درك من خزا * مى روضة عادت ثغامه

لرزية قامت بها * للدين اشراط القيامه

لمضرج بدم النبو * ة ضارب بيد الامامه

متقسم بظبا السيو * ف مجرع منها حمامه

منع الورود وماؤه * منه على طرف الثمامه

نصب ابن هند رأسه * فوق الورى نصب العلامه

بالديار المصرية جرب أشرفت منه على التلف فوصف لى الحكيم بطيخا وهو عزيز الوجود فى تلك الايام فبلغنى انه أهدى الى مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه بطيخ فكتبت اليه

مولاى عاقبنى الزمان بجربة * وقد انقطعت بجسمى المسلوخ

وعجبت من حزنى على ماتم لى * لكن شممت روائح البطيخ

فالكناية على طلب البطيخ سبكت فى أحسن قوالب الهزل مع حسن التضمين ومثله قولى

جاء الشتاء فرأيى * والجسم صار اشماته

بطيلسان ابن حرب * وفروة ابن نباته

ففى طيلسان ابن حرب وفروة ابن نباتة مع ما فيهما من الهزل الظاهر كنايتان عن الفقر الذى تزايد حده وطيلسان ابن حرب معروف لشهرته وأما فروة ابن نباتة ففيها الاشارة الى قوله

زرقة جسمى وبياض ثلجها * سنجابى الابلق فى فصل الشتا

ومثله قولى

وصاحب تسمح لى نفسه * بغدوة لكن اذا ما انتشا

يضحك سنى للغدا عنده * ٢لكننى اقلع ضرسى للعشا

نبه على الهزل الذى يراد به الجد زيادة تلطف الاستدراك ومراعاة النظير وكان هذا الصاحب تغمده الله برحمته ورضوانه من أعز الاصحاب علىّ ولكن التصريح باسمه غير ممكن هنا وبين الهزل الذى يراد به الجد وبين التهكم فرق لطيف وهو أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهذا النوع بالعكس وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

اشبعت نفسك من ذمى فهاضك ما * تلقى وا كثر موت الناس بالتخم

فقوله وا كثر موت الناس بالتخم كناية يهزلون بها على من يفرط فى أكل شئ ويختص به نفسه وبيت العميان

قل للصباح اذا ما لاح نورهم * ان كان عندك هذا النور فابتسم

لم أر فى بيت العميان هزلا يراد به الجد والله اعلم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

هزل اريد به جد عتابك لى * كما كتمت بياض الشيب بالكتم

الشيخ عز الدين غفر الله له حكى هنا حكاية لم يسعنى الكلام عليها لئلا يطول الشرح وبيت بديعيتى

والبين هازلنى بالجد حين رأى * دمعى وقال تبرد انت بالديم

انظر ايها المتأمل هنا بنور الله تعالى فان الهزل الذى يراد به الجد انا ما التزم تسميته وقد استوعب شطر البيت وانظر كيف افرغت هذا النوع الغريب فى أحسن القوالب واغرب المعانى فان الدمع تزايد انهماله الى ان صار كالديم الهاطلة والبين يغبطنى بذلك مهازلا ويقول لى تبرد أنت بهذه الديم

(ذكر المقابلة)

*(قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا * ولوا غضابا فيا حربى لغيظهم)*

ومنه بل كان النبى

بلثمه يشفى غرامه

قرع ابن هند بالقضيب

عذابه فرط استضامه

وشدا بنغمته عليه

وصب بالفضلات جامه

والدين ابلج ساطع

والعدل ذو خال وشامه

ياويح من ولى الكتا

ب قفاه والدنيا امامه

ليضرس بدا الندا

مقحين لا تغنى الندامه

وليدركن على الغرا

مة سوء عاقبة الغرامه

وحمى اباح بنو أمية

عن طوا ئلهم حرامه

حتى اشتفوا من يوم بد

ر واستبدوا بالزعامه

لعنوا أمير المؤمنين

بمثل اعلان الاقامه

٢ قوله لكننى الخ كذا بالاصل وفيه ان هذه رجز والشعر سريع اه

(المقابلة)

المقابلة ادخلها جماعة فى المطابقة وهو غير صحيح فان المقابلة أعم من المطابقة وهى التنظير بين شيئين فاكثر و بين مايخالف ومايوافق فبقولنا ومايوافق صارت المقابلة أعم من المطابقة فان التنظير بين مايوافق ليس بمطابقة وهذا مذهب زكى الدين بن ابى الاصبع فانه قال صحة المقابلات عبارة عن توخى المتكلم بين الكلام على ما ينبغى فاذا أتى باشياء فى صدر كلامه أتى باضدادها فى عجزه على الترتيب بحيث يقابل الاول بالاول والثانى بالثانى لايخرم من ذلك شيأ فى المخالف والموافق ومتى أخل بالترتيب كانت المقابلة فاسدة وقد تكون المقابلة بغير الاضداد والفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين أحدهما ان المطابقة لاتكون الا بالجمع بين ضدين والمقابلة تكون غالبا بجمع بين أربعة اضداد ضدان فى صدر الكلام وضدان فى عجزه وتبلغ الى الجمع بين عشرة اضداد خمسة فى الصدر وخمسة فى العجز والثانى ان المطابقة لاتكون الا بالاضداد والمقابلة بالاضداد وغير الاضداد ولكن بالاضداد أعلى رتبة وأعظم موقعا ومن معجزات هذا الباب قوله عز وجل ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فانظر الى مجىء الليل والنهار فى صدر الكلام وهما ضدان ثم قابلهما فى عجز الكلام بضدين وهما السكون والحركة على الترتيب ثم عبر عن الحركة بلفظ الارداف فالتزم الكلام ضربا من المحاسن زائدا على المقابلة فانه عدل عن لفظ الحركة الى لفظ ابتغاء الفضل لكون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة وابتغاء الفضل حركة المصلحة دون المفسدة وهى تشير الى الاعانة بالقوة وحسن الاختيار الدال على رجاحة العقل وسلامة الحس واضافة الظرف الى تلك الحركة المخصوصة واقعة فيه ليهتدى المتحرك الى بلوغ المآرب ويتقى أسباب المهالك والآية الشريفة سيقت للاعتداد بالنعم فوجب العدول عن لفظ الحركة الى لفظ هو ردفه ليتم حسن البيان فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المنافع والمصالح التى لو عددت بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت فى العبارة عنها الى الفاظ كثيرة فحصل فى هذا الكلام بهذا السبب عدة ضروب من المحاسن الا تراه سبحانه وتعالى كيف جعل العلة فى وجود الليل والنهار حصول منافع الانسان حيث قال لتسكنوا ولتبتغوا بلام التعليل فجمعت هذه الكلمات من انواع البديع المقابلة والتعليل والاشارة والارداف وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن البيان وحسن النسق فلذلك جاء الكلام متلائما آخذا اعناق بعضه باعناق بعض ثم أخبرنا بالخبر الصادق ان جميع ما عدده من النعم باللفظ الخاص وما تضمنته العبارة من النعم التى تلزم من لفظ الارداف بعض رحمته حيث قال بحرف التبعيض ومن رحمته وهذا كله فى بعض آية عدتها عشر كلمات فالحظ هذه البلاغة الباهرة والفصاحة الظاهرة انتهى ومن أمثلة صحة المقابلة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم ما كان الرفق فى شىء الازانه ولا كان الخرق فى شىء الاشانه فانظر كيف قابل الرفق بالخرق والزين بالشين باحسن ترتيب وأتم مناسبة وهذا الباب فى مقابلة اثنين باثنين ومنه قوله تعالى فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ان لله عبادا جعلهم مفاتيح الخير مغاليق الشر

لم لا تضرى يا سما
ولم تصبى يا غمامه

لم لا تزولى يا جبا
ل ولم تشولى يا نعامه

يالعنة صارت على
اعناقهم طوق الحمامه

ان العمامة لم تكن
للتيم ما تحت العمامه

من سبط هند وابنها
دون البتول ولا كرامه

ياعين جودى بالنجيـ
ـع وذرى بدم رعامه

جودى بمذخور الدمو
ع ورا سلى بدرا انتظامه

جودى بمشهد كربلا
فوفرى منى ذمامه

جودى بمكنون الدمو
ع اجده ماجاد ابن مامه

فلما أنشدت ما انشدت وسردت ما سردت وكشف له الحال فيما اعتقدت انحلت له العقدة وصار سلما يوسعنا حلما وحضر بعد ذلك الشيخ أبو عمر البسطامى وناهيك من حاكم يفصل وناظر يعدل يسمع فيفهم ويقول فيعلم ثم حضر بعد

ومنه وهو ظريف فى مقابلة اثنين باثنين أن المنصور قال لمحمد بن عمران انك لبخيل فقال يا أمير المؤمنين لا أجمد فى حق ولا أذوب فى باطل ومنه فى النظم قول النابغة

فتى كان فيه ما يسر صديقه * على أن فيه ما يسوء الاعاديا

وقول الحلى

ورنح الرقص منه عطفا * خف به اللطف والدخول

فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

واخبرنى مولانا قاضى القضاة الشافعى نور الدين الحاكم بحماة المحروسة المشهور بخطيب الدهشة أنه كان بحماة يهودى يطوف بالحناء والصابون على رأسه و يقول معى حناء اخضر جديد وصابون يابس عتيق وأما مقابلة ثلاثة بثلاثة فقيل ان المنصور سأل ابا دلامة عن أشعر بيت فى المقابلة فانشده

ما أحسن الدين والدنيا اذا اجتمعا * وأقبح الكفر والافلاس بالرجل

فالشاعر قابل بين أحسن وأقبح و بين الدين والكفر والدنيا والافلاس قال ابن أبى الاصبع انه لم يقل قبله مثله ومن مقابلة أربعة باربعة قوله تعالى فأما من اعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى المقابلة بين قوله واستغنى وقوله واتقى لان معناه زهد فيما عنده واستغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة وذلك يتضمن عدم التقوى ومن مقابلة أربعة باربعة قول أبى بكر الصديق رضى الله عنه فى وصيته عند الموت هذا ما اوصى به أبو بكر عند آخر عهده بالدنيا خارجا منها واول عهده بالآخرة داخلا فيها فقابل أولا بآخر والدنيا بالآخرة وخارجا بداخل ومنها بفيها فانظر الى ضيق هذا المقام كيف صدر عنه مثل هذا الكلام قال علماء البديع كلما كثر عددها كانت ابلغ فمن مقابلة خمسة بخمسة قول أمير المؤمنين على كرم الله وجهه لعثمان بن عفان رضى الله عنهما ان الحق ثقيل مرى والباطل خفيف وبى وانت رجل ان صدقت سخطت وان كذبت رضيت واوردوا لابى الطيب فى مقابلة خمسة بخمسة

أزورهم وسواد الليل يشفع لى * وانثنى وبياض الصبح يغرى بى

قال صاحب الايضاح ضد الليل المحض هو النهار لا الصبح والمقابلة الخامسة بين بى ولى فيه نظر لان الباء واللام صلتا الفعلين ورجح بيت أبى دلامة المتقدم على بيت ابى الطيب بجودة المقابلة ولكن القافية مستدعاة فان الذى ذكره مختص بالرجل و بغيره والمعنى قد تم بدون الرجل قال زكى الدين بن أبى الاصبع لو كان لما اضطر الى القافية افاد بها معنى زائدا بحيث يقول بالبشر لكان البيت نادرا وعلى كل تقدير بيت ابى دلامة افضل من بيت المتنبى لصحة المقابلة لانه قابل بالاضداد والمتنبى بغير الاضداد والمقابلة بالاضداد افضل وهو مذهب السكاكى فانه قال المقابلة ان يجمع بين شيئين متوافقين فاكثر ثم اذا اشترطت هنالك شيأ شرطت هنالك ضده انتهى و بيت المتنبى افضل بالكثرة عند غير السكاكى وان المقابلة عنده لا تصح الا بالاضداد واسلم من بيت ابى الطيب فى التركيب ما اورده الصاحب

ذلك القاضى أبو نصر والادب ادنى فضائله وأيسر فواضله والعدل شيمة من شيمه والصدق مقتضى همه وحضر بعده الشيخ أبو سعيد محمد بن أرمك أيده الله وهو الرجل الذى يحميه لالاؤه ولوذعيته من ان يدال بمن أو بمن الرجل وهو الفاضل الذى يحطب فى حبل الكتابة ما شاء ويركض فى حلبة العلم ما اراد وحضر بعده أبو القاسم بن حبيب وله فى الادب عينه وفراره وفى العلم شعلته وناره وحضر بعده الفقيه أبو الهيثم ورائد الفضل يقدمه وقائد العقل يخدمه وحضر بعده الشيخ أبو نصر بن المرزبان والفضل منه بدا واليه يعود وحضر بعده أصحاب الامام أبى

قوله مختص بالرجل الخ صوابه غير مختص بالرجل

شرف الدين مستوفي اربل

على رأس عبد تاج عز يزينه * وفي رجل حر قيد ذل يشينه

وبيت صفي الدين الحلي

كان الرضا بدنوي من خواطرهم * فصار سخطي لبعدي عن جوارهم

فقابل الرضا بالسخط والدنو بالبعد ولفظة من بعن فاذا قلنا ان من ضد عن سلم له أربعة بأربعة وخواطرهم بجوارهم على مذهب من يرى ان المقابلة تجوز بالاضداد وبغيرها وبيت العميان

بواطئ فوق خد الصبح مشتهر * وطائر تحت ذيل الليل مكتتم

بيت العميان أمكن من بيت صفي الدين في المقابلة لانهم قابلوا واطئا بطائر لان الواطئ هو الماشي على الارض والطائر السائر في الهواء وفوق بتحت وخد بذيل لما بينهما من معنى العلو والسفل والصبح بالليل ومشتهر بمكتتم والنظر لفظة مشتهر مع مكتتم وهي القافية التي لا يمكن أمكن منها ولفظة خواطرهم ومقابلتها بجوارهم في بيت صفي الدين وما بينهما من المباينة غير ان ثقل قولهم بواطئ يشق حمله على لطيف الذوق وبيت الشيخ عز الدين

ليل الشباب وحسن الوصل قابله * صبح المشيب وقبح الهجر واندمي

قابل بين ليل وصبح وشباب ومشيب وحسن وقبح والوصل والهجر وهي مقابلة صحيحة بين الاضداد وأتى بلفظة قابله اضطرارا لتسمية النوع وأما قوله واندمي فقافية مستدعاة أجنبية من المقابلة فانه لم يوجد لها مقابلة ضد ولا لغيره بل تركها بمنزلة الاجانب وبيت بديعيتي

قابلتهم بالرضا والسلم منشرحا * ولوا غضابا فيا حربي لغيظهم

قد تقرر ان الشيخ عز الدين لم يأت بلفظة قابله في بيته الا اضطرارا لتسمية النوع فانه لم يقابلها بشئ فانظر كيف أتيت بلفظة قابلتهم في أول البيت وقابلتها في الشطر الآخر بلفظة ولوا ومقابلة بقية الاضداد من الرضا والغضب والسلم والحرب ظاهرة وتمكين القافية بغيظهم ومقابلتها بالانشراح اظهر فان القافية اذا كانت ممكنة وهي جارية في عدد المقابلات كانت من أعلى رتب هذا النوع كما تقدم في بيت المتنبي وبيت أبي دلامة وقافية العميان منتظمة في هذا العقد بخلاف بيت صفي الدين وبيت عز الدين انتهى

(ذكر الالتفات)

*(وما أروني التفاتا عند نفرتهم * وانت يا ظبي أدرى بالتفاتهم)*

فسر قدامة الالتفات بان قال هو ان يكون المتكلم آخذا في معنى فيعترضه اما شك فيه او ظن ان رادا يرده عليه أو سائلا يسأله عن سببه فيلتفت اليه بعد فراغه منه فاما ان يجلي الشك أو يؤكده او يذكر سببه كقول الرماح بن ميادة

فلا صرمه يبدو وفي اليأس راحة * ولا وصله يصفو لنا فنكارمه

فكأن الشاعر توهم ان قائلا يقول له وما تصنع بصرمه فقال لان في اليأس راحة وأما ابن المعتز فقال الالتفات انصراف المتكلم عن الاخبار الى المخاطبة ومثاله في الكتاب قوله تعالى بعد الاخبار بأن الحمد لله رب العالمين اياك نعبد واياك نستعين وكقوله تعالى ان أراد

الطيب الاستاذ

ومامنهم الا أغر نجيب

وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ الفاضل أبي الحسن الماسرجسي

وكل اذا عد الرجال مقدم

وحضر بعدهم أصحاب الاستاذ أبي عمر البسطامي وهم في الفضل كاسنان المشط ومنه بأعلى مناط العقد وحضر بعدهم الشيخ أبو سعيد الهمذاني وله في الفضل قدحه المعلى وفي الادب خطه الاعلى وحضر بعد الجماعة أصحاب الاسبلة المسبلة والاسوكة المرسلة ورجال يلعن بعضهم بعضا فصاروا الى قلب المجلس وصدره حتى رد كيدهم في نحرهم وأقيموا

(الالتفات)

النبي ان يستنكحها خالصة لك من دون المؤمنين وكقوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض مالم نمكن لكم ومثال ذلك من الشعر قول جرير

متى كان الخيام بذي طلوح * سقيت الغيث أيتها الخيام

وانصراف المتكلم عن الخطاب الى الاخبار وهو عكس الاول كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة ومثاله أيضا قول عنترة

ولقد نزلت فلا تظني غيره * مني بمنزلة المحب المكرم

ثم قال يخبر عن هذه المخاطبة

كيف المزار وقد تربع أهلنا * بعنيزتين وأهلها بالغيلم

أو انصراف المتكلم عن الاخبار الى التكلم كقوله تعالى والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه الى بلد ميت أو انصراف المتكلم عن التكلم الى الاخبار وهو كقوله تعالى ان نشأ أنذهبكم ونأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز والقراءة في الكلمات الثلاث بالنون شاذة نقلها صاحب البحر الزاخر وفي هذا الكتاب سبعة آلاف رواية وقد جمع امرء القيس الالتفاتات الثلاث في ثلاثة أبيات متواليات وهو قوله

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد

وبات وباتت له ليلة * كليلة ذي العائر الارمد

وذلك من نبإ جاءني * وخبرته عن أبي الاسود

فخاطب في البيت الاول وانصرف عن الخطاب الى الاخبار في البيت الثاني وانصرف عن الاخبار الى التكلم في البيت الثالث على الترتيب وما أحلى قول مهيار بن مرزويه في قصيدته التي سارت بمحاسنها الركبان وامتدح بها الوزير زعيم الدين في يوم نوروز سنة ثمان وعشرين وأربعمائة والمطالع

بكر العارض تحدوه النعامى * فسقاك الري يا دار أماما

فانصرف عن الاخبار الى المخاطبة في بيت واحد ومثله في اللطف قول القاضي الارجاني

وهل هي الا مهجة يطلبونها * فان أرضت الاحباب فهي لهم فدى

اذا رمتم قتلي وانتم أحبتي * فماذا الذي اخشى اذا كنتم عدى

ومثله قول أبي الطيب

لولا مفارقة الاحباب ماوجدت * لها المنايا الى ارواحنا سبلا

بما بجفنيك من سحر صلي دنفا * يهوى الحياة وأما ان صددت فلا

ومثله قول ابي العلا

يودان ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

ومن لطائف الالتفات بالانصراف من الخطاب الى الاخبار قول ابن نبيه

من مصر عينيك الامان الامان * قدمت رب السيف والطيلسان

اسمر كالرمح له مقلة * لولم تكن كحلاء كانت سنان

بالنعال الى صف النعال فقلت لمن حضر من هؤلاء فقالوا أصحاب الخوارزمي فلما أخذ المجلس زخرفه من حضروا انتظر أبو بكر فتأخر اقترحوا على قوافي أبتبوها واقتراحات كانوا بيتوها فما ظنك بالحلفاء اذ نيت لها النار من لفظ الى المعنى فقته وبيت الى القافية سقته على ريق لم ابلعه ونفس لم أقطعه وصار الحاضرون بين اعجاب بما أوردت وتعجب مما أنشدت وقال أحدهم بل اوحدهم وهو الامام أبو الطيب لن نؤمن لك حتى نقترح القوافي ونعين المعاني وتنص على بحر فان قلت حينئذ على الروي الذي أسومه وذكرت المعنى الذي أرومه فانت حي القلب كما عهدناك منشرح الصدر كما شاهدناك شجاع

نقوله عن المقلة بعد تشبيه القوام بالرمح أنها ولم تكن كلاء كانت سنانا بديع وغريب ومن اغرب ماوقع لي في هذا النوع اللطيف اني صرحت باسم الالتفات عند وقوعه بقولي من قصيد

والله ان لم افهم من بعد ذا * فعلى زماني لم ازل متعتبا
وقد التفت اليك يادهري بطرف * لا تعتبي ويحق لي ان اعتبا
قررت لي طول الشتات وظيفة * وجعلت دمعي في الخدود مرتبا

واتفق لي أيضا نظير ذلك في رسالة كتبت بها الى العلامة بدر الدين ابن قاضي اذرعات رحمه الله منها سكن القلب وغير بدع اذا كان القلب للبدر منزلا ورام هلال الافق ان يباهي سموه بمطلعه فقلنا ما أنت من براعة هذا الاستهلال ولا وتطاول الرامح الى الطعن في محله الذي يجل قدرا عن مناظر ومباهي فقلنا له اقصر مكتفيا والا فعند التناهي ولقد شوقتني ظباء المعالي في هذا المسرح الى الالتفات فقلت ملتفتا الى تلك الليالي المقمرة بنوره وقطوف القوافي الكه البدرية دانيات

أيا بدرا سما افق المعالي * وارفع طائرا من كل نسر
ذكرت ليالياً لك قد تقضت * فيا شوقي الى ليلات بدر

وأما بيت القصيدة اعني البديعية فانه البيت الذي خطبت من بابه بالفتح ونادا الغير من وراء حجراته وتغايرت ظباء الصريم وهو في سرب بديعه على حسن التفاته وودت ربوع البديعيات ان يسكن منها في بيت ولكن راودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت ولقد انصف الحريري في المقامة الحلوانية عند ايراد البيت الجامع لمشبهات الثغر بقوله يارواة القريض واساة القول المريض ان خلاصة الجوهر تظهر بالسبك ويد الحق تصدع رداء الشك. وها أنا قد عرضت خبيئتي للاختبار وعرضت حقيبتي على الاعتبار وقلت وانا ماش في عرض بيت بديعيتي على هذا السنن وارجوا ان يكون بحسن التفاته في مرآة الذوق مثل الغزال نظرة ولفتة وسابرزه بين اقرانه واذا انسدلت غدائر الاشكال ظهر الفرق من نور بيانه فبيت الشيخ صفي الدين

وعاذل رام بالتعنيف يرشدني * عدمت رشدك هل أسمعت ذا صمم

ولم ينظم العميان في بديعيتهم هذا النوع وأما بيت عز الدين

وما التفت لساع لج في شغف * ما أنت للركن من وجدي بملتزم

وبيت بديعيتي

وما أروني التنائي عند نفرتهم * وانت يا ظبي أدري بالتفاتهم

فهذا البيت فيه التورية بتسمية النوع وقد برزت في أحسن قوالبها ومراعاة النظير في الملائمة بين الالتفات والظبي والنفرة والانسجام الذي أخذ بمجامع القلوب رقة والتمكين الذي ما تمكنت قافية باستقرارها في بيت كتمكين قافيته والسهولة التي عدها التيفاشي في باب الطراقة وناهيك بطرافة هذا البيت والتوشيح وهو الذي يكون معنى اول الكلام دالا على آخره ورد العجز على الصدر والالتفات الذي هو المقصود دون غيره من الانواع فقد

الطبع كما وجدناك وشهدنا انك قد أحسنت وان لا فتى الا أنت فما خرجت من عهدة هذا التكليف حتى ارتفعت الاصوات بالهيللة من جانب والحوقلة من آخر وتعجبوا اذ أورتهم الايام مالم ترهم الاحلام وجاءهم العيان بما يخل به السماع والجزهم الفهم ما أخلفهم الوهم ثم التفت فوجدت الاعناق تلفتت وما شعرت الا بهذا الفاضل وقد طلع في شملته وهب بجملته بأوداج ما يسعها الزمان وعينين في رأسه تزران ومشى الى فوق أعناق الناس وجعل يدس نفسه بين الصدور يريد الصدر وقد أخذ المجلس أهله فقلت يا أبا بكر تزحزح عن الصدر قليلا

اشتمل هذا البيت على ثمانية أنواع من البديع مع عدم التكلف والله تعالى أعلم

(ذكر الافتنان)

*(تغزلي وافتناني في شمائلهم * اضحى رثا لاصطباري بعد بعدهم)*

الافتنان هو ان يفتن الشاعر فيأتي بفنين متضادين من فنون الشعر في بيت واحد فأكثر مثل النسيب والحماسة والمديح والهجاء والهناء والعزاء فاما ما افتن به الشاعر من النسيب والحماسة كقول عنترة

ان تغدفي دوني القناع فانني * طب بأخذ الفارس المستلئم

فاول البيت نسيب وآخره حماسة وكقول أبي دلف ويروى لعبد الله بن طاهر

أحبك يا ظلوم وأنت مني * مكان الروح من جسد الجبان

ولو أني أقول مكان روحي * خشيت عليك بادرة الطعان

ومما جمع فيه بين التهنئة والتعزية قوله تعالى ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا ومما جمع فيه بين التعزية والفخر قوله تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ومن انشاء العلامة الشهاب محمود مما كتب به من رسالة تهنئة وتعزية ان رزقه الله تعالى ولدا ذكرا في يوم وماتت له بنت قوله ولا عتب على الدهر فيما اقترف ان كان قد ساء فيما مضى فقد أحسن الخلف واعتذر بما وهب مما سلب فعفا الله عما سلف ومما جمع فيه من النظم بين التهنئة والتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية لما دفن اباه وجلس للتعزية

اصبر يزيد فقد فارقت ذا ثقة * واشكر حباء الذي بالملك اصفاكا

لارزء اصبح في الاسلام نعلمه * كما رزئت ولا عقبى كعقباكا

وقال زكي الدين بن أبي الاصبع أحسن شعر افتن فيه صاحبه بالجمع بين التعزية والتهنئة قول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنيه بالامين حيث قال

تعز ابا العباس عن خير هالك * باكرم حي كان أو هو كائن

حوادث ايام تدور صروفها * لهن مساو مرة ومحاسن

وفي الحي بالميت الذي غيب الثرى * فلا انت مغبون ولا الموت غابن

ولعمري ان جمال الدين بن نباتة رحمه الله قال في تعزية الملك المؤيد صاحب حماة وتهنئة ولده الافضل بالسلطنة بعده أبياتا هي أحسن من قول أبي نواس الذي استحسنه ابن أبي الاصبع وقول من تقدمه وان تأخر ابن نباتة فقد تقدم بنباته فانه استطرب في قصيدة مطولة بالجمع بين التهنئة والتعزية الى آخرها وأتى بمعان منها سلامة الاختراع والذي يؤدي اليه اجتهاد ذوقي ان هذه القصيدة من العجائب في هذا النوع واوردت مطلعها في براعة الاستهلال لكن تعين ايراده هنا لندخل منه الى بيوت القصيدة المشتملة على هذا النوع لنثبت أبدا ما أشرت اليه من غرابة اساليبها وهو قوله رحمه الله تعالى

هناء محا ذاك العزاء المقدما * فما عبس المحزون حتى تبسما

ثغور ابتسام في ثغور مدامع * شبيهان لا يمتاز ذو السبق منهما

(الافتنان)

(قوله ثم ننجي الآية) الذي فيها انما هو تبشير وانذار

الى مقابلة الخسك فقال لست برب الدار فتأمر على الزوار فقلت يا عافاك الله حضرت لتناظرني والمناظرة اشتقت امامن النظر أومن التنظير فان كان اشتقاقها من النظر فمن حسن النظر ان يكون مقعدنا واحدا حتى يتبين الفاضل من المفضول ثم يتطاول السابق ويتقاصر المسبوق فقضت الجماعة بما قضيت وغض هذا الفاضل من تلك الحكمة وانحط عن تلك العظمة وقابلني بوجهه فقلت أراك أيها الفاضل حريصا على اللقاء سريعا الى الهيجاء (ولو زبنتك الحرب لم تترمرم) ففي أي علم تريد أن تتناظر

نردّ مجاري الدمع والبشر واضح * كوابل غيث فى ضحى الشمس قد همى

سقى الغيث عنا تربة الملك الذى * عهدنا سجاياه أعزوا كرما
ودامت يد النعمى على الملك الذي * تدانت به الدنيا وعز به الحمى
مليكان هذا قد هوى لضريحه * برغمى وهذا للاسرة قد سما
وروضة أصل شاذوى تكافأت * فغصن ذوى منها وآخر قد نما
فقدنا لاعناق البرية مالكا * ومنا لانواع الجميل متمما
كأن ديار الملك غاب اذا انقضى * به ضيغم أنشابه الدهر ضيغما
كأن عماد الدين غير مقوّض * وقد دققت يا ازكى الانام وأحزما
فان يك من أيوب نجم قد انقضى * فقد أطلعت أوصافك الغرانجما
وان تك أيام المؤيد قد مضت * فقد جددت عليائك وقتا وموسما
هو الغيث ولى بالثناء مشيعا * وأبقاك بحرا بالمواهب منعما

وكانت وفاة الملك المؤيد فى شهر المحرم فقال ولم يخرج عما نحن فيه

بك انبسطت فينا التهانى وانشأت * ربيع الهنا حتى نسينا المحرما

والجمع بين التهنئة والتعزية فى نوع الافتنان أصعب مسلكا من الجمع بين النسيب والحماسة لشدة التناقض بينهما ومن أظرف ما رأيت فى هذا النوع ان ابن حجاج جمع فى الافتنان بين التعزية والمدح المؤدى الى التهكم بقوله فى تعزية بعض الرؤساء بابيه فى بيت واحد وهو

أبوك قد جل أهل الثرى * فجمل الله به المقبره

وأما الغزل المحمس فكثير فى نظم الفحول وغيرهم وما أحلى قول مهيار الديلمى فى بيت واحد

وأتعب من حاولت بالقلب وصله * حبيب سنان السمهرى رقيبه

ومن اتحف الاذواق بحلاوة هذا النوع وجمع فيه بين النسيب والحماسة القاضى الارجانى رحمه الله تعالى فى قوله

نزل الاحبة ساحة الاعداء * فغدا اللقاء منهم بلقاء

وما احلى ما قال بعده

كم طعنة نجلاء تعرض بالحمى * من دون نظرة مقلة نجلاء
فتصدّنا سمر الحول قبابها * سمر الرماح يملن للاصغاء
من كل باكية دما من دونها * يوم الطعان بمقلة زرقاء
يا دمية من دون رفع سجوفها * خوض القنا بالخيل بحر دماء
لو ساعد الاحباب قلت تجلدا * أهون على بملتقى الاعداء

ومثله قول أبى الطيب فى بيت وكل من النصفين كامل فى معناه

عدوية بدوية من دونها * سلب النفوس ونار حرب توقد

وممن تفنن فى هذا النوع وجمع بين رقة النسيب وفخامة الحماسة ابراهيم بن محمد الانصارى الساحلى المنبوز بطويجن جرى ذكره فى التاج بما نصه جوّاب الآفاق ومحالف الرفاق رفع له ببلده راية للادب لا تحجم واصبح نسيج وحده فيما سدى وألحم فان نسب صار

فاوما الى النحو فقلت يا هذا ان اليوم قد متع والنهار قد ارتفع والظهر قد أزف ولئن قرعنا باب النحو أضعنا اليوم فيه فماذا يخرج الناس فملا هتاف الناس ايهما ردّ الجواب هنالك ما يدرى المجيب فان شئت أن اناظرك فى النحو فسلم الآن لى ما كنت تدعيه من سرعة فى البديهة وجودة فى الروية وقدرة على الحفظ ونفاذ فى الترسل ثم أنا اجاريك فى هذا فقال لا أسلم ذلك ولا أناظر فى غير هذا وارتفعت الضجة واستمرت الملاحة حتى أبلغ الاستاذ الفاضل أبو عمر اليه وقال ايها الاستاذ انت أديب خراسان وشيخ هذه الديار وبهذه الابواب التى قد عدها هذا الشاب كنا نعتقد لك السبق والحذق

للنسيب شرف ونسب وان مدح قدح من أنوار فطنته ما قدح كم حرك الجامد ونظم الجمان فى سلوك المحامد فمن قوله فى الافتتان الذى جمع فيه بين الحماسة والتشبيب

خطرت كمياد القنا المتأطر * ورنت بلاحظ الغزال الاعفر
وأتت بين تطاعن وتداعب * فى فتك قسورة وعطفة جؤذر

وما أبدع قوله منها

وبملعب الصدغين مطرد وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر

وله ولم يخرج عما نحن فيه

زارت وفى كل مرمى لحظها محترس * وحول كل كناس كف مفترس

وما أحلى ما قال بعده

مهما تلا خدها الزاهى الضحى نطقت * سيوف آبائها عن آية الحرس

ويعجبنى قول أبى الفتوح بن قلاقس

عقدوا الشعور معاقد التيجان * وتقلدوا بصوارم الأجفان
ومشوا وقد هزوا رماح قدودهم * هز الكماة عوالى المران
وتدرعوا زردا تخلت أراقما * خلعت ملابسها على الغزلان

وممن افتن فى قصيدة كاملة وتفنن وخلص من تفخيم الحماسة والفخر الى رقة الغزال وأحسن القاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك رحمه الله فانه قسم القصيدة شطرين وتلاعب فى ميدان البلاغة بالفنين وهذه القصيدة تقف دونها فرسان الحماسة ويكبوا الجواد من خلفها ويثنى من أطائف غزلها من لعبت بلطف شمائله خمر لطف شمولها وهى

سواى يخاف الدهر او يرهب الردى * وغيرى يهوى ان يكون مخلدا
ولكننى لا أرهب الدهر ان سطا * ولا أحذر الموت الزؤام اذا عدا
ولو مد نحوى حادث الدهر طرفه * لحدثت نفسى أن أمد له يدا
توقد عزم يترك الماء جمرة * وحلية حلم تترك السيف مبردا
وفرط احتقار للأنام فاننى * أرى كل عار من حلا سودد سدى
وأظما ان أبدى الى الماء منة * ولو كان لى نهر المجرة موردا
ولو كان ادراك الهدى بتذلل * رأيت الهدى أن لا أميل الى الهدى
وقدما بغيرى أصبح الدهر أشيبا * وبى بل بفضلى أصبح الدهر أمردا
وانك عبدى يا زمان واننى * على الكره منى أن أرى لك سيدا
وما أنا راض أننى واطئ الثرى * ولى همة لا ترتضى الافق مقعدا
ولو علمت زهر النجوم مكانتى * لخرت جميعا نحو وجهى سجدا
وبذل نوالى زاد حتى لقد غدا * من الغيظ منه ساكن البحر مزبدا
ولى قلم فى أنملى ان هززته * فما ضرنى أن لا أهز المهندا
اذا جال فوق الطرس وقع صريره * فان صليل المشرفى له صدى

وتثاقلك عن مجاراته فيها عما بينهم وبوهم واضطره الى منازلة او نزول عنها ومقارنة فيها او اقرار بها فقال سلت الحفظ فانشدت قول القائل

ومستلم كشفت بالرمح ذيله
أقمت بعضب ذى شقاشق ميله
فجعت به فى ملتقى الحى خيله
تركت عتاق الطير تحجل حوله

وقلت يا ابا بكر خفف الله عنك كما خففت عنا فى الحفظ قد كفيتنا مؤنة الامتحان ولم تضع وقتا من الزمان فلو تفضلت وسلمت البديهة بضامع الترسل حتى نفرغ النحو الذى أنت عليه كبر واللغة التى أنت بها اعرف والعروض الذى أنت عليه اجرأ والامثال التى لك

والمخلص من الحماسة والفخر الى الغزل قوله

ومن كل شئ قد صحوت سوى هوى * أقام عذولى بالملام واقعدا
اذا وصل من أهواه لم يك مسعدى * فليت عذولى كان بالصمت مسعدا
يعيب حبيبى من يكون مفندا * فياليتنى كنت العذول المفندا
وقال لقد آنست نارا بخده * فقلت وانى ما وجدت بها هدى
وكم لى الى دار الحبيب التفاتة * تذكرنى عهدا قديما ومعهدا
ولم أدم ذاك الخد بالحظ انما * عملت خلوقا حين ابصرت مسجدا
تراقب طرفى أن يلوح هلالها * فقد طالما قد قام حين تعبدا
عبرت عليها واعتبرت تجلدى * فيا حسرتى لما اعتبرت التجلدا
كأن بطرفى ما بقلبى صبابة * فلم ير تلك الدار الا تقيدا
وكم لجوادى وقفة فى عراصها * تعود منها جيده ما تعودا
تعود ذاك الجيد منى أننى * اصيره من در عينى مقلدا
ويارب ليل بت فيه وبيننا * عناق أعاد العقد عقدا مبددا
ولم اجعل الكف الشمال وسادة * فبات على كفى اليمين موسدا
وجردته من ثوبه وأعدته * بثوب عفاف كاسيا متجردا
وقربنى حتى طربت الى النوى * واوردنى حتى صديت الى الصدا
شهدت بان الشهد والمسك ريقه * وما كنت لولم أختبره لأشهدا
وأن السلاف البابلية لحظه * والا سلوا انسانه كيف عربدا

ومن حذا هذا الحذو ونسج على هذا المنوال ومشى فيه على طريق ماسلكها احد قبله الصاحب بهاء الدين زهير فانه كتب الى كمال الدين بن العديم أبياتا تامعناها أنه انتخبه لقضاء حاجة له ولم يؤهل غيره لها وتخلص منها الى الغزل بما تستجلى منه عرائس البيان ويظهر به الافتنان وهى

دعوتك لما أن بدت لى حاجة * وقلت رئيس مثله قد تفضلا
لعلك للفضل الذى أنت ربه * تغار فلا ترضى بأن تتبدلا
اذا لم يكن الا تحمل منة * فمنك وأما من سواك فلا ولا
حملت زمانا عنكم كل كلفة * وخففت حتى آن لى أن أثقلا
ومن مذهبى المشهور مذ كنت أننى * لغير حبيب قط لن أتذللا
وقد عشت دهرا ماشكوت لحادث * بلى كنت أشكو الاغيد المتدللا
وما همت الا بالصبابة والهوى * ولا خفت الا سطوة الهجر والقلا
أروح وأخلاقى تذوب حلاوة * وأغدو وأعطافى تسيل تغزلا

وقد طال الشرح ولكن رأيت الافتنان نوعا غريبا فطلبت بالكثرة زيادة ايضاحه ليستضئ المتأمل فى ظلمات الاشكال بنور مصباحه وبيت الشيخ صفى الدين

ما كنت قبل ظبا الالحاظ قط أرى * سيفا أراق دمى الا على قدم

فيها السبق والقدم والاشعار التى انت فيها تقدم فقال ما كنت لاسلم الترسل ولاسلمت الحفظ فقلت الراجع فى شيئه كالراجع فى قيئه لكنا نقبلك عن ذلك السماح فهذه انشدنا خمسين بيتا من قبلك مرتين حتى أنشدك عشرين بيتا من قبلى عشرين مرة فعلم أن دون ذلك خرط القتاد تهاب شوكها اليد فسلمه ثانيا كما سلمه باديا وصرنا الى البديهة فقال احد الحاضرين ها تواعلى شعر أبى الشيص فى قوله ابقى الزمان به ندوب عضاض ورمى سواد قرونه ببياض فاخذ ابو بكر يفند ويصعد مقدرا انا نغفل عن انفاسه

كان المطلوب من الشيخ صفي الدين في هذا النوع غير هذا النظم مع عدم تكلفه بتسمية النوع وأما العميان فانهم لم ينظموا هذا أيضا في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

كان افتناني بثغر راق مبسمه * صار افتناني بثغر فيه سفك دمي

وبيت بديعيتي

تغزلي وافتناني في شمائلهم * أضحى رثا الاصطباري بعد بعدهم

والجمع في افتنان هذا البيت بين النسيب الخالص والتعزية وكل من الشطرين مستقل بمعناه هو جمع غريب والكناية عن موت الصبر بان التغزل أضحى رثاء من ألطف الكنايات ويؤيد ذلك قولي بعد بعدهم ذكر ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا يسمى التفريع لم ينظمه أصحاب البديعيات وهو قريب من الافتنان ولكن بينهما فرق دقيق لان الافتنان لا يكون الا بالجمع بين فنين من أغراض المتكلم كما تقدم والتفريع يخالف ذلك وهو الجمع بين الفنون والمعاني والله تعالى أعلم

(ذكر الاستدراك)

*(قالوا ترى لك لما بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم)*

الاستدراك على قسمين قسم يتقدم الاستدراك فيه تقرير لما أخبر به المتكلم وتوكيد وقسم لا يتقدمه ذلك فمن أمثلة الاول قول القائل

واخوان تخذتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادي

وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن في فؤادي

وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادي

قال ابن أبي الاصبع لم اسمع في هذا الباب أحسن من قول ابن دويدة المغربي يخاطب رجلا أودع بعض القضاة مالا فادعى القاضي ضياعه وهو

ان قال قد ضاعت فيصدق أنها * ضاعت ولكن منك يعني لو نعي

أو قال قد وقعت فيصدق أنها * وقعت ولكن منه أحسن موقع

وممن تلطف في هذا الباب وأجاد للغاية القاضي الارجاني بقوله

غالطتني اذ كست جسمي ضنا * كسوة أعرت من اللحم العظاما

ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

ولقد احسن القائل في شكوى الزمان بقوله

ولي فرس من نسل اعوج سابق * ولكن على قدر الشعير يحمحم

وأقسم ما قصرت فيما يزيدني * علوا ولكن عند من اتقدم

وهذه كلها شواهد القسم الاول من الاستدراك وأما شواهد القسم الثاني وهو الذي لا يتقدم الاستدراك فيه تقرير ولا توكيد مثل قول زهير

أخو ثقة لا يهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

ومتى لم يكن في الاستدراك نكتة زائدة عن معنى الاستدراك لم تدخله في أنواع البديع والا فلا يعد بديعا ولا يخفى على الذوق السليم ما في بيت زهير من الزيادة على معنى

(الاستدراك)

اونوليه جانب وسواسه ولم يعلم انا نحفظ عليه الكلم ثم نوافقه عليها فقال

يا قاضيا ما مثله من قاض
أنا بالذي تقضي علينا راض
فلقد لبست ضفية ملومة
من نسج ذا البارق الضفضاض
لا تغضبن اذا ظلمت تفسا
ان الغضا في مثل ذاك تغاض
فلقد بليت بشاعر متقادر
ولقد بليت بناب ذئب غاض
ولقد قرضت الشعر فاسمع واسمع
لنشيد شعر طائعا وقراض
فلاغلبن بديهه بيديهتي
ولارمين سوداه ببياض

فقلت يا ابا بكر ما معنى قولك ضفية ملومة وما الذي اردت بالبارق الضفضاض فانكر أن يكون قاله فاقمته فوافقه على ذلك

الاستدراك بقوله ولكنه قديم لك المال نائله فانه لو اقتصر على صدر البيت دل على ان ماله موفور وتلك صفة ذم فاستدرك ما يزيل هذا الاحتمال ويخلص الكلام للمدح المحض واذا تأمل الذائق بيت الارجاني متع ذوقه بحلاوة الادب من قوله

ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

فالنكتة الزائدة على معنى الاستدراك لا تخفى الا على من حجب عن ذوق هذا العلم وهو من شواهد القسم الاول فانه قرر ما اخبرت به من قولها انت عندي في الهوى مثل عيني ثم أكد بقوله صدقت ثم نكت بالزيادة على معنى الاستدراك التنكيت الذي يتطفل النسيم على رقته ولولا ما سكن هذا النوع بيتا بديعيا ولا تأهل بعد غربته واصحاب البديعيات على هذا المنوال نسجوا وأداروا كؤس السلافة على أهل الاذواق ومازجوها بلطف مزاجهم فامتزجوا والذي أقوله ان الشيخ صفي الدين حلا في هذا المنهل الصافي مورده وعلا في هذا السلك البديعي منظمه ومنضده وبيته

رجوت أن يرجعوا يوما وقد رجعوا * عند العتاب ولكن عن وفا ذممي

فانه قرر ما اخبر به قبل الاستدراك وأكده بقوله وقد رجعوا وفي قوله عند العتاب تكميل بديعي وأما العميان فانهم ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين

فكم حييت بالاستدراك ذا أسف * لكن عن المشتهى والبرء من سقمي

وأما هذا البيت فانه عامر بقلق البناء مع عقادة التركيب وبيت بديعيتي

قالوا ترى لك حبا بعد فرقتنا * فقلت مستدركا لكن على وضم

وفي انصاف اهل العلم والذوق السليم ما يغني عن التطويل في محاسن هذا البيت

(ذكر الطي والنشر)

(والطي والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم)

الطي والنشر هو أن تذكر شيئين فصاعدا اما تفصيلا فتنص على كل واحد منهما واما اجمالا فتأتي بلفظ واحد يشتمل على متعدد وتفوض الى العقل رد كل واحد الى ما يليق به لانك تحتاج أن تنص على ذلك ثم ان المذكور على التفصيل قسمان قسم يرجع الى المذكور بعده على الترتيب من غير الاضداد لتخرج المقابلة فيكون الاول للاول والثاني للثاني وهذا هو الاكثر في اللف والنشر والاشهر وقسم على العكس وهو الذي لا يشترط فيه الترتيب ثقة بأن السامع يرد كل شيء الى موضعه تقدم أو تأخر وأما المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا يمكن عكس مثاله ان يقول لي منه ثلاثة بدر وغصن وظبي فحصل من هذا ان اللف والنشر على ثلاثة اقسام واذا كان المفصل المرتب في اللف والنشر هو المقدم نبدأ بشواهده فمنه بين شيئين قوله تعالى ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله فالسكون راجع الى الليل والابتغاء راجع الى النهار ومنه قول الشاعر

ألست انت الذي من ورد نعمته * وورد راحته أجني واغترف

وقد جمع هذا البيت مع حشمة الالفاظ بين جناس التحريف والاستعارة واللف والنشر وما ألطف قول شمس الدين محمد بن دانيال الحكيم

أهل المجلس وقالوا وقد قلت ثم قلت فما معنى قولك ذئب غاض فقال هو الذي يأكل الغضا فقلت استنوق الجمل يا أبا بكر وانقلبت القوس ركوة وصار الذئب جملا يأكل الغضا فما معنى قولك ان الغضا في مثل ذلك تغاض فان الغضا لا أعرفه بمعنى الاغضاء فقال لم أقل الغضا فقلت ما قلت فانكر البيت جملة فقلت يا ويحك ما أغناك عن بيت تهرب منه وهو يتبعك وتتبرأ منه

الطي والنشر

وهو يلحق بك فقال لي ما معنى قراض فلم أسمعه مصدرا من قرضت الشعر ولكن هلا قلت كما قلت وسقت الحشو الى القافية كما سقته فقال هذه طريقة لم تسلكها العرب فلا أسلكها ثم دخل الرئيس

ماعاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى وقد * اصبحت لا فوقى ولا تحتى

ومن غراميات البهاء زهير

ولى فيك قلب بالغرام مقيد * له خبر يرويه طرفى مطلقا
ومن فرط وجدى فى لماه وثغره * اعلل قلبى بالعذيب وبالنقا

ومثله قوله

يا ردفه يا خصره * من لى بنجد أو تهامه

ومثله قول ابن نباتة

له قلب ولى دمع عليه * فهذا قاسيون وذا يزيد

ومثله قوله مع زيادة التورية

لا تخف عيلة ولا تخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى غزاله

ومثله قوله مع زيادة التورية

سألته عن قومه فانثنى * يعجب من اسراف دمعى السخى
وأبصر المسك وبدر الدجى * فقال ذا خالى وهذا أخى

ولابن حيوس بين ثلاثة وثلاثة

ومقرطق يغنى النديم بوجهه * عن كاسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * من مقلتيه ووجنتيه وريقه

ومثله قول ابن الرومى

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * فى الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

ومثله قول حمدة الاندلسية وهو

ولما أبى الواشون الا فراقنا * ومالهم عندى وعندك من ثار
غزوناهم من ناظريك وأدمعى * وأنفاسنا بالسيف والسيل والنار

قال الشيخ شهاب الدين ابو جعفر الاندلسى نزيل حلب وقد اورد هذين البيتين فى شرحه على بديعية صاحبه ابى عبد الله محمد بن جابر الاندلسى ان حمدة كانت من ذوى الالباب وفحول اهل الآداب حتى ان بعض المنتحلين تعلق بهذه الاهداب وادعى نظم هذين البيتين لما فيهما من المعانى والالفاظ العذاب وماغره فى ذلك الابعد ديارها وخلو هذه البلاد من أخبارها وقد تلبس بعضهم بشعارها وادعى هذا من أشعارها وهو قولها

وقانا لفحة الرمضاء روض * وقاه مضاعف الطل العميم
تظل غصونه تحنو علينا * حنو الوالدات على الفطيم
وأسقانا على ظما زلالا * ألذ من المدامة للنديم
تروع حصاه حالية الغوانى * فتلمس جانب العقد النظيم

قوله عبدى فى نسخة ثوبى بدل عبدى وهو اللائق

أبو جعفر والقاضى أبو بكر الحربى والشيخ أبو زكريا الحيرى وطبقة من الافاضل مع عدة من الاراذل فيهم ابو رشيدة فقلت ما أحوج هذه الجماعة الى واحد يصرف عنهم عين الكمال وأخذ الرئيس مكانه من الصدر والدست وله فى الفضل قدم وقدم وفى الادب هم وهم وفى العلم قديم وحديث فتم المجلس وظهر الحق بنظره وقال قد ادعيت عليه أبياتا أنكرها فدعونى من البديهة على النفس واكتبوا ماتقولون وقولوا على هذا فقلت

برز الربيع لنا برونق مائه * فانظر لروعة أرضه وسمائه
فالترب بين ممسك ومعنبر * من نوره بل مائه ورواته

فهذه الابيات نسبوها الى المنازى من شعرائهم وركبوا التعصب فى جادة ادعائهم وهى ابيات لم يحكها غير لسانها ولا رقم بردها غير حسانها وقد رأيت بعض المؤرخين من اهل بلادنا اثبتوها له قبل ان يخرج المنازى من العدم الى الوجود ويتصف بلفظة الموجود انتهى كلام الشيخ شهاب الدين المذكور * ومنه بين ثلاثة وثلاثة قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى وعفا عنه امين

عرج على حرم المحبوب منتصبا * لقبلة الحسن واعذرلى على سهرى
وانظر الى الخال فوق الخد تحت لمى * تجد بلالا يراعى الصبح فى السحر

ومنه بين اربعة وأربعة

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح ٣

ومثله قول شمس الدين بن العفيف رحمه الله تعالى

راى جسدى والدمع والقلب والحشا * فاضنى وافنى واستمال ونيما

ومثله قولى من قصيدة

من محياه والدلال ومسك الخال والثغر يا شيوخ البديع
انظروا فى التكميل واللف والنشر وحسن الختام والترصيع

وللشيخ شهاب الدين ابى جعفر الشارح المذكور بين خمسة وخمسة ولكن لم يخل من التعسف وهو

ملك يجى بخمسة من خمسة * كنى المحسود بها فات لما به
من وجهه ووقاره وجواره * وحسامه بيديه يوم ضرابه
قمر على رضوى تسير به الصبا * والبرق يلمع من خلال سحابه

ولابن جابر ناظم البديعية بين ستة وستة

ان شئت ظبيا او هلالا او دجى * او زهر غصن فى الكثيب الاملد
فالحظها ولوجهها ولشعرها * ولخدها والقد والردف اقصد

صبرنا على الاملد لكونه صفة الكثيب ولكن لم نصبر على دخول القصد فانها زيادة اجنبية وقد جمع قاضى القضاة نجم الدين عبد الرحيم بن البارزى بين سبعة وسبعة

يقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق فى مجلس لأصاحبه
كبدر ببرق قد شمسا أهلة * لدى هالة فى الافق بين كواكبه

قال شهاب الدين المذكور فى شرح بديعية صاحبه ابن جابر ان اللف والنشر فى هذين البيتين غير كامل التفصيل لانه نص فى اللف على ستة ونص فى النشر على سبعة وكل منهما راجع الى منصوص عليه فى اللف الا الاهلة فانه راجع الى الاشطار وهى غير مذكورة فى اللف قلت هذا يفهم من قوله يقطع قال الشيخ شهاب الدين قوله ضحى فى بيت اللف مطرح لا نظير له فى النشر قلت ضحى ليس لها فى الحسن نظير فانه جعل البطيخة شمسا وهى انور من قول صاحبه فى بيته املد واقصد فانه لم ينص عليهما فى اللف وهما أجنبيان مما نحن فيه ووصلوا فى الجمع بين اللف والنشر المفصل المرتب الى اثنى عشر لكن تكلفوا وتعسفوا وأتوا به فى بيتين ولم تسفر لهم

والماء بين مصندل ومكفر * فى حسن كدرته ولون صفاته
والطير مثل المحصنات صوادح * مثل المغنى شاديا بغنائه
والورد ليس بمسك رياه اذ * يهدى لنا نفحاته من مائه
زمن الربيع جلبت أزكى متجر * وجلوت للراثين خير جلائه
فكأنه هذا الرئيس اذا بدا * فى خلقه وصفاته وعطائه
يعمى أعز مجبر وندى أغر * محجل فى خلقه ووفائه
يعشو اليه المحتوى والمجتدى * والمجتوى هو هارب بذمائه
ما البحر فى تزخاره والغيث فى * أمطاره والجو فى أنوائه
بأجل منه مواهبا ورغائبا * لا زال هذا المجد حلف فنائه
والسادة الباقون سادة عصرهم * متمدحون بمدحه وثنائه
فقال ابو بكر تسعة ابيات قد غابت عن حفظنا لكنه

٣ قوله والبلح فى نسخ والوهج وحور الروى

وجوه المعانى المسفرة عن بهجة ولابن بلدتنا الشيخ علاء الدين بن مقاتل مالك ازمة الزجل وقد تقدم ذكره فيما أوردته له من ازجاله على الجناس المقلوب والدفظى الجمع فى اللف والنشر بين ثمانية وثمانية مع عدم الحشو والفرار من التعسف وصحة الانسجام وهو

خدود واصداغ وقد ومقلة * وثغر وأرياق ولحن ومعرب
فورد وسوسان وبان ونرجس * وكاس وجريال وجنك ومطرب

ومما سمعت فى هذا النوع وفيه الجمع بين عشرة وعشرة قول بعضهم

شعر جبين محيا معطف كفل * صدغ فم وجنات ناظر ثغر
ليل صباح هلال بانة ونقا * آس اقاح شقيق نرجس در

وجل القصد هنا ان يكون اللف والنشر فى بيت واحد خاليا من الحشو وعقادة التركيب جامعا بين سهولة اللفظ والمعانى المخترعة انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب * وأما القسم الذى هو العكس أعنى غير المرتب فكقول الشاعر

كيف أسلو وأنت حقف وغصن * وغزال لحظا وقدا وردفا

فعدم الترتيب ظاهر فى البيت * واما القسم المذكور على الاجمال فهو قسم واحد لا يتبين فيه ترتيب ولا عكس كما تقدم ومثله قول ابن سكرة فى بيت الكافات الشتائية

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا
كن وكيس وكانون وكاس طلا * مع الكباب وكس ناعم وكسا

وظريف هنا قول من قال

جاء الصفاع وعندى من حوائجه * سبع اذا الصفع فى ميدانه وقفا
نطع وطرق وزربول وغاشية * وركوة وجراب ناعم وقفا

ففى قوله بعد ماذكره من آلات الصفع وقفا غاية فى اللطف وقوة فى تمكين القافية انتهى الكلام على اللف والنشر المفصل المرتب وعلى غيره * واما أصحاب البديعيات فانهم ما نظموا الا المفصل المرتب لانه المقدم عند علماء البديع فى هذا الباب ولم يأتوا به الا فى بيت واحد بحيث يكون مثالا شاهدا على هذا النوع وماشيا على سنن الابيات المفردة المشتملة على أنواع البديع وبيت صفى الدين غاية فى هذا الباب لما اشتمل عليه من السهولة والرقة وعدم الحشو وهو قوله

وجدى حنينى انينى فكرتى ولهى * منهم اليهم عليهم فيهم بهم

والعميان لم يأتوا بهذا النوع الا فى بيتين مع عقادة التركيب ولقد حبست عنان القلم عن الكلام عليهما لكونهما من جملة مديح النبى صلى الله عليه وسلم وهما

حيث الذى ان بدا فى قومه وحبى * عنانه ورمى الاعداء بالنقم
فالبدر فى شبه والغيث جاد لذى * محل وليث الشرى قد جال فى الغنم

وبيت عز الدين الموصلى

نشر وبسر وبشر من شذا وندى * وأوجه فتعرف طى نشرهم

قوله فتعرف طى نشرهم ليس له نص فى اللف لانه نص فيه على ثلاثة وعجز عن ترتيب اللف

جمع فيها بين اقواء واكفاء واخطاء وايطاء فرددنا عليه بعد ذلك عشرين ردا ونقدنا عليه فيها كذا نقدا ثم قلت لمن حضر من وزير ورئيس وفقيه وأديب أرأيتم لو أن رجلا حلف بالطلاق الثلاث لا أنشد شعرا قط ثم انشد هذه الابيات فقط هل كنتم تطلقون امرأته عليه فقالت الجماعة لا يقع بهذا طلاق ثم قلت انقد على فيما نظمت واحكم عليه كما حكمت فأخذ الابيات وقال لا يقال نظرت لكذا وانما يقال نظرت اليه فكفتنى الجماعة اجابته ثم قال شبهت الطير بالمحصنات وأى شبه بينهما فقلت يا رقيع اذا جاء الربيع كانت شوادى الاطيار تحت ورق الاشجار فكن كأنهن المخدرات تحت الاستار ثم قال لى لم قلت مثل المحصنات مثل المغنى فقلت هن فى الخدر كالمحصنات وكالمغنى فى ترجيع الاصوات ثم قال لم قلت زمن الربيع جلبت اذكى متجر وهلا قلت اربح متجر فقلت ليس الربيع

والنشر فى نص اللف وعلى كل تقدير فلابد له من تسمية النوع فسمياه ولكن أتى به فضلة ولو
التزم الشيخ صفى الدين أن يسمى هذا النوع البديعى فى بيته لتصافت عليه تلك الرقة وبيتى

فالطىّ والنشر والتغيير مع قصر * للظهر والعظم والاحوال والهمم

فالطى والنشر فى نص اللف قبالة الظهر والعظم والتغيير مع القصر قبالة الاحوال والهمم
هذا مع زيادة العدة على الشيخ عز الدين وعدم التكلف ولولا الالتزام بتسمية النوع ومراعاة
السهولة والانسجام وصلت الى أكثر من هذه العدة

(ذكر الطباق)

(بوحشة بدلوا انسى وقد خفضوا * قدرى وزادوا علوا فى طباقهم)

المطابقة يقال لها التطبيق والطباق والمطابقة فى اللغة ان يضع البعير رجله فى موضع يده فاذا
فعل ذلك قيل طابق البعير وقال الاصمعى المطابقة اصلها وضع الرجل موضع اليد فى مشى
ذوات الاربع وقال الخليل بن أحمد يقال طابقت بين الشيئين اذا جمعت بينهما على حذو واحد
انتهى وليس بين تسمية اللغة وتسمية الاصطلاح مناسبة لان المطابقة فى الاصطلاح الجمع بين
الضدين فى كلام او بيت شعر كالايراد والاصدار والليل والنهار والبياض والسواد وليس فى
الالوان ما تحصل به المطابقة غيرهما اعنى البياض والسواد فقد قال الرمانى وغيره البياض
والسواد ضدان بخلاف بقية الالوان لان كلا منهما اذا قوى زاد بعدا من صاحبه انتهى واذا
ألحقوا بقية الالوان بالمطابقة فالتدبيج أحق منها بذلك فانهم أوردوا فى المطابقة من التدبيج
قول ابن حيوس على جهة الكناية

فانحر بعم عم جود يمينه * واب لافعال الدنية آبى
ببياض عرض واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

وقد تقرر أن المطابقة الجمع بين الضدين عند غالب الناس سواء كانت من اسمين أو من فعلين
أو من غير ذلك وقال الاخفش وقد سئل عنه أجد قوما يختلفون فيها فطائفة وهم الاكثر انها
الشئ وضده وطائفة يزعمون أنها اشتراك المعنيين فى لفظ واحد منهم قدامة بن جعفر الكاتب
وأوردوا فى ذلك قول زياد الاعجم

ونبئتهم يستنصرون بكاهل * وللؤم فيهم كاهل وسنام

فكاهل الاول اسم رجل والثانى العضو المعروف فاللفظ واحد والمعنيان مختلفان وهذا هو
الجناس التام بعينه وقال الاخفش من قال ان المطابقة اشتراك المعنيين فى لفظ واحد فقد
خالف الخليل والاصمعى فقيل أوكانا يعرفان ذلك فقال سبحان الله من أعلم منهما بطيبه
وخبيثه وما احسن ما أتى الاخفش فى الجواب بالمطابقة (ومنهم) من ادخل المقابلة فيها
وليس بمليح اذ لم يبق للفرق بينهما محل فان السكاكى قال المقابلة ان تجمع بين شيئين فاكثر
وتقابل بالاضداد ثم اذا شرطت هنا شيأ شرطت هناك ضده والمطابقة هى الاتيان بلفظتين
والواحدة ضد الاخرى وكأن المتكلم طابق الضد بالضد * ولقد شفى زكى الدين بن ابى الاصبع
القلوب فيما قرره فانه قال المطابقة ضربان ضرب يأتى بألفاظ الحقيقة وضرب يأتى بألفاظ
المجاز فما كان بلفظ الحقيقة سمى طباقا وما كان بلفظ المجاز سمى تكافؤا (فمثال التكافؤ)

بتاجر يجلب البضائع المربحة
ثم قال ما معنى قولك الغيث
فى أمطاره والغيث هو المطر

الطباق

نفسه فكيف يكون له مطر
فقلت لا سقى الله الغيث
أديبا لا يعرف الغيث وقلت
له ان الغيث هو المطر وهو
السحاب كما ان السماء هو
المطر وهو السحاب وقال
الجماعة قد علمنا أى الرجلين
أشعر وأى الخصمين أقدر
وأى البديهتين أسرع واى
الرويتين أصنع فقال أبو بكر
فاسقونى على الظاهر فقالوا
كفاك ما سقاك ثم ملنا الى
الترسل فقلت اقترح على غاية
ما فى طوقك ونهاية ما فى
وسعك واختر ما سلفه بذرعك
حتى أقترح عليك أربعمائة
صنف فى الترسل فان سرت
فيها برجلين ولم أطر
بجناحين بل ان أحسنت
القيام بواحد من هذه
الاصناف ولم تخلف كل
الاخلاف فلك اليد السبق
وقصبه ومثال ذلك ان أقول
لك اكتب كتابا يقرأ منه

وهو من انشادات قدامة

حلو الشمائل وهو مرّ باسل * يحمى الذمار صبيحة الارهاق

فقوله حلو ومر يجري مجرى الاستعارة اذ ليس فى الانسان ولا فى شمائله ما يذاق بحاسة الذوق ومن أمثلة التكافؤ قول ابن رشيق وهو حسن

وقد أطفؤا شمس النهار وأوقدوا * نجوم العوالى فى سماء عجاج

ومثله

ان هذا الربيع شئ عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء

ذهب حيثما ذهبنا ودر * حيث درنا وفضة فى الفضاء

وما أحلى قول القائل فى هذا الباب

اذا نحن سرنا بين شرق ومغرب * تحرك يقظان التراب ونائمه

فالمطابقة بين اليقظان والنائم ونسبتهما الى التراب على سبيل المجاز وهذا هو التكافؤ عند ابن أبي الاصبع * واما المطابقة الحقيقية التي لم تأت بغير الفاظ الحقيقة فأعظم الشواهد عليها قوله تعالى وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيى وكقول النبي صلى الله عليه وسلم للانصار رضى الله تعالى عنهم انكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع فانظر الى هذه البلاغة النبوية والمناسبة التامة ضمن المطابقة * ومن الشواهد الشعرية قول الحماسى

تأخرت استبقى الحياة فلم أجد * لنفسى حياة مثل أن أتقدما

(ولآخر)

لئن ساءنى أن نلتنى بمساءة * لقد سرنى أنى خطرت ببالك

ولآخر فى وصف فرس وأجاد

وأرى الوحش فى يمينى اذا ما * كان يوما عنانه بشمالى

والمعجز الذى لا تصل اليه قدرة مخلوق قوله تعالى وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوى الاحياء ولا الاموات فانظر الى عظم هذه المطابقة وما فيها من الوجازة * ومن ذلك فى الحديث قول النبي صلى الله عليه وسلم فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة للكبر ومن الحياة للممات فوالذى نفسى بيده ما بعد الحياة مستعتب ولا بعد الدنيا دار الا الجنة والنار انتهى ما قررته فى المطابقة لغة واصطلاحا وما أوردته من الفرق بينها وبين التكافؤ على رأى ابن ابى الاصبع (ولهم مطابقة السلب بعد الايجاب) وهى المطابقة التى لم يصرح فيها باظهار الضدين كقوله تعالى قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فالمطابقة حاصلة بين ايجاب العلم ونفيه لانهما ضدان ومثله قول البحترى

يقيض لى من حيث لا أعلم النوى * ويسرى الىّ الشوق من حيث أعلم

فالمطابقة باطنة ومعناها ظاهر فان قوله لا اعلم كقوله جاهل والسابق الى هذا امرؤ القيس بقوله

جوابه هل يمكنك ان تكتب أو اقول لك اكتب كتابا على المعنى الذى أقترح لك وانظم شعرا فى المعنى الذى أقترح وافرغ منهما فراغا واحدا بل كنت تمدّله ساعدا أو أقول لك اكتب كتابا فى المعنى الذى أقول وأنص عليه وانشد من القصائد ما أريده من غير تثاقل ولا تغافل حتى اذا كتبت ذلك قرئ من آخره الى أوله وانتظمت معانيه اذا قرئ من أسفله بل كنت تفوق لهذا الغرض سهما أو تجيل قدحا أو تصيب نجحا أو قلت لك اكتب كتابا اذا قرئ من أوله الى آخره كان كتابا فان عكست سطوره مخالفة كان جوابا بل كنت فى هذا العمل وارى الزند قاصد القصد أو قلت لك اكتب كتابا فى المعنى الذى يقترح ولا يوجد فيه حرف منفصل من راء تتقدم الكلمة أو دال تنفصل عن الكلمة بديهة ولا يجم فيها قلمك بل كنت تفعل أو قلت لك اكتب

جزعت ولم اجزع من البين مجزعا * وعزيت قلبا بالكواعب مولعا

فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الجزع ونفيه ومن المستحسن فى ذلك قول بعضهم

خلقوا وما خلقوا لمكرمة * فكانهم خلقوا وما خلقوا

رزقوا وما رزقوا سماح يد * فكانهم رزقوا وما رزقوا

ومثله قول بشر بن هرون وقد ظهر منه الفرح عند الموت فقيل له اتفرح بالموت فقال ليس قدومى على خالق أرجوه كمقامى عند مخلوق لا أرجوه فالمطابقة حاصلة بين ايجاب الرجاء ونفيه انتهى الكلام على مطابقة السلب بعد الايجاب (ولهم ايهام المطابقة) كما لهم ايهام التورية والشاهد على ايهام المطابقة قول الشاعر

يبدى وشاحا ابيضا من سيبه * والجو قد لبس الوشاح الاغبرا

فان الاغبر ليس بضد الابيض وانما يوهم بلفظه أنه ضده ومثله قول دعبل

لا تعجبى ياسلم من رجل * ضحك المشيب برأسه فبكى

فالضحك هنا من جهة المعنى ليس بضد البكاء لانه كناية عن كثرة الشيب ولكنه من جهة اللفظ يوهم المطابقة (ولهم) الملحق بالطباق وهو راجع الى الضدين كقوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم طابق الاشداء بالرحماء لان الرحمة فيها معنى اللين ومثله قوله تعالى مما خطاياهم أغرقوا فادخلوا نارا فالمطابقة بين الغرق ودخول النار فان من دخل النار احترق والاحتراق ضد الغرق (ومنه) قول الحماسى

لهم جل مالى ان تتابع لى غنى * وان قل مالى لا اكلفهم رفدا

ففى قوله تتابع لى غنى معنى الكثرة واما قول ابى الطيب

لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

فتفق عليه انه من الطباق الفاسد فان المجرم ليس بضد للمحب بوجه ما وليس للمحب ضد غير المبغض انتهى وذكروا فى آخر الباب (طباق الترديد) وهو أن ترد آخر الكلام المطابق على اوله فان لم يكن الكلام مطابقا فهو من رد الاعجاز على الصدور ومنه قول الاعشى

لا يرقع الناس ما أوهوا وان جهدوا * طول الحياة ولا يوهون ما رقعوا

وجل القصد فى هذا الباب المطابقة فى الحقيقة التى قررها ابن ابى الاصبع وتقدم ذلك فى أول الباب مع الشواهد عليه ومثله قول بشار

اذا أيقظتك حروب العدا * فنبه لها عمرا ثم نم

ومن لطيف هذا الطباق ما أورده القاضى جلال الدين القزوينى فى ايضاحه على تلخيصه وهو قول القاضى الارجانى

ولقد نزلت من الملوك بماجد * فقر الرجال اليه مفتاح الغنى

والذى اقوله ان المطابقة التى يأتى بها الناظم مجردة ليس تحتها كبير أمر ونهاية ذلك أن يطابق الضد بالضد وهو شئ سهل اللهم الا أن تترشح بنوع من أنواع البديع تشاركه فى البهجة والرونق كقوله تعالى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب ففى العطف بقوله تعالى وترزق

كتابا خاليا من الالف واللام تصب معانيه على قالب الفاظه ولا تخرجه عن جهة أغراضه بل كنت تقف من ذلك موقفا مدوحا أو يبعثك ربك مقاما محمودا أو قلت لك اكتب كتابا يخلو من الحروف العواطل بل كنت تحظى منه بطائل أو تبدل اهانتك بناطل أو قلت لك اكتب كتابا أوائل سطوره كلها ميم وآخرها جيم على المعنى الذى يقترح بل كنت تغلو فى قوسه غلوة أو تخطو فى أرضه خطوة أو أقول لك اكتب كتابا اذا قرئ معوجا وسرد معوجا كان شعرا بل كنت تقطع فى ذلك شعرا بلى واقه نصيب ولكن من بدنك وتقطع ولكن من ذقنك أو أقول لك اكتب كتابا اذا فسر على وجه كان مدحا واذا فسر على وجه كان قدحا بل كنت تخرج عن هذه العهدة أو قلت لك اكتب كتابا اذا كتبته تكون قد حفظته من دون أن لحظته بل كنت تشق من

من تشاء بغير حساب دلالة على أن من قدر على تلك الافعال العظيمة قدر على ان يرزق بغير حساب من شاء من عباده وهذه مبالغة التكميل المشحونة بقدرة الرب سبحانه وتعالى فانظر الى عظم كلام الخالق هنا فقد اجتمع فيه المطابقة الحقيقية والعكس الذى لا يدرك لوجازته وبلاغته ومبالغة التكميل التى لا تليق بغير قدرته ومثل ذلك قول امرئ القيس

مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فالمطابقة فى الاقبال والادبار ولكنه لما قال معا زاده تكميلا فى غاية الكمال فان المراد به سرعة الحركة فى حالتى الاقبال والادبار وحالتى الكر والفر فلو ترك المطابقة مجردة من هذا التكميل ما حصل لها هذه البهجة ولا هذا الموقع ثم انه استطرد بعد تمام المطابقة وكمال التكميل الى التشبيه على سبيل الاستطراد البديعى ولم يكن قد ضرب لانواع البديع فى بيوت العرب وتد ولا امتد له سبب وقد اشتمل بيت امرئ القيس على المطابقة والتكميل والاستطراد على طريقة فان ابن المعتز قال هو ان يكون المتكلم فى معنى فيخرج منه بطريق التشبيه الى معنى آخر وممن كسا المطابقة ديباجة التورية أبو الطيب المتنبى حيث قال

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات يصطحبان
كأن رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وأنت يمانى

لعمرى لقد رفع أبو الطيب قدر المطابقة وازال حقارتها بمجاورة هذا النوع البديعى الذى عظم عند أهل الادب قدرا ومثله قول الصاحب بن عباد فى رثاء الوزير كثير بن احمد

يقولون قد أودى كثير بن أحمد * وذلك رزء فى الانام جليل
فقلت دعونى والعلا نبكه معا * فمثل كثير فى الانام قليل

وابو تمام كساها ديباجة المجانسة بقوله

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

وما احلى قول الارجانى من قصيدة

تعلق بين الهجر والوصل مهجتى * فلا أرتجى فى الحب اقضى ولا نحبى

فشد أزر المطابقة ببديع اللف والنشر واهلها بغريب هذا المعنى بعد ماسال رقة وعلق بخاطرى من هذه القصيدة

فلا تعجب أنى عشت بعدهم * فانهم روحى وقد سكنوا قلبى

ومنها

وحرف تجوب القاع والوهد والربا * كحرف مديم الجر والرفع والنصب
نجائب يقدحن الحصى كل ليلة * كأن بايديها مصابيح للركب

ومن المطابقة باللف والنشر ايضا قول شيخ شيوخ حماة المحروسة

ان قوما يلحون فى حب ليلى * لا يكادون يفقهون حديثا
سمعوا وصفها ولاموا عليها * أخذوا طيبا وردوا خبيثا

ومثله قوله يخاطب العاذل

تقسك به الى مالا أطاولك بعده بل است البائن اعلم فقال أبو بكر هذه الابواب شعبذة فقلت وهذا القول طرمذة فما الذى تحسن أنت من الكتابة وفنونها حتى أباحثك على مكنونها وأكاثرك بغزوتها وأشبرفيها قلمك وأسبرفيها السانك وذلك فقال الكتابة التى يتعاطاها اهل الزمان المتعارفة بين الناس فقلت ليس لا تحسن من الكتابة الا هذه الطريقة الساذجة وهذا النوع الواحد المتداول بكل قلم المتناول بكل يد وفم ولا تحسن هذه الشعبذة فقال نعم فقلت هات الآن حتى أطاولك بهذا الحبل وأناضلك بهذا النبل ثم تقاس ألفاظى بألفاظك ويعارض انشائى بانشائك واقترح كتابا يكتب فى النقود وفسادها والتجارات ووقوفها والبضاعات وانقطاعها والاسعار وغلائها فكتب أبو بكر بما نسخته

(بسم الله الرحمن الرحيم)

آراك بخيلا بمولى فهبنى * سكوتك عنى اذالم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو * فأبكيت عينى وأضحكت سنى

ومثله قوله

ياوجوها ازانت سناها فروع * حالكات أغنتكم عن حلاكم
لى من حسنكم نهار وليل * أنعم الله صبحكم ومساكم

ومثله قوله من قصيد

توغل حرقتى أجرى دموعى * فقل ماشئت فى دخل وخرج

ومنه قول أبى حفص المطوعى فى الباب

اوماترى نور الخلاف كأنه * لمابدا للعين نور وفاق

فالمطابقة هنا بزيادة التورية مع الاستعارة البديعة ويعجبنى قوله بعد هذا البيت

كأكف سنور ولكن نشره * يسعى بفأر المسك فى الآفاق

وأما سحر البلاغة هنا فقول القاضى الفاضل

دام صاحى وداده عمر الدهـ * ـر جنينا السكرى النشوان

انظر أيها المتامل ماأبدع ماأبرز المطابقة فى حلل هاتين الاستعارتين الغريبتين وماالطف ماأبدعى المطابقة بقوله بعدها

وبنات الصدور اوقع فيما * زعم الجد من بنات الدنان

فالفاضل أبرز هذه المطابقة فى حلل الاستعارة ولكن من أين للمستعير صحو الوداد ونشوة السكر سبحان المانح ماهذه الامواهب ربانية وأما الذين تقدم القول بالاقتداء برأيهم فى هذا الفن فانهم ماأبرزوها الافى شعار التورية فمن ذلك قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى موصول

وناطقة بالنفخ عن روح ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

فانه جمع بين التورية والتضمين والمطابقة وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى المطابقة بالتورية فى قوله

أرج النسيم سرى من الزوراء * سحرا فأحيا ميت الاحياء

ومثله قول الوداعى فى قصيد وهو فى غاية الحسن

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد ياحار

وما الطف قول الشيخ شمس الدين الواسطى فى دوبيت

ان ضرمنى بجذوة التذكار * حبى وبرى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواى لاعقل له * ما ابلد عاذلى وأذكى نارى

ومثله قول سراج الدين الوراق

وبى من البدو كلاء الجفون بدت * فى قومها كمهاة بين آساد
فلو بدت لحسان الحضر قبلها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

الدرهم والدينار من الدنيا والآخرة بهما يتوصل الى جناب النعيم ويخلد فى نار الجحيم قال الله تبارك وتعالى خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقد بلغنا من فساد النقود ماأكبرناه أشد الاكبار وأنكرناه أعظم الانكار لماتراه من الصلاح للعباد وتنويه من الخير للبلاد وتعرفنا فى ذلك مايربح الناس فى الزرع والضرع ويعود اليه أمر الضر والنفع الى كلمات لم تعلق بحفظنا فقلت ان الاكبار والانكار والعباد والبلاد وجنات النعيم ونار الجحيم والزرع والضرع اسجاع قد نبتت فى المعد ولم تزل فى البد وقد كتبت وكتبت ولا أطالبك بمثل ماأنشأت فاقرأ ولك البد وناولته الرقعة فبقى وبقيت الجماعة وبهت وبهتت

ومثله قول أبي الحسين الجزار

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمولي
أتيت لبابك أرجو الغنى * فأخرجني الضرب عند الدخول

ومثله قول الوداعي في مطلع قصيد

ما كنت أول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

ومثله قول مجير الدين بن تميم

لما لبست لبعده ثوب الضنا * وغدوت من ثوب اصطباري عاريا
أجريت واقف مدمعي من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

وكتبت من هذا النوع الى القاضي كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة

كمال الدين يا مولاي يا من * يفيض البحر من بذل النوال
أيجمل أن يقول الناس اني * أتيت لحاجة لم تقضها لي
وأصبح بينهم مثلا لأني * أتاني النقص من جهة الكمال

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

اني اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه
ودعوت ألفاظ الحبيب وكأسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

ومثله قوله

قصدت معاليك أرجو الندى * واشكو من العسر داء دفينا
فما كان بيني وبين اليسار * سوى أن مددت اليك اليمينا

ومثله قوله

حزني من مهفهف القد رام * أسهم اللحظ ما أسد وأرشق
كلما قلت يفتح الله بالوصل رماني من سحر عينيه بمغلق

ومثله قوله

ان أسماء الحبيب قامت بعذر * وجنة منه فوقها شامات
يا لها وجنة أقابل منها * حسنات تمحى بها سيئات

ومثله قوله

قام غلام الأمير يحسب في * يوم طهور البنين طاوسا
فأنزل الحاضرون من شبق * وعاد ذاك الطهور تنجيسا

وما ألطف قوله من هذا النوع

يا غائبين تعللنا لغيبتكم * بطيب لهو ولا والله لم يطب
ذكرت والكأس في كفي ليالي بكم * فالكأس في راحة والقلب في تعب

ومثله قوله في براعة قصيد

* يوم صحو فاجعله لي يوم سكر *

وما أحلى ما قال بعده في الشطر الثاني

* فأدر لي كأسي رضاب وخمر *

الكافة وقالوا لي اقرأ صفحات اقرؤه منكوسا وأسرده معكوسا والعيون تزرق وتحار وكانت نسخة ما أنشأناه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الله شاهد ان الحاضر صدور بها وتملأ المنابر ظهور لها وتقرع الدفاتر وجوه بها وتشق المحابر بطون لها ترشق آثارا كانت فيه آمالنا مقتضى على أياديه في تأييده الله أدام الأمير جرى فاذا المسلمين ظهور عن الثقل هذا ويرفع الدين أهل عن الكل هذا يحط أن في اليه تضرع ونحن واقفة والتجارات زائفة والنقود صيارفة أجمع الناس صار فقد كريما تطر البنظار شيمه مصاب واتبعنا كرمه بارقة وشمنا همه على آمالنا رقاب وعلقنا أحوالنا وجوه له وكشفنا آمالنا وفود اليه بعثنا فقد تطره بجميل

منها ولم يخرج عما نحن فيه

جفن عينيه فاتر منتشي * انما خذه المشعشع يجري

ومثله قوله من قصيد

فريد وهو فتان التثني * فيالله من فرد تثنى

وله في روضة من قصيدة

مطابقة الأوصاف أما نسيمها * فصح وأما ماؤها فتكسرا

انظر ما أحسن تصريحه بالنوع هنا في قوله مطابقة الاوصاف * ومثله قول الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطي من قصيد

بأبي غني ملاحة اشكو له * فقري فيصبح بالغنى يتطرب

ومنها في هذا النوع

وغدا ينادمني وكأس حديثه * اشهى الي من العتيق واطيب

ومثله قوله

في جفنه سيف مضاربه * يا صاح أسبق لي من العذل

وبخده والردف لي خبر * قد سار بين السهل والجبل

ومثله قول الشيخ زين الدين بن الوردي

تجادلنا أماء الزهر أزكى * أم الخلاف أم ورد القطاف

وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومثله قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب وهو في غاية الظرف

كم جار صرف الدهر في حكمه * وضر لي من حيث بي يعتني

ألبسني من شيبتي حلة * قلت له والله عريتني

ومنه قول الشيخ صلاح الدين الصفدي وقد أهدى الى الشيخ جمال الدين بن نباتة تخفيفة

أيا فاضلا تدنو الافاضل نحوه * وتشكر في جمع المناقب تصريفه

اذا كنت بالاحسان ثقلت كاهلي * فلا عجب أن كنت تقبل تخفيفه

ومنه قول الشيخ صفي الدين الحلي من قصيدة

والريح تجري رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق في زي مأسور

قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

ومنه قول المعمار

أصاب قلبي خطائي * بلحظه لشقائي

فرحت من فرط وجدي * أشكو الى الحكماء

قالوا اصبت بعين * فقلت من عظم دائي

ان كان هذا صوابا * فتلك عين الخطاء (الخطائي)

وحسن هنا قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا

بتداركنا أن ونعماه تأييده وأدام بقاءه الله أطال الجليل الامير أي ان وصلى الله على محمد وآله الاخيار فلما فرغت من قراءتها انقطع ظهر احد الخصمين وقال الناس قد عرفنا الترسل أيضا فلما الى اللغة فقلت يا أبا بكر هذه اللغة التي هذدتنا بها وحدثتنا عنها وهذي كتبها وتلك مؤلفاتها فخذ غريب المصنف ان شئت واصلاح المنطق ان أردت وألفاظ ابن السكيت ان نشطت ومجمل اللغة ان اخترت فهو ألف ورقة وأدب الكاتب ان أردت واقترح على أي باب شئت من هذه الكتب حتى أجعله لك نقدا وأسرده عليك سردا فقال قرأ من غريب المصنف رجل ماس خفيف على مثال مال وما أنساه فاندفعت في الباب حتى قرأته فلم أتردد فيه وأتيت

يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا عدا بين الرياض تشعبا

ومنه قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى

بروحى افتدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فأفديه بالمال

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن فى ذلك الخال (الخالى)

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلى

سوامنى مهجتى سعيدا * ولى شقاء به يزيد

اذا اجتمعنا يقول ضدى * هذا شقى وذا سعيد

وظريف قول جمال الدين عبد الله السوسى

ورب أقطع يشدو * ساروا وما ودعونى

ما أنصفوا اهل ودى * واصلهم قاطعونى

وألطف منه قول الشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا

يا معشر الاصحاب قد عن لى * رأى يزيل الحق فاستظرفوه

لا تحضروا الا باخفافكم * ومن تثاقل منكم خففوه

ومثله قوله

تصفحت ديوان الصفى فلم أجد * لديه من السحر الحلال مرامى

فقلت لقلبى دونك ابن نباتة * ولا تتبع الحلى فهو حرامى

وظريف هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكى وان لم يكن فيه تورية فقد صرح باسم النوع من جنس الغزل

وقالوا يا قبيح الوجه تهوى * مليحا دونه السمر الرشاق

فقلت وهل أنا الا أديب * فكيف يفوتنى هذا الطباق

ومن المطابقة بالتورية قول القاضى بدر الدين بن الدمامينى رحمه الله

بدر اذا شمت فوق الخد عارضه * يوما أرى الصبح بالظلماء مختلطا

وظن ان صوابا هجر عاشقه * لما رأى منه شيبا باديا وخطا

ومن العجيب فى هذا النوع قول شيخنا العلامة شهاب الدين ابن حجر فسح الله فى اجله

خليلى ولى العمر منا ولم نتب * وننوى فعال الصالحين ولكنا

فحتى متى نبنى بيوتا مشيدة * وأعمارنا منا تهد وما تبنا (تبنى)

وما أحلى قوله فيه

أتى من أحبائى رسول فقال لى * ترفق وهن واخضع تفز برضانا

فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

ومثله قوله

نأى رقيبى وحبيبى دنا * وحسنه للطرف قد أدهشا

آنسنى المحبوب يوم اللقا * لكن رقيبى فيه ما أوحشا

وما أظرف قوله فيه

على الباب الذى يليه ثم قلت اقترح غيره فقالوا كفى ذلك فقلت له اقرأ الآن باب المصادر من اخبار فصيح الكلام ولا أطالبك بسواه ولا أسئلك عما عداه فوقف حماره وخمدت ناره وقال الناس اللغة مسلمة لك أيضا فهاتوا غيره فقلت يا أبا بكر هات العروض فهو أحد ابواب الادب وسردت منه خمسة أبحر بألقابها وأبياتها وعللها وزحافها فقلت هات الآن فاسرده كما سردته فلما برد ضجر الناس وقاموا عن المجلس يفدونى بالامهات والاب ويشيعونه باللعن والسب وقام أبو بكر فغشى عليه وقت اليه فقلت

يعز على فى الميدان أنى * قتلت مناسبى جلدا وقهرا

ولكن رمت شيأ لم يرمه * سوائى فلم أطق يا ليث صبرا

وقبلت عينه ومسحت وجهه وقلت أشهد أن الغلبة

اشكو الى الله ما بي * وما حوته ضلوعي

قد طابق السقم جسمي * بنزلة وطلوع

انظر كيف جمع بين قصر الوزن وعدم الحشو وصحة التركيب والمطابقة بالتورية وتسمية النوع من جنس الغزل ومثله قوله

قال حبي اكتم الهوى * خوف لاح وواشيه

كيف استطيع كتمه * وسقامي علانيه

وأنشدني من لفظه لنفسه ابن مكانس وقد أوقفته في الشرح على هذا النوع فقال

يا سادتي والعشق لم يبق لي * من بعدكم روحا ولا حسا

صبحني الهم لهجرانكم * والضر لما بنتم مسا (مسى)

وله

لثغرك طعم ونشر يلذ * ونسقي به يا أخا البدر عشقا

فدعنا نمت ونعش في الهوى * غراما وتم ذوقا ونشقا (ونشق)

ومثله قوله

رب خذ بالعدل قوما * أهل ظلم متوالي

كلفوني بيع خيلي * برخيص وبغالي

ونقلت من ديوان والده المقر الفخري

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كي تحتفي فأبى شذا العطر

يا معشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا في اللف والنشر

ونقلت أيضا من ديوانه

لم انس معشوقة زارت بجنح دجى * فبت في مسك انفاس وطيب سمر

حتى الصباح وعيناها تظن بأنه * هاروت حل عشا فيهما وسحر

ونقلت منه ما امتدح به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبي ان أناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا

أنت للعلم في الحقيقة باب * يا اماما وما سواك مجاز

وقوله

علقتها معشوقة خالها * ان عمها بالحسن قد خصصا

يا وصلها الغالي ويا هجرها * لله ما أغلى وما أرخصا

وقلت في هذا المعنى من قصيدة

وكيف أكتم حبا في هواه ولي * من أحمر الدمع فوق الخد تشهير

ونار خديه قلبي أرخصت وغلت * لما غدت ولها في القلب تسعير

وقال أغمدت سيف اللحظ عنك فكيف الحال قلت له والله مشهور

وقلت من قصيدة وصرحت باسم النوع

طابقت رقة حالي بالجفا عبثا * فما طباقك الا رقة وجفا

له فيه لا يا أبا بكر جئتنا من باب الخلطة وفي باب العشرة وتفرق الناس وجلسنا للطعام مع أفاضل ذلك المقام ولما حلقنا على الخوان كرعت في الجفان وأسرعت الى الرغفان وأمعنت في الالوان وجعل هذا الفاضل يتناول الطعام بأطراف الاظفار فلا يأكل الاقضما ولا ينال الاشما وهو مع ذلك ينطق عن كبد حرا ويفيض عن نفس ملأى فقلت يا أبا بكر بقيت للأمنة وقبلك مسكة (يا قوم اني ارى الاموات قد نشروا * والارض تلفظ موتا كم اذا قبروا) فأخبرني يا أبا بكر لم غشي عليك فقال لحي الطبع وحي الفرو فقلت اين أنت عن السجع هلا قلت حي الطبع وحي الصقع وقال السيد أبو القاسم أيها الاستاذ أنت مع الجد والهزل تغلبه

وقلت من قصيدة

شرقونا بدمع العين عجبا * ليتهم عند موتنا قبلونا

وقلت بعده

حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا في بعادنا مسنونا

حتى تخلصت الى مدح أمين الدين من غزل هذه القصيدة ولم اخرج مما نحن فيه من المطابقة بالتورية بقولى

والمشالم تخن عهود وفاكم * واسألوا من غدا عليها أمينا

ومن غريب ما وقع لى فى هذا النوع قولى من قصيدة

بدر منير قسا برؤيته * لكن يرى عند خده شفقه

وقلت من قصيدة

لى فى حماكم أهيف من عامر * وخراب بيت تصبرى بالعامرى

سلطان حسن ظاهر لما بدا * جال الهوى فى باطنى بالظاهر (بالظاهرى)

وضفرت شعرك اذ ظفرت بمهجتى * بفديك محاول العرا من ظافر

وجبت برد الثغر اذ طابقته * فى ضمن تورية بجفن فاتر

انظر ما أحلى قولى فى ضمن تورية والمراد المطابقة بالتورية وقلت مطابقا والتورية ثلاثية

بر هجرك عجبا قد قضيت لنا * وشاهد الحسن بالاحسان حلالك

وكتبت الى بعض المخاديم بحماة المحروسة حرسها الله تعالى أطلب منثورا أبيض فماطلنى مدة والمنثور الابيض عزيز بحماة

زهر الوعود ذوى من طول مطلكم * لانه من نداكم غير ممطور

والعبد قد جهز المنظوم ممتدحا * فطابقوه اذا وافى بمنثور

وقلت

هويت غصنا لاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد

قالت لواحظه انا سود على * بيض الطباقات انتم أعين سود (سودوا)

وقد طال الشرح ولكن هذا الطول تنشرح له الصدور وتعلو به همة الطالب ولم يرض بعدها بالرخيص من هذا الفن ويتأيد قولى ان الذين اقتديت برأيهم ومشيت على سننهم لم يرضوا بالمطابقة المجردة ولم ينظموها الا فى سلك التورية وقد أوردت لهم هنا من ذلك ما تشنف الاسماع وترقص عند السماع والكمال لله فان الشيخ صفى الدين لم يات بالمطابقة الا مجردة وبيته

قد طال ليلى وأجفانى به قصرت * عن الرقاد فلم أصبح ولم أنم

وبيت العميان مثله لكنه عامر بالركة والعقادة وهو

واسهر اذا نام سار وامض حيث وفى * واسمح اذا شح نفسا وامران بقم

وبيت عز الدين

ابكى فيضحك عن درمطابقة * حتى تشابه منثور بمنتظم

فقلت لا تطلوه ولا تطعموه طعاما يصير فى بطنه مغصا وفى عينه رمصا وفى جلده برصا وفى حلقه غصصا فقال أبو بكر هذه اسجاع كنت حفظتها فقل كما أقوله يصير فى عينك قذى وفى حلقك أذى وفى صدرك شجى فقلت يا أبا بكر على الالف تريد خذ الآن بفيك البرا وعلى هامتك الثرى ولا أطعمك الخرا الامن وراء كاترى فقال أيها الاستاذ السكوت أولى بك ومالوا الى وقالوا ملكت فأسجح فأبى أبو بكر ان يبقى لنفسه حجة لم ينقضها أو يدخر علينا كلمة لم يعرضها فقال والله لاتركنك بين الميمات فقلت ما معنى الميمات فقال بين مهزوم ومهدوم ومهشوم ومغموم ومحموم ومرجوم فقلت وأتركك بين الميمات أيضا بين الهيام والصدام

لعمرى

لعمري ان بيت صفي الدين و بيت العميان يتنزلان عند هذا البيت العامر بالمحاسن منزلة الاطلال البالية فان الشيخ عز الدين جمع فيه بين تسمية النوع من جنس الغزل و بين غرابة المعنى وحسن الانسجام و رقة النسيب و بديع اللف والنشر ولم يأت كل منهما الا بمجرد المطابقة وأما قول العميان في آخر بيتهم واسران يقم فهذا اللفظ من بقية ما سقط من حجارة البيت وبيت بديعيتي

بوحشة بدلوا انسي وقد خفضوا * قدري وزادوا علوا في طباقهم

فالمطابقة والتورية وتسمية النوع البديعي اجتمعت هنا في قافية هذا البيت الذي علا بطباقه وتفيأ أهل البديع بظل رواقه

(ذكر النزاهة)

(نزهت لفظي عن فحش وقلت هم * عرب وفي حيهم يا غربة الذمم)

النزاهة ما نظمها أحد في بديعيته الا صفي الدين الحلي وقد تقدم القول انه ذكر عن بديعيته انها نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن وهو نوع غريب تجول سوابق الذوق السليم في حلبة ميدانه وتغرد سواجع الحشمة على بديع افنانه لانه هجو في الاصل ولكنه عبارة عن الاتيان بألفاظ فيها معنى الهجو الذي اذا سمعته العذراء في خدرها لا تنفر منه وهذه عبارة عمرو بن العلاء لما سئل عن أحسن الهجو وقد وقع من النزاهة في الكتاب العزيز عجائب منها قوله تعالى واذا دعوا الى الله ورسوله ليحكم بينهم اذا فريق منهم معرضون وان يكن لهم الحق يأتوا اليه مذعنين أفي قلوبهم مرض ام ارتابوا أم يخافون ان يحيف الله عليهم ورسوله بل أولئك هم الظالمون فان ألفاظ الذم المخبر عنها في كلام الآية أتت منزهة عما يقع في غير هذا القسم من الفحش في الهجاء والمرض هنا عبارة عن ابطان الكفر ومن النزاهة البديعية في النظم قول أبي تمام

بني فعيلة ما بالي و بالكم * وفي البلاد مناديح ومضطرب

لجاجة لي فيكم ليس يشبهها * الا لجاجتكم في انكم عرب

ومن غريب هذا النوع قول معبد بن الحسين بن جبارة لرجل كان يدعو قوما الى سماع قينة له ثم انكشف له بعد هذا انهم كانوا ينالون منها القبيح

ألم أقل لك ان القوم بغيتهم * في ربة العود لا في رنة العود

لا تأمنن على الشاة التي عقرت * فأنت غادرتها في مسرح السيد

فانظر الى مصاحبة هذه المعاني وبراءة ألفاظها عن الفحش ومن ذلك قول جرير

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وقالوا أحسن ما وقع في هذا الباب قوله أيضا

لو ان تغلب جمعت انسابها * يوم التفاخر لم ترن مثقالا

فانظر الى هذا الهجو المنكي كيف بالغ في تنزيه ألفاظه عن الفحش وفيه معنى الهزل الذي يراد به الجد وهو غاية في هذا النوع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

حسبي بذكرك لي ذما ومنقصة * فيما نطقت فلا تنقص ولا تذم

والجذام والجام والزكام والسام والبرسام والهام والسقام وبين السيئات فقد علمنا طريقة بين منحوس منحوس منكوس معكوس منعوس محسوس معروس

النزاهة

وبين الماآت فقد دفعت علينا بابا بين مطبوخ مشدوخ منسوخ ممسوخ مفسوخ وبين الباآت فقد علمتني الطعن وكنت ناسيا بين مغلوب ومسلوب ومرعوب ومصلوب ومركوب ومنكوب ومنهوب ومغصوب وان شئنا كلنا بهذا الصاع وطاولنا بهذا الذراع وعرضنا عليك من هذا المتاع وكاثرناك بهذه الانواع ثم خرجت واختبر فقد كان اجتمع الناس وغلث الكروش ولما خرجت لم يلقوني الا بالشفاه تقبيلا وبالافواه تبجيلا وانتظروا خروجه الى ان

وقال انها بالذال المعجمة فان جل قصده الذم هنا والذى أقوله ان هذا البيت شموس ايضاحه آفلة فى غيوم العقادة ولبته استضاء بما قاله جرير ومشى على سننه والعميان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين نظمه فى بديعيته لاجل معارضة الصفى وقال فى بيته يخاطب العاذل

لقد تفيهقت بالتشديق فى عذلى * كيف النزاهة عن ذا الاشدق الخصم

قد تقرر ان النزاهة هجو ولكن شرطوا أن لا ينظم هجوها الا بألفاظ لا تنفر منها العذراء فى خدرها والذى أقوله وأنا أستغفر الله ان ألفاظ عز الدين فى بيته ينفر منها الجان فكيف حال العذراء وحاصل القضية انه نزه ألفاظه عن النزاهة ولم يتفيهق ولم يتشدق غيره وما أحقه بقول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلى من المعنى ولكن يفرقع

وبيت بديعيتى

نزهت لفظى عن فحش وقلت هم * عرب وفى حيهم يا غربة الذمم

حشمة النزاهة لا تخفى على أهل الذوق السليم والعلم مع ما فيها من عدم التكليف فى الميل عن التعسف والذى أقوله ان بيتى فى هذا الباب جر اذيال البلاغة مع جرير وشاركه فى العذوبة والتبارى ولكن له نبأ فى التسمية صدر عن خبير

(ذكر التخيير)

(تخيروا الى سماع العذل وانتزعوا * قلبى وزادوا نحولى مت من سقمى)

التخيير هو ان يأتى الشاعر ببيت يسوغ فيه ان يقفى بقواف شتى فيتخير منها قافية يرجحها على سائرها يستدل بتخيرها على حسن اختياره كقول الشاعر

ان الغريب الطويل الذيل ممتهن * فكيف حال غريب ماله قوت

فانه يسوغ أن يقال ماله مال ماله نشب ماله أحد ماله قوت فاذا تأملت ماله قوت وجدتها أبلغ من الجميع وادل على القافية وأمس بذكر الحاجة وأبين للضرورة وأشجى للقلوب وأدعى للاستعطاف فلذلك رجحت على ماذكرناه ومن هذا النوع فى الكتاب العزيز قوله تعالى ان فى السموات والارض لآيات للمؤمنين وفى خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون واختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيى به الارض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون فالبلاغة تقتضى أن تكون فاصلة الآية الاولى للمؤمنين لانه سبحانه وتعالى ذكر العالم بجملته حيث قال السموات والارض ومعرفة ما فى العالم من الآيات الدالة على أن المخترع قادر عليم حكيم ولا بد من التصديق أولا بالصانع حتى يصح أن يكون ما فى المصنوع من الآيات دليلا على انه موصوف بتلك الصفات والتصديق هو الايمان وكذلك قوله تعالى فى الآية الثانية لقوم يوقنون فان خلق الانسان وتدبير خلق الحيوان والتفكر فى ذلك مما يزيده يقينا فى معتقده الاول وكذلك معرفة جزئيات العالم من اختلاف الليل والنهار وانزال الرزق من السماء واحياء الارض بعد موتها وتصريف الرياح يقتضى رجاحة العقل ليعلم ان من صنع هذه الجزئيات هو الذى صنع

العالم

غابت الشمس ولم يظهر أبو بكر حتى حضره الليل بجنوده وخلع الظلام عليه فروته فهذا ما عاقناه عن المجالس وأديناه والسيد أطال الله بقاءه يقف عليه ان شاء الله

(تم ما أملاه أبو الفضل فى مناظرة أبى بكر الخوارزمى وكتب اليه بعض من عزل عن ولاية حسنه يستمد وداده ويستميل فؤاده فأجابه بما نسخته)

وردت رقعتك فأعرتها طرف التعزز ومددت

التخيير

اليها يد التقزز وجمعت عنها ذيل التحرز فلم تند على كبدى ولم تحظ بناظرى ويدى وخطبت من مودتى مالم أجدك لها كفوا وطلبت من عشرتى مالم أرك لها راضيا وقلت هذا الذى رفع عنا أجفان طرفه وشال بشعرات أنفه وتاه بحسن قده وزها بورد خده ولم يسقنا من نوئه ولم نسر بضوئه والآن اذ نسخ الدهر آية حسنه وأقام مائل غصنه وفثأ غرب عجبه وكف زهوه زهره وانتصر

العالم الكلي بعد قيام البرهان على ان للعالم الكلي صانعا مختارا فلذلك اقتضت البلاغة ان تكون فاصلة الآية الثالثة لقوم يعقلون وان احتيج للعقل في الجميع الآن ذكره هنا امتن بالمعنى من الاول ويروى أن اعرابيا سمع شخصا يقرأ والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله غفور رحيم فقال ما ينبغي ان يكون الكلام هكذا فقيل ان القارئ غلط والقراءة والله عزيز حكيم فقال نعم هكذا تكون فاصلة هذا الكلام فانه لما عز حكم واذا تأملت فواصل القرآن وجدتها كلها لم تخرج عن المناسبة كقوله تعالى فاما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر لا يجوز التبديل بينهما اذ لا يجوز النهي عن انتهار اليتيم لمكان تهذيبه وتأديبه وانما ينهى عن قهره وغلبته كما لا يجوز ان ينهر السائل اذا حرم بل يرده ردا جميلا و يعجبني قول ديك الجن

قولي لطيفك ينثني ✱ عن مضجعي عند المنام

عند الرقاد عند الهجوع عند الهجود عند الوسن

فعسى انام فتنطفي ✱ نار تأجج في العظام

في الفؤاد في الضلوع في الكبود في البدن

جسد تقلبه الاكف على فراش من سقام

من قتاد من دموع من وقود من حزن

أما انا فكما علمت فهل لوصلك من دوام

من معاد من رجوع من وجود من ثمن

فهذه القوافي المثبتة يقابل كل بيت بما يليق به منها والاولى اولى وارجح وبيت صفي الدين الحلي رحمه الله تعالى

عدمت صحة جسمي اذ وثقت بهم ✱ فما حصلت على شئ سوى الندم

فلذكر عدمت في صدر البيت يليق ان تكون القافية العدم ولذكر الصحة يليق ان تكون القافية السقم ولذكر الوثوق يليق ان تكون القافية الندم والبيت في غاية الرقة والانسجام وبيت عز الدين

تخير قلبي هوى السادات صح به ✱ عهدي واني لحزني ثابت الالم

أما تخيير هذا البيت فاني تركته لاهل الذوق السليم بل تخير البيت بكماله ولم تنظم العميان في بديعيتهم هذا النوع وبيتي

تخيروا الى سماع العذل وانتزعوا ✱ قلبي وزادوا نحولي مت من سقمي

فسماع العذل يليق به السأم وانتزاع القلب يليق به الالم وزيادة النحول يليق بها السقم وتقديم السقم هنا اقرب من النحول ولم يدخل الى هذا البيت من الاجانب قافية

(ذكر الابهام)

(وزاد ابهام: ندى عاذلي ودجا ✱ ليلي فهل من جميم يشتفي ألمي)

الابهام ويسمى موجهة وهو ان يقول المتكلم كلاما مبهما يحتمل معنيين متضادين لا يتميز أحدهما عن الآخر ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد بل يقصد ابهام الامر فيهما والابهام

لنا منه بشعرات كسفت هلاله واكسفت باله ومسخت جماله وغيرت حاله وكدرت شرعته حياء يستقي من جرفنا جرفا ويغرف من طيبنا غرفا فمهلا يا أبا الفضل مهلا ارغبت فينا اذ علا ✱ لك الشعرفي خد تحل ✱ وخرجت عن حد الظبا ✱ وصرت في حد الابل ✱ الآن تطلب عشرتي ✱ عند العداوة يا خجل وتناسيت أيامك اذ تكلمنا نزرا وتلحظنا شزرا وتجالس من حضر وتسترق اليك النظر وتستنزل كلامك وتنهش اسلامك (ومن لك بالعين التي كان مدة ✱ اليك بها في سالف الدهر ينظر) أيام كنت تمايل والاعضاء تتزايل وتتغانج والاجساد تتفالج وتمانعت والاكباد تتفتت وتخطر وترفل والوجد يعلو بنا ويسفل

(الابهام)

مختص بالفنون كالمديح والهجاء وغيرهما ولكن لا يفهم من الفاظه مدح ولا هجاء بل يكون لفظه صالحا للامرين ومثاله ما يحكى أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل باتصال ابنته بالمأمون مع من هنأ، فأثاب الناس كلهم وحرمه فكتب اليه ان أنت تماديت على حرمانى عملت فيك بيتا لا تعلم مدحتك فيه ام هجوتك فاستحضره وسأله عن قوله فاعترف وقال لا اعطيك او تفعل فقال

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن
يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما أراد بقوله ببنت من فى الرفعة أو فى الصغر واستحسن منه الحسن ذلك وناشده أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله بل نقلته من شعر شاعر مطبوع كثير العبث بهذا النوع اتفق انه فصل قباء عند خياط اعور اسمه زيد فقال له الخياط على طريق العبث به سآتيك به لا تدرى اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك لاعملن فيك بيتا لا يعلم احد ممن سمعه ادعوت لك ام دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قباء * ليت عينيه سواء

فما علم احد ان الصحيحة تساوى السقيمة او بالعكس فاستحسن الحسن صدقه اضعاف استحسانه حذقه وغالب الناس يسمون الخياط عمرا ويقولون

خاط لى عمرو قباء * ليت عينيه سواء

ولكن نقل زكى الدين بن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أن الخياط كان اسمه زيدا وأورد البيت مصرعا مرفوع العروض والضرب ووجه الرفع ظاهر فيهما ولم يتفق للمتأخرين ولا للسلف من قبل فى هذا الابهام غير البيت المتعلق بالخياط زيد والبيت المتعلق بالحسن بن سهل وقد تقدم ذكرهما وقد عززتهما بثالث لما وقفت على تاريخ زين الدين بن قرناص الحلبى ووجدته قريبا من قباء زيد الخياط فقلت

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون
فاذا تأمله مناظر فى جمعه * خبره عنى انه مجنون

وكذلك الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وتبعه الشيخ عز الدين الموصلى لاجل المناظرة ويأتى الكلام على بيتيهما وقد كشفت عنه قناع الاشكال وابرزت بدوره المحجبة فى افق الكمال فانى كتبت فيه تقريظا لم ارض بقراضة الذهب ان تكون له رملا ولا سبقنى اليه اديب ولا ولد منه على هذا الطريق شكلا وما ذاك الا انه ورد الى الديار المصرية وانا منشئ دواوين الانشاء المؤيدى خلد الله ملكه الشيخ شمس الدين محمد بن ناهض النفاعى فى شهر شوال سنة ثمانية عشر وثمانمائة وقد صنف سيرة مشتملة على نظم ونثر للسلطان الملك المؤيد ولم يكن للمشار اليه المام بتعاطى الادب فى مبادى عمره فسألنى أن أكتب له عليها تقريظا قبل تقديمها فامتنعت من ذلك مدة فدخل على بمن لا تمكن مخالفته فحسنت له كتابة شيخنا القاضى بدر الدين بن الدمامينى أولا فتوجه اليه فالتزم بالايمان المغلظة انه لا يكتب له الا اذا كتبت له فلزمنى الكتابة من وجوه فكتبت له هذا التقريظ الذى صلت البلغاء خلفه فانه للمحاسن جامع وأوضحت طريقه فضاع نشره الذى كان من غير تورية ضائع (وهو)

وتدبر وتقبل فتغنى وتخبل وتصد وتعرض فتضنى وتمرض (وتبسم عن الى كان منورا يتخلل حول الرمل غض له ندى) فاقصر الآن فانه سوق كسد ومتاع فسد ودولة عرضت وأيام انقضت وعهد نفاق مضى وخطب كساد نزل وخد كان لم يكن وخط كان لم يزل ويوم صار أمس وحسرة بقيت فى النفس وثغر غاض ماؤه فلا يرشف وريق خدع فلا ينشف وعامل لا يجيب ونثر لا يطرب ومقلة لا تجرح ألحاظها وشفة لا تنثنى ألفاظها فمنام تدلل والام ولم تحتمل وعلام وآن أن تذعن الآن وقد بلغنى الآن ما انت متعاطيه من غويه يجوز بعد العشاء فى الغسق وتشبيه يفتضح عند ذوى البصر وافنائك لتلك الشعرات حفا وحصا وأسماعك لها نتفا وقصا وسيكفينا الدهر مؤنة الانكار عليك بما نزف

قوله ظاهر فيهما النظر ما وجهه فى العروضة

وقنت

وقفت على قواعد الادب من هذه السيرة الناهضيه فوجدت مطرب لحنه اقدا عرب عن التنكيت لاهل النكت الادبيه ونويت معها سلوك الادب لاحتشامها بالصفات المؤيديه فانها ماقوبلت بأدب الاتقوت بسلطانها ولاجارتها سيرة مطولة الا كانت قاصرة عن الجري في ميدانها ولاذكرت التواريخ المقدمة معها الاتأخرت وكبت خلفها ولا ناظرها ذوقصص الاثقل عليه امرها ونظر الى قصصه فاستخفها ولابالغ اهل التقاريض في تقاريضهم الاوكانت دونها واستحق لها هذا الوصف في ذمة أهل الادب فاستوفت منه ديونها فلونظر الصفدي الى هذا التاريخ وراجع النظر لسلخ جلده اوتصفحه الكتبي لعدد على تاريخه وماعده اوكاثره ابن كثير لرأى نقصه متزايدا عنده اوعاصره ابن خلكان لقال لم امازج شراب القاضي جلي فان عنده حضه وبرده اولمحه الذهبي وموه بتاريخه لقيل له هذا ماينطلى معه وعلم ان خلاصة الذهب تظهر بالسبك فهضم من جانبه ووضعه ولوادركه البديع لرمى بديعه وعلم انه بدعة اولحقه الوهراني لرآه في المنام ان حصل له بعد مطالعته هجعة نسب هذا التاليف الى الدولة المؤيدية فصارله على كل اهل الارض صوله فلوناظره مؤلف بمجلد لقلنا هذا اجراب الدوله تحمس في شعره وتغالى فالقى لنا في سوق الكلام رخصه ولوزايده ابوتمام لتحقق عجزه واراناً بنفسه نقصه ثم هذه الاشعار التي مازاحمها شاعر بديوانه الاتات عليه بعد الزلزلة الواقعه وتقوم القيامة وهي الى الحشر مرمية على القارعه ولقد اقام اوزانها بالقسط ولكن رجحها على القيراطي بفضله ونقص عنها الراجح الحلي لان فيها زيادة على مثله فياله من شعر قصر عن بحره الطويل كل معارض وكيف لاوناظمه ذوهمة علية وناهض وابن ناهض وقدوقف ابن حجة وقوف معترف ان عنده في نظمه وقفه وسكت المقر البدري على اعترافه انه قاضي الادب وامامه الذي صلت البلغاء خلفه وقفت لعلماء الادب هذا الباب وارجوان يكون قفاميمنا فان رضوني براعة بحسن الختام واذا حصل العلل من هذا النهرروينا ثم وقفت وغير خاف عن علومهم الكريمة ان شرط الواقف مايهمل وامتثلت مراسيم المصنف مع سلوك الادب الذي يذوقه من له فيه اعذب منهل والله يجمعنا على هذا الشرب لنحلوموارده بالموارده ولايحجبنا عن الكلام الذي يحسن السكوت عليه وتتم به الفائده

(وكتب بعد ذلك سيدنا القاضي بدرالدين المشار اليه) وقفت اناولا كادانثنت نظري لشدة الخجل وسألت المهلة في وصف هذه الالفاظ فاذاهي قدجاءت على عجل فقلت أما المقام الشريف الممدوح عزنصره ولازالت تفخر بدولته القاهرة مصره فلقدمد على الرعية جناح العدل وحمى بيضة الاسلام وتواردت على تجريح عداته وتعديل صفاته السنة السيوف والاقلام وسارعلى اقوم طريق فاذكرنا السيرة العمريه وطلع في سماء الكواكب كالبدر فقل ماشئت في الطلعة القمريه ودعا الى نسك طاعته فلبته في ذلك الموقف النفوس ونادى على اعدائه منادي الحتف فارانا كيف يكون الترخيم بحذف الرؤس ناهيك بها مناقب سرت القلوب وسارت ونافست النجوم بجواهر الالفاظ في مدحها فغارت وشملت البرايا بالمن والمنح وقابلت المسيء بالعفو والصفح حماها الله

اليك من بنات الشعر وامهاته فاماما استأذنت رأي فيه من الاختلاف الى مجلسي فما أقل نشاطي لك واضيق بساطي عنك واشبع قلبي منك واشد استغنائي عن حضورك فان حضرت فأنت كغاش نروض عليه الحلم وتعلم به الصبر ونتكلف فيه الاحتمال ونغضي منه الجفن على قذى ونطوي منه الصدر على أذى ونجعله للعيون تأديبا وللقلوب تأنيبا مالك ياأبا الفضل تعتاض من الرغبة عنا رغبة فينا ومن ذلك التدالل علينا تذللا لنا ومن ذلك التعالي تصبصا ومن ذلك التغالي ترخصا وما بال الدهر ابدلك من التزايد تنقصا ومن التسحب على الاخوان تقمصا ولئن اعتضت عن ذلك الذهاب رجوعا لقداعتضنا عن هذا النزاع نزوعا فانا برحالك وجانبك ملقى حبلك على غاربك لاأوثر قربك ولاانسر بك ولوأحببت ان أوجعك لقلت

تعالى من الغير وجعل صفاتها الشريفة جمال الكتب والسير وأما منشئ السيرة فاذا اقول وقد رأيت الخطب جليلا وماذا أصف وقد حملني العجز عبأ ثقيلا هو كبير انامر مزمل من البلاغة بانواع وأجناس ياتم به الهداة كانه علم وتروم الادباء المقايسة به فيقاسون ولكن من شدة الالم له في الادب صم عمه وتم امه وفراهة تجريه الى المقامات الرائقة فلانه تريه ساآمه ماهم بتركيب معنى الاوشرح الصدور بذلك الهم ولاشن فارس فكره غارة الاوتم منها على بيوت الشعراء ماتم طالما ظهر برغم انوف الحسدة في المجالس فضله وصعبت الآداب على غيره لكنها اصبحت عليه سهله وعقل غرائب نكته عما سواه فلله ما ابدع عقله كدر عيش الحلى بما ابتدعه من العجائب ولا بنكر لذلك تكدير الصفى واكتفى في ميدان البراعة بجواد فكره الذى حال وهو مكر مفر وهكذا يكون المكتفى الذى في تاريخه بالفاظ لورآها ابن الاثير اثار وابن سعيد لتعثر وابن بسام لاصيب منها بالقارعة فعبس وتولى اوالحجازى لرمى منها بالداهية التى هدمت مابناه وثقلت عليه حملا وكتب خط الو لحه ابن مقلة لاصيب منه بنظره أوابن البواب لهتك ستره وجاء بادب لو وازن أحد به الراجح الحلى لما اقام له وزنا ولا رجحه ولو تامل المليحى ملاحة انظمه الذى ما امتزج مثله بالذوق الا قال لسان التعجب ما أملحه ولو قيس به ابن الرومى المتعاظم لانشد الناظم

ولوانى بليت بهاشمى * خؤولته بنو عبد المدان
لهان على ما القى ولكن * تعالوا وانظروا بمن ابتلانى

ولو تشبه به مادح كافور لعاد من برده بكبد حرا ولو كاف مجاراته صاحب القطر النباتى لقال ربنا أفرغ علينا صبرا ولو تعرض ديك الجن لعزائمه في الادب لمازادته الاخبالا ولرأى سطورا تتوالد منها المعانى العجيبة والليالى كاعات حبالى ولو أصبح ابن قادوس نجارا يمثل أدبا اقلمناله حسبه ان يدور في الدولاب ولو تسرح الزغارى الى تصيد معانيه الشاردة لقطعت عليه اذناب الكلاب ولو تلق المعمار عليه الم انه ينحت من الجبال بيوتا ولو رآه ابو نواس لقال هذا الذى نقل الادب خبرا وعلم من اين يوتى ولو عورض به ابن مماتى لطال على قريحته الميتة النحيب اوذكر الصابى لقال الذوق السليم ليس لعصرنا من صاب سوى هذا الاديب ولو أدرك آدابه الحكيم ابن دانيال لعلم انه ما تخيل نظيرها في الوهم ولا ورد مثلها في الخيال واذا كان الامر كما قال حسان بن ثابت الانصارى

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على البرية ان كيسا وان حمقا

فما اوفر عقل هذا الشاعر وأوفاه وما أقدره على تخيل المعانى الغريبة واقواه وما احق من قاسه على قرنائه من هذه الصناعة التى تعاطاها بسواه كم تصوره معنى في الذهن فابرزه في الخارج اغرب الاشياء اسلوبا وكم ركب جناسا اذا ذكر البستى عنده قال الادب دعنا من تركيبه للجناس مقلوبا ولقد كنت ارتجى بابا ادخل منه للتقريض ففتح لى الفكر التقوى بابا مرتجا ونهج الطريق الى المدح فاقتفيت آثاره واهتديت حيث رأيت منهجا ابقاه الله لا يسام يوضحه وفساد عاجز يصلحه والله تعالى يحفظ على منشئ هذه السيرة

مايفعل الله باليهود
ولا بعاد ولا ثمود
ولا بفرعون اذ عصاه
مايفعل الشعر بالخدود

(وله أيضا الى الشيخ أبي جعفر الميكالى)

الامير الفاضل الرئيس رفيع مناط الهمة بعيد منال الخدمة فسيح مجال الفضل رحيب مخترق الجود طيب معجم العود

ولو نظمت الثريا
والشعريين قريضا
وكامل الارض ضربا
وشعب رضوى عروضا
وصغت للدر ضدا
أو للهواء نقيضا
بل لو جلوت عليه
سود الذوائب بيضا
او ادعيت الثريا
لا خمصيه حضيضا
والبحر عبد لهماه
عند العطاء مفيضا
لما كنت الا في ذمة القصور وجانب التقصير فكيف وأنا قاعد الحالة في المدح قاصر الآلة عن الشرح ولكنى اقول الثناء منهج الى سلك والسخى جوده بما ملك وان لم تكن غرة لائحة

قريحته التي هي لعجائب الأدب حائزه ويجعله ممن يسرح في رياض الصدقات الشريفة بما يسوقه اليه من وفور الجائزه والح المصنف بعد ذلك على المقر الجمدى فضل الله ابن مكانس فكتب بالطف نظرت هذه السيرة التي يعرض عنها المعارض وينزه مؤلفها في رياض الأدب على بكر من سوام المعانى وفارض فوجدته قد نهض بعبء ثقيل من الكلام وقام وأوقف البلغاء في مقام العجز وبعد ذر العاجز اذ شرفها بذكر مولانا السلطان في هذا المقام خلد الله ملكه الشريف وعم بعدله المبسوط مداثن فضل ذات ظل وريف وجعل أيامه الزاهرة تواريخ السعود ومغانم الوفود ومواسم الكرم والجود وثبت قواعد سلطانه على الخصوم ورفع جنابه المعظم على الافلاك حتى تسير لخدمته ممنطقات بمناطق النجوم واعز دولته عزا يذل له الدبر والاملس وتلبس أثوابه في الارض ويخص محله الرفيع من تلك الافلاك بالاطلس هنالك ينحنى الهلال لتقبيل اقدامه ويمد كف الثريا لاستجداء صوب غمامه ويتضاءل كل منهما فيصير هذا نعل فرسه وهذا حلية لجامه وملكه رقاب العباد وامضى أحكام سيوفه في رقاب أهل العناد حتى يشهد الدين انه قام بحقوقه نافلة وفرضا وهي في مراضي الله فزلزل ديار الكفار سماء وأرضا ضاعف الله ثواب عمله المقبول وانشد بشكره لسان العالم حتى ينطق ويقول

السيد المالك الملك المؤيد سيف الدين شيخ حوى العلياء وارضاها

وشيد الدين والدنيا ببيض ظبا * ان لم تضاه به في الحرب أمضاها

ثم كررت النظر فيها واستنهضت القلم للكتابة عليها حسب سؤال منشيها فنكس القلم من الخجل راسه وصعد من صرير انفاسه وقال لست ممن يجيد في هذا التقريض عباره ولا ينهض في وصف ما جاء به هذا الرجل من مشين كلمه الذي الخم الفحول فكأنما القمهم حجاره فلقد ترفع قلمه في أرض قرطاسه وسما وأتى من الرقيق بشيء يحسبه الظمآن ما وقذف الرعب في القلوب بذكر الوقائع فورمت خوفا وشكت مما قذف بها ورما فلو وازنه القيراطي لثقل في الحقيقة عليه او حام على حمى ابن ابي حجلة لقرطا ترامن بين يديه أو جلا على ابن نباتة سلاف نظمه لم يقل الي بكاسك الاشهى الي أو أورى زنده مع الشواء لاحرق قلبه ولم يستحسن منه شيء أو عاصر ابن الساعاتي لم يلتذ بطيب المنام أو جارى النصير الحمامي لالوى شعره في سرب الحمام أو تقدم لزمان أبي تمام وناظره لعلم الناس أنه غير لبيب وقال له علماء البديع هذا ضدك يا حبيب أو ابن حجاج لاظهر فساد عقله السخيف ورمى بجميع ما قاله في الكنيف فهو أولى منهم بما جره الفضل وجذب وأحق وان اشتهرت فضائلهم أن يشتهر بالادب فانه لو كلف الغريب من القول لاتى به على كنهه أو أقام الاعتذار عن قبيح لقام العذر عاجلا به وذهب على وجهه ولو تصدى لتهجين حسن لزان بما يحلاه الطروس من ذلك وشحن أو حاج بالباطل من يعرب عن الحق لنهض بحجته واستقر يطن فسبحان من أقدره على ما تقصر عن ادراكه الافهام وتعجز عن تصوره عقول الانام ولقد استعفاه القلم عن الكتابة خشية من عرض فضائحه وسأله طي هذه الصحيفة

فلمعة دالة وان لم يكن صدر فماء أو لم تكن خمرا فخل أو لم يصب وابل فطل وبذل الموجود غاية الجود وبعض الحمية آخر المجهود وماش خير من لاش ووجود ما قل خير من عدم ما جل وقليل في الجيب خير من كثير في الغيب وجهد المقل أحسن من عذر المخل وحمار هو خير من فرس ليس وكوخ في العيان خير من قصر في الوهم وزيت خير من ليت وما كان أجود من لو كان وقد قيل عصفور في الكف خير من كركي في الجو ولان تنطف خير من ان تقف ومن لم يجد الجيم رعى الهشيم ومن لم يحسن صهيلا نهق ومن لم يجد ماء تيمم والامير لا تنظر من قوافي صنعه الى ركة ألفاظها وبعد أغراضها ولكن الى وفور جذرها وثقل مهرها وقلة كفئها فاني منذ فارقت قصبة جرجان ووطئت عتبة خراسان ما زففتها الا الى أذى ولا زوجتها سوى هذى على تمرغي في اعطان المحن وضرورتي الى أبناء الزمن وان كان

خوفا من نشر قبائحه فابى الا اظهار المكتوم وفض المختوم فيا خجلتاه لما كتب ويا فضيحتاه اذا لام الفاضل على ما باه وعتب ولكنه جرى خلف الجوادين السابقين واقتدى بامامتهما التى اعترف الآفاق انهما لأئمة الخافقين ابقاهما الله مدى الازمان واسبغ عليهما غطاء الفضل وبلغهما غاية الامانى يوم الخوف والامان وامتع بجناب منشئها الاحباب وأقر به أعين الاخوان وبسط به أنفس الاصحاب والهمنا أجمعين تجنب ما خفى علينا من عوراتنا وكشف حجب قلوبنا بمنه وكرمه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

ليت المنية حالت دون نصحك لى * فيستريح كلانا من اذى التهم

هذا البيت ليس له نظير فى هذا الباب فانه اشتمل على الرقة والسهولة والانسجام ومازاده حسنا الا تقويته ببيت التى استعان بها الشاعر فى ابهام بيته على زيد انخباط فان الشيخ صفى الدين لما قال لعاذله * ليت المنية حالت دون نصحك لى * حسن ابهامه بقوله * فيستريح كلانا من اذى التهم * وصار الامر مبهما بينه وبين العاذل وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يخاطب فيها العاذل

ابهمت نصحى مشيرا بالاصابع لى * ليت الوجود رمى الابهام بالعدم

وهذا الابهام هنا يشار اليه بالاصابع وتعقد عليه الخناصر فان الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى اجاد فيه الى الغاية ولم يتفق له فى نظم بديعيته بيت نظيره ولا اتفق لغيره ممن نظم بديعية فانه جمع بين السهولة والانسجام والتصوير والتورية البارزة فى أحسن القوالب بتسمية نوع الابهام الذى هو المقصود ولعمرى انه بالغ فى عطف القلوب بهذا السحر الحلال ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت بديعيتى

وزاد ابهام عذلى عاذلى ودجا * ليلى فهل من بهيم يشتفى المى

فان الابهام هنا بين بهيم الليل وبين العاذل فان اشتراك البهيم صالح لهما ولكن لم يحصل التمييز لاحدهما عن الآخر كما وقع الشرط بين الامر بينهما مبهم ولا يعلم من هو المقصود منهما وهذا هو الفرق بين الابهام والتورية اذ المراد من التورية المعنى البعيد المورى عنه بالقريب

(ذكر ارسال المثل)

(وكم تمثلت اذا رخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم)

ارسال المثل نوع لطيف فى البديع ولم ينظمه فى بديعيته غير الشيخ صفى الدين وهو عبارة عن ان يأتى الشاعر فى بعض بيت بما يجرى مجرى المثل من حكمة او نعت أو غير ذلك مما يحسن التمثل به كقوله تعالى ليس لها من دون الله كاشفة وقوله تعالى وترى الجبال تحسبها جامدة وهى تمر مر السحاب صنع الله الذى أتقن كل شئ وقوله تعالى صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة وقوله تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم فلها ومما جاء من ذلك فى السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين وقوله صلى الله عليه وسلم لا ضرر ولا ضرار وقوله صلى الله عليه وسلم خير الامور أوساطها وقوله صلى الله

الامير الرئيس يرفع لكل لفظ بجاب سمعه ويفسح لكل شعر فناطبعه فهاك من الشعر مايقرى ومن النظم ماترى

اذهب الكأس فعرف الـ
فجر قد كاد يلوح
وهو للناس صباح
ولذى الرأى صبوح
والذى يمرح بى فى
حلبة اللهو جموح
واسقنيها والامانى
لها عرف يفوح
ان فى الايام اسرا
رابها سوف تبوح
لا يغرنك جسم
صادق الحس وروح
انما نحن الى الآ
جال نغدو ونروح
وبك هذا العمر تفريـ
ـح وهذا الروح ريح
بينما أنت صحيح الـ
ـجسم اذ أنت طريح
فاسقنيها مثل ما يلـ
ـقطه الديك الذبيح
قبل ان يضرب فى العمـ
ـر الى القدح السفيح
ها كم الدنيا فسبحوا
ووقعنا الانسيح

ارسال المثل

عليه وسلم المرء مع من أحب وقوله صلى الله عليه وسلم المستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم وقوله صلى الله عليه وسلم ذو الوجهين لا يكون عند الله وجيها يوم القيامة وقوله صلى الله عليه وسلم البلاء موكل بالمنطق وقد احتوى كتاب ابي أحمد العسكري على كثير من هذا الباب ومن أمثلته في الشعر قول زهير

وهل ينبت الخطى الا وشيجه * وتغرس الا في منابتها النخل

ومثله قول النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

ومثله قول بشار

فعش واحدا أو صل أخاك فانه * مقارف ذنب مرة ومجانبه

وما احلى ما قال بعده

اذا أنت لم تشرب مرارا على القذى * ظمئت وأى الناس تصفو مشاربه

وقول أبي تمام

فلو صورت نفسك لم تزدها * على ما فيك من كرم الطباع

وكقوله

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ما الحب الا للحبيب الاول

وذكر ابن ابي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير انه استخرج أمثال ابي تمام من شعره فوجدها تسعين نصفا وثلثمائة بيت وأربعة وخمسين بيتا واستوعب أمثال أبي الطيب المتنبي فوجدها مائة نصف وثلاثة وسبعين نصفا واربعمائة بيت ولكنه أخرج من أمثال أبي الطيب ما ولده من امثال أبي تمام وصدر الجميع بما وقع في الكتاب العزيز من الامثال بزيادات على ذلك وهي أمثال الاشعار السنية والحماسة وامثال أبي نواس بعد أن ألحق أمثال القرآن بامثال دواوين الاسلام السنية وختم الجميع بامثال العامة في كتاب الامثال له ومما سار من أمثال الطغرائي في لامية العجم قوله

حب السلامة يثني عزم صاحبه * عن المعالي ويغري المرء بالكسل

لو أن في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

أعلل النفس بالآمال ارقبها * ما اضيق العيش لولا فسحة الامل

وعادة النصل ان يزهى بجوهره * وليس يعمل الا في يدى بطل

ما كنت اوثران يمتد بي زمني * حتى ارى دولة الاوغاد والسفل

هذا جزاء امرئ أقرانه درجوا * من قبله فتمنى فسحة الاجل

وان علانى من دوني فلا عجب * لي اسوة بانحطاط الشمس عن زحل

فاصبر لها غير محتال ولا ضجر * في حادث الدهر ما يغني عن الحيل

اعدى عدوك أدنى من وثقت به * فحاذر الناس واصحبهم على دخل

وانما رجل الدنيا وواحدها * من لا يعوّل في الدنيا على رجل

يا واردا سؤر عيش كله كدر * انفقت صفوك في أيامك الاول

انما الدهر عدو
ولمن اصغى نصيح
ولسان الدهر بالوعـ
ـظ لواعيه فصيح
نستبيح الدهر والايام منا تستبيح
نحن لاهون وآجا
ل المنى لا تستريح
ضاع ما نحميه من أنـ
ـفسنا وهو يبيح
يا غلام الكاس فاليأ
س من الناس مريح
وقنوعا فمقام الذل بالحر قبيح
آنا يا دهر بأبنا
ئك شق وسطيح
وبأبكار القوافي
لا على كف شحيح
يا بني ميكال والجو
د لعلاتي مريح
شرفا ان مجال الـ
ـفضل فيكم لفسيح
وعلى قدر سنا الممـ
ـدوح يأتيك المديح
فهناك الشرف الار
فع والطرف الطموح
والندى والخلق الطا
هر والوجه الصبيح
مرتق مجد بحار الطو
ف فيه ويطيح
مالكم فيه مغيض الـ
ـماء والعرض صحيح

فيم اقتحامك لج البحر تركبه * وانت تكفيك منه مصة الوشل
ملك القناعة لا يخشى عليه ولا * يحتاج فيه الى الانصار والخول
ترجو البقاء بدار لا بقاء لها * فهل سمعت بظل غير منتقل
ويا خبيرا على الاسرار مطلعا * اصمت ففي الصمت منجاة من الزلل

وممن سار في مجرى هذه القصيدة ووزنها أبو الطيب المتنبي في قصيدته التي اولها

اجاب دمعي وما الداعي سوى طلل * دعا فلباه قبل الركب والابل
وما صبابة مشتاق على أمل * من اللقاء كمشتاق بلا أمل
والهجر اقتل لي مما أراقبه * انا الغريق فما خوفي من البلل
قد ذقت شدة أيامي ولذتها * فما حصلت على صاب ولا عسل
خذ ما تراه ودع شيأ سمعت به * في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

انظر الى محاسن هذين الفحلين الى الغاية التي تمثلا بها في الشمس وزحل وتأخر سوابق الاذهان عن معرفة السابق منهما الى الغاية ومنها قوله

وقد وجدت مكان القول ذا سعة * وان وجدت لسانا قائلا فقل
لعل عتبك محمود عواقبه * فربما صحت الاجسام بالعلل
لان حلمك حلم لا تكلفه * ليس التكحل في العينين كالكحل
وما ثناك كلام الناس عن كرم * ومن يسد طريق العارض الهطل

وقد عن لي أن أجمع هنا ما حلا بذوقي من أمثال أبي الطيب المتنبي وان كان فيما اورده من شعر ابي تمام كما ذكره ابن ابي الاصبع فان القصد ان تصيرها عمدة لاهل الانشاء اذا أوردوها في الوقائع التي تليق بها على اختلاف أنواعها فمن ذلك قوله

اذا صديق نكرت جانبه * لم تعيني في فراقه الحيل
في سعة الخافقين مضطرب * وفي بلاد من اختها بدل

وقوله من قصيدة

اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا
ومن يك ذا فم مر مريض * يجد مرا به الماء الزلالا

وقوله من قصيدة

ذل من يغبط الذليل بعيش * رب عيش أخف منه الحمام
كل حلم أتى بغير اقتدار * حجة لاجئ اليها اللئام
من يهن يسهل الهوان عليه * ما لجرح بميت ايلام
غير اعضائنا الرؤس ولكن * فضلتها بقصدك الاقدام

وقوله

ما كل من طلب المعالي نافذا * فيها ولا كل الرجال فحولا
تلف الذي اتخذ الجراءة خلة * وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا

وقوله

آيهذا الكرم المثل والخلق البهيج كأن هذا الجود ميتا عاد منك المسيح

هذه اطال الله بقاء الامير الشهم هدية الوقت وعفو الساعة وفيض البديهة ومسارقة القلم ومسابقة اليد للفم وجرات الحدة وثمرات المدة ومجاراة الخاطر للناظر ومباراة الطبع للسمع ومجاوبة الجنان للبنان والشعر اذا لم تتقدمه نية ولم تتخمره روية لم يفتح له السمع حجابه واذا لبس الامير هذه على علاتها وجب أن يكون ما بعدها اتقن واحسن وارصن ورأيه في الوقوف عليه موفق ان شاء الله

(وله اليه أيضا)

لئن ساءني ان نلتني بمساءة * لقد سرني أني خطرت ببالك

ومكايد السفهاء واقعة بهم * وعداوة الشعراء بئس المقتنى

ويعجبنى قوله فى الهجو وهو مما نحن فيه

فلو كنت امرأ تهجى هجونا * ولكن ضاق فتر عن مسير

وقوله

فقر الجهول بلا لب الى أدب * فقر الحمار بلا رأس الى رسن

قد هوّن الصبر عندى كل نازلة * ولين العزم حد المركب الخشن

لا يعجبن مضيما حسن بزته * وهل تروق دفينا جودة الكفن

وقال من ابيات قوله

عرفت الليالى قبل ما صنعت بنا * فلما دهتنى لم تزدنى بها علما

وكنت قبيل الموت استعظم النوى * فقد صارت الصغرى التى كانت العظمى

فلا عبرت بى ساعة لا تعزنى * ولا صحبتنى مهجة تقبل الظلما

وقوله ايضا

وانا الذى اجتلب المنية طرفه * فمن المطالب والقتيل القاتل

انعم ولذ فللامور أواخر * أبدا كما كانت لهن أوائل

للهو آونة تمر كأنها * قبل تزودها حبيب راحل

جمح الزمان فلا لذيذ خالص * مما يشوب ولا سرور كامل

واذا اتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بانى فاضل

وقال من قصيدة وهى أبلغ ما يكون فى المدح

اعيا زوالك عن محل نلته * لا تخرج الاقمار من هالاتها

وقال من قصيدة

واشجع منى كل يوم سلامتى * وما ثبتت الا وفى نفسها أمر

ذر النفس تأخذ وسعها قبل بينها * فمفترق جاران دارهما عمر

ومن ينفق الساعات فى جمع ماله * مخافة فقر فالذى فعل الفقر

وأستكبر الاخبار قبل لقائه * فلما التقينا صغّر الخبر الخبر

وانى رأيت الضر أحسن منظرا * واهون من مرأى صغير به كبر

ويعجبنى من المديح منها

وما انا وحدى قلت ذا الشعر كله * ولكن لشعرى فيك من نفسه شعر

وقال من قصيدة

وما ليل بأطول من نهار * يظل بلحظ حسادى مشوبا

ولا موت بانقص من حياة * أرى لهم معى فيها نصيبا

عرفت نوائب الحدثان حتى * لو انتسبت لكنت لها نقيبا

وما أظرف ما قال منها

وشيخ فى الشباب وليس شيخا * يسمى كل من بلغ المشيبا

الامير اطال الله بقاءه الى آخر الدعاء فى حالى بره وجفائه متفضل وفى ادنائه وابعاده محسن وهنيا له من حمانا ما يحمله ومن عرانا ما يحمله ومن اعراضنا ما يستحله بلغنى انه ادام الله عزه استزاد صنيعه فكنت اطلق مجيبا عليه مساءلته فاذا انا فى قرارة الذنب ومثارة العتب وليت شعرى اى محظور فى العشرة حضرته او مفروض من الخدمة رفضته او واجب فى الزيارة اهملته وهل كنت الا ضيفا اهداه نزع شاسع واداه امل واسع وحداه فضل وان قل وهداه رأى وان ضل ثم لم يلق الا فى آل ميكال رحله ولم يصل الا بهم حبله ولم ينظم الا فيهم شعره ولم يقف الا عليهم شكره ثم ما بعدت صحبة الا دنت مهانة ولا ازادت

قسا فالاسد تفزع من يديه * ورق فنحن نفزع ان يذوبا

وقال من قصيدة وهي التي ذكروا انه ادعى فيها النبوّة

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى * عدوّا له ما من صداقته بد

وقال من قصيدة

قد كنت اشفق من دمعي على بصري * فاليوم كل عزيز بعدكم هانا
اذا قدمت على الأهوال شيعني * قلب اذا شئت أن يسلاكم خانا
أبدو فيسجد من بالسوء يذكرني * ولا اعاتبه صفحا واهوانا
وهكذا كنت في أهلي وفي وطني * ان النفيس غريب حيثما كانا
لا اشرئب الى ما لم يفت طمعا * ولا ابيت على ما فات حسرانا
ولا اسر بما غيري الحميد به * ولو حملت الى الدهر ملآنا

وقوله من قصيدة

فمالي وللدنيا طلابي نجومها * ومسعاي منها في شدوق الاراقم
من الحلم ان تستعمل الجهل دونه * اذا اتسعت في الحلم طرق المظالم
ومن عرف الايام معرفتي بها * وبالناس روّى سيفه غير راحم
ولولا احتقار الاسد شبهتها بهم * ولكنها معدودة في البهائم
وكاد سروري لا يفي بندامتي * على تركه في عمري المتقادم

وقال من قصيدة

وأحسب اني لو هويت فراقكم * لفارقته والدهر أخبث صاحب
فياليت ما بيني وبين احبتي * من البعد ما بيني وبين المصائب
يهون على مثلي اذا رام حاجة * وقوع العوالي دونها والقواضب
كثير حياة المرء مثل قليلها * يزول وباقي عيشه مثل ذاهب
* بأي بلاد لم أجرّ ذوائبي * وأي مكان لم تطأه ركائبي *

وتخلص الى مدح طاهر ولكنه اتى في تخلصه بالعجائب فقال

كأن رحيلي كان من كف طاهر * فاثبت كوري في ظهور المواهب

ما يقول اثبت كوره في ظهور المواهب الا المتنبي ومن أبياته التي سارت امثالا قوله

اذا غامرت في شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت في امر حقير * كطعم الموت في امر عظيم
وكل شجاعة في المرء تغني * ولا مثل الشجاعة في الحليم
وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم
ولكن تأخذ الآذان منه * على قدر القرائح والفهوم

وقال من قصيدة

والهم يخترم الجسيم نحافة * ويشيب ناصية الصبي ويهرم
ذو العقل يشقى في النعيم بعقله * وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم

حرمة الا انتقصت صيانة ولا تضاعفت منة الا تراجعت منزلة ولم تزل الصفقة [illegible] حتى صار وابل الاعظام قطرة وعاد قميص القيام صدرة ودخلت مجلسه وحوله من الاعداء كتيبة فصار ذلك التقريب ازورارا وذلك السلام اختصارا والاهتزاز ايماء والعبارة اشارة وحين عاتبته آمل اعتابه وكاتبته انتظر جوابه وسألته ارجو ايجابه اجاب بالسكوت فما ازددت الا له ولاء وعليه ثناء لا جرم الى اليوم ابيض وجه العهد واضح محجة الود طويل لسان القول رفيع حكم العذر وقد حملت فلانا من الرسالة ما تجافى القلم عنه والامير الرئيس اطال الله بقاءه ينعم بالاصغاء لايورده موفقا ان شاء الله عز وجل

(وله اليه أيضا)

لا يخدعنك من عدو دمعه * وارحم شبابك من عدو ترحم

وما اعظم ما قال بعده

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى * حتى يراق على جوانبه الدم
والظلم من شيم النفوس فان تجد * ذا عفة فلعلة لا يظلم
ومن البلية عذل من لا يرعوى * عن جهله وخطاب من لا يفهم
والذل يظهر فى الذليل مودة * واود منه لمن يود الارقم
ومن العداوة ما ينالك نفعه * ومن الصداقة ما يضر ويؤلم
افعال من تلد الكرام كريمة * وفعال من تلد الاعاجم اعجم

وقوله

كريشة بمهب الريح ساقطة * لا تستقر على حال من القلق

ويعجبنى قوله من ابيات يعتذر بها فى كثرة الاحسان المفرط

ولم تملل تفقدك الموالى * ولم تذمم اياديك الجساما
ولكن الغيوث اذا توالت * بارض مسافر كره المقاما
وصار احب ما يهدى اليه * اغير قلى وداعك والسلاما

وقال

والغنى فى يد اللئيم قبيح * قدر قبح الكريم فى الاملاق

وقال من قصيدة

وقد يتزيا بالهوى غير اهله * ويستصحب الانسان من لا يلائمه
بليت بلى الاطلال ان لم اقف بها * وقوف شحيح ضاع فى الترب خاتمه
وما استغربت عينى فراقا رأيته * ولا علمتنى غير ما القلب عالمه

وقوله

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وقال من قصيدة

اذا اعتاد الفتى خوض المنايا * فاهون ما تمر به الوحول

وقوله

رمانى الدهر بالارزاء حتى * فؤادى فى غشاء من نبال
فصرت اذا اصابتنى سهام * تكسرت النصال على النصال

وقوله

يراد من القلب نسيانكم * وتأبى الطباع على الناقل
ولو زلتم ثم لم ابككم * بكيت على حبى الزائل

وقوله

هل الولد المحبوب الا تعلة * وهل خلوة الحسناء الا اذى البعل
وقد ذقت حلواء البنين على الصبا * فلا تحسبنى قلت ما قلت عن جهل

أنا فى خدمة الامير مرجح بين ان اشربها رتقة لا اسيغها والجلح مضغة لا اجيزها وبين ان اطويها على غرها ولا ارتضع اخلاف درها

فلا نفسى تطاوعنى لرفض
ولا هممى توطننى لخفض

وبقى أن أقرصه بانامل العتب وأجشمه بالحاظ العذل واعرفه انى ما اطوى مسافة فرارا الا متجشما ولا اطأ عتبة دار الا متبرما ولست كمن يبسط يده مستجديا او ينقل قدمه مستغنيا فان كان الامير الرئيس اطال الله بقاءه يسرح طرفه فى طامح او طامع فليعد للفراسة نظرا فما القفر من ارض العشيرة ساقنا *

اليك ولكنا بقربك نبجح

واجدنى كلما استفزنى الشوق الى تلك المحاسن اطير اليها بجناحين عجلا وارجع بعرجاوين خجلا

وما الدهر اهل ان تؤمل عنده * حياة وان يشتاق فيه الى النسل

وقال

اذا ما الناس جربهم لبيب * فانى قد اكلتهم وذاقا

وقوله

فما ترجى النفوس من زمن * أحمد حاليه غير محمود

وقوله

ووجه البحر يعرف من بعيد * اذا يسجو فكيف اذا يموج

وقال

ليس الجمال لأنف صح مارنه * انف العزيز بقطع العز يجتدع
من كان فوق محل الشمس موضعه * فليس يرفعه شئ ولا يضع
ان السلاح جميع الناس تحمله * وليس كل ذوات المخلب السبع

وقوله مفتخرا

وانا اذا ما الموت صرح فى الوغى * لبسنا الى حاجاتنا الضرب والطعنا

وقوله

اهم بشئ والليالى كأنها * تطاردنى عن كونه وأطارد
وحيد من الخلان فى كل بلدة * اذا عظم المطلوب قل المساعد
ولكن اذا لم يحمل القلب كفه * على حالة لم يحمل الكف ساعد

منها

بذا قضت الايام ما بين اهلها * مصائب قوم عند قوم فوائد
وكل يرى طرق الشجاعة والندى * ولكن طبع النفس للنفس قائد
فان قليل الحب بالعقل صالح * وان كثير الحب بالجهل فاسد

وقوله

وما كل وجه ابيض بمبارك * ولا كل جفن ضيق بنجيب
كان الردى عاد على كل ماجد * اذا لم يعوذ مجده بعيوب
ولولا أيادى الدهر فى الجمع بيننا * غفلنا فلم نشعر له بذنوب
فرب كئيب ليس تندى جفونه * ورب كثير الدمع غير كئيب
وفى تعب من يحسد الشمس ضوءها * ويجهد ان يأتى لها بضريب

وقوله

* ومن صحب الدنيا طويلا تقلبت * على عينه حتى يرى صدقها كذبا
ومن تكن الاسد الضوارى جدوده * يكن ليله صبحا ومطعمه غصبا
ولست ابالى بعد ادراكى العلا * ا كان تراثا ما تناولت ام كسبا

ويعجبنى من هذه القصيدة قوله فى مديح سيف الدولة وقد كسر الدمستق على مرعش

أتى مرعشا يستقرب البعد مقبلا * وأدبر اذ أقبلت تستبعد القربا

ولولا ان الرضا بذلك ضرب من سقوط الهمة وان العتب نوع من انواع الخدمة لصنت مجلسه عن قلمى كما اصونه عن قدمى وملت الى ارض الدعاء فهو انفع والى جانب الثناء فهو اوقع وسأفعل ذلك لتخف مؤنتى ولا تثقل وطأتى
اذا ما عتبت فلم تعتب
وهنت عليك فلم تعن بى
سلوت فلو كان ماء الحياه
لعفت الورود ولم اشرب

وكتب الى القاسم الكرجى اما اطال الله بقاء الشيخ سيدى ومولاى وان لم اتق تطاول الاخوان الا بالتطول وتحامل الاحرار الا بالتحمل أحسب الشيخ ايده الله على اخلاقه ضنا بما عقدت يدى عليه من الظن به والتقدير فى مذهبه ولولا ذلك اقلت فى الارض مجالا ان ضاقت ظلالك وفى الناس واصل ان رثت

كذا يترك الاعداء من يكره القنا * ويقفل من كانت غنيمته رعبا
مضى بعدما التف الرماحان ساعة * كما يتلقى الهدب في الرقدة الهدبا
ولكنه ولى وللطعن سورة * اذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا
نخف الجبان النفس أورد ها البقا * وحب الشجاع الحرب اوردها الحربا

وما احلى ما قال بعده

ويختلف الرزقان والفعل واحد * الى ان ترى احسان هذا لذا ذنبا

ومن أنصاف مطالعه التي تمثل بها الناس

* واحر قلباه ممن قلبه شبم *

ونصفه الثاني لاجل تمام شخص المطلع

* ومن بجسمي وحالي عنده سقم *

ويعجبني من هذه القصيدة قوله يخاطب سيف الدولة ويشير اليه انه سمع فيه كلام الاعداء وقد احضرهم لواجهته ولم يخرج عن ارسال المثل

يا أعدل الناس الا في معاملتي * فيك الخصام وانت الخصم والحكم
اعيذها نظرات منك صادقة * أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

ومما سار من امثالها قوله

اذا رأيت نيوب الليث بارزة * فلا تظنن أن الليث مبتسم
يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شيء بعدكم عدم
ان كان سركم ما قال حاسدنا * فما لجرح اذا أرضاكم ألم
وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة * ان المعارف في اهل النهى ذمم
كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم * ويكره الله ما تأتون والكرم

منها وليس لمثله مثيل

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا * ان لا تفارقهم فالراحلون هم

وما أحلى ما قال بعده

شر البلاد مكان لا صديق به * وشر ما يكسب الانسان ما يصم

وقال من ابيات

وان كان ذنبي كل ذنب فانه * محا الذنب كل المحو من جاء تائبا

وقال من قصيدة

وما كمد الحساد شيأ قصدته * ولكنه من يزحم البحر يغرق
واطراق طرف العين ليس بنافع * اذا كان طرف القلب ليس بمطرق

وقوله لولا مفارقة الاحباب ما وجدت * لها المنايا الى أرواحنا سبلا

وقوله لا بقومي شرفت بل شرفوا بي * وبنفسي فخرت لا بجدودي

حبالك وأوا اخذه بافعاله فان أعارني أذنا واعية ونفسا مراعية وقلبا متعظا ورجوعا عن ذهابه ونزوعا عن هذا الباب الذي يقرعه ونزولا عن الصعود الذي يفرعه فرشت لمودته خوان صدري وعقدت عليه جوامع خصري ومجامع عمري وان ركب من التعالي غير مركبه وذهب من التغالي في غير مذهبه أقطعته خطة اخلاقه ووليته جانب اعراضه و

لم أرد الطير عن شجر قد بلوت المر من ثمره

فاني وان كنت في مقتبل السن والعمر قد حلبت شطري الدهر وركبت ظهري البر والبحر ولقيت وفدي الخير والشر وصافحت يدي النفع والضر وضربت ابطي العسر واليسر وبلوت طعمي الحلو والمر ووضعت ضرعي العرف

وما أحلى ما قال من غزلها

أي يوم سررتني بوصال * لم ترعني ثلاثة بصدود

منها

أين فضلي اذا قنعت من الدهر بعيش معجل التنكيد
عش عزيزاً أو مت وانت كريم * بين طعن القنا وخفق البنود

وقال من قصيدة

وعذلت اهل العشق حتى ذقته * فعجبت كيف يموت من لا يعشق

وقوله من قصيدة

تحقر عندي همتي كل مطلب * ويقصر في عيني المدى المتطاول

وما أحلى ما قال بعده

وما زلت طودا لا تزول مناكبي * الى ان بدت للضيم في زلازل

وله من قصيدة

ليس التعلل بالآمال من أربي * ولا القناعة بالاقلال من شيمي
ولا اظن بنات الدهر تتركني * حتى تسد عليها طرقها همي

وما ألطف ما قال منها

ارى أناسا ومحصولي على غنم * وذكر جود ومحصولي على الكلم
لقد تصبرت حتى لات مصطبر * فالآن اقحم حتى لات مقتحم

وقال

وكاتم الحب يوم البين منهتك * وصاحب الدمع لا تخفى سرائره

وقوله

اذا قيل رفقا قال للحلم موضع * وحلم الفتى في غير موضعه جهل

وقال من قصيدة

غوثي في الوغى عيشي لاني * رأيت العيش من ارب النفوس

وقال من أخرى

ان ترمني نكبات الدهر عن كثب * ترمي امرأ غير رعديد ولا نكس

وقال

خير الطيور على القصور وشرها * يأوي الخراب ويسكن الناووسا

وقال أيضا

يخفي العداوة وهي غير خفية * نظر العدو بما أسر يبوح

وقال ايضا

وهبني قلت هذا الصبح ليل * ايعمى العالمون عن الضياء

وقال أيضا

وشغل النفس عن طلب المعالي * ببيع الشعر في سوق الكساد

والشكر فما تكاد الايام تريني من افعالها غريبا وتسمعني من احوالها عجيبا ولقيت الافراد وطرحت الآحاد فما رأيت احدا الا ملأت سمعه وبصره وشغلت حيزي فكره ونظره واثقلت كفته في الحزن وكفة في الوزن وود لو بادر القرن صفقي اولي صفحتي فالى صغرت هذا الصغر عينه وما الذي ازرى بي عنده حتى احتجب وقد قصدته ولزم ارضه وقد حضرته انا احاشيه ان يجهل قدر الفضل أو يجحد فضل العلم او يمتطي ظهر التيه على اهله واسأله ان يعتصي من يديم بفضل اعظام ان زلت بي مرة قدم في قصده وكاني به وقد غضب لهذه المخاطبة المجحفة والرتبة المجحفة وهو في جنب جفائه يسير فان اقلع عن عادته

ومنها

وماماضى الشباب بمسترد * ولايوم يمر بمستعاد
متى لحظت بياض الشيب عينى * فقد وجدته منها فى السواد
وما العضب الطريف وان تقوى * بمنتصف من الكرم التلاد
فان الجرح ينفر بعد حين * اذا كان البناء على فساد
وكيف يبيت مضطجعا جبان * فرشت لجنبه شوك القتاد

وما أحلى قوله من قصيدة

انى وان لمت حاسدى فما * انكر انى عقوبة لهم
كفانى الذم انى رجل * اكرم مال ملكته الكرم

وما أحلى ما قال بعده

يجنى الغنى للئام لو عقلوا * ماليس يجنى عليهم العدم

وقال ايضا

خليلك انت لا من قلت خلى * وان كثر التجمل والكلام
ولولم يعل الاذو محل * تعالى الجيش وانحط القتام

وما أحلى قوله منها

تلذ له المروءة وهى تؤذى * ومن يعشق يلذ له الغرام

ومما سار من امثالها

لقد حسنت بك الايام حتى * كانك فى فم الدنيا ابتسام
تروع ركانة وتذوب ظرفا * فما تدرى أشيخ ام غلام

وقال من قصيدة

اظمتنى الدنيا فلما جئتها * مستمطرا امطرت على مصائبا

وقال منها

خذ من ثناى عليك ما اسطيعه * لا تلزمنى فى الثناء الواجبا

وقال من غيرها

ومن لبه مع غيره كيف حاله * ومن سره فى جفنه كيف يكتم

وقوله

انا صخرة الوادى اذا ما زوحمت * واذا نطقت فاننى الجوزاء
واذا خفيت على الغبى فعاذر * ان لا ترانى مقلة عمياء
ان الكريم اذا أقام ببلدة * سال النضار بها وقام الماء

وقال من قصيدة

لا تعذل المشتاق فى أشواقه * حتى يكون حشاك فى أحشائه

وما أحلى ما قال بعده

ان القتيل مضرجا بدموعه * مثل القتيل مضرجا بدمائه

ونزوع عن شيمته فى الجفاء فاطال الله بقاء الاستاذ الفاضل وادام عزه وتأييده

(وله أيضا اليه)

يعز على اطال الله بقاء الشيخ الرئيس ان ينوب فى خدمته قلمى عن قدمى ويسعد برؤيته رسولى دون وصولى ويرد مشرعة الانس به كتابى قبل ركابى ولكن ما الحيلة والعوائق جمة وعلى ان اسعى وليس على ادراك النجاح وقد حضرت داره وقبلت جداره وما بى حب الحيطان ولكن شغفا بالقطان ولا عشق الجدران ولكن شوقا الى السكان وحين عدت العوادى عنه املت ضمير الشوق على لسان القلم معتذرا الى الشيخ على الحقيقة عن تقصير وقع وفتور فى الخدمة عرض ولكنى اقول

ان يكن تركى لقصدك ذنبا * فكفى ان لا اراك عقابا

وما احلى ما قال من قصيدة

اذا ما قدرت على نطقة * فانى على تركها اقدر
أصرف نفسى كما اشتهى * واملكها والقنا احمر

ويطربنى من مديحها قوله منها ايضا

كفتك المروءة ما تتقى * وآمنك الود ما تحذر

وقال

فلا تطمعن من حاسد فى مودة * وان كنت تبديها اليه وتنيل
يهون علينا ان تصاب جسومنا * وتسلم اعراض لنا وعقول

وقوله

وما الخصك فى برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

وقال

ومن يجعل الضرغام للصيد بازه * تصيده الضرغام فيما تصيدا
وما قتل الاحرار كالعفو عنهم * ومن لك بالحر الذى يحفظ اليدا

وما أحلى ما قال بعده

* اذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وان انت اكرمت اللئيم تمردا *
ووضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع الندى

ويعجبنى منها فى اقتضاره

وما الدهر الا من رواة قصائدى * اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا
فسار به من لا يسير مشمرا * وغنى به من لا يغنى مغردا *

ومن أمثالها

فدع كل صوت بعد صوتى فاننى * انا الصائح المحكى والآخر الصدى
وقيدت نفسى فى ذراك محبة * ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا

ولقد أجاد فى مديحها بقوله

اذا سأل الانسان ايامه الغنى * وكنت على بعد جعلنك موعدا

ومن الامثال السائرة مطلع هذه القصيدة

* لكل امرئ من دهره ما تعودا *

وقال من قصيدة

وما التيه طبى فيهم غير اننى * بغيض الى الجاهل المتغافل

وقوله

وكيف يتم باسك فى اناس * تصيبهم فيؤلمك المصاب

وما ألطف ما قال بعده

ترفق أيها المولى عليهم * فان الرفق بالجانى عتاب
وما تركوك معصية ولكن * يعاف الورد والموت الشراب

وله أيضا رسالة كتبها بيكند وقد قطع عليه العرب الى سعيد الاسمعيلى

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الفاضل بل رقعتى وقد بكرت على مغيرة الاعراب ككهمس وربيعة بن مكدم وعتبة بن الحرث بن شهاب وانا احمد الله الى الشيخ وأذم الدهر فما ترك لى فضة لا فضها ولا ذهبا الا ذهب به ولا علقا الا علقه ولا عقارا الا عقره ولا ضيعة الا اضاعها ولا مالا الا مال اليه ولا حالا الا حال عليه ولا فرسا الا افترسه ولا سبدا الا استبد به ولا لبدا الا لبد فيه ولا بزة الا بزها ولا عارية الا ارتجعها ولا وديعة الا انتزعها ولا خلعة الا اخلعها وانا داخل نيسابور ولا حلية لا الجلدة ولا بردة الا القشرة

وما

وماجهلت أياديك البوادى * ولكن ربما خفى الصواب
وكم ذنب مولده دلال * وكم بعد مولده اقتراب
وجرم جره سفهاء قوم * وحل بغير جارمه العذاب

ومن مطالعه التى سارت أمثالا

على قدر أهل العزم تأتى العزائم * وتأتى على قدر الكرام المكارم

ويعجبنى من مديحها

اذا كان ما تنويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم
وقفت وما فى الموت شك لواقف * كأنك فى جفن الردى وهو نائم

وقال من قصيدة

وما تنفع الخيل الكرام ولا القنا * اذا لم يكن فوق الكرام كرام

وقال من غيرها

وما الحسن فى وجه الفتى شرف له * اذا لم يكن فى فعله والخلائق

وقال من قصيدة

وما فى سطوة الارباب عيب * ولا فى ذلة العبدان عار

وقال من قصيدة

واذا لم تجد من الناس كفؤا * ذات خدر ارادت الموت بعلا
واذا الشيخ قال اف فما مل حياة وانما الضعف ملا
آلة العيش صحة وشباب * فاذا وليا عن المرء ولى

وما احلى ما قال بعده

ابدا تسترد ما تهب الدنـ * ـيا فياليت جودها كان بخلا

وقال من قصيد

رب امر أتاك لا تحمد الفعال فيـ * ـه وتحمد الافعالا
واذا ما خلا الجبان بارض * طلب الطعن وحده والنزالا

ومن انصافها

هكذا هكذا والا فلالا

وقال من قصيدة مطلعها

الرأى قبل شجاعة الشجعان * هو أول وهى المحل الثانى
ولربما طعن الفتى اقرانه * بالرأى قبل تطاعن الاقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم * أدنى الى شرف من الانسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت * أيدى الكماة عوالى المران
واذا الرماح شغلن مهجة ثائر * شغلته مهجته عن الاخوان

وقال أيضا

واذا خامر الهوى قلب صب * فعليه لكل عين دليل

قوله جارمه فى نسخة جانيه

والله تعالى ولى الالطاف بعجله والفرج بيسره وهو حسبى ونعم الوكيل

(وله الى الشيخ الامام أبى الطيب)

أنا أطال الله بقاء الشيخ الامام بصير بابناء الذنوب وأولاد الدروب أعرفهم بشامة وأنبئهم بعلامة والعلامة بينى وبينهم ان يفسدوا الصنيع على صانعه ويحرفوا الكلم عن مواضعه ويرموا فى الحكاية سهم الشكاية ويجيلوا فى الشكاية قدح النكاية ثم لا يرون النكاية الا السعاية وان أعوزهم الصدق مالوا الى الكذب وان حلم لهم الجد عوضوا باللعب ومن علاماتهم قبح مقاماتهم وايراد ظلاماتهم موارد النصيحة لكبرائهم

وكثيرمن السؤال اشتياق * وكثير من رده تعليل
ما الذى عنده تدار المنايا * كالذى عنده تدار الشمول

وقال من قصيدة

ومن تفكر فى الدنيا ومهجته * اقامه الفكر بين العجز والتعب

ومن مطالعه التى سارت أمثالا

كفى بك داء أن ترى الموت شافيا * وحسب المنايا أن يكن أمانيا

وقوله منها

اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة * فلا تستعدن الحسام اليمانيا
وللنفس أخلاق تدل على الفتى * أكان سخاء ما أتى أم تساخيا
اذا الجود لم يرزق خلاصا من الاذى * فلا الحمد مكسوبا ولا المال باقيا
خلقت ألوفا لو رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ومن انصافها السائرة

ومن قصد البحر استقل السواقيا

وقال أيضا

فارم بى ما اردت منى فانى * أسد القلب آدمى الرواء
وفؤادى من الملوك وان كا * ن لسانى يرى من الشعراء

وقال من قصيد

فما الحداثة من حلم بمانعة * قد يوجد الحلم فى الشبان والشيب

ويعجبنى من مديحها

كأن كل سؤال فى مسامعه * قميص يوسف فى اجفان يعقوب
اذا اعترته أعاديه بمسئلة * فقد عرته بجيش غير مغلوب

وقال أيضا

وأتعب خلق الله من زاد همه * وقصر عما تشتهى النفس وجده
فلا مجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولا مال فى الدنيا لمن قل مجده

وما أحلى ما قال بعده

وفى الناس من يرضى بميسور عيشة * ومركوبه رجلاه والثوب جلده
ولكن قلبا بين جنبى ماله * مدى ينتهى بى فى مراد أحده

وقال

اذا حللت مكانا بعد صاحبه * جعلت فيه على ما قبله تيها

وقوله

وما منزل اللذات عندى بمنزل * اذا لم ابجل عنده واكرم

منها

اذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه * وصدق ما يعتاده من توهم

ومن آياتهم كثرة جناياتهم على الفضلاء وشدة حنقهم على من لم يخطرهم بباله ولا يصطادهم فى حباله فاذا انضاف الى ضيق اكنافهم سعة آنافهم والى قبح مقاماتهم قصر قاماتهم والى خبث مخضرهم خبث منظرهم والى خدودهم غلظ جلودهم والى سوء بالهم خشونة سبالهم والى مرض فؤادهم صفرة أجسادهم والى لين قفاهم غلظ الواحهم فذلك من أعلى القوم طبقة فى السفال وابعدهم غاية فى النكال والذى فاوضنى القاضى فى معناه جلى فى بابه ما حكاه يجمع هذه الخصال وقيادة وينتظم هذه الاوصاف وزيادة فلم يبعد الشيخ عن مثله ان يكذب آل الطهارة أصله ام نجابة نسله آم

وعادى محبيه بقول عداته * واصبح فى ليل من الشك مظلم
أصادق نفس المرء من قبل جسمه * واعرفها من فعله والتكلم
وأحلم عن خلى واعلم انه * متى أجزه حلما من الجهل يندم
وما كل ناو للجميل بفاعل * ولا كل فعال له بمتمم
لمن تطلب الدنيا اذا لم ترد بها * سرور محب أو اساءة مجرم

منها

رضيت بما ترضى به لى محبة * وقدت اليك النفس قود المسلم

وقوله

واذا الحلم لم يكن فى طباع * لم يحلم تقدم الميلاد
واذا كان فى الانابيب خلف * وقع الطيش فى صدور الصعاد

وقوله

وما الخيل الا كالصديق قليلة * وان كثرت فى عين من لا يجرب
وكل امرئ يولى الجميل محبب * وكل مكان ينبت العز طيب

منها وأجاد الى الغاية

واظلم أهل الظلم من بات حاسدا * لمن بات فى نعمائه يتقلب

وقال من قصيدة

لا تلق دهرك الا غير مكترث * ما دام يصحب فيه روحك البدن
فما يديم سرورا ما سررت به * ولا يرد عليك الفائت الحزن
ما كل ما يتمنى المرء يدركه * تجرى الرياح بما لا تشتهى السفن
رأيتكم لا يصون العرض جاركم * ولا يدر على مرعاكم اللبن
جزاء كل قريب منكم ملل * وحظ كل محب منكم ضغن
وتغضبون على من نال رفدكم * حتى يعاقبه التنغيص والمنن

وقال من قصيدة

ومراد النفوس أهون من ان * تتعادى فيه وان تتفانى
غير ان الفتى يلاقى المنايا * كالحات ولا يلاقى الهوانا
ولو ان الحياة تبقى لحى * لعددنا أضلنا الشجعانا
واذا لم يكن من الموت بد * فمن العجز أن تكون جبانا

وله من قصيدة

وقلة صبرى علاك وانما * كلام العدا ضرب من الهذيان

وقال

لولا المشقة ساد الناس كلهم * الجود يفقر والاقدام قتال

وقال

ومن يجد الطريق الى المعالى * فلا يذر المطى بلا سنام

حصانة أهله أم رجاحة عقله أم ملاحة شكله أم غزارة فضله ولم يجوز على ما حكاه الم يؤونى طريدا ويأتى حصيدا ويؤنسنى وحيدا ويصطنعنى مبديا ومعيدا وكان يقدر انه اذا رآنى افعل شنيعا أو سمع الى الفظ نكر لم يأل فى تحسين أمرى فعل الوالد بولده من جهته ونظر المولى لصنيعه أقرب والآن اذ عاد الامر الى العتاب فهلم الى الحساب ان كنت أخللت بطرف من طاعتى من جهة فقد نقصنى ما عودنى من وجوه وذلك انه كان لا يتجاسر أحد على ان يفرينى عنده فقد صار يفرينى عنده ويبرى جلده وكان يقوم قناتى فقد صار يحبط حسناتى وكان يثمر مالى فقد صار يطل آمالى

وما أحلى ما قال بعده

ولم أر في عيوب الناس نقصا * كنقص القادرين على التمام

وملني الفراش وكان جنبي * يمل لقاءه في كل عام

ومن اختراعاته المخترعة قوله منها ويشير الى حمى أصابته وكانت تغشاه اذا أتى الليل

وزائرتي كأن بها حياء * فليس تزور الا في الظلام

بذلت لها المطارف والحشايا * فعافتها وباتت في عظامي

يضيق الجلد عن نفسي وعنها * فتوسعه بأنواع السقام

اذا ما فارقتني غسلتني * كأنا عاكفان على حرام

كأن الصبح يطردها فتجري * مدامعها بأربعة سجام

اراقب وقتها من غير شوق * مراقبة المشوق المستهام

وتصدق وعدها والصدق شر * اذا ألقاك في الكرب العظام

فان أمرض فما مرض اصطباري * وان احمم فما حم اعتزامي

وان اسلم فما ابقي ولكن * سلمت من الحمام الى الحمام

وقوله

وللسر مني موضع لا يناله * نديم ولا يفضي اليه شراب

وما العشق الا غرة وطماعة * يعرض قلب نفسه فيصاب

اعز مكان في الدنا ظهر سابح * وخير جليس في الزمان كتاب

منها في المديح قوله في كافور

تجاوز قدر المدح حتى كأنه * بأحسن ما يثنى عليه يعاب

اذا نلت منك الود فالكل هين * وكل الذي فوق التراب تراب

وما احلى ما قال بعده

وما كنت لولا انت الا مهاجرا * له كل يوم بلدة وصحاب

وقوله

من اقتضى بسوى الهندي حاجته * اجاب كل سؤال عن هل بلم

منها

ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال ولو كانوا ذوي رحم

لا تشكون الى خلق فتشمتهم * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وكن على حذر للناس تستره * ولا يغرك منهم ثغر مبتسم

منها

اتى الزمان بنوه في شبيبته * فسرهم واتيناه على الهرم

سبحان خالق نفسي كيف لذتها * فيما النفوس تراه غاية الألم

ومن امثاله التي سارت في هجو كافور قوله

العبد ليس لحر صالح باخ * لو انه في ثياب الحر مولود

وكان يحشد لامري احتشاده لاجره فقد نبذت وراء ظهره وقد كان يحمل فقد صار يتحامل وكان لا يضايقني في الالوف من الدراهم والدنانير فقد ضايقني في الشعير في حمل بعير وللعبودية ذل اليهودية وذل المردودية والادلال مع الاذلال والطاعة مع الافضال فليستأنف الشيخ حال المولى ليستأنف حال العبد والله من وراء التسديد ونعم الوكيل

(وله ايضا اليه)

كتبتها أطال الله بقاء الشيخ الامام شمس الاسلام والحمد لله الذي أعاد اليها الاشواق وآنس بها الآفاق بعدما كادت الظلمة وأمكنت رامها الثلمة واسلمت ساحبها العقدة وحرقت بثوبها البدعة

لاتشتري العبد الاوالعصى معه * ان العبيد لأنجاس منا كيد
ما كنت أحسبني ابقى الى زمن * يسى بى فيه كلب وهو محمود
من علم الاسود المخصى مكرمة * اقومه البيض أم آباؤه السود

ومن امثاله

ومن جهلت نفسه قدره * راى غيره منه مالايرى

ومن انصافه التى سارت أمثالا

ولابد دون الشهد من ابر النحل

وقال من قصيد

قد كنت احذر بينهم من مثل ذا * لو كان ينفع خائفا ان يحذرا
اعطى الزمان فما قبلت عطاءه * واراد بى فاردت ان اتخيرا

وقال من قصيدة

وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان

وقوله

نحن بنو الموتى فما بالنا * نعاف مالا بد من شربه
تبخل ايدينا بأرواحنا * على زمان هى من كسبه
لوفكر العاشق فى منتهى * حسن الذى يسبيه لم يسبه
يموت راعى الضأن فى جهله * موتة جالينوس فى طبه
وغاية المفرط فى سلمه * كغاية المفرط فى حربه
فلا قضى حاجته طالب * فؤاده يخفق من رعبه

وقال من قصيد

اذا اشتبكت دموع فى خدود * تبين من بكى ممن تباكى

ولقد رايت هنا فى هذا القدر الذى اوردته من شعر ابى الطيب من ارسال المثل ما تطيب به الاذواق وتجول به فرسان الانشاء بالحرمن جياد الاقلام فى ميادين الاوراق وعلى كل تقدير فالابى الطيب فى حكمه وأمثاله نظير * وهنا نكتة لطيفة وهى ان صلاح الدين الصفدى كان مذهبه تقديم ابى الطيب المتنبى على ابى تمام وهو مذهب ابى العلاء المعرى فانه سمى ديوانه بعد ماشرحه معجز احمد فاتفق ان صلاح الدين اجتمع بابن نباتة بالديار المصرية وذاكره فى ابى الطيب وابى تمام فوجده على مذهبه واجتمعا بعد ذلك بالشيخ اثير الدين ابى حيان وذاكراه فى ذلك فقدم أباتمام فلاماه على ذلك فقال انا الاسمع لوما فى حبيب انتهى ومذهبى فى ذلك مذهب الشيخ صلاح الدين ومذهب الشيخ جمال الدين وان كان الشيخ اثير الدين ماسمع فى حبيبه لوما وخالف من لامه فيه وفند فمن المستحيل رجوع ابى بكر عن حب احمد وقد عن لى أن اورد هنا ماسارت فى الخافقين حكمه وامثاله وانقاد اهل الذوق السليم لطاعته لما ورد عليهم مثاله وهو تأليفى الذى وسمته بتغريد الصادح وماذاك الا ان سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه وجعل من

وهنت الجماعة والجمعة ومرض الاسلام والسنة وبعد ما أطلع الشيطان قرنه واملح وفقر فيه وأولع ومد يده الى الدين ليقلع وشعافاه الى العلم ليبلع وكبر بالاسلام العصرة حيث ملك البحرة ثم ابدل الله الهدى على الضلال وأهل السليط بالنبال وتصدق بالشيخ الامام على الانام وابقى جماله للاسلام والله يقرن هذه النعمة بالتمام ثم يربط تمامها بالدوام من هراة عن سلامة بسلامة امام تجيب وبضارة أيامه تطيب والله عليم سماع محمود وصلى الله على النبى محمد وآله ونفتح للامام من الصدور ماليس فى الفؤاد ومن القلوب ماليس للاولاد

الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه كان يقول اوّدان انتزع من الصادح والباغم أرجوزة مشتملة على أمثلة مرقصة وحكم بديعة بشرط ان يكون البيت منسجما مع الذى قبله والذى بعده ولم يتيسر لى ذلك لصعوبة المسلك انتهى ولما قدّر الله تعالى ماقدره من الاختفا بدمشق سنة ثلاث عشرة وثمانمائة عند دخول الملك الناصر بها وانا فى خدمة المقر الاشرف القاضوى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان الصادح والباغم بين كتبه فنظر فيه يوما وذكر قول قاضى القضاة صدر الدين ورسم لى بذلك فانتزعت له هذه الارجوزة التى سارت غرر أمثالها ولم يسمح الزمان لمؤلف بمثالها ومن سافر فيها نظره وكان الذوق السليم رفيقه علم انها تضرب بها الامثال على الحقيقة وسميتها بتغريد الصادح وصدرتها من نظمى بابيات تقوم مقام الديباجة والخطبة هى

الحمد لله الذى هذبنا * واختارنا للعلم اذ أدّبنا
فان للآداب فضلا يذكر * فلا تخاطب كل من لا يشعر
بامدّعى الحكمة فى كلامه * ومن يروم السحر فى نظامه
خذ حكما وكلها امثال * ليس لها فى عصرنا امثال
ألفها ابن حجة للنجبا * لأن فيها رأس مال الادبا
واختارها من مفردات الصادح * فكان ذا من أكبر المصالح
من كل بيت ان تمثلت به * سكنت من سامعه فى قلبه
وقد تهجمت على الشريف * لكننى خاطبت بالمعروف
وجدت من كلامه بنبذه * تجلب للسامع كل لذه
وترفع الاديب ان تمثلا * بها اذا خاطب أرباب العلا
من حكم تتبعها وصايا * مقبولة من أحسن السجايا
من أوّل وأوسط وآخر * جمعتها جمع أديب شاعر
حتى دنا البعيد للقريب * وانتظم البديع بالغريب
وانسجمت فى جمعها ارجوزه * بديعة غريبة وجيزه
وكل من انكر ما أحكمت فى * ترتيبها يكون غير منصف
فلينظر الاصل ليعرف السبب * ويعترف ان كان من أهل الادب
أوّل ما يرغب فى استهلاله * من نظمه المحكم فى مقاله

وهذا أوّل الصادح والباغم

العيش بالرزق وبالتقدير * وليس بالرأى ولا التدبير
فى الناس من تسعده الاقدار * وفعله جميعه ادبار

ومن هنا يأتى هذا التأليف جميعه على هذا النمط وما أردت بهذا التنبيه الا يقظة المتأمل

من عرف الله ازال التهمه * وقال كل فعله للحكمه

فكانما اشتق من جميع الاكباد وكانما ولد بجميع البلاد سواء العاكف فيه والباد فلقد رأيتها كلها لشكاته متقسمة ثم رأيت الوجوه كلها لنجاته متبسمة ولا اعتد عليه فانى منه واليه على أنى نذرت بسلامته النذور وسالت الله ان يصرف عنه المحذور وان يأخذ أحدنا مكانه وليكن من كانه وان أشفق الناس من فدائه فبى وحدى وولدى بعدى والحظ له بعدى هذا ماله عندى تنالها يدى ويبلغه جهدى هذا هو الولاء الذى الباطن والظاهر فيه سواء كيف يرى الشيخ الامام سماحة الضمير لما يلى وودائع الصدر فيما يغلى

من انكر القضاء فهو مشرك * ان القضاء بالعباد أملك
ونحن لا نشرك بالله ولا * نقنط من رحمته اذ نبتلى
عار علينا وقبيح ذكر * ان نجعل الكفر مكان الشكر
وليس فى العالم ظلم جارى * اذ كان ما يجرى بامر البارى
وأسعد العالم عند الله * من ساعد الناس بفضل الجاه
ومن أغاث البائس الملهوفا * أغاثه الله اذا أخيفا
ان العظيم يدفع العظيما * كالجسيم يحمل الجسيما
فان من خلائق الكرام * رحمة ذى البلاء والاسقام
وان من شرائط العلو * العطف فى البؤس على العدو
قد قضت العقول ان الشفقه * على الصديق والعدو صدقه
وقد علمت والاديب يعلم * بالطبع لا يرحم من لا يرحم
فالمرء لا يدرى متى يمتحن * فانه فى دهره مرتهن
وان نجا اليوم فما ينجو غدا * لا يأمن الآفات الا ذو الردى
لا تغتررا بالحفظ والسلامه * فانما الحياة كالمدامه
والعمر مثل الكاس والدهر القذر * والصفو لا بد له من الكدر

انظر أيها المتأمل كيف انبعث قوله فانما الحياة كالمدامة بقوله فالعمر مثل الكاس واذا نظرت الى آخر البيت رايت الاتفاق العجيب منها

وكل انسان فلا بد له * من صاحب يحمل ما أثقله
جهد البلاء صحبة الاضداد * فانها كى على الفؤاد
أعظم ما يلقى الفتى من جهد * ان يبتلى فى جنسه بالضد
فانما الرجال بالاخوان * واليد بالساعد والبنان
لا يحقر الصحبة الا جاهل * أو مارق عن الرشاد غافل
صحبة يوم نسب قريب * وذمة يحفظها اللبيب
وموجب الصداقة المساعده * ومقتضى المودة المعاضده
لاسيما فى النوب الشدائد * والمحن العظيمة الاوابد
فالمرء يحيى ابدا اخاه * وهو اذا ما عد من أعداه
وان من عاشر قوما يوما * ينصرهم ولا يخاف لوما
وان من حارب من لا يقوى * لحربه جر اليه البلوى
فحارب الاكفاء والاقرانا * فالمرء لا يحارب السلطانا
واقنع اذا حاربت بالسلامه * واحذر فعالا توجب الندامه
فالتاجر الكيس فى التجاره * من خاف فى متجره الخساره
يجهد فى تحصيل رأس ماله * ثم يروم الربح باحتياله
وان رأيت النصر قد لاح لكا * فلا تقصرا حذرا أن تهلكا

وما اشبه فى ذلك صدرى الابهر منع طريقه فابتلع ريقه ولم يشق بالسكر فهر النهر وغمر الجهر وغرق الحجر وقلع الشجر كذلك مولاى الشيخ الامام سكرت عنه زمانا ثم عند الشدائد تذهب الاحقاد وترق الاكباد فرفعت سكره فغرف اليه طريق ومتادى وروحى وجسدى ووالدى وولدى ولم أخل فى خلال الوحشة من شكر لايادية وصنع من يعاديه وتجهيز السلام الى ناديه والغمام لواديه وكل افعال الشيخ الامام غرة فى ناصية الايام وزهرة فى جنح الظلام الا ان ما أوجب لقلان روض انا نسيمه وشجر انا ثمرته وعود جره لسانى وجود شكره ضمانى وستسفر الايام والليالى عن وجوه تلك

واسبق الى الاجود سبق الناقد * فسبقك الخصم من المكايد
وانتهز الفرصة ان الفرصه * تصير ان لم تنتهزها غصه
كم نظر الغالب يوما فترك * عنه التوقي واستهان فهلك
ومن أضاع جنده فى السلم * لم يحفظوه فى لقاء الخصم
وان من لا يحفظ القلوبا * يخذل حين يشهد الحروبا
والجند لا يرعون من أضاعهم * كلا ولا يحمون من أجاعهم
واضعف الملوك طرا عقدا * من غره السلم فاقصى الجندا
والحزم والتدبير روح العزم * لا خير فى عزم بغير حزم
والحزم كل الحزم فى المطاوله * والصبر لا فى سرعة المزاوله
وفى الخطوب تظهر الجواهر * ما غلب الايام الا الصابر
لا تياسن من فرج ولطف * وقوة تظهر بعد ضعف
فربما جاءك بعد الياس * روح بلا كد ولا التماس
فى لمحة الطرف بكاء وضحك * وناجذ باد ودمع ينسفك
تنال بالرفق وبالتأنى * مالم تنل بالحرص والتعنى
ما أحسن الثبات والتجلدا * واقبح الحيرة والتبلدا
ليس الفتى الا الذى ان طرقه * خطب تلقاه بصبر وثقه
اذا الرزايا اقبلت ولم تقف * فثم أحوال الرجال تختلف
وكم لقيت لذة فى زمنى * فأصبر الآن لهذى المحن
فالموت لا يكون الا مره * والموت أحلى من حياة مره
انى من الموت على يقين * فأجهد الآن لما يقينى
صبرا على اهوالها ولا ضجر * وربما فاز الفتى اذا صبر
لا يجزع الحر من المصائب * كلا ولا يخضع للنوائب
فالحر للعبء الثقيل يحمل * والصبر عند النائبات يجمل
لكل شئ مدة وتنقضى * ما غلب الايام الا من رضى
قد صدق القائل فى الكلام * ليس النهى بعظم العظام
لا خير فى جسامة الاجسام * بل هو فى العقول والافهام
فالخيل للحرب وللجمال * والابل للحمل وللترحال
لا تحتقر شيأ صغيرا محتقر * فربما اسالت الدم الابر
لا تحرج الخصم فنى احراجه * جميع ما تكره من لجاجه
لا تطلب الفائت باللجاج * وكن اذا كويت ذا انضاج
فعاجز من ترك الموجودا * طماعة وطلب المفقودا
وفتش الامور عن اسرارها * كم نكتة جاءتك مع اظهارها
لزمت للجهل قبيح الظاهر * وما تطرت حسن السرائر

الا لى فيعلم انه لم يزرع فى سبخة والله على ذلك معين وددت لو يسمع الشيخ فى مجلسى والفقيه أبو سعيد حاضرى فيرى تسالب الثناء بينى وبينه وتناهب الدعاء منى ومنه ولو كان ذلك لسمعت أذناه ما تقر به عيناه وللشيخ الامام فى الوقوف على ما كتب به الرأى الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ قليل فى الولاء ان احتذى من العين واتخذ نعلين أن يسوقنى هذا المساق الا الشوق الهائج والوجد اللاعج وانا فى هذه الحرقة كثير الشوق ولكنى وردت لغير ما أردت انما ضربت فى جنب ما نسبوا الى من الذنب وطعنت فى عين ما قذفت به من المين وفرجت

ليس يضر البدر فى سناه * أن الضرير قط لا يراه
كم حكمة أضحت بها المحافل * نافقة وأنت عنها غافل
ويغفلون عن خفى الحكمه * ولو رأوها لازالوا التهمه
كم حسن ظاهره قبيح * وسمج عنوانه مليح
والحق قد تعلمه ثقيل * يأباه الانفر قليل
فالعاقل الكامل فى الرجال * لا ينثنى لزخرف المقال
ان العدو قوله مردود * وقلما يصدق الحسود
لاتقبل الدعوى بغير شاهد * لاسيما ان كان من معاند
ايؤخذ البرىء بالسقيم * والرجل المحسن باللئيم
كذاك من يستنصح الاعادى * يردونه بالغش والفساد
انّ أكلّ من ترى أذهانا * من حسب الاساءة الاحسانا
فادفع اساءة العدا بالحسنى * ولاتقل يسر الذمثل اليمنى
وللرجال فاعلمن مكايد * وخدع منكرة شدائد
فالندب لايخضع للشدائد * قط ولا يغتاظ بالمكايد
فرقع الخرق بلطف واجتهد * وامكر اذا لم ينفع الصدق وكد
فهكذا الحازم اذ يكيد * يبلغ فى الاعداء مايريد
وهو برىء منهم فى الظاهر * وغيره مختضب الاظافر
والشهم من يصلح أمر نفسه * ولو بقتل ولده وعرسه
فان من يقصد قلع ضرسه * لم يعتمد الاصلاح نفسه
وان من خص اللئيم بالندا * وجدته كمن يربى أسدا
وليس فى طبع اللئيم شكر * وليس فى أصل الدنىء نصر
وان من الزمه وكلفه * ضد الذى فى طبعه ماأنصفه
كذاك من يصطنع الجهالا * ويؤثر الارذال والانذالا
لو أنكم افاضل أحرار * ماظهرت بينكم الاسرار
ان الاصول تجذب الفروعا * والعرق دساس اذا أطيعا
ماطاب فرع أصله خبيث * ولازكا من مجده حديث
قد يدركون رتبا فى الدنيا * ويبلغون وطرا من بغيا
لكنهم لايبلغون فى الكرم * مبلغ من كان له فيها قدم
وكل من تمايلت أطرافه * فى طيها وكرمت اسلافه
كان خليقا بالعلا وبالكرم * وبرعت فى أصله حسن الشيم
لولا بنو آدم بين العالم * مابان للعقول فضل العالم
نواحد يعطيك فضلا وكرم * فذاك من يكفره فقد ظلم
وواحد يعطيك للمصانعه * أو حاجة له اليك واقعه

على مقام يومين وسأرد فارحض المهمه وأمحض الخدمه ان شاء الله واجدد عهدا بين ذلك وآخذ موثقا من أولئك لئلا يتهمنى كل ما كذب كاذب أو اشتغل كاتب أو شرع حاسد بكفران نعمته قل لى أيستحل ان يسمع فى المحال ولم يكشف فيه الحال وماهذا التصديق رجل ليس فى المروءة راسا ولا فى الدين ذنبا والله يكفى شاهدا وان كان واحدا فاما غير الله فلا أقل من شاهدين ولا كل شاهدين حتى يكونا عدلين وما أرى الشيخ فى دخوله بينى وبين أبى الحسين بن مهران الا داخلا بين العصا ولحائها انه جلدة بين العين والانف وغدة بين الذفرى والشنف أ

لاتشرها الى حطام عاجل * كم أكلة اودت بنفس الآكل
واحذر أخي يافتى من الشره * وقس بما رأيته مالم تره
فليس من عقل الفتى أو كرمه * افساد شخص كامل لقرمه
فالبغى داء ماله دواء * ليس لملك معه بقاء
والبغى فاحذره وخيم المرتع * والعجب فاتركه شديد المصرع
والغدر بالعهد قبيح جدا * شر الورى من ليس يرعى العهدا
عند تمام الامر يبدو نقصه * وربما ضر المريض حرصه
وربما ضرك بعض مالكا * وساءك المحسن من رجالكا
فالمرء يفدى نفسه بوفره * عساه ان ينجو به من أسره

تمت وختمها شيخنا رحمه الله بقوله

لاتعطيا شيأ بغير فائده * فانها من السجايا الفاسده
هذا الذى ألفته واخترته * من رجز الشريف وانتخبته
وحرمة الآداب يا أهل الادب * ان الشريف قد أتانا بالعجب
قلنا جميعا اذ سمعنا رجزه * كم قد أتى محمد بمعجزه
من كل بيت شطره قصيد * وكلنا لبيته عبيد
فرحمة الله فى الآخرة * خاتمة مع الهبات الوافره
ثم الصلاة والسلام دائما * على الذى للرسل جا خاتما

انتهى ما أوردته من امثال أبى الطيب المتنبى وامثال الصادح والباغم ولم أقصد بذلك الا أخذ مايحتاج المتأدب اليه فى ارسال المثل على أنواعه خصوصا أهل الانشاء فانه حلبة جولانهم وعمدة فرسانهم وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

رجوتكم نصحاء فى الشدائد لى * لضعف رشدى واستسمنت ذا ورم

فقوله استسمنت ذا ورم من الامثال السائرة ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

أنوار بهجته ارسالها مثلا * يلوح اشهر من نار على علم

فقوله أشهر من نار على علم من الامثال السائرة وبيتى

وكم تمثلت اذ أرخوا شعورهم * وقلت بالله خلوا الرقص فى الظلم

فالرقص فى الظلم من الامثال السائرة ولكن قولى لهم بعد ارخاء الشعور خلوا الرقص فى الظلم لايخفى على الحذاق من أهل الادب

(ذكر التهكم)

*(ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم)*

التهكم نوع عزيز فى أنواع البديع لعلو مناره وصعوبة مسلكه وكثرة التباسه بالهجاء فى معرض المدح وبالهزل الذى يراد به الجد ويأتى الفرق بينها بعد ايضاح حده والتهكم فى الاصل التهدم يقال تهكمت البئر اذا تهدمت وتهكم عليه اذا اشتد غضبه

على ان أبا الحسين لو أوحشنى ما استوحشت ولو استوحشت لاوحشت ولو اوحشت لافحشت فى وطئ العقرب وجمته ومن قرص الحية لسعته واذا قالت الحية دعنى فلا تلسعنى فقد نصحتك وما سألتك شططا كيف القاه بخرطوم فيل ولم يلقنى بانف طويل ولم ابتاعه بثمن نزر ولم يلحظنى بنظر شزر وهل كان يعزونى ان كانت له حرمة الخلافة فلى حرمة الضيافة وان توسل بماضى فلى الوسيلة بمابقى وهذا خطب لايرفعه قلم رطب ولكن هذا عنوانه حتى يأتيك عيانه وكنت أردمن الشيخ على شرعة من البر تروى الظماء العشر وأخاف ان تكون هذه التساعير

(التهكم)

والمتهكم المحتقر قال أبو زيد تهكمت غضبت وتهكمت تحقرت وعلى هذا يكون المتهكم لشدة الغضب قد أوعد بالبشارة أو لشدة الكبر أو لتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك فهذا أصله في الاستعمال وفي المصطلح هو عبارة عن الاتيان بلفظ البشارة في موضع الانذار والوعد في مكان الوعيد والمدح في معرض الاستهزاء فشاهد البشارة في موضع الانذار قوله تعالى بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما وشاهد المدح في معرض الاستهزاء بلفظ المدح قوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم قال الزمخشري ان في تأويل قوله تعالى له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله تهكما فان المعقبات هم الحرس من حول السلطان يحفظونه على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم فانهم لا يحفظونه من امره في الحقيقة اذا جاء والله أعلم ومنه قوله تعالى قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين فقوله ايمانكم تهكم ومن التهكم في السنة الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم بشر مال البخيل بحادث أو وارث وشاهد المدح في موضع الاستهزاء من النظم قول ابن الذروي في ابن أبي حصينة من أبيات

لا تظنن حدبة الظهر عيبا * فهي في الحسن من صفات الهلال
وكذاك القسي محدودبات * وهي أنكى من الظبا والعوالي
واذا ما علا السنام ففيه * لقروم الجمال أي جمال
وارى الانحناء في مخلب البا * زي ولم يعد مخلب الريبال
كون الله حدبة فيك ان شئـ * ـت من الفضل أو من الافضال
فأتت ربوة على طود حلم * وأتت موجة ببحر نوال
ما رأتها النساء الا تمنت * أن غدت حلية لكل الرجال

وما أحلى ما ختمها بقوله

واذا لم يكن من الهجر بد * فعسى ان تزورني في الخيال

وقول ابن الرومي

فياله من عمل صالح * يرفعه الله الى أسفل

وقيل ان اظرف ما نظم في التهكم قول حماد عجرد

فيا ابن طرح يا أخا الحلس ويا ابن القتب
ومن نشا والده * بين الربا والكتب
يا عربي يا عربي * يا عربي يا عربي

وهذا النوع اعني التهكم ذكر ابن أبي الاصبع في كتابه تحرير التحبير أنه من مخترعاته ولم يره في كتب من تقدمه من ائمة البديع والعميان لم ينظموه في بديعيتهم وقنع الشهاب محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل من اشجار معاليه بالشميم فانه ذكر بعض شواهده ولم يأت له بحد تمشي الافهام فيه على صراط مستقيم ولكن ابن أبي الاصبع ازال بكارة اشكاله وكان ابا عذرته وأرضع الاذواق لبان فهمه وكان فارس حلبته وقال الفرق بينه وبين الهزل الذي يراد به الجد أن التهكم ظاهره جد وباطنه هزل وهو ضد الاول لان الهزل

بنعيم لا بل بكذب بهيم لا بل ببهتان عظيم لا بل بكشهان عقيم قد كدر على تلك الشرعة وانا أنشده الله فيها وسأردفان وجدت الحال كما زلت فدار الشمل جامعة وان تغيرت عما عهدت فارض الله واسعة
ان لم تمن بامساك بمعروف * فامنن على بتسريح باحسان
وفي الجملة ان ابن الهمذاني اذا رضي بان يخدم ولا يخدم فان العبودية لا تعدم

(وله اليه أيضا)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ والناس تذاكروا البشرى يصفون قدرها وفي الوزارة يعظمون صدرها وتحت الرغوة صريح لو علموه والشيخ أولى بان يعظموه فو الله لقد زف منه اليها أعظم مما زف منها اليه وسيديرها على القطب ويضع الهناء مواضع النقب

الذى يراد به الجد يكون ظاهره هزلا وباطنه جدا وذكر بعضهم الفرق بين التهكم والهجاء فى معرض المدح فقال الفرق بينهما التصريح بلفظة فى الآخر يخالف معناها معنى الالتزام فى الكلام الاول وهو فى هذا دون الاول والشيخ صفى الدين نظم التهكم فى بديعيته ولكن ما أسكن بيته قرينة صالحة لبيانه ولا غردت حمائم الايضاح على أفنانه وبيته

محضتنى النصح احسانا الى بلا * غش وقلدتنى الانعام فاحتكم

لم يظهر لى من هذا البيت غير صريح المدح والشكر ولم أجد فيه لفظة تدل على الحقارة والاستهزاء ولا على البشارة فى موضع الانذار ولا على الوعد فى موضع الوعيد ولم يشر فى بيته الى نوع من هذه الانواع وقد تقدم ان العميان لم ينظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

لقد تهكمت فيما قد مضت لمن * قولى بأنك ذو عز وذو كرم

فالشيخ عز الدين ذكر فى بيته انه تهكم على العذول لما خاطبه بلفظ العز والكرم ولكنه لم يأت بصيغة التهكم وبيتى

ذل العذول بهم وجد انفقت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

فخطاب العذول هنا بلفظ العز والشمم بعد وقوف العاذل فى موقف الذل هو التهكم بعينه

(ذكر المراجعة)

*(قال اصطبر قلت صبرى ما يراجعنى * قال احتفل قلت من يقوى لصدهم)*

المراجعة ليس تحتها كبير أمر ولو فوض الى حكم فى البديع ما نظمتها فى اسلاك أنواعه وذكر ابن أبى الاصبع انها من اختراعاته وعجبت من مثله كيف قربها الى الذى استنبطه من الانواع البديعة الغريبة كالتهكم والافتنان والتدبيج والهجاء فى معرض المدح والاشتراك والالغاز والنزاهة ومنهم من سمى هذا النوع أعنى المراجعة السؤال والجواب وهو ان يحكى المتكلم مراجعة فى القول ومحاورة فى الحديث بينه وبين غيره باوجز عبارة وارشق سبك وألطف معنى وأسهل لفظ اما فى بيت واحد أو فى أبيات كقول عمر بن أبى ربيعة

بينما ينعتننى أبصرننى * مثل قيد الرمح يعدو بى الاغر
قالت الكبرى ترى من ذا الفتى * قالت الوسطى لها هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها * قد عرفناه وهل يخفى القمر

قال ابن أبى الاصبع لما أورد هذه الابيات واستشهد بها على هذا النوع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير ان هذا الشاعر عالم بمعرفة وضع الكلام فى مواضعه وما ذاك الا ان قوافى الابيات لو اطلقت لكانت مرفوعة وأما بلاغته فى الابيات فانه جعل التى عرفته وعرفت به وشبهته تشبيها يدل على شغفها به هى الصغرى ليظهر بدليل الالتزام انه فتى السن اذ الفتية من النساء لا تميل الا الى الفتى من الرجال غالبا وختم قوله بما أخرجه مخرج المثل السائر موزونا ولا يقال ان ما مالت الصغرى اليه دون اختيها الضعف عقلها او قلة تجربيها فانى أقول

(المراجعة)

ومن محب كفاية الشيخ استاج اليه الملك طوعا والامن القسط ورضا والامن السخط ومن وجد الرشاد استق متى شاء ومن ساد لم يعدم الرشاد وأقسم لو نطق ذلك الدست لقال بابى أنت ما خلعت حدادى منذ فارقت مسندى ووسادى فالآن ردت الدولة الى نصابها وجرت الامور على أذلالها وأتى الامر من وجهه واستنزل النصر من بابه وطلب المراد من مطلبه وأعطى القوس باريها وعلى الآن ضمان الدرك ثم عونك اللهم تأخرت كتبى عن الشيخ وما أخرتها اخلالا بالخدمة ولا كفرانا للنعمة ولكن لتلك الحضرة رسوم وابتناء بمعلوم ولا اسواق المخاطبات

انه تخلص من هذا المدخل بكونه آخبران الكبرى التى هى أعقلهن ما كانت رأته قبل ذلك وانما كانت تهواه على السماع فلما رأته وعلمت أنه ذلك الموصوف لها أظهرت من وجدها به على مقدار عقلها ما أظهرت من سؤالها عنه ولم تتجاوز ذلك وقنعت بالسؤال عنه وقد علمته بلذة السؤال وبسماع اسمه واظهرت تجاهل العارف الذى موجبه شدة الوله والعقل يمنعها من التصريح واما الوسطى فسارعت الى تعريفه باسمه العلم فكانت دون الكبرى فى الثبات واما الصغرى فنزلتها فى الثبات دون الاختين لانها أظهرت فى معرفة وصفه مادل على شدة شعفها به فكل ذلك وان لم يكن كذلك فالفاظ الشاعر تدل عليه انتهى كلام ابن ابى الاصبع ومن جيد أمثلة هذا النوع قول أبى نواس

قال لى يوما سليما * ن وبعض القول أشنع
قال صفنى وعليا * أينا أبقى وانفع
قلت انى ان أقل ما * فيكما بالحق تجزع
قال كلا قلت مهلا * قال قل لى قلت فاسمع
قال صفه قلت يعطى * قال صفنى قلت تمنع

ومثله قول البحترى

بت اسقيه صفوة الراح حتى * وضع الرأس مائلا يتكفا
قلت عبد العزيز تفديك نفسى * قال لبيك قلت لبيك ألفا
ها كها قال هاتها قلت خذها * قال لا استطيعها ثم أغفى

وعلماء البديع اجمعوا على استحسان قول وضاح اليمن من أبيات

قالت آلا لا تلجن دارنا * ان أبانا رجل غائر
قلت فانى طالب غرة * منه وسيفى صارم باتر
قالت فان البحر ما بيننا * قلت فانى سابح ماهر
قالت فان القصر عالى البنا * قلت فانى فوقه طائر
قالت أليس الله من فوقنا * قلت بلى وهو لنا غافر
قالت فقد أعييتنا حجة * فأت اذا ما هجع السامر
واسقط علينا كسقوط الندى * ليلة لا ناه ولا آمر

وظريف هنا قول بعضهم

قالت لقد أشمت بى حسدى * مذ بحت بالسر لهم معلنا
قلت انا قالت والانفن * قلت أنا قالت والا أنا

وهى أبيات طويلة جميعها على هذا المنوال منسوج ولكن اكتفيت بالقليل منها على هذا القدر وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

قالوا اصطبر قلت صبرى غير متسع * قالوا اسلهم قلت ودى غير منصرم

ولم ينظم العميان فى بديعيتهم هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

راجعت فى القول اذ أطلقت سلوتهم * قال اسلهم قلت سمعى عنك فى صمم

وضيقها والجواد لا يجزع من الاكاف جزعى من مخاطبة الكاف فان جاز ان امتاز عن جملة الناس بهذا المزيد ومن الشيخ المكاتبة فان لم يره الصواب فالجواب ان لا جواب والسلام

(وله اليه أيضا)

كتبت وليست التجربة خمسة أجربة ولا سبعين ذراعا انما التجربة دفعة والتقدمة لفظة ثم العاقل بفطنته يكيس ويقيس والجاهل بغفلته يخس ويخيس يا أبا الفضل ليس هذا بزمانك ولست هذه بدارك ولا السوق سوق متاعك بئست الكتب وما وسقت والاقلام وما نسقت والمحابر وما سقت والاصابع اذا اتسقت واللوم ولا هذه العلوم

والمراجعة ان لم تتكرر لم يبق لها فى القلوب حلاوة ولا يطابق اسمها مسماه وقد تقدم قول الشاعر وتكراره فى قوله

قلت انا قالت والا فمن * قلت أنا قالت والا أنا

وعز الدين لم يكرر مراجعته ولم يأت بها الا فى مكان واحد والذى أقوله انه ماصده عن ذلك الا اشتغاله بتسمية النوع ولكن ليته لو دخل الى سوق الرقيق و بيت بديعتى

قال اصطبر قلت صبرى ما راجعنى * قال احتمل قلت من يقوى لصدهم

وهذا البيت متعلق ببيت التهكم الذى قبله وهو البيت المبنى على خطاب العاذل وهو

ذل العذول بهم وجدا فقلت له * تهكما أنت ذو عز وذو شمم

(ذكر التوشيح)

*(توشيحهم علا تلك الشعور اذا * لفوه طيا تعرفنا بنشرهم)*

اتفق علماء البديع على أن التوشيح أن يكون معنى أول الكلام دالا على لفظ آخره ولهذا سموه التوشيح فانه ينزل فيه المعنى منزلة الوشاح و ينزل أول الكلام وآخره منزلة محل الوشاح من العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح وهذا النوع فرعه قدامة من ائتلاف القافية مع مايدل عليه سائر البيت وقال فيه التوشيح هو ان يكون فى أول البيت معنى اذا فهم فهمت منه قافية البيت بشرط ان يكون المعنى المقدم بلفظه من جنس معنى القافية بلفظه وأورد ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير من اعظم الشواهد على هذا قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين فان فى معنى اصطفاء المذكورين مايعلم منه الفاصلة لان المذكورين نوع من جنس العالمين ومن الامثلة الشعرية قول الراعى النميرى

فان وزن الحصى فوزنت قومى * وجدت حصى ضريبتهم رزينا

فان السامع اذا فهم ان الشاعر أراد المفاخرة برزانة الحصى وتحقق أن القافية مجردة مطلقة رويها النون وحرف اطلاقها الالف ورأى فى صدر البيت ذكر الزنة تحقق ان تكون القافية رزينا ليس الا ومن عجائب أمثلة هذا النوع ماحكى عن عمر بن أبى ربيعة انه أنشد عبد الله بن العباس رضى الله عنهما

* تشط غدا دار جيراننا *

فقال له عبد الله

* وللدار بعد غد أبعد *

فقال عمر هكذا والله قلت فقال عبد الله بن العباس وهكذا يكون و يقرب من هذه القصة قصة عدى بن الرقاع حين أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق قصيدته التى مطلعها

* عرف الديار توهما فاعتادها *

حتى انتهى الى قوله

* تزجى اغن كأن ابرة روقه *

ثم شغل الوليد عن الاستماع فقطع عدى الانشاد فقال الفرزدق لجرير ماتراه يقول فقال

(التوشيح)

وليت لنا مكان الملك عمرو رغوثا حول قبتنا تدور ولو استقبلت من أمرى ما استدبرت لو اجوت وقامرت لكنى اصبت وجه الرأى والعود يابس واللحية بيضاء ولقد صدق الشاعر اذ قال لا يبصر الغلام جلداذ كيا * ناقدا فى الامور حتى وحق وعلى الشاعر ان يقول وعلى السامع القبول ولعمرى لقد سمعت هذا البيت كما سمعه فلان ولكنه وفق لاعتقاده ملة واتخاذه قبلة واعتماده حرفة لاجرم انه اجتنى ثمراتها وولانى حسراتها فهو يصل اذا حبيت ويعطى اذا حرمت وعند الله احتسبت عمرا أضعناه فى الادب واتلفناه فى العلوم

جريرا وايستلب بها مثلا فقال الفرزدق انه سيقول

* قلم أصاب من الدواة مدادها *

فلما عاد الوليد الى الاستماع وعاد عدى الى الانشاد قال البيت فقال الفرزدق والله لما سمعت صدر بيته رحمته فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة حسدا قال زكى الدين بن أبى الاصبع الذى أقوله ان بين ابن العباس وبين الفرزدق فى استخراجهما العجزين كما بينهما فى مطلق الفضل وفضل ابن عباس رضى الله عنهما معلوم وانا اذكر الفرق فان بيت عدى بن الرقاع من جملة قصيدة تقدم سماع مطلعها مع معظمها وعلم انها دالية مردفة بالف وهى من وزن قد عرف ثم تقدم فى صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفا لها قد أخذ الشاعر فى تشبيه طرف قرنه بالقلم فى سواده وهذه القرائن لا يخفى على أهل الذوق الصحيح ان فيها ما يدل على عجز البيت بحيث يسبق اليه من هو دون الفرزدق من حذاق الشعراء وبيت عمر بيت مفرد لم تعلم قافيته من اى ضرب هى من القوافى ولا رويه من اى الحروف ولا حركة رويه من أى الحركات فاستخراج عجزه ارتجالا فى غاية العسر ونهاية الصعوبة لولا ما امد الله تعالى به هؤلاء الاقوام من المواد التى فضلوا بها عن غيرهم انتهى كلام ابن ابى الاصبع وبين التوشيح والتصدير فرق ظاهر مثل الصبح ولم يحصل الالتباس الا لكون كل منهما ما يدل صدره على عجزه والفرق ان دلالة التصدير لفظية ودلالة التوشيح معنوية والفرق بين التوشيح والتمكين ايضا ان التوشيح قد تقدم انه لا بد ان يتقدم قافيته معنى يدل عليها والتمكين بخلاف ذلك والعميان لم ينظموا نوع التوشيح فى بديعيتهم وبيت صفى الدين

هم ارضعونى ندى الوصل حافلة * فكيف يحسن منها حال منفطمى

فقصيدة صفى الدين قد علم انها ميمية وقد مر على السامع منها عدة ابيات وقد صدر بيت التوشيح بذكر الرضاع والندى فما يخفى ان تكون القافية منفطما الا على كل اجنبى من هذا العلم ولقد برز فى حسن هذا التركيب باستجلاب الرقة على من تقدمه وبيت الشيخ عز الدين

نومى وعقلى بتوشيح الهوى سلبا * فبت صبا بلا حلم ولا حلم

قال فى شرحه الهوى وشحنى برداء غطائى فسلب نومى وعقلى فصرت بلا حلم ولا حلم وهذه عبارته بنصها وبيتى

توشيحهم علا تلك الشعور اذا * لفوه طيا يعرفنا بنشرهم

هذا النوع اعنى التوشيح يفتقر الناظم الى قدح زناد الفكر فى سبك معانيه مع الملكة والبسطة فى علم الادب وحسن التصرف لاسيما اذا التزم بتسمية النوع وابرز التسمية منتظمة فى سلك التورية من جنس الغزل فتسمية النوع هنا قد عرفت والاتيان فى هذا البيت بلفظة الملا هو الذى رشح جانب التوشيح الجائل على العاتق والكشح واما توشيح الهوى فى بيت الشيخ عز الدين فلم ينسج على منوال مقبول لان استعارة الوشاح للهوى المقصور الذى هو الغرام لم يفهم منها شئ يقرب من التشبيه فان علماء البديع قالوا الاستعارة هى ذكر الشئ باسم غيره واثبات ما لغيره له لاجل المبالغة فى التشبيه وعلى هذا التقدير تكون استعارة الملا للشعور فى حالة توشيح الاحباب بها هى الاستعارة التى يستعار منها المحاسن الادبية فان

ونسأله خاتمة خير

(وله اليه أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ عن سلامة لا هم الامرة سوداء حببت الى الوحدة وزينت لى العزلة فوليت الناس جانب الوحشى فلا عشرة ولا انبساط ولا انفة ولا ابتسام واظن الشيخ لو رآنى لقال وقال تحركك ايها الثقلان وما انس لا انس الحديث أسمعنيه وما اقص لا اقص العجب منه وفيه وبج البيت بعض الخائنين فسئل عما رأى فقال رأيت الصفا والحجون وقوما يموجون وكعبة تزف عليها الستور وترفرف حواليها الطيور وبينا كيفى ولكن سل عن البيت لا عن البيت وابتاع بعض الهنود هذا الشلغم المشوى

حسن التشبيه قد غازل بعيون كماله غزلها والتصريح في البيت بلفظ اللف والنشر والطى يعرفه من له أدنى ذوق مع انى ما اكتفيت بذلك حتى قلت بعد اللف والطى تعرّفنا وتعرفنا فيها الاشتراك بين المعرفة والعرف فاذا تقرر أن القافية ميمية ما يتصور في ذوق ان تكون القافية غير نشرهم وقد اجتمع في هذا البيت من أنواع البديع التورية وحسن الاستعارة والترشيح والمطابقة والبسط والانسجام والتمكين والسهولة والتوشيح الذى هو العمدة والله أعلم بالصواب

(ذكر تشابه الاطراف)

*(شابهت اطراف أقوالى فان أهم * أهم الى كل واد فى صفاتهم)*

هذا النوع الذى سموه تشابه الاطراف هو أيضا مثل المراجعة التى تقدمت ليس فى كل منهما كبير أمر وتالله ما خطر لى يوما ولا حسن فى الفكر ان الحق طرفا من تشابه الاطراف بذيل من أبيات شعرى ولكن شروع المعارضة ملتزم وتشابه الاطراف هو ان يعيد الناظم لفظة القافية فى أول البيت الذى يليها وهذا النوع كان اسمه التسبيغ بسين مهملة وغين معجمة وانما ابن أبى الاصبع قال هذه التسمية غير لائقة بهذا المسمى فسماه تشابه الاطراف فان الابيات فيه تتشابه اطرافها وأحسن ما وقع فى هذا النوع قول أبى نواس

خزيمة خير بنى حازم * وحازم خير بنى دارم

ودارم خير تميم وما * مثل تميم فى بنى آدم

ولما كان هذا النوع لا يأتى الا فى بيتين والشيخ عز الدين لما التزم ان يأتى به لاجل التورية بالتسمية فى بيت واحد شطر البيت شطرين وجعل كل شطر بمنزلة بيت كامل وأعاد لفظ القافية فى الشطر الثانى فجاء به فى غاية اللطف فان الشيخ صفى الدين أورد قبله بيت الاكتفاء ويأتى الكلام عليه فى موضعه وانما المراد هنا معرفة تشابه الاطراف وهو

قالوا ألم تدر ان الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم

لم ادر قبل هواهم والهوى حرم * ان الظباء تحل الصيد فى الحرم

تشابه الاطراف بين لم ولم فى آخر البيت الاول واول الثانى وبيت الشيخ عز الدين

اطرافك اشتبهت قولا متى تلم * تلم فتى زائد البلوى فلم يلم

اما قوله اطرافك اشتبهت يضيق الكلام فيه وبيت بديعيتى

شابهت اطراف أقوالى فان اهم * اهم الى كل واد من صفاتهم

والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم ويا ليتنى كنت معهم

(ذكر التغاير)

*(اغاير الناس فى حب الرقيب فذ * اراه ابسط آمالى بقربهم)*

التغاير سماه قوم التلطف وهو ان يتلطف الشاعر بتوصله الى مدح ما كان قد ذمه هو او غيره فاما مدح الانسان ما ذمه غيره فان الامام امير المؤمنين على بن ابى طالب كرم الله وجهه اتى فيه بما يمتزج صافى مشربه بالارواح ونقلنا يديع بلاغته من الابهام الى الايضاح فمن ذلك خطبته التى مدح فيها الدنيا مغاير الامثاله فى ذمها حيث قال أيها الذام للدنيا المغتر

(تشابه الاطراف)

فاترن بذانق ارطالا ثم وجد الكمثرى تباع فقال ما أغلاها وأرخصه مشويا نويت ان اعتزل الناس حتى يعرفوا الكمثرى من الشلغم ان لم يعرفوا الدينار من الدرهم وأرى اليوم حتى ينصف المظلوم والعاقل أيدالله الشيخ يسكن المكان النظيف ولا يالف الكنيف ما أرى ذلك الا لما يعاف من خبث الخرء ويشم من كربه الريح فالطرف من الحظ ما للانف وللسمع من النغم ما للشم وما أظن معرض العين لهذه الوجوه

(التغاير)

بغرورها بم تذمها أأنت المتجرئ عليها ام هى المتجرئة عليك متى استهوتك أم متى غرتك أبمصارع آبائك من البلى ام بمضاجع امهاتك تحت الثرى كم علت واليك وكم مرضت والديك تبغى لهم الشفاء وتستوصف لهم الاطباء لم ينفع أحدهم اشفاقك ولم تشف لهم بطبك ولم تدفع عنهم بقوتك قد مثلت لك بهم الدنيا نفسك وخيلت لك بمصرعهم مصرعك ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار عافية لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها ودار موعظة لمن اتعظ بها مسجد احباب الله ومصلى ملائكته ومهبط وحى الله ومتجر اوليائه اكتسبوا منها الرحمة وربحوا منها الجنة فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها ونادت بفراقها ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلى وشوقتهم بسرورها الى السرور راحت بعافية وابتكرت بفجيعة ترغيبا وترهيبا فذمها رجال غداة الندامة وحمدها آخرون ذكرتهم الدنيا فذكروا وحدثتهم فصدقوا ووعظتهم فاتعظوا ونظم ابن أبى الاصبع معانى هذه الخطبة فقال

من يذم الدنيا بظلم فانى * بطريق الانصاف اثنى عليها
وعظتنا بكل شئ وانا * حين جدت بالوعظ من مصطفيها
نصحتنا فلم نر النصح نصحا * حين أبدت لأهلها ما لديها
أعلمتنا ان المآل يقينا * للبلى حين جددت عصريها
كم ارتنا مصارع الاهل والاحباب لو نستفيق يوما اليها
يوم بؤس لها ويوم رخاء * فتزود ماشئت من يوميها
وتيقن زوال ذا وهذا * تسل عما تراه من حادثيها
دار زاد لمن تزود منها * وغرور لمن يميل اليها
مهبط الوحى والمصلى الذى كم * عفرت صورة بها خديها
متجر الاولياء قد ربحوا الجنة منها وأوردوا عينيها
رغبت ثم رهبت ليرى كل لبيب عقباه فى حالتيها
واذا انصفت تعين ان يثنى عليها ذو البر من والديها

فاما من ذم ما مدحه الناس قاطبة فابن الرومى فانه ذم الورد وهو مشهور ووصف البحترى يوم الفراق بالقصر وقد أجمع الناس على طوله فقال

ولقد تأملت الفراق فلم أجد * يوم الفراق على امرئ بطويل
قصرت مسافته على متزود * منه لوهن صبابة وغليل

وهذا النوع أعنى المغايرة اورده الحريرى فى المقامة الدينارية وبالغ فى مدح الدينار وذمه فقال فى مدحه

أكرم به أصفر راقت صفرته * جواب آفاق ترامت سفرته
مأثورة سمعته وشهرته * قد أودعت سر الغنى أسرته
وقارنت نجح المساعى خطرته * وحببت الى الانام غرته
كأنما من القلوب نقرته * به يصول من حوته صرته

الا معرضها للمكروه ولا صان الاذن عن هذه الانفاس الا صانتها عن الوسواس سكن أبو موسى الاشعرى المقابر فقال أجاور قوما لا يغدرون كلا أبا موسى لا يغدرون لانهم لا يقدرون ولكنها الاطلال الخالية والرسوم البالية والانهار الصافية والاشجار الوافية والظلال الضافية والغاشية الماشية والزاوية وفيها العافية وسترى ان لا استنزل عن عزى شفاعة ولا اتلبث عن الشيخ سمعا ولا طاعة والسلام

(وله اليه يعزيه)

وتالله ما يضرب الكلب كما يضرب هذا القلب ولا يقطر السمع كما يقطر هذا الدمع والنار ارفق بالزناد من هذه المصيبة بالاكباد وما للسم سلطان هذا الغم ولا للغمر طغيان هذا الامر ونفسى الى القبر

وان تفانت أو توانت عترته * ياحبذا أنصاره ونصرته
وحبذا مغناته ونصرته * كم آمر به استتبت امرته
ومترف لولاه دامت حسرته * وجيش هم هزمته كرته
وبدر تم أنزلته بدرته * ومشتط تتلظى جمرته
أسر نجواه فلانت شرته * وكم أسير أسلمته أسرته
أنقذه حتى صفت مسرته * وحق مولى أبدعته فطرته
لولا التقى لقلت جلت قدرته

وقال فى ذمه

تباله من خادع مماذق * أصفر ذى وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق * زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوى الحقائق * يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق * ولابدت مظلمة من فاسق
ولا اشمأز باخل من طارق * ولاشكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق * وشر مافيه من الخلائق
أن ليس يغنى عنك فى المضائق * الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق * ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق * لارأى فى وصلك لى ففارق

ومن المغايرة تفضيل القلم على السيف اذ المعتاد عكس ذلك كقول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم
فالموت والموت لاشئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم
كذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

وغاير المتنبى ذلك وقال

حتى رجعت واقلامى قوائل لى * المجد للسيف ليس المجد للقلم

والمغايرة هنا ملجئة لكن المعنى مأخوذ من قول أبى تمام * السيف اصدق انباء من الكتب * والمعنى فى قول أبى تمام أبلغ فان ابن أبى الاصبع قال لم يرض أبو تمام أن يقول السيف أصدق انباء من القلم حتى قال من الكتب التى لاتكتب الا بالاقلام والدواة والقرطاس والكاتب المطلق اليد واللسان والجنان فالحظ الفرق بينه وبين كلام المتنبى انتهى كلام ابن أبى الاصبع وقد عن لى هنا ان أرفع للمتأخرين فى التقديم رايه ليعلم المنكر الفرق بين البداية والنهاية فان الشيخ جمال الدين أظهر فى المغايرة بين السيف والقلم ماصدق به قول القائل

وانى وان كنت الاخير زمانه * لآت بما لم تستطعه الاوائل

من ذلك قوله فى رسالة المفاخرة بينهما والمغايرة فى مدح كل واحد منهما وذمه فبرز القلم بافصاحه ونشط لارتياحه ورقى من الانامل على أعواده وقام خطيبا بمحاسنه فى حلة مداده والتفت الى السيف فقال بسم الله الرحمن الرحيم ن والقلم ومايسطرون ما

اعجل منها الى الصبر واذ ناى بالموت آنس منها بهذا الصوت أولم يكفنا الجرح حتى ذر عليه الملح ألم أكن من أبى القاسم مثل الظهر فماهذه العلاوة على الحمل ولم هذه الزيادة على الثقل من هراة وانا بين القول والعمل اعمل فى السفا واقول وا اسفا والحمد لله الذى كدر وصفا وصلواته على نبيه المصطفى وآله المجتبى ولولا ان يتطير الشيخ عن مقدمى فيقول لا يأتينى الا عند مصيبة لسقيت تربة هذا النجم الآفل من دموعى ونادمت اجداثه بضلوعى ولكنه ألقى فى روعى ان خدمتى هذه طيرة وان تأخرى عنها خيرة فكلما استخفنى اليه الجزع أقعدنى عنه الفزع ولو كان أحد من البرية فوق ان يذكر بالله لكانه الشيخ ادام الله عزه لما أوتى من تمام

أنت بنعمة ربك بمجنون الحمد لله الذى علم بالقلم وشرفه بالقسم وخط به ما قدر وقسم وصلى الله على سيدنا محمد الذى قال جف القلم بما هو كائن وعلى آله وصحبه ذوى المجد المبين وكل مجد باتن صلاة واضحة السطور فائحة من أدراج الصدور ما نقلت صحف البحار غواديها وكتبت أقلام النور على مهارق الدياجى حكمة باريها اما بعد فان القلم منار الدين والدنيا ونظام الشرف والعليا ومجاديح سحب الخير اذا احتاجت الهمم الى السقيا ومفتاح باب اليمن المجرب اذا أعيا وسفير الملك المحجب وعذيق الملك المرجب وزمام اموره السائره وقادمة أجنحته الطائره ومطلق ارزاق عفاته المتواتره وأنملة الهدى المشيرة الى ذخائر الدنيا والآخره به رقم كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم التى تهذب الخواطر الخواطل فبينه وبين من يفاخره الكتاب والسنه وحسبه ما جرى على يده الكريمة من منه وفى مراضى الدول عونة للشائدين وبعين الله فى ليالى النقس تقلب وجهه فى الساجدين ان نظمت فرائد العلوم فانما هو سلكها وان علت اسرة الكتب فانما هو ملكها وان رقت برود البيان فانما هو جلالها وان تشعبت فنون الحكم فانما هو أمانها وما لها واذا انقسمت أمور الممالك فانما هو عصمتها وثمالها وان اجتمعت رعايا الصنائع فانما هو امامها المتلفع بسواده وان زخرت بحار الافكار فانما هو المستخرج دررها من ظلمات مداده وان وعد اوفى بجلب النفع وان أوعد أخاف كأنما يستمد من النقع هذا وهو لسان الملوك المخاطب ورسيلها الابكار الفتوح والخاطب والمنفق فى تعمير دولها محصول انفاسه والمتحمل امورها الشاقة على عينه وراسه والمتيقظ لجهاد أعدائها والسيف فى جفنه نائم والمجهز لبأسها وكرمها جيشى الحروب والمكارم والجارى بما أمر الله من العدل والاحسان والمسود الناصر فكانما هو لعين الدهر انسان طالما ذب عن حرمها فشد الله ازره ورفع ذكره وقام فى المحاماة عن دينها أشعث أغبر لو اقسم على الله لابره وقاتل على البعد والصوارم فى القرب واوتى من معجزات النبوة نوعا من النصر بالرعب وبث بجحافل السطور فالقسى دالات والرماح الفات واللامات لامات والهمزات كواسر الطير التى تتبع الجحافل والاتربة عجاجها المحمر من دم الكلى والمفاصل فهو صاحب فضيلتى العلم والعلم وصاحب ذيلى الفخار فى الحرب والسلم لا يعاديه الا من سفه نفسه ولبس لبسه وطبع على قلبه وفل الجدال من غربه وخرج فى وزن المعارضة عن ضربه وكيف يعادى من اذا كرع فى نقسه قيل انا أعطيناك الكوثر واذا ذكر شانئه السيف قيل ان شانئك هو الابتر أقول قولى هذا واستغفر الله من الشرف وخيلائه والفخار وكبريائه وأتوكل على الله فيما حكم وأسأله التدبير فيما جرى به القلم ثم اكتفى بما ذكره من أدواته وجلس على كرسى دواته متمثلا بقول القائل

قلم يفل الجيش وهو عرمرم * والبيض ما سلت من الاغماد
وهبت له الآجام حين نشا بها * كرم السيول وصولة الآساد

فعند ذلك نهض السيف قائما عجلا وتلظ لسانه للقول مرتجلا وقال بسم الله الرحمن الرحيم

النفس وكمال الفضل والمعرفة باحوال الدهر والعض على ناجذ الحلم ولكن لفقد الكريم لوعة ولفجأة المصيبة روعة ليس لها الا التدبر والتذكير والتذكر فانا أذكر الله عز وجل الذى أنفذ فى مشارق الارض أمره وأجرى بين العموم والخلود حكمه وجعل اكثر هذا العالم دونه وصان مع ذلك من الشوائب دينه وأبقى له من صالح الاولاد من يقر عينه ومن طيب النسل ما يقوى ظهره ويغيظ عدوه ولن ينسى الكثير من آلائه القليل من بلائه والله يجعل هذه المصيبة خاتمة المصائب ولا يريه فى الاعزة سوأ أبدا

(وله اليه ايضا)

وفيما يقول الناس فى حكاياتهم ان اعرابيا نام ليلا عن جمله ففقده فلما طلع

وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب ان الله قوى عزيز الحمد لله الذى جعل الجنة تحت ظلال السيوف وشرّع حدّها فى ذوى العصيان فاغصيتهم بماء الحتوف وشيد مراتب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كانهم بنيان مرصوص وعقد مرصوف وأجناهم من ورق حديدها الاخضر ثمار نعيمها الدانية القطوف وصلى الله على سيدنا محمد هازم الالوف وعلى آله وصحبه الذين طالما كروا بريق بريق الصوارم سطور الصفوف صلاة عاطرة فى الانوف حالية بها الاسماع كالشنوف وسلم اما بعد فان السيف زند الحق الورىّ وزنده القوىّ وحده الفارق بين الرشيد والغوىّ والنجم الهادى الى العز وسبيله والثغر الباسم عن تباشير فلوله به أظهر الله الاسلام وقد جنح خفاء وجلى شخص الدين الحنيفى وقد جمح جفاء وابرى سيوفه بالاباطح فاما الحق فمكث والباطل فذهب جفاء وحملته اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأوضحت به الحق منهاجا وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتحت باب الدين بصباحه حتى دخل فيه الناس أفواجا فهو ذو الرأى الصائب وشهاب العزم الثاقب وسماء العز التى زينت من آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كانه ماء دافق يخرج عند قطع الاجساد من بين الصلب والترائب لا تجحد آثاره ولا ينكر قراره اذا اشتبت فى الدجى والنقع ناره يجمع بين الحالتين البأس والكرم ويصاغ فى طوق الحليتين فهو اما طوق فى نحور الاعداء واما خلخال فى عراقيب أهل النقم ويحسم به أهواء الفتن المضله ويحذف بهمته الجازمة حروف العله واذا انحنى فى سماء القتام بالضرب فقل بسأ لونك عن الأهلة فهو القوى الاستطاعة الطويل المعمر اذا قصف سواه فى ساعة فما أولاه بطول الاحسان وما أجمل ذكره فى أخبار المعمرين ومقاتل الفرسان كأنّ الغيث فى غمده للطالب المنتجع وكانه زناد يستضاء به الا ان دفع الدماء شرره الملتمع كم قدمه فادرك الطلاب ودعا النصر بلسانه المحمر من أثر الدماء فاجاب وتشعبت الدول لقائم نصره المنتظر وحازت ابكار الفتوح بحده الذكر وغدت ايامها به ذات حجول معلومة وغرر وشدت به الظهور وحمدت علائقه فى الامور واتخذته الملوك حرزا لسلطانها وحصنا على أوطانها وقطانها وجردته على صروف الاقدار فى شانها وندب فما أعيت عليه المصالح وباشر اللمم فهو على الحقيقة بين الهدى والضلال فرق واضح واغاث فى كل فصل فهو اما لغمده سعد الاخبية واما لحامله سعد السعود وأما لضده سعد الذابح يجلس على رؤس الاعداء قهرا ويشرح أنباء الشجاعة فاذا لا للقلم ذلك تأويل مالم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعض الحرب الضروس بنابه وقذفت شياطين القراع بشهبه ومنح آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشأ برقه فكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا كم اتخذ من جسد طرسا وكتب عليه حرفا لا ينسى فيه للالباب عبره وللاذهان السابحة غمرة بعد غمره أقول قولى هذا واستغفر الله العظيم من لفظ يجمح ورأى الى الخصام يجنح ولسان يحوجه اللدد الى أن يخرج فيجرح وأتوكل عليه فى صد الباطل وصرفه واساله الاعانة على كل باحث عن حتفه بظلفه ثم اختتى فى بعض المحافل

القمر وجده فرفع الى الله يده فقال اشهد لقد أعليته وجعلت السماء بيته ثم نظر الى القمر فقال ان الله صورك ونورك وعلى البروج دورك فاذا شاء قدرك واذا شاء كورك فلا اعلم مزيدا أسأله لك ولئن أهديت الى قلبى سروره لقد أهدى الله اليك نوره فالشيخ ذلك القمر المضىء وانا ذلك الاعرابىّ لقد أعلى الله قدره وأنفذ بين الجلود واللحم أمره ونظر اليه والى الذين يحسدونه فجعله فوقهم وجعلهم دونه فلا اعلم مزيدا الا الدوام فالله يديم لظلال النعمة ومجال القدرة ومساق الدولة ومراد البغية انه على مايشاء قدير والمرء ادام الله عز الشيخ جزوع ولكنه حول والانسان فى النوائب شموس ثم ذلول وقد عشت بعد فراق الشيخ ولكن

وتمثل بقول القائل

سل السيف عن أصل الفخار وفرعه * فانى رأيت السيف افصح مقولا

فلما وعى القلم خطبته الطويلة الطائلة ونشطته الجليلة الجائلة وفهم كنايته وتلويحه وتعريضه بالذم وتصريحه وتعديله فى الحديث وتجريحه استغاث باللفظ النصير واحتد وما أدراك ما حدة القصير وقام فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وعدل الى النسب الصراح ورأى انه ان سكت تكلم ولكن بأفواه الجراح فانحرف الى السيف وقال أيها المعتز بطبعه المغتر بلمعه الناقض حبل الانس بقطعه الناسخ بهجيره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين أتعرض بسبى وتتعرض لمكايد حربى ألست ذا الخدع البالغة والحرب خدعة والمنن النافعة ولا خير فيمن لا تبغى الانام نفعه ألست المسود الاحق بقول القائل

نفس عصام سودت عصاما * وعلمته الجود والاقداما

اتفاخرنى وانا للوصل وأنت للقطع وأنا للعطاء وأنت للمنع وانا للصلح وأنت للضراب وأنا للعمارة وأنت للخراب وأنا المعمر وأنت المدمر وأنت المقلد وأنا صاحب التقليد وأنت العابث وأنا المجود ومن أولى من القلم بالتجويد فما أقبح شبهك وما أشنع يوما ترى فيه العيون وجهك أعلى مثلى يشق القول ويرفع الصوت والصول وأنا ذو اللفظ المكين وأنت ممن دخل تحت قوله تعالى أومن ينشأ فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين فقد تعديت حدك وطلبت مالم تبلغ به جهدك هيهات انا المنتصب لصالح الدول وانت فى الغمد طريح والمتعب فى تمهيدها وأنت غافل مستريح والساهر وقد مهدلك فى الغمد مضجع والجالس عن يمين الملك وأنت عن يساره فاى الحالتين أرفع والساعى فى تدبير حال القوم والمغنى لنفعهم العمر اذا كان نفعك يوما أو بعض يوم فاقطع عنك أسباب المفاخرة واستر أنيابك عند المكاشرة فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح على انه لا ينكر لمثلك التصدى ولا يستغرب منه على مثلى التعدى ما أنا أول من اطاع البارى وتجرأت عليه ومددت يد العدوان اليه أولست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

قد سلبت الرحمة وانما يرحم الله من عباده الرحماء وجلبت القسوة فكم هيجت سبة حمراء وأثرت دهماء وخمشت الوجوه وكيف لا وأنت كالظفر كونا وقطعت اللذات ولم لا وأنت كالصبح لونا أين بطشك من حلمى وجهلك من علمى وجسمك من جسمى

شتان ما بين جسم صيغ من ذهب * وذاك جسمى وجسم صيغ من بهق

اين عينك الزرقاء من عينى الكحيلة ورؤيتك الشنعاء من رؤيتى الجميلة أين لون الشيب من لون الشباب واين نذير الاعداء من رسول الاحباب هذا وكم أكلت الا كباد غيظا وجبت الاضغان قيظا وشكوت الصدا فسقيت ولكن بشواظ من نار واخنت عليك

عيشة الحوت فى البر بقيت ولكن بقاء الثلج فى الحر (وأخبرنى الخطيب) انه سعد بلقائك ولى النعمة فلم تره يتوجع بشكاية العارضة فسجدت لله شكرا وقدمت صدقة ونذرا وكانت فى نفسى حاجات اعتقدت بها أيام التشييع فلما تلقانى الامر العالى بالرجوع بقيت حاجاتى فى نفسى ولم يعطس بها رأسى وهو يعلم ما آل الراس فى احتباس العطاس خاتما صدرى على سرى ولو كنت كلى صدرا ما وسعت الاتزرا فلا اسأله حاجة ولكنى اصف له حال عبده وابن عبده والمتوسل بعبده فلان فربما يسعد من ولى النعمة بكريم نظر فان حط تلك الديار وغلاء الاسعار والتردد فى الاسفار استنطف ماله واستنزف ماءه فورد هراة فقمش من ههنا مقدارا واعطاه فلان

الايام حتى اشتعل بأبعاضك الحمار ولولا تعرضك الى لما وقعت فى المقت ولولا اساءتك لما كنت تصقل فى كل وقت فدع عنك هذا الفخر المديد وتامل وصفى اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد وافهم قول ابن الرومى

ان يخدم القلم السيف الذى خضعت * له الرقاب ودانت خوفه الامم

فالموت والموت لا شئ يعادله * مازال يتبع مايجرى به القلم

بذا قضى الله فى الاقلام اذ بريت * ان السيوف لها مذ أرهفت خدم

فعند ذلك وثب السيف على قده وكاد الغضب يخرجه عن حده وقال أيها المتطاول على قصره والماشى على طريق غروره والمتعرض منى الى الدمار والمتحرش بى فهو كما تقول العامة ذنبه فش ويحترس بالنار لقد شمرت عن ساقك حتى أغرقتك الغمرات واتعبت نفسك فيما لاتدركه الى أن أذهبها التعب حسرات أولست الذى طالما أرعش السيف للهيبة عطفك ونكس للخدمة رأسك وطرفك وأمر بعض رعيته وهو السكين فقطع قفاك وشق أنفك ورفعك فى مهمات خاملة وحطك وجذبك للاستعمال وقطك فليت شعرى كيف جسرت وعبست على مثلى وبسرت وأنت السوقة وانا الملك وأنا الصادق وأنت المؤتفك وأنت لصون الحطام وأنا لصون الممالك وأنت لحفظ المزارع وأنا لحفظ المسالك وأنت للفلاحة وأنا للفلاح وأنت حاطب الليل من نفسه وأنا سارى الصباح وأنا الباصر وأنت الارمد وأنا المخدوم الابيض وأنت الخادم الاسود واقسم بمن صيرنى قبضتى أنواع اليمن المسخرة وجعل شخصك وشخصى كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة انك عن بلوغ قدرى لاذل رتبة وعن برى كتبى لاخيب طلبة فانى لاانكر قول بعض أربابك حيث قالوا

اف لرزق الكتبه * أف له ما أصعبه

يرتشف الرزق به * من شق تلك القصبه

ياقلما يرفع فى الطرس لوجهى ذنبه

ماأعرف المسكين الا كاتبا ذامتربه

ان عاينت الديوان وقعت فى الحساب والعذاب أو البلاغة سحرت وبالغت فانت ساحر كذاب أو نخرت بتقييد العلوم فمالك منها سوى لمحة الطرف أو برقم المصاحف فانك تعبد الله على حرف أو جمعت عملا فانما جمعك للتكسير أو رفعت الى طرفك رجع البصر خاسئا وهو حسير وهل أنت فى الدول الاخيال تكتفى الهمم بطيفه أو اصبع يلعق بها الرزق اذا أكل الضارب بقائم سيفه وساع على رأسه قليلا ما أجدى وسار ربما أعطى قليلا وأكدى ثم وقف وأكدى أين أنت من حظى الاسنى وكفى الاغنى وما خصصت به من الجوهر الفرد اذا عجزت أنت عن العرض الادنى كم برزت فما أغنيت فى مهمه وكم خرجت من دواتك لتسطير سيئة فخرجت كما قيل من ظلمة الى ظلمة وهب أنك كما قلت مفتوق اللسان جرىء الجنان مداحل بجعلك بين ذوى الاقتناص معدود من شياطين الدول وانت فى الطرس والنقس بين بناء وغواص فلو جريت خلفى الى ان تحفى وصحت بصريرك الى ان تضعف

ويخفى

خمسين دينارا معونة للطريق وليتبلغ الى الماء بالريق فاذا عرف ولى النعمة هذه الحال عنى به فيما يراه هذه واحدة والاخرى حاجتى التى عرضتها مرارا وكررتها ليلا ونهارا واوردتها سرا وجهارا ثم شغل الرحيل الميمون والنهوض المسعود عن استنجازها فبقيت فى اكمامها وحال القدر دون تمامها وفضل الله به زعيم وكرم الشيخ فيها كفيل وهى الحكومة التى طلبتها للفقيه الذى كان يخلف القاضى اباعمرو على عمله بنيسابور ثم اللهم اياك اسأل ومنك اطلب وعليك اتوكل ان ناصية الشيخ بيدك وان التوفيق من عندك وللشيخ فى تشريف العبد بالجواب ومايقيم له من الايجاب العين العالية والرأى السديد ان شاء الله تعالى

وتحقق انا كنت منى الابعزلة المدرة من السماك الرامح والبعرة على تيار الخضم الطافح فلا تعد نفسك بمجزى فانك من عين ولا تحلف لها ان تبلغ مداى فليس لمخضوب البنان يمين ومن صلاح نجمك ان تعترف بفضلى الاكبر وتؤمن بمجزتى التى بعثت منك الى الاسود والاحمر لتستوجب حقا وتسلم من نار حر تلظى لا يصلاها الا الاشقى وان لم يتضح لرأيك الا الاصرار وأبت حصائد لسانك الا ان توقعك فى النار فلارعى الله عزائمك القاصره ولا يجمع عقارب ليل نفسك التى ان عادت فان نعال السيوف لها حاضره ثم قطع الكلام وتمثل بقول ابى تمام

السيف اصدق انباء من الكتب * فى حده الحد بين الجد واللعب

بيض الصفائح لا سود الصحائف فى * متونهن جلاء الشك والريب

فلما تحقق تحريف القلم حرجه وفهم مقدار الغيظ الذى اخرجه وسمع هذه المقالة التى يقطر من جوانبها الدم ورأى انه هو البادى بهذه المناقشة والبادى اظلم رجع الى خداعه وتنحى عن طريق قراعه وعلم ان الدهر دهره والقدر على حكم الوقت قدره وانه احق بقول القائل

لحنها معرب واعجب من ذا * ان اعراب غيرها ملحون

فالتفت اليه وقال ايها المتلهب فى قدحه والخارج عما نسب اليه من صفحه ما هذه الزيادة فى السباب والتطفيف فى كيل الجواب واين علم الشيوخ عند جهل الشباب اما كان الاحسن بك ان تترك هذا الرفث وتلم اخالك على الشعث وتحلم كما زعمت انك السيد وتزكو على الغيظ كما يزكو على النار الجيد اما تعلم انى معينك فى تشييد الممالك ورفيقك فيما تسلكه لنفعها من المسالك اما انا وانت للملك كاليدين وفى تشييده كالركنين الاشدين وما زال يعيبنى فى الاكثر الا نحول جسدى الذى ليس خلقه علىّ وضعفه الذى ليس امره الىّ على ان اشهى الخصور احفها واقوى الجفون اضعفها وازكى النسمات اعلها وادقها وهذه سادات العرب تعد ذلك من فضلها الاظهر وحسنها الاشهر ولو انك تقول بالفصاحة وتقف فى هذه الساحة لاسمعتك فى ذلك من اشعارهم واتحفتك بما يفخرون به من آثارهم وكذلك عيبك سواد خلقتى التى

اكسبها الحب حلية صبغت * صبغة حب القلوب والحدق

فيالله ويا للحبر الاسود من هذه الحجة البائرة والكرة الخاسرة وعلى هذه النسبة ما عيبتنى به من فقر الانبياء وذل الحكماء على ان اطلاقات معروفى معروفة وسطوات امرى فى وجوه الاعداء مكشوفة فاستغفر الله مما افرط فى مقالك والتفويض من عوائد احتمالك فلا تشمت بنا الاضداد ولا تسلط بفرقتنا المفسدين فى الارض ان الله لا يحب الفساد واغضض الآن من خيلائك بعض هذا الغض ولا تشك الى قسمك ولو قيل لك يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض وان ابيت الا ان تهدد وتجرد الشغب وتحدد فاذكر محلنا من اليد الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية ايد الله نعمها وجازى بالاحسان شيمها وايقظ فى الاجيال والآمال سيفها وقلمها ولا عطل مشاهد المدح من انسها ولا اخلى فرائض الباس والكرم من قيام خمسها فاقسم من باسه

(وله اليه مع الوفد طلبا للنظر لاهل هراة)

كتب اطال الله بقاء الشيخ والجميل عنوان نعم الله والشيبة فى الاسلام ضمان من امان الله فاذا احسن معها الخلق أضاء بنورها الافق وما يكاد مثلى يفعل وان حسنت اخلاقه انما الخطر العظيم ان تحسن اخلاق من بيده الآفاق وعن امره الارزاق وباذنه الحبس والاطلاق وبرأيه الغنى والاملاق واليه تقطع الاعناق وله لواء خراسان والعراق وترعد الشاش والايلاق فاذا كانت هذه حاله حسنت اخلاقه وعظم عند الله خلاقه والمرء لا تكرم خصاله حتى يكرم حصله وفصاله ولا يسعد به جاره حتى يسعد بالطهارة نجاره ولا ينفس عن مؤمن كربه الا من طاب ماء وتربه

بالليل وما وسق ومن بشر طلعته بالقمر اذا اتسق لو تجاورا الاسد والظباء بتلك اليد لوردا بالامن في منهل ورتعا في روض لا يجهل ولو لجأ اليها النهار لما راعه بمشيئة الله الليل بزجر أو الليل لما غلب على خيطه الاسود الخيط الابيض من الفجر وعلى ذلك فما ينبغي لنا بين تلك الانامل غير سلوك الادب والمعاضدة على محو الازمات والنوب والاستقامة على الحق ولا عوج والحديث من تلك الراحة عن البحر ولا حرج هذه نصيحتي اليك والدين النصيحة والله تعالى يطلعك على معاني الرشد الصريحة ويجعل بينك وبين البغي حجابا مستورا وينسيك ما تقدم من القول وكان ذلك في الكتاب مسطورا فعند ذلك نكس السيف طرفه وقبل خديعة القلم قائلا الامر ما جدع قصير انفه وامسك عن المشاغبة خيفة الزلل فان السيوف معروفة بالخلل ثم قال أيها الضعيف الجبار البازغ في ليل المداد نجما وكم في النجوم غرار لقد تطفلت من أمر أنت البادي بظلمه وتسورت الى فتح باب أنت السابق الى فتح ختمه وقد نبهت الآن ما ذكرت من أمر اليد الشريفة ونم ما ذكرت وأحسن بما أشرت وما أنسانيه الا الشيطان أن أذكره وقد تغافلت عن قولك الاحسن ورددتك الى أمك الدواة كي تقر عينها ولا تحزن وسألت الله تعالى ان يزيد محاسن تلك اليد العالية تماما على الذي أحسن فانها اليد التي

لو أثر التقبيل في يد منعم * لمحا رواجم كفها التقبيل

والراحة التي تسعى القلوب لغوثها وإغاثتها * فحسبه التأمين والتأميل

والانامل التي علمها الله بالسيف والقلم ومكنها من رتبتي العلم والعلم ودارك بكرمها آمال العفاة بعدان ولاولم ولولا ان هذا المضمار يضيق عن وصفه السابق الى غاية الفضل ومجده الذي اذا جر ذيله وذا الفضل لو تمسك منه بالفضل لاطلت الآن في ذكر مجدها الاوضح وأفصحت في مدحها ولا ينكر لمثلها ان انطقت الصامت فافصح ثم انك بعد ما تقدم من القول المزيد والمجادلة التي عز أمرها على الحديد اقررت أنت انا للملك كاليدين ولم تقر اينا العين وفي آفاقه كالقمرين ولم تذكر اينا الواضحة الجبين ومايشفي ضناي ويروي صداي الان يحكم بيننا من لا يرد حكمه ولا يتهم فهمه فيظهر اينا المفضول من الفاضل والمخذول من الخاذل ويقصر عن القول المناظر ويستريح المناضل وقد رأيت ان يحكم بيننا المقام الاعظم الذي أشرت الى يده الشريفة وتوسلت بمحاسنها اللطيفة فانه مالك زمامنا ومنشئ غمامنا ومصرف كلامنا وحامل اعبائنا الذي ما هوى للهوى وصاحب أمرنا وتالله ما ضل صاحبكم وما غوى ليفصل الامر بحكمه ويقدمنا الى مجلسه الشريف فيحكم بيننا بعلمه فتقدم خيرة الله على ذلك الاشتراط وقل بعد تقبيلنا الارض له في ذلك البساط خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط واهدنا الى سواء الصراط فنشط القلم فرحا ومشى في ارض الطرس مرحا وطرب لهذا الجواب وخرا كعا واناب وقال سمعا وطاعة وشكرا لله على هذه الساعة

* يا برد ذاك الذي قالت على كبدي *

الآن ظهر ما تبغيان وقضى الامر الذي فيه تستفتيان وحكم بيننا الرأى المنير ونبأنا

ولو علم الناس ما بين ايديهم لتركوا ما خلفهم ولو ذكروا ما اعد الله امامهم لنسوا ما وراءهم انما الحياة الدنيا متاع وان الآخرة هي دار القرار ولا ازيد الشيخ علما بمرآة واهلها انه قد شاهد احوالهم ونقص اموالهم وابرز ادخالهم وعرف ما عليهم ومالهم وما يغيب عن ثاقب فطنته الا القليل ولكني اخبره بما عرض لها ولهم بعد فصول اصلها عنها فيهم فشت الامراض الحادة فخبطت عشواء وافنت رجالا ثم جد الغلاء وفقد الطعام ووقع الموت العام فمن الناس من لم يطعم اسبوعا حتى هلك جوعا ومنهم من تبلغ بالميتة الى يومنا هذا وهو

بحقيقة الامر ولا ينبئك مثل خبير ثم تفاصلا على ذلك وتراضيا على ما يحكم به المالك وكانوا أحق بها وأهلها واتبع المملوك من سنة فكره وطالع بما اختلج سواد هذه الليلة فى سره والله تعالى يديم ايام مولانا السلطان التى هى نظام المفاخر ومقام المآثر وغوث الشاكى وغيث الشاكر ويمتع بظلال مقامه الذى لا تكسر الايام مقدار ماهو جابر ولا تجبر ماهو كاسر ان شاء الله تعالى تمت رسالة الشيخ جمال الدين التى كشف بها عن قناع المغايرة وانى فيها بكل مثال ليس له مثيل ووجهها بصاحب حماة فاطاعه عاصى الادب ووهب الله له على الكبر اسمعيل * نرجع الى أبيات البديعيات فبيت الشيخ صفى الدين

فالله يكلؤ عذالى ويلهمهم * عذلى فقد فرجوا كربى بذكرهم

الشيخ صفى الدين غاير الناس فى الدعاء لعذاله وماذاك الا أن العذول ما برح ممتزجا بذكر الاحباب فكلما كرروا عذله وذكروا أحبابه فرجوا كربه بذلك الذكر والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تغاير الحال حتى للنوى فئة * اصبحت منتظرا ايام وصلهم

أما الشرح فى نوع المغايرة فقد طال * والكلام فى بيت عز الدين يضيق عنه المجال * فانه نظم المغايرة ولكن غاير بها الافهام * وما أرانا من عقادة بيته غير الابهام * وبيت بديعيتى

اغاير الناس فى حب الرقيب فذ * أراه أبسط آمالى بقربهم

الناس قد اجمعوا على ذم الرقيب وغايرتهم فى مدحه لمعنى وماذاك الا أنى لما أراه أتحقق أنه ما تجرد للمراقبة الا وقد علم بزيارة الحبيب فانظر الى حسن المغايرة وغرابة المعنى وحسن التركيب

(ذكر التذييل)

(والله ما طال تذييل اللقا بهم * يا عاذلى وكفى بالله فى القسم)

التذييل هو ان يذيل الناظم أو الناثر كلاما بعد تمامه وحسن السكوت عليه بجملة تحقق ماقبلها من الكلام وتزيده توكيدا وتجرى مجرى المثل بزيادة التحقيق والفرق بينه وبين التكميل أن التكميل يرد على معنى يحتاج الى الكمال والتذييل لم يفد غير تحقيق الكلام الاول وتوكيده ومن أعظم الشواهد عليه قوله تعالى وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا فالجملة الاخيرة هى التذييل الذى خرج كلامه مخرج المثل السائر ومثله قوله تعالى ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى الا الكفور فالجملة الاخيرة هى تذييل خرج فى الكلام مخرج الامثال التى ليس لها مثيل وقوله تعالى ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله ففى هذه الاية الشريفة تذييلان احدهما قوله تعالى وعدا عليه حقا فان الكلام كان قد تم قبل ذلك وحسن السكوت عليه والآخر قوله تعالى ومن أوفى بعهده من الله فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر ووقع ذلك فى السنة الشريفة وهو قول النبى صلى الله عليه وسلم من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب عليه وان عملها كتبت

ينتظر نحبه ليلحق بصحبه ومنهم من لا يجد القوت والدرهم على كفه حتى يموت والباقون احياء كأنهم اموات ترعد فرائصهم من هذه البوائق وان هول السلطان أعظم واطم وأمر المطالبات أكبر وأهم فنظر الله لعبد من عباده فحولهم نظرا واحسن من امورهم محضرا وجعل الشيخ ذلك العبد ووفقه لمصالح القول والعمل ولما اهم الناس ما اهمهم من هذا الامر خلصوا نجيا ثم افكروا مليا ثم اتفق رأيهم على ان يبعثوا وفدا ثم عملوا الخطيب اباعلى لذلك المجلس فوجدوه الى اجابتهم سريعا ليدرك حظا من سعادة نفسه بحضرة موسم الخيرات ومقسم الموت والحياة ومطلع البركات حضرة الشيخ أدام

(التذييل)

عليه سيئة واحدة ولا يهلك على الله الا هالك فقوله صلى الله عليه وسلم لا يهلك على الله الا هالك هو التذييل الذى تعلق البلاغة بأذياله وخرج الكلام فيه مخرج الامثال وهذا التذييل انفرد باخراجه مسلم ومن هذا الباب قول النابغة

ولست بمستبق اخا لا تلمه * على شعث أى الرجال المهذب

اتفق اهل البديع على أن قوله أى الرجال المهذب من أحسن تذييل وقع فى شعر لانه خرج مخرج المثل ومثله قول بعض العرب

ودعوا نزال فكنت أول نازل * وعلام أركبه اذا لم أنزل

فعجز هذا البيت كله تذييل وهو فى غاية الكمال ولقد أحسن بعضهم فى هذا الباب حيث قال

صدقتكم الود ابغى الوصال * وليس المكاذب كالصادق
فجازيتمونى بطول البعاد * وكم اخجل الحب من واثق

فكل من عجزى البيتين تذييل وخرج الكلام فيهما مخرج المثل وأحسن منه قول الحطيئة

تزور فتى يعطى على الحمد ماله * ومن يعط اثمان المحامد يحمد

فان عجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل وصدر البيت استقل بالمعنى المراد على انفراده وفيه أيضا مع اتصاله بالعجز تعطف حسن فى قوله يعطى ويعط وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة وملاءمة شديدة ورابطة وثيقة قال ابن أبى الاصبع عجز هذا البيت اذا انفرد استقل مثلا وتذييلا كما ان الصدر اذا انفرد استقل بالمعنى المقصود من جملة البيت والغرض المطلوب من التمثيل أيضا وقل ان يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتمام معناه ولفظه ومن التذييل الحسن قول ابى الشيص

وأهنتنى فاهنت نفسى عامدا * ما من يهون عليك ممن يكرم

فعجز البيت كله تذييل فى ضمنه مطابقة لذكره الهوان والكرامة ومن بديع التمثيل قول ابن نباتة السعدى

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

فانه استوفى ما أراده من المدح فى الشطر الاول ثم احتاج الى تقسيم البيت وأراد تمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحسانا وتوكيدا فأخرجه مخرج المثل السائر حيث قال تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل ليحصل ما أراده من التوكيد وزيادة المعنى لان المدح اذا خرج مخرج المثل كان أسير فى الارض قال ابن ابى الاصبع هذا البيت ان نظر فيه الى قول أبى الطيب المتنبى

تمسى الامانى صرعى دون مبلغه * فما يقول لشئ ليت ذلك لى

فبيت ابن نباتة افضل من بيت المتنبى لانه أحسن الادب مع ممدوحه اذ لم يجعله فى حيز من يتمنى شيأ وجعل فى قدرته وجوده ما يبلغ مادحه كل أمنية فلم يبق له أمل وان كان فى بيت

المتنبى

الله نصارتها مهاجرا اليها متوكلا على الله مستعينا بالله متوجها الى الله وخالصا لله متنجزا من الشيخ جميل وعده فى القماس النظر وسابق قوله فى تصوير هذه الحال والخطيب يستظهر بصلاح ابويه ويرجو ان يعطف الله بقلب الشيخ عليه وعلا بهذا النظر يديه وان والعياذ بالله لم يوافق مراده قدرا ولم يصادف هؤلاء الوفد نظرا فبطن الارض للخطيب خير من ظهرها والله ولى الآمال والكفيل بصلاح الحال

(وكتب الى أبى بكر الخوارزمى)

انا لقرب دار الاستاذ اطال الله بقاءه (كما طرب النشوان مالت به الخمر) ومن الارتياح الى لقائه (كما انتفض العصفور بلله القطر) ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب) ومن الابتهاج

المتنبي زيادة من جهة المبالغة فى قوله دون مبالغه واستعارة فى اللفظ بقوله تسى الامانى صرعى فنى بيت ابن نباتة أن كل ماجعله المتنبي لممدوحه جعله ابن نباتة لمادحه مع زيادة المبالغة فى المدح بكونه اخرجه مخرج المثل السائر كما بينا فهو أشهر واسير وأبقى واذا تامل الناظر فى البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله فى صدر بيت ابن نباتة لان حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الامانى وهذا قد استقل به صدر بيت ابن نباتة والعجز ملزوم صدره لان من نال كل أمل صحب الدنيا بلا أمل غير ان ابن نباتة لكونه أخرج العجز مخرج المثل صار كانه استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي مع كونه زاد بان جعل للمادح ماجعله المتنبي للممدوح وهذا غاية فى حسن الادب وقد ترجح بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه انتهى كلام ابن أبي الاصبع فى النقد الحسن الذى قرره على بيت ابى الطيب و بيت ابن نباتة وقد يختلط على بعض الناس هذه الابواب الاربعة وهى باب الايغال والتذييل والتمكين والتكميل والفرق ظاهر فان الايغال لايكون الا فى الكلمة التى فيها الروى ومايتعلق به وهو أيضا مما يأتى بعد تمام المعنى كالتكميل والتذييل وأما التمكين فليس له مدخل فى هذه الابواب لانه عبارة عن استقرار القافية فى مكانها الا انها لاتزيد معنى البيت بل اذا حذفت نقص معنى البيت لانها ممكنة فى قواعده وأما التكميل فانه وان أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الايغال والتذييل من وجهين أحدهما كونه ياتى فى الحشو والمقاطع والايغال والتذييل لايكونان الا فى المقاطع دون الحشو والايغال والتذييل لايخرجان عن معنى الكلام المتقدم والتكميل لابد أن ياتى بمعنى يكمل الغرض على التكملة المتقدمة أما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضيا والتذييل يفارق الايغال لكونه يزيد على الكلمة التى تسمى ايغالا و يستوعب غالبا عجز البيت و بيت صفى الدين فى التذييل

لله لذة عيش بالحبيب مضت * فلم تدم لى وغير الله لم يدم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين الموصلى

تذييل عيشى ورزقى قسمة حصلت * فى اول الخلق والارزاق بالقسم

و بيت بديعيتى

والله ماطال تذييل اللقاء بهم * ياعاذلى وكفى بالله فى القسم

فقولى وكفى بالله فى القسم هى الجملة التى جاءت بعد تمام الكلام وحسن السكوت عليه واشتملت على معناه وزادته فى القسم تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل الذى مايجارى فى شرفه وكماله وأما لفظة التذييل التى هى تسمية لهذا النوع المقصود ففات الشيخ عز الدين فيها لفظة طال فانى لولم أذكر الطول ماترشحت تورية التذييل ولا وقع لها فى القلوب مواقع فان الطول من لوازم الاذيال وطول ذيل اللقاء فى البيت من ألطف الاستعارات وقولى ياعاذلى هو التكميل الذى ياتى فى الحشو وقد تقدم الكلام عليه وتقرر

(ذكر التفويف)

بعزازه (كما اهتزت البارح الغصن الرطب) فكيف نشاط الاستاذ لصديق طوى اليه مابين قصبتى العراق وخراسان بل مابين عتبتى نيسابور وجرجان وكيف اهتزازه لضيف فى بردة جمال وجلدة جمال رث الشمائل منهج الاثواب * بكرت عليه مغيرة الاعراب

وهو ايده الله ولى انعامه بانفاذ غلامه الى مستقرى لافضى اليه بسرى ان شاه الله تعالى

(وله الى شمس المعالى)

لم تزل الآمال تعدنى هذا اليوم والايام تمطلنى بالسنة صروفها على اختلاف صنوفها بين حلو استرقنى ومر استعبدنى وشر صار الى وخير ماصرت اليه وانا فى خلال هذه الاحوال اتتبع الآفاق فاكون طورا مغربا للمغرب

(التفويف)

خشن ألن احزن افرح امنع اعط أنل * فوف أجد وش رقق شد حب لم

التفويف تأملته فوجدته نوعا لم يفد غير ارشاد ناظمه الى طرق العقادة والشاعر اذا كان معنويا وتجشم مشاقه تقصر يده عن التطاول الى اختراع معنى من المعانى الغريبة ويجفوه حسان الالفاظ ولم يعطف عليه برقة وتأنف كل قرينة صالحة ان تسكن له بيتا ولكن شروع المعارضة ملزم به ولم يسعنى غير تشريع الطباق فى بيته وهو فى اللغة مشتق من الثوب المفوف الذى فيه خطوط بيض والمراد تلوينه ونقشه ومن ظريف قول ابن قاضى ميلة

بعيشى الم اخبر كأنه فستق * على لفظه برد الكلام المفوف

والتفويف فى الصناعة عبارة عن اتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والغزل وغير ذلك من الفنون والاغراض كل فن فى جملة من الكلام منفصلة عن اختها مع تساوى الجملة فى الوزنية ويكون بالجملة الطويلة أو المتوسطة أو القصيرة واحسنها وابلغها واصعبها مسلكا القصار فمثال ما جاء منه بالجملة الطويلة قول النابغة

وأعظم أحلاما وأكبر سيدا * وأفضل مشفوعا وأكرم شافع

وبالجملة المتوسطة قول ابي الوليد بن زيدون

ته أحتمل واحتكم أصبر وعز أهن * وذل أخضع وقل أسمع ومر أطع

ومثال ما جاء بالجملة القصيرة قول أبي الطيب المتنبي

أقل أنل أقطع احمل علّ أسل أعد * زد هش بش تفضل أدن سر صل

أقل من الاقالة فى العثرة أنل من الانالة والاعطاء أقطع من الاقطاع احمل من قولهم حمله على فرسه عل من الاستعلاء والعلو اسل من السلو أعد اى اعدنى الى موضعى من الجود زد اى زدنى مما كنت أعهده منك هش من الهشاشة وهى التهلل والبشر بش من البشاشة وهى البشر وطلاقة الوجه تفضل من الافضال ادن أى قربنى اليك وقوله سر من التسرى وهو ان يعطيه جارية يتسرى بها صل من الصلة ولم اقصد بجلى هذه الالفاظ الا ايناسا تزول به وحشة العقادة عن المتأمل فان هذه الجملة ما استوت عليها عقادة التركيب الا لكون كل كلمة منها فعل امر ولم يات فى الجملة القصيرة على هذه الصفة شئ من فصيح الكلام وعلى هذا المنوال نسج أصحاب البديعيات وبالله المستعان وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

أقصر أطل اعذل اعذر سل خل اعن * خن هن عن ترفق كف بخ لم

وهذا النوع ما نظمه العميان وبيت الشيخ عز الدين

فوف أزف انظم انثر خص عم أفد * اعتب أدر أبرق ارعد اضحك ابك لم

هذا البيت بيت ما نحت من الجبال ولكن الجبال نحتت منه وبيت بديعيتى

خشن ألن احزن افرح امنع اعط انل * فوف اجد وش رقق شد حب لم

قد تقدم قولى للعاذل (والله ما طال تذييل اللقا بهم * ياعاذلى وكفى بالله فى القسم) ولما قررت له ذلك قلت له فى بيت التفويف ان شئت تخشن فى عذلك وان شئت تلين وان شئت تحزن وان شئت تفرح وان شئت تمنع وان شئت تعطى وان شئت تفوف العذل وتجيد

نقشه

الاقصى وطورا مشرقا للمشرق ولا مطمح الا حضرته الرفيعة وسدته المريعة ولا وسيلة الا المنزع الشاسع والامل الواسع وقد صرت اطال الله بقاء الامير بين انياب النوائب وتجشمت هول الموارد وركبت اكناف المكاره ورضعت اخلاف العوائق ومسحت اطراف المراحل حتى حضرت الحضرة البهية أو كدت وبلغت الامنية أو زدت وللامير فى الاصغاء الى الجد والبسط من عنان الفضل بتمكين خادمه من المجلس يتلقاه بيده والبساط ينقشه بفمه الراى العالى ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لو كان للكرم عن جناب الشيخ الامام منصرف لانصرفت أو للامل منحرف

نقشه وتوشيته وترقق فيه اوانشد معناه ان الكل بالنسبة الى صدق المحبة سهل ولكن النكتة في قولي له اعنى للعاذل حب لم يعنى اذا احب لم يعد ذلك كاني اقول له

من لم يبت والحب يقرع قلبه * لم يدر كيف تفتت الاكباد

وما احلى قول الشيخ شرف الدين بن الفارض مخاطبا العاذل

دع عنك تعنيفي وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

(ذكر الموارية)

(ياعاذلي أنت محبوب لدي فلا * توارب العقل مني واستفد حكمي)

الموارية براء مهملة وياء موحدة وهي مشتقة من الارب وهي الحاجة لكن ذكر ابن أبي الاصبع أنها مشتقة من ورب العرق بفتح الواو والراء اذا فسد فهو ورب بكسر الراء كأن المتكلم افسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه وحقيقة الموارية ان يقول المتكلم قولا يتضمن ما ينكر عليه فيه بسببه ويتوجه عليه المؤاخذة فاذا حصل الانكار عليه استحضر بحذقه وجها من الوجوه التي يمكن التخلص بها من تلك المؤاخذة اما بتحريف كلمة او تصحيفها أو بزيادة أو نقص أو غير ذلك فأما شاهد ما وقع من الموارية بالتحريف فقول عتبان الحروز

وان يك منكم كان مروان وابنه * وعمرو ومنكم هاشم وحبيب

فنا حصين والبطين وقعنب * ومنا امير المؤمنين شبيب

فلما بلغ الشعر هشاما وظفر به قال أنت القائل ومنا أمير المؤمنين شبيب فقال يا أمير المؤمنين ماقلت الا ومنا أمير المؤمنين شبيب فتخلص بفتح الراء بعد ضمها وهذا الطف موارية وقعت في هذا الباب وشاهد الحذف قول أبي نواس في خالصة جارية أمير المؤمنين الرشيد هاجيا لها

لقد ضاع شعري على بابكم * كما ضاع حلي على خالصه

فلما بلغ الرشيد ذلك انكر عليه وتهدده بسببه فقال لم اقل الا

لقد ضاء شعري على بابكم * كما ضاء حلي على خالصه

فاستحسن الرشيد موارية وقال بعض من حضره هذا بيت قلعت عيناه فأبصر وشاهد التصحيف في الموارية يأتي في ابيات البديعيات ويعجبني قول الشيخ عز الدين الموصلي في الموارية من غير البديعية لما بلغه وفاة القاضي فتح الدين بن الشهيد وكان القاضي فتح الدين يرجح جانب الشيخ شمس الدين المزين على الشيخ عز الدين لبغض كان في خاطره لا لاستحقاق

دمشق قالت لنا مقالا * معناه في ذا الزمان بين

اندمل الجرح واستراحت * ذاتي من الفتح والمزين

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

لأنت عندي اخص الناس منزلة * اذ كنت اقدرهم عندي على السلم

الموارية في اخص يريد بها أخس بالسين المهملة وأقدرهم يريد بها اقذرهم بالذال المعجمة

(الموارية) المستواه لانحرفت او لفتح باب غيره لولجت أو للفضل خاطب لزوجت ولكن أبى الله ولا يزال كذا يتسم المجد بسمته ويجذب العلا بهمته ويسعد الحر بنظره والدنيا بجماله وغلامه انا والاستعار الدهر لسانا واتخذ الريح ترجمانا لبشيع انعامه حق الاشاعة لقصرت به يد الاستطاعة فليس الأن يلبس مكارمه ضافية بالغة ويرد مشارعه صافية سائغة ويحمل الجزاء على يد قصور والشكر على لسان قصير ثم ان حاجاتي اذا لم يعرمن قلائد المجد نحرها ولم يعطل من حلى المجد صدرها كثر مهرها وثقل صدورها وعز كفؤها ولم ارض لها الا واحدا أخضر الجلدة في بيت العرب أو ماجدا يملأ الدلو الى عقد الكريب وهذه حاجة انا ازفها الى الشيخ

(قوله والراء) صوابه وكسر الراء

(قوله الحروز) في نسخة الحروري

(قوله ذاتي) في نسخة نفسي

والمواربة فى اقدرهم بالتصحيف وهـذا النوع لم ينظمه العميان فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

لأنت افتح ذهنا فى مواربة * وبالتعقل منسوب الى النعم

مراد الشيخ بافتح أقبح وبالتعقل التغفل وقال فى شرحه انه اراد بالنعم النعم وهو اسم جامع للابل وغيرها وأراد بذلك المواربة بالتحريف أيضا سلمنا له ذلك ولكن لم أر فى بيته قبل المواربة معنى يستأنس به الذوق وبيت بديعيتى انا مستمر فيه على ما تقدم من خطاب العاذل

ياعاذلى أنت محبوب لدىّ فلا * توارب العقل منى واستفد حكمى

قولى للعاذل أنت محبوب لدىّ من له أدنى ذوق يفهم منه أن مرادى المواربة بمجنون والمراد بلفظة توارب توازن والمعنى قبل المواربة مستقيم وهو فى غاية الكمال واذا حصلت المواربة صار البيت

ياعاذلى أنت مجنون لدىّ فلا * توازن العقل منى واستفد حكمى

وانتقل من صيغة المدح المقبول الى صيغة الهجو الصريح

(ذكر الكلام الجامع)

(جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند أهل الذوق كالعدم)

الكلام الجامع هو أن يأتى الشاعر ببيت مشتمل على حكمة أو وعظ أو غير ذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الامثال ويتمثل الناظم بحكمها او وعظها أو بحالة تقتضى اجراء المثل كقول زهير بن أبى سلمى

ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم

وقول ابى نواس

اذا كان غير الله فى عدة الفتى * أتته الرزايا من وجوه الفوائد

وقول المتنبى

واذا كانت النفوس كبارا * تعبت فى مرادها الاجسام

وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته

من كان يعلم أن الشهد مطلبه * فلا يخاف للدغ النحل من ألم

فانه حصر فيه الكلام الجامع بشروطه واجراه مجرى المثل مع ما أودع فيه من الحكمة وزاد على ذلك بما كساه من ديباجة الرقة ولطف السهولة وحسن الانسجام وأما العميان فما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين الموصلى

كلامه جامع وصف الكمال كما * يهيج الشوق أنواعا من الريم

قد تقرر ان الكلام الجامع هو أن يأتى الناظم ببيت جملته حكمة أو موعظة أو غير ذلك من الحقائق التى تجرى مجرى الامثال وليس بين الشطر الاول من البيت وبين الشطر الثانى مناسبة ولا تناسب ملاءمة ولم ار لجريان المثل دخولا فى باب هذا البيت وبيت بديعيتى

جمع الكلام اذا لم تغن حكمته * وجوده عند اهل الذوق كالعدم

حكمة هذا البيت ما جريت مثلها على هذا النمط الا ليعلم المتيقظ أن فيه اشارة لطيفة الى بيت عزالدين فانى قررت ان ليس فى كلامه الجامع ما يشعر بحكمة تجرى مجرى الامثال

فوجوده

الامام فأسوقها منظومة الصدر الى العجز كما يساق الماء الى الارض الجرز وانا من مفتتح اليوم الى مختتمه ومن قرن النهار الى قدمه قاعد كالكركى أو الديك الهندى فى هذا الادحى يربى اولو الحلى والحلل ويجتاز ذووا الخيل والخول وارباب النعم والدول وما انا والنظر الى ما يليق والسؤال عما لا يعنينى واليوم لما اقتضضنا غدوة الصباح ملأت اجفانى من منظر ما احوجه الى عيب يصرف عين كماله عن جماله فقلت لمن حضر من هذا فأخذوا يحركون الرؤس استطرافا لحالى ويتغامزون تعجبا من سؤالى وقالوا هو الشيخ الفاضل ابو ابراهيم اسمعيل بن احمد فقلت حرس الله مهجته وادام غبطته فكيف الوصول

(الكلام الجامع)

قوله مطلبه فى نسخة راحته

فوجوده عند أهل الذوق كالعدم والله الموفق

(ذكر المناقضة)

(انى اناقضهم ان ازمعوا ونأوا * وجر نمل ثبيرا اثر عيسهم)

المناقضة تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط فكأن المتكلم ناقض نفسه فى الظاهر اذ شرط وقوع امر بوقوع نقيضين ومثاله قول النابغة

وانك سوف تحكم أو تباهى * اذا ماشبت أوشاب الغراب

فان تعليقه وقوع حكم المخاطب على شيبه ممكن وعلى شيب الغراب مستحيل ومراده الثانى لا الاول لان مقصوده أن يقول انك لاتحكم أبدا والفرق بين المناقضة وبين نفى الشئ بايجابه أن هذا الباب ليس فيه نفى ولا ايجاب ونفى الشئ بايجابه ليس فيه شرط وبيت الشيخ صفى الدين فى المناقضة

وانى سوف اسلوهم اذا عدمت * روحى وأحييت بعد الموت والعدم

فتعليق الشرط بين النقيضين الممكن والمستحيل ظاهر والبيت فى غاية الحسن والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت عز الدين

انى أناقض عهد الناز حين اذا * ماشاب عزمى وشبت شهوة الهرم

الشيخ عز الدين قرر فى بيته وشرحه ان شيب العزم ممكن وشباب شهوة الهرم مستحيل فرأيت تصوير شيب العزم وامكانه وسبك استعارته فى قالب التشبيه كما تقرر فى باب الاستعارة فيه اشكال فانهم قالوا الاستعارة هى ادعاء معنى الحقيقة فى الشئ للمبالغة فى التشبيه ولم ار فى شيب العزم وجها للمبالغة فى التشبيه وعلى كل تقدير فالممكن والمستحيل فى بيت عز الدين فيهما نظر وبيت بديعيتى

انى اناقضهم ان أزمعوا ونأوا * وجر نمل ثبيرا اثر عيسهم

تعليق الشرط على الممكن والمستحيل فى هذا البيت أوضح من الكلام عليه والله اعلم بالصواب

(ذكر التصدير وهو رد العجز على الصدر)

(ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم أهذ ألم أصبر ألم ألم)

هذا النوع الذى هو رد الاعجاز على الصدور سماه المتأخرون التصدير والتصدير هو أخف على المستمع واليق بالمقام وقد قسمه ابن المعتز على ثلاثة اقسام الاول ماوافق آخر كلمة فى البيت آخر كلمة فى صدره أو كانت مجانسة لها كقول الشاعر

يلقى اذا ما كان يوم عرمرم * فى جيش رأى لا يفل عرمرم

والثانى ماوافق آخر كلمة فى البيت اول كلمة منه وهو الاحسن كقول الآخر

سريع الى ابن العم يلطم وجهه * وليس الى داعى الندى بسريع

ومثله

تمنت سليمى أن أموت صبابة * واهون شئ عندنا ماتمنت

(المناقضة)

الى خدمته واين ماتى معرفته فقالوا ان الشيخ الامام يضرب فى مودته بالمعلى ويأخذ الحظ الاوفى فان رأى الشيخ الامام اطال الله بقاءه ان يجعل عنايته حرف الصلة وتفضله لام المعرفة فعل ان شاء الله تعالى

(وله الى ابى نصر المرزبان) الشيخ الفاضل اطال الله بقاءه وادام تأييده يجل قدمه أن يقصد خدمه ويذهب بنفسه عن مباسطة الاوساط فكيف عن مخالطة السقاط وقد رضينا منه ان يألف صدر بيته ويعمر بطن دسته ونحن على قدم الصغر نأتيه فلم يهرب بل كم يحجب وقد ترددت الى زيارته حتى استحييت من جيرانه وما كنت لاحرص على من بشره الى لولا ما اسمع من شريف أخلاقه وبلغنى

(التصدير)

قوله تعليق الشرط المناسب المشروط وكذا يقال فيما بعد

قوله فتعليق الشرط المناسب المشروط على الخ

قوله يلطم وجهه فى نسخة يشتم عرضه

ومثله سكران سكر هوى وسكر مدامة * أنى يفيق فتى به سكران

وشاهدا لجناس فى هذا الباب للسرى الرفاء

يسار من سجيتها المنايا * ويمنى من عطيتها اليسار

والاكثر أن تكون الكلمة التى فى العجز عين الكلمة التى فى الصدر لفظا وان قبل اللفظ اشتراكا زاد النوع حسنا مثاله

ذوائب سود كالعناقيد ارسلت * فمن اجلها منا النفوس ذوائب

والقسم الثالث ما وافق آخر كلمة فى البيت بعض كلام فى أىّ موضع كان كقول الشاعر

سقى الرمل صوب مستهل غمامه * وما ذاك الا حب من حل بالرمل

هكذا عرف ابن المعتز هذا القسم الثالث من التصدير لكن قال ابن أبى الاصبع ان هذا التعريف مدخول وصدق فان ابن المعتز قال فى أىّ موضع كان والكلمة اذا كانت فى العجز لم تسم تصديرا الا ان اشتقاق التصدير من صدر البيت فلا بد من زيادة قيد فى التعريف يسلم به من المدخل بحيث يقول بعض كلمات البيت فى أىّ موضع كانت من صدره قال ابن ابى الاصبع أيضا الذى يحسن أن يسمى به القسم الاوّل تصدير التقفية الثانى تصدير الطرفين الثالث تصدير الحشو وقد وقع من القسم الاوّل فى الكتاب العزيز قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين ومن القسم الثانى قوله تعالى وأحسنوا ان الله يحب المحسنين ومن القسم الثالث قوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قال ابن أبى الاصبع وفى التصدير قسم رابع ذهب عنه ابن المعتز وهو أن يأتى فيها الكلام فيه منفى واعتراض فيه اضراب عن أوّله كقول الشاعر

فان تك لم تبعد على متعهد * بلى كل من تحت التراب بعيد

وقد جاء قدامة من التصدير بنوع آخر كاذ كرناه وسماه التبديل وهو ان يصير المتكلم الاخير من كلامه أولا أو بالعكس كقولهم اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على من شكرك قال ابن أبى الاصبع لم اقف لهذا النوع على شاهد شعرى فقلت

اصبر على خلق من تصاحبه * واصحب صبورا على أذى خلقك

أصحاب البديعيات نظموا القسم الثانى الذى قرّره ابن المعتز وهو ما وافق آخر كلمة من البيت أوّل كلمة فيه وهو الذى وقع الاتفاق على انه الاحسن وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله

فمى تحدث عن سرى فما ظهرت * سرائر القلب الا من حديث فمى

هذا النوع اعنى التصدير ما برحت السهولة نازلة باكناف اذياله فانه سهل المأخذ ويتعين على الاديب المعنوى ان لا يتركه ساذجا من نكتة أدبية يزداد بها بهجة فان الشيخ صفى الدين مع عدم تكلفه بتسمية النوع وسبكه فى قالب التورية من جنس الغزل لم يأت به الاساذجا وبيت العميان فى بديعيتهم

وحقهم ما نسينا عهد حبهم * ولا طلبنا سواهم لا وحقهم

لعمرى ان بيت الشيخ عز الدين فى هذا النوع اعمر من بيت الصفى ومن بيت العميان فانه مع التصريح بتورية التسمية على نوع التصدير جكررها فى طرفى بيته وهو

ان خزانته تشتمل من كتب الادب على ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين فان كان فى جملتها ما يستغنى عنه محاباة اسبوع عقدبه منة لدىّ واعارنيه وله فى الفضل رأيه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لا زال اطال الله بقاء مولاى الشيخ لسوء الانتقاد وحسن الاعتقاد ابسط يمين الفعل واسمح جبين الخجل واضعف الحاسة فى الفراسة احسب الورم شحما والسراب شرابا حتى اذا تجشمت موارده لاشرب بارده لم اجده شيأ وما حسبت الشيخ ممن تجنبه هذه الحالة وتشمله هذه الجملة حتى عرضت على النار عوده وسبرت بالسؤال جوده وكاتبته استعير حلبة كمال سحابة يوم أو شطره بل مسافة ميل أو قدره

(قوله باكناف اذياله) فى نسخة باكناف ابياته

فهم بصدر جمال عجز عاشقه * عن وصله ظاهر عن باحث فهم

وبيت بديعيتي

ألم اصرح بتصدير المديح لهم * ألم اهدد ألم أصبر ألم ألم

ديباجة التورية في عجز هذا البيت وصدره لا تخفى على صاحب الذوق السليم ولو استقل هذا البيت بنظم نوع التصدير بمجرده لم يكن تحته كبير أمر كبيت الحلي وبيت العميان

(ذكر القول بالموجب)

قولي له موجب اذ قال اشفقهم * تسل قلت بناري يوم فقدهم

القول بالموجب ويقال له اسلوب الحكيم والناس فيه عبارات مختلفة منهم من قال هو أن يخصص الصفة بعد أن كان ظاهرها العموم أو يقول بالصفة الموجبة للحكم ولكن يثبتها الغير من أثبتها المتكلم وقال ابن ابي الاصبع هو ان يخاطب المتكلم مخاطبا بكلام فيعمد المخاطب الى كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم وذلك عين القول بالموجب لان حقيقته رد الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه قال صاحب التلخيص في تلخيصه وايضاحه القول بالموجب ضربان أحدهما ان تقع صفة من كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فتثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم وانتفائه كقوله تعالى يقولون لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين فانهم كنوا بالاعز عن فريقهم وبالاذل عن فريق المؤمنين وأثبتوا للاعز الاخراج فاثبت الله تعالى في الرد عليهم صفة العزة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرض لثبوت حكم الاخراج للموصوفين بصفة العزة ولا لنفيه عنهم انتهى كلام صاحب التلخيص ومنه قول القبعثرى للحجاج لما توعده فقال لاحملنك على الادهم والمراد به القيد فرأى القبعثرى ان الادهم يصلح للقيد والفرس فحمل كلامه على الفرس وقال مثل الامير يحمل على الادهم والاشهب فصرف الوعيد بالهوان الى الوعد بالاحسان وفي هذا ما لا يخفى على المتأدب من حسن التلطف وشدة الباعث على فعل الخير اذ لا يليق بمن له همة عالية ان يقال له مثلك من يفعل الخير فيقول لا بل أفعل الشر والقسم الثاني من كلام صاحب التلخيص ان القول بالموجب هو حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه وهذا القسم الذي تداول بين الناس ونظمه أصحاب البديعيات كقول ابن حجاج

قال ثقلت اذ أتيت مرارا * قلت ثقلت كاهلي بالايادي

قال طولت قلت اوليت طولا * قال ابرمت قلت حبل ودادي

وحذاق البديع اخلوا هذا الباب من لفظة لكن فانهم خصصوا بها نوع الاستدراك بحيث يفرق بينهما فرق دقيق وهذا هو الفرق ومن احسن ما وقع في هذا النوع قول محاسن الشواء

ولما اتاني العاذلون عدمتهم * وما فيهم الا للعمى قارض

وقد بهتوا لما رأوني شاحبا * وقالوا به عين فقلت وعارض

القول بالموجب

فغاص في الفطنة غوصا عميقا وتطرف في الكيس تطرفا ادقيقا وقال هذا مشهور المديه في أبواب الكديه قد جعل الاستعارة طريق افتراسها وسببا الى احتباسها وقدمني ضرسه وحدث بالحال نفسه ولا اضيفه في هذا الباب أحسن من التغافل عن الجواب فضلا عن الصواب وكلا فاني أبواب الرد اقبح ما قرع وفي شرائع الفضل اظهر مما شرع ثم العذر من جهتي مبسوط ان بسطه الفضل ومقبول ان قبله المجد وانما كانت له لاعيد الحال القديمة واشترط له على نفسي ان اريحه من سوم الحاجات من بعد فمن لا يستحي من أعطى لم يستح له من اغضى وعلى حسب

وأورد الشهاب محمود في كتابه المسمى بحسن التوسل الى صناعة الترسل بيت الارجاني في الاستدراك شاهدا على هذا النوع وهو

غالطتني اذ كست جسمي ضنى * كسوة أعرت من اللحم العظاما
ثم قالت أنت عندي في الهوى * مثل عيني صدقت لكن سقاما

قد تقرر ان لفظة لكن خصص بها اهل البديع نوع الاستدراك لاجل الفرق بينه وبين القول بالموجب ولم يستشهدوا على نوع الاستدراك بغير بيت الارجاني قال الشهاب محمود في البيتين انه اعجبه معناهما ونظم فيه قوله وهو شاهد على القول بالموجب

رأتني وقد نال مني النحول * وفاضت دموعي على الخد فيضا
فقالت بعيني هذا السقام * فقلت صدقت وبالخصر أيضا

وبيت الحلي

قالوا سلوت لبعد الالف قلت لهم * سلوت عن صحتي والبرء من سقمي

فقوله سلوت عن صحتي هو حمل لفظ وقع من كلام الغير على خلاف مراده وبيت العميان اوردوه بحرف الاستدراك وهو

كانوا غيوثا ولكن للعفاة كما * كانوا ليوثا ولكن في عداتهم

رأيت ترك الكلام على هذا البيت اليق بالمقام وبيت عز الدين الموصلي

قالوا مدام الهوى قول بموجبه * تسل قلت شبابي من يد الهرم

لما قال الشيخ عز الدين بعد تسل شبابي من يد الهرم علمنا انها الكلمة التي أشار اليها ابن أبي الاصبع وقال ان المخاطب يعكس بها معنى كلام المتكلم وهو عين القول بالموجب وتسل هنا احسن من سلوت في بيت الحلي فان تسل يقبل الاشتراك ومراد المتكلم هنا داء السل فعاكسه المخاطب بسل الشباب من يد الهرم ونقله باشتراك التورية الى الوجه الذي أراده ولم يخرج عن موضوعها في معنى السل الذي لم يخرج عن الوجهين غير ان قول الموصلي مدام الهوى قول بموجبه لم يخل من شدة العقادة وبيت بديعيتي

قولي له موجب اذ قال اشفقهم * تسل قلت بناري يوم فقدهم

فلفظة تسل هي الكلمة المعتمد عليها في عكس معنى كلام المتكلم من المخاطب فان المتكلم أراد السلو في لفظة تسل وهي فعل امر فعاكسه المخاطب بالاشتراك ونقلها بالتورية الى صفة التسلي بالنيران فانه لما قال له تسل قال بناري يوم فقدهم ورقة البيت وانسجامه لا تخفى على اهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الهجو في معرض المدح)

(وكم بمعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم)

هذا النوع من مستخرجات ابن ابي الاصبع وهو ان يقصد المتكلم هجاء انسان فيأتي بالفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح فيوهم أنه يمدحه وهو يهجوه كقول الحماسي

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفرة * ومن اساءة أهل السوء احسانا

جوابه أجرى المودة من بعد فان رأى ان يجيب فعل ان شاء الله
(وله كتبها الى سهل بن محمد ابن سليمان)
انا اذا طويت اليوم من خدمة الشيخ والآن لم ارفع له بصري ولم اعده من عمري فكأني بالشيخ اذا اخللت بفروض خدمته من قصد حضرته والمثول في جملة حاشيته وجملة غاشيته يقول ان هذا الجائع لما شبع وتضلع واكتسى وتشفع وتجلل وتبرقع وتربع وترفع فما يطوف بهذا الجناب ولا يطير بهذا الباب وانا الرجل الذي آواه من فقر واغناه من فقر وآمنه من خوف اذا لا حرّ بوادي عوف حق اذا وردت عليه رقعتي هذه واعارها طرف كرمه وظرف

الهجو في معرض المدح

كأن ربك لم يخلق لخشيته * سواهم من جميع الناس انسانا

فظاهر هذا الكلام المدح بالحلم والعفة والخشية والتقوى وباطنه المقصود أنهم في غاية الذل وعدم المنعة وظريف قول بعضهم في الشريف ابن الشجري

ياسيدي والذي يعيذك من * نظم قريض يصدي به الفكر
مافيك من جدك النبي سوى * انك لا ينبغي لك الشعر

ومن ملح هذا الباب قول ابن سنا الملك في قوّاد

لي صاحب افديه من صاحب * حلو التأني حسن الاحتيال
لوشاء من رقة الفاظه * ألف مابين الهدى والضلال
يكفيك منه أنه ربما * قاد الى المهجور طيف الخيال

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع لقد تشبثت بأذيال القاضي السعيد بن سنا الملك في هذا النوع بقولي فيمن ادعى الفقه والكرم

ان فلانا أكرم الناس لا * يمنع ذا الحاجة من فلسه
وهو فقيه ذو اجتهاد وقد * نص على التقليد في درسه
فيحسن البحث على وجهه * ويوجب الدخل على نفسه

والفرق بين الهجاء في معرض المدح وبين التهكم ان التهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من انواع الذم أو لفظة توهم من فحواها الهجو والفاظ المدح في معرض الذم لا يقع فيها شيء من ذلك ولا تزال تدل على ظاهر المدح حتى يقترن بها ما يصرفها عنه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

من معشر رخص الاعراض جوهرهم * ويحملون الاذى من كل مهتضم

فقوله ويحملون الاذى من كل مهتضم ينظر الى قول الحماسي (يجزون من ظلم اهل الظلم مغفرة) والمراد بما أبطنه الذل وعدم المنعة والعصيان لم ينظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

في معرض المدح تهجي من قبيلته * أعراضهم بين معمور ومنهدم

الذي أقوله ان الشيخ عز الدين قفل مصراعي بيته ومنع الافهام من الدخول اليه فاني لم أجد فيه مايدل على مجرد المدح ولا اقترن به مايصرفه الى صيغة الهجو بل اقول وأنا استغفر الله ان هذا البيت اجساد الفاظه مادب فيها من المعاني روح وليس له بهذا النوع المام وبيت بديعيتي

وكم بعرض مدح قد هجوتهم * وقلت سدتم بحمل الضيم والتهم

فحمل الضيم ينظر الى قول الحماسي اذ ظاهره الحلم والحسن وباطنه الذل وعدم المنعة ولكن حمل التهم هو الغاية القصوى في ظاهره وباطنه والله اعلم

(ذكر الاستثناء)

(عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف أغصان بذي سلم)

الاستثناء استثنا آن لغوي وصناعي فاللغوي اخراج القليل من الكثير وقد فرع النحاة من ذلك في كتبهم فروعا كثيرة والصناعي هو الذي يفيد بعد اخراج القليل من الكثير

وشيمه وتطرمن عنوانه الى اسمى فال بعدا وسحقا وتباوحتا ونحتا وطعنا ولعنا فما اكذب سراب اخلاقه واكثر اسراب نفاقه فالآن اغفل عن عقدته وانتبه من رقدته وكاتبني يستعيدني كلا لا أزوجه الرضا ولا اقلامه ولا امضه ولا كرامة وادعه يركب راسه فستأتيني به الليالي والكيس الخالي ثم أريه ميزان قدره وأذيقه وبال أمره واذا بلغ موضع الحاجة من الرقعة قال مأربة لاحفاوة ووطر ساقه لانزاع شاقه فهذا بذا ولا ابعد من تلك الهمم العاليه والاخلاق الساميه أن يقول مرحبا بالرقعة وكاتبها واهلا بالمخاطبة وصاحبها وقضاء الحاجة بالحاتها وابرازها وهي الرقعة التي سالت الى من التمسته كما اقترحته بما طالبته فرأيه فيه موفق ان شاء الله تعالى

الاستثناء

معنى يزيد على معنى الاستثناء ويكسوه بهجة وطلاوة ويميزه بما يستحق به الاثبات فى ابواب البديع كقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس فان فى هذا الكلام معنى زائدا على مقدار الاستثناء وذلك اعظم الكبيرة التى أتى بها ابليس من كونه خرق اجماع الملائكة وفارق جميع الملا الاعلى بخروجه مما دخلوا فيه من السجود لآدم وذلك مثل قولك أمر الملك بكذا وكذا فأطاع أمره جميع الناس من أمير ووزير الا فلانا فان الاخبار عن معصية هذا العاصى بهذه الصيغة مما يعظم أمر معصيته ويفخم مقدار كبريائه بخلاف قولك أمر الملك بكذا فعصاه فلان ومثاله قوله تعالى اخبارا عن نوح عليه السلام فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما فان فى الاخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة تهويلا على السامع لتمهيد عذر نوح عليه السلام فى الدعاء على قومه وان فى حكمة الاخبار عن المدة بهذه الصيغة العظيمة تعظيمها لكون اول ما يباشر السمع ذكر الالف والايجاز فى اختصار هذا اللفظ بهذه البلاغة العظيمة ظاهر فان لفظ القرآن اخصر واوجز من قولنا تسعمائة سنة وخمسين عاما ولفظ القرآن بتقييد حصر العدد المذكور لا يحتمل الزيادة عليه ومثله قوله تعالى فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد وأما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فالله تعالى لما علم ان وصف الشقاء يعم المؤمن العاصى والكافر استثنى من خلودهم فى النار بلفظ مطمع حيث اثبت الاستثناء المطلق واكده بقوله ان ربك فعال لما يريد أى أنه لا اعتراض عليه فى اخراج أهل الشقاء من النار ولما علم ان أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة استثنى من خلودهم ما ينفى الاستثناء حيث قال عطاء غير مجذوذ أى مقطوع وهذه المعانى فى هذه الآيات الشريفة زائدة على الاستثناء اللغوى ومن امثال الاستثناء اللغوى فى الشعر قول النميرى

فلو كنت بالعنقاء أو بأطومها * لخالك الا أن تصد ترانى

هذا الاستثناء فى غاية الحسن فانه تضمن المبالغة فى زيادة مدح الممدوح وذلك ان هذا الشاعر يقول انى لو كنت فى حيز العدم لان العرب تضرب المثل بالعنقاء لكل شئ متعذر الوجود لخالك متمكنا من رؤيتى ليس لك مانع يمنعك عنى فالزيادة هنا فى غاية اللطف وهى قوله الا أن تصد فانت فى القدرة على غير ممنوع وهذا غاية المبالغة فى المدح ومن الاستثناء نوع سماه ابن أبى الاصبع استثناء الحصر وهو غير الاستثناء الذى يخرج القليل من الكثير ونظم فيه قوله

اليك والا ماتحث الركائب * وعنك والا فالمحدث كاذب

فان خلاصة هذا البيت قول الناثر للممدوح * لا تحث الركائب الا اليك ولا يصدق المحدث الا عنك وهذا الحصر لا يحسن فى الاستثناء الاول فانه لو قال سبحانه وتعالى فلبث فيهم الف سنة الا خمسين عاما وعاما صح لولا توخى الصدق فى الخبر وقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس لا يمتنع ان يقال وحطه لولا مراعاة الصدق فى الخبر وعلى منوال

الاستثناء

(وله أيضا)

الشيخ السيد اطال الله بقاءه اذا وصل بيدى يدم لم المس الجوزاء الا قاعدا وقد ناطها منة فى عنق الدهر وصاغها اكليلا لجبين الشكر وما اقصر يدى عن المقابلة ولسانى عن الثناء وهذا الجاهل قد عرف نفسه وقلع ضرسه ورأى ميزان قدره وذاق وبال أمره وجهز الى كتيبة عجائز عاجزات فاطلقن العويل والاليل وبعثن شفيعا الى واستعن بى على وتوسلن بكلمة الاستسلام ولجة الاسلام فى معنى هذا الغلام فان احب الشيخ ان يجمع فى الطول راءه الحوض الى العفو وينظم فى القعل بين الروض والمط شفع فى اطلاقه مكارمه وشرف بذلك خادمه وانجز نا بالافراج عنه موفقا ان شاء الله تعالى

الاستثناء الاول الذى هو العمدة فى هذا الباب نظم أصحاب البديعيات وهو اخراج القليل من الكثير بزيادة معنى بديع يزيد على معنى الاستثناء فبيت الشيخ صفى الدين الحلى

فكل ماسر قلبى واستراح به * الا الدموع عصانى بعد بعدهم

فبيت صفى الدين هنا غير خال من العقادة ومراده فيه أن كل شئ كان يسره قبل الفراق ويطيعه عصاه الا الدموع فانها اطاعته ومعنى هذه الزيادة اللطيفة لايخفى على اهل الذوق والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين

الناس كل ولا استثناء لى عذروا * الا العذول عصانى فى ولائهم

مراد عزالدين فى زيادة معناه على معنى الاستثناء ان عذوله خالف الاجماع وبيت بديعيتى

عفت القدود فلم استثن بعدهم * الا معاطف اغصان بذى سلم

قال الله تعالى كل حزب بمالديهم فرحون * هذا البيت ماأعلم انى اذا اطنبت فى وصفه يكون الاطناب لشدة فرحى به لكونه نظمى أولان الامر على حقيقته فان زيادة معناه على معنى الاستثناء وغرابة اسلوبه وشرف نسيبه وحسن انسجامه وسهولة الفاظه ومراعاة نظيره لاتخفى على المنصف من اهل الادب وأما ترشيح تورية الاستثناء بذكر القدود والمعاطف فانه من النسمات التى حركت القدود والمعاطف والتكميل بذى سلم لكون القصيدة نبوية فى غاية الكمال والذى أقوله انه مايدخل نظر المتأمل الى بيت اعمر منه فى هذا الباب والله أعلم بالصواب

(ذكر التشريع)

(طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم)

هذا النوع اعنى التشريع سماه ابن أبى الاصبع التوأم وأراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى فان هذا النوع شرطه أن يبنى الشاعر بيته على وزنين من أوزان القريض وقافيتين فاذا أسقط من اجزاء البيت جزأ أوجزأين صار ذلك البيت من وزن آخر غير الاول كقول الحريرى

ياخاطب الدنيا الدنية انها * شرك الردى وقرارة الاكدار

دار متى ماأضحكت فى يومها * ابكت غدا تبالها من دار

وهى قصيدة كاملة معروفة فى مقاماته من ثانى الكامل وتنتقل بالاسقاط الى ثامنه فتصير

ياخاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى

دار متى ماأضحكت * فى يومها ابكت غدا

وزيادة القافيتين ظاهرة ووقع قبل كلام الحريرى من كلام العرب فى هذا الباب

واذا الرياح مع العشى تناوحت * هوج الرمال بكثبهن شمالا

الفيتنا نقرى الغبيط لضيفنا * قبل القتال ونقتل الابطالا

فان هذا الشاعر لواقتصر على الرمال والقتال لكان الشعر من الضرب المجزوء المرفل من الكامل وهو

واذا الرياح مع العشى تناوحت هوج الرمال

التشريع

(وله ايضا)

خلقت أطال الله بقاء السيد مروح عنان الصبر جموح جنان الحلم فسيح رقعة الصبر جولا لوتعمد فى الردى لصرت اليه منشرق الوجه راضيا

خلقت ألوفا لورددت الى الصبا

لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

ووالله لاحيلن استقالة السيد على الايام ولبصلنه ولاكلن احالة رأيه فى الى الليالى وليكلنه ولادعنه يرى القدح فواالله لم يشنه ولا ازال اصفيه الولاء واسنيه الثناء وأفرش له من صدرى الدهناء واعيره أذناصماء حتى يعلم أى علق باع وأى فتى اضاع وليقفن السيد منى موقف اعتذار وليعلن

بنصح اتى الواشون أم بحبول

الفيتنا نقرى الغبيـط لضيفنا قبل القتال

فاذا أعمت البيتين صارا من الضرب التام المقطوع منه وصار لكل بيت من هذين البيتين قافيتان ولاشك أن هذا النوع لا يأتى الا بتكلف زائد وتعسف فانه راجع الى الصناعة لا الى البلاغة والبراعة اذ وقوع مثل هذا النوع فى الشعر من غير قصد له نادر ولا يحسن أن يكون فى النثر فانه ما يقع فيه الا ترصيعا ولا يظهر حسنه الا فى النظم لان فيه الانتقال من وزن الى وزن آخر فيحصل بذلك من الاستحسان ما لا يحسن فى النثر لان النثر على كل حال كلام مسجوع ليس فيه انتقال من وزن الى وزن وأوسع البحور فى هذا النوع الرجز فانه قد وقع مستعملا تاما ومجزوا ومشطورا ومنهوكا فيمكن أن يعمل للبيت منه أربع قواف فاذا أسقطت ما بعد القافية الاولى بقى البيت منهوكا فاذا أسقطت ما بعد الثانية بقى البيت مشطورا فاذا أسقطت ما بعد الثالثة بقى مجزوا واذا لم تسقط شيأ كان تاما ولابى عبد الله محمد بن جابر الضرير الاندلسى ناظم البديعية فى غير بديعيته المذكورة هنا

يرنو بطرف فاتر مهما رنا * فهو المنى لا أنتهى عن حبه
يهفو بغصن ناضر حلو الجنى * يشفى الضنا لاصبر لى عن قربه
لو كان يوما زائرى زال العنا * يحلو لنا فى الحب أن نسمى به
ان لست فى ناظرى لما دنا * قد سرنا اذ لم يحل عن صبه

فهذه الابيات من الرجز التام وهو الضرب الاول منه فاذا تركتها على حالها فهى من التام واذا أسقطت من البيت الاول لا أنتهى عن حبه ومن الثانى لاصبر لى عن قربه ومن الثالث فى الحب أن نسمى به ومن الرابع اذ لم يحل عن صبه صارت من الرجز المجزو وان أسقطت من البيت الاول قوله فهو المنى الى آخره ومن الثانى يشفى الضنا الى آخره ومن الثالث يحلو لنا الى آخره ومن الرابع قد سرنا الى آخره صارت من الرجز المشطور وان أسقطت من الاول قوله مهما رنا ومن الثانى حلو الجنى ومن الثالث زال العنا ومن الرابع لما دنا صار من الرجز المنهوك ولكن القوة فى ذلك والمكنة فى ملكة الاديب أن يأتى بالتشريع فى بيت واحد وهذا هو المطلوب من نظام البديعيات لاجل الاستشهاد بابياتهم على كل نوع لاسيما الملتزم بتسميته على الصيغة فانه لوجاء بالتسمية والنوع فى بيتين بطل حكم التورية وخرج عن شروط البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين

فلو رأيت مصابى عندما رحلوا * رثيت لى من عذابى يوم بينهم

يخرج له من هذا البيت * فلو رأيت مصابى * رثيت لى من عذابى
وهو مجزو المجتث وبيت عند العروضيين

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وقد تعين ايراد ما نظمه ابو عبد الله الضرير فى البيتين لاجل المعارضة وهما

وافى كريم رحيم قد وفى ووقى * ثم نفعا لكم عند راشق فسكم
فقم بنا فلكم نقرا كفى كرما * وجود تلك الايادى قد صفا فقم

اقول لو اختصر العميان هذين البيتين واضافوهما الى ما اختصروه من البديع لكان أجمل

ولست أقول يا خالف حلا
ولكن يا قاعدا كرحلا ولست
ممن يشكوا الى رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم
اذى رهطه ويشتاق الى
الكفر من يدى سبطه
واكتفى اقول
هنيئا مريئا غير داء مخامر
لعزة من أعراضنا ما استحلت
وانا أعلم ان السيد لا يخرج
عن تلك الحلبة بهذه الرقبة
وان جوابه يكون اخشن
من لقائه فان نشط للاجابة
فليمكن المخاطبة قرأت
رقعتك فهو أخف مؤنة
واقل تبعة والسلام
(وله أيضا)
مرحبا بسلام الشيخ ولا
كالسرور بطلعته قد وصلت
قصته فشكرتها وعددته
الجميلة بالحضور غيبا
فانتظرتها ودعوت الله
ان يطوى ساعات النهار
ويزج الشمس فى المنازل
ويقرب مسافة الفلك
ويرفع البركة عن سيره
ويجهز الحركة الى دوره
وييسر لى بوفد الظلام وقد
نزل ثم لا يلبث الا ريثما حل

بهم فانهم اسقطوا من انواع البديع نحو السبعين وقصد الناظم فيهما اعنى البيتين أنك اذا اسقطت من البيت الكامة الموازنة لفعلن من آخر كل نصف وهما قوله ووفى وقوله فكم صار الوزن من الضرب الاول من البسيط وهو التام الى الضرب الثالث منه وهو المجزو لانه قد حذف منه جزء من آخر كل نصف فصار

واف كريم رحيم قد وفى * وعم نفعا فكم ضر اشتفى

فقم بنا فلكم فقرا كفى * وجود تلك الايادى قد صفا

وهذا مع ركته وثقالة نظمه غير المشهور من البسيط فانه لم يشتهر منه سوى العروض الاولى المخبونة ووزنها فعلن ولها ضربان المشهور منها الاول وهو مخبون مثلها وبيت الشيخ عز الدين

وفى الهوى ضل تشريع العذول لنا * وكم هوى فى مقال ذل من حكم

اخبر ان تشريع العذول فى حكم الهوى ضلال حتى يرشح بتورية التشريع فى تسمية النوع ويخرج من بيت الشيخ عز الدين بيت من قافية أخرى من منهوك الرجز فنصفه فى الشطر الاول وفى الهوى وفى الشطر الثانى وكم هوى وهذه عبارته فى شرحه بنصها فصار باقى البيت بدون الجزأين الاولين

ضل تشريع العذول لنا * فى مقال ذل من حكم

وهذا البيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد ووزنها فعلن وشاهدها

للفتى عقل يعيش به * حيث تهدى ساقه قدمه

ولقد برز الشيخ عز الدين فى ذلك على متقدميه فان الشيخ صفى الدين لم يتحصل له بيتان من بيت ولا للشيخ ابى عبد الله الضرير ولكن قال الشيخ عز الدين فى شرحه ان هذا النمط ماوقع للمتقدمين وهو مجنزل بس لاريب عليه فى رده وبسط العبارة فى الدعوى بسببه فاردت ان لا انسج فى الشرح على غير منواله فقلت

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم

فيخرج من بيتى

* طاب اللقا * على النقا *

وهو بيت بقافية أخرى من منهوك الرجز كبيت الشيخ عز الدين ولكن شتان بين قولى * طاب اللقا * على النقا * وبين قوله * وفى الهوى * وكم هوى * فان بيته لاتتم به فائدة ولا يحسن السكوت عليه وصار باقى بيتى بدون الجزأين الاولين

لذ تشريع الشعور لنا * فنعمنا فى ظلالهم

وهو بيت من العروض الثالثة المحذوفة المخبونة من المديد وهى التى رتب عز الدين عليها مابقى من بيته

ضل تشريع العذول لنا * فى مقال ذل من حكم

ولكن الفرق فى تشريع الشعور ظاهر والتورية فى قوله فنعمنا فى ظلالهم عند ذكر الشعور كلامها سائغ عند أهل الادب وهذا البيت مع صحة وبه مسالك هذا النوع اجتمع فيه من انواع البديع السهولة والانسجام والتورية فى موضعين والتمكين فى القافية والجناس المطلق

وبعثت بما طاب سمعا وطاعة والنسخة اسقم من اجفان الغزلان والشيخ سيدى اعزه الله بركض قلمه فى اصلاحها اتم معروفه وحبذا فى غده وقد طلع كالصبح اذا سطع والبرق اذا لمع

يامرحبا بغد ويا أهلا به
ان كان المام الاحبة فى غد

حاجتى أطال الله بقاء الشيخ الى امثال افعال شديدة وحسرتى على رد هذا الكتاب أشد لكن مولاى الله لابد من حتى يرد فان رأى أن يردهما جميعا مع فى الطول بين الروض والمطر والا فرأيه اولى

(ولد الى أبى سعيد بن نور حين دخل عليه فقام له فلما خرج من عنده ترك القيام ولم يقم فكتب)

كان يعجبنى من الشيخ اطال الله بقاءه بعد ان عرف حق خدمتى له وهجرتى اليه ... فيه ان لا يصير مع الطول ... خطبا ويجمع الخصوم حزبا ومع الزمان الباوما كنت لاعتب

بين تشريع وشعور والتذييل البديعي فاني اتيت بجملة بعد تمام الكلام الاول زادت معناه تحقيقا وتوكيدا وجرت مجرى المثل وفيه نوع التشريع الذي هو المقصود هنا والله أعلم

(ذكر التتميم)

(بكل بدر بليل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم في الظلم)

التتميم كان اسمه التمام واتما سماه الحاتمي التتميم وسماه ابن المعتز اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه والتتميم عبارة عن الاتيان في النظم والنثر بكلمة اذا طرحت من الكلام نقص حسنه ومعناه وهو على ضربين ضرب في المعاني وضرب في الالفاظ فالذي في المعاني هو تتميم المعنى والذي في الالفاظ هو تتميم الوزن والمراد هنا تتميم المعنى ويجيء للمبالغة والاحتياط كقول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمي

فقوله غير مفسدها احتراس واحتياط ويجيء في المقاطع والحشو واكثر مجيئه في الحشو ومثاله قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة فقوله من ذكر أو أنثى تتميم وقوله وهو مؤمن تتميم ثان في غاية البلاغة التي بذكرها تم معنى الكلام وجرى على الصحة ولو حذفت الجملتان نقص معناه واختل حسن البناء ومن هذا القسم قول النبي صلى الله عليه وسلم مما انفرد به مسلم ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم ثنتي عشرة ركعة من غير الفرائض الابنى الله له بيتا في الجنة فوقع التتميم في هذا الحديث في أربعة مواضع منها قوله مسلم ومنها قوله لله ومنها كل يوم ومنها قوله من غير الفرائض ومن انشد قدامة على هذا القسم

اناس اذا لم يقبل الحق منهم * ويعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فقوله ويعطوه تتميم فانه في غاية الحسن فانه شاهد على ماجاء منه للاحتياط ومثال ماجاء منه للمبالغة قول زهير

من يلق يوما على علاته هرما * يلق السماحة منه والندى خلقا

فقوله على علاته تتميم للمبالغة وغاية الغايات في التتميم للمبالغة قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا فقوله على حبه هو تتميم للمبالغة التي تعجز عنها قدرة المخلوقين وأما التتميم الذي جاء في الالفاظ فهو الذي يؤتى به لاقامة الوزن بحيث انه لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها وهو على ضربين أيضا كلمة لا يفيد مجيئها الا اقامة الوزن وأخرى تفيد مع اقامة الوزن ضربا من المحاسن فالاولى من العيوب والثانية من النعوت والمراد هنا الثانية لا الاولى ومثالها قول المتنبي

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتي لظننت فيه جهنما

فانه جاء بقوله ياجنتي لاقامة الوزن فافاد تتميم المطابقة وهو ضرب من المحاسن المشار اليها ولقد وهم جماعة من المؤلفين وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا في باب التتميم شواهد التكميل وبالعكس وتأتي شواهد التكميل في مواضعها والفرق بين التكميل والتتميم ان التتميم يرد على الناقص فيتمه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال أمر زائد على التمام وأيضا ان التمام يكون متمما لمعاني النقص لا لاغراض الشعر ومقاصده والتكميل يكملها وبيت

التتميم

عليه لولا ثقة كانت به منوطة وآمال كانت اليه مبسوطة ثم اختلفت بكل الاختلاف واخلفت كل الاخلاف وكان بالشيخ يسألني عن جرم هذا اليوم وموجب هذا اللوم وأنا اكفيه مؤنة هذا السؤال وانقض اليه جهة الحال ولا أحاسبه على الصغائر ولا ناقشه من دقاق الجرائر ولم اشربه غير سائغ الأصل لايباهي الفرع وأمر قديم لايضاهي الحديث فاقل ماعتب عليه قعوده في المجلس عما بذله في أوله وتناقله في عجز الامر عما عرض عليه في صدره من توفير سلام وايفاء قيام على اني دخلت عليه وانا احمد الهمداني وخرجت من عنده وأنا أحمد الهمداني فان كان قيامه قد سهر فقعوده ماضر وبلغني ان كاتبه ابا الفضل بن نصرويه حكم الخوارزمي

الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

وكم بذلت طريفى والتليد لكم * طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم

فالتتميم فى قوله طوعا فانه أراد به انه لم يبذل ذلك كرها فتم بهذا المعنى والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

والبدر مذلاح فى التتميم دان له * والشمس مذعنة طوعا لمحتكم

قوله فى التتميم هو التتميم بعينه مع زيادة التورية فى التشبيه وقوله طوعا تتميم ثان لكن تقدمه الشيخ صفى الدين بقوله طوعا وأرضيت عنكم كل مختصم وبيت بديعيتى متعلق ببيت التشريع الذى قبله وهو

طاب اللقا لذ تشريع الشعور لنا * على النقا فنعمنا فى ظلالهم

بكل بدر بليل الشعر يحسده * بدر السماء على التتميم فى الظلم

فقولى بليل الشعر هو التتميم الذى يستعار من استعارته المحاسن فانى لو قلت بكل بدر يحسده بدر السماء لصح المعنى ولكن زدت البدر الارضى بقولى بليل الشعر تتميما وحسنا وقولى على التتميم تتميم ثان مع زيادة التورية التى فيها تسمية النوع الملتزم بها وقولى فى الظلم تتميم ثالث ليس له نظير فان به تم المعنى وتمت رتبة اللف والنشر

(ذكر تجاهل العارف)

(واقترحبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم)

تجاهل العارف تسميته لابن المعتز وسماه السكاكى بسوق المعلوم مساق غيره لنكتة المبالغة فى التشبيه وهو عبارة عن سؤال المتكلم عما يعلم سؤال من لا يعلم ليوهم ان شدة التشبيه الواقع بين المتناسبين احدثت عنده التباس المشبه بالمشبه به وفائدته المبالغة فى المعنى نحو قولك أوجهك هذا أم بدر فان المتكلم يعلم ان الوجه غير البدر الا انه لما أراد المبالغة فى وصف الوجه بالحسن استفهم أهذا وجه ام بدر فهم من ذلك شدة الشبه بين الوجه والبدر فان كان السؤال عن الشئ الذى يعرفه المتكلم خاليا من التشبيه لم يكن من هذا الباب بل يكون من باب آخر كقوله تعالى وما تلك بيمينك يا موسى فان السؤال هنا ما وقع لاجل المبالغة فى التشبيه المشار اليه فى تجاهل العارف بل هو لفائدة أخرى اما الايناس لموسى عليه السلام لان المقام مقام هيبة واحترام واما اظهار المعجز الذى لم يكن موسى يعلمه ومنه قوله لعيسى عليه السلام أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله فان السؤال هنا لم يكن للتشبيه وانما هو توبيخ لمن ادعى فيه ذلك ومن الناس من جعل تجاهل العارف مطلقا سواء كان على طريق التشبيه أو على غيره اذا تقرر هذا فاعلم ان تجاهل العارف من حيث هو انما يأتى لنكتة من نحو مبالغة فى مدح أو ذم أو تعظيم أو تحقير أو توبيخ أو تقرير أو من تدله فى الحب وأنا أذكر أمثلة الجميع مما فيه المبالغة فى الغزل قول الشاعر

اجفون كحيلة ام صفاح * وقدود مهزوزة ام رماح

ومنه للمبالغة فى الشوق وطول الليل

(تجاهل العارف)

على بالفصل فقلت ولم أملك سوابق عبرتى * متى كان حكم الله فى كرب النخل واما ذلك الوقح الوتح ولا أعرف اسمه وأحسب ان كنيته أبو الغضنفر وأبو المطمر وما كان فهو اسم مفخم ومعنى مرخم فما أحوجه الى شونيز عقل وسعتر فطانة حتى تحل مكالمته وما كان أحسن حال السادة عند القاضى حتى يكون حاله نعم استثنت القصال حتى القرعى وفى غد ان شاء الله نجتمع عند الشيخ القاسم فان رأى ان يا سوما جرح بان يغشى ذلك المطرح وينفض حاشية النية وطرف الحمية عن العصبية فالحق أولى ما يغضب له والعدل خير ما حكم به فعل ان شاء الله

(وله أيضا الى أبى نصر ابن المرزبان)

كتبت أطال الله بقاء سيدى ومولاى فى

وشوق ما أقاسى أم حريق * وليل ما أكابد أم زمان

وللمبالغة فى النحول

وقفت وقد فقدت الصبر حتى * تبين موقفى أنى الفقيد
وشككت فى عذالى فقالوا * لرسم الدار أيكما العميد

ومنه للمبالغة فى الغزل

فى الحيف من ظبيانه سمراء * أقوامها أم صعدة سمراء

ومثله

أثغرك يا هند أبدى ابتساما * أم البرق سل عليه حساما

ومثله قول شرف الدين راجح الحلى

من أطلع البدر فى ديجور طرته * وأودع السحر فى تكسير مقلته
ومن أدار يواقيت الشفاه على * كاس من الدر يحمى خمر ريقته

ويعجبنى من هذا القصيد قوله وان كان من غير ما نحن فيه

يحنو النسيم عليه من لطافته * والدهر أين منه عند قسوته

ومثله فى اللفظ والمعنى قول ابن نباتة

فى مرشفيه سلاف الراح من عصره * ومعطفيه قوام البان من هصره
وفى ابتسام ثناياه ومنطقه * من نظم الدر أسلاكا ومن نثره

ومن تجاهل العارف للمبالغة فى تعظيم الممدوح قول ابن هانئ المغربى

أبنى العوالى السمهرية والموا * ضى المشرفية والعديد الاكبر
من منكم الملك المطاع كأنه * تحت السوابغ تبع فى حمير

قيل انه لما تجاهل فى هذا البيت عن معرفة الممدوح ترجل الجيش بكماله تعظيما للممدوح اذ هو ملكهم وهذه القصيدة سارت بها الركبان والحداة تشدو ببلاغتها * وهى احب من قفا نبك فى الشهرة لفصاحتها * ومطلعها

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر * وأمدكم فلق الصباح المسفر

وما أحلى ما قال بعده

وجنيتم ثمر الوقائع يانعا * بالنصر من ورق الحديد الاخضر

أقول ان هذه الاستعارات المرشحة يرشح ندى البلاغة من بين اوراقها * وتتعثر فحول الشعراء فى حلبة سباقها * ومنها

فى فتية صدأ الدروع عبيرهم * وخلوقهم علق النجيع الاحمر
لا يأكل السرحان شلو طعينهم * مما عليه من القنا المتكسر
قوم يبيت على الحشايا غيرهم * ومبيتهم فوق الجياد الضمر
وتظل تسبح فى الدماء قبابهم * فكأنهن سفائن فى أبحر
حى من الاعراب الا انهم * يردون ماء الامن غير مكدر
لى منهم سيف اذا جردته * يوما ضربت به رقاب الاعصر

قديم الزمان أتحف الخير وأسأل الله أن يدر عليهم أخلاف الرزق ويتداولهم أكناف العيش ويوطئهم اعراف المجد ويؤتيهم أصناف الفضل ويركبهم أكتاف العز وقصارى أنى أرغب الى الله تعالى فى أن لا ينيلهم فوق الكفاية ولا يدلهم فى حبل الرعاية فشد ما يطغون للنعمة ينالونها والدرجة يعلونها وسرع ما ينظرون من عال بما ينظمون من حال ويجمعون من مال وتنسيهم أيام الليونة أوقات الخشونة وأزمان العذوبة ساعات الصعوبة والكتاب مزية فى هذا الباب فبيناهم فى العطالة اخوان كما انتظم السمط وفى العزلة اعوان كما انفرج المشط حتى لحظهم الجد لحظة حمقاء بنشور عمالة أوصلك

صعب اذا نوب الزمان استصعبت * متنمر للحادث المتنمر
واذا عفا لم تلق غير مهلل * واذا سطا لم تلق غير معفر
فغمامه من رحمة وعراصه * من جنة ويمينه من كوثر

ولم استطرد الى هذا القدر من نظم ابن هانئ الاعلى انه عزيز الوجود وغريب فى هذه البلاد * ومن تجاهل العارف للمبالغة فى المدح قول امام هذه الصناعة * ومالك ازمة البلاغة والبراعة القاضى الفاضل * من مديح العادل

اهذى كفه ام غيث غوث * ولا بلغ السحاب ولا كرامه
وهذا بشره ام لمح برق * ومن للبرق فينا بالاقامه
وهذا الجيش ام صرف الليالى * ولا سبقت حوادثها زحامه
وهذا الدهر ام عبد لديه * يصرف عن عزيمته زمامه
وهذا نعل غمدام هلال * اذا أمسى كنون ام قلامه
وهذا الترب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه

سبحان المانح هذا الاديب الذى لم ينسج الاوائل على منواله * ولا تتعلق الافاضل من المتأخرين بغبار أذياله * ومنها وليس من تجاهل العارف ولكنه من المرقص والمطرب

وهذا الدر منثور ولكن * اروني غير اقلامى نظامه
وهذى روضة تندى وسطرى * بها غصن وقافيتى حمامه
وهذا الكاس روق من بنانى * وذكرك كان من مسك ختامه

وقوله أيضا من تجاهل العارف للمبالغة فى المديح

أهذه سير فى المجد ام سور * وهذه أنجم فى السعد ام غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها فى لجها درر
وانت فى الارض ام فوق السماء وفى * يمينك البحر ام فى وجهك القمر

(ومما جاء فى تجاهل العارف) للمبالغة فى التعظيم قول سيدنا القطب الفرد الجامع عبد القادر الكيلانى قدس الله ضريحه وأعاد علينا من بركاته فى الدنيا والآخرة بمحمد وآله

أأظما وأنت العذب فى كل منهل * وأظلم فى الدنيا وأنت نصيرى
وعار على حامى الحمى وهو قادر * اذا ضاع فى البيدا عقال بعير

ومثله

بدا فراع فؤادى حسن صورته * فقلت هل ملك ذا الشخص أم ملك

ومما جاء فى تجاهل العارف للمبالغة فى الذم قول زهير

وما أدرى وسوف اخال أدرى * أقوم آل حصن أم نساء

ومما جاء للتحقير قول الشاعر وتجاهل العارف الى الغاية

لما ادعى غصن الرياض بأنه * فى لينه مع قدها موصوف
قلنا له هل أنت تشبه قدها * ما أنت هذا القد يا مقصوف

ومما جاء منه للتوبيخ قول ليلى بنت طريف الخارجية فى أخيها الوليد

بحالة فيعود عامرهم خرابا وينقلب شراب عهدهم سرابا فما غلت أمورهم حتى أسبلت ستورهم ولا علت قدورهم الا خلت بدورهم ولا اتسعت دورهم الا ضاقت صدورهم ولا أوقدت نارهم الا انطفأ نورهم ولا زاد مالهم الا نقص معروفهم ولا ورمت اكياسهم الا ورمت انوفهم ولا تحلت اعناقهم الا قطعت أخلاقهم ولا صلحت أحوالهم الا فسدت أعمالهم ولا حسنت حالهم الا قبحت خلالهم ولا فاض جاههم الا غاضت مياههم ولا لانت برودهم الا صلبت حدودهم ولا علت جدودهم الا سفل جودهم ولا طالت أيديهم الا قصرت أياديهم وقصارى أحدهم من الحدثان يتصبب تحته تحته ويوطئ استه دسته ويقف غلامه

أيا شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وهذا البيت من قصيدة غريبة أثبتها بكمالها ابن خلكان في تاريخه والخابور نهر أصله من رأس عين بديار بكر يصب الى الفرات (ومن أظرف ما وقع في تجاهل العارف) على سبيل التوبيخ قول سراج الدين الورّاق فانه صرّح بذكر التوبيخ في بيتيه وهما

واخجلتي وصحائفي مسودّة * وصحائف الابرار في اشراق

وموبخ في الحشر وهو يقول لي * أكذا تكون صحائف الورّاق

ومما وقع للتقرير قول مهيار

سلا ظبية الوادي وما الظبي مثلها * وان كان مصقول الترائب أكحلا

أأنت أمرت الصبح أن يصدع الدجا * وعلمت غصن البان أن يتميلا

ومما وقع منه قول العرجي للتدله في الحب

بالله يا ظبيات القاع قلن لنا * ليلاي منكن أم ليلى من البشر

قد قررت هنا اختلاف أقسام هذا النوع أعني تجاهل العارف من مدح وذم وتعظيم وتحقير وتوبيخ وتقرير وغير ذلك اذا عرفت ذلك فاني أوردت هنا ما استظرفته في هذا الباب ولم أحتج فيه الى التنبيه وأظرف ما سمعته في هذا الباب قول عبد المحسن الصوري

بالذي ألهم تعذيـ * ـبي ثناياك العذابا

والذي صير حظي * منك هجرا واجتنابا

والذي ألبس خديـ * ـك من الورد نقابا

ما الذي قالته عينا * ك لقلبي فأجابا

ومثله

دعوه ونجدا انها شأن نفسه * ولو أن نجدا تلعة ما تعداها

وهبكم منعتم أن يراها بعينه * فهل تمنعون القلب أن يتمناها

وقول المتنبي

أتراها لكثرة العشاق * تحسب الدمع خلقة في المآقي

وقول القاضي الفاضل

فاذا قلت أين داري وقالوا * هي هذي أقول أين زماني

وقال ابن الفارض

أوميض برق بالابيرق لاحا * أم في ربا نجد أرى مصباحا

أم تلك ليلى العامرية أسفرت * ليلا فصيرت المساء صباحا

ويعجبني قول الشيخ علاء الدين الوداعي

ترى يا جيرة الرمل * يعود بقربكم شملي

وهل تقتص أيدينا * من الهجران للوصل

وهل ينسخ اقباكم * حديث الكتب والرسل

ومن لطائف هذه القصيدة ولم أبعد في الاستطراد عما نحن فيه قوله

امامه وناتبه من الكرم دار يمهرج ارضها ويزيج بعضها ويزوق سقوفها ويعلق شفوفها وكفاه من الفضل ان يحمل الغاشية قدامه وتعدو الماشية أمامه وناهيه من الشرف ألفاظ قفاعية وثياب مشقاعية يلبسها ملوما ويحشوها لوما ولوما وهذه صفة فاضلهم ومقدم من يحتمل الود أيام خشكاره حتى اذا أيسر بمعل ميزانه وكيله واسنانه اكيله والبقه رغيفه وأنيسه كيسه وأمينه عينه ودنانيره سميره ومفاتحه ضجيعه وصناديقه صديقه ثم جمع الذرة الى الذرة ووضع البدرة على البدرة فلم يضع النظر من طرفه ولا الصرة من كفه ولا يخرج ماله من عهدة اتمه الا يوم ماتمه فهو يجمع

بروحى ليلة مرت * لنا معكم بذى الاثل
وساقينا وما يجلا * وشادينا وما يجلى
وظبى من بنى الأتراك * حلوا التيه والدل
له قد كغصن البا * ن مال الى العدل
وطرف ضيق وبلا * ممن طعناته النجل
أقول لعاذلى فيه * رويدك يا أبا جهل
فقلبى من بنى تيم * وعقلى من بنى ذهل
وما يبرى هوى المشتا * ق الا ذلك المغلى

لقد زاحمه الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله هنا بقوله

حلفت بما علا النديم وما يجلى * لقد صان ذا الحسن سمعى عن العذل
من المغل أشكو نحوه ألم الهوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

ومن الذى أعجبنى فى هذا النوع أعنى تجاهل العارف قول بعضهم

أقول له علام تميل عجبا * على ضعفى وقدك مستقيم
فقال تقول عنى فى تميل * فقلت له كذا قال النسيم

ومليح هنا قول ابن نباتة السعدى

فوالله ما أدرى أكانت مدامة * من الكرم تجنى أم من الشمس تعصر

وأورد صاحب الصناعتين فى هذا الباب ما كتبه اليه بعض أهل الادب وهو * سمعت بورود كتابك فاستفزنى الفرح قبل رؤيته * وهزعطفى المرح امام مشاهدته * فما أدرى أسمعت بورود كتاب * أم رجوع شباب * ولم أدر أرأيت خطا مسطورا * أم روضا ممطورا * أو كلاما منثورا * أم وشيا منشورا * وبيت الشيخ صفى الدين غاية فى هذا الباب

ياليت شعرى اسحرا كان حبكم * أزال عقلى أم ضرب من اللمم

وبيت العميان فى بديعيتهم

اذا بدا البدر تحت الليل قلت له * أأنت يا بدر أم مرأى وجوههم

هذا البيت لم يعمر بشئ من محاسن الادب لما فيه من الركة وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

وعارف مذ بدا بدرى تجاهل لى * وقال حبك أم ذا البدر فى الظلم

الشيخ عز الدين مع التزامه بالتورية فى تسمية النوع الذى استوعب كلمتين من البيت بيته أرق من بيت العميان واعمر بالمحاسن وبيت بديعيتى

وافتر عجبا تجاهلنا بمعرفة * قلنا أبرق بدا أم ثغر مبتسم

هذا البيت شاهد فى تجاهل العارف على المبالغة فى التشبيه وهو القسم الذى تقرر فى أول الكلام على النوع وقلنا انه المقدم على بقية الاقسام من تجاهل العارف فان فيه سوق المعلوم فى مقام غيره لنكتة المبالغة فى التشبيه كما قرره السكاكى وقولى تجاهلنا بمعرفة لا يخفى ما فيه من الحسن على أهل الذوق السليم والله أعلم

(ذكر الاكتفاء)

لحادث حياته أو وارث مماته يسلك فى الغدر كل طريق ويبيع بالدرهم ألف صديق وقد كان الظن بصديقنا أبى سعيد أيده الله انه اذا أخصب آوانا كنفا من ظله وحبانا من فضله فمن لنا الآن بعدله انه أطال الله بقاء الشيخ حين طارت على رأسه عقاب المخاطبة بالرئيس وجلس من الديوان فى صدر الايوان اقتص عذرة السياسة بعض المختلفة الى وجعل يعرضه للهلاك ويسبب عليه بالاتراك ويشحن داره بالرجالة ويكده بالفرسان والرجالة وجعلت أكاتبه مرة وأقصده أخرى فاذكره ان الراكب ربما استنزل والوالى ربما عزل ثم يجف ريق الخجل على لسان العذر وتبقى الحزازة

(الاكتفاء)

(لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدى

الاكتفاء هو ان يأتى الشاعر ببيت من الشعر وقافيته متعلقة بمحذوف فلم يفتقر الى ذكر المحذوف لدلالة باقى لفظ البيت عليه ويكتفى بما هو معلوم فى الذهن فيما يقتضى تمام المعنى وهو نوع ظريف ينقسم الى قسمين قسم يكون بجميع الكلمة وقسم يكون ببعضها والاكتفاء بالبعض أصعب مسلكا لكنه أحلى موقعا ولم أره فى كتب البديع ولا فى شعر المتقدمين فشاهد الاكتفاء بجميع الكلمة كقول ابن مطروح

لا أنتهى لا أنثنى لا ارعوى * مادمت فى قيد الحياة ولا اذا

فمن المعلوم ان باقى الكلام ولا اذا مت لما تقدم من قوله الحياة ومتى ذكر تمامه فى البيت الثانى كان عيبا من عيوب الشعر مع ما يفوته من حلاوة الاكتفاء ولطفه وحسن موقعه فى الاذهان ومنه قول شيخ شيوخ حماة

أهلا بطيفكم وسهلا * لو كنت للاغفاء أهلا
لكنه وافى وقد * حلف السهاد على أن لا

ومنها قوله فيما لحن فيه

راموا انطاسى عن هوى * غذيته طفلا وكهلا
فوضعت فى طوقى يد * ى وقلت خلونى والا

وما أظرف قول الصاحب بهاء الدين زهير

يا حسن بعض الناس مهلا * صيرت كل الناس قتلى
لم تبق غير حشاشة * فى مهجتى وأخاف أن لا

وما أظرف ما قال بعده ولم يخرج عن المراد

وكشفت فضل قناعه * يبدى عن قمر تجلى
ولثمته فى خده * تسعين أو تسعين الا

وجمع الشيخ سراج الدين الوراق بين تضمينين واكتفاءين فى بيت واحد وأجاد الى الغاية

يا لائمى فى هواها * أفرطت فى اللوم جهلا
ما يعلم الشوق الا * ولا الصبابة الا

وجمع ابن نباتة بين الاكتفاء وتضمين المثل السائر

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حتا
ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

ومن لطائف شيخ شيوخ حماة فى هذا النوع

لى ودعى تقارك عن محب * بذكرك آنس والليل ساكن
ولا تستقبحى شيبا برأسى * فما ان شبت من كبر ولكن

وقول ابن سناء الملك من قصيد

رأيت طرفك يوم البين حين همى * والدمع تغرو تكحيل الجفون لما
فاكفف ملامك عن جفن ألمّ به * فاشكك بانى قد لثمت فما

فى الصدر فلا وما يجمعنى والشيخ ان زاد قولى الا علوا فى تهكمه وعلوا فى تحكمه وجعل يسعى الجور فى طلبه ويبرأ الى من عليه وأقول اذ رأيت ذلة السؤال وعزمة الرد منه

قل لى متى فرزنت سر * عه ما أرى يا بيدق

ربما أضيع وقتا بذكره قطعته هل الى الشوق وشرحه فقد نكأ القلب بقرحه وكيف أكاد أصف شوقا لا يقرع الدهر فروة حاله ولا ينقض عروة الحلاله فما أولانى ان أذكره مجملا واتركه مفصلا

(وله أيضا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وأنا متألم والحمد لله رب العالمين كيف تقلب الشيخ فى دوعه العافية وأحواله تلك الناحية فانى بفراقه منغص شربة العيش مقصوص أجنحة الانس

لو كان يعلم مع علمي بقسوته * تألم القلب من وخز الالام لما

وله من قصيدة

ياعاذلين جهلتم فضل الهوى * فعذلتم فيه ولكني أنا

ويعجبني قول القائل هنا من قصيدة مطلعها

هزوا القدود فاخجلوا سمر القنا * وتقلدوا عوض السيوف الاعينا

وتقدموا للعاشقين فكلهم * طلب الامان لقلبه الا أنا

وتلطف ابن سنا الملك في مطلع قصيدة بقوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * وقبلته في الثغر تسعين أو احدى

ومثله في اللطف قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

والله كملت فما يقال لقد * حزت الجمال جميعه الا

ولبعضهم وأجاد

فان المنية من يخشها * فسوف تصادمه أينما

ومما يرشف الذوق حلاوته في هذا النوع قول الشيخ شرف الدين ابن الفارض من قصيدة

ماللنوى ذنب ومن أهوى معي * ان غاب عن انسان عيني فهو في

ومثله في اللطف مع الترشيح باكتفاءين قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

أفدي التي تاجها وقامتها * كأنه همزة على ألف

أذكر ثغرها فاسكر من * وورد خدها فارتع في

ومثله قول الشيخ شمس الدين بن العفيف

رأى رضابا عن تسليه أولو العشق سلوا

ما ذاقه وشافه * هذا وما كيف ولو

ومن لطائف الصاحب بهاء الدين زهير في هذا النوع قوله من أبيات

فما كان أحسن من مجلسي * فحدث بما شئت عن ليلتي

بشمس الضحى وبدر الدجى * على عنقي وعلى بدمرتي

وبت وعن خبري لاتسل * بذاك الذي وبتلك التي

ومن لطائفه أيضا انه كتب الى بعض أصحابه وكان اسمه يحيى وقد بلغه انه شرب دواء أبياتا أولها

سلمت من كل ألم * ودمت موفور النعم

في صحة لا ينتهي * شبابها الى الهرم

يحيى بك الجود كما * يموت يا يحيى العدم

وبعد ذا قل لي ما * كان من الامر وكم

وأظرف منه ولم يخرج عما نحن فيه من بديع الاكتفاء وزيادة التورية ما وقع لشهاب الدين التلعفري مع شمس الدين الشيرجي بين يدي الملك الناصر وما ذاك الا انهما حضرا بين يديه في ليلة انس فاتفق ان شمس الدين الشيرجي ذهب الى ضرورة وعاد فأشار اليه الملك الناصر أن

ورد كتابه المشتمل من خبر سلامته على ما رغبت الى الله في ادامته وسكنت اليه بعد انزعاجي لتأخره وقد كان رسم ان أعرفه سبب خروجي من جرجان ووقوعي الى خراسان وقد كانت القصة اني لما وردت من ذلك السلطان حضرته التي هي كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج ومشعر الكرام لا مشعر الحرام ومنى الضيف لا منى الخيف وقبلة الصلات لا قبلة الصلاة وجدت فيه اندماء من نبات العام اجتمعوا فقبضة كاب على تلفيق خطب ازعجني من ذلك الفناء واشرف بي على شرف الفناء لولا ما تداركه الله بجميل صنعه وحسن وقعه ولا أعلم كيف احتالوا وما الذي قالوا لكن الجملة ان غيروا

يصفع التلعفري وكان شمس الدين رجلا أملى فلما صفع التلعفري نهض على الفور وقبض على لحية الشيرجي وأنشد ارتجالا ويده فيها

قد صفعنا في ذا المحل الشريف * وهو ان كنت ترتضى تشريفي
فارث للعبد من مصيف صفاع * يا ربيع الندى والا خريفي

وما أحلى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في هذا النوع مع زيادة اللف والنشر والاكتفاء في البيتين

قالت اذا غمضت جفونك فارتقب * طيفي فقلت لها نعم لكن اذا
وسمعت عن سيف ورمح قبلها * حتى انثنت ورنت فقلت هما اللذا

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن عبد الحق ولم أكثر من هذا النوع الا انه قليل في أيدي الناس

جهنم حمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

ومنه قول المقر الفخري بن مكانس مع زيادة التورية

من شرطنا ان أسكرتنا الطلا * صرفا تداوينا برشف اللمى
نعاف مزج الماء من كأسها * لا آخذ الله السكارى بما

ومنه قول المقر المرحومي الاميني صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة رحمه الله وهو مما أنشدنيه مرارا وكان عند عوده من اذربيجان صحبة المقر المرحومي سيفي تنم كافل المملكة الشريفة بتاريخ كذا وقد ضل غالب العسكر في بعض الليالي عن الماء وفيه الزيادة على الاكتفاء بالاقتباس والتورية وهو

ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا * قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمني بالماء دونهم * فقلت ياليت قومي يعلمون بما

ومثله قولي وفيه أيضا زيادة الاقتباس والتورية على الاكتفاء

قالوا وقد فرطت في تصبري * وماشني بقربه سقاما
اصبر عسى تشفى بما ريقه * قلت لهم يا حسرتي على ما

وأنشدني من لفظه لنفسه القاضي عماد الدين بن القضامي أخو شيخي قاضي القضاة علاء الدين الحنفي سقى الله من غيث الرحمة ثراه موشحا امتدح به المقر المرحومي الاوحدي صاحب ديوان الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كان تغمده الله برحمته ورضوانه والموشح ما نسج ابن سناء الملك في دار الطراز على منواله منه في نوع الاكتفاء بالكل مع زيادة التضمين

أرخت ذوائبها الثاني الاربع * لتضل فاستغنت بها عن برقع
وغدوت أسهر في ليالي شعرها * ويقول فجر الفرق هذا مطلعي
وتبسمت فعلاها * نور فزاد سناها
فلثمت فاها آخذا مستغنما * ورشفته رشف النزيف لبردما

السلطان وأشار على اخواني بمفارقة مكاني وبقيت لا أعلم أيمنة أضرب أم شآمة ونجدا أقصد أم تهامة
ولو كنت من سلمى اجا وشعابها
لكان لحجاج على دليل
قد علم الشيخ ان ذلك السلطان سماء اذا تغيم لم يرج صحوه وبحر اذا تغير لم يشرب صفوه وملك اذا سخط لم ينتظر عفوه فليس بين رضاه والسخط عرجه كما ليس بين غضبه والسيف فرجه وليس من وراء سخطه مجاز كما ليس بين الحياة والموت معه حجاز فهو سيد يغضبه الجرم الخفي ولا يرضيه العذر الجلي وتكفيه الجناية وهي ارجاف ثم لا تشفيه العقوبة

ومنه وفيه حسن التخلص مع الاكتفاء

حكم الزمان بينهم وتشتتى * وشماتة الاعداء أكبر محنتى
ولسيد الرؤساء رمت تخلصا * من محنتى فشددت رحل مطيتى
فغدت تمد خطاها * وأقول عند عياها
الأوحدى الأوحدى اتغنما * يا ناقتى فزمامك بيدى وما

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى

ماذا تقولون فى محب * عن غير أبوابكم تخلى
وجاءكم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز أم لا

ومنه قوله مع زيادة التضمين

مولاى انك محسن * قسما وانك ثم انك
فلأشكرنك ما حييت وان أمت فلتشكرنك

ويعجبنى قول الشيخ برهان الدين القيراطى هنا مع زيادة التورية والاقتباس

حسنات انك تمنه * قد أطالت حسراتى
كلما ساء فعالا * قلت ان الحسنات

ومر سيدنا ومولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه على حماة المحروسة سنة سبع وثمانمائة وهو اذ ذاك صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة ومولانا السلطان الملك المؤيد خلد الله ملكه كافلها فى تلك الايام وركابه الشريف متوجه الى حلب المحروسة والامير حكم فى خدمته بحيث يوصله الى محل كفالته بها وكنت فى تلك الايام بحلب المحروسة امام كافلها علان تغمده الله برحمته ورضوانه فهرب علان واختفيت بعده فلما حل ركاب قاضى القضاة صدر الدين المشار اليه بحلب المحروسة توصل بحنوه وصدق محبته وخبره الى أن عرف اين كنت مختفيا فكتب الى

قصدنا حماة فلم نلق من * أردنا فلم نر عهدا والا
وجئنا الى حلب خلفه * فان كان فيها اجتمعنا والا

فكتبت اليه الجواب

أمولاى والله حال الجريض دون القريض الذى قد تولى
وارجو وقد عفت هذى البلاد * خلاصى بالصدر منها والا

فقدر الله بالسلامة وتوجهت فى خدمته متنكرا الى دمشق المحروسة ومن نظمى فى هذا النوع مع زيادة ايهام التورية

تطلبت منه قبلة وهو نافر * فقال وقتلى حين الن تقبلا
فقلت له بالوصل عدنى الى غد * فبعدك مات الصبر قال نعم الى

وقولى أيضا مع زيادة التضمين

صهباء ريقته رشفت سلافها * فتغلبت فعجزت ان أتكلما

وهى اجاف حتى انه ليرى الذئب وهو أضيق من ظل الرمح ويعمى عن العذر وهو أبين من عمود الصبح وهو ذو أذنين يسمع بهذه القول وهو بهتان ويحجب بهذه العذر وهو برهان وذو يدين يبسط احداهما الى السفك والسفح ويقبض الاخرى عن العفو والصفح وذو عينين يفتح احداهما الى الجرم ويغمض الاخرى عن الحلم فرحه بين القد والقطع وجده بين السيف والنطع ومراده بين الظهور والكمون وأمره بين الكاف والنون ثم لا يعرف من العقاب غير ضرب الرقاب ولا يهتدى من التأديب الا لازالة النعم ولا يعلم من التأديب غير اراقة الدم لا يحتمل الهنة على حجم الذرة ودقة الشعرة ولا يحلم عن الهفوة كوزن

وإذا سئلت أقل لمن هو سائل * انى لأعلم ما تقول وإنما

القسم الثانى الاكتفاء بالبعض وقد تقدم انه عزيز الوقوع جدا ولم يوجد فى كتب البديع فمن ذلك قول ابن سنا الملك من قصيد

أهوى الغزالة والغزال وإنما * نهنهت نفسى عفة وتدينا
ولقد كففت عنان عينى جاهدا * حتى إذا أعييت أطلقت العنا

ومنه قول شيخ شيوخ حماة

الكم هجرتى وقصدى * وانتم الموت والحياة
آمنت ان توحشوا فؤادى * فآنسوا مقلتى ولاتو

وقول ابن مكانس مع زيادة التورية

لله ظبى زارنى فى الدجى * مستوطنا ممتطيا بالخفر
فلم يقم الا بمقدار أن * قلت له أهلا وسهلا ومر

ومنه قول العلامة بدر الدين بن الدمامينى

الدمع قاض بافتضاحى فى هوى * ظبى يغار الغصن منه اذا مشى
وغدا بوجدى شاهدا ووشى بما * أخشى فيالله من قاض وشا

ومثله قوله

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهر
هلم نبا كر الروض المفدى * وقم نسعى الى ورد ونسر

ومثله قوله

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمتى فيها مناى فحبذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

ومنه قول شهاب الدين ابن حجر

أطيل الملام لمن لامنى * واملأ فى الروض كاس الطلا
وأهوى الملاهى وطيب اللذ * فها أنا منهمك فى الملا

وانشدنى المقر المجدى بن مكانس لنفسه

نزل الطل بكرة * وسرورى تجددا
والندامى تجمعوا * فاجل كاسى على الندا

ومنه قول ابن حجر

دع يا عذول رقى الملام فقد سرى * عن الحبيب فتبت ام لك البقا
والطرف من فقد الرقاد بكى بما * يحكى الغمام فليس يهدى بالرقا

وانشدنى من لفظه لنفسه قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى وأنا بين يديه بدمشق المحروسة ورياحين الشبيبة غضة بيتين فيهما الاكتفاء بالبعض والتورية فى القافيتين مع عدم الخروج عن الوزن فى البيتين اذا قصد شق التورية الثانى وهذا الباب عزيز الوقوع جدا وسبكه فى هذا القالب من غير تمويه يتطلى على الحاذق فى صناعة الكلام هذا مع الاتفاق

الهبوة ولا يغضى عن السقطة بجرم النقطة ثم ان النعم بين لفظه وقلمه والارض تحت يده وقدمه لا يلقاه الولى الا بفمه ولا العدو الا بدمه والارواح بين حبسه واطلاقه كما الاجسام بين حله ووثاقه وتطرت فاذا أنا بين جودين اما ان أجود ببأسى واما أن أجود براسى وبين ركوبين اما المفازة واما الجنازة وبين طريقين اما الغربة واما التربة وبين فراقين اما ان فارق أرضى أو أفارق عرضى وبين راحلتين اما ظهور الجمال أو أعناق الرجال فاخترت السماح بالوطن على السماح بالبدن وأنشدت

اذا لم يكن الا الاسنة مركب * فلا رأى للمضطر الا ركوبها

ورسم الشيخ ان أعلمه موجب غضبه ليتلافى الامر بموجبه وهذا داء

البديعي وحسن المطابقة ولم اذكر الاتفاق الا ان الذى كتب اليه القاضي صدر الدين البيتين مشهور بالحسن والادب وصحبته المشار اليه وهو غرس الدين خليل بن بشارة وهما

يامنتهى بالسقم كن منجدى * ولا تطل رفضى فانى علي
أنت خليلى فبحق الهوى * كن لشجونى راحما يا خلي

وتقاضانى عند الانشاد أن أنظم له شيأ على هذا الطريق فانشدته فى المجلس قولى

يقولون صف انفاسه وجبينه * عسى للقايصبو فقلت اهم صبا
وغالطت اذ قالوا أباح وصاله * والا أبى قسرا فقلت لهم أبا

ونظم الشيخ جمال الدين بن نباتة هذا النوع وكساه ديباج التورية ولم يسلم له الوزن اذا جمع بين طرفى الاكتفاء كما فعلنا حيث قال

أقول وقد جاء الغلام بصحفة * عقيب طعام الفطريا غاية المنا
بحقك قل لى جاء صحن قطايف * وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنا

وكتب الشيخ برهان الدين القيراطى لنور الدين ابن حجر والد قاضى القضاة شهاب الدين

مولاى نور الدين ضيفك لم يزل * يروى مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطايفك الكبار حلاوة * بفمى وليس بمنكر صدق القطا

انتهى ما أوردته من هذا النوع الغريب * وبيت صفى الدين

قالوا ألم تدر أن الحب غايته * سلب الخواطر والالباب قلت لم

بيت صفى الدين هنا شاهد على الاكتفاء بجميع الكلمة ولكن لم ترض التورية ان تكون له سكنا لشدة برده * وعجبت للشيخ صفى الدين كيف استحسن هذا البيت ونظمه فى سلك ابيات بديعيته مع ما فيه من الركة والنظم السافل وقرر موضع الاكتفاء بلفظة لم هذا مع انه غير مكلف بتسمية النوع ولا ملتفت الى تورية والعميان لم ينظموا هذا النوع * وبيت الشيخ عز الدين شاهد على النوعين مع التزامه بالتورية فى تسمية النوع البديعى واستجلاب الرقة ولطف المعنى وهو

وما اكتفى الحب كسف الشمس منه اذا * حتى انثنى يخجل الاغصان حين تمى

فشاهد الكل قوله اذا المعروف ان بعده بد الماتقدم من ذكر كسف الشمس وشاهد البعض قوله حين تمى فدل حرف الكلمة انها تميل او تميس وبيت بديعيتى شاهد على الاكتفاء بالبعض بزيادة التورية التى تتوارى من حسنها بهجة الشموس مع سلامة الوزن فى طرق الاكتفاء على مذهب الجماعة كما تقدم * واما التورية بتسمية النوع فهى محصول الحاصل اذ لا بد منها وبيتى

لما اكتفى خده القانى بحمرته * قال العواذل بغضا انه لدمى

المعنى هنا ان الخد لما تزايدت حمرته قال العواذل بغضا فى الظاهر انه لدمى وورّوا بالاكتفاء وقصدوا فى الباطن انه دميم حسدا له وهذا الاكتفاء ينظر الى قول القائل

كضرائر الحسناء قلن لوجهها * حسدا وبغضا انه لدميم

وهو بالدال المهملة للحقارة ومن تأمل هذا البيت تأمل أهل الادب المنصفين علم أن الحيلة فى تركيب توريته حيلة دقيقة مع ما فيه من المعنى وجزالة الاسلوب * وهذا النوع على هذا

لا أعرف نتاجه فكيف أطلب علاجه وأمر لم ألابس باطنه فكيف أمارس ظاهره وخطب لم أفسد أوله فكيف أصلح آخره وشئ لا أعرف سببه فكيف أتلافى ذنبه وحال لم أضع صدرها فكيف أتدارك عجزها اللهم لا كفران ولعن الله الشيطان كان ذنبى الى ذلك السلطان موالاة ادمتها وخدمة أقمتها وشيبة أرقتها وحياة أنفقتها وحرم أسلفتها وأموال أتلفتها وقصائد نظمتها وموائد خدمتها وآلة عرضتها وخمسة نفضتها فهل أتيت الامن حيث أتيت وهل أخطأت الامن حيث حسبت أنى أصبت وهل بعدت الامن حيث قربت وهل خبثت الامن حيث طبت وهل قبلنى هذا السلطان الاعمادنا فى ذلك وهل رفعنى ههنا الاما وضعنى

النمط الغريب لا يجرى فى مضماره من فحول الادب الا كل ضامر مهزول

(ذكر مراعاة النظير)

(ذكرت نظم اللآلى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم)

هذا النوع أعنى مراعاة النظير يسمى التناسب والائتلاف والتوفيق والمواخاة وهو فى الاصطلاح ان يجمع الناظم أو الناثر أمرا وما يناسبه مع الغاء ذكر التضاد لتخرج المطابقة وسواء كانت المناسبة لفظا لمعنى أو لفظا للفظ أو معنى لمعنى اذ القصد جمع شئ الى ما يناسبه من نوعه أو ما يلائمه من احدى الوجوه كقول البحترى فى ابل أنحلها السير

كالقسى المعطفات بل الاسـ * ـهم مبرية بل الاوتار

فانه لما شبه الابل بالقسى وأراد ان يكرر التشبيه كان يمكنه ان يشبهها بالعراجين أو بنون الخط لان المعنى واحد فى الانحناء والرقة ولكنه قصد المناسبة بين الاسهم والاوتار لما تقدم ذكر القسى * ولعمرى لقد أصاب الغرض فى هذا المرمى وظريف هنا قول بعضهم فى وصف فرس

من جلنار ناضر خده * وأذنه من ورق الآس

فالمناسبة هنا بين الجلنار والآس والنضارة ومثله قول بعضهم فى آل النبى صلى الله عليه وسلم

أنتم بنو طه ونون والضحى * وبنو تبارك فى الكتاب المحكم

وبنو الاباطح والمشاعر والصفا * والركن والبيت العتيق وزمزم

هذا الناظم أحسن فى مراعاة النظير وأتى فى البيت الاول بحسن المناسبة بين أسماء السور وفى الثانى بحسن المناسبة بين الجهات الحجازية انتهى ويعجبنى قول السلامى فى هذا الباب

والنقع ثوب بالسيوف مطرز * والارض فرش بالجياد مجمل

وسطور خيلك انما ألفاتها * سمر تنقط بالدما وتشكل

فانه ناسب بين الثوب والتطريز وبين الفرش والجمل وبين السطور والالفات والنقط والشكل ومثله قول ابى العلاء المعرى

دع اليراع لقوم يفخرون بها * وبالطوال الردينيات فافتخر

فهن اقلامك اللاتى اذا كتبت * مجدا أتت بمداد من دم هدر

فابو العلاء أيضا ناسب بين الاقلام والكتابة والمداد * وغاية الغايات فى هذا الباب قول بديع الزمان الهمدانى من قصيدة يصف فيها طول السرى

لك الله من ليل اجوب جيوبه * كانى فى عين الردى أبدا كحل

كأن السرى ساق كأن الكرى طلا * كأنا له شرب كأن المنى نقل

كأنا جياع والمطى لنا فم * كأن الفلا زاد كأن السرى اكل

كأن ينابيع الثرى ثدى مرضع * وفى حجرها منى ومن ناقتى طفل

كأنا على أرجوحة فى مسيرنا * لغور بنا تهوى ونجد بنا تعلو

ومنها فى المديح ولم يخرج عما نحن فيه من حسن المناسبة

(مراعاة النظير)

هنالك لئلا يشغل الشيخ قلبه بهذا الامير فانها حضرة يرجح فيهما ابن الجان ويكون أشيل فى الميزان بحر تعلو جيفه ويسفل صدفه وهذا امر قد غطى أوله الجفاء فليغط آخره العفاء لا زال لحمد الى الشيخ أبى عبد الله فيما يوليه من رتق بأسبابه واعتناء باكرته وأصحابه وما يفعل ذلك الا ما يوجبه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله وما يأتى من الخير الا ما هو اهله وحقا أقول قد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته ولانت قشرته وواصلته فاحسنت وصاله وأحمدت خصاله وسألته فاغزرت جوده وجمشته فأصلبت عوده وما بقيت فى الامتحان عرقا الا جسته ولا نظرا الا تفرسته فما أنتقى خصلة من خصاله الا وهى أكرم من اختها حتى حالت الغربة بينى وبينه

كأنى فى قوس لسانى له يد * مديحى له فرع به أملى نبل
كان دواتى مطفل حبشية * بنانى لها بعل ونقشى لها نسل
كان يدى فى الطرس غواص بلجة * له كلى دربه قيمتى تغلو

انظر ايها المتأمل الى ملكة هذا الشاعر المفلق الذى ما دخل الى بيت الا وأسكن فيه ما يلائمه من المناسبات البديعية نعم هذه الغايات التى تقف عندها فحول الشعراء وهذا الامام المتقدم الذى صلى الحريرى خلفه وأشار اليه بقوله فى مقاماته

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة * بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلى فهيج لى البكا * بكاها فقلت الفضل للمتقدم

فان البديع هو الذى سبق الحريرى الى نظم المقامات وسبك العلوم فى تلك القوالب الغريبة وعلى منواله نسج الحريرى واستعمل بعض أسماء مقاماته وقفى اثر عيسى بن هشام بالحرث بن همام وعارض طرح الاسكندرى بما سجعه أبو زيد السروجى وعلى كل تقدير فالبديع عرابة هذه الراية وعباس هذه السقاية نرجع الى ما كنا فيه من حسن المناسبة فى مراعاة النظير فمن المستحسن فى هذا النوع قول بعضهم فى مليح معه خادم يحرسه

ومن عجب أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك أكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك ياقوت وخالك عنبر

هذا الاديب المتمكن ناسب بين العذار والثغر والخد والخال اذ الوجه لمصابيح هذه المحاسن جامع وبين ريحان وجوهر وياقوت وعنبر لانه لامعة فى أسماء الخدام فلو ذكر شيأ من غير تناسب كان نقصا وعيبا وان كان جائزا فانهم عابوا على أبى نواس قوله

وقد حلفت يمينا * مبرورة لا تكذب
برب زمزم والحو * ض والصفا والمحصب

فالحوض هنا أجنبى من المناسبة لانه ما يلائم المحصب والصفا وزمزم وانما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة ومثله فى عدم المناسبة قول الكميت

وقد رأينا بها حوراء منعمة * بيضا تكامل فيها الدل والشنب

فانهم قالوا الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فان الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما ناسب ذلك مشى على سنن المناسبة وخلص من النقد * ويعجبنى من ملاءمة التناسب فى مراعاة النظير قول العلامة أبى بكر بن اللبانة فى موشح

بعضى يخاصم فى بعض * جسمى مقيم وقلبى يمضى
وكيف اسلو وبدرى الارضى * يدير فى الاقحوان الغض
ورديه سرقت انفاسه بالالتماس * رقت فكانت مثل دمعة فى جفن كاس

انظر الى ما ناسب بين الاقحوان والورد وجذب القلوب وانشأ الاذواق فى المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التى تستعار منها المحاسن * ومن أحلى ما يستحلى فى الذوق من هذا النوع قول ابن مطروح

فكان فى الغربة أكثر فى المجد جهدا وأطيب فى الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمرى ان ود الحضرة اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حبليهما وراش نبليهما وما خسر على الكرم كريم كما لم يربح على اللؤم لئيم وان يبطل العرف فى القياس ولا يذهب الخير بين الله والناس أعاننى الله على تأدية حقه وفرضه وقضاء الواجب أو بعضه وقد أطلنا ولا احسبنى أطلت وفى النفس أضعاف ما كتبت والشيخ أيده الله لا يعرض كلامى على من يعرف عوار كلامه واختلال نظامه فان ما يكتب عن صوب البديهة بفيض القلم من دون روية تعمل لا يكاد يطيب وأنا أخدمه والجماعة بالسلام

لبسنا ثياب العناق * مزرورة بالقبل

ومن شدة اعجابي بهذا البيت ضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لاطرح نفسه خاضعا وسلم الـ
مفاتيح بيته طائعا وهو

ولما خلعنا العذار * فككنا طويق الخجل

لبسنا ثياب العناق * مزرورة بالقبل

لولا خوف الاطالة لتكلمت على بيت ابن مطروح وعلى التضمين وما فيهما من حسن
التناسب والاستعارات بما يليق بمقامهما وغاية الغايات قول القاضي الفاضل في هذ
الباب

في خده فخ لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ويعجبني في هذا الباب قول مجير الدين بن تميم

لو كنت تشهدني وقد حمي الوغى * في موقف ما الموت فيه بمعزل

لترى انابيب القناة على يدي * تجري دما من تحت ظل القسطل

انظر أيها المتأمل الى حسن ما ناسب بين الانابيب والقناة والجريان والقسطل مع انقياد
التورية الى طاعته وحسن تصرفه فاني أتحقق ان الامير مجير الدين بن تميم من فرسان هذا
الميدان وممن أجاد في هذا الباب و بالغ في الاحسان الى غريب المناسبة وراعى جانب مراعاة
النظير حسن الزغاري بقوله

كأن السحاب الغر لما تجمعت * وقد فرقت عنا الهموم بجمعها

نياق ووجه الارض قعب وثلجها * حليب وكف الريح حالب ضرعها

فانه أتى بالمعنى الغريب والتشبيه البديع وحسن المناسبة في مراعاة النظير مع حلاوة
الانسجام ولطف الاستعارة وانشدني لنفسه الشيخ عز الدين في هذا النوع قوله

بخد الحب ريحان نضير * لاحرفه سطور ليس تقرا

فراعيت النظير وقلت بدري * عذارك أخضر والنفس خضرا

الذي يظهر لي أن خضرة النفس هنا من ايهام المناسبة ومناظمته في هذا النوع قولي

أبرزت معصمانها ر وداعي * شف بلوره فزاد حريق

راح دمعي يرعى النظير ويبدي * عند لثمي سلاسلا من عقيق

فحسن المناسبة هنا بين المعصم والسلاسل والعقيق والبلور مع ابراز تسمية النوع البديعي
والنسيب المطرب الغزلي في معنى توريته وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

تجار الفاظ الى سوق القبول بها * من لجة الفكر تهدي جوهر الكلم

المناسبة في بيت الشيخ صفي الدين بين التجار والسوق واللجة والجوهر وهو بيت عامر بمحاسن
هذا النوع وبيت العميان في بديعيتهم

يروي حديث الندى والبشر عن يده * ووجهه بين منهل ومبتسم

هذا البيت ما رأيت له وجها يظهر به مراعاة النظير ولا بينه وبين المناسبة البديعية
نسب ثابت ولكن رأيت الشيخ أبا جعفر شارح هذه البديعية أعني بديعية العميان قال ان

العنعنة

(وله الى أبي علي بن مشكويه)

وبأعزان واش وشى بي عندكم
فلا تمهليه ان تقولي له مهلا
كما لو وشى واش بعزة عندنا
لقلنا تزحزح لا قريبا ولا أهلا

بلغني أطال الله بقاء الشيخ ان قبضة كلب واقتها باحاديث لم يعرها الحق نوره ولا الصدق ظهوره وانه أدام الله عزه اذن لها على مجال اذنه وفسح لها فناء ظنه ومعاذ الله ان أقولها واستجيز معقولها بل قد كان بيني وبين الشيخ الفاضل عتاب لا ينزل كنفه ولا يجدف وحديث لا يتعدى النفس وضميرها ولا يعرف الشفة وسميرها وعربدة كعربدة أهل الفضل

العنعنة فى البيت بعن تناسب الرواية فى الحديث والندا والبشر فيهما مناسبة للكرم ولعمرى ان الشيخ رحمه الله استسمن من وجه هذا البيت ذا ورم ونفخ من تعبه فى غير ضرم وهذا العمرى جهد من لا جهد له وبيت عز الدين الموصلى

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

المناسبة فى بيت الشيخ عز الدين بين الشباب والطفل والهرم اظن انه قصد بها النسبة الى آدم عليه السلام وبيت بديعتى

ذكرت نظم اللآلى والحباب له * راعى النظير بثغر منه منتظم

المناسبة هنا ما بين اللآلى ونظم الحباب ونظم الثغر بديعة عند أهل النظم هذا مع حسن التشبيه بالمناسبة البديعية وفى نور هذا المثال ما يمحو ظلمة الاشكال عند مراعاة النظير هذا مع رقة الانسجام ومغازلة عيون الغزل فى تسمية النوع البديعى وحلاوة توريته وقد حبست عنان القلم وان كانت المهجة فى هذا المعرك الضيق قد ذابت لئلا يقال كثر فارتابت

(ذكر التمثيل)

(وقلت ردف موج كى أمثله * بالموج قال قد استسمنت ذا ورم)

التمثيل مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وقال هو ان يريد المتكلم معنى فلا يدل عليه بلفظه الموضوع له ولا بلفظ قريب من لفظه وانما يأتى بلفظ هو أبعد من لفظ الارداف يصلح ان يكون مثالا للفظ المعنى المذكور كقوله تعالى وقضى الامر وهذا التمثيل العظيم فى غاية الايجاز والحقيقة أى هلك من قضى هلاكه ونجا من قدرت نجاته وما عدل عن اللفظ الخاص الى لفظ التمثيل الالامرين احدهما الاختصار لبلاغة الايجاز والثانى كون الهلاك والنجاة كانا بامر مطاع ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص ومن شواهد ذلك فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة فى حديث أم زرع زوجى كليل تهامه لا حر ولا برد ولا مخافة ولا سآمة فانها أرادت وصفه بحسن العشرة مع نسائه فعدلت عن اللفظ الموضوع له الى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامة المجمع على وصفه بانه معتدل فتضمن ذلك وصف الممدوح باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة وكمال العقل اللذين ينتجان لين الجانب وطيب المعاشرة وخصت الليل بالذكر لما فى الليل من راحة الحيوان وخصوصا الانسان لانه يستريح فيه من الكد والفكر ولكون الله جعل الليل سكنا والسكن محل الاجتماع بالحبيب لاسيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد والطول والقصر وهذه صفة ليل تهامة لان الليل يبرد فيه الجو مطلقا بالنسبة الى النهار لغيبة الشمس وخلوص الهواء من اكتساب الحر فيكون فى البلاد الباردة شديد البرد وفى البلاد الحارة معتدل البرد مستطابا فلهذا قالت زوجى كليل تهامة وحذفت اداة التشبيه لقرب المشبه من المشبه به وهذا مما يبينه لفظ التمثيل لكونه لا يجىء الا مقدرا بمثل غالبا وقال ابن رشيق فى العمدة التمثيل والاستعارة ضرب من التشبيه ولكنها بغير اداة والتمثيل هو المماثل عند بعضهم وذلك ان تمثل شيأ بشىء فيه اشارة منه كقول امرئ القيس

(التمثيل)

لا تجاوز الدلال والادلال ووحشة لا يكشفها عتاب لحظة كعتاب بحظة فسبحان من ربى هذا الامر حتى صار امرا وتابط شرا وأوجب عذرا وأوحش حرا سبحان من جعلنى فى جنب العدو أشيم بارقته واستجلى صاعقته وأنا المساء اليه والجنى عليه لكن من بلى من الاعداء بمثل ما بليت ورمى من الحسد بما رميت ووقف من التوحد والوحدة حيث وقفت واجتمع عليه من المكارم ما وصفت اعتذر مظلوما وضحك مشتوما ولو علم الشيخ عدد أولاد الجدد وأبناء العدد بهذا البلد ممن ليس لهم الا فى سعاية أو شكاية او حكاية أو نكاية لضن بعشرة غريب اذا بدر وبعيد اذا حضر واصان مجلسه عمن لا يصونه عما رقى اليه ذهبى قد قلت

وماذرفت عيناك الالتضربي * بسهميك في اعشار قلب مقتل

فمثل عينيها بالسهمين ومثل قلبه باعشار الجزور ومعناه مابكيت الالتقدحي في قلبي كما يقدح القادح في الاعشار فقد له جهات التمثيل والاستعارة وقد تقدم ان التمثيل ضرب من الاستعارة والتشبيه وهو قريب التذييل ولكن بينهما فرق دقيق وهو خلو التذييل من التشبيه والحقوا بهذا الباب أعنى التمثيل ما يخرجه المتكلم مخرج المثل السائر وأبلغ ما سمعته من الشواهد البليغة المستوعبة لشروط هذا الباب قول أبي تمام

اخرجتموه بكره عن سجيته * والنار قد تنتضى من ناضر السلم

أوطأتموه على جمر العقوق ولو * لم يحرج الليث لم يخرج من الاجم

ففي عجز كل من البيتين تمثيل حسن فانه مثل فيهما حالته عند اخراجه كرها عن سجيته يخاطب أحبابه وقد أثروا به تلك الحالة والنار قد تنتضى من ناضر السلم * قد هنا للتقليل ومراده ان وقوع هذا منكم وأنتم أحباب عجيب ومثل الحال بقوله * والنار قد تنتضى من ناضر السلم وقال في عجز البيت الثاني عندما اوطؤه على جمر العقوق ان الليث لولم يحرج ماخرج من الاجم * وهذا التمثيل والذي قبله في البيت الاول غايتان في هذا الباب وقد أخرج كلا منهما مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وبيت الشيخ صفي الدين

يا غائبين لقد أضنى الهوى جسدي * والغصن يذوي لفقد الوابل الردم

الشيخ صفي الدين أجاد في نظم هذا النوع وأتى بشروطه كاملة فانه مثل حاله لما اضنى الهوى جسده لغيبة أحبابه بالغصن لما يذوي لفقد المطر وأخرج كلامه مخرج المثل السائر كما تقرر ولكن لوحظ موضع الهوى الجفا لكان اقرب الى المراد ولو كانت القافية غير الردم لكانت أخف على القلوب والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

من التعاظم تمثيل الزمان به * وقد يكون اتضاع القدر بالشمم

هذا البيت غير صالح للتجريد وقد كل الفكر وعجزت ان أتوصل فيه الى حد يتوصل به الى فهم معناه أو الى صورة التمثيل في تركيبه فلم أجد بدا من مطالعة الشرح فلما نظرت في شرحه وجدته قد قال فيه ان العذول يتعاظم في كلامه وأقواله فلذلك مثل الزمان به من استهتار السامع به والتهكم وعدم الاصغاء اليه وفي ذلك تهجين له وربما استحب فيه الدعاء ثم قال في آخر الشرح وقد أرسلت النصف الثاني من البيت مثلا فما ازدادت مرآة ذوقي بذلك الاصدأ والله أعلم وبيت بديعيتي

وقلت ردفك موج كي امثله * بالموج قال قد استسمنت ذا ورم

انظر أيها المتأمل الى التمثيل الذي مثلت فيه شيأ بشيء فيه اشارة منه كما قرره ابن رشيق في العمدة وحذفت اداة التشبيه لتقريب المشبه من المشبه به كما تقدم وتقرر ان لفظ التمثيل لا يكون الا مقدرا بمثل غالبا وأخرجت آخر كلامي مخرج المثل السائر على مذهب من يرى ذلك وأتيت بتسمية النوع البديعي مورى به مسبوكا في أحسن القوالب والله أعلم بالصواب

ما حكى البس الشاتم من أسمع والجاني من بلغ فلقد بلغ من كيد هؤلاء القوم انهم حين صادفوا من الاستاذ نفسا لا تستفز وجبلا لا يهز وشوا الى خدمه بما أرسوا نارهم وردوا على ما قالوه فالبث ان قلت وان تك حرب بين قومي وقومها * فاني لها في كل نائبة سلم * وليعلم الاستاذ ان في كبد الاعداء مني جمرة وان في اولاد الزنا عندنا كثرة وقصاراهم نار يشبونها وعقرب يدبونها ومكيدة يطلبونها ولولا ان العذر اقرار بما قيل وأكره ان استقيل لبسطت في الاعتذار شاذروانا ودخلت في الاستقالة ميدانا لكنه أمر لم أضع أوله فلم أتدارك آخره وقد أبى الشيخ أبو محمد أيده الله الان يوصل هذا النثر الفاتر

(ذكر التوجيه)

(وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم)

التوجيه مصدر توجه الى ناحية كذا اذا استقبلها وسعى نحوها وفى الاصطلاح أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى احتمالا مطلقا من غير تقييد بمدح أو غيره والتوجيه هو ابهام المتقدمين لان الاصطلاح فيهما واحد غير ان الشواهد التى استشهدوا بها على التوجيه الابهام أحق بها لطلوع أهلتها زهراة فى افقه ولمطابقة التسمية فانهم يستشهدون على التوجيه بقول الشاعر فى الحسن بن سهل عندما زوج ابنته بوران بالخليفة

بارك الله للحسن * ولبوران فى الختن
يا امام الهدى ظفر * ت ولكن ببنت من

فلم يعلم ما اراد بقوله ببنت من فى الرفعة أو فى الحقارة وقد تقدم قولى فى شرح نوع الابهام لما استشهدت بهذين البيتين على مانقل ابن ابى الاصبع أن الحسن بن سهل قال له أسمعت هذا المعنى ام ابتكرته فقال لا والله نقلته من شعر شاعر مطبوع كان كثير الولوع بهذا النوع واتفق أنه فصل قباء عند خياط اعور واسمه زيد كذا نقله ابن أبى الاصبع فقال له الخياط على سبيل العبث سآتيك به لا تدرى اقباء هو ام دواج فقال له الشاعر ان فعلت ذلك نظمت فيك بيتا لا يعلم من سمعه ادعوت لك أم دعوت عليك ففعل الخياط فقال الشاعر

خاط لى زيد قباء * ليت عينيه سواء

فان قيل انه قصد التساوى فى عينيه بالعمى صح وان قيل انه قصد التساوى فى الابصار صح * فتسمية النوع هنا بالابهام أليق من تسميته بالتوجيه * ومطابقة التسمية فيه لا تخفى على أهل الذوق الصحيح وهذا مذهب ابن ابى الاصبع فانه هو الذى تخير الابهام * ونزل عليه هذه الشواهد واختصر التوجيه من كتابه وقال فى ديباجته وربما بقيت اسم الباب وغيرت مسماه اذا رأيت اسمه لا يدل على معناه * وقد اجمع الناس على ان كتابه المسمى بتحبير التحبير أصح كتاب الف فى هذا الفن لانه لم يتكل فيه على النقل دون النقد وغالب الجماعة غيروا بعض القواعد * وبدلوا أكثر الاسماء والشواهد * ووضعوها فى غير محلها واذا وصلت الى بديع ابن منقذ وصلت الى الخبط والفساد والجمع بين اسباب الخطاء وانواعه من التداخل والتبديل * والسكاكى ومن تبعه سموا هذا النوع التوجيه ونسج الناس على منوالهم الى ان تخير ابن أبى الاصبع نوع الابهام وقرر له الشواهد التى هى أليق به من التوجيه ولم أسمع من شواهد الابهام غير البيت المنظوم فى الخياط والبيتين المنظومين فى الحسن بن سهل وهذا النوع صعب المسلك فى نظمه لان المراد من الناظم ان يبهم المعنيين بحيث لا يكاد أحدهما يترجح على الآخر ومن أظرف ماوقع فى هذا الباب وقد أوردته فى باب الابهام ان القاضى زين الدين بن القرناص الحلبى غفر الله له ألف تاريخا قريبا من قباء الخياط * وهاجر الى حماة المحروسة بسبب الكتابة عليه ورسم لى بعد وقوفى عليه بالكتابة عليه فكتبت على التاريخ المذكور هذين البيتين

تاريخ زين الدين فيه عجائب * وبدائع وغرائب وفنون

التوجيه
الصواب أن يقول التوجيه مصدر وجهته الى ناحية كذا أرسلته اليها اه

بنظم مثله فيها كه يلعن بعضه بعضا

مولاى ان عدت ولم ترض بى
ان أشرب البارد لم أشرب
امتط خدى واستعل ناظرى
وصد بكفى حمة العقرب
بالله ما أنطق عن كاذب
فيك ولا أبرق عن خلب
فالصفو بعد الكدر المفترى
كالصحو عقب المطر الصيب
ان اجتنى الغلظة من سيد
فالشوك عند الثمر الطيب
أو يفد الزور على ناقد
فالنمر قد يعصب بالثيب

وامل الشيخ أبا محمد أيده الله يقوم من الاعتذار بما قعد عنه القلم والبيان فنعم رائد الفضل هو والسلام

(وله الى الشيخ العميد)

أنا أطال الله بقاء الشيخ العميد مع أحرار نيسابور فى صنعة لا فيها أعان ولا عنها أصان وشيمة ليست بى تناط ولا عنى تماط وحرفة

فاذا أتاه مناظر في جمعه * خبره عن انه مجنون

ومن اغرب ما نقل من شواهد الابهام التي ما تليق بغيره أن ابا مسلم الخراساني قال يوما لسليمان بن كثير بلغني أنك كنت في مجلس وقد جرى ذكري فقلت اللهم سوّد وجهه واقطع رأسه واسقني من دمه * فقال نعم قلت ذلك ونحن جلوس بكرم حصرم فاستحسن ابو مسلم ابهامه وعفا عنه لسداد جوابه * رجع الى ما كنا فيه من تقرير نوع التوجيه * قد تقدم ان المتقدمين نزلوه منزلة الابهام وسموه توجيها واستشهدوا عليه بالشواهد التي تقدم ذكرها * وأما التوجيه عند المتأخرين فقد قرروا أن يوجه المتكلم بعض كلامه أو جملته الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام أو قواعد علوم أو غير ذلك مما يتشعب له من الفنون توجيها مطابقا لمعنى اللفظ الثاني من غير اشتراك حقيقي بخلاف التورية * وهذا هو مذهب الشيخ صفي الدين وعلى هذا المنوال نسج بديعيته * وقد تقدم أن بديعيته نتيجة سبعين كتابا في هذا الفن * وعلى منواله نسجت بديعيتي لاجل المعارضة وقد أدخل جماعة نوع التوجيه في التورية وليس منها * والفرق بينهما من وجهين احدهما ان التورية تكون باللفظة المشتركة والتوجيه باللفظ المصطلح عليه والثاني أن التورية تكون باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ متلائمة * كقول علاء الدين الوداعي

من ام بابك لم تبرح جوارحه * تروي احاديث ما أوليت من منن

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

أقول لو بلغت ما عسى أن أبلغه لما وجدت للمتقدمين شاهدا أحسن من هذين البيتين على هذا النوع ولذلك قدمتهما سبحان المانح لقد أظهر الشيخ علاء الدين الوداعي من محاسن الأدب في التوجيه وجوها تخجل الاقمار * وتمسك الناس بعده بطيب هذه الآثار * أما قرة فهو قرة ابن خالد السدوسي وهو ثقة يروي عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعي وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوي كان من كبار التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهي تروي عن عائشة وأما جابر فهو جابر بن عبد الله صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بجابر الجعفي لان جابرا الجعفي ضعيف وهو تابعي وانما ضعفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما الحسن فهو الحسن البصري كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نحوا من ثلثمائة رجل فلله در الوداعي لقد أودع في بيتيه نفائس الذخائر * وقال فلم يترك مقالا لشاعر * وكان من المتقدمين عصرا وعلما في اقتناص شوارد النكت الادبية * والانواع البديعية * وابراز التورية في القوالب التي لم يسبق اليها وعلى موائد معانيه ونكته تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة في مواضع كثيرة وقد عن لي وان طال الشرح أن اذكر نبذة من ذلك ليتأيد قولي ويعرف رتبة الشيخ علاء الدين من كان بها جاهلا قال الشيخ علاء الدين من قصيدة مطولة

انخنت عينها الجراح ولا اثم عليها لانها نعساء

زاد في عشقها جنوني فقالوا * ما بهذا فقلت بي سوداء

لانها أدال ولا عن تزال وهي الكدية التي صلى تعتها وليست لي منفعتها فهل للشيخ ان يلطف بصنيعته لطفا يحط عنه درن العار وسمة التكسب والافتقار ايخف على القلوب ظله ويرتفع عن الاحرار كله ولا يثقل على الاجفان شخصه باتمام ما كان عرضه عليه من اشغاله ليعلق باذياله ويستفيد من خلاله فيكون قد صان الفضل عن ابتذاله والادب عن اذلاله واشترى حسن الثناء بجاهه كما يشتريه بماله وللشيخ العميد فيما يجيب به صنيعته من وعد يعتمده ووفاء يتلو ما بعده على رأيه ان شاء الله تعالى

(وله الى القاضي أبي القاسم علي بن أحمد بشكو ابا بكر الحيري)

الظلامة أطال الله بقاء القاضي اذا أتت

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتني الجنون بالسوداء

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

اذا رأيت عارضا مسلسلا * في وجنة كجنة يا عاذلي

فاعلم يقينا أنني من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ جمال الدين ولم يخرج عن الوزن والقافية

أفدي الذي ساق اليها مهجتي * فرع طويل تحت حسن طائل

قلبي بصدغيها الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

قال الشيخ علاء الدين وقد اجتمع بجماعة من أصحابه لم يخرج اسم واحد منهم عن علي

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمي مع السمي

تجمعنا كانا ضرب خيط * علي في علي في علي

قال الشيخ جمال الدين

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فيا لله من حسن جلي

كانكم الثلاثة ضرب خيط * علي في علي في علي

قال الشيخ علاء الدين

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم

فالريح ريح المسك منه * ولونه لون الدم

قال الشيخ جمال الدين

لا ينكرن الكاس من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم

فالريح ريح المسك من خده * كما يرى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين من قصيد

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا حار

قال الشيخ جمال الدين

لو ذقت برد رضاب من مقبله * يا حار ملت اعضاءي التي ثملت

مع ان الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر

قال الشيخ علاء الدين

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج تكن من المحسنينا

قلت ما يقطع الاله بحر * لم يضع بين اظهر المسلمينا

قال ابن نباتة

قال لي خلي تزوج تسترح * من اذى الفقر وتستغني يقينا

قلت دع نصحك واعلم انني * لم اضع بين ظهور المسلمينا

قال الوداعي

يا عاذلي في النكاريش اطرح عذلي * واعذر فعذري فيهم واضح حسن

من مجالس القضاء لم ترق الا
الى سيد القضاة وما كنت
لاقصر سيادته على الحكام
دون جميع الانام لولا
اتصالهم بسببه واتسامهم
بلقبه وهم القضاة اتسموا
بسمته متطفلين على قسمته
اليهم أديم في الصحة كاديمه
أو قديم في الشرف كقديمه
أو حديث في الكرم
كطريقه فهنيئا لهم
الاسماء وله المعاني ولا
زالت لهم الظواهر وله
الجواهر ولا غرو أن سموا
قضاة فما كل مائع ماء ولا
كل سقف سماء ولا كل
سيرة عدل العمرين ولا
كل قاض قاضي الحرمين
وبالشارات القضاء ما أرخص
ما بيع وأسرع ما أضيع
وألبسه الانذال قبل خلو
الديار وموت الخيار الا
يغارون لحلي الحسناء
على السوداء ومركب

فالمردان حاولوا حربى بهجرهم * اذا القام بنصرى معشر خشن

قال ابن نباتة

لو آذنتنى عداى بهجرهم * اذا بالشكاريش قد أصبحت حراثا
اذا القام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيدة

عذب مقبله وحلو لحظه * أو ما تراه بالنعاس معسلا

قال الشيخ جمال الدين

معسل بنعاس فى لواحظه * اما تراها الى كل القلوب حلت

قال الوداعى من القصيدة المذكورة

الحاظه وهى السيوف كليلة * و يكون تعذيب الكليلة أطولا

قال ابن نباتة

بليت به ساجى الحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الوداعى من قصيد

والنهر كالمبرد يجلوا الصدا * ببرده عن قلب ظمآن

قال ابن نباتة

والنهر فيه كمبرد * فلاجل ذا يجلوا الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة برده فى بيت الوداعى فان الشيخ جمال الدين حط مكانها فى بيته فلاجل ذا وشتان قال الوداعى

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادى النفار كريم

قال ابن نباتة

مخجل بشبه ريم الفلا * باطول شجوى من بخيل كريم

قال الوداعى فى مليح أعمى

بروحى غزال الاراح فى الحسن جنة * تعشقته أعمى فهمت من الوجد
اذا ما تبدى فاذا بعينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

قال ابن نباتة

أفديه أعمى مغمد اللحظ * لير تقى فى خده الوردى
تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين

جلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما جلت

قال ابن نباتة

جلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما جلت به

قال الوداعى

وما يبرى هوى المشتا * ق الاذلك المقلى

أولى السياسة تحت الساسة ومنزل الانبياء من تصدر الاغبياء وحمى البزاة من صيد البغاث وحرب ع الذكور من تسلط الاناث وبالرجال وأين الرجال ولى القضاء من لايملك من الآلة غير السبال ولا يعرف من أدواته غير الاختزال ولا يتوجه من أحكامه الا فى الاستغلال ولا يرى التفرقة الا فى العيال ولا يحسن من الفقه غير جمع المال ولم يتقن من الفرائض الا قلة الاحتفال وكثرة الافتعال ولم يدرس من أبواب الجدل الا قبح الفعال وزور المقال ذاك أبو فلان الفلانى أضاعه الله كما أضاع أمانته وخان خزانته ولا حاط من قاض فى صولة جندى وسبلة كردى فما أشبهه فى قضاياه وتحيره بين خطاياه الا بالصبى

قال ابن نباتة

من المقل أشكو فتوره الم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل فى المقل

قال الوداعى

يا نديمى والذى عاهدنى * أنه من شربها لن يقصرا
اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يفترا

قال ابن نباتة

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم حثا * ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الوداعى

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لا تجد عندها سماعا الشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال ابن نباتة

وعدت بطيف خيالها اسماء * ان كان يمكن ناظرى اغفاء

وقال بعد المطلع

يا من يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

وقد آن أن اختصر لئلا يطول الشرح وأكف لسان القلم فقد طال واستطال على عرض الشيخ جمال الدين ونعود الى ما كنا فيه من الاستشهاد بيتى الشيخ علاء الدين الوداعى على نوع التوجيه فقد فهمت رتبته فى هذا الفن وتوجيهه يصدق على اسماء الاعلام من رواة الحديث فى هذا الفن حيث قال

فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والاذن عن حسن

والمعنى الآخر فى حسن مناسبته بين القرة والعين والصلة والكف والجبر والقلب والكسر والسمع والحسن ظاهر ومثله قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر الحلبى يصف فيها نهرا صافيا فى روض نزيه

اذا فاخرته الريح ولت عليلة * بأذيال كثبان الربا تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيى وهو لا شك جعفر

ومثله قول ابن الوردى

هويت أعرابية ريقها * عذب ولى فيها عذاب عذاب
رأسى بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

واما التوجيه فى قواعد العلوم كما تقرر فأحسن ما رأيت فيه قول امين الدين على السليمانى فى بعض قواعد النحو

أضيف الدجى معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قولى

يسلم الى عدله ويلف وجهه فى منديله ويجمع عليه اترابه فيحيى قذاله كل رفعة بصفعة ويسئل عن ضاربها فان غلط فى صاحبها أعيد على وجهه الالف وعلى قذاله الكف وكذا من شغل أيام صباه بما شغل وفعل أيام الشباب ما فعل ثم جلس للقضاء كهلا وسع كل شئ جهلا وبعد فان القضاء من القضية والحية لا تلد غير الحية فمن اعتزى الى أب كأبيه واقترن بأخ كأخيه لم يلم على جهله فهو الشئ من أهله والفرع فى أصله والعلم أطال الله بقاء القاضى شئ كما نعرفه بعيد المرام لا يصاد بالسهام ولا يقسم بالازلام ولا يرى فى المنام ولا يضبط باللجام ولا يورث عن الاعمام ولا يكتب اللئام وتدع لا يزكو

اغراء لحظك مالى منه تحذير * ولا لتعريف وجدى فيك تنكير
يا نصب عينى غرامى كيف أجزمه * والقدح مرتفع والشعر مجرور

ومن أظرف ما وقع فى هذا الباب أنه كان بالعراق عاملان احدهما اسمه عمرو والآخر أحمد فعزل عمر عن عمله واستقر أحمد بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك

اباعمر استعد لغير هذا * فأحمد بالولاية مطمئن
فاتك فيك معرفة وعدل * وأحمد فيه معرفة ووزن

وقول ابن عنين فيمن عزل وكانت سيرته غير مشكورة

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفة

وقول ابن الساعاتى وقيل لابن أبى الاصبع

اياقمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل
جعلتك للتمييز نصبا لناظرى * فهلا رفعت الهجر والهجر فاعل

وظريف هنا قول بعضهم

عرج بنا نحت طاول الحمى * فلم تزل آهلة الاربع
حتى نظل اليوم وقفا على الساكن أو عطفا على الموضع

وقول محمد بن العفيف

ياساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لاى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائف البهاء زهير

يقولون لى أنت الذى سار ذكره * فمن صادر يثنى عليه ووارد
هبونى كما قد تزعمون أنا الذى * فأين صلاتى منكم وعوايدى

ونظير هذا ما اتفق لشرف الدين محمد بن عنين وذلك انه مرض فكتب الى الملك المعظم صاحب دمشق

أنظر الىّ بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلافى
انا كالذى أحتاج ما تحتاجه * فاغنم دعاى والثناء الوافى

فعاده الملك المعظم ومعه خمسمائة دينار وقال له أنت الذى وأنا العائد وهذه الصلة * وظريف هنا قول بعض المواليا

رأيتها وهى داخل دارها فى العين * تنشد ومل صحت قلبى المعنى صعين
ياليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أبو ودع يدخل علىّ اللحن

وقول بعضهم من التوجيه فى قواعد الفقه

اهجر الى الزهر لتحظى به * وارم جمارا لهم مستنفرا
من لم يطف بالزهر فى وقفة * من قبل أن يحلق قد قصرا

وقول شمس الدين بن العفيف من التوجيه فى قواعد الجدل

ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

فى كل أرض حتى يصادف من المرض ثرى طيبا ومن التوفيق مطرا صيبا ومن الطبع جوا صافيا ومن الجهد روحا دائما ومن الصبر سعيا نافعا والعلم علق لا يباع ممن زاد وصيد لا يألف الا وغاد وشئ لا يدرك الا بنزع الروح وغرض لا يصاب الا بافتراش المدر واستناد الحجر ورد الضجر وركوب الخطر وادمان السهر واصطحاب السفر وكثرة النظر واعمال الفكر ثم هو معتاص على من زكا روعه وخلا ذرعه وكرم اصله وفرعه ووعى بصره وسمعه وصفا ذهنه وطبعه فكيف يناله من أنفق صباه على الفحشاء وشبابه على الاحشاء ونهاره على الجمع وليله على الجماع وشغل سلوته بالغنى وخلوته بالغنا وأفرغ جده على الكيس

وقول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية من التوجيه فى الحديث

قالت أعندك من أهل الهوى خبر * فقلت انى بذاك العلم معروف
مسلسل الدمع من عينى ومرسله * على مدبج ذاك الخد موقوف

ومن التوجيه فى علم العروض قول ابن نصر الله المصرى

وبقلبى من الهموم مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذاك الى ان * قطع القلب بالفراق الخليل

ومثله قولى وهو مطلع قصيد

فى عروض الجفا بحور دموعى * ما افادت قلبى سوى التقطيع

ومن التوجيه فى الكتابة قول ابن الساعاتى

لله يوم فى دمشق قطعته * حلف الزمان بمثله لا يغلط
الطير تقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والسحاب ينقط

ولبعضهم واجاد وهو ابن القيسرانى

بوجه معذبى آيات حسن * فقل ما شئت عنه ولا تحاشى
فنسخة حسنه قرئت وصحت * وها خط الكمال على الحواشى

وقول ابن الوردى

رايت فقيرا فى المرقعة التى * على حسنه دلت وحسن طباعه
بخديه ريحان الحواشى محقق * الى الثلث والفضاح تحت رقاعه

ومثله قول القرشى الكاتب وقد طلبه السلطان بسبب خط نقل عنه أنه زور فاختفى فى بيته ثلاث سنة وكتب الى ابن فضل الله يسأله النظر فى حاله فى رقعة أولها * يقبل الارض وينهى ان له ثلاث سنة محقق مختف فى حواشى البيت يخشى توقيعات الرقاع من صاحب الطومار وسؤال المملوك نسخ هذا الامر الفضاح بحيث لا يبقى عليه غبار فان المملوك وحق المصحف ما يحمل عود ريحان ومن التوجيه فى علم الرمل قول الصاحب بهاء الدين زهير

تعلمت علم الرمل لما هجرتنى * لعلى أرى شكلا يدل على الوصل
فقالوا طريق قلت يا رب للقا * وقالوا اجتماع قلت يا رب للشمل

ومن التوجيه فى علم النجوم قول بعضهم فى كان وكان

لو سنبله خلف ظهره * ناظرا اليها المشترى
ولو ذنب ما يقارن * حتى يرى الميزان

ومن التوجيه فى علم الهندسة

محيط باشكال الملاحة وجهه * كأن بها اقليدسا يتحدث
فعارضه خط استواء وخاله * به نقطة والشكل شكل مثلث

وقول يوسف الذهبى بن لؤلؤ فى توجيه علم الموسيقى

ويهجتى المتمولون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم أخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب فى عشاق

وهزؤه على الكأس والعلم ثم لا يصلح الا للغرس ولا يغرس الا فى النفس وصيد لا يقع الا فى البذر ثم لا ينشب الا فى الصدر وطائر لا يخدعه الا قفص اللفظ ثم لا يعقله الا شرك الحفظ وبحر لا يخوضه الملاح ولا تطيقه الالواح ولا تهيجه الرياح وجبل لا يتسنم الا بخطى الفكر وسماء لا يصعد الا بمعراج الفهم ونجم لا يلمس الا بيد المجد أيكنى أن يصبح المرء بين الزق والعود ويمسى بين موجبات الحدود حتى يتم شبابه وتشيب أترابه ثم يلبس دنيته ليخلع دينيه ويسوى طيلسانه ليصرف يده ولسانه ويقصر سباله ليطيل حباله ويبدى شقاشقه ليغطى مخارقه ويبيض لحيته ليسود صحيفته ويظهر ورعه ليخفى طمعه ويغشى

ومثله قول شمس الدين بن جابر الاندلسى ناظم البديعية

يا أيها الحادى اسقنى كاس السرى * نحو الحبيب ومهجتى للساق
يحى العراق على النوى واحمل الى * أهل الحجاز رسائل العشاق

ومن التواجيه اللطيفة قول ابن نباتة فى اسماء منتزهات دمشق

يا حبذا يوما بوادى جلق * وتنزهى مع ذا الغزال الحالى
من أول الجبهة قد قبلته * مترشفا لآخر الخلخال

ومن التوجيه الغريب اللطيف قول ابن الوردى * وقد كتب الى بعض المخاديم بسبب وظيفة القضاء وأظنه لشيخ الاسلام شرف الدين بن البارزى

جنبتنى وأخى تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
ياحى عالم عصرنا احييتنا * فلك التصرف فى دم الاخوين

وقول بعض المواليا

للخد ياحى عالم ياكميت الطرد * عليه لو نفس صبارة وحر وبرد
ناداه والعارض النمام حولو فرد * مافاتك الحسن ساعة ياشقيق الورد

وقد تقدم قولى ان الشيخ شمس الدين بن الصايغ استشهد فى شرحه المسمى برقم البردة بشئ من أزجال أهل عصره على بعض انواع البديع وتقدمت ترجمة الشيخ علاء الدين بن مقاتل الحموى عند ما أوردت له ما اوردت فى أنواع الجناس وقد ذكرت له هنا فى باب التوجيه زجلا موجها فى خياط أخبرنى من أدرك الحاج علاء المذكور من أعيان أهل حماة أن هذا الرجل دخل الى بلاد المغرب وعاد مخلقا بالزعفران ورتبة الشيخ علاء الدين ابن مقاتل فى هذا الفن مشهورة شرقا وغربا لم يحتج فيها الى الاطناب فى وضعه الزجل ومطلعه

نهوى خياط سبحان تبارك من * بالجمال جملوا
بالمفصل وآية الكرسى * نرقى شكلو الحلو
خاط لى ثوب سقام قصر نسجو * طال بحكم القدر
حتى أن البدن اضعنى ضاع * فى عيون الابر
راح عذولى يشكلو شكلو * ويقص الخبر
وجا مذبوح القلب ممزق * ونسى ايش قلت لو
ولا فرج لو كرب عن قلبو * ولا عن مرسلو
ذا الحسينى بنقبة العشاق * كم قد أخلا جيوب
ويزرو من العيون كم لو * تخرجه فى القلوب
قلت بصه غلالك الحبيب زور * ولا فرج كروب
خلا سرى المكتوم مشهر فيه * والذى يسألو
جيبو مقلوب وراب على غيره * الاستوا فصلو
بعد طيب الوصال قطع وصلى * واوصل الانقطاع

محرابه ليلا بجرابه ويكثر دعاءه ليشو اوعاءه ثم يخدم بالنهار أمعاءه ويعالج بالليل وجعاءه ويرجوان يخرج من بين هذه الاحوال عالما ويقعد ساكما هذا الذا الجد كالوه بقفزان كلا حتى ينسى الشهوات ويجوب الفلوات ويعتضد المحابر ويحتضن الدفاتر وينتج الخواطر ويحالف الاسفار ويعتاد القفار ويصل الليلة باليوم ويعتاض السهر من النوم ويحمل على الروح ويجنى على العين وينفق من العيش ويخزن فى القلب ولا يستريح من النظر الا الى التصديق ولا من التحقيق الا الى التعليق وحامل هذه الكلف ان اخطاه رائد التوفيق فقد ضل

حتى

حتى خلى بينى وبين الموت * اما باع اوذراع
وترى ظاهرى صحيح لكن * باطنى فى النزاع
وان هو طوّل شقة بعادى والانقطاع اوصلو
جهزوا القطن والكفن والما * واغسلوا وفصلوا
جا الفقيه فى حبيبى يعذلنى * ويرقع كلام
قلت دعنى فقيه فى تمزيقى * بس تلفيق سلام
قال حبك لو ظلم سلارى * تترى والسلام
وساب اسلامى لما حذرنى * عند باب منزلو
وقطع عاتقى وضربنى * وايش معو يعملو
ذا الخليع الجديد نهارة قال لى * لفظو عقلى قمر
صف جبينى وشعرى من تفصيل * نظمك المبتكر
قلت خيط الصباح يستفتح * ذيل الدجى فى السحر
قال لى قصرت بل هو ستر الله * حين على اسبلو
حابك الزرقا فاتق الخضرا * بالهلال كللو
قال فصفنى فى خدى والعارض * فى أحسن صفات
قلت حله وردى من اطلس * فيها جمع الشتات
وعليها دار الطراز تنبيت * رقم ما احلاه نبات
قال ماهو الا شرب والحمره * دم من تقتلو
فيه خيالات خيوط زرق لاحت * من جفون تغزلو
قلت كف العتاب فى ذى الصفه * ما انا فى ذا القياس
وانظر فى دايره تمنطقها * بدر من غير قياس
واكسى ثوب وقار ولبسنى * بالفتوه لباس
وان جا تخليصى غرض من يديك * بالوصال طوّلو
وان قصر باعى عن صفات مدحك * بالوفا ذيلو
جاز فى بستان مشهر القمصان * من بكر صابحو
مثل كف المنثور فى مكنونه * حين وقف صافحو
وقميص الشقيق من اكمامو * بالخجل فاتحو
وقضيب الخلاف وقف عمراه * فرق حين فصلو
واوثق ازراره الورد فى كمو * وعليه فضلو
دى الكلام يتخلع ويتفرد * ويفصل مليح
ويفرج ويندرج اصلو * ويفتح صحيح
ويبطن من بعد تضريبو * بالسجاف يستريح
ويعرى من حبكه التخريم * ويزرروا ـــــــو

سواء الطريق وهذا المعرى رجل سفله طلب الرياسة بغير تحصيل آلاتها واعجله حصول الامنية عن تحصيل أدواتها

والكاب أحسن حالة وهو النهاية فى الخساسه ممن تصدر للريا سة قبل ابان الرياسه فولى المظالم وهو لا يعلم اسرارها وحمل الامانة وهو لا يعرف مقدارها والامانة عند الفاسق خفيفة المحمل على العاتق تشفق منها الجبال وتحملها الجهال وقعد مقعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بين كتاب الله يتلى وحديث رسوله يروى وبين البينة والدعوى فقبحه الله من حاكم لاشاهد أعدل عنده من السلة والجام يدلى بهما الى الحكام ولا مزكى اصدق لديه من الصفر ترقص على الظفر ولا وثيقة احب اليه من

انو يطوى والنشر فيه موزون * آخر وفى اولو

ومنه يعرض بذكر اضداده بدمشق

ذا الزجل قاسيون على الاعدا * جدما فيه خف
وعلى ارباب المعرفة من ريش * النعام ات اخف
للصغير والكبير فقل عنى * واحذرا حذر تخف
كم زيادة على على وان كان * يشتهوا يعملوا
هذا الابلق والشقرا والميدان * اركبوا وادخلوا

كأنى بمتأمل نظر فى رسم كتابة هذا الزجل فانكره لبعده عن رسم الالفاظ المعربة الخالية من اللحن ويعذر فى ذلك لانه ليس له المام بمصطلح رسمه ومن رسمه على غير هذا الطريق لم ينقذ له مرسوم فانه يؤديه الى خطاوزنه واعراب لحنه * ومصنفه ابو بكر بن يحيى بن قزمان الوزير قال فى خطبته * وقد جردته من الاعراب * تجريد السيف من القراب * ولم يطلب من الزجل غير عذوبة الفاظه وغرابة معانيه انتهى ومن التواجيه اللطيفة فى الطب ما اتفق ان بعض الملوك خرج لقتال اعدائه * فايده الله بنصره فطلب كاتب انشائه ليكتب على الفور حكاية الحال فتعذر وجوده فى ذلك الوقت فطلب طبيبه وامره بالكتابة بسرعة وكان الطبيب حاذقا فكتب موجها فى صناعته * اما بعد فانا كنا مع العدو فى حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يقع الا على قيفال * ولم يكن الا بجس نبضة او نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم * فهلك بسعادتك يا معتدل المزاج وكان ابو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامى وسراج الدين الوراق لم يخرجوا عن هذا النوع فى غالب نظمهم ويأتى الكلام على ذلك فى مواضعه من باب التورية وأما توجيه اسماء انواع البديع فهو نسيج وحده * وواسطة عقده * وما ذاك الا انه رسم لى بانشاء توقيع المقر الاخوى الزينى عبد الرحمن ابن الخراط الشافعى احد أعيان العصر فى الادب بكتابة السر بثغر طرابلس وانا منشى ديوان الانشاء الشريف المؤيدى بالديار المصرية فقصدت التوجيه بالانواع المذكورة لتحصل الملاءمة ومراعاة النظير بذلك فان صاحب التوقيع من المتميزين على كلا الحالين بحسن الادب فمن ذلك قولى فى فصل التعدية وبعد فنهل انعامنا الشريف قد حلينا لاهل الادب مورده * لتصير عقود انشائنا بجواهر منثوره منضده * وتطلع كل براعة باستهلالها فى أشرف المطالع * وتسكن النزاهة طباق البديع للمقابلة فيتنزه الناظر والسامع * ويقوم الاستخدام بما يجب عليه من واجب الخدمة * ويزيل الاقتباس بنوره عن أهلته كل ظلمة * وتجول خيول الاستطراد فى رد العجز على صدره * ويحصل لاهل الادب فى زماننا تمكين فيظهر الافتنان فى نظمه ونثره * ويصير افقه المذهب الكلامى فى ايامنا الشريفة ترشيح ومماثلة ومناسبة * ويبرز فى توشيح التسليم من غير اعتراض مناقضة ومواربة * ويجنح العصيان الى الدخول تحت الطاعة * ويسمع القول بموجبه من غير مراجعة فى كل براعة * ويزول التجاهل بالعارف * ويصير التسجيع والموارية عند ايجازه بالمواقف * وكان المجلس العالى القضائى عبد الرحمن بن الخراط الشافعى ممن حسن بيانه ايضاح وللسر عنده

نحوات الخصوم على الكيس المختوم ولا وكيل أوقع بوفاته من خبيئة الذيل وحمال الميل ولا كفيل أعز عليه من المنديل والطبق فى وقتى الغسق والفلق ولا حكومة أبغض اليه من حكومة المجلس ولا خصومة أوحش لديه من خصومة المفلس ثم الويل للفقير اذا ظلم فما يغنيه موقف الحكم الا بالقتل من الظلم ولا يجيره مجلس القضاء الا بالنار من الرمضاء واقسم لو ان اليتيم وقع فى انياب الاسود بل الحيات السود لكانت سلامته منهما أحسن من سلامته اذا وقع بين غيابات هذا القاضى واقاربه وما ظن القاضى بقوم يحملون الامانة على متونهم ويا كلون النار فى بطونهم حتى تغلظ قصراتهم من مال اليتامى وتسمن اكفالهم من مال

حسن ابداع * وللأدب اليه التفات لانه بجواهر ترصيعه يشنف الاسماع * وهو الفاضل الذى اذا نظم ازال بسهولة نظمه الابهام والتوهيم * واذا نثر عقود الانشاء فلا فرق بين عبد الرحمن وعبد الرحيم * يحسن فى المطالعة والامثلة الشريفة طيه ونشره * وهو من الشعراء فيما يعد من القصص اذا علا فى تفسيرها امره * فلذلك رسم بالامر الشريف لازالت براعة المطالب منظومة فى بديع زمانه بانعامه * ولا برحت أبوابه الشريفة فى تصريع وتشريع لوفود اهل الادب فى ايامه * أن يستقر لانه ممن يحسن به التحبير ويحصل به الا كتفاء والتميم * ويجمع من نظمه ونثره بين التخميس والترسل فيحسن الجمع بهذا التقسيم * فليباشر ذلك ويجعل الاستعانة بالله ليأمن التنكيت والتعليل * ويصير لشقة الانشاء بعد النقص تسهيم وتكميل * ويظهر ابرد الكلام بحسن تفصيله تفويف وتوشيع * ولاصول التهذيب والتأديب مبالغة وتفريع * والوصايا كثيرة لاتخفى على الاديب الفاضل الاحتراس والفرق بين المستوى والمقلوب * وبه يحصل النسق فى جمع القرائد وتظهر براعة التخلص فى عنوان كل مطلوب * لانه الفاضل الذى ان سكن ثغر الم يفته شنب التورية بحسن نظامه * أو جاور بحرا فهو اديب والبحور فى تصريف أوامره فى نقضه وابرامه * والله تعالى يجعل نظم هذا الثغر بحسن ادبه فى بلاغة وانسجام * وكما احسن له الابتداء بعضده بديع السموات والارض بحسن الختام * وقد طال الشرح فى نوع التوجيه ولم يبق للاطالة وجه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى هذا النوع

خلت الفضائل بين الناس ترفعنى * بالابتداء فكانت أحرف القسم

الشيخ صفى الدين قصد فى توجيه بيته بعض قواعد النحو وهو بيت عامر بالمحاسن * وقد تقدم ما أوردنا من هذا القسم وبيت بديعيتى

وأسود الخال فى نعمان وجنته * لى منذر منه بالتوجيه للعدم

التوجيه فى هذا البيت من القسم المقدم على التوجيه فى قواعد العلوم وقد تقدم فيه ان يوجه المتكلم كلامه الى اسماء متلائمة اصطلاحا من اسماء الاعلام توجيها مطابقا المعنى اللفظ الثانى من غير اشتراك حقيقة بخلاف التورية وقد تقدم ذلك وتقرر الكلام عليه وعلى التوجيه فى قواعد العلوم وبقية الفنون وعلى كل تقدير فالكل راجع الى طريق واحد * والاشتراك هنا فى النعمان والمنذر ظاهر ولكن النكتة اللطيفة فى الاسود فان المتامل ما يتخيل فى أول وهلة غير سواد الخال وجل القصد فى المعنى الآخر هو الملك الاسود اخو النعمان بن المنذر وهو احد ملوك العرب والتورية ههنا فى التوجيه الذى هو اسم النوع البديعى لم يفتها من المحاسن وجه وهذا هو الافق الذى أقر فيه الشيخ علاء الدين الوداعى والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر وغيرهما ممن اوردنا على هذا النوع نظمه * وأوصلنا الى الغرض لما اطلق فيه سهمه * وما أخرت بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين وتقرت تطم الترتيب هنا الا انهم نسجوا على غير هذا المنوال وتعوضوا عن مسارح الماء الحلو بالآل وبيت العميان

ترى الغنى لديهم والفقير وقد * عادا سواء فلازم باب قصدهم

الايامى وماظنك بدار عمارتها خراب الدور وعطلة القدور وخلاء البيوت من الكسوة والقوت وما قولك فى رجل ينادى الله فى الفلس ويبيع الدين بالثمن البخس وفى حاكم يبرز فى ظاهر أهل السمت وباطن أصحاب السبت فعله الظلم البحت وأكله الحرام السحت وما رأيك فى سوس لا يقع الا فى صوف الايتام وجراد لا يسقط الا على الزرع الحرام ولص لا ينقب الا خزانة الاوقاف وكردى لا يغير الا على الضعاف وذئب لا يفترس عباد الله الا بين الركوع والسجود ومحارب لا ينهب مال الله الا بين العهود والشهود ومازلت أبغض حال القضاة طبعا وجبلة حتى ابغضتهم دينا وملة والعنهم دربة حتى لعنتهم قربة بما شاهدت من هذا الحيرى

(هنا بحث لطيف) وهو ان العميان نظموا التوجيه بين التسمية التي تحتمل وجهين من المعنى على مذهب المتقدمين وهو الابهام وقد تقرر ان المتكلم فيه يبهم المعنيين بحيث لا يترشح احدهما على الآخر بقرينة واستشهدوا عليه بشاهد الابهام الذي نزلوه على التوجيه وهو قول الشاعر في الخياط وقد تقدم ليت عينيه سواء فالشاعر ابهم المعنيين بحيث يحير السامع والمتأمل ويعجز عن ترجيح احدهما ولم أر في بيت العميان غير التسوية بين الغنى والفقير فان هؤلاء الممدوحين يعطون الفقير الى أن يصير مساويا للغني وهذا هو المعنى الواحد وهو أوضح من ضوء الشمس اذا وقدت جمرة المصيف وأما المعنى الآخر فما وجدت في بيتهم له قرينة صالحة تدل عليه وصاحب البيت أدرى بالذي فيه وقد تقدم أن نوع التوجيه قسمه البديعيون قسمين وذهب الى كل منهما فريق * وبيت الشيخ عز الدين مذبذب بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وهو

نزهت طرفي وسمعي في محاسنه * وعنك ان تقصد التوجيه في الكلم

أصحاب الطريق الذي مشى عليها الشيخ عز الدين في نظم هذا النوع قالوا التوجيه الاصطلاحي أن يحتمل الكلام وجهين من المعنى وهذا هو الفرق بين التورية والتوجيه فان التورية باللفظة الواحدة والتوجيه لا يصح الا بعدة الفاظ والشيخ عز الدين أتى بكلمة مفردة تحتمل معنيين فما نظم غير التورية والتوجيه بخلاف ذلك والكلمة التي اقتضت اشتراك المعنيين قوله نزهت فانه قال انه نزه طرفه في محاسن محبوبه وكأنه التفت الى العذول وقال له وعنك وهو وبيت العميان سافلان خاليان ليس فيهما من المحاسن ساكن والله أعلم

(ذكر عتاب المرء نفسه)

(يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * متى ولم تقطعي آمال وصلهم)

هذا النوع اعني عتاب المرء نفسه لم اجد العتب مرتبا الاعلى من أدخله في البديع وعده من انواعه وليس بينهما مناسبة والذوق السليم اعدل شاهد على ذلك ولولا أن الشروع في المعارضة ملزم ما نظمت حصاه مع جواهر هذه العقود ونهاية امره أنه صفة حال واقعة ليس تحتها كبير أمر وهو من افراد ابن المعتز ولم يورد فيه غير بيتين ذكر ان الاسدي انشدهما عن الجاحظ وهما

عصاني قومي في الرشاد الذي به * امرت ومن يعص المجرب يندم
فصبرا بني بكر على الموت انني * أرى عارضا ينهل بالموت والدم

قال زكي الدين بن أبي الاصبع وقوله صحيح لم أر في هذين البيتين ما يدل على عتاب المرء نفسه الا ان هذا الشاعر لما أمر بالرشاد وبذل النصح ولم يطع ندم على بذل النصيحة لغير اهلها ويلزم من ذلك عتابه لنفسه فتكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزامية لا دلالة المطابقة ولا يصلح ان يكون شاهدا على هذا النوع الا قول شاعر الحماسة

أقول لنفسي في الخلاء ألومها * لك الويل ماهذا التجلد والصبر

انتهى كلام ابن ابي الاصبع فانظر ما أحلى ما صرح هذا الشاعر بذكر النفس

والللوم

وقاميت وعاينت من خبطه وخطبه ما عاينت وساوق حديثي معه انه اصلحه الله قد فتش اعطاف نيسابور فما وجد الارأسى دبة والاطيق مذبة تجنى لي على خمسة آلاف درهم ارقت في كسبها ماء العمر واخرجتها من انياب المطلوب الحر وخمسة أشهر من عمري كل يوم منها خير من عمر شريح القاضي في أمر الباغ المعروف بباغ اسد عقد لي اجارة ثلاث سنين واحتملت دخله اياما قلائل ثم لم يكن مثلي معه الا مثل الجاري الذي ضاع حماره وخرج في طلبه حتى عبر جيحون بسببه يطلبه في كل منزلة وينشده في كل مرحلة وهو لا يجده حتى جاوز خراسان وانتهى الى طبرستان وأتى

عتاب المرء نفسه

واللوم لها وخاطبها بكاف الخطاب ليتمكن عتبه وتقريعه المؤلم لها * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

انا المفرط أطلعت العدوّ على * سري وأودعت نفسي كف مجترم

الشيخ صفي الدين حكى أنه فرّط في اطلاع عدوّه على سره وايداع نفسه كف مجترم لا غير واين هو من قول شاعر الحماسة وقد قال لنفسه على سبيل العتب والتوبيخ

* لك الويل ما هذا التجلد والصبر * والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

عتبت نفسي اذ أتعبتها بهوى * مجهول سبل بلا هاد ولا علم

الشيخ عز الدين حكى أيضا انه عاتب نفسه وذكر أنه هو الذي اتعبها وكلفها حمل الهوى فالعتاب هنا من كل وجه لم يترتب على غيره ومامقدار هذا النوع حتى ان الشاعر لم يات به على صيغته لاسيما ونظام البديعيات قد التزموا أن يأتوا به شاهدا على نوعه وبيت بديعيتي

يا نفس ذوقي عتابي قد دنا أجلي * متى ولم تقطعي آمال وصلهم

أقول ان هذا البيت ينظر الى بيت شاعر الحماسة في علو طباقه وان كان من الفحول التي لها فضيلة السبق فقد زاحمه في حلبة سباقه مع ان عروس التسمية يضوع عطرها من أطواق الطروس ويقول من كوم الذوق وقد عادله الشم لا عطر بعد عروس واين هذا النشر الواضح والرقة التي ود النسيم لو انتظم معها وانسجم من عقادة بيت الشيخ عز الدين وقد امسى بها مجهولا بلا هاد ولا علم

(ذكر القسم)

برئت من أدبي والعزم من شيمي * ان لم أبر بنأى عنهم قسمي

القسم أيضا حكاية حال واقعة وليس تحته كبير أمر ولكن تقرر أن الشروع في المعارضة ملزم وهو ان يقصد الشاعر الحلف على شئ فيحلف بما يكون له مدحا وما يكسبه فخرا وما يكون هجاء لغيره فمثال الاول قول مالك بن الاشتر النخعي في معاوية بن هند

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت اضيافي بوجه عبوس

ان لم أشن على ابن هند غارة * لم تخل يوما من ذهاب نفوس

فقول ابن الاشتر تضمن المدح لنفسه والفخر الزائد والوعيد للغير ومثله قول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم

أكذبت أحسن مايظن مؤملي * وهدمت ماشادته لي أسلافي

وعدمت عاداتي التي عودتها * قدما من الاسلاف والاخلاف

وغضضت من ناري ليخفى ضوءها * وقريت عذرا كاذبا أضيافي

ان لم اشن على علي خلة * تمسي قذى في أعين الاشراف

وقد يقسم الشاعر بما يريده الممدوح ويختاره كقول الشاعر

ان كان لي امل سواك اعده * فكفرت نعمتك التي لا تكفر

واحسن ما سمع في القسم على المدح قول الشاعر

العراق وطاف الاسواق فلما لم يجده وايس عاد وقد طالت اسفاره ولم يحصل حماره حتى اذا حصل في بلده بين اهله وولده أحب الله ان يلطف له لطفا ليعتبر به فنظر ذات يوم الى اصطبله فاذا الحمار بسرجه ولجامه وثفره وحزامه قائما على المعلف ينشش وانا أيضا مازال يرددني في هذا الباغ بامل يرخيه ويشده وطمع يرسله ويمده حتى صار الباغ بارضه ومائه وزرعه ونباته في يد الهمذاني اليس اطال الله بقاء القاضي يعامل مثلي بمثلها الا سخي أو سخيف اما السخي فالذي يحمل حرمه طعمة ويصيره في فم لقمة واما السخيف فالذي لا يبالي بما يؤول اليه عقباه ولا يوجعه الصفع

القسم

حالفت بمن سوّى السماء وشادها * ومن مرج البحرين يلتقيان
ومن قام فى المعقول من غير رؤية * فاثبت فى ادراك كل عيان
لما خاقت كفاك الا لاربع * عقائل لم تعقل لهن ثوانى
لتقبيل افواه واعطاء نائل * وتقليب هندى وحبس عنان

والمقدّم فى هذا الباب وهو الذى انتهت اليه نهاية البلاغة قوله تعالى فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون فانه قسم يوجب الفخر لتضمنه التمدح باعظم قدرة وا كمل عظمة حاصلة من ربوبية السماء والارض وتحقيق الوعد بالرزق وحيث اخبر سبحانه وتعالى ان الرزق فى السماء وأنه رب السماء يلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره انتهى الكلام على القسم الذى يراد به الفخر والمدح والتعظيم وأما ما جاء من القسم فى النسيب فكقول الشاعر

جنى وتجنى والفؤاد يطيعه * فلا ذاق من يجنى عليه كما يجنى
فان لم يكن عندى كعينى ومسمعى * فلا نظرت عينى ولا سمعت اذنى

ومما جاء من القسم فى الغزل قول ابن المعتز

لا والذى سل من جفنيه سيف ردى * قدت له من عذاريه حمائله
ما صارمت مقلتى دمعا ولا وصلت * غمضا ولا سالمت قلبى بلابله

الذى وقع عليه الاتفاق ان هذا أحسن ما وقع من القسم فى الغزل اذ القسم والمقسم عليه كل منهما داخل فى باب الغزل ولكن قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع ان الذى وقع لجميل بن معمر العذرى فى هذا الباب ما تحسن العبارة تفصح عن لفظه ووصفه وهو قوله على لسان محبوبته

قالت وعيش أبى وأكبر اخوتى * لانبهن الحى ان لم تخرج
فخرجت خيفة أهلها فتبسمت * فعلمت ان يمينها لم تلجج

ثم قال اعنى ابن أبى الاصبع رحمه الله جملا لقد تظرف فى هذين البيتين ماشاء لانه أتى بهما من باب الهزل الذى يراد به الجد وأغرب فى القسم فيهما وادمج فى القسم حسن ائتلاف اللفظ مع المعنى وأتى بما لا يوفيه واصف حقه انتهى كلام ابن أبى الاصبع قلت واذا وصلنا فى القسم الى باب الهزل الذى يراد به الجد فمهذب الدين احمد بن منير الطرابلسى قائد هذا العنان * وفارس هذا الميدان * وما ذاك الا أنه هاجر الى مدينة السلام بغداد والشريف الموسوى نقيب الاشراف بها وبابه حرم الوافدين * وبه ينابيع الفضل التى هى مناهل الواردين * وكان يقال ان الشريف المشار اليه من كبار الشيعة ببغداد وعلى هذا أجمع غالب الناس فجهز اليه ابن منير عند قدومه بغداد هدية مع مملوكه تتر بل معشوقه الذى اشتهر به فى الخافقين غرامه * وأبدع فى أوصافه الجميلة نظامه * فقبل الشريف هديته واستحسن المملوك فادخله فى الهدية وقصد ان يعوضه عن ذلك باضعافه فلما شعر ابن منير بذلك التهبت احشاؤه على مملوكه بل معشوقه تتر وكتب الى الشريف على الفور قصيدة أولها

قوله قالت البيتين بعدهما
قلت فاها آخذا بقرونها
شرب النزيف لبرد ماء
الحشرج

على قفاه والله المستعان
والقاضى الفاضل المستجار
والمن الله الخيرى ووقتا
قطعته بذكره وقرطاسا
دنسته باسمه والحمد لله

(وله الى بعض أهل همذان)

كتابى اطال الله بقاءك غرة
شهر رمضان عرّفنا الله
بركة مقدمه ويمن تجشمه
وخصك بتقصير ايامه
واتمام صيامه وقيامه
فهو وان عظمت بركته
ثقيل حركته وان جل قدره
بعيد قعره وان عمت
رأفته طويل مسافته
وان حسنت قربته شديد
صحبته وان كبرت حرمته
كبير حشمته وان سرنا
مبتداه فلن يسوءنا منتهاه
وان حسن وجهه فلن
يقبح قفاه وما احسنه فى
القذال واشبه ادباره

عذبت قلبي يا تتر * وأطرت نومي بالفكر

ومنها

بالمشعرين وبالصفا * والبيت اقسم والحجر
وبمن سعى فيه وطا * ف به ولبي واعتمر
ان الشريف الموسوى ابن الشريف أبي مضر
ابدى الجحود ولم يرد الحق مملوكي تتر
والت آل امية الطهر الميامين الغرر
وجحدت بيعة حيدر * وعدلت عنه الى عمر
واذا جرى ذكر الصحا * بة بين جمع واشتهر
قلت المقدم شيخ تيم * ثم صاحبه عمر
ما سل قط ظبا على * آل النبي ولا شهر
كلا ولا صد البتو * ل عن التراث ولا زجر
وأثابها الحسنى وما * شق الكتاب ولا بقر
وبكيت عثمان الشهيد * بكاء نسوان الحضر
وشرحت حسن صلاته * جنح الظلام المعتكر
وقرأت من أوراق مصحفه * براءة والزمر
ورثيت طلحة والزبير * بكل شعر مبتكر
وازور قبرهما وأز * جر من لحاني أو زجر
وأقول ام المؤمنين * عقوقها احدى الكبر
ركبت على جمل لتصلح * بين بنيها في زمر
وأتت لتصلح بين جيش * المسلمين على غرر
فأتى أبو حسن وسل * حسامه وسطا وكر
وأذاق اخوته الردى * وبعير أمهم عقر
ما ضره لو كان كف * وعف عنهم اذ قدر
واقول ان امامكم * ولي بصفين وفر
واقول ان أخطا معا * وية فما اخطا القدر
هذا ولم يغدر معا * وية ولا عمرو مكر
بطل بسوأته يقا * تل لا بصارمه الذكر
وجنيت من غرس النوا * صب ما تمر واختمر
واقول ذنب الخارجين * على علي يغتفر
لانا نرى قتالهم * في النهروان ولا أشر
والاشعري بما يؤ * ل اليه امرهما شعر
قال انصبوا لي منبرا * فانا البري من الخطر

بالاقبال جعل الله قدومه
سبب ترحاله وبدوه فداء
هلاله وامر فلكه تحريكا
لتنقضي مدته وشيكا
واظهر هلاله نحيفا ليزف
الى اللذات زفيفا وعفا
الله عن مزح يكرهه ويجون
يسخطه ورد كتابك
فاي سرور لم يرد بوروده
وأي حبور لم أجد بوجوده
وسرني تزايد بيانك كما ساءني
البعد عن عيانك وابهجني
كتابك كما ازعجني عتابك
ولست املك مقابلة لك على
ما توليه من جميل في حفظ
تلك المعايش وصيانتها
أكثر من تقلد المنة
واحسن من اذاعة الشكر
والسلام

(وله جواب كتاب رئيس
هراة عدنان بن محمد)

كتابي اطال الله بقاء الشيخ
من نيسابور وقد تمطت
على بصلبها وضاقت على
برحبها شوقا اليه عن
سلامة وردتم بحضرته

فعلا وقال خلعت صا * حبكم وأوجزوا اختصر
واقول ان يزيد ما * شرب الخمور ولا فجر
وجيشه بالكف عن * ابناء فاطمة أمر
وحلقت فى عشر المحرم ما استطال من الشعر
ونويت صوم نهاره * وصيام ايام أخر
ولبست فيه اجل ثو * ب للملابس يدخر
وسهرت فى طبخ الحبو * ب من العشاء الى السحر
وغدوت مكتحلا اصا * فح من لقيت من البشر
ووقفت فى وسط الطريـ * ـق أقص شارب من عبر
وغسلت رجلى ضلة * ومسحت خفى فى السفر
وأمين اجهر فى الصلا * ة كمن بها قبلى جهر
وأسن تسنيم القبو * ر لكل قبر محتفر
واذا جرى ذكر الغديـ * ـر أقول ما صح الخبر
ولبست فيه من الملا * بس ما اضمحل وما دثر
وسكنت جلق واقتديـ * ـت بهم وان كانوا بقر
واقول مثل مقالهم * بالفاشريا قد فشر
مصطيحى مكسورة * وفطيرتى فيها قصر
نقريرى برئيسهم * طيش الظليم اذا نفر
وخفيفهم متثقل * وصواب قولهم هذر
وطباعهم بجبالهم * طبعت وقدت من حجر
مايدرك التشبيب تغـ * ـريد البلابل فى السحر
وأقول فى يوم تحا * رله البصيرة والبصر
والصحف ينشر طيها * والنار ترمى بالشرر
هذا الشريف اضلنى * بعد الهداية والنظر
فيقال خذ بيد الشريـ * ـف فمستقر كاسقر
لواحة تسطو فما * تبقى عليه ولا تذر
والله يغفر للمسى * ء اذا تنصل واعتذر
فاخش الاله بسوء فعـ * ـلك واحتذر كل الحذر
والبكها بدوية * رقت لرقتها الحضر
شامية لو شامها * قس الفصاحة لافتخر
ودرى وايقن انى * بحر والفاظى درر
وبديعة كبديعة * عذراء ترفل فى الحبر
حبرتها فغدت كزهـ * ـر الروض باكره المطر

لسبع بقين من شهر رمضان
ارانى الله قضاه فما احسنه
واسنه والحمد لله وقد ورد
كتاب الرئيس فأتت ورود
النعم تترى الى ومثلت لدى
وبين يدى ووجدت الشيخ
قد اخذ مكارم نفسه فجعلها
قلادة غرسه وتتبع المحاسن
من عنده فحلى بها نحر
عبده وما اشبه رائع حليه
فى نحر وليه بالغرة اللائحة
على الدهمة الكالحة لا
وآخذ الله الشيخ بوصف نزعه
عن عرضه وزرعه فى غير
أرضه ونعت سلخه من
خلقه وخلقه فاهداه الى
غير مستحقه وفضل
استفاده من فرعه واصله
واوصله الى غير اهله ذكر
حديث الشوق ولو كان
الامر بالزيارة حتما أو
الاذن أطلق جزما لكان
آخر تطرى فى الكتاب أول
تطرى الى الركاب
ولاستعنت على كلف
السير باجنحة الطير لكنه
ادام الله عزه صرفنى بين يد
بسريعة النبذ ورجل
وشبكة للاخذ وارانى

والى الشريف بعثتها * لما قـراها فانبـهر
ردالغـلام وما استقر عـلى الجحود ولا اصر
واتاني وجزيتـه * شكرا وقال لقد صبر

أقول انه يغتفر لي طول الشرح لغرابة اسلوب هـذه القصيدة فاني لم أخرج بها عن القصد لانها مبنية على القسم وجوابه من البراعة الى الختام وأما هزلها الذي يراد به الجد فانه غاية لا تدرك وطريق ما رأينا لغيره فيها مسالك وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هـذا النوع أعني القسم نسجه على المنوال الاول الذي هو مبني على المدح والفخر والتعاظم وعلو الهمة وهو قوله

لا اقتني المعالي بابن بجدتها * يوم الفخار ولا برّ التقي قسمي

هذا البيت منسوج على المنوال المذكور ولكن فيه نقص لانه غير صالح للتجريد ولم يأت ناظمه بجواب القسم الا في بيت الاستعارة التي ترتب بعده وهو

ان لم احث مطايا العزم مثقلة * من القوافي تؤم الجد عن أمم

وأصحاب البديعيات شرطوا أن يكون كل بيت شاهـدا على نوعه بمجرده واذا كان البيت له تعلق بما بعده أو بما قبله لا يصلح ان يكون شاهـدا على ذلك النوع * ولقد عجبت للشيخ صفي الدين كيف فتر عزمه وقصرت همته عن هـذا القدر الذي يتطاول الى ادراكه كل قاصر واين هو من قول القائل في طريقته الغرامية التي حركت السواكن حيث قال

حرمت الرضا ان كنت خنتك في الهوى * وعوقبت بالهجران ان كنت كاذبا

انظر ما أحلى ما اتى بالقسمين وجوابيهما في بيت واحد مع عدم التعسف والرقة التي كادت أن تسيل لطفا والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

برئت من سلفي والشم من هممي * ان لم أدن بتقى مبرورة القسم

بيت الشيخ عز الدين مبني على الفخر والتعاظم وعلوّ الهمم وهو صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفي الدين هذا مع التزام الشيخ عز الدين بتسمية النوع وبيت بديعيتي

برئت من أدبي والعزم من شيمي * ان لم ابرّ بنأي عنهم قسمي

وهذا البيت مبني على الفخر والتعاظم وعلوّ الهمة * وفي قولي والعزم من شيمي غاية الفخر ولكن اللطف الزائد قول الاديب في القسم برئت من ادبي مع التورية التي ترفل في حلل الحشمة وتسمية النوع والتقفية بدلا تخفى على أهل الذوق من اهل الادب والله أعلم

(ذكر حسن التخلص)

ومن غدا قسمه التشبيب في غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمي

حسن التخلص هو أن يستطرد الشاعر المتمكن من معنى الى معنى آخر يتعلق بممدوحه بتخلص سهل يختلسه اختلاسا رشيقا دقيق المعنى بحيث لا يشعر السامع بالانتقال من المعنى الاول الا وقد وقع في الثاني لشدة الممازجة والالتئام والانسجام بينهما حتى كانهما أفرغا في قالب واحد ولا يشترط أن يتعين المتخلص منه بل يجري ذلك في أي معنى كان فان الشاعر قد يتخلص من نسيب أو غزل أو فخر أو وصف روض أو وصف طلل بال أو ربع خال أو معنى

زهدا في ابتغاء كسوف ارتغاء ونزاعا في نزوع كذهاب في رجوع ورغبة في رغبة عني وكلاما في الغلاف كالضرب تحت اللحاف فلم أصرح بالاجابة وقد عرضت بالدعاء ولم أعلن بالزيارة وقد أسررت النداء ولم يدعني بلسان المحاجاة ولم يجاهرني بفم المناجاة ولو فعل لكنت اليه أسرع من الكرم الى طرفيه وفكرت في مراد الرئيس فوجدته لا يتعدى الكرم بسبب تارة والفضل تارة فاذا كان الامر كذلك فما أولاه بترفيه مولاه عن زفرة صاعدة بسفرة باعدة ونكباء جاهدة في شتوة باردة فليستفتح كل منا الى صاحبه بما عنده فابعث بما عندي وهو المدحة ليبعث بما عنده وهو المنحة وها هو قد أوردت سلعتي فليصدر خلعته وقد أنفذت

(حسن التخلص)

من المعاني يؤدي الى مدح أو هجو أو وصف في حرب أو غير ذلك ولكن الاحسن أن يتخلص الشاعر من الغزل الى المدح والفرق بين التخلص والاستطراد أن الاستطراد يشترط فيه الرجوع الى الكلام الاول أو قطع الكلام فيكون المستطرد به آخر كلامه والامران معدومان في التخلص فانه لا يرجع الى الاول ولا يقطع الكلام بل يستمر على ما يتخلص اليه وهذا النوع أعني حسن التخلص اعتنى به المتأخرون دون العرب ومن جرى مجراهم من المخضرمين ولكنه لم يفتهم فانهم أوردوا الزهير في هذا الباب قوله

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * ـكن الكريم على علاته هرم

انظر الى هذا العربي القديم كيف أحسن التخلص من غير اعتناء في بيت واحد وهذا هو الغاية القصوى عند المتأخرين الذين اعتنوا به وعلى كل تقدير فن كلام العرب استنبط كل فن فانهم ولاة هذا الشأن لكنهم كانوا يؤثرون عدم التكلف ولا يرتكبون من فنون البديع الا ما خلا من التعسف فمن ذلك قول الفرزدق وأجاد الى الغاية

وركب كأن الريح تطلب عندهم * لها ترة من جذبها بالعصائب
سروا يخبطون الليل وهي تلفهم * الى شعب الاكوار من كل جانب
اذا آنسوا نارا يقولون ليتها * وقد خصرت ايديهم نار غالب

ومثله قول أبي نواس

تقول التي من بيتها خف محملي * يعز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب * بلى ان أسباب الغنى لكثير
فقلت لها واستعجلتها بوادر * جرت فجرى في اثرهن عبير
دعيني اكثر حاسديك برحلة * الى بلد فيه الخصيب أمير

ومثله في الحسن قوله

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس
واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس
واذا أردت مديح قوم لم تمن * في مدحهم فامدح بني العباس

أقول ان هذه الطريق التي مشى عليها أبو نواس ومن تقدمه من المتقدمين ممن أوردت نظمه في هذا الباب وهي حسن التخلص ببيت واحد باستطراد رشيق ينتقل الشاعر به من الشطر الاول الى الشطر الثاني هي التي مشت عليها الشعراء كالبحتري وأبي تمام في غالب القصائد على أنهما المقدمان في هذا الشأن وقد تقرر أن حسن التخلص ما كان في بيت واحد يثب الشاعر من شطره الاول الى الثاني وثبة تدل على رشاقته وقوته وتمكنه في هذا الفن واذا لم يكن التخلص كذلك سمي اقتضابا وهو ان ينتقل الشاعر من معنى الى معنى آخر من غير تعلق بينهما كأنه استأنف كلاما آخر وعلى هذه الطريقة مشى غالب العرب وغالب المخضرمين وكثير من شعراء المولدين فمن ذلك قول البحتري في قصيد وقد جرى في ميادين غزلها الى أن قال من غير ارتباط

وردنا الى الفتح بن خاقان انه * اعم ندى فيكم وأيسر مطلبا

واذا أنفذا أخذت ويا سبحان الله ما أكثر الكذابة في هذا الفضل وقد صدر مصدر الهزل فلا يشغل الشيخ قلبه بشيء منه فاني صنيعته وصل أم قطع وغلامه أعطى او منع وأبو فلان قد أجبت من كتبه فلم يقذعنا بعتبه وازلجت العلة في جوابه فلم يكرقدا بنابه أنا استعفيه من سخطه كما استجيرنه من شططه وأساله الدوام على معهود وصاله كما أمنعه الخروج عن محمود خصاله واشكره على ما آتى كما اشكره على ما بقي وقد زاد في امر المخاطبة وما أحسن الاعتدال وقد كفانا نية الاستاذ وأساله أن لا يزيد وقد بدأ ويجب ان لا يعيد فلا تنفع كثرة العدد مع قلة المعدود والزيادة في الحد نقصان من المحدود ورب ربح أدى الى خسران وزيادة أفضت

وهذه النبذة التي ابرزتها هنا من نظم المتقدمين في حسن التخلص عزيزة الوجود فانها ماتيسرت الابعد بذل الجهد في جمعها وهذا النوع البديع ما اعتنى به غير حذاق المتأخرين ومانسجوه جميعه الا على المنوال المذكور ولعمري انها طريقة بديعة ونوع من السحر يدل على رسوخ القدم في البلاغة وتمكن الذهن من البراعة وان لم يكن كذلك لم يعد من أنواع البديع والقرائح تختلف فيه وتتفاوت وقد عن لى أن انبه على قبح المخالص التي لاتعد من انواع البديع ليتفتح ذهن المبتدئ في هذا الفن فمن ذلك قول أبي الطيب المتنبي وان كانت له المخالص الفائقة

غدا بك كل خلو مستهاما * واصبح كل مستور خليعا
احبك أو يقولوا جرّ نمل * ثبيرا وابن ابراهيم ريعا

انظر ما أبرد هذا المخلص وأشد تعسفه ومعناه أنه علق انقضاء حبها على غير ممكن وهو أن يجر النمل الجبل المسمى ثبيرا وأن يخاف ممدوحه فجعل خوف الممدوح نظير جر النمل لثبير ليقرر أن كلا منهما من المستحيلات ومن مخالصه القبيحة ايضا قوله

علّ الامير يرى ذلي فيشفع لي * الى التي تركتني في الهوى مثلا

وسبب قبح هذا المخلص كونه جعل ممدوحه ساعيا بينه وبين محبوبته في الوصال ولا خفاء في دنوّ هذه المرتبة وقد سبقه ابو نواس الى ذلك ولكنه اقلّ شناعة مع أن الكلّ قبيح حيث قال

سأشكو الى الفضل بن يحيى بن خالد * هواك لعلّ الفضل يجمع بيننا

وقد سبقهما الى ذلك قيس بن ذريح حين طلق لبنى وتزوجت غيره فندم على ذلك وشبب بها في كل معنى فرحمه ابن أبي عتيق فسعى في طلاقها من زوجها واعادها الى قيس فقال يمدحه

جزى الرحمن افضل مايجازي * على الاحسان خيرا من صديق
فقد جربت اخواني جميعا * فما ألفيت كابن ابي عتيق
سعى في جمع شملي بعد صدع * ورأى حدت فيه عن الطريق
واطفأ لوعة كانت بقلبي * أغصتني حرارتها بريقي

فلما سمعها ابن أبي عتيق قال لقيس ياحبيبي امسك عن هذا المدح فما يسمعه احد الا ظنني قوادا ومن المخالص التي استحسنوها للبحتري قوله

رباع تردّت بالرياض مجودة * بكل جديد الماء عذب الموارد
اذا ما وحتها مزنة بكرت لها * شآبيب مجتاز عليها وقاصد
كأن يد الفتح بن خاقان أقبلت * عليها بتلك البارقات الرواعد

ومن المخالص المستحسنة لابي تمام قوله من قصيد

مازلت عن سنن الوداد ولاغدت * نفسي على الف سواك تحوم
لا والذي هو عالم أن النوى * مرّ وأن ابا الحسين كريم

هذا المخلص مقدم على مخالص البحتري من وجوه احدها التخلص من النسيب الى المدح

الى نقصان ورأى الشيخ في تشريفه بجوابه موفق ان شاء الله

(وله ايضا)

ورد ياسيدي فلان وهو عين بلدتنا وانسانها وقلبها ولسانها فاظهر آيات فضله لاجرم انه وصل الى الصميم من الايجاب الكريم وهو الآن مقيم بين روح وريحان وجنة نعيم تحيته فيها سلام وآخر دعواه ذكرك ياسيدي وشكرك وأحسن الثناء عليك بما أنت اهله وانا استمد دعواه وافتخر بمجلسك افتخار الحصى بتباع مولاه وقد عرفت فلانا ولسنه وكيف يجري في الخطابة رسنه فما ظنك به وقد ملكته المحاسن ولحظته العيون وسل صارما من فيه بعد شكرك ويسديه وينشر ذكرك ويطويه والجماعة تمدح بمدحه وتجرح بجرحه

والثانى حسن الانسجام والثالث وهو حل القصد الوثيقة فى بيت التخلص من الشطر الاول الى الشطر الثانى باسرع اختلاس وهذا الذى عقد المتأخرون الخناصر عليه وصار لهم فيه اليد الطولى ومثله قوله من قصيد

فالارض معروف السماء قرى لها * وبنو الرجاء لهم بنو العباس

ومن مخالص أبى الطيب الفائقة قوله من قصيد يمدح بها أبا ايوب احمد بن عمران بن ماهويه مطلعها

سرب محاسنه حرمت ذواتها * دانى الصفات بعيد موصوفاتها

معنى هذا المطلع فى غاية الحسن والغرابة فانه يقول هذا سرب حيل بينى وبين كل حسناء منه وهذه الحسناء صفاتها دانية عند ذكرها بالقول ولكن ذاتها الموصوفة بعيدة ولم يزل فى غرابة هذا الاسلوب الى أن قال مخلصا

ومطالب فيها الهلاك أتيتها * ثبت الجنان كاننى لم آتها

أقبلتها غرر الجياد كانما * أيدى بنى عمران فى جبهاتها

أقول سبحان المانح هذا هو السحر الحلال والشرب الذى أمست المشارب الصافية عنده كالآل ومثله فى الغرابة التى هى من معجزات المتنبى قوله من قصيد يمدح بها على بن عامر ويعرض بذكر أبيه عامر ومدحه بعد وفاته مطلعها

اطاعن خيلا من فوارسها الدهر * وحيدا وما قولى كذا ومعى الصبر

وما احلى ما قال بعده

واعجب من ذا كل يوم سلامتى * وما ثبتت الا وفى نفسها أمر

ولم يزل ينفث بصدق عزائمه فى هذا السحر الذى سحر به العقول وخلب القلوب الى أن قال

ويوم وصلناه بليل كأنما * على أفقه من برقه حلل حمر

وليل وصلناه بيوم كأنما * على متنه من دجنه حلل خضر

وغيث ظننا تحته أن عامرا * علا لم يمت أو فى السحاب له قبر

ومثله قوله من قصيدة دالية يمدح بها سيف الدولة بن حمدان مطلعها

عواذل ذات الخال فى حواسد * وان ضجيع الخود منى لماجد

وما ألطف ما قال بعده

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصى الهوى فى طيفها وهو راقد

ولما انتظم له هذا الدر فى هذه الاسلاك البديعة قال

خليلى انى لا أرى غير شاعر * فكم منهم الدعوى ومنى القصائد

فلا تعجبا ان السيوف كثيرة * ولكن سيف الدولة اليوم واحد

ومن مخالص ابى العلاء أحمد بن سليمان على طريق المديح فانه لم يكن من طلاب الرفد قوله من قصيد

ولو ان المطى لها عقول * وحقك لم نشد لها عقالا

فرأيت فى بعض اخلاقك التى اغترفت هذا الشكر واتهيت هذه المآثر الغر موفقا ان شاء الله

(وله ايضا كتبها الى الرئيس ابى جعفر الميكالى)

الشيخ تملك من قلبى مكانا فارغا فنزله غير منزل قلعه ومن مودتى ثوبا سابغا فلبسه غير لبسة خلعه ومن نصب تلك الشمائل شبكا وارسل تلك الاخلاق شركا قنص الاحرار واستعبدهم وصاد الاخوان واسترقهم وبالله ما يغبن الامن اشترى عبدا وهو يجد حرا بارخص من العبد ثمنا واقل من البيع غبنا ثم لا ينتهز فرصة امتلاكه ولا يهتبل جدة حوزه وانا أتم للشيخ على مكرمة يتيمة وسعى ذى شامة وشية فليعتزل من الرأى ما كان بهيما وليطلق من النشاط ما كان عقيما وليحلل حبوة التقصير وليجتنب جانب

مواصلة بهار حلى كأني * من الدنيا أريد بها انتقالا
سألن فقلن مقصدنا سعيد * فكان اسم الامير لهن فالا

هذا المخلص أيضا من العجائب فان الشيخ ابا العلاء سبكه فى قالب التورية والاتفاق البديع وكان اسم الامير فى فالهم سعيدا والعرب ما برحوا يتفاءلون بالاسم الحسن و يتطيرون من ضده ومما استحسن لابن حجاج من المخالص قوله

الا يا ماء دجلة لست تدرى * بانى حاسد لك طول عمرى
ولو أنى استطعت سكرت سكرا * عليك فلم تكن يا ماء تجرى
فقال الماء قل لى كل هذا * بم استوجبته ياليت شعرى
فقلت له لانك كل يوم * تمر على أبى الفضل بن بشر
تراه ولا أراه وذاك شئ * يضيق عن احتمالك فيه صبرى

قال صاحب المثل السائر حين أورد هذه الابيات ما علمت معنى فى هذا المقصد أبدع ولا أعذب ولا أرق ولا أحلى من معنى هذا اللفظ ويكفى ابن حجاج من الفضيلة أن يكون له مثل هذه الابيات قلت ولعمرى ان المخلص والابيات بكمالها دون اطناب ابن الاثير فى الوصف ولكن قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى تحرير التحبير لما انتهى الى هذا النوع اعنى حسن التخلص اذا وصلت الى ابن حجاج فى هذا الباب فانك تصل الى ما لا تدركه الالباب فمن ذلك قوله على طريقته المعهودة منه

وقد بادلتها خبالها لى * بشورة استها ولها قذالى
كالابن العميد جميع مدحى * ودنيا ابن العميد جميعها لى

ومن المخالص الفائقة قول الاستاذ أبى الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب من قصيدة بائية يمدح بها الامير سيف الدولة بن مزيد مطلعها

هب من زمانك بعض الجد للعب * واهجر الى راحة شيأ من التعب

ولم يزل ماشيا على هذا السنن الى أن قال

تسعى السقاة علينا بين منتظر * بلوغ كأس ووثاب بمستلب
كأنما قولنا البابلى ادر * سلافة قولنا المزيدى هب

ومثله قوله من قصيدة حائية يمدح بها الاستاذ ابا طالب بن ايوب

يا من ثناياه الـتى * غولطت عنها بالاقاحى
غلط القايس بابن أيوب السحابة فى السماح

و يعجبنى من مخالصه قوله من قصيدة رائية يمدح بها فخر الملك ولم يزل يرفل فى حلل غزلها ونسيبها الى أن قال

أرى كبدى وقد بردت قليلا * أمات الهم أم عاش السرور
ام الايام خائفة لانى * بفخر الملك منها استجير

ومما يعجبنى ايضا الى الغاية قوله من قصيدة عينية يمدح بها الوزير عميد الدولة مطلعها

لو كان يرفق ظاعن بمشيع * ردوا فؤادى يوم كاظمة معى

التاخير وليفض عذرتها ولبفض ختمها وعمرتها برأى يجذب الجد باعه ويعمر النشاط رباعه وتلك حاجة سيدى ابى فلان فقد ورد من الشيخ بحرا وعقد منه جسرا وما عسر وعد وهو متجزه ولا بعد أمر وهو منتهزه ولا ضاعت نعمة أنا بريد ذكرها وضامن شكرها وغريم نشرها وولى أمرها وهذا الفاضل قرارة بناتها ومثابة أدائها فقد شاهدت من ظرفه ما أعجز عن وصفه وعرفت من باطنه ما لم يزر بظاهره ورأيت من أوله ما نم على آخره ثم له البيت المرموق والنسب المعرق والاولية القديمة والشيم الكريمة وقد جمعنا فى الود خلقه ونظمنا فى السفر رفقه وعرفنى ما نمض له وفيه فضمنت عن الشيخ كرما لا يغلق بابه وغيثا لا يخلف

ولم يزل يطلق العنان فى هذه الحلبة الى أن سبق الى غاية قال فيها

ان شاء بعدهم الحياة فلينسكب * أو شاء ظل غمامه فليقلع
فقيل جسمى فى ذبول ربوعهم * كاف وشربى من فواضل ادمعى
كرمت جفونى فى الديار فاخصبت * فغنيت أن أرد المياه وارتعى
فكأن دمعى مد من أيدى بنى * عبد الرحيم وماتها المستنبح

وما أحلى ما قال بعده وهو مخلص آخر

وكان ليلى من تفاوت طوله * أسيافهم موصولة بالادرع

ولم أكثر من محاسن مهيار هنا الا لعلى بغرابة شعره وعزة وجود ديوانه ومن المخالص التى تصلح أن تكون واسطة فى هذا العقد قول أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء كما قال وهو القاضى أبو بكر أحمد الارجانى من قصيد يمدح بها ولى الدين الكاتب مطلعها

وعدت باستراقة للقاء * وباهداء زورة فى خفاء

وما أحلى ما قال بعده

ثم غارت من أن يماشيها الظل فسارت فى ليلة ظلماء
ثم خافت لما رأت أنجم الليل شبيهات أعين الرقباء
فاستنابت طيفا بلم ومن يشك الى عينا اتهم بالاغفاء
هكذا نيلها اذا نولتنا * وعناء تسمح البخلاء
يهدم الانتهاء باليأس منها * ما بناه الرجاء بالابتداء

ولم يزل راتعا فى هذه الحدائق الغضة الى أن قال

تركتنى معانيا لمغان * واعادت أعاديا أصدقائى
رنقت مشربى وقد كان عين الشمس والماء دونه فى الصفاء
بعد عهدى بعيشتى وهى خضرا * تتثنى كالبانة الغناء
وامورى كأنها ألفات * خطهن الولى فى الاستواء

ومن جواهر مخالصه المنتظمة فى هذا السلك قوله من قصيدة رائية يمدح بها سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الانبارى مترسل الخلافة وكاتب انشائها مطلعها

سلا رسوما أقامت بعد ما ساروا * أعندها من اهيل الحى أخبار
وروحا عاتق من حملها مننا * للسحب فيها وللاجفان امتار

ولم يزل مبدرا فى هذا الافق النير الى أن قال

أقسمت ما كل هذا الضيم محتمل * ولا فؤادى على ماشمت صبار
الا لانك منى اليوم نازلة * فى القلب حيث سديد الدولة الجار

ومن مخالصه الصافية التى مازجها بسلاف التورية قوله من قصيدة بائية يمدح بها شهاب الدين احمد بن أسعد الطغرائى مطلعها

اذا لم يخن صب فقيم عتاب * وان لم يكن ذنب فسم متاب

وما الطف ما قال بعده

صحابه وبقى ان يخرجه الشيخ عن عهدة الثقة زاده الله تأكدا فان راى ان اسأل الشيخ فى معناه عرفنى كيف المأتى له وانما اطلب ليعلم صدق اهتمامى وفرط تقلدى اليه (وله الى الشيخ ابى اسحق ابراهيم بن حمزة) لو كانت الدنيا اطال الله بقاء الشيخ على مرادى لاخترت ان اضرب على هذه الحضرة اطناب عمرى وانفق على هذه الخدمة ايام دهرى لكن فى اولاد الزنا كثرة ولعين الزمان نظرة وقد كنت خطبت من خدمة الشيخ شرعة قد نغصها على بعض الوشاة وذكر انى أقت بطوس بعد استئذانى الى مرو وفى هذا ما يعلمه الشيخ فان رأى أن يحسن

أجل مالنا الا هواهم جناية * فهل عندهم غير الصدود عقاب

ولم يزل سائرا فى سهولة هذه الجادة الى أن قال

فلا تكثرن شكوى الزمان فانما * لكل ملم جيئة وذهاب

وقد كان ليل الفضل فى الدهر داجيا * الى أن بدا للناظرين شهاب

والارجانى أيضا نظمه غريب فى هذه البلاد فلذلك أوردت منه هنا هذه النبذة اللطيفة والله اعلم * وقد آن لى أن أقدم مقدمات النتائج من اشعار المتأخرين فى هذا النوع فانهم رياحين حدائقه * واقمار شارقه * فالمقدم هنا قاضيهم الفاضل الذى ارتفع الخلاف بقضائه ونفذ حكمه بالموجب على ملوك هذه الصناعة * وتقدم باستيفاء شرائط التقديم فصلى خلف امامته الجماعة * فمن محاسنه الفاضلية قوله من قصيد يمدح بها خليفة الفاطميين فى ذلك العصر مطلعها

ترى سلمتنى أوحنين الحمائم * جرت فحكت دمعى دموع الغمائم

(وما احلى ما قال بعده)

وهل من ضلوع أو ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

دعوا نفس المقروح تحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم

تاخرت فى حمل السلام عليكم * اديها لما قد حملت من سمائم

فلا تسمعوا الا حديثا لناظرى * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

فان فؤادى بعد كم قد فطمته * عن الشعرا لامدحه لابن فاطم

ومثله قول العلامة الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة من قصيدة دالية يمدح بها النبى صلى الله عليه وسلم مطلعها

ويلاه من نوى المشرد * وآه من شملى المبدد

ولم يزل يدير على خصور هذه الالفاظ الرقيقة وشاحات معانيه البديعة الى أن قال

اكسبنى نشوة بطرف * سكرت من خمره فعربد

غصن نقا حل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد

فمن رأى ذلك الوشاح الصائم صلى على محمد

ومثله قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين يوسف مطلعها

انا من ربة الخلخال جاره * تواصل تارة وتصد تاره

تعاملنى بما يحلى سلوى * ولكن ليس فى جوفى مراره

ولم تزل أعين هذا الغزل الرقيق تغازله الى ان قال

وقالوا قد خسرت الروح فيها * فقلت الربح فى تلك الخساره

بأيسر نظرة أسرت فؤادى * كما نشأ اللهيب من الشراره

ويفتك طرفها فيقول قلبى * أشن ترى صلاح الدين غاره

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك الامجد

ظبية حكم ظبا مقلتها * عزة الظبى وذل الاسد

تجهيزى فى هذه الرقعة بكتاب يطرزبه مقدمى فعل ان شاء الله

(وله اليه ايضا)

خادم الشيخ قد اتبع فى الخدمة قلمه وأتلى لسانه فى الحاجة بنانه وقد كان استأذنه فى توفيره هذا اليوم على مجلس السيد فاذن على عادته الكريمة وشيمته اليتيمة ومن وجد كلأ رتع ومن صادف غيثا انتجع ومن اجيب الى الحاجات سأل وبقى ان يشفع الشيخ بازاء الحوض عفره ويقطم الى روض الاحسان مطره ويطرز أنسنا بالشيخ ابى فلان فقد وصف حتى حبات شوقا اليه ووجدا به وشغفا له وغلوا فيه ورأيه فى الاصغاء الى الكرم عال ان شاء الله تعالى (وله جواب عما كتب اليه تهنئة عن مرض ابى بكر الخوارزمى

كنت فى ترك الهوى مجتهدا * وهى كانت زلة المجتهد

كملت حسنا فلولا بخلها * خلتها بعض خلال الامجد

ومن المخالص التى نقلتها من ناصح بن قلاقس قوله من قصيدة يمدح بها ابا المنصور نور الدين محمود اعين الامراء بالديار المصرية

ماذا على العيس لو عادت بربتها * بقدر ما انتقاضاها المواعيدا

رد الركاب لامرءٍ عن فى خلدى * وسمعه فى بديع الحب ترديدا

وقف ابثك مالان الحديد له * فان صدقت فقل هل آبت داودا

حلت عرا النوم عن أجفان ساهرة * ردّ الهوى هدبها بالنجم معقودا

تفجرت وعصا الجوزاء تضرب بها * فاذ كرتنى موسى والجلاميدا

وما احلى ما قال بعده كناية عن طول الليل

يا ثعاب الصبح يا سرحان اوله * كل الثريا فقد صادفت عنقودا

ولم يزل ينثر هذه العقود الثمينة مع تفخيم هذا النظم الى ان قال

مالى وما للقوافى لا أسيرها * الا وأقعد محروما ومحسودا

أسكرتهم بكؤس الراح مترعة * ولم أنل منهم الا العرابيدا

سمعت بالجود مفقودا فهل أحد * يقول انى وجدت الجود موجودا

الحمد لله لا والله ما نظرت * عيناى بعد ابى المنصور محمودا

هذا المخلص حلاه نصر الله بن قلاقس مع زيادة حسنة بشعار التورية ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الشيخ سديد الدين المعروف بالمصرى مطلعها

اروا الجلنار من الخدود * واخفوا عنه رمان النهود

وقال بعده

وحلوا مقلتيه بدر دمع * تبسم فى المخانق والبرود

وما غرسوا نخيل العيس الا * وهم فيها من الطلع النضيد

سقى مصرا وسا كنها ملث * طليل البرق صخاب الرعود

مواردى لها ظمأ شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

هل الرأى السديد البعد عنها * نعم ان كان للشيخ السديد

ويعجبنى من مخالص القاضى السعيد هبة الله بن سنا الملك قوله من قصيدة يمدح بها القاضى الفاضل اتى فيها بحسن التخلص ولم يخلص من اشراك عيون الغزل لغرابة اسلوبها

ضنت بطرف ظل يعدى سقمه * أرأيتم من ضن حتى بالضنى

يا عاذلين جهلتم فضل الهوى * وعذلتم فيه ولكنى انا

انى رأيت الشمس ثم رأيتها * ماذا على اذا هويت الاحسنا

وسالت من اى المعادن ثغرها * فوجدت من عبد الرحيم المعدنا

وما احلى ما قال بعد المخلص

ابصرت جوهر ثغرها وكلامه * فعلمت حقا ان هذا من هنا

الحسن اطال الله بقاءك لاسيما اذا عرف الدهر معرفتى ووصف احواله صفتى اذا نظر علم ان نعم الدهر ما دامت معدومة فهى أمانى فان وجدت فهى عوارى وان محن الزمان وان مطلت فستنفد وان لم تصب فكان قد فكيف يشمت بالمحنة من لا يأمنها فى نفسه ولا يعدمها فى جنسه والشامت ان افلت فليس يفوت وان لم يمت فسيموت وما اقبح الشماتة بمن أمن الاماتة فكيف بمن يتوقعها بعد كل لحظة وعقب كل لفظة والدهر غرثان طعمه الخيار وظمآن شربه الاحرار فهل يشمت المرء بانياب آكله ام يسر العاقل بسلاح قاتله وهذا الفاضل شفاه الله وان ظاهر بالعداوة قليلا فقد باطناه ودا جميلا والحر عند الحمية لا يصطاد ولكنه عند الكرم ينقاد وعند الشدائد تذهب الاحقاد

ومثله

ومثله قوله من قصيدة يمدح بها الملك المعظم مطلعها

تقنعت لكن بالحبيب المعمم * وفارقت لكن كل عيش مذمم

وما أحلى ما قال بعده

وباتت يدي في طاعة الحب والهوى * وشاحا لخصر او وسادا لمعصم

وما ابدع ما قال منها

سعدت ببدر خده برج عقرب * فكذب عندي قول كل منجم
وأقسم ما وجه الصباح اذا بدا * باوضح من جبهة عند لثمي
ولا سيما لما مررت بمنزل * كفضلة صبر في فؤاد متيم
وما بان لي الا بعود أراكة * تعلق في أطرافه ضوء مبسم

سبحان المانح والله لقد أحرز القاضي السعيد قصبات السبق برقة هذه الالفاظ وغرابة هذه المعاني ولقد خلب القلوب وجلا ظلمة الافهام بقوله

وما بان لي الا بعود أراكة * تعلق في اطرافه ضوء مبسم

واظنه من المخترعات والله اعلم * وما احلى ما قال بعده

وقفت به اعتاض عن لثم مبسم * شهي لقلبي لثم آثار منسم
ولم ير طرفي قط شملا مبددا * يقابله الا بدمع منظم
ولم يسل قلبي أوفي عن غزالة * وعن غزل الا بمدح المعظم

ومن المخالص البديعة قول صاحب بهاء الدين زهير من قصيد يمدح بها الامير نصير الدين اللمطي * مطلعها

لها خفر يوم اللقاء خفيرها * فما بالها ضنت بما لا يضيرها

وما ألطف ما قال بعده

اعادتها أن لا يعاد مريضها * وسيرتها أن لا يفك اسيرها

ولم يزل هائما في طريقه الغرامية الى ان قال

وها انا ذا كالطيف فيها صبابة * لعلي اذا نامت بليل آزورها

هذا المعنى قلبه الصاحب بهاء الدين زهير على من تقدمه فيه وسبكه في اغرب القوالب البديعية وأظنه من مخترعاته * ثم قال بعده

من الغيد لم توقد مع الليل نارها * ولكنها بين الضلوع تثيرها
تقاضى غريم الشوق مني حشاشة * مروعة لم يبق الا يسيرها
وان الذي ابقته منها يد الهوى * فداء بشير يوم وافى نصيرها

هذا المخلص استعبد الصاحب بهاء الدين زهيرا رقيق ألفاظه بحشمة توريته ومثله في الحسن قوله من قصيد يمدح بها الملك الناصر صلاح الدين بن العزيز مطلعها

عرف الحبيب مكانه فتدللا * وقنعت منه بموعد فتعللا

وما أظرف ما قال بعده

وأرى الرسول ولم أجد في وجهه * بشرا كما قد كنت أعهد أولا

فلا تتصور حالي الا بصورتها من التوجع لعلته والتحزن لمرضته وقاه الله المكروه ووقاني سماع السوء فيه بحوله ولطفه
(وله رقعة كتبها الى الشيخ ابي علي)
سوء الادب من سكر الذنب وسكر الغضب من الكبائر التي تنالها المغفرة وتسعها المعذرة وقد جرى بحضرة الشيخ ماجرى وقد أفنيت يدي عضا واسناني رضا وان لم أوف ما جرى فالعذر امد حظا فان كان بساطا وطوى وحديثا لا يروى فاولى من عذر اللاعب وأحرى من غفر الصاحب وان كان مبثا ينشر وسببا يذكر فليكن العقاب ما كان اذا لم يكن الهجران على اني قد أخذت قسطي من العقاب واستفدت من رد الجواب ما كفى واوجع القفا

ولم يزل يدير كاسات صبابته الغرامية الى أن قال

آها لقلب ما خلا من لوعة * ابدا يحن الى زمان قد خلا
ورسوم جسم كاد يحرقه الهوى * لولم تبادره الدموع لأشعلا
ولقد كتمت حديثه وحفظته * فوجدت دمعي قد رواه مسلسلا
أهوى التذلل في الغرام وانما * يأبى صلاح الدين ان اتذللا

وما أحلى ما قال بعد المخلص

مهدت بالغزل الرقيق لمدحه * واردت قبل الفرض ان اتنفلا

ويعجبني ايضا من مخالص القاضي كمال الدين بن نبيه قوله من قصيدة يمدح بها الخليفة الناصر لدين الله مطلعها

باكر صبوحك اهنى العيش باكره * فقد ترنم فوق الايك طائره

ثم قال بعده

والليل تجري الدراري في مجرته * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

ولم يزل يتلاعب بهذه المعاني المخترعة الى ان قال

خذ من زمانك ما اعطاك مغتنما * وأنت ناه لهذا الدهر آمره
فالعمر كالكاس تستحلى اوائله * لكنه ربما مجت اواخره
واجسر على فرص اللذات محتقرا * عظيم ذنبك ان الله غافره
فليس يخذل في يوم الحساب فتى * والناصر ابن رسول الله ناصره

ويعجبني من مخالصه الموسويات قوله من قصيدة مطلعها

يانار اشواقي لا تخمدي * لعل ضيف الطيف ان يهتدي

ولم يزل راتعا في رياض غزلها الى ان قال

غازلنا من نرجس ذابل * وافتر عن نوار قاح ندي
وقام يلوي صدغه قائلا * لا تغتروا بي فكذا موعدي
فقلت يالله مات الوفا * فقال موسى لم يمت خذ بيدي

وقوله من المخالص الاشرفيات الموسويات في بيت المخلص الذي يستغني بتمكنه وقوته عن ذكر ماقبله

ياطالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا ابا الفتح يا موسى وقد فتحت

ومن مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيدة

بتنا وقد لف العناق جسومنا * في بردتين تكرم وتعفف
حتى بدا فلق الصباح بجحفل * راياته رنك المليك الاشرف

ويعجبني من مخالصه الاشرفيات ايضا قوله من قصيدة

يذود شبا القنا عن وجنتيها * كمنع الشوك للورد الجني
اذا مارمت اقطفه بعيني * يقول حذار من حرمي وبي

فكان من موجب ادب الخدمة ابقاء الحشمة لولي النعمة باحتمال الشتم والاغضاء عن الخصم لكني احتفت بي ثلاثة أحوال لا يصلح صاحبها منها اللعب وسكره والخصم وهجره والادلال والثقة وهن اللواتي حملتني على ماء الوجه أهرقته وحجاب الحشمة خرقته وقد منعني الآن فرط الحياء من وشك اللقاء وعهدي بوجهي وهو أصفق من العدم الذي جنى على جهله واوقح من الدهر الذي احوجني الى اهله لكن النعم اذا توالت على وجه رققت قشرته والانت بشرته وانا منتظر من الجواب ما يريش جناحي الى الخدمة فان رأى ان يكتب فعل ان شاء الله

(وله أخرى)

ما احوجني من الشيخ الى تفضل يطلق عن وثاقي وان

لسان السيف من ادنى وشاتى * ومن رقبائى طرف السمهرى
كان لجفنها فى كل قلب * فعال المشرفى الاشرفى

ويعجبنى من مخالص الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله من قصيد يمدح بها القاضى فتح الدين بن عبد الله الظاهر تحمس فى غزلها وتغزل فى تحمسها الى المخلص مطلعها

ارح يمينك مما انت معتقل * امضى الاسنة ما فولاذه الكحل

وما احلى ما قال بعده

يامن يربى المنايا واسمها نظر * من السيوف المواضى وأسمها مقل
مابال ألحاظك المرضى تحاربنى * كأنما كل لحظ فارس بطل
من دونها كتب من دونها حرس * من دونها قضب من دونها اسل
ومعشر لم تزل فى الحرب تبصرهم * حمر الخدود وما من شأنها الخجل
يثنى حديث الوغى اعطافهم طربا * كأن ذكر المنايا بينهم غزل
من كل ذى طرة سوداء يلبسها * وشيبها من غبار النقع منتصل
ضاءت بحسنهم تلك الخيام كما * ضاءت بوجه ابن عبد الظاهر الدول

وطالعت تقطيف الجزار فاعجبنى منه مخلص قصيد يمدح بها الامير جمال الدين موسى بن يغمور *مطلعها

نقلت لقلبى ما بجفنيك من كسر * وعلمت جسمى بالضنى رقة الخصر

ولم يزل الجزار يتقطف ما تشتهيه النفس من هذا النوع الى أن قال

وهيفاء تحكى الظبى جيدا ومقلة * رنت وانثنت فارتعت بالبيض والسمر
جسرت على لثم الشقيق بخدها * ورشف رضاب لم أزل منه فى سكر
ولست أخاف السحر من لحظاتها * لانى بموسى قد أمنت من السحر

وما أحلى ما قال بعد تخلصه بموسى

فتى ان سطا فرعون فقر وجدته * يغرقه من جود كفيه فى بحر
له باليد البيضاء أعظم آية * اذا اسودت الايام من نوب الدهر

ومن مخالص الشيخ جمال الدين بن نباته التى هى أوقع فى القلوب من خالص الوداد * ونوريتها انفس من خلاصة العقود فى الاجياد * قوله من قصيد يمدح بها قاضى القضاة تاج الدين السبكى مطلعها

واحيرتى بظلام الطرة الداجى * وشقوتى بنعيم المبسم العاجى

ولم يزل يكرر حلاوة هذا النبات الى أن قال

قد أسرج الحسن خديه فدونك ذا * سراج خد على الا كباد وهاج
وألجم العزل فاركض فى محبته * طرف الهوى بعد الجام واسراج
وقسم الشعر فاجعل فى محاسنه * شذر القلائد واحد الدر للتاج

ومثله قوله من قصيد يمدح بها القاضى جمال الدين بن الشهاب محمود مطلعها

آذنته بفراقى وماذاك رضا
منى ولكن استزادة من
نيسابور قد أطارت نومى
وأطالت يومى فليتفضل
الشيخ بكتاب الى الامير ان
لم يتسع وقته لغيره وليعمله
نقدا لا يضرب له وعدا فقد
انتهت نهية المقام فقد
احال الشيخ الامر عليه
ومتى أخره احتجت الى
الخروج من غير استصحابه ثم
أرى ذلك من كتبت له واما
الرشأ الذى ذكره فقد شغل
هذا المهم عنه وانا انتظر
تفضله فى هذه الساعة فليس
يحتمل الوقت المطل

(وله الى الشيخ العميد)

اين تكرم الشيخ العميد على
مولاه وكيف معدلة الى
سواه ايقصر فى النعمة
لانى قصرت فى الخدمة
اذا قد اسأت المعاملة ولم
تحسن المقابلة وعثرت فى
اذيال السهو ولم تنعش
بيد العفو ام تقول ان الدهر

بأبي نافر كثير الدلال * ان هذا النفار شأن الغزال

ثم قال بعده

حبذا منه مقلة لست أدرى * أبهدب تصول أم بنبال
صنفت شجونا بغزال جفن * فقسرا أنا مصنف الغزال ى
وهو بنا حلو القوام فنادت * لاعجيب حلاوة العسال
من معيني على هوى زاد حتى * أهملته نصائح العذال
لو رأى عاذلى حقيقة أمرى * لرثانى ولا اقول رثى لى
فى جمال الحبيب ثت شجونا * وبروحى افدى تراب الجمال

ومثله قول الشيخ برهان الدين القيراطى من قصيد يمدح بها الامير سيف الدين الكريمى مطلعها

غرامى فيك يا قمرى غريمى * وذكرك فى دجى ليلى نديمى

وقال بعده

وملنى الجسيم وصدّعنى * ومالى غير دمعى من حميم
وكم سأل العواذل عن حديثى * فقلت لهم على العهد القديم
وعم تساءلون ولى دموع * تخبرهم عن النبا العظيم

ولم يزل القيراطى يصور ابريز هذه المعانى الى أن قال

فوعده وناظره وجسمى * سقيم من سقيم فى سقيم
كريم مال بخلا عن ودادى * فلت لنحو مخدوم كريم

الغائص بالتورية على هذا النمط طريقها مخوف وباب مسالكها مقفل لاسيما على من كفه من هذا الفن صفر ورجله حافية وليس له محمل ومن مخالصى التى ما برحت التورية فى ابواب بيوتها خادمة وكم سلكت هذا الطريق المخوف وعادت الى بيوتها سالمة قولى من قصيد امتدح بها شرف الدين صدقة بن الشماع الشهير فى دمشق بابن مسعود وكان من اعز الاصحاب وممن رشف معنا فى ذلك العصر سلافة الآداب مطلعها

سهام جفنيك فى العشار شقه * رفقا فمهجة الشجى درقه

وبكر هذه القافية انا ابو عذرتها واول من حصل له الفتح فى تحريك نكتتها وقلت بعد المطلع منها

انفقت عمرى وحقى شغفا * عليك والصبر آخر النفقه
غصن خلاف يميس من خفر * قلوبنا فى هواه متفقه
قوامه فى اعتدا له الف * سبحان من مده ومن مشقه
عيناى بالثغر مع ذوائبه * فى اوّل الاصطباح مغتبقه
امير حسن بقرطه ظهرت * له جنود لكن من الحلقه
عامريت الوصال خربه * وقال ما أنت هذه الطبقه
بدر منير قسا برؤيته * لكن نرى عند خده شفقه

بيننا خدع وفيما بعد مقسح فقد أزف رحيلى ولاماء بعد الشط ولا سطح وراء الخط ام بنتظر سؤالى وانما سألته يوم أملته واستمحته حين مدحته واقتضيته وقت أتيته وانتجعت سحابه لما أتيت بابه وليس كل السؤال أعطى ولا كل رداء عقنى أم يظن انى أرد صلته ولا ألبس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا أنها باطلة ومخيلة العارف الا انها فاسدة ام ليس يجدنى مكانا النعمة يضعها وأرضا للمنة يزرعها فلا أقل من تجربة دفعة والمخاطرة بانفاذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين ولينظر أأشكر أم أكفر أم بتوقع صاعقة تملكنى او داهية تهلكنى فهذا امل موفر لان شيخ السوء باق معمر ام يقدر انى اشكره اذا اصطنع واعذره اذا منع وبالله لو كنت ينبوع المعاذير ما خطى منى بجرعة

قالوا البدر التمام منه ضيا * قلت وعيش الهوى لقد محقه
وجل الصبح من محاسنه * أنقال نور لكنه فلقه
وماس فى الروض كل غصن نقا * غدا الى الله رافعا ورقه
وانظر الى الظبى كيف يرمقه * ويأخذ الغنج منه بالسرقه
فقيل والظبى ما يقابله * فقلت والله ماله حدقه
قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بحبه رشقه
خفت من القتل رحت أملقه * سابقنى مدمعى جرى ملقه

ولم أزل ناشرا علم التورية الى أن وصلت الى المخلص بها فقلت

طرقت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة اللقا حنقه
قالوا فما تبتغى فقلت لهم * حتى تخلصت أبتغى صدقه

قولى حتى تخلصت لا يخفى ما فيه من زيادة الحسن على أهل النظر من أهل الادب ومثله قولى من قصيدة مصغرة مدحت بها قاضى القضاة شمس الدين النويرى مطلعها

طريفى من لييلات الهجير * مقيرح الجفين من السهير

وقلت بعد المطلع

بعيد غزيلى وجويرقلبى * دميعى فى وجيفانى جويرى
بديوى تريكى المحيا * غويب عن عويشقه الصغيرى
عيينى الصيفاه وجيه * ضوى نويره لبنى بديرى
حياه مقيلتيه سبا عقيلى * ولكن الخديد غدا جبيرى
رويض وجينتيه لعنيدى * نسيب فى التظليم الى زهير
سبيل الشعير على كفيل * يذكرنا مويجات البحير
بدير فى الظهير له نوير * مثيل شكله مافى العصير
حويجبه القويس له سهيم * مويض فى القليب بلا وتير
شفيفته قفيل من عقيق * مقيفيل على درّ الثغير
عذيره النويزل دار حتى * تشوق للتزيل والدوير
لثمت خديده فجرى دميعى * فما أحلى الزهير على النهير
دنينير الوجيه له بقلبى * نقيد ليس يصرف عن صديرى
اتاه سويئلا يوما دميعى * فقال انا جعيدىّ الشعير
شهير وصيله عندى يويم * ويوم هجيره مثل الشهير
تبسم لى سحيرا عن رويض * فقلت ولى دميع كالمطير
نثرت دميعتى بنظيم ثغير * فما أحلى النظيم مع النثير
لفيظك والمقيلة مع نظيمى * سحير فى سحير فى سحير
شعيرك مذ أضلّ عويشقيه * هدينا فى الظليمة بالنوير

ولم استطرد الى غالب ابيات هذه القصيدة الالغرابة أسلوبها فانى لم أزل اجذب القلوب

فليرجنى بشرعة أم يرجوانى امهله حتى اعود من هراة والشيطان أعقل من ان يوسوس اليه بهذا أو يسوّل لدىّ ذلك وأنا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صددت وقد فعلوا فوق مقدارهم ودون ماقدرت فليصحبنى من الفعل تذكرة أو من القول معذرة وليصرف على أمره ونهيه بهسراه يشرفنى بها ان شاء الله

(وله فى رجل ولى الاشراف)

فهمت رقعتك وسررت بسلامتك وفهمت ماذكرته من امر فلان اعنى الاشراف وانه وان يصدق الظن يكن اشرافا على الهلاك يسد الاتراك فلا يحزنك فالحبل لا يبرم الا للفتل ولا تعجبنك خلعته فالثور لا يزين الا للقتل ولا يرعك نفاقه فارخص مايكون النفط اذا غلى واسفل مايكون الارنب اذا علا

الى تحبيب تصغيرها * ومغازلة عيون أغزالها * الى ان ابدو بدر مخلصها فى آفق توريته *

ومثله قولى من قصيد كتبت بها من حماة المحروسة الى المقر المرحومى الامينى صاحب ديوان الانشاء الشريف بدمشق المحروسة

يا نزولا جى الفراديس بالشا * م واعلامهم على قاسيونا
بالنسيم العليل منكم اذاهب * على الغور و الربا عللونا
وارحموا سائل الدموع وبالله * عليكم لاتنهروا السائلينا
واذا ما نهرتم الدمع نهرا * لاتخوضوا فيه مع الخائضينا
حبكم فرضنا وسيف جفاكم * قد غدا فى بعادنا مسنونا
والحشا لم تخن عهود وفاكم * وسلوا من غدا عليها أمينا

ومثله قولى من قصيد كتبت بها من طرابلس المحروسة الى سيدنا قاضى القضاة تقى الدين ابن الحنبلى الحنفى بحماة المحروسة نور الله ضريحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه

فيا ساكنى مغنى حماة نعمتم * صباحا ولا القيتم فى الورى ذكرى
فودّى وذى مثل ما تعهدونه * ولكن صبرى عنكم عاد كالصبر
وقد كنت أخشى هجركم قبل بعدكم * فلما بعدتم قلت آها على الهجر
وان جات فى ميدان تقلى تشوقا * تسابقنى خمر المدامع بالنثر
وشيبى همى كلما رام بعدكم * يحاربنى ناديت يالابى بكر

قد تقدم وتقرر أن مخالص التورية صعب مسلكها على كثير من الناس ولم أبرز بدورها هنا كاملة الا لنزول عن الطالب ظلمة الالتباس وانشدنى من لفظه لنفسه الكريمة أحد أعيان العصر المقر الجدى فضل الله بن مكانس فسح الله فى اجله مخلصا من غزل الى مديح نبوى وهو

كم جدا السامعون وصلى * لغادة قينة وأغيد
فعدت عنه تقى وعودى * لمدح خير الانام احمد

هذا المخلص حلاه المقر الجدى بشعار التورية وخفر المديح النبوى ومخلص الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

الشيخ صفى الدين تخلص فى بيت واحد ووثب من شطره الاول الى شطره الثانى على الشرط المعروف وهذا المنوال قد تقرر أنه عليه عقدت خناصر المتأخرين ولكن الشيخ صفى الدين وثب وثبة ضعيفة دلت على ضعف تخلصه فان بيته بمفرده غير صالح التجريد وقد تقدم القول على بيت القسم من قصيده انه غير صالح التجريد أيضا فانه لم يأت بجواب قسمه الا فى بيت الاستعارة وعلى كل تقدير ان لم يؤت ببيت القسم وبيت الاستعارة قبل بيت التخلص لم يحصل به فائدة ولا يسير على مخلصه طلاوة الادب ويصير بينه وبين الاذواق السليمة مباينة وقد تعين ان أورد بيت القسم وبيت الاستعارة هنا ليصيرا لمخلصه الضعيف

وكالمشبه وقد شن عليه بوان العود شن المطر الجود وقيده مركب الغبار من مربط الغبار واعتاض الحبل ليصفع كما صفع من قبل وسيعود تلك الحالة الحالة وتنقلب تلك الحبل حبالة فلا تحسد الذئب على الالية يعطاها طعمة ولا تحسب الحب بفخ العصفور نعمة وهبه ولى امارة ما بين البصرين اليس مرجعه ذلك العقل ومصيره ذلك الفضل ومنصبه ذلك الاصل وعصارته ذلك النسل وقعدته تلك الاهل وقوله ذلك القول وفعله ذلك الفعل وكان ماذا اليس ماسلب أكثر مما أعطى وما حرم افضل مما أولى وما عدم اوفر مما غنم مالك تنظر الى ظاهره وتعمى عن باطنه اكان يجب ان تكون قعدته فى بيتك وبغلته من تحتك

تكاتين وهما

لاتقبتني المعالي يابن بجدتها * يوم الفخار ولا برّ التقى قسمي

ان لم أحث مطايا العزم مثقلة * من القوافي تؤم المجد عن أمم

من كل معربة الالفاظ معجمة * يزينها مدح خير العرب والعجم

وابن الشيخ صفي الدين الحلي من قول كمال الدين بن نبيه وقد تقدم

يا طالب الرزق ان سدت مذاهبه * قل يا أبا الفتح يا موسى وقد فتحت

هذا التخلص لحسن تجريده يستغني به عن قصيده وقد تقرر ان نظام البديعيات التزموا أن يكون كل بيت منها شاهدا على نوعه بمجرده ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وتخلص العميان مثل تخلص الشيخ صفي الدين الحلي أيضا فانه غير صالح للتجريد وما تتم به الفائدة ان لم يأت ناظمه بما قبله وعلى مذهب أصحاب البديعيات ما يصلح أن يكون شاهدا وهو

يمم بنا البحران الركب في ظما * فقلت سيروا فهذا البحر عن أمم

وقد تقدم قولي ان العميان أتوا في براعة الاستهلال بصريح المدح وهو قولهم فيها

بطيبة انزل ويمم سيد الامم * وانشر له المدح وانثر طيب الكلم

فاذا حصل التصريح بالمدح في المطلع الذي هو براعة الاستهلال لم يبق لحسن التخلص موقع فان حسن التخلص من شرطه ان يخلص الشاعر من الغزل الى المديح لا من المديح الى المديح وأيضا فان النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن له في التخلص ذكر ولكنه استغنى بذكر البحر فانه جعله كناية عن كرم النبي صلى الله عليه وسلم وتخلص الشيخ عز الدين في بديعيته

حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا * بمدح أكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين صرح بذكر حسن التخلص في أول البيت هنا وجل القصد ان يكون التصريح به في الشطر الثاني مع انه لم يأت بحسن التخلص على الشروط المقررة فانه انتقل من معنى الى معنى أخر من غير تعلق بينهما كأنه استبدأ كلاما آخر وقد تقدم القول في أول الباب ان هذا النوع اذا نسج على هذا المنوال سمي اقتضابا ولم يكن له حظ في حسن التخلص فان الشيخ عز الدين قال قبل تخلصه

وارع النظير من القوم الاولى سلفوا * من الشباب ومن طفل ومن هرم

ثم قال بعده

حسن التخلص من ذنبي العظيم غدا * بمدح اكرم خلق الله كلهم

الشيخ عز الدين استبدأ هنا كلاما آخر وليس بين بيت التخلص وبين ما قبله علاقة ولا أدنى مناسبة * وبيت بديعيتي

ومن غدا قسمه التشبيب في غزل * حسن التخلص بالمختار من قسمي

هذا البيت مايشك متادب انه اعمر بيوت البديعيات وهو في غنية عن الاطناب في وصفه

(ذكر الاطراد)

(محمد بن الذبيحين الأمين ابو البتول خير نبي في اطرادهم)

الاطراد في اللغة مصدر اطرد الماء وغيره اذا جرى من غير توقف وفي الاصطلاح أن يذكر

ام كان يسرك أن تكون اخلاقه في اهابك وبوابه على بابك ام كنت تود أن تكون وجماؤه في ازارك وغلمانه في دارك ام كنت ترضى ان تكون في مربطك افراسه وعليك لباسه وراسك راسه جعلت فداك ماعندك خير مما عنده فاشكر الله وحده على ما آتاك

ان الغني هو الراضي بقسمته * لامن يظل على مافات مكتئبا

(وله الى الشيخ الامام ابي الطيب سهل بن محمد من سرخس)

كتابي اطال الله بقاء الشيخ من سرخس وانا سالم والحمد لله رب العالمين وقد كان الشيخ يعدني عن هذه الحضرة عدات اشم لها الانف لا ذهابا بتلك الفواضل عنها لكن استصحابا من هذا الزمان ان يجود بها فحين اشرفت على الحضرة ماجت على امواج الشرف منها وخلص الى نسيم

الاطراد

الشاعر اسم الممدوح واسم من أمكنه من آبائه في بيت واحد على الترتيب ولا تخرج عن طرق السهولة ومتى تكلف أو تعسف في بناء بيته لم يعد اطرادا فان المقصود من هذا النوع أن يكون كلام الناظم في سهولة جريانه واطراده كجريان الماء في اطراده فمتى جاء كذلك دل على قوة الشاعر وتمكنه وحسن تصرفه وقد تقدم القول ان الشيخ صفي الدين ما نظم بديعيته حتى جمع عنده سبعين كتابا في هذا الفن يجتني من أوراقها كل ثمرة شهية ورأيته في شرح بديعيته قد أورد لهذا المعنى حدا فيه زيادة على الجماعة فانهم لم يزيدوا على اسم الممدوح واسم من أمكن من آبائه شيأ والشيخ صفي الدين نقل في شرح بديعيته أن الاطراد عبارة عن اسم الممدوح ولقبه وكنيته وصفته اللائقة به واسم من أمكن من أبيه وجده وقبيلته ليزداد الممدوح تعريفا وشرط ان يكون ذلك في بيت واحد من غير تعسف ولا تكلف ولا انقطاع بالفاظ أجنبية وأورد على ذلك قول بعضهم

مؤيد الدين أبو جعفر * محمد بن العلقمي الوزير

هذا البيت جمع ناظمه فيه بين اللقب والكنية واسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو القدر الذي قرره الشيخ صفي الدين في الحد الذي أورده في شرحه وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتي لاجل المعارضة * ومثله قول بعض المتأخرين في زكي الدين بن ابي الاصبع

عبد العظيم الزكي ابن أبي الاصبع رب القريض والخطب

هذا البيت اشتمل أيضا على اسم الممدوح واسم أبيه والصفة اللائقة به وهو صالح لمجرد المدح ولكن عقبه الناظم بأبيات مشتملة على صريح الهجو كان الاوجب عدم ايرادها هنا حفظا لمقام الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع ولكن براءة نظر فيها ركبت صهوة القلم واطلقت عنانه فانه قال بعده

يزعم اني بالهجو أذكره * تعصبا منه ساعة الغضب
الكني والطلاق يلزمني * ما ملت فيه يوما الى الكذب
نكت ابنه واخته وخالته * ونكت قدما أخاه وهو صبي
ولست فيما أتيت مبتدعا * قد كان هذا في سالف الحقب
ناك أبي امه وجدته * وعمتيه لله ذر أبي
ونحن في بيته على دعة * النيك ما بيننا الى الركب

واما شواهد هذا النوع المشتمل على اسم الممدوح واسم أبيه وجده من غير كنية ولقب وصفة فمنها قول الشاعر

من يكن رام حاجة بعدت عنه * وأعيت عليه كل العياء
فلها احمد المرجى بن يحيى بن معاذ بن مسلم بن رجاء

قال الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع لقد أربى هذا الشاعر في هذا النوع على من تقدمه ولو سلم بيته من الفصل بلفظة المرجى لكان غاية لا تدرك وعقيلة لا تملك انتهى كلام

الكرم عنها وتلقيت على رسم الاجلال بمركوب عز شامخ وموكب ذهب سابغ وحنيني تشرف رائد وسرت على اسم الله محفوفا باعيان الكتاب وعيون الرجال حتى شافهت بساط العز مستقبلا عاتك الشرف فجذب بضبعي عن ارض الخدمة الى جوار ولي النعمة فاهتز اهتزاز فات سمة الكرام وتجاوز اسم الاعظام الى القيام فقبلت من يمناه مفتاح الارزاق وفتاح الآفاق ولحقته بقاب العقاب تخاطبني بمخاطبات تشدت بها ضالة الآمال وهلم جرا الى ما ينبه بها من جميل الانزال ومن الانزال تطرات من من الشيخ العميد على شخص يسعه الخاتم ولا يسعه العالم ونفس تهتز عند المكارم كالغصن وتثبت عند الشدائد

الشيخ زكى الدين بن ابى الاصبع * وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

محمد المصطفى الهادى النبى أجـل المرسلين ابن عبد الله ذى الكرم

الشيخ صفى الدين أتى فى هذا البيت باسم الممدوح صلى الله عليه وسلم والصفات اللائقة به واسم أبيه وبيت العميان فى بديعيتهم

قد أورث المجد عبد الله شيبة عن * عمرو بن عبد مناف عن قصيهم

الذى أقوله أن بيت العميان فى غاية التكلف والتعسف * ولعمرى ان ناظمه خالف أمر مشايخ البديع فى المشى على طريق السهولة والانسجام وأيضا فان النبى صلى الله عليه وسلم هو الممدوح فى هذه القصيدة بكمالها وليس له ذكر فى هذا البيت فعلى هذا التقدير هو غير صالح للتجريد مع ما فيه من العقادة * وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

محمد ابن عبد الله شيبة جده ابن عمرو كرام فى اطرادهم

أقول ان بيت العميان فى غاية السهولة عند هذا البيت وهذا القدر اللى من اطلاق لسان القلم فى الكلام عليه * وبيت بديعيتى

محمد بن الذبيحين الامين أبو الـ * ـبتول خير نبى فى اطرادهم

هذا البيت أيضا فيه اسم الممدوح صلى الله عليه وسلم وذكر أبيه وهو أحد الذبيحين لان أباه عبد المطلب كان قد نذر ذبح أحد اولاده اذا صاروا عشرة فلما كملت له العشرة أقرع بينهم فوقعت على عبد الله ففداه بمائة من الابل وهو أول من ودى بذلك وكانت الدية قبل ذلك عشرا وفى البيت اشارة الى جده اسمعيل عليه السلام وتفسير هذا الاسم مطيع الله الذبيح وقال صلى الله عليه وسلم أنا ابن الذبيحين وفيه الصفة المعدودة من اسمائه الشريفة والصفة اللائقة بمقامه العالى واسم النوع البديعى فى القافية مورى به من جنس المديح * والذى يظهر لى أنه أرق من بيت العميان وبيت الشيخ عز الدين وأكثر معانى من بيت الشيخ صفى الدين والله أعلم

(ذكر العكس)

(عين الكمال كمال العين رؤيته * ياعكس طرف من الكفار عنه عمى)

العكس فى اللغة ردّ آخر الشئ على أوله ويقال له التبديل وفى الاصطلاح تقديم لفظ من الكلام ثم تأخيره ويقع على وجوه كثيرة ولكن المراد هنا ما استعمل منها وكثر استعماله فالمقدم فى هذا الباب قوله تعالى تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحىّ من الميت وتخرج الميت من الحىّ العكس هنا مميز بعلو طباقه وبشرف القدرة الالهية التى لا تصدر الا عن عظمة الله التى جلت قدرته وبلاغة القرآن وايجازه وفصاحته وعلى كل تقدير فالعكس نوع رخيص بالنسبة الى ما فوقه من أنواع البديع الغالية وان لم يصوّب البليغ عكسه بنكتة بديعية تنظمه فى سلك أنواع البديع فهو مستقر على عكسه * كقول القائل

زعموا أنى خون فى الهوى * فى الهوى أنى خون زعموا

هذا البيت ليس فيه نكتة تزيل عنه العكس وتحليه بشعار البديع ولو اراد الشاعر ان يرتجل مثله ماشاء فى مجلس واحد لكان ذلك قدرا يسيرا وأين هذا الناظم من أبى تمام وقد قال

كالنكر وسلطان يعلم حلم السيف مغمدا ويغضب غضبه مجردا فهو عند الكرم لين كصفحته وعند السياسة خشن كقشرته وملك يأتى الكرم نشبة والخير سجية ويفعل الشر كلفة أو خطيئة فهو ضرور باكلائه نفوع بذاته عطارد قلمه ودواته مريخ سيفه وقناته حسب لاعب فيه فيصرف عين الكمال عن معاليه وصادفت من الشيخ الموفق ملكا يشاهد عيانا وجبلا قد سمى انسانا وحسنا قد ملئ احسانا واسدا قد لقب سلطانا وبحرا أمسك عنانا وحطت رحلى بفناء الامير الفاضل أبى جعفر فوجدت حكمى فى ماله أنفذ من حكمه وقسمى من غناه أكبر من قسمه واسمى فى ذات يده مقدما على اسمه ويدى الى خزانته أسرع من يده وان

العكس

له بعض حساده لم لايقول مايفهم فقال له على الفور لم لاتفهم مايقال * واين هو من قول الحكيم الذى قيل له لم تمنع من يسألك فقال لئلا أسأل من يمنعنى * وأين هو من كلام الحكيم الذى قال اذا لم يكن ماتريد فأرد مايكون وقيل انه ورد فى الحديث جار الدار أحق بدار الجار * وما أبلغ قول الحسن بن سهل هنا وقد قيل له * لاخير فى السرف فقال لاسرف فى الخير * ويروى لأمير المؤمنين هرون الرشيد من النظم فى هذا الباب

لسانى كتوم لاسرارهم * ودمعى بسرى نموم مذيع
فلولا دموعى كتمت الهوى * ولولا الهوى لم يكن لى دموع

وبديع هنا قول الصاحب ابن عباد وقد بالغ فى وصف الزجاج والشراب وهو

رق الزجاج وراقت الخمر * فتشابها فتشاكل الامر
فكأنما خمر ولاقدح * وكأنما قدح ولاخمر

ومثله

الست ترى اطباق ورد وحولها * من النرجس الغض الطرى قدود
فتلك خدود ماعليهن أعين * وتلك عيون مالهن خدود

ويعجبنى الى الغاية فى هذا الباب قول الاضبط الشاعر

قد يجمع المال غير آكله * ويأكل المال غير من جمعه
ويقطع الثوب غير لابسه * ويلبس الثوب غير من قطعه

ومثله فى الحكمة قول ابن نباتة السعدى

الا فاخش ما يرجى وجدك هابط * ولا ترج ما يخشى وجدك رافع
فلانافع الامع النحس ضائر * ولاضائر الامع السعد نافع

ومن حكم أبى الطيب المتنبى قوله فى هذا الباب

فلامجد فى الدنيا لمن قل ماله * ولامال فى الدنيا لمن قل مجده

ومثله فى الحسن والبلاغة قوله

ان الليالى للانام مناهل * تطوى وتنشر دونها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

واستشهدوا على نوع الطباق بقول الشاعر

رمى الحدثان نسوة آل حرب * بمقدار سمدن له سمودا
فرد شعورهن السود بيضا * ورد وجوههن البيض سودا

والعكس هنا أحق من المطابقة وأولى لما فيه من عكس مطابقة عجزه لصدره وتبديل الطباق فى العجز والصدر ومن الذى يستظرف هنا الى الغاية قول الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة

أفنيت عمرى فى دهر مكاسبه * نطيع أهواءنا فيها وتعصينا
تسعا وعشرين مذ الهم شققتها * حتى توهمتها عشرا وتسعينا

ولطف الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله هنا

قصدت ان اقرر ذلك مدحا وأعبر الجملة شرحا أطلت فهلم الى ما افتتحت الكتاب لاجله ورد للخوارزمى كتاب يتقلب فيه على جنب الحتو ويتقلى على جمر الضجر ويتأوه عن غمار الخجل ويتعثر فى أذيال الكلال ويذكر ان الخاصة قد علمت الفلج لاينا كان فقلت است الباش اعلم والخوارزمى أعرف والاخبار المتظاهرة أعدل والآثار الطاهرة أصدق وحلبة السباق أحكم وما مضى بيننا أشهد والعود ان انشط أحمد ومتى استزاد زدنا وان عادت العقرب عدنا وله عندى اذا شاء كل ماساءه وناءه وان يعدم اذا أراد نقدا يطير فراخه ونفقة ايصم صماخه وما كنت أظنه يرتقى بنفسه الى طلب مساماتى بعد ماسقيته كاس الحنظل واطعمته

مسئلة الدور غدت * بيني وبين من أحب
لولا مشيبي ما جفت * لولا جفاها لم أشب

انظر ما أليق ما حصر الشيخ جمال الدين مسئلة الدور في هذا النوع مع قصر البحر * ويعجبني أيضا قول الشيخ علاء الدين علي بن مقاتل الحموي في مطلع من مطالع أزجاله وهو

حبي عودني الوصال * وعوايد وقطع
وامتنع لما حلا * وحلا لما امتنع

وانشدني من لفظه لنفسه الكريمة قاضي القضاة عماد الدين أخو شيخي قاضي القضاة علاء الدين ابن القضامي تغمدهما الله برحمته ورضوانه مطلعا يناظر مطلع ابن مقاتل بحسنه في هذا الباب وهو

قلت يوما لمن هويت * فيه اعدل عملك
قال يجوزي ترتضي * والا اعمل عدلك

وزاد الشيخ زكي الدين بن ابي الاصبع هذا النوع أعني عكس الالفاظ صنفا معنويا وهو أن يأتي الشاعر الى معنى لنفسه أو لغيره فيعكسه فمثال ما عكس الشاعر من المعاني لغيره

قال الاول

قد يدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

قال الثاني الذي عكس الاول

وربما فات بعض الناس أمرهم * مع التأني وكان الحزم لو عجلوا

وقد تقدم قول الناس في المثل السائر * ما في السويداء رجال فعكست هذا المعنى على أصحابه وقلت

في سويداء مقلة الحب نادى * جفنه وهو يقنص الاسد صيدا
لا تقولوا ما في السويداء رجال * فانا اليوم من رجال السويدا

ومن القسم الثاني وهو عكس الشاعر معنى نفسه قول بعضهم

واذا الدر زان حسن وجوه * كان للدر حسن وجهك زينا

ومثله قول الشاعر وتلطف ما شاء

ها قد غدا من ثياب الشعر في كفن * وقد تعفت معاني وجهه الحسن
وكان يعرض عني حين أبصره * فصرت أعرض عنه حين يبصرني

وأظرف منه قول الشيخ جمال الدين ابن نباته

وصديق قوي يدي بنوال * وأراه من بعد حاول وهني
كان مثل البستان آخذ منه * صار مثل الحمام يأخذ مني

انتهى ما اوردته في هذا الباب من عكس الالفاظ والمعاني وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته شاهد في هذا الباب على عكس الالفاظ وهو قوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

أبدى العجائب فالاعمى بنفثته * غدا بصيرا وفي الحرب البصير عمي

الشيخ صفي الدين أتى في هذا الباب بالغرض من نظم النوع المذكور ولكن لم يخل بيته من بعض عقادة هذا مع عدم تكلفه بتسمية النوع على الشرط المقرر وبيت العميان

انحدرا بالخردل فان كان الشقاء قد استغواه والحين قد استعواه فالنفس منتظرة والعين ناظرة والنعل حاضرة وهو مني على ميعاد وانا له بمرصاد وكان ما حرر ذلك الكتاب من نسخة مخازيه واستملاه من صحيفة خوازيه فما ترك لنفسه عرضا اثيما ولا عارا بهيما الا خلده كريما واستباح منه حريما ولا تصفح كتابه الا عن حريم مباح وهو حريمه وادم مجتاح وهو أديمه وكذا من أغمد فيه سيف الريبة انسل منه لسان الغيبة ومن طعن بجنانه طعن لسانه ومن وارى سوأة أخيه صغيرا اشتغل بعرض الكرام كبيرا ومن لم تملكه في لسانه الغيرة لم يحاب بذكر الحرم غيره والبغي والبغاء يتنزلان في رتبة والفم والفقحة يركضان في حلبة فالبغاء باسته لا يصبر عن القياس والبغي بفمه

فاتبع رجال السرى والبيد واسرله * سرى الرجال ذوى الالباب والهمم

بيت العميان لم يخلص من العكس هنا اذ ليس فيه نكتة تلم مع البديع شملا وليس فيه غير رجال السرى وسرى الرجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

خير المقال مقال الخير فاصغ ودع * عكس الصواب مع التبديل تستقم

الشيخ عز الدين أتى فى هذا النوع بالمقصود من نظم النوع البديعى وتسميته على الشرط المقرر ولكنه أجنبى من مديح النبى صلى الله عليه وسلم وليس له أدنى تعلق ببيت المديح الذى قبله وهو

تمت محاسنه والله كمله * فقدره فى الورى فى غاية العظم

وأعجب من هذا أنه قال بعد هذا البيت عن النبى صلى الله عليه وسلم

له الجميل من الرب الجميل على الشوجه الجميل بترديد من النعم

وغالب مديحه النبوى فى هذه القصيدة على هذا النمط فانها ما انسجمت معه الا فى مواضع قليلة والظاهر ان ثقل تسمية النوع على الشرط المعلوم كلما أثقل كاهله فر الى جهة يستند الى ركنها وبيت العميان كاد أن يكون أجنبيا من المديح ولكن اتكلوا على عود الضمير على الممدوح وهو النبى صلى الله عليه وسلم وبيت بديعيتى وهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

عين الكمال كمال العين رؤيته * يا عكس طرف من الكفار عنه عمى

أقول انه فى سهولته وانسجامه وحسن تركيبه وبديع تسميته وتمكين قافيته بيت عامر بالمحاسن والله أعلم

(ذكر الترديد)

(أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى)

الترديد هو ان يعلق الشاعر لفظة فى بيت واحد ثم يرددها فيه بعينها ويعلقها بمعنى آخر كقوله تعالى لا يستوى أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون واستشهدوا على هذا النوع من النظم بقول أبى نواس

صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها * لو مسها حجر مسته سراء

والذى أقوله ان الترديد والتكرار ليس تحتهما كبير أمر ولا بينهما وبين أنواع البديع قرب ولا نسبة لانحطاط قدرهما عن ذلك ولولا المعارضة ما تعرضت لهما فى بديعيتى ولكن ذكر زكى الدين بن أبى الاصبع بينهما فرقا فيه بعض اشراق وهو أن اللفظة التى تكرر فى البيت ولا تفيد معنى زائدا بل الثانية عين الاولى هى التكرار واللفظة التى يرددها الناظم فى بيته تفيد معنى غير معنى الاولى هى الترديد وعلى هذا التقدير صار للترديد بعض مزية يتميز بها على التكرار ويتحلى بشعارها وعلى هذا الطريق نظم أصحاب البديعيات هذا النوع اعنى الترديد فبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

له السلام من الله السلام وفى * دار السلام تراه شافع الامم

لفظة السلام متعلقة فى كل موضع بغير الآخر لاشتراكها والعميان لم ينظموا هذا النوع

لا يصبر عن غيبة الناس ومن سقى اسقاء الرجال أثمر اعلاه ثمن الجبال والناس عند الاعمى عميان والكوم عند أهل اللؤم كالماء فى فم المحموم وسم البرسم فى السهر والشمس تقبح للعيون الرمد والبغاء يرمى الناس بدائه وكيف يبقى على اعدائه من يتنقل باودائه وكيف يضن بعرض اصدقائه من لا يغار على نسائه وكيف ينطبع عن نسائه من يسمح بوجهائه وكيف يبقى على حرمة جاره من يبيح لعبده داره ثم يتحامى ذكر الفروج من صبر على الزنوج وعالج رهز العلوج وان يستطيع للسان رياضة من جعل بطنه للايور مخاضة ولن يطيق فى القول اصابة من جعل دبره للجذوع مثابة ولن يحسن القول لجنسه من أساء الفعل لنفسه ومن خرب مأواه لم يعمر بيت

الترديد

وبيت الشيخ عز الدين

له الجميل من الرب الجميل على الـ * شوجه الجميل بترديد من النعم

وبيت بديعيتي

أبدى البديع له الوصف البديع وفى * نظم البديع حلا ترديده بفمى

أقول ان حلاوة الترديد بالفم أحلى من قول الشيخ عز الدين بترديد من النعم واحسن موقعا لكونها فى القافية والله أعلم

(ذكر التكرار)

(كررت مدحى حلا فى الزائد الكرم ابـن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم)

المديح للكريم مليح هنا وقد تقدم قولى ان التكرار هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة باللفظ والمعنى والمراد بذلك تأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد أو الانكار أو التوبيخ أو الاستبعاد أو لغرض من الاغراض * فأما ما جاء منه للذم فكقول مهلهل بن ربيعة أخى كليب

يا لبكر أنشروا الى كليبا * يا لبكر أين أين الفرار

وأما ما جاء منه للمدح فكقول كثير فى عمر بن عبد العزيز

فأربح بها من صفقة لمبايع * وأعظم بها أعظم بها ثم أعظم

وكقول أبى تمام

بالصريح الصريح والاروع الار * وع منهم وباللباب اللباب

وأما ما جاء منه للتهويل فكقوله تعالى القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة * وكقوله الحاقة ما الحاقة * وأما ما جاء منه للانكار والتوبيخ فهو تكرار قوله تعالى فى سورة الرحمن فبأى آلاء ربكما تكذبان * فان الرحمن جل جلاله ما عدد آلاء هنا الا ليبكت بها من أنكرها على سبيل التقريع والتوبيخ كما يبكت منكر أيادى المنعم عليه من الناس بتعديدها له * وأما ما جاء منه للاستبعاد فكقوله تعالى هيهات هيهات لما توعدون * وأما ما جاء منه فى النسيب وهو فى غاية اللطف فقول بعضهم

يقلى وقد قيل انى هجعت * عسى أن يلم بروحى الخيال

حقيق حقيق وجدت السلو * فقلت لهن محال محال

وألطف منه قول القاضى

ماذا تقول اللواحى ضـل سعيهم * وما تقول الاعادى زاد معناه

هل غير أنى أهواه وقد صـدقوا * نعم نعم انا اهواه وأهواه

وما احلى ما قال بعده

حسب البرية ابراق فضل رؤيته * فـاروئى قط الاسبح الله

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم ابـن الطاهر الشيم ابن الطاهر الشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

التكرار

سواه وبعد فالهذا السفيه يشتم امام خراسان وقد أتى من همذان لولا بغى مشتق من البغاء ووجع منه فى الوجعاء ثم ما أغرى هذا السفيه بى وانسانى له فما اتصوره فى وقتى الحديث والغزل ولا اصحبه فى طريقى الجد والهزل ولا اذكره فى حال اليقظة والنوم ولا فصلى النهار والليل ونحن فى كل حال على طرفى محال هو خوارزمى ولست من خوارزم وهو شاعر ولعن الله النظم وسفيه ولا انازعه الشتم وسخيف ولست معه ثم وموشوم وعدمت ذلك الوشم وشهاذ ولا أنزع هذا السهم وصفعان ولا ارجم هذا الرجم وخرى ولا اشرب الخمر ونائى ولا اسمع الزمر وعودى ولا أحسن النقر ونردى ولا العب القمر وكشخان ولا آخذ الجذر

تكرار مدحي هدى في الشامل النعم ابن الشامل النعم ابن الشامل النعم

وبيت بديعيتي

كررت مدحي حلا في الزائد الكرم ابن الزائد الكرم ابن الزائد الكرم

كاد بيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتي ان تكون بيتا واحدا المناسبة التركيب وان كان بيت الشيخ صفي الدين مميزا بزيادة واحدة في التكرار فقد جاء موضعها التورية في تسمية النوع كما قيل

وأين الثريا من يد المتناول

والذي يظهر أن مكرر بيتي حلاوته ظاهرة على بيت الشيخ عز الدين فان مكرره ناقص الحلاوة والله تعالى أعلم

(ذكر المذهب الكلامي)

(ومذهبي في كلامي أن بعثته * لولم تكن ما تميزنا على الامم

المذهب الكلامي نوع كبير نسبت تسميته الى الجاحظ وهو في الاصطلاح أن يأتي البليغ على صحة دعواه وابطال دعوى خصمه بحجة قاطعة عقلية تصح نسبتها الى علم الكلام اذ علم الكلام عبارة عن اثبات أصول الدين بالبراهين العقلية القاطعة * وقيل ان ابن المعتز قال لا اعلم ذلك في القرآن اعني المذهب الكلامي وليس عدم علمه مانعا علم غيره ولم يستشهد على المذهب الكلامي باعظم من شواهد القرآن واوضح الادلة في شواهد هذا النوع وابلغها قوله تعالى لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا * هذا دليل قاطع على وحدانيته جل جلاله وتمام الدليل ان تقول لكنهما لم تفسدا فليس فيهما آلهة غير الله * ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وتمام الدليل ان يقال لكنكم ضحكتم كثيرا وبكيتم قليلا فلم تعلموا ما أعلم فهذان قياسان شرطيان من كلام الله وكلام نبيه عليه الصلاة والسلام ومثله قول مالك بن المرحل الاندلسي

لو يكون الحب وصلا كله * لم تكن غايته الا الملل

أو يكون الحب هجرا كله * لم تكن غايته الا الاجل

انما الوصل كمثل الماء لا * يستطاب الماء الا بالعلل

فالبيتان الاولان قياس شرطي والثالث قياس فقهي فانه قاس الوصل على الماء في كما أن الماء لا يستطاب الا بعد العطش فالوصل مثله لا يستطاب الا بعد حرارة الهجر وأما الاقيسة الجدلية فقد استنبطوها على صور منها ما يروى ان ابا دلف قصده شاعر تميمي فقال له ممن انت فقال من تميم فقال ابو دلف

تميم بطرق اللؤم اهدى من القطا * ولو سلكت سبل الهداية ضلت

فقال له التميمي نعم بتلك الهداية جئت اليك فأفحمه بدليل جلي الزمه فيه ان المجيء اليه ضلال ولعمري ان القياس الشرطي اوضح دلالة في هذا الباب من غيره واعذب في الذوق واسهل في التركيب فانه جملة واقعة بعد لو وجوابها وهذه الجملة على اصطلاحهم مقدمة شرطية متصلة يستدل بها على ما تقدم من الحكم وعلى هذه الطريقة نظمت بيت

المذهب الكلامي

ودهري ولا اعبد الدهر ومركوب ولا اعبر الظهر هذه فضائل لا افضلة لي في قطيعها ومناقب لا واحد لي من جميعها ثم هو يزعم طالبي وأنا بدعواه ناصبي ولعن الله اقلنا لاهل البيت موالاة وأكثرنا للحق مناواة فما يجمعني واياه الا كلمة الجود لكني أجود بالمال وهو يجود بالعيال وجهة الحماية لكني أحمي الحريم وهو يحمي الرغيف ولا ينظمنا الا قرابة الشرب لكني اشرب البزر وهو يشرب النهر ولا تصطحب الا في طريق الاصطباح لكنه يرغب في المتاع ويردد كلمة المبتاع فتارة يقول هو أشرف المتاع وتارة يقول ما ألبق المتاع بالمبتاع وتارة يقول كسد المتاع وقل المبتاع وتارة يقول جلب المتاع ونشط المبتاع ومرة يقول المتاع سنى والمبتاع

البديعية وكذلك العميان ويأتى ذلك فى موضعه فبيت بديعية الشيخ صفى الدين الحلى

كم بين من اقسم الله العلىّ به * وبين من جاء باسم الله فى القسم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى ليس لنور المذهب الكلامى فيه اشراق ولكنه ملحق بالاقيسة الجلية * وبيت العميان قد تقدم انه من الاقيسة الشرطية وهو قولهم فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم

لو لم تحط كفه بالبحر ما شملت * كل الانام واروت قلب كل ظمى

جملة هذا البيت هى الجملة الواقعة بعد لو وجوابها فانهم استدلوا بها على ما تقدم من الحكم * وهو ان كفه صلى الله عليه وسلم محيط بالبحر وبيان صحة ذلك انها بلغت ان تشمل كل الانام وتعمهم بالرى وهذا دليل واضح على انها محيطة بالبحر وقد تعين ان أقدم بيت بديعيتى هنا على بيت الشيخ عز الدين وافرط سبحة الترتيب لوجهين احدهما ان بيتى وبيت العميان اقرا بهجة هذا النوع فى مطلع واحد وهو القياس الشرطى والثانى ان الشيخ عز الدين لم يتمسك فى المذهب الكلامى الا بالقول الضعيف وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ومذهبى فى كلامى ان بعثته * لو لم تكن ما تميزنا على الامم

دليل هذا القياس الشرطى فى بعثة النبى صلى الله عليه وسلم وان هذه الامة تميزت بها على سائر الامم أوضح من النهار الذى لم يحتج عند ظهوره الى اقامة دليل وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

بمذهب من كلام الله ينسخ شر * ع الاولين ببشرى من كلامهم

كأن الشيخ عز الدين غفر الله له يقول عن النبى صلى الله عليه وسلم انه بمذهب من كلام الله أى القرآن ينسخ شرع الاولين وكأنه جعل حجته القاطعة فى المذهب الكلامى والله اعلم قوله ببشرى من كلامهم اى من كلام الاولين ولم ار فى هذا البيت للمذهب كلاما ولا الكلام مذهبا غير ما ذكرته وفوق كل ذى علم عليم

(ذكر المناسبة)

(فعلمه وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم)

المناسبة على ضربين مناسبة فى المعانى ومناسبة فى الالفاظ فالمعنوية هى ان يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ وهذا النوع اعنى المناسبة المعنوية كثير فى الكتاب العزيز فمنه قوله تعالى اولم يهد لهم كم اهلكنا من قبلهم من القرون يمشون فى مساكنهم ان فى ذلك لآيات أفلا يسمعون اولم يروا انا نسوق الماء الى الارض الجرز فنخرج به زرعا تأكل منه انعامهم وانفسهم افلا يبصرون فانظر الى قوله سبحانه وتعالى فى صدر الآية التى هى الموعظة اولم يهد لهم ولم يقل اولم يروا لان الموعظة سمعية وقد قال بعدها افلا يسمعون وانظر كيف قال فى صدر الآية التى موعظتها مرئية اولم يروا * وقال بعد الموعظة البصرية افلا يبصرون ومن اظرف ما نقلته هنا من النقد اللطيف فى هذا الباب ان قاضى القضاة عماد الدين ابن القضامى أخا شيخنا قاضى القضاة علاء الدين الحنفى نور الله

غنى وكثيرا يقول لكل متاع مبتاع احسن الله بالمتاع امتاعه فما أفسح فيه رباعه ولا نقترن الا فى حبل الادب ولكنه اديب ما دام وحده مفوه ما لم احضر عنده فاذا التقينا فالشعر شعره ونزا على شيطانه شيطانى ولا نلتقى الا فى طرفى الصنعة ولكنه يدعى فلا يحسن ولا أدعى ما عذيرى من هذا السخيف من تفاوت ما بين الثلج والنار وتضاد ما بين الليل والنهار ومسافة ما بين الفرس والحمار هو احمر وانا أسمر وهو أزرق وانا اسود وهو أشقر وانا احور وهو اقرن وانا اجم وهو قصير يتطاول وناقص يتفاضل وسفيه يتحامل وانا على الضد أتطول وعلى النقص اتفضل وعلى الخلاف اتحمل فما بعد ما وجدنا خلفا ووقعنا خلفا وسلكنا طرقا وضربنا عرقا وبعد فان كان

المناسبة

ضريحه * وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه * نظم قصيدة امتدح بها المقر المرحومي السيفي أرغون الاسعردي كافل المملكة الشريفة الحموية وعرضها قبل انشادها المدح على اخيه المشار اليه فانتهى منها في المدح الى بيت يقول فيه

خبير بتدبير الامور وغير يرى * سوى ما يراه فهو في هذه أعمى

فقال له شيخنا قاضي القضاة علاء الدين يجب أن تقول لاجل المناسبة المعنوية موضع خبير بصير وقد عدوا من محاسن الامثلة المعنوية قول ابي الطيب المتنبي

على سابح موج المنايا بنحره * غداة كأن النبل في صدره وبل

فان بين لفظة السباحة ولفظتي الموج والوبل تناسبا معنويا صار البيت به متلاحما * والذي عقد الناس عليه الخناصر في هذا الباب قول ابن رشيق القيرواني

اصح وأقوى ما رويناه في الندا * من الخبر المأثور منذ قديم
احاديث ترويها السيول عن الحيا * عن البحر عن جود الامير تميم

قال زكي الدين بن ابي الاصبع هذا أحسن شعر سمعته في المناسبة المعنوية * فانه وفى المناسبة حقها وناسب في البيت الاول بين الصحة والقوة والرواية والخبر المأثور * وناسب في البيت الثاني بين الاحاديث والرواية والعنعنة * هذا مع صحة ترتيب العنعنة من حيث انها جاءت صاغرا عن كابر وآخرا عن أول كما يقع في سند الاحاديث لان السيول فرع الحيا اصله وكذلك الحيا فرع البحر اصله ثم نزل البحر منزلة الفرع وجود الممدوح منزلة الاصل للمبالغة في المدح وهذا غاية الغايات في هذا الباب * أقول اني زاحمت ابن رشيق القيرواني هنا بالمناكب وابطلت موانع التعقيد لما دخلت معه الى هذه المطالب وما ذاك الا اني امتدحت شيخي المشار اليه اولا مولانا قاضي القضاة ابن القاضي الحنفي بموشح بيت مخلصه تحفة في هذا الباب * لان مناسباته المعنوية رفعت عن محاسنها الحجاب * وهو

رقم السوالف يروي لي بسنده * عن رقتي حيهم يا طيب مورده
وثغرها قد روى لي قبل ما احتجبت * عن برق ذاك النقا ايام معهده
* والريق أمسى عن المبرّد * يروي حديث العذيب مسند
عن الصفا عن مذاق الشهد والعسل * عن ذوق سيدنا قاضي القضاة علي

وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف محاسن هذا البيت ومناسباته المعنوية فان برهانه غير محتاج الى اقامة دليل وهذا الموشح نظمته بحماة المحروسة في مبادي العمر ورياحين الشبيبة غضة ولما طلبت الى الابواب الشريفة المؤيدية سنة خمس عشرة وثمانمائة ووصلت الى الديار المصرية في التاريخ المذكور وجدته ملحنا وأهل مصر يلهجون به ويلحنونه كثيرا فتعين علي ان أثبت ههنا منه شيئا ليحلو تكريره بمصر وتعرف رتبة قوافيه لاجل بيت المخلص الذي اوردته مثالا على نوع المناسبة المعنوية من غزل الموشح المذكور

ماست بقامتها يوما بذي سلم * والشعر كالعلم المنشور للامم

زعم كما زعم ووهم كما اوهم وكبر كما ذكر وطال كما قال فما هذا الدرد والحرد ولم هذا الغيظ والكمد وكم ننساه ويذكرنا ونطويه وينشرنا وقد رأت الاعين ونقلت الالسن فهلا ترك الحديث لعزه اوطواه على غرّه وما رأيت كهذا السخيف اذا شهدت صلق بالضراط مراثه واذا غبت استنسر بغاثه ان اللسان الذي اخرس لسانه والبنان الذي ابلس بيانه لم تكسبهما هراة فجاجة ولا كستهما سرخس بلادة ولا بثت الغربة لهما غربا ولا امتهنت هذه الحضرة منهما عضبا وهما معي لم يفارقاني وذلك الحفظ بعد بعد بحره نزرا وتلك البديهة لم يصر بحرها جزرا وتلك الكتابة صار واحدها عشرا وما زادتنا الايام الا نشرا ولا الليالي

فقلت

فقلت ياقلب أعلام الهنا نصبت * هاأنت تخطر بين البان والعلم
واسود الخال مذ تبدّى * فى خدها همت فيه وجدا
قالت وطلعتها كالشمس فى الحمل * فى طلعة الشمس مايغنيك عن زحل
سألتها برد ماعندى من الكمد * وقلت نار الجوى قد أضعفت جلدى
قالت بريق أطفئها اذا التهبت * يابرد ذاك الذى قالت على كبدى
وغرقتنى بدمع طرفى * وقالت اسمع كفيت خلقى
الم تخف بلا ناديت يا أملى * أنا الغريق فما خوفى من البلل

منه

بالله يابرق ان اومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شك من الخبر
قف بالثنيات واذكرنى اذا عذبت * تلك الهيلات للورّاد فى السحر
وارسل عليل النسيم خلقى * فانه قوة لضعفى
عسى تصحح جسما بالفراق بلى * وربما صحت الاجسام بالعلل

منه

انسان مقلتها لما رأى كلفى * بسيفه قدا قام الحد فى تلفى
فت بالسيف قهرا والحشا نهبت * لكننى عند موتى مذ قوى شغفى
ناديته والدموع طوفان * وقلت هذا فعال انسان
الام تجعل فى قتلى بلا زلل * فقال لى خلق الانسان من عجل

وقد طال الشرح وخرجنا عما كنا فيه من المناسبة المعنوية وحسن ختامها بما أوردناه من كلام ابن رشيق القيروانى والبيت الذى أوردته من هذا الموشح وأما المناسبة اللفظية وهى دون رتبة المعنوية فهى الاتيان بكلمات متزنات وهى على ضربين تامة وغير تامة فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة والناقصة موزونة غير مقفاة فمن شواهد التامة قوله سبحانه وتعالى ن والقلم ومايسطرون ماانت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومن شواهد التامة فى السنة الشريفة قول النبى صلى الله عليه وسلم مما كان يرقى به الحسنين عليهما السلام اعيذ كما بكلمات الله التامه من كل شيطان وهامه ومن كل عين لامه ولم يقل عليه السلام ملمة وهى القياس لمكان المناسبة اللفظية ومن أمثلة المناسبتين الناقصة والتامة قول ابى تمام حبيب بن اوس

مها الوحش الا أن هاتا أوانس * قنا الخط الا ان تلك ذوابل

فناسب بين مها وقنا مناسبة تامة وبين الوحش والخط وأوانس وذوابل مناسبة غير تامة قال زكى الدين بن أبى الاصبع هذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم اليه فيها من المحاسن فان فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة والمساواة والاستثناء والطباق اللفظى وائتلاف اللفظ مع المعنى والتمكين فأما المناسبة فيه فقد عرفت وأما التشبيه ففى قوله مها وقنا فان التقدير كهاو كقنا وحذف الاداة ليدل على قرب المشبه من المشبه به وأما

الابشرا وورد له عن الامير كتاب فابكى زيدا وأضحك عمرا حلف انه لاتطير له واستشهد على ذلك بسيف الدولة وعضدها وفخر الدولة ومؤيدها ويسئل الامير أن لايوطئنى بساط خدمته ولايطرق سحاب نعمته متوسلا بانه ناصرى وان غيره تالشئ والتركى اذا آل الى الاستجارة بالله امره فقد انتهى عمره والخوارزمى اذا كانت هذه وسيلته فقد ضاقت حيلته وليت شعرى عنه اذا لم يوال الامير مايصنع وهو ان عاداه يصفع وان لم يطعه فما يفعل وهو ان عصاه يقتل وان لم يرض أيامه فمايؤثر وهو ان سخطها لايغير وبك هذا السخيف قد تعدى باب السخف والمجون الى حديث الحاقة والجنون وتجاوز حد الخلاعة الى الرقاعة وجاوز قول اصحاب المحابر الى الفطنة ار باب

الاستثناء البديعى ففى قوله الان هاتا وآوانس وقوله الا ان تلك ذوابل ليثبت للموصوفات التأنيس وينفى عنهن النفار والتوحش وكذلك فعل فى الاستثناء الثانى فانه اثبت لهن اللين ونفى عنهن اليبس والصلابة واما المطابقة ففى قوله الوحش وآوانس وهاتا وتلك فان هاتا للقريب وتلك للبعيد واما المساواة فلفظ البيت لا يفضل عن معناه ولا يقصر عنه واما الائتلاف فلكون الفاظه من وادواحد متوسطة بين الغرابة والاستعمال وكل لفظة منها لائقة بمعناها لا يكاد يصلح موضعها غيرها واما التمكين فاستقرار قافية البيت فى موضعها وعدم نفارها عن محلها انتهى الكلام على المناسبة اللفظية والمعنوية وتقرير التامة والناقصة من اللفظية فبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

مؤيد العزم والابطال فى قلق * مؤمل الصفح والهيجاء فى ضرم

الشيخ صفى الدين لم يحتج فى بيته الى المناسبة المعنوية بل اتى باللفظية وعجبت منه كيف رضى لنفسه بقول القائل

اذا كنت ماتدرى سوى الوزن وحده * فقل انا وزان وما انا شاعر

وليته اتى بالمناسبة اللفظية تامة فانه فى عالم الاطلاق غير مقيد بتسمية ومناسبته اللفظية الناقصة ظاهرة فقوله مؤيد العزم فى وزن مؤمل الصفح وقوله والابطال فى قلق موازن والهيجاء فى ضرم ولم ينظم العميان هذا النوع وبيت الشيخ عزالدين الموصلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ألم تر الجود يجرى فى يديه ألم * تسمع مناسبة فى قوله نعم

الشيخ عزالدين غفر الله له لم يثبت له مع المناسبة المعنوية واللفظية نسبة ولكنه قال لمن يخاطبه ألم تر الجود يجرى من ايادى النبى صلى الله عليه وسلم ألم تسمع مناسبة من لفظ نعم ولفظ الشيخ عزالدين الموضوع فى بيته ليس فيه مناسبة لفظية اتى فيها بوزن وقافية ولا مناسبة معنوية ابتدا فيها بمعنى وتمم كلامه بما يناسبه وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فعله وافر والزهد ناسبه * وحلمه ظاهر عن كل مجترم

هذا البيت جمعت فيه ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم بين المناسبة المعنوية واللفظية التامة المشتملة على الوزن والتقفية فقولى علمه يناسبه حلمه وزنا وقافية ووافر مثله ظاهر وزنا وقافية والمناسبة المعنوية ابتدأت بها فى أول الشطر الثانى من البيت بذكر الحلم ثم تممت كلامى بقولى عن كل مجترم فحصلت المناسبة المعنوية بين الحلم وذكر الاجترام الذى هو الذنب مع تمكين القافية فانه قيل عن المأمون انه كان يقول لو علم الناس محبتى للعفو لتقربوا الىّ بالجرائم وهذه هى المناسبة المعنوية بعينها ولكن النبى صلى الله عليه وسلم احق بهذا المدح وأولى بهذه الصفات

(ذكر التوشيع)

*(ووشع العدل منه الارض فاتشحت * بحلة الاحمدين العهد والذمم)*

المنابر وارتفع عن مقالات الشعراء الى مقالة الامراء وبالله لو قال هذه الكلمة فخر الدولة لكانت كبيرة ولو لاكها شمس المعالى لما عدت صغيرة أمثل الخوارزمى يخادع كتخداى الخلق وملك الشرق بهذا الزرق ومتى جاز للموالى ان تتلقب بالموالى فالعبد وان أحب مولاه فليس بصديقه والابن وان صاحب أباه فليس برفيقه وليس السوقى اذا أمر أميرا ولا الجمال اذا نهض قديرا ولا العبد اذا ارسل نبيا ولا الخوارزمى اذا والى وليا ولكل رتبة محررة وحلية مقررة وأما مسئلته الامير أن لا يخرطنى فى سلكه ولا يمكننى من بساط ملكه فقد شغلتنى على رغمه أطراف النعم وبلتنى مصائب الهمم والراغم

(التوشيع)

التوشيع مأخوذ من الوشيعة وهي الطريقة الواحدة في البرد المطلق فكأن الشاعر اهمل البيت الا آخره فانه أتى فيه بطريقة تعد من المحاسن وهو عند أهل هذه الصناعة عبارة عن أن يتكلم المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز ثم يأتي بعده باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى يكون الآخر منهما قافية بيته أو سجعة كلامه كأنهما تفسير له وقد جاء من ذلك في السنة الشريفة ما لا يلحق بلاغته وهو قوله صلى الله عليه وسلم يشيب المرء وتشب معه خصلتان الحرص وطول الامل ومن أمثلة هذا الباب في النظم قول الشاعر

أمسي وأصبح من تذكاركم وصبا * يرثي لي المشفقان الاهل والولد
قد خدد الدمع خدي من تذكركم * واعتادني المضنيان الوجد والكمد
وغاب عن مقلتي نومي لغيبتكم * وخانني المسعدان الصبر والجلد
لا غرو للدمع أن تجري غواربه * وتحته المظلمان القلب والكبد
كأنما مهجتي شلو بمسبعة * ينتابها الضاريان الذئب والاسد
لم يبق غير خفي الروح في جسدي * فدى لك الباقيان الروح والجسد

هذه الابيات عامرة بالمحاسن في هذا الباب غير أن أهل النقد الصحيح ما سكتوا عن تقصيره في البيت الاول حيث قال فيه يرثي لي المشفقان الاهل والولد فان شفقة الاهل والولد معروفة والمشفق اذا رثى لشكوى أهله أو الولد اذا رثى لشكوى والده كان ذلك تحصيل الحاصل والمراد هنا أن يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر واشباه ذلك قال ابن أبي الاصبع وما بشعر قلته هنا من بأس

بي محنتان ملام في هوى بهما * يرثي لي القاسيان الحب والحجر
لولا الشفيقان من امنية وامي * اودى بي المرديان الشوق والفكر

رايت في حاشية على هذين البيتين بخط رفيع رحم الله الشيخ لو قال الشوق والسهر كان اتم واحسن وبيت الشيخ صفي الدين في هذا الباب غاية فانه يقول في وصف النبي صلى الله عليه وسلم

أي خط أبان الله معجزه * بطاعة الماضيين السيف والقلم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

ومن عطاياه روض وشعته يد * تغني عن الاجودين البحر والديم

الشيخ عز الدين اتى بالتوشيع على الوضع ولكنه شن الغارة على ابن الرومي وفك قواعد بيته وهو

ابو سليمان ان جادت لنا يده * لم يحمد الاجودان البحر والمطر

اخذ الاجودين والبحر وارادف المطر بالديم وهذا ما يليق باهل الادب وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ووشع العدل منه الارض فاتشحت * بحلة الامجدين العهد والذمم

وانا على مذهب زكي الدين بن أبي الاصبع في قوله وما بشعر قلته هنا من بأس انتهى

التراب وللحاسد الحائط والباب وللكاره البد والناب والشيخ الامام مخدوم من الاسلام بما يحسن الى أدبه والسلام

(وله الى الشيخ ابي عبد الله الحسين بن يحيى)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وللشيخ لذة في السب والعتب وطبيعة في العنف والعسف فاذا أعوزه من يغضب عليه فانا بين يديه واذا لم يجد من يصونه فانا زبونه والولد عبد لبست له قيمة والظفر به غنيمة والوالد مولى أحسن ام أساء فليفعل ما شاء لا يعدمه الله مني جسدا لا يتألم بالضرب وقلبا لا يتظلم من العتب هنيئا ما استحل من عرضي واكل من لحمي فما يأكل الا لحمه ولا يضيم الا بعضه واما البزاز وما حكاه فبالله ما أعرفه أولا حتى ابرأ مما جناه ثانيا وسبحان من جرعني مرارة ذلك

(ذكر التكميل)

*(آدابه عمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله في غاية العظم)*

التكميل هو أن يأتي المتكلم او الشاعر بمعنى تام من مدح او ذم او وصف او غيره من الاغراض الشعرية وفنونها ثم يرى الاقتصار على الوصف بذلك المعنى فقط غير كامل فيأتي بمعنى آخر يزيده تكميلا كمن اراد مدح انسان بالشجاعة ثم رأى الاقتصار عليها دون مدحه بالكرم غير كامل فيكمله بذكر الكرم أو بالبأس دون الحلم وما أشبه ذلك من الاغراض وقد جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين فانظر الى هذه البلاغة فانه سبحانه وتعالى علم وهو اعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة للمؤمنين لكان مدحا تاما مشتملا على الرياضة والانقياد لاخوانهم ولكن زاده تكميلا ووصفهم بعد ذلتهم لاخوانهم المؤمنين بالعزة على الكافرين وهذا هو التكميل الذي يتطفل البدور على كماله ومثاله في الشعر قول كعب بن سعيد الغنوي

حليم اذا ما الحلم زين اهله * مع الحلم في عين العدو مهيب

قوله اذا ما الحلم زين اهله احتراس لولاه لكان المعنى في المدح مدخولا اذ بعض التغاضي قد يكون عن عجز يوهم انه حلم فان التجاوز لا يكون حلما محققا الا عن قدرة وهو الذي قصده الشاعر بقوله * اذا ما الحلم زين اهله * فان الحلم ما زين اهله الا اذا كان عن قدرة وهذا القدر غاية في باب التكميل ثم راى ان مدحه بالحلم وحده غير كامل فانه اذا لم يعرف منه الا الحلم طمع فيه عدوه فقال مع الحلم في عين العدو مهيب قلت ومما يؤيد هذا التقرير قول الشاعر

وحلم ذي العجز ذل أنت عارفه * والحلم عن قدرة ضرب من الكرم

ومن التكميل الحسن قول كثير عزة

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى * في الحسن عند موفق لقضى لها

فقوله عند موفق تكميل حسن فانه لو قال عند محكم لتم المعنى لكن في قوله عند موفق زيادة تكميل بها حسن البيت والسامع يجد لهذه اللفظة من الموقع الحلو في النفس ما ليس للاولى اذ ليس كل محكم موفقا فان الموفق من الحكام من قضى بالحق لاهله وقد غلط غالب المؤلفين في هذا الباب وخلطوا التكميل بالتتميم وساقوا في باب التتميم شواهد التكميل فمن ذلك قول عوف السعدي

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

هذا البيت ساقوه من شواهد التتميم وهو أبلغ شواهد التكميل فان معنى البيت تام بدون لفظة وبلغتها واذا لم يكن المعنى ناقصا فكيف يسمى هذا تتميما وانما هو تكميل حسن قال ابن أبي الاصبع وما غلطهم الا أنهم لم يفرقوا بين تتميم الالفاظ وتتميم المعاني فلو سمى مثل هذا تتميما للوزن لكان قريبا وانما ساقوه على أنه من تتميم المعاني وهذا غلط والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمله اذ الكمال امر زائد على التمام وقد تقدم هذا الكلام على التتميم في موضعه ولكن أردت

(التكميل)

العذل لحديث ذلك النذل ولست أدري في اي صحائف المحن اثبت ما حكاه وفي أي جرائد الحكم أجزت ما رواه واما المنتظر وتأخره فالمودع ثقة وهو حاج لست اخبر امره ولا اعرف عذره والى ابابه وعلى حسابه وعندي أن الولد أصغر قدرا من أن يعاتب والوالد أعظم منزلة من أن يجاوب ولو شئت لاعلمته براءة ساحتي مما قرفني ونسبني اليه لكني أجد المناظرة صفة المنافرة والمنافرة شكل المناكرة فلا اطأ عتبة بينها وبين العقوق منزلة ولا ارد شرعة بينها وبين الفسوق مرحلة فلا القاه بأبر من التوبة ان كنت فعلت والعفو ان كنت قلت وهذا اشبه بالبنوة واحرى مع الابوة واما

هنا تفصيل التكميل عن التتميم لتنجلي عن الطالب ظلمة الاشكال بصبح هذا الفرق الدقيق ومن أحسن التكميل قول شاعر الحماسة

لو قيل للمجد حد عنهم وخلهم * بما احتكمت من الدنيا لما حادا

فقوله بما احتكمت من الدنيا تكميل في غاية الكمال ويعجبني من هذا الباب قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في بعض مطالعه المقمرة

نفس عن الحب ما حادت ولا غفلت * بأي ذنب وحاشا الله قد قتلت

معنى بيت الشيخ جمال الدين أيضا تام بدون قوله وحاشا الله ولكن التكميل بوحاشا الله قبل قتلت لا يصدر الا من مثل الشيخ جمال الدين وما أحقه هنا بقول القائل

قالوا فهل يسمح الدهر الكريم لنا * بمثله قلت لا والله قد حلفا

ومثله قولي في مطلع قصيد

قد مال غصن النقا عن صبه هيفا * ياليته بنسيم العتب لو عطفا

معنى البيت تام بدون نسيم العتب ولكن استعارة نسيم العتب هنا بعد ميل الغصن وذكر انعطافه غاية في باب التكميل وفيه مع التكميل المناسبة المعنوية والاستعارة اللطيفة وناهيك بلطف نسيم العتب وفيه التمكين والانسجام ومثله قولي في مطلع قصيد

جردت سيف اللحظ عند تهددي * يا قاتلي فسلبتني بتجرد

معنى البيت تام بدون قولي يا قاتلي وقولي يا قاتلي بعد تجريد سيف اللحظ أكمل من بدور الكمال وقلت بعد المطلع ولم أخرج عن التكميل

وأردت أن تسقي بماء حشاشتي * حاشاك ما يسقى الصقيل من الصدى

معنى البيت أيضا تام بدون قولي حاشاك ولكنها زادت البيت تكميلا رفعت به قواعده ومثله قولي من قصيد

وأفردتموني للغرام لأنكم * أخذتم كما شاء الهوى بمجامعي

معنى البيت تام بدون قولي كما شاء الهوى ولكن التكميل بها تكملت به محاسن البيت ومثله قولي من قصيد

أذابت القلب في نار الهوى عبثا * ومذ سلته وقالت انه قالي

قالت سلوت لحاك الله قلت لها * الله أعلم يا أسما من السالي

فلفظة عبثا في البيت الاول تكميلها ظاهر ولكن حلى الله من لا ينظر الى محاسن لحاك الله في البيت الثاني ومثله قولي من قصيد

ورب غصن لأطيار القلوب على * قوامه في رياض الوجد تغريد

والمعنى أيضا تام في هذا البيت بدون قولي في رياض الوجد ولكن مناسبة التكميل برياض الوجد بين الغصن والاطيار والتغريد غاية في هذا الباب وقد طال الشرح ولكن مثل التكميل ما ينقص من قدره ويختصر من أمثلته وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

نفس مؤيدة بالحق تعضدها * عناية صدرت عن بارئ النسم

ابو فلان فلا اشك ان كتابي يرد منه على صدر مجالسي من صحيفته ونسي اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا في الجد والهزل وتقلبنا في أعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدي العشرة اذ الزمان رقيق القشرة وتواعدنا ان يلحق احدنا بصاحبه اذا آنس الرشد من جانبه وتصافحنا قبل أن لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد أن لا ينقض الوعد
وهل ذاكر من كان اقرب عهده ثلاثين شهرا وثلاثة احوال وكأني به وقد استجد اخوانا ولا بأس فان كانت للجديد لذة فللقديم حرمة والأخوة بردة لا تضيق عن اثنين ولو شاء لعاشرنا في البين وكان سألني ان أرود له منزلا ماؤه روي ومرعاه غذي وأكاتبه لينهض اليه

بيت الشيخ صفي الدين لم يظهر لبدور التكميل في أفقه اشراق ومعنى البيت تام ولكن لم يأت فيه الناظم بنكتة تزيده تكميلا والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته

تمت محاسنه والله كمله * فقدره في الورى في غاية العظم

بيت الشيخ عز الدين أمثل من بيت الشيخ صفي الدين وتكميله ظاهر فان معنى بيته تام بدون قوله والله كمله ولكن قوله هنا والله كمله في غاية الكمال فانها اشتملت على تورية التسمية ونكتة النوع وبيت بديعيتي

آدابه تمت لا نقص يدخلها * والوجه تكميله في غاية العظم

معنى هذا البيت أيضا تام بدون قولي لا نقص يدخلها ولكن هذا النقص هو عين التكميل والله أعلم

(ذكر التفريق)

*(قالوا هو البدر والتفريق يظهر لي * في ذاك نقص وهذا كامل الشيم)*

التفريق في اللغة ضد الاجتماع وفي الاصطلاح أن يأتي المتكلم أو الناظم الى شيئين من نوع واحد فيوقع بينهما تباينا وتفريقا بفرق يفيد زيادة وترجيحا فيما هو بصدده من مدح أو ذم أو نسيب أو غيره من الاغراض الادبية كقول الشاعر في المديح

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء
فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

ومثله

من قاس جدواك بالغمام فما * أنصف في الحكم بين شكلين
أنت اذا جدت ضاحك أبدا * وهو اذا جاد دامع العين

قال بدر الدين ابن النحوية في غير المدح

حسبت جماله بدرا منيرا * وأين البدر من ذاك الجمال

قلت وأحسن منه قول القائل

قاسوك بالغصن في التثني * قياس جهل بلا انتصاف
هذا الغصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

فالتفريق في الجميع فرقه ظاهر مثل الصبح ولكن هذا النوع ما هو غاية في البديع فما يحتمل اطلاق عنان القلم في الكلام عليه أكثر من ذلك وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

بيت الشيخ صفي الدين الحلي حسن في هذا الباب والتفريق فيه جمع المحاسن في مدح النبي صلى الله عليه وسلم وبيت العميان في بديعيتهم

لا يستوي الغيث مع كفيه نائل ذا * ماء ونائله مال فلا تهم

العميان غفر الله لهم مسخوا قول الشاعر

ما نوال الغمام وقت ربيع * كنوال الامير يوم سخاء

فنوال

(التفريق)

راحلته فهاك نيسابور ضالته التي نشدتها وقد وجدتها وخراسان منيته التي طلبتها وقد أصبتها وهذه الدولة بغيته التي أردتها فقد وردتها فان صدقني رائدا فليأتني قاصدا وان رضيني مشيرا فليجئني سريعا وهيهات أن يترك اروند ونصابها وترمذ وشعابها وماوسا ورياضها فيعتاض عنها كرم العهد ولو علم أن رياض الاخوة انضر وشعاب المروءة اطيب وانه لا يعدم من نيسابور مثل تلك المتنزهات وخيرا من تلك المتوجهات لحث اليها ركابه واما انا واخباري بهذه الناحية فتقلب في ثوب العافية موفر بهذه الحضرة مرموق بعين القبول هذه جملة حالي ووراءها تفصيل منها عليه دليل واما الاخ ابو سعيد جعلني الله فداءه

فنوال الامير بدرة مال * ونوال الغمام قطرة ماء

والظاهر ان نوال الغمام وقت الربيع محجب عن العميان ولكن أين هم من موقع التفريق وعظم المباينة بين بدرة المال وقطرة الماء هذا مع ما تجشموه من مشاق التعقيد وثقل التركيب والجميع يخف على النفس بالنسبة الى قولهم فى القافية فلا تهم ثم ما يحط هذا القافية هنا على هذه الصيغة من شم للادب رائحة وأين هم من تمكين قافية الشيخ صفى الدين فى قوله

لجود كفيه لم تقلع سحائبه * عن العباد وجود السحب لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البحر والتفريق بينهما * اذ ذا غم وهذا فارج الغمم

بيت الشيخ عز الدين فى هذا الباب عامر بالمحاسن وحشمة المديح النبوى مشرقة على أركانه ونوع التفريق فيه أحلى من ليالى الوصال فانه مشتمل على تورية التسمية ونكتة النوع البديعى ولطف الانسجام والسهولة وليس فى بديعيته بيت يناظره فى علو طباقه وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

قد أطلقت لسان القلم فى وصف بيت الشيخ عز الدين ولعمرى انه يستحق فوق ذلك فان التكلف بتسمية النوع مورى به من جنس المديح يثقل كاهل كل فحل وقد حبست عنان القلم عن الاستطراد الى وصف هذا البيت فان فى انصاف أهل الذوق ما يغنى عن الاطناب فى وصفه انتهى

(ذكر التشطير)

*(وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم)*

التشطير هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين ثم يصرع كل شطر منهما لكنه يأتى بكل شطر من بيته مخالف القافية الآخر ليتميز كل شطر عن أخيه فمن ذلك قول مسلم بن الوليد

موف على مهج فى يوم ذى رهج * كأنه أجل يسعى الى أمل

هذا البيت تصريعه صحيح ولكن تصريع الشطر الثانى قافيته الاولى مرفوعة والثانية مجرورة وهذا عيب فى تصريع التشطير وقول أبى تمام فى هذا الباب خالص من ذلك وهو

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتغب فى الله مرتقب

وعلى جادته الواضحة مشى الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته وبيته

بكل منتصر للفتح منتظر * وكل معتزم بالحق ملتزم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وانا أقول يا ليتنى كنت معهم فانه نوع مبنى على قعاقع ليس تحتها طائل ولكن الشروع فى معارضة البديعيات أوجب نظمه وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته

تشطير معتدل بالسيف مشتغل * فى جحفل لهم كالاسد فى الاجم

وبيت بديعيتى أشير فيه الى انشقاق القمر فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتقدم قولى فى نوع التفريق

(التشطير)

ورزقنى لقاءه فقد شكرت بره ولولا اشفاقى من ضعف تركيبه ولطف ترتيبه وعلى بأنه لا يحتمل وعثاء السفر لسألت الشيخ اهداءه الى لا تولى تعليمه وتقويمه لكنه رطب العظام لطيف الاركان لا اخاطر بانهاضه من ذلك المكان حتى يعقد مخه فى عظامه وأثق بقوة الواحه وبلغنى أنه ابتدأ بجمل اللغة فأين بلغ منه والشيخ لا يحمل عليه بعويص اللغة حتى يعلم سهلها ولا يأخذه بما اخذنى به فالعمر لا يتسع للعلوم اجمع فلينفق على احسنها ويكفيه من اللغة علم مستحسنها دون مستهجنها ومن الاعراب معرفة اصوله وما لا غناء به عنه من فروعه ثم يأخذه بعلوم كتاب الله حتى يرد على قرة عين لى ولك وصلى الله على محمد وآله

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

وقلت بعده فى التشطير

وانشق من أدب له بلا كذب * شطرين فى قسم تشطير ملتزم

كان الشيخ صفى الدين الحلى يكثر من هذا النوع فى غالب قصائده ولعمرى انه استغنى عن ذا ورم وماخطر لى يوما أنى أدخله الى بيت من بيوت قصائدى انتهى

(ذكر التشبيه)

*(والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم)*

التشبيه ضروب متشعبة وهو والاستعارة يخرجان الاغمض الى الاوضح ويقربان البعيد وقال الجرجانى التشبيه والتكميل كل منهما بالصورة والصفة وتارة بالحالة وهذه صفة التمثيل والتشبيه ركن من اركان البلاغة واركانه أربعة كقولك زيد فى الحسن كالقمر فالاول المشبه وهو زيد والثانى المشبه به وهو القمر والثالث المشبه وهو المتكلم والرابع التشبيه وهو الالحاق المذكور فى الشبه وأدوات التشبيه خمسة الكاف وكأن وشبه ومثل والمصدر بتقدير الاداة كقوله تعالى وهى تمر مر السحاب ومن الشعر كقول حسان

بزجاجة رقصت بما فى قعرها * رقص القلوص براكب مستعجل

ومن الشروط اللازمة فى التشبيه أن يشبه البليغ الادون بالاعلى اذا أراد المدح اللهم الا اذا أراد الهجو فالبلاغة أن يشبه الاعلى بالادون كقول ابن الرومى سامحه الله فى هجو الورد

كأنه سرم بغل حين سكرجه * عند البراز وباقى الروث فى وسطه

الظاهر أنه كان جعليا والامثلة مايخالف الاجماع ويبالغ فى مثل هذه المغايرة ولعمرى انه فى بابه من التشابيه البليغة مع نفور الطباع عن صبغته ومثله قول أبى العلاء السروى فى هجو النرجس وتشبيه أعلاه بدونه

كأنه ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

وأصحاب المعانى والبيان أطلقوا أعنة الكلام فى ميادين حدود التشبيه وتقاريرها وهو عندهم الدلالة على مشاركة أمر لامر فى معنى وقال الرمانى التشبيه هو العقد على أن أحد الشيئين يسد مسد الآخر فى حال وهذا هو التشبيه العام الذى يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره والتشبيه البليغ هو اخراج الاغمض الى الاوضح مع حسن التأليف ومنهم من قال التشبيه هو الدلالة على اشتراك شيئين فى وصف هو من أوصاف الشئ الواحد وقال ابن رشيق فى العمدة التشبيه صفة الشئ بما قاربه وشاكله من جهة واحدة لانه لو ناسبه مناسبة كلية كان اياه الاترى الى قولهم خد كالورد انما أرادوا احمرار أوراقه وطراوتها لاما سوى ذلك من صفرة وسطه وخضرة كمائمه انتهى حد ابن رشيق وقيل التشبيه الحاق ادنى الشيئين باعلاهما فى صفة اشتركا فى أصلها واختلفا فى كيفيتها قوة وضعفا قلت وهذا حد مفيد وأورد ابن أبى الاصبع فى كتابه تحرير التحبير للرمانى حدا زاد فى حسنه على الحد وهو أن التشبيه تشبيهان الاول منهما تشبيه شيئين متفقين بأنفسهما كتشبيه الجوهر بالجوهر مثل قولك ماء النيل كماء الفرات وتشبيه العرض بالعرض كقولك حمرة الخد كحمرة الورد وتشبيه الجسم

(التشبيه)

(وله الى ابى عامر عدنان ابن عامر الضبى يعزيه ببعض أقاربه)

اذا ما الدهر جر على اناس
حوادثه اناخ بآخرينا
فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا

احسن مافى الدهر عمومه بالنوائب وخصوصه بالرغائب فهو يدعو الجفلى اذا ساء ويختص بالنعمة اذا شاء فلينظر الشامت فان كان افلت فله ان يشمت ولينظر الانسان فى الدهر وصروفه والموت وصنوفه من فاتحة امره الى خاتمة عمره هل يجد لنفسه اثرا فى نفسه ام لتدبيره عونا على تصويره ام لعمله تقديما لامله ام لحيله تأخيرا لاجله كلا بل هو العبد لم يكن شيأ مذكورا خلق مقهورا ورزق مقدورا فهو يحيا جبرا ويهلك صبرا ولينأمل المرء كيف كان قبلا فان كان العدم

بالجسم كقولك الزبرجد مثل الزمرذ * والثانى تشبيه شيئين مختلفين بالذات يجمعهما معنى واحدا مشتركا كقولك حاتم كالغمام وعنترة كالضرغام وتشبيه الاتفاق وهو الاول تشبيه حقيق وتشبيه الاختلاف وهو الثانى تشبيه مجازى والمراد المبالغة انتهى ووقوع حسن البيان والمبالغة فى التشبيه على وجوه منها اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة وقد عن لى أن أوضح هنا للطالب ما وقع من النظم البديع من تشبيه المحسوس بالمحسوس وتشبيه المعقول بالمعقول وتشبيه المعقول بالمحسوس وتشبيه المحسوس بالمعقول * وهذا القسم الرابع عند اصحاب المعانى والبيان غير جائز ويأتى الكلام عليه فى موضعه وقد تعين تقديم ما وعدت به أولا من تشبيه المحسوس بالمحسوس فان الذى تقع عليه الحاسة فى التشبيه أوضح مما لا تقع عليه الحاسة والشاهد أوضح من الغائب وقال قدامة أفضل التشبيه ما وقع بين شيئين اشتراكهما فى الصفات أكثر من انفرادهما حتى يدنى بهما الى الاتحاد انتهى ولم يخطر لى ان أورد هنا من التشبيهات البديعة التى اخترتها أمثلة لهذا النوع الا ما خف على السمع وعذب فى الذوق وارتاحت الانفس الى حسن صفاته فان التشابيه التى تقادم عهدها العرب رغب المولدون عنها فانهم امع عقادة التركيب لم تسفر عن بديع معنى الا ما قل وندر فمن ذلك قول امرئ القيس

وتعطو برخص غير شثن كأنه * أساريع ظبى أو مساويك اسحل

فغاية امرئ القيس هنا أنه شبه أنامل محبوبته بأساريع وهى دواب تكون فى الرمل ظهورها ملس وبمساويك اسحل والاسحل شجر له أغصان ناعمة أين هذا من قول الراضى بالله فى هذا الباب

قالوا الرحيل فأنشبت أظفارها * فى خدها وقد اعتلقن خضابا
فكأنها بأنامل من فضة * غرست بأرض بنفسج عنابا

ومثله قول القائل

قبلته فبكى وأعرض نافرا * يذرى المدامع من كحيل أدعج
فكأن سقط الدمع من أجفانه * لما بدا فى خده المتضرج
برد تساقط فوق ورد أحمر * من نرجس فسقى رياض بنفسج

انظر أيها المتأمل الى هذه التشابيه التى يرشفها السمع مداما * وتهيم الاذواق السليمة فى محاسنها غراما * ومن ذلك قول ابن حاجب النعمان

ثغر وخد ونهد واحمرار يد * كالطلع والورد والرمان والبلح

ومثله قول ابن رشيق

بفرع ووجه وقد وردف * كليل وبدر وغصن وحقف

المراد هنا من حسن التشبيه وبليغه غير كثرة العدد فى الصفات فان قاضى القضاة نجم الدين بن البارزى نور الله ضريحه وصل فيه من العدد الى سبعة واوردت ذلك فى باب اللف والنشر وأوصله الناس الى اكثر من ذلك ولكن جل القصد هنا غير كثرة العدد فان المراد من التشبيه غرابة اسلوبه وسلامة اختراعه كقول القائل

أصلا والوجود فضلا فليعلم الموت عدلا والعاقل من رفع من حوائل الدهر ما ساء ليذهب ما ضر بما نفع وان أحب ان لا يحزن فلينظر بعينه هل يرى الا محنة ثم ليعطف بصره هل يرى الا حسرة ومثل الشيخ الرئيس من تفطن لهذه الاسرار وعرف هذه الدار فأعد لنعمتها صدرا لا يملؤه فرحا ولبؤسها قلبا لا يطيره جزعا وصحب الدهر برأى من يعلم ان للمتعة حدا وللعارية ردا ولقد نعى الى أبو قبيصة قدس الله روحه وبرد ضريحه فعرضت على آمالى قعودا وأمانى سودا وبكيت والسخى بما ملك وضحكت وشر الشدائد ما يضحك وعضضت الاصبع حتى أفنيته وذممت الموت حتى تمنيته والموت خطب قد عظم حتى هان وأمر قد

بخز

وتحدث الماء الزلال مع الحصى * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء وشيا ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

أقول ان تشبيه هذا الدر المضمر هنا أغلى قيمة من الدر الظاهر في عقود الاجياد ومثله في الغرابة وسلامة الاختراع قول ابن المعتز

كأنه وكأن الكاس في فمه * هلال أول شهر غاب في الشفق

ومن ذلك قوله

على عقار صفراء تحسبها * شيبت بمسك في الدن مفتوت
للماء فيها كتابة عجب * كمثل نقش في فص ياقوت

ومثله قول ابن حجاج وهو بديع

هذي المجرة والنجوم كأنها * نهر تدفق في حديقة نرجس

ومن مخترعات ابن المعتز في تشبيه الهلال قوله

انظر الى حسن هلال بدا * يهتك من أنواره الحندسا
كمنجل قد صيغ من عسجد * يحصد من زهر الدجى نرجسا

ومن مخترعاته أيضا في الهلال

قد انقضت دولة الصيام وقد * بشر سقم الهلال بالعيد
يتلو الثريا كفاغر شره * يفتح فاه لأكل عنقود

ومثله قوله فيه

وجاءني في قميص الليل مستترا * يستعجل الخطو من خوف ومن حذر
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا * مثل القلامة قد قدت من الظفر

هذا التشبيه ذكروا أنه من مخترعات ابن المعتز ولكن زاده القاضي الفاضل بهجة ونقله من الاعلى الى الادنى فان رتبة الهلال وعلوها في التشبيه على قلامة الظفر ما برحت مقررة في الخواطر الى أن نقلها القاضي الفاضل بطريق بديعية اقتضتها الحال وهي قوله مبالغا في وصف قلعة نجم بالعلو وأما قلعة نجم فهي نجم في سحاب وعقاب في عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامة فخضاب الاصيل لهذه الانملة حسن أن يكون الهلال لها قلامة وهذه غاية فاضلية لا تدرك وقد وصلوا في تشبيه الهلال الى السبعين ولكن ما أوردت هنا الا أبلغ ما وقع في تشبيهه ويعجبني من التشابيه البليغة في هذا الباب قول ابن طباطبا

أما والثريا والهلال جلتهما * لي الشمس اذ ودعت كرها نهارها
كأسماء اذ زارت عشاء وغادرت * دلالا لديها قرطها وسوارها

ومثله في الحسن والغرابة قول أبي نواس

وعين الجوزاء تبسط باعا * لعناق الدجى بغير بنان
وكأن النجوم أحداق روم * ركبت في محاجر السودان

خشن حتى لان ونكر قدمهم حتى عاد عرفا والدنيا قد تنكرت حتى صار الموت أخف خطوبها وجنت حتى صار أصغر ذنوبها وأضمرت حتى صار أيسر عيوبها وابهمت حتى صار أظهر عيوبها ولعل هذا السهم آخر ما في كنانتها وأزكى ما في خزائنها ونحن معاشر التبع نتعلم الادب من اخلاقه والجميل من افعاله فلا نحثه على الجميل وهو الصبر ولا نرغبه في الجزيل وهو الاجر فليرفيهما رأيه ان شاء الله تعالى

(وله)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وقد استخرت الله في هذا الباب وشاورت ذوي الالباب فأما الله فخار وأما أولو الالباب فكل اشار وان يشاء الله يفض بالامر الى حال يسعه مولى ويسعني عبدا وشد ما بخلت بهذه الكلمة ونفرت عن هذه

ومثله قول القائل

كأن نجوم الليل مزهرة لنا * ثغور بني حام بدت للتثاؤب

ويعجبني من التشابيه الغريبة قول ابن نباتة السعدي في جواد أدهم أغر محجل

تتشال منه على أغر محجل * ماء الدياجي قطرة من مائه

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض في أحشائه

ومن التشابيه اللطيفة البديعية قول القاضي التنوخي من قصيدة

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك في قدح من نضار

كأن المدير لها باليمين * اذا مال للشرب أو باليسار

تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

ومثله في اللطف والغرابة قول القائل

كم وردة تحكي بسبق الورد * طليعة تسرعت من جند

قد ضمها في الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ودخل مجير الدين بن تميم الى حديقة هذه الوردة فزاد بعدها تقريبا بقوله

سبقت اليك من الحدائق وردة * وأتتك قبل أوانها تطفيلا

طمعت بلثمك اذ رأتك فجمعت * فمها اليك كطالب تقبيلا

وظرف من قال في الوردة

كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

ومثله في الظرف قول أيدمر المحيوي في النرجس

وكأن نرجسه المضاعف خائض * في الماء لف ثيابه في رأسه

ويعجبني في تشبيه النرجس قول شهاب الدين أحمد القماح راح رجاح الديار المصرية في فن الزجل في بعض أزجاله

وفي الازاهير قم ترى شي تذهب * وشي تصير قد زها وتفضض

النرجس احداقو الشهل نعسانه * الا انها من الندى ليس تغمض

وحين فتح عينو في وجهي شبهت * اصفر ولما بدا في الابيض

ماز عفران على نصافي مطبوع * والافصوص كهرب في بلار يوجد

والاتخل شمسات لجين مبرودات * قد سمروا فيها مسامير عسجد

وتلطف ابن المعتز في تشبيه حباب الراح بقوله

يجول حباب الماء في جنباتها * كما جال دمع فوق خد مورد

ومثله في اللطف قول ديك الجن الحمصي

موردة من كف ظبي كأنما * تناولها من خده فأدارها

ومن المستغرب في وصف البنفسج ما نسب الى ابن المعتز وهو

ولازوردية أوفت بزرقتها * بين الرياض على زرق اليواقيت

السمة هذا الشيخ الشهيد أبو نصر رحمه الله مدلها اللفظ فلم يحظ وهذا ابن عباد شد لها الرحل فلم يحل وما اعتد على الشيخ بمنة لكن امسكها علق مضنة فلم يبق في الخدمة نوع من أقربها طوعا والحمد لله رب العالمين لا والله ما تأخرت كتبي عن حضرة الشيخ لا كبر منه قدرا واعظم من الوزارة صدرا انه للفحل لا يقدع انفه وانها للعال لا يظهر فوقها لكن بلدان العراق شكت الى ألم الفراق فنويت ان اعتبها واقمت على حالة لو قصرت فيها الصلاة لجاز يوما أعد الجهاز ويوما التمس الجواز والايام تدب خلال هذه الفرصة والليالي تدرج وأنا لا اخرج حتى ورد الدهقان أبو جعفر فرأى آلات السفر وانتظار النفر وأمرا قد قضى

كأنه فوق طاقات نهضن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

اوردوا على هذا التشبيه نقدا ولكن ما يحتمل البنفسج هنا نقله ومن التشابيه الغريبة قول بعضهم فى تشبيه النار

انظر الى النار وهى مضطرمة * وجمرها بالرماد مستور

شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريشهن منشور

ومثله فى الغرابة والحسن قول ابن الخلال فى تشبيه الشمعة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها

شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها

كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

أقول انها أنور من شمعة الارجانى وان مشى غالب الناس على ضوئها ومن التشابيه الغريبة المنسوبة الى ابن المعتز أو ابن الرومى تشبيه أرباع الجوز الاخضر وهو

جاءت بجوز أخضر * مكسر مقشر * كأنما أرباعه * مضغة علك كندر

ومن التشابيه العقم التى لم يسبق صاحبها اليها قول القائل فى أحدب

قصرت أخادعه وغاب قذاله * فكأنه مترقب أن يصفعا

وكأنه قد ذاق أول صفعة * وأحس ثانية لها فتجمعا

ومما ينسب الى امام هذه الصناعة القاضى الفاضل قوله فى نفسه وهو فى غاية الظرف

ما كان يكمل حرذا الايوان حتى ازداد قببه

فكأننى فيه خروف شوى ومن فوقى مكبه

ويعجبنى من التشابيه البليغة قول القائل

أأميم لو شاهدت يوم نزالنا * والخيل تحت النقع كالأشباح

تطفو وترسب فى الدماء كأنها * صور الفوارس فى كؤس الراح

ومثله فى الحسن قول الناشئ

فى كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الحجال وغيدا

واذا المزاج أثارها فتقسمت * ذهبا ودرا توأما وفريدا

فكأنهن لبسن ذاك المجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

هذا المعنى ولده الناشئ من قول أبى نواس فى التصوير

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم

فلو ردّ فى كسرى بن ساسان روحه * اذا لاصطفانى دون كل نديم

وألم به ابن قلاقس فيما بعد وسبكه فى قالب حسن بقوله

دارت زجاجتها وفى جنباتها * كسرى أنوشروان فى ايوانه

فخلعت عن عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت فى سلطانه

وألم به الشيخ صلاح الدين الصفدى وأجاد الى الغاية مع حسن التضمين بقوله

اوكاد وعزما قد بلغ وزاد وتقسا اجتوت هذه البلاد وذكرت الميلاد فقال الدالة ماهذه الغربة الضالة وقالت الشفقة ماهذه الغرمة المشفقة وهل تخلف وراءك الا البحر وتقصد أمامك الا النحر الاترى اختلاف السيوف واضطراب الامور وازدحام الخطوب واعتراض الحتوف والتماء الجوع وأتت بهذه الامصار تمشى على الابصار ولو رأيت الشيخ لرأيت الجمال بجملته والكمال بكليته والعالم فى بردته والمراد برمته فقلت اللهم غفرا اذن أقصده طفرا وأخدمه ابتدارا ولا السيل وافق انحدارا فقدمت هذا الكتاب وبودى أن أكونه وأسعد دونه وأنا انتظر الجواب فان سامحت به نفسه الرفيعة كنت ان شاء الله نعم الصنيعة فان أبى رأيه

ومشمولة قدهام كسرى بكأسها * فاضحى ينادى وهو فيها مصوّر
وقفت لشوقى من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

وألم به بعده الصاحب فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى بقوله

اذا ما أديرت فى حشا عسجدية * بها كل ذى تاج وقيصر تصوّرا
فحسبك نبلا فى السيادة أن ترى * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا

لم أورد هذه الابيات التى ولدها المتأخرون فى معنى التصوير خالية من التشبيه وأداته الا لفائدة عنّت لى ايرادها هنا وهى معرفة الموجب لنقش هذه الصورة على ظاهر الكاسات ذكر الفقيه أبو مروان الكاتب بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون ان سابور بن هرمز الملقب بذى الاكتاف لما رجع من قتال بنى تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا واستشار قومه قبل ذلك فحذروه فلم يقبل قولهم وصار اليها فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل فى جملتهم وجلس على بعض موائدهم وكان قيصر قد أحكم تصوير سابور على آنية شرابه فانتهت الكأس فى المجلس الى يد بعض ندماء الملك وكان ذكيا حاذقا ومن الاتفاق العجيب جلوس سابور فى مقابلته فصار النديم ينظر الى الصورة والى سابور ويتعجب من تقارب الشبهين فلم يسعه غير القيام الى الملك والاسرار اليه بما شاهده فقبض فى الحال على سابور ولما مثل بين يدى قيصر سأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور هربت منه لأمر خفته فلم يقبل ذلك منه وقدم الى السيف فأقر بنفسه وجعل فى جلد بقرة وتمام امره الى أن خلص وعاد الى ملكه يطول شرحه هنا ومن أراد ذلك ينظر من سلوان المطاع فى السلوانة الثانية فانها مشتملة على انواع من الحكمة * رجع الى فتح باب ما كنا فيه من تشبيه المحسوس بالمحسوس من التشابيه الملوكية التى لا يقع مثلها للسوقة تشبيه سيف الدولة ابن حمدان فى قوس قزح وهو

وساق صبيح للصبوح دعوته * فقام وفى اجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم * فمن بين منقض الينا ومنفض
وقد نشرت أيدى الجنوب مطارفا * على الجو دكنا والحواشى على الارض
يطرزها قوس السحاب بأصفر * على أحمر فى أخضر اثر مبيض
كأذيال خود أقبلت فى غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

ومن تشابيه سيف الدولة الغريبة أيضا قوله

أقبله على جزع * كشرب الطائر الفزع

ومن التشابيه اللطيفة ما نسب الى ابليس فان القاضى شمس الدين بن خلكان ذكر فى تاريخه عند ترجمة ابن دريد أنه قال سهرت ذات ليلة فلما كان آخر الليل غمضت عينى فرأيت رجلا طويلا أصفر اللون كوسجا دخل علىّ وأخذ بعضادتى الباب فقال انشدنى أحسن ما قلت فى الخمر فقلت ما ترك أبو نواس لاحد دخولا فى هذا الباب فقال أنا أشعر منه فقلت ومن أنت فقال أنا أبو ناجية من أهل الشام وانشدنى

التشريف أن يقلد حتى يجتهد ويستوزن حتى يزن احتكمنا الى الجبارة والتعبير نصف التجارة وللشيخ فيما يراه فيه رأيه العالى ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الامام ابى الطيب)

الشيخ الامام قد رجح الخاطبين بين عادة كرم وعارض ندم يقول الكرم تحملها غرامة ويقول الندم لا ولا كرامة والكرم أهدى الى المناقب وانظر فى العواقب والندم اشد للبشرية وفاقا وعلى العاقل أشفاقا فان لم يكن فى البين تخليط فلم لا يبعث بالحاضر ويحيل بالآخر والشيخ الامام يفعل فى هذا الباب ما هو اهله فقد علم خوض الناس بين الطمع فيه سما واليأس ويرتجى من قائل ما فعل وسائل ما حصل عالى رأيه ان شاء الله تعالى

وحمراء قبل المزج صفراء بعده * أتت بين ثوبي نرجس وشقائق
حكت وجنة المعشوق صرفا فسلطوا * عليها مزاجا فاكتست لون عاشق

ومن بليغ التشبيهات وبديعها قول أبي محمد عبد الله ابن قاضي ميلة في قصيدته الفائية التي امتدح بها ثقة الدولة القضاعي صاحب صقلية الروم وسارت له بها الركبان وأثبتها القاضي شمس الدين بن خلكان بكمالها في تاريخه وقد تقدم ذكر مطلعها في حسن الابتداء والتشبيه الموعود بإيراده هنا قوله من القصيدة المذكورة

وجو جؤجؤ مزن الرعد يستل ودقه * ترى برقه كالحية الصل يطرف
ذكرت بها ريا وما كنت ناسيا * فأذكر لكن لوعة تتضعف
كأني إذا ما لاح والرعد معول * وجفن السحاب الجون بالماء يذرف
سليم وصوت الرعد راق وودقه * كنفث الرقي من عظم ما أتلهف

ومن لطائف التشبيهات البليغة قول القاضي الفاضل من قصيد

كأن ضلوعي والزفير وأدمعي * طلول وريح عاصف وسيول

ومثله في اللطف قوله

لو لم يعطل خاطري من سلوة * ما كان خدي بالمدامع حالي
أودعته قلبي فخان وديعتي * فسواده في خده كالخال

ومن التشابيه الغريبة البديعة قوله أيضا من قصيدة أخرى

وقد تهادت سيوف الهند إذ خضبت * كالشرب حين تهادى بالزجاجات

ويعجبني من لطائف التشبيه قول محيي الدين بن قرناص الحموي

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر والعقيق
خصره تحت أحمر البند يحكي * خنصرا فيه خاتم من عقيق

ومن التشابيه البديعة قول مجير الدين بن تميم

ونهر إذا ما الشمس حان غروبها * ولاحت عليه في غلائلها الصفر
رأينا الذي أبقت به من شعاعها * كأنا أرقنا فيه كاسا من الخمر

ومثله قوله

وناعورة قد ألبست لجمالها * من الشمس ثوبا فوق أثوابها الخضر
كطاوس بستان تدور وتنجلي * وتنفض من أرياشها بلل القطر

ومن التشابيه البليغة الرافلة في حلل التورية قوله أيضا

أبدى السنان جراحة في خده * تحت العذار فعال قلب قاسي
وتطلبوا الآسي فحاظروا به * معهم وعز وجوده في الناس
شبهت سوسنة أبانت وردة * تحت البنفسج ما لها من آس

ومثله قوله

لو كنت حين علوت ظهر مطية * لم يعتلقها للمطي عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها ألفا وتحتي نون

(وله أيضا)
وصلت رقعتك أطال الله بقاءك وخلك في تلك السفارة مثل الفارة طفقت تقرض الحديد فقيل لها ويحك ما تصنعين بالناب ورأسه والحديد وبأسه فقالت أشهد ولكني أجهد وإن تنج من تلك الأسباب فنجي الذباب بقاذورك لا بمعاذيرك وبلؤمك ليس بلومك وبل أملك جنينا ما أنفذ كيدك على ضعفه واحد غربك على ضعفه انت ولا ذمة والسلام

(وله إلى الشيخ أبي نصر)
كأني أطال الله بقاء الشيخ وفرجي في كريم يحضر ذلك الجناب فيحسن المتاب ولا أعدم إن شاء الله بتلك الساحة الكريمة من يحلي بهذه الشيمة على أن الطباع إلى الذم أميل والعقرب إلى الشر أقرب

ومثله قوله

شبهت خدك يا حبيبي عندما * ابدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا رقيقا بالنضار مشعرا

ويعجبني قوله مع التشبيه البليغ وحسن التضمين الذي ما تضمن مثله ديوان

غدير دار نرجسه عليه * ورق نسيمه وصفا ورا قا
تراه اذا حللت به لورد * كأن عليه من حدق نطاقا

ويعجبني من لطائف التشبيه تخيل محيي الدين بن قرناص الحموي بقوله

لقد عقد الربيع نطاق زهر * يضم لغصنه خصرا نحيلا
ودب مع العشي عذار ظل * على نهر حكى خدا أسيلا

تشبيه النهر هنا بالخد الاسيل ليس له في الحسن مثيل ومثله قوله

لما تبدى النهر عند عشية * والروض يخضع للصبا والشمال
عاينته مثل الحسام وظله * يحكي الصدا والريح مثل الصيقل

ومن التشابيه البليغة التي جمعت بحسن التورية بين الصورة والمعنى وشبب بمحاسنها الرواة في كل مغنى قول الشيخ جمال الدين بن نباتة في وصف قوس البندق بعد تغزله في الرامي

قد حمد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
في كفه محنية الأوصال * قاطعة الاعمار كالهلال

ثم قال منها وهي الطردية الموسومة بنظم السلوك في مصائد الملوك ولم يخرج عن تشبيه القوس مع اشتراك التورية

كأنها حول المياه نون * أو حاجب بمائها مقرون

ويعجبني منها قوله في وصف التم مع حسن التضمين

تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت أذيال الدجا

ومنها يشبه الطيور الواقعة على قسي الرماة

كأنها وهي لديها وقع * لدى محاريب القسي ركع

ومن التشابيه الغريبة التي لم يسبق الشيخ جمال الدين بن نباتة اليها قوله

أشكو السقام وتشكو مثله أمراتي * فنحن في الفرش والاعضاء ترتج
نقسان والعظم في نطع يجمعنا * كأنما نحن في التمثيل شطرنج

ومثله في الغرابة قوله من قصيدته اللامية التي عارض بها كعب بن زهير في مديح النبي صلى الله عليه وسلم مع التضمين الفائق

ما يمسك الهدب دمعي حين أذكركم * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن لطائف التشبيهات قول بدر الدين حسن الزغاري في وصف زهر الزنبق

وزهرة من زنبق * أنوارها واهجه

والسان بالقدح اجرأ منه بالمدح والحاسد يعمى عن محاسن الصبح بعين تدرك دقائق القبح والهروي جسد كله حسد وعقد كله حقد فلا يجذب التخلق بضبعه عن طبعه ولا يأخذ التكلف بخلقه عن طرقه من اسفراين صادرا عن سدة الامير بسجستان الى حضرته يوشيخ منتهزا من لقاء الشيخ فرصة ان رزقتها فلله الحمد ولي البشرى من بعد وصلى الله على محمد وآله كنت أيد الله الشيخ أطارد الايام عن أملي فيه وتطاردني عن تلاقيه فكلما شاقني من الحرص شائق عاقني عنه من الدهر عائق وكثيرا ما سمعت بفضله فتنفست صعداء الخلي عن ورده المأخوذ به عن قصده وليس الا السكون والصبر أو الحزن والقبر فلما فرج

صفراء في مبيضة * كالراح في الزجاجه

ويعجبني من التشبيه البديع قول الشيخ عز الدين الموصلي مع حسن التضمين

وساهري أعار البدر منه سنا * سموه نجما وهذا النجم غرار

تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم في رأسه نار

وأما التشبيه الذي ولده الشيخ برهان الدين القيراطي فانه من غايات هذا الباب وهو قوله من قصيد

والبدر يستر بالغيوم ويجتلي * كتنفس الحسناء في مرآتها

وقال أبو حفص برد

والبدر كالمرآة غير صقلها * عبث الغواني فيه بالانفاس

والمضمن الربع الاخير من البيت وهو من شعر أبي بكر محمد بن هاشم * ومن لطيف التشبيه قول الشيخ علاء الدين علي بن ايبك الدمشقي

مغنم العارض غنى لنا * أشيا في السمع حلا ذوقها

كأنما في فيه قمرية * تشدو ومن عارضه طوقها

ومن التشابيه البديعية التي لم تدرك في هذا الباب تشابيه الصاحب فخر الدين بن مكانس في قصيدته المشهورة المشتملة على وصف شجرة السرح

مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء

كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الدكناء قرص على أعكان سمراء

ومنها في وصف سواد السفينة على بحر النيل

نسعى اليها على جرداء جارية * من آلة كهلال الافق حدباء

سوداء تحكي على الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء

وتطرف الشيخ عز الدين الموصلي بقوله في هذا النوع وان لم يأت ببليغ التشبيه

قبل صف هذا الذي همت به * قلت في وصفي مع حسن المسالك

هو كالغصن وكالظبي وكالشمس وكالبدر وما أشبه ذلك

لطف التشبيه في قوله وما اشبه ذلك ومن التشابيه التي لم أسبق اليها قولي من قصيد

حين قابلت خده بدموع * أثرت خلت ثوب خز مختم

ومثله قولي من قصيد

والغصن يحكي النون في ميلانه * وخياله في الماء كالتنوين

ومثله قولي من المدائح المؤيدية

يا حامي الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يعمر بمكة ساهر

والله ان الله خولك ناظر * هذا وما في العالمين مناظر

فرج على المهون تنظم عسكرا * وأطاعه في النظم بحر وافر

فانبت منه زحانه في وقفه * يامن بأحوال الوقائع شاعر

وجميع هاتيك البغاة بأسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

وعلى

الله بثاقب رأي الامير الجليل وتوقيعه الطويل وظهر وجه السبيل من ذلك القبيل آثرت التنحي عن سنن السيوف ربما يقلع مصابها ويكف أصحابها فقصدت من حضرة الامير مربع الوفود ومطلع الجود فلما عزم العزم الميمون واصلت حضرته بالكتب واستأذنته في الوقوع الى هراة مع الجموع ولم يكن لي بهراة مراد الا الشيخ ولقاؤه وأرجو ان يصادف هذا الشوق قبولا ويرزق هذا الكتاب وصولا

(وله رقعة الى شيخ عاوده مرارا)

عافاك الله مثل الانسان في الاحسان مثل الاشجار في الاثمار سبيل من أتى بالحسنة ان يرفه الى السنة وأنا كما ذكرت لا أملك عضوين من جسدي وهما فؤادي ويدي أما الفؤاد فيعلق بالوفود

وعلى ظهور الخيل مانوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

تالله لقد وقع هذا التشبيه من مولانا السلطان خلد الله ملكه بموقع وأعجبه غاية الاعجاب واستعاده منه مرارا ومن التشابيه العقم قولي في وصف حمائم البطائق من الرسالة التي عارضت بها الفاضل كم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظهرت بكف خضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشفيق لامر مريب وكم لمع في أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح انتهى ما أوردته نظما ونثرا من بليغ التشبيه في باب المحسوس بالمحسوس وقد تعين أن اورد هنا ما وقع في النظم من التشبيه الذي هو غير بليغ لينقح ذهن الطالب وتصفو مرآة ذوقه فقد عاب الاصمعي بين يدي الرشيد قول النابغة

نظرت اليك بحاجة لم تقضها * نظر المريض الى وجوه العوّد

فقال يكره تشبيه المحبوب بالمريض ومثله قول أبي محجن الثقفي في وصف قينة

ترجع العود أحيانا وتخفضه * كما يطير ذباب الروضة الغرد

قد تقدم القول وتقرر أن المولدين ومن تبعهم رغبوا عن تشابيه العرب لانها مع عقادة التركيب لم تسفر عن كبير أمر وقال ابن رشيق في العمدة ان طريق العرب خولفت في كثير من الشعر الى ما هو أليق بالوقت وأمس بأهله فان القينة الجميلة لم ترض أن تشبه نفسها بالذباب كما قال ابو محجن ومثل ذلك قول ابن عون الكاتب

يلاعبها كف المزاج محبة * لها وليجري الآن بينهما الانس

فتزبد من تيه عليه كأنها * عزيزة خدر قد تخبطها المس

بشاعة هذا التشبيه تمجها الاذواق الصحيحة وتنفر منها الطباع السليمة فان أهل الذوق ما يطيب لهم أن يشربوا شيأ يشبه زبد المصروع ومن التشابيه الغريبة التي جمعت بين عدم البلاغة وعقادة التركيب قول الشاعر

فأصبحت بعد خط بهجتها * كأن قفرا رسومها قلما

التقدير فأصبحت بعد بهجتها قفرا كأن قلما خط رسومها وعدوا من التشابيه التي هي غير بليغة قول الشاعر في وصف الروض

كأن شقائق النعمان فيه * ثياب قد روين من الدماء

فهذا وان كان تشبيها مصيبا فان فيه بشاعة كثرة الدماء التي تعاف الانفس اللطيفة رؤيتها وثبوت هذا النقد اتصل بالمتأخرين ونقدوه على الحاجري في قوله

وما اخضر ذاك الخد نبتا وانما * لكثرة ما شقت عليه المرائر

وقالوا ما زاد الحاجري على أن جعل خد محبوبه مسلخا فالتشبيه أيضا وان كان مصيبا فان فيه بشاعة شق المرائر على خد المحبوب وبعضهم ما اكتفى بشق المرائر على خد محبوبه حتى سفك عليه الدماء بقوله

وما احمر ذاك الخد واخضر فوقه * عذارك الا من دم ومرائر

ومثل ذلك ما عابوه على ابن قلاقس في قوله

واما اليد فتولع بالجود ولكن هذا الخلق النفيس لا يساعده الكيس وهذا الطبع الكريم ليس يحتمله الغريم ولا قرابة بين الادب والذهب فلما جمعت بينهما والادب لا يمكن ثرده في قصعة ولا صرفه في ثمن سلعة ولي مع الادب نادرة جهدت في هذه الايام بالطباخ أن يطبخ من جيمية الشماخ لونا فلم يفعل وبالقصاب ان يسمع ادب الكتاب فلم يقبل واحتيج في البيت الى شئ من الزيت فانشدت شيأ من شعر الكميت الفا ومائتي بيت فلم يغن ولو وقعت أرجوزة العجاج في توابل السكباج ما عدمتها عندي ولكن ليست تقع

أماترى الصبح يخفى فى دجنته * كانماهو سقط بين أحشائى

لاشك أن بهجة الصبح فى أواخر الليل أبهج من السقط بين الاحشاء والمشبه أعلى وأغلى من المشبه به وعلى كل تقدير فالسقط بين الاحشاء وسفك الدماء وشق المرائر على خدود الاحباب تنفر منها الامزجة اللطيفة اللهم الا ان يكون ذلك ليس له تعلق بشئ من أوصاف المحبوب بل يكون تعلقه بحكاية حال واقعة كقول الشاعر

نزلنا بنعمان الاراك وللندى * سقيط به ابتلت علينا المطارف
وقفت بها والدمع أكثره دم * كانى من جفنى بنعمان راعف

هذه الحالة لاينكر لها جريان الدمع دما فانها حالة لائقة بجريانه على هذه الصفة لان هذا الشاعر لما أن نزل بنعمان التى هى منازل احبابه ووجدها مقفرة منهم لائق بحاله ان يجرى الدمع لشدة الاسف دما ومثله قول ابن قاضى ميلة من قصيدته التى تقدم ذكرها

ولما التقينا محرمين وسيرنا * بلبيك ربا والركائب تعسف
نظرت اليها والمطى كانما * غواربها منها معاطس رعف

هذا التشبيه غاية فى هذا الباب وجريان الدماء من غوارب المطى لائق بحكاية حالها فان هذه الحالة فيها الطف الكنايات عن التعسف فى شدة السرى قلت وان سبكت هذه الحالة فى قوالب الهجو ووضعها الشاعر فى صفات من هجاه كانت احسن موقعا وابلغ موضعا كقول مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى البارزى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية عظم الله تعالى شأنه فى هجو من لايمكن ذكره هنا من قصيد

وقد علت اسنانه صفرة * تكدر العيش المرئ المريع
ولهامن ورم فاسد * كالرئة المحموس فيها نجيع

هذا التشبيه لم اجد له شبيها فى هذا الباب الا تشبيه ابن الرومى فى هجو الورد وقد تقدم ذكره فلو جمع المتأمل بين المشبه المهجو وبين المشبه به وشاهد هذا التخييل الغريب عيانا صدق صحة دعواى فى ذلك ومن التشابيه التى هى غير بليغة قول ابن وزير فى تشبيه الماء على الرخام

لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جارى
كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

وتلطف ابن الدورى فى هجاء هذا الشاعر حيث قال

وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء
اقام يجهد اياما قريحته * وشبه الماء بعد الجهد بالماء

ذكرت هنا من التشابيه التى هى غير بليغة قول الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تشبيه القمر فى خلال الاغصان لما انثنت

كانما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم فى غيهبه

بنت

ثما اصنع فان كنت تحسب اختلافك الى افضالا على فراحتى أن لاتطرق ساحتى وفرجى ان لا تجى والسلام

(وكتب أبو القاسم الهمذانى اليه)

قد طمحت لسيدى حاجة ان قضاها وبلغ رضاها وان ذاق حلاوة العطاء وان اباها وقل شباها لقى مرارة الاستبطاء فأى الجودين اخف عليه جوده بالعلق أم جوده بالعرض ونزوله عن الطريف ام عن الخلق الشريف

(فاجابه)

جعلت فداك هذا طبيخ كله توبيخ وثريد كله وعيد ولقم الا انها نقم ولم أر قدرا اكثر منها عظما

بنت مليك خلف شبا كها * تفرجت منه على موكبه

وقد أورد عليه علامة عصرنا القاضي بدر الدين الدماميني فسح الله تعالى في أجله في كتابه المسمى بنزول الغيث الذى انسجم في شرح لامية العجم نقدا كشف به القناع من عدم بلاغة هذا التشبيه فان الشيخ بدر الدين المشار اليه قال وقوله صحيح ان ظاهر عبارة الشيخ صلاح الدين تشبيه الاغصان فى حالة انثنائها أمام البدر فى الدجى ببنت مليك تطل من شبا كها للنظر فى موكب ابيها وذلك عن مظان التشبيه بمعزل ومقصوده أن البدر فى حالة ظهوره من خلال الاغصان المتثنية على الصفة المذكورة يشبه بنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية لكن اللفظ لا يساعده على ذلك المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له المراد على أن مقطوع الشيخ صلاح الدين مع ما فيه من عدم بلاغة التشبيه مأخوذ من قول محيي الدين بن قرناص الحموى

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر فى الاسلاك

والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

قلت ليس لاهل النقد مدخل فى هذا الشباك انتهى ما أوردته هنا من التشبيه الذى هو غير بليغ فى باب المحسوس بالمحسوس وقد تقدم القول على موجب تقديمه فى باب التشبيه وتقرر أن مدركات السمع والبصر والذوق والشم واللمس التى هى الحواس الخمس أوضح فى الجملة مما لا تقع عليه الحواس انتهى (القسم الثانى وهو تشبيه المعقول بالمعقول) أقول ان هذا النوع فى هذا الباب ليس له مواقع المحسوسات وقد تكرر قولى فى ذلك وأحسن ما وجدت فيه أعنى تشبيه المعقول بالمعقول قول أبى الطيب المتنبى

كأن الهم مشغوف بقلبى * فساعة هجرها يجد الوصالا

وظريف هنا قول القائل من أبيات مع بديع الاستطراد

لفظ طويل تحت معنى قاصر * كالعقل فى عبد اللطيف الناظر

(القسم الثالث تشبيه المعقول بالمحسوس) وهو اخراج ما لا تقع عليه الحاسة الى ما تقع عليه الحاسة كقوله تعالى والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ فتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أبلغ التشابيه وأبدعها ومثله قوله تعالى مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف ومن النظم قول ابى على ابن سينا

انما النفس كالزجاجة والعلم سراج وحكمة الله زيت

ويعجبنى فى هذا الباب اعنى تشبيه المعقول بالمحسوس قول ابن منير الطرابلسى

زعم كمنبلج الصباح وراءه * عزم كحد السيف صادف مقتلا

(القسم الرابع تشبيه المحسوس بالمعقول) قد تقدم ان هذا القسم عند اهل المعانى والبيان غير جائز وما ذاك الا ان العلوم العقلية مستفادة من الحواس ومنتهية اليها ولذلك قيل من فقد حسا فقد علما وجه الصواب فى تشبيه المحسوس بالمعقول ان يقدر

ولا آكلا اكبر فى عظما ولم أرشر به امر منها طعما ولا اشار بالتمنى حلما ماهذه الحاجة ولتكن حاجاتك من بعد ألين جوانب والطف مطالب نوافق قضاها ونرافق ارتضاها

(وله الى الشيخ أبى نصر)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ وقد اغنت الحال بحمد الله عن التعريف ووجدت ما اتى من رأيه الشريف واسترق الشيخ مولاه بالذى اولاه واغنتنى يد اللقاء عن النظرة الجفاء وبالله ما سلكت موضع لقياه الا سألت الله سقياه والحر سريع الطفرة الا انه قصير السفرة ومثل الصفو مثل الصحو هذا بعد

البليغ المعقول محسوسا ويجعل اصل المحسوس على طريق المبالغة فرعا فيصح التشبيه حينئذ كقول الشاعر

وكأن النجوم بين دجاها * سنن لاح بينهن ابتداع

فانه لما شاع وصف السنة بالبياض والاشراق لقول النبي صلى الله عليه وسلم اتيتكم بالحنيفية البيضاء ليلها كنهارها واشتهرت البدعة وكل ما ليس بحق بالظلمة والسواد كقولهم ليل الشرك اقام هذا الشاعر السنن مقام الاجناس التي لها اشراق وبياض والبدع مقام اجناس السواد والظلمة فصار ذلك عنده كتشبيه محسوس بمحسوس فجاز له التشبيه على هذا التقدير كقول ابي طالب الرقي

ولقد ذكرتك والظلام كأنه * يوم النوى وفؤاد من لم يعشق

فانه لما كانت الاوقات التي تحدث فيها المكاره توصف بالسواد كقول من يقال مكروه اسودت الدنيا في عيني جعل هذا الشاعر يوم النوى اشهر بالسواد من الظلام فشبهه به وعرفه به ثم عطف عليه بفؤاد من لم يعشق تظرفا لان ظريف العشاق يدعي قسوة قلب من لم يعشق والقلب القاسي يوصف بشدة السواد فصار هذا القلب عنده اصلا في السواد على هذا التقدير فقس على ذلك ومثله قول القائل

أسفر ضوء الصبح من وجهه * فقام خال الخد فيه بلال
كأنما الخال على خده * ساعة هجر في ليال الوصال

سواد ساعة الهجر وبياض زمان الوصل قد فهم على ما تقرر وتكرر ومن ذلك قول الشاعر

كأن انتضاء البدر من تحت غيمه * نجاة من البأساء بعد وقوع

ومن البديع الغريب في هذا الباب قول القاضي التنوخي

اما ترى البرد قد وافت عساكره * وعسكر الحر كيف انساب منطلقا
فانهض بنار الى فحم كانهما * في العين ظلم وانصاف قد اتفقا
جاءت ونحن كقلب الصب حين سلا * بردا فصرنا كقلب الصب اذ عشقا

ويعجبني هنا قول الصاحب بن عباد وقد اهدى الى القاضي ابي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني عطرا

اهديت عطرا مثل طيب ثنائه * فكأنما اهدى له اخلاقه

ومن التشابيه البليغة في هذا الباب قول الشهاب محمود في تشبيه بعض الحصون والمبالغة في علوه

كأنه وكأن الجو يكنفه * وهم تكنفه في طيها الفكر

وغاية الغايات في هذا الباب اعني تشبيه المحسوس بالمعقول قول ابي نواس رحمه الله

معتقة صاغ المزاج لراسها * اكاليل در ما لناظمها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر اخلصه السبك

الكدر وهذا عقب المطر ولا خير في الخلتين دون القلتين يشوبهما كل خبث وينجسهما ادنى حدث وكذا الجد لا ينفك عن الجد بجر الحديد ولا ينسد على المسود بالجبال السود والشيخ لو هرب من مكرمة لتبعته ولو طرحها لعلقته ولو لم يأتها مختارا لاتته اجبارا والحمد لله وحده ولم أر كالشيخ بعد سماع وقرب عيان وعفة بذاء ولطف لقاء ولا مثلي اسراف يده يطويه بلسانه وينشر ما باحسانه ويهدي بحلوله الارض نضارة اذا حضرت وبالسنة الفضل ساكنة اذا نطقت واكثر ما في الفضل ان الشيخ

وادرك

وأدرك منها القائزون بقية * من الروح في جسم أضر به النهك
وقد خفيت من لطفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

ومثله قوله وأجاد فيه الى الغاية

وندمان سقيت الراح صرفا * وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها عليها * كمعنى دق في ذهن لطيف

والذي سارت به الركبان في هذا الباب قوله

فمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

انتهى ما أوردته من تشبيه المحسوس بالمعقول وتقرير صوابه وايراد بديعه وغريبه وقد تقرر وتكرر أن تشبيه المحسوس بالمحسوس هو المقدم في باب التشبيه وعلى أسه شيد أصحاب البديعيات بيوتهم ولكن بيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته غير صالح للتجريد فانه متعلق بالبيت المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى فتعين ايراد البيتين هنا لتظهر نتيجة التشبيه فبيت ائتلاف اللفظ مع المعنى في بديعيته قوله

كأنما حلق السعدي منتثرا * على الثرى بين منقض ومنفصم

واتبعه بقوله في التشبيه

حروف خط على طرس مقطعة * جاءت بها يد غمر غير مفتهم

قلت الكمال لله كل من البيتين فيه نقص لافتقاره الى الآخر ولو تجرد أحدهما عن أخيه ما حسن السكوت عليه ولا تمت به فائدة وكيف يصح التشبيه في بيت واحد وجل القصد به أن يكون بمجرده مثالا للنوع المذكور والمشبه في البيت الاول والمشبه به في البيت الثاني والذي أقوله اني لم أر في البيت الاول المشتمل على ائتلاف اللفظ مع المعنى معنى ولا على بيت التشبيه الذي بعده للبلاغة بهجة لافتقاره الى الاول والله أعلم ومن غرائب ما ينقل هنا أن العميان ما نظموا نوع التشبيه في بديعيتهم ونظموا رد العجز على الصدر وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله في مديح النبي صلى الله عليه وسلم

وقيل للبدر تشبيه لهم نعم * نجم الثريا له كالنعل في القدم

بيت الشيخ عز الدين هنا صالح للتجريد بخلاف بيت الشيخ صفي الدين اذ المراد به أن يكون بمجرده شاهدا على نوع التشبيه ولكن معناه مأخوذ من بيت الفاضل في قصيدته الطائية المشهورة والبيت المأخوذ منه هذا المعنى قوله منها

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذا لك طا

من أين لعقادة الشيخ عز الدين أو لغيره أن يقول في الشطر الاول من بيت قافيته طائية

أما الثريا فنعل تحت أخمصه

ويقول في الشطر الثاني

وكل قافية قالت لذا لك طا

انتهى وبيت بديعيتي جمعت فيه بين شرف المديح النبوي وشرف تشبيه القرآن اذ هو

لا تجمعه في القياس مع الناس كالشمس لا تجريها في العموم مجرى النجوم مالي أنسى ألعزصنته او لغير هذا اجدت القلم كيف رأى الشيخ صنع الله لحزبه وبأس الله في حربه ألم يجد الفريقان ما وعدهما ربهما حقا بلى والله أعلى كلمة والحق احسن خاتمة والدين أثبت قائمة والعدل أجدر ان يدوم وأولى ان لا يزال ولا يزول وجرح الجور قريب الغور ونار الطغاء سريعة الانطفاء والشيطان أضعف جندا والسلطان أعلى يدا وعلى النصل بحسب الاصل وحق لسهم تورد ميد الشيخ وتصدره قوس النصرة ونزع القدرة أن يصيب

المقدم فى هذا الباب على كل تشبيه فانى قلت فى البيت المشتمل على نوع التفريق البديعى

قالوا هو البدر والتفريق يظهر لى * فى ذاك نقص وهذا كامل الشيم

ولم أزل أظهر فى افق البلاغة كماله صلى الله عليه وسلم الى ان قلت فى التشبيه

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا التشبيه بدرهم

ثم انى قلت بعده فى التلميح الذى ما يلمح فى صفات النبى صلى الله عليه وسلم أحسن منه

وردّ شمس الضحى للقوم خاضعة * وما ليوشع تلميح بركبهم

التلميح هو فى الاصطلاح أن يشير ناظم هذا النوع فى بيت او قرينة سجع الى قصة معلومة او نكتة مشهورة أو بيت شعر حفظ لتواتره أو الى مثل سائر يجريه فى كلامه على جهة التمثيل وأحسنه وابلغه ما حصل به زيادة فى المعنى المقصود وسماه قوم التمليح بتقديم الميم كان الناظم اتى فى بيته بنكتة زادته ملاحة كقول ابن المعتز

أترى الجيرة الذين تداعوا * عند سير الحبيب وقت الزوال

علموا اننى مقيم وقلبى * راحل فيهم امام الجمال

مثل صاع العزيز فى ارحل القو * م ولا يعلمون ما فى الرحال

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة يوسف عليه السلام حين جعل الصاع فى رحل اخيه واخوته لم يشعروا بذلك ومن لطائف التلميح قول ابى فراس

فلا خير فى ردّ الاذى بمذلة * كما ردّه يوما بسوآته عمرو

هذا التلميح فيه اشارة الى قصة عمرو بن العاص مع الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه فى يوم صفين حين حمل عليه الامام ورأى عمرو أن لا مخلص له منه فلم يسعه غير كشف العورة ومن الحديث على جهة التورية قول بعضهم فى مليح اسمه بدر

يا بدر اهلك جاروا * وعلموك التجرى

وقبحوا لك وصلى * وحسنوا لك هجرى

فليفعلوا ما أرادوا * فانهم اهل بدر

هذا التلميح فيه اشارة الى قول النبى صلى الله عليه وسلم لعمر حين سأل قتل حاطب لعل الله قد اطلع على اهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ومن ذلك قول الشاعر

لعمرو مع الرمضاء والنار تلتظى * ارق واحنى منك فى ساعة الهجر

هذا الشاعر اشار بتلميحه فى هذا البيت الى البيت المشهور الذى ما برح الناس يتمثلون به عند من هو موصوف بالقسوة وهو

المستجير بعمرو عند كربته * كالمستجير من الرمضاء بالنار

ومن ذلك قول بعضهم

يقولون كافات الشتاء كثيرة * وما هى الا واحد غير مفترى

اذا كان كاف الكيس فالكل حاصل * لديك وكل الصيد يوجد فى الفرا

هذا الشاعر اشار فى تلميح بيته الى قول ابن سكرة

سواء الثغرة وكانوا كالسهام فان أصابت مراميها فراميها اصابا قرن الله هذا الملك بالدوام وهذا الفتح بالتمام وبعد فما أشوقنى الى خدمة تلك الحضرة بعد تلك النصرة وأخوفنى ان لا اصادف وسادا مثنيا ومحلا سنيا واسرعنى اليها ان امنت هذه الواحدة والشيخ فى الاجابة عالى رأيه ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

كتابى اطال الله بقاء الشيخ من ساهتيات وانا امرح فى المروج مع العلوج بين الصنان والبخر ولبس العيان كالخبر عن سلامة فى كنف جعة البوشنجى ويحيى الزرنجى ومبارك

جاء الشتاء وعندى من حوائجه * سبع اذا القطر عن حاجاتنا حبسا

كن وكيس وكانون وكاس طلا * بعد الكباب وكس ناعم وكسا

ومن أظرف ما وقع هنا أن امرأة من أهل الحذق والظرافة قيل لها من انت وكانت ملتفة في كساء فقالت انا السادس في السابع أشارت في تلميحها اللطيف الى السادس والسابع من قول ابن سكرة فكأنها قالت انا الكس الناعم في الكساء ونظم بعضهم هذا المعنى في بيتين فقال

رأيتها ملفوفة في كسا * خوفا من الكاشح والطامع

قلت لها من أنت يا هذه * قالت أنا السادس في السابع

وهذا غاية لا تدرك في باب التلميح ومن هذا القبيل قول الحريرى في المقامات وانى والله لطالما تلقيت الشتاء بكافاته وأعددت له أهبا قبل موافاته ومثله قوله في المقامات أيضا فبت بليلة نابغية يشير الى قول النابغة

فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

والضئيلة هى الحية الدقيقة ومن لطائف التلميح قصة الهذلى مع منصور بنى العباس فانه حكى أن المنصور وعد الهذلى بجائزة ونسى فحجا معا ومرا في المدينة النبوية ببيت عاتكة فقال الهذلى يا أمير المؤمنين هذا بيت عاتكة التى يقول فيها الاحوص

يا بيت عاتكة التى أتغزل * حذر العدا وبه الفؤاد موكل

فانكر عليه أمير المؤمنين لانه تكلم من غير أن يسئل فلما رجع الخليفة تظر في القصيدة الى آخرها ليعلم ما اراد الهذلى بانشاد ذلك البيت من غير استدعاء فاذا فيها

واراك تفعل ما تقول وبعضهم * مذق اللسان يقول ما لا يفعل

فعلم انه اشار الى هذا البيت بتلميحه الغريب فتذكر ما وعده به وأنجزه له واعتذر اليه من النسيان ومثله ما حكى ان أبا العلاء المعرى كان يتعصب للمتنبى فحضر يوما مجلس الشريف المرتضى فجرى ذكر أبى الطيب فهضم المرتضى من جانبه فقال ابو العلاء لو لم يكن له من الشعر الا قوله

لك يا منازل فى القلوب منازل

لكفاه فغضب المرتضى وأمر به فسحب واخرج وبعد اخراجه قال المرتضى هل تدرون ما عنى بذكر البيت فقالوا لا والله فقال عنى به قول أبى الطيب فى القصيدة

واذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

ومن هذا القبيل قصة السرى الرفاء مع سيف الدولة بسبب المتنبى أيضا فان السرى الرفاء كان من مداح سيف الدولة وجرى يوما فى مجلسه ذكر أبى الطيب فبالغ سيف الدولة فى الثناء عليه فقال له السرى أشتهى أن الامير ينتخب لى قصيدة من غرر قصائده لاعارضها له ويتحقق بذلك انه اركب المتنبى فى غير سرجه فقال له سيف الدولة على الفور عارض لنا قصيدته القافية التى مطلعها

لعينيك ما يلقى الفؤاد وما لقى * وللحب ما لم يبق منه وما بقى

الزنجى ويحيى الخارجى وزبقا وليقا وحسن أولئك رفيقا مثلى أيد الله الشيخ مثل رجل صام حولا فلما أفطر شرب بولا تصونت عن اعمال السلطان وقد عرضت على أمهاتها واضطرنى الحال الى خلافة فلان وقد وردت منه على كريم لا يمكننى سعة أخلاقه من شدة خناقه ولا يحتمل حالى اغفال مالى فهل الحيلة الا معاونته على تدارك امره وقد كان وجه الى وجوها فسبقنى اليها صاحب التسبيب وطعمة الاسد تحفة الذيب لا جرم انى استخرجت ما استوفاه من عرض قفاه بعد أن اخذت الجبة عليه فقال لا اسمع لك من هؤلاء

قال السرى فكتبت القصيدة واعتبرتها فى تلك الليلة فلم أجدها من مختارات ابى الطيب لكن رأيته يقول فى آخرها عن ممدوحه

اذا شاء أن يلهو بلحية أحمق * اراه غبارى ثم قال له الحق

فقلت والله ما أشار سيف الدولة الا الى هذا البيت وأحجمت عن معارضة القصيدة وألطف من هذا ما حكاه ابن الجوزى فى كتاب الاذكياء فانه من غرائب التلميح قال قعد رجل على جسر بغداد فاقبلت امرأة بارعة فى الجمال من جهة الرصافة الى الجانب الغربى فاستقبلها شاب فقال لها رحم الله على بن الجهم فقالت له رحم الله أبا العلاء المعرى وما وقفا بل سارا مغربا ومشرقا قال الرجل فتبعت المرأة فقلت لها والله ان لم تقولى لى ما أراد بابن الجهم فضحتك قالت اراد به

عيون المها بين الرصافة والجسر * جلبن الهوى من حيث ادرى ولا ادرى

واردت انا بابى العلاء قوله

فيا دارها بالخيف ان مزارها * قريب ولكن دون ذلك اهوال

ورسالة الوزير ابى الوليد بن زيدون المخزومى الاندلسى غالبها مبنى على نوع التلميح ولابد من ذكر الموجب لانشائها بحيث يتلمح المتأمل بهجة تلميحها وسبب انشاء هذه الرسالة البديعة انه كان بقرطبة امرأة ظريفة متأدبة من بنات خلفاء العرب المنسوبين الى عبد الرحمن بن الحكم المعروف بالداخل فى بنى عبد الملك بن مروان تسمى ولادة بنت المستكفى بالله ابتذل حجابها بعد نكبة ابيها وقتله فصارت مجلس للشعراء والكتاب وتحاضرهم وتطارحهم وكانت ذات جمال بارع وادب غض ودماثة أخلاق وكان لها ميل الى ابن زيدون بخلاف غيره من اهل العصر فما كتبت اليه وهى راضية عنه

ترقب اذا جن الظلام زيارتى * فانى رأيت الليل اكتم للسر

وبى منك مالو كان بالبدر لم ينر * وبالليل لم يظلم وبالنجم لم يسر

وكتبت اليه وهى غضبى

ان ابن زيدون على فضله * يلهج بى شتما ولا ذنب لى

يلحظنى شزرا اذا جئته * كأنما جئت لاخصى على

تشير فى تلميحها اللطيف الى غلام كان متهما به ومن غض شعرها قولها

انا والله اصلح للمعالى * وامشى مشيتى واتيه تيها

وامكن عاشقى من صحن خدى * واعطى قبلتى من يشتهيها

ومما ينسب اليها

لحاظكم تجرحنا فى الحشا * ولحظنا يجرحكم فى الخدود

جرح بجرح فاجعلوا ذا بذا * فما الذى اوجب جرح الصدود

وكان ابن زيدون كثير الشغف بها والميل اليها واكثر غزل شعره فيها وقد تقدم ذكر ميلها اليه بخلاف اهل عصره من اهل الادب لحسن ادبه ولطف شمائله وتقدمه على اهل زمانه

الاكثر ومايزدونه بدرهم يغادونه وحقا أن المغبون من لم يعرف الزبون والمردود من لم يعرف المقصود واذا لم يكن صيرفى الرجال أحذق من صيرفى المال بات محذوف السبال وأصبح موجع القذال وقد خرج الى الشيخ متطلبا ولا اقنع حتى يكتب فى ظهره جواب كانى بقلم اسمه السوط فات قصر أو انحر فعدد الرمل عربية وعدد النمل موجودة وهذا الحر قد ارانى وجها للمال ولكنه اشعث اغبر وعينا للدين ولكنه احول اعور قد كان وكيلى استوثق منه بحالة اكدها بقبالة على زعيم الناحية وسألت عنه فقيل متوار

وكان الوزير ابو عامر بن عبدوس كثير الهيمان بها واجتهد فى التوصل اليها والاجتماع بها والاقتطاف من ثمار آدابها الغضة والتمتع بجمالها البارع فعجز عن ذلك لكثرة ميلها الى ابن زيدون وتوصل الى أن أرسل اليها امرأة من خواصه لتستميلها اليه وتعرفها اعظم مقامه وتموّ رتبته على غيره وتبالغ فى التوصل الى رغبتها فيه فبلغ ذلك ابن زيدون فانشأ هذه الرسالة على لسان ولادة تتضمن سب الوزير أبي عامر والتهكم به وبنى غالبها على نوع التلميح وجعلها جوابا عنها فاشتهر ذكر الرسالة فى الآفاق وأمسك الوزير ابن عبدوس عن التعرض الى ولادة فمن سجعات الرسالة المبنية على التلميح قوله منها على لسان ولادة يخاطب الوزير ابن عبدوس (حتى قالت ان باقلا موصوف بالبلاغة اذا قرن بك) هذا التلميح فيه اشارة الى عمرو بن ثعلبة الايادى الذى يضرب به المثل فى العى فيقال فلان أعيى من باقل قال ابو عبيدة بلغ من عيه انه اشترى ظبيا باحد عشر درهما فلقيه شخص والظبي معه فقال له بكم اشتريته ففتح كفيه وفرّق أصابعه وأخرج لسانه يشير الى احد عشر فهرب الظبي (وهبنقة مستوجب لاسم العقل اذا اضيف اليك) هذا التلميح يشير فيه ابن زيدون الى يزيد ابن ثروان أحد بنى قيس بن ثعلبة الملقب بهبنقة المكنى بابى الودعات لانه نظم ودعا فى سلك وجعله فى عنقه علامة لنفسه لئلا يضيع وهو جاهلى يضرب به المثل فى الحمق قيل انه كان اذا رعى غنما أو ابلا جعل مختار المراعى للسمان ونحى المهازيل عنها وقال لا أصلح ما أفسد الله واختصم بنو راسب وبنو طفاوة فى شخص يدعونه وأطاعوا هبنقة على أمرهم فقال القوه فى البحر فان رسب فهو من بنى راسب وان طفا فهو من بنى طفاوة واشترى اخوه بقرة باربعة أعنز فركبها فاعجبه عدوها فالتفت الى اخيه وقال زدهم عنزا فضرب بها المثل للمعطى بعد امضاء البيع ثم سار فرأى ارنبا تحت شجرة ففزع منها وهمز البقرة وقال

الله نجانى ونجا البقره * من جاحظ العينين تحت الشجره

(وطويسا مأثور عنه يمن الطائر اذا قيس عليك) هذا التلميح يشير به الى عيسى بن عبد الله مولى بنى مخزوم وكنيته ابو النعيم كان مخنثا ماجنا ظريفا يسكن المدينة وهو أوّل من غنى على الدف بالعربية ولكن ضرب فى شؤمه المثل فانه ولد يوم قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وفطم يوم مات ابو بكر وختن يوم قتل عمر وتزوّج يوم قتل عثمان وكانت أمه تمشى بالنميمة بين نساء الانصار ومن تلميح هذه الرسالة التى هى غاية فى هذا الباب قوله منها يشير الى ابن عبدوس (والله لو كساك محرّق البردين * وحلتك مارية بالقرطين * وقلدك عمرو الصمصامة * وحملك الحرث على النعامة * ما شككت فى ابائك * ولا تكنت الا ذاك) السجعة الاولى تشير فى تلميحها الى عمرو بن المنذر بن ماء السماء كان يسمى من شدة بأسه محرّقا وقصة هذه التسمية استوفى ابو الفرج صاحب الاغانى شرحها فى كتابه وأما قصة البردين فحكى أن الوفود اجتمعت عند محرّق فاخرج من لباسه بردين وقال ليقم أعز العرب قبيلة فليأخذهما فقام عامر بن احيمر فاخذهما فاتزر بواحدة وارتدى بالاخرى فقال له محرّق أنت أعز العرب قبيلة فقال نعم لان العز كله فى معدّ والعدد فى معدّ ثم فى نزار ثم فى مضر ثم فى تميم ثم فى سعد ثم فى كعب فمن أنكر ذلك فليناظرنى فسكت الناس فقال هذه عشيرتك كما تزعم فكيف

فاستنزلته بفضل خداع وسألته عن سبب نوازبه فذكر ان الجراح بن محمد قصد أيام ولايته قصد نكايته وخاف الآن من سعايته فسكنت نفرته فان بذل له الشيخ كتاب امان وبذلت له عهد ضمان حضر البساط الرفيع ثم لم يسأل العفو عن جرم اذا صح ولا المسامحة بدرهم اذا وجب فان لم يفعل الشيخ ذلك ابتغى نفقا فى الارض أو سلما فى السماء فالسلطان يحذره السليم كما يحذره السقيم لا سيما الشيخ وبطشه العظيم ثم أيد الله الشيخ ظفرت برجل كان ضالتى منذ سنين وله فى جنبه مال عظيم لكنه

أنت فى نفسك وأهل بيتك فقال أنا أبو عشرة وأخو عشرة وعم عشرة وخال عشرة وها أنا فى نفسى وشاهد العز شاهدى ثم وضع قدمه على الارض وقال من ازالها من مكانها فله مائة من الابل فلم يقم اليه أحد فخرج بالبردين وضرب المثل بعزه وببرديه والسجعة الثانية تشير فى تلميحها الى مارية وقصتها المشهورة بالقرطين وهى مارية ابنة ظالم بن وهب الكندى زوج الحرث الاكبر الغسانى ملك العرب بالشام وهى أم الحرث الاصغر وأمها هند الهنود وكان فى قرطيها درتان كبيضتى الحمام لم ير مثلهما توارثتهما الملوك الى أن وصلتا الى عبد الملك بن مروان فوهبهما لابنته فاطمة لما زوجها بعمر بن عبد العزيز فلما ولى عمر الخلافة قال لها ان أحببت المقام عندى فضعى القرطين والحلى فى بيت مال المسلمين فاجابته الى سؤاله فلما مات وولى يزيد بن عبد الملك أرسل اليها يقول لها خذى القرطين والحلى فقالت لا والله ما أوافقه فى حال حياته وأخالفه بعد وفاته والسجعة الثالثة تشير فى تلميحها الى عمرو بن معديكرب الزبيدى الفارس المشهور بكثرة الغارات والوقائع بين العرب فى الجاهلية قبل اسلامه وكان يكنى ابا ثور والصمصامة سيفه المشهور قال عبد الملك بن عمر أهدت بلقيس الى سليمان عليه السلام خمسة أسياف وهم ذو الفقار وذو النون ومخذم ورسوب والصمصامة فاما ذو الفقار فكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذه من منبه بن الحجاج يوم بدر ومخذم ورسوب كانا للحرث بن جبلة الغسانى وذو النون والصمصامة لعمرو بن معديكرب وانتقلت الصمصامة الى سعيد بن العاص ولم تزل الى أن صعد المهدى البصرة فلما كان بواسط أرسل الى بنى العاص يطلب الصمصامة منهم فقالوا انه قد صار محتسبا فى السبيل فقال خمسون سيفا فى السبيل أغنى من سيف واحد وأعطاهم خمسين سيفا وأخذه ثم وصل الى المتوكل فدفعه الى بعض مماليكه الاتراك فقتله به والسجعة الرابعة تشير فى تلميحها الى فرس الحرث بن عباد التغلبى سيد بنى وائل سمتها العرب لخفتها وسرعة جريها بالنعامة وضربت بها الامثال وكان الحرث يكرر قوله فى كل وقت بانشاده

* قربا مربط النعامة منى * انتهى

ولولا خوف الاطالة لاوردت من هذه الرسالة غالب تلميحها فانها نسيج وحدها على هذا المنوال أعنى التلميح وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع قوله

ان ألقها تتلقف كل ما صنعوا * اذا أتيت بسحر من كلامهم

بيت الشيخ صفى الدين هنا أيضا متعلق بما قبله والضمير فى ألقها عائد على العصا فانه قال فى بيت الاقتباس

هذى عصاى التى فيها مآرب لى * وقد أهش بها طورا على غنمى

وقال بعده فى بيت التلميح أن ألقها البيت ورأيته بسلك هذا المسلك فى غالب بديعيته وهو غير لائق به اذ المراد من كل بيت أن يكون شاهدا على ذلك النوع بمجرده والتلميح فى بيته هو الاشارة الى قصة موسى عليه السلام مع السحرة لما ألقى العصا وبيت العميان فى بديعيتهم

و يقرع السمع عن حق زواجره * قرع الرماح بيدر ظهر منهزم

أراني توقيعا الشيخ فى كتاب سلطانى بأن لا يتعرض له متعرض ووجدت الامر على العموم وردت النفس على مكروهها فلما عرض على الكتاب سجدت لعنانه ثم لعنوانه ثم لموضع بيانه من عالى توقيعه ثم لجميعه ورجعت من المطلوب بيد خالية واخرى كالية واحتسبت عند الله تلك السنين والله لا يضيع أجر المحسنين

(وله اليه ايضا)

وصلت رقعتك ياسيدى والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كانه الغى وقدمات الميت

العميان أشاروا فى تلميحهم الى قصة يوم بدر ولكن ليس على شمائل بيتهم من رونق التلميح لمحة وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

وبان فى كتب التاريخ من قدم * تلميح قصة موسى مع معتدهم

لم ألمح من خلال بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمحة تدلنى على نور التلميح لكنه حكى حكاية مضمونها أن كتب التاريخ القديمة بان فيها تلميح قصة موسى عليه السلام مع معتد والله أعلم وبيت بديعيتى تقدمنى فى تلميحه ابو تمام بقوله متغزلا فى بعض قصائده وقد سفرت محبوبته من جانب الخدر ليلا

فردّت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع
فوالله ما أدرى أأحلام نائم * ألمت بنا أم كان فى الركب يوشع

فلما انتهيت فى نظم بديعيتى الى هذا النوع اعنى التلميح رأيت النبى صلى الله عليه وسلم أحق به وأنا أحق به من أبى تمام فانى نظمته فى سلك المعجزات النبوية فهامت عيون الاذواق الى بهجة تلميحه وقد تقدم قولى فى بيت التشبيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والبدر فى التم كالعرجون صار له * فقل لهم يتركوا تشبيه بدرهم

ثم قلت بعده فى التلميح

وردّ شمس الضحى للقوم خاضعة * وما ليوشع تلميح بركبهم

انظر أيها المتأمل الى انسجام هذا البيت مع الذى قبله والى ظهور النقص فى بيت أبى تمام بانتقال نور التلميح الى شرف هذا البيت النبوى والله اعلم

(ذكر تشبيه شيئين بشيئين)

شبان قد اشبها شيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق فى الديم

هذا النوع اعنى تشبيه شيئين بشيئين من المحاسن العزيزة الوقوع بخلاف كثيرة العدد فى التشبيه فان ذلك نوع اللف والنشر أحق به وهو فى الاصطلاح أن يقابل الشاعر بين الاربعة ويلتزم أن كل واحد من المشبه يسد مسد المشبه به (ومما حكى) عن بشار بن برد أنه قال مازلت منذ سمعت قول امرء القيس فى وصف العقاب

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

لا يأخذنى الهجوع حمدا لله الى أن قلت فى وصف الحرب

كأن مثار النقع فوق رؤسنا * وأسيافنا ليل تهاوت كواكبه

ومما يعجبنى فى هذا الباب الى الغاية قول ابراهيم بن سهل الاشبيلى

كأن القلب والسلوان ذهن * يحوم عليه معنى مستحيل

ومن الغايات التى لا تدرك فى هذا الباب وأنا أستغفر الله قولى من قصيد

وحمرة الخد أبدت خط عارضه * نفحات كاس مدام وهو مشعور

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

تلاعبوا تحت ظل السمر من مرح * كما تلاعبت الاشبال فى الاجم

بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع عامر بالمحاسن رافل فى حلل الانسجام والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تشبيه شيئين بشيئين

ملهى الحلى واشدد على حالك بالخمس وأنت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك يضحك ويبكى لك وقد مولك بمالف بين سراه وسيره وخلفك فقيرا الى الله غنيا عن غيره وسيجم الشيطان عودك فان استلانه رماك بقوم يقولون خير المال متلفة بين الشراب والشباب ومنفقة بين الاحباب والحباب والعيش بين الاقداح والقداح ولولا الاستعمال لما اريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطرب بالكاس

شيا ٓن تشبيه شيئين اشبه الهما * حلم وجهل هما كالبرء والسقم

نعوذ بالله من آفة الغفلة ممدوح هذا البيت هو النبي صلى الله عليه وسلم وقد تقدمه قوله في مديحه

هل من مقاربة في السير بعد نوى * باطيب القرب بين العرب والعجم

وقال بعده هذا البيت الداثر وقد سلمنا أنه قابل فيه حلم النبي صلى الله عليه وسلم بالبرء وأما ذكر الجهل في هذا البيت فهو في غاية الجهل وليس له ما يقابله غير التأديب على قلة أدبه وقد قابل به السقم ولا أعلم ما مراده به وطالعت شرحه فوجدته قد قرر حد النوع وفر من الكلام على معنى البيت بخلاف أبيات القصيدة وبيت بديعتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

شيا ٓن قد اشبها شيئين فيه لنا * تبسم وعطا كالبرق في الديم

هذا البيت البديع في لفظه ومعناه ما أشك أن أبا بكر مقدم فيه على الحلي والموصلي فانه وضعه في محله والنبي صلى الله عليه وسلم احق به من كل ممدوح وقد جمع فيه بين حسن اللف والنشر وبليغ التشبيه وأما مراعاة النظير في مديحه بين البرق والديم فليس لها نظير والله اعلم

(ذكر الانسجام)

له انسجام دموعي في مدائحه * بالله تشنف بها يا طيب النغم

المراد من الانسجام أن يأتي لخلوه من العقادة كانسجام الماء في انحداره ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة الفاظه أن يسيل رقة ولعمري ان طيور القلوب ما برحت على أفنان هذا النوع واقعه * وبمحاسنه الفضة بين الاوراق ساجعه * وأهل الطريق الغراميه هم بدور مطالعه وسكان مرابعه فانهم ما أتقلوا كاهل سهولته بنوع من أنواع البديع اللهم الا أن يأتي عفوا من غير قصد وعلى هذا أجمع علماء البديع في حد هذا النوع فانهم قرروا أن يكون بعيدا من التصنع خاليا من الانواع البديعية الا أن يأتي في ضمن السهولة من غير قصد وغالب شعر الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماه * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * ماش على هذا التقرير ويأتي التمثيل به في مكانه ان شاء الله تعالى وان كان الانسجام في النثر يكون غالب فقراته موزونة من غير قصد لقوة انسجامه وأعظم الشواهد على هذا ما جاء في القرآن العظيم من الموزون بغير قصد في بيوت واشطار بيوت فمن الطويل الذي جاء على أصل الدائرة في القرآن العظيم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وتفعيله القياسي فعولن مفاعيلن فعولن مفاعيلن كقول الشاعر

الا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادني مسراك وجدا على وجدي

وجاء في بحر المديد من العروض الثانية المحذوفة قوله تعالى واصنع الفلك بأعيننا كقول الشاعر

اعلموا أني لكم حافظ * شاهدا مادمت أو غائبا

ومن مصرعه

الانسجام

وغدا واحربا من الافلاس يا مولاي ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك المسموع من الناي هو في الآذان زمر وفي الابواب عمر وان لم يجد الشيطان مغمزا في عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يتلون الفقر هذا ميلك فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك وتناقش غيرك وتمنع نفسك وتبوء في دنياك بوزرك وتراه في الآخرة في ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين وميلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل فقر حاضر وضير عاجل وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه لله في

زعم النعمان ملك العرب * ليس ينجي من عصاه الهرب

وجاء في بحر البسيط من العروض الاولى المخبونة قوله تعالى فاصبحوا لاترى الامساكنهم كقول الشاعر

مابال عينك منها الماء ينسكب

وجاء في الوافر من العروض الاولى المقطوفة والضرب المقطوف قوله تعالى ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين كقول الشاعر

ألاهبي بصحنك فاصبحينا * ولاتبقي خمور الاندرينا

وجاء في الكامل من العروض الصحيحة المجزوءة والضرب المجزوّ المذال قوله تعالى والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم كقول الشاعر

إني لاتطاوعكة لا الصغير ولا الكبير

وجاء في الهزج من عروضه المجزوءة وضربها المحذوف قوله تعالى فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا كقول الشاعر

وماظهري لباغي الضيم بالظهر الذلول

وجاء في الرجز قوله تعالى وذللت قطوفها تذليلا كقول الشاعر

شالوا على جمالهم جمالهم * وسار حادي عيسهم يغني

وجاء في الرمل من العروض الثانية المجزوءة والضرب الثاني المجزوّ قوله تعالى وجفان كالجواب وقدور راسيات كقول الشاعر

مقفرات دارسات * مثل آيات الزبور

ومن مصرعه

أي شخص كابان * عند ضرب وطعان

وجاء في السريع من العروض الاولى المطوية المكسوفة قوله تعالى قال فما خطبك ياسامري ومنه أو كالذي مر على قرية كقول الشاعر

ياهند ياأخت بني عامر * لست على هجرك بالصابر

وجاء من المنسرح من العروض الاولى الوافية قوله تعالى انا خلقنا الانسان من نطفة كقول الشاعر

زموا المطايا بالواد ماودعوا

وجاء من الخفيف من العروض التامة الصحيحة قوله تعالى أرأيت الذي يكذب بالدين كذا أورده صاحب المفتاح ومنه لايكادون يفقهون حديثا وهذا من مستخرجات المصنف فسح الله في أجله كقول الشاعر

ليت مافات من شبابي يعود * كيف والشيب كل يوم يزيد

وجاء من المضارع وهو بحر قليل الاستعمال جدا ومنهم من لم يعده بحرا ولاجاء فيه شعر معروف وقيل انه لم يسمع من العرب وقال أبو العباس العتابي في كتابه المسمى بنزهة الابصار في أوزان الاشعار ان الخليل جعله جنسا وأحسبه قاسه وماأدري مار وى

مالك قسط ولاهروأة تقسم فضل الرسم ما استطعت وقدر اذا قطعت وان تكون الى جانب التقدير خير لك من ان تكون الى جانب التبذير
(وله الى القاضي أبي نصر بن سهل)
مالقاضي أعزه الله يلقاني بوجه كأنه الزقوم ويرى فلا يقوم أنا أسأله ان يقتدي بغيره لا يأمره ألست لقيامه أهلا لعن الله أكثرنا جهلا وأقلنا فضلا واخسنا أصلا تلك القلنسوة ليست بأول قلانس الحكام وتلك الشيبة ليست بأول شيبة في الاسلام نحن نغرك في خير من تلك القلنسوة ونصفع

فى كتب العروض اممنوع هوام مسموع من العرب انتهى كلام العتابى وتفاعيله فى الاصل مفاعيلن فاع لاتن مفاعيلن ومثلها ولكنه ما استعمل الامجزوا فيفى مربعا فما وقع من مخرومه فى الكتاب العزيز قوله تعالى يوم التناد يوم تولون مدبرين والخرم هنا حذف الاول من مفاعيلن فصار فاعيلن فنقل الى مفعولن فتفاعيل هذه الآية الشريفة مفعول فاعلات مفاعيل فاعلات كقول الشاعر

قلنا لهم وقالوا * وكل له مقال

وجاء فى المقتضب من العروض المجزوءة المطوية قوله تعالى فى قلوبهم مرض وتفصيل ذلك فاعلات مستعلن وجاء فيه من الشعر

أقبلت فلاح لها * عارضان كالسبج

ومن مصرعه

غنناعلى الدرج * بالخفيف والهزج

وهذا البحر فى القلة كبحر المضارع الا أنه سمع منه أبيات على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم منها

هل على ويحكما * ان عشقت من حرج

وجاء فى المجتث من العروض الصحيحة المجزوءة والضرب المجزوء قوله تعالى نبئ عبادى انى انا الغفور الرحيم كقول الشاعر

البطن منها خميص * والوجه مثل الهلال

وجاء فى المتقارب من العروض الاولى الوافية قوله تعالى وأملى لهم ان كيدى متين فعولن فعولن فعولن فعولن كقول الشاعر

فاما تميم تميم بن مر * فالفاهم القوم روبى نياما

ولولا الاطالة لذكرت ما دخل فيما أوردته من الزحاف وقد أوردت هنا خمسة عشر بحرا ولم اذكر المتدارك اذ هو محدث اخترعه المتأخرون ولم تعرفه العرب فى الزمن المتقدم وهو خارج عن الخمسة عشر بحرا وقال ابن الحاجب فى عروضه

وخمسة عشر دون ما متدارك * وما عده منها الخليل فعدلا

انتهى ما أوردته من الانسجام المنثور وأما الانسجام فى النظم فقد تقدم وتقرر أن أصحاب المذهب الغرامى هم سكان بيوته العامرة * وكاس آرامه التى هى غير نافرة * ولكن العرب على كل تقدير ملوك هذا الشان * وقلائد هذا العقيان * وقد عن لى أن أذكر هنا ما فتروا به من وعر التركيب وشرعوه فى أبياتهم على سهل الانسجام * وأركض فى أثر هذه الابيات بسوابق القصور لانها أبيات لها حرمة وذمام * وأعرج بعد ذلك على البيوت الغرامية واتنسم أخبار الهوى العذرى من بين تلك الخيام * فمن الانسجام الذى وقع للعرب وكاد أن يسيل رقة اسهواته قول امرئ القيس فى معلقته

أغرك منى ان حبك قاتلى * وأنك مهما تأمرى القلب يفعل

وقوله من غير المعلقة

خيرا من تلك القصيدة ولحسن العشرة معى من بعد ولست من رعيته وليحمل العصبة من ظاهره ن لم يحملها من نيته أو فليفعل ماشاء فانها شفقة هدرت والجميل أجل والسلام

(وله الى الدهجدانى) المودة ايدالله الدهجدانى غيب وهو آية فى مكان من الصدر لا ينفذه بصر ولا يدركه نظر ولكنها تعرف ضرورة وان لم تظهر صورة ويدركها الناس وان لم تدركها الحواس ويستملى المرء صحيفتها من صدره ويعرف حال غيره من نفسه ويعلم انها حب وراء القلب وقلب وراء الخلب وخلب وراء العظم

أجارتنا انا غريبان ههنا * وكل غريب للغريب نسيب

ومثله في الانسجام والرقة قول طرفة بن العبد في معلقته

فان كنت لا تستطيع دفع منيتي * فدعني أبادرها بما ملكت يدي

ومثله قوله منها

وظلم ذوي القربى اشد مضاضة * على الحر من وقع الحسام المهند

ومثله قوله منها

فان مت فانعيني بما انا اهله * وشقي على الجيب يا أم معبد

ومثله قوله منها

ستبدي لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود
ويأتيك بالانباء من لم تبع له * بتاتا ولم تضرب له وقت موعد
لعمرك ما الايام الا معارة * فما اسطعت من معروفها فتزود
عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه * فكل قرين بالمقارن يقتدي

ومثله في لطف الانسجام قول زهير بن أبي سلمى في معلقته

ومن هاب أسباب المنايا ينلنه * ولو رام اسباب السماء بسلم
ومن يك ذا فضل فيبخل بفضله * على قومه يستغن عنه ويذمم
ومن يغترب يحسب عدوا صديقه * ومن لا يكرم نفسه لم يكرم
ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه * يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم
ومن لا يصانع في أمور كثيرة * يضرس بانياب ويوطأ بمنسم
ومن يجعل المعروف من دون عرضه * يفره ومن لا يتق الشتم يشتم
سئمت تكاليف الحياة ومن يعش * ثمانين حولا لا أبا لك يسأم

وأحسن ختامها في الانسجام بقوله

وأعلم ما في اليوم والامس قبله * ولكنني عن علم ما في غد عمي

ومثله قول لبيد بن ربيعة من معلقته

فاقنع بما قسم المليك فانما * قسم الخلائق بيننا علامها
واذا الامانة قسمت في معشر * أوفى باعظم حظنا قسامها

ومن الغايات في باب الانسجام قول عنترة في معلقته

فاذا شربت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما أقصر عن ندى * وكما علمت شمايلي وتكرمي

ومن ذلك قول عمرو بن كلثوم في معلقته

لنا الدنيا ومن أضحى عليها * ونبطش حين نبطش قادرينا
اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا أن يقر الخسف فينا
اذا بلغ الفطام الطفل منا * تخر له الجبابر ساجدينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا * وظهر البحر نملؤه سفينا

وعظم وراء العظم ولحم وراء الجلد وجلد وراء البرد وبرد وراء البعد ولو كانت هذه المحبة قوادير لم ينفذها نظر العين فيستدل عليها بغير هذه الحاسة والرجـدانى يعتب على انى نسبت الحال بدليل ان لا أنفذه و والله لو التمست به التبا سا يجعل وأسينا راسا ما زدته ودا ولو حال بيني و بينه سور الاعراف ما نقصته حبا وقد والله اختلفت على مواضعه حتى ظننت القضاء يكايد وأردت زيارته بالامس ثم وقع من الاضطراب ما ثنى العزم فان نشط في هذه الليلة عرفني مستقره لاحضره ان شاء الله

ألا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

ومثله قول الحرث بن حلزة في معلقته وهي المعلقة السابعة

لا يقيم العزيز في البلد السهـ * ـل ولا ينفع الذليل النجاء

ومن الانسجامات التي عدها صاحب المرقص والمطرب من المطرب قول زهير

تراه اذا ما جئته متهللا * كأنك معطيه الذي أنت سائله

ومن الانسجامات المعدودة من المرقص قول النابغة الذبياني

وانك كالليل الذي هو مدركي * وان خلت أن المنتأى عنك واسع

ومن الانسجام المعدود من المطرب قول حسان بن ثابت رضي الله عنه

أصون عرضي بمالي لا ادنسه * لا بارك الله بعد العرض في المال

أحتال للمال ان أودى فاكسبه * ولست للعرض ان أودى بمحتال

وعدوا من الانسجام المرقص قول كعب بن زهير

ولا تمسك بالعهد الذي وعدت * الا كما يمسك الماء الغرابيل

ومن المطرب قول الشماخ

اذا ما راية رفعت لمجد * تلقاها عرابة باليمين

ويعجبني من لامية العرب قول الشنفرى بن مالك

وفي الارض منأى للكريم عن الاذى * وفيها لمن خاف القلى متحول

ومثله من لامية العجم وان تأخر عصرها

ان العلى حدثتني وهي صادقة * فيما تحدث أن العز في النقل

لو ان في شرف المأوى بلوغ منى * لم تبرح الشمس يوما دارة الحمل

وعدوا من الانسجام المطرب قول مجنون ليلى في قصيدته المشهورة

وقد خبروني ان تيماء منزل * لليلى اذا ما الصيف ألقى المراسيا

فهذي شهور الصيف عنا قد انقضت * فما للنوى ترمي بليلى المراميا

أعد الليالي ليلة بعد ليلة * وقد عشت دهرا لا أعد اللياليا

وأخرج من بين البيوت لعلني * أحدث عنك النفس بالليل خاليا

ألا ايها الركب اليمانون عرجوا * علينا فقد امسى هوانا يمانيا

يمينا اذا كانت يمينا فان تكن * شمالا ينازعني الهوى من شماليا

أصلي فما أدري اذا ما ذكرتها * أثنتين صليت الضحى ام ثمانيا

خليلي لا والله لا املك الذي * قضى الله في ليلى ولا ما قضى ليا

قضاها لغيري وابتلاني بحبها * فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

ولو ان واش باليمامة داره * وداري بأعلى حضرموت اهتدى ليا

وماذا لهم لا أحسن الله حالهم * من الحظ في تصريم ليلى حباليا

وددت على حبي الحياة لوانه * يزاد لها في عمرها من حياتيا

على أنني راض بأن أحمل الهوى * وأخلص منه لا علي ولا ليا

(وله اليه ايضا)
غضب العاشق أقصر عمرا من ان ينتظر عذرا وان كان في الظاهر مهابة سيف انه في الباطن سحابة صيف وقدرا بين اعراضه صفحا اخذ اقصد أم مزحا ولو التبس القلبان حتى التباسهما ما وجد الشيطان مساغا بينهما ولا والله لا أرفك ودا تجد منه بدا ان كنت الجد قصدت وان محبة تحتمل شكا لاجدر محبة ان لا تشترى بحبة وان كان مزاحا ما قصد فما أغنانا عن مزح يحل عقد الفؤاد حتى يقف على المراد ولا يسعنا الا العافية والسلام

اذا

اذا ماشكوت الحب قالت كذبتنى * فمالى أرى الاعضاء منك كواسيا
فلا حب حتى يلصق الجلد بالحشا * وتذهل حتى لاتجيب المناديا

ومن المرقص فى باب الانسجام قول كثير عزة

ولما قضينا من منى كل حاجة * ومسح بالاركان من هو ماسح
أخذنا باطراف الاحاديث بيننا * وسالت بأعناق المطى الاباطح

وعدوا من المطرب فى باب الانسجام قول جرير

ان العيون التى فى طرفها حور * قتلننا ثم لم يحيين قتلانا
يصرعن ذا اللب حتى لاحراك به * وهن أضعف خلق الله أركانا

وعدوا من المطرب قول بشار بن برد

اذا جئته فى حاجة سد بابه * فلم تلقه الا وأنت كمين

ومن انسجامات تشبيبه التى ليس لها مناسب قوله

هل تعلمين وراء الحب منزلة * تدنى اليك فان الحب أقصانى

ومثله قوله

انا والله اشتهى سحر عينيك واخشى مصارع العشاق

ومثله قوله

وانى امرؤ أحببتكم لمكارم * سمعت بها والاذن كالعين تعشق

ويعجبنى من لطيف الانسجام قول العباس بن الاحنف

أفدى الذين أذاقونى مودتهم * حتى اذا أيقظونى للهوى رقدوا
واستنهضونى فلما قمت منتصبا * بثقل ما حملونى منهم قعدوا

ومثله قوله

لولا محبتكم لما عاتبتكم * ولكنتم عندى كبعض الناس

ومثله قوله

طاف الهوى فى عباد الله كلهم * حتى اذا مر بى من بينهم وقفا

ومثله قوله

وسعى بها واش فقالوا انها * لهى التى تشقى بها وتكابد
فجحدتهم ليكون غيرك ظنهم * انى ليعجبنى المحب الجاحد

تقدم لهذين البيتين نكتة لطيفة تؤيد تأكيد انسجامهما وعذوبة الفاظهما وهى أنه رفع للرشيد موت العباس وابراهيم الموصلى المعروف بالنديم والكسائى وهشيمة الخمارة فى يوم واحد فامر المأمون أن يصلى عليهم فخرج فصفوا بين يديه فقال من الاول فقالوا ابراهيم الموصلى فقال اخروه وقدموا العباس بن الاحنف فقدم وصلى عليه فلما فرغ وانصرف دنا منه هاشم بن عبد الله الخزاعى فقال يا سيدى كيف آثرت العباس بالتقديم على من حضر فقال بقوله وسعى بها واش البيتين ثم قال أتحفظهما فقلت نعم فقال اليس من قال هذا الشعر أولى بالتقديم فقلت بلى والله يا سيدى انتهى وقد تقدم قولى وتكرر

قوله اركانا كذا فى النسخ التى بايدينا والمعروف المشهور انسانا

(وله أيضا)

كم لله من عبد اذا جاع حبر الاصابع واذا اشتهى القناع كتب الرقاع وهذا تشبيب بعده تسبيب قد عرف الشيخ برد هذا البرد وخروجه فى سوء العشرة عن الحد فان رأى أن يلبسنى من الخلع البابس فروة ويكفينى من أمر الوقود شتوة وله التدبير فى ذلك ثم الضمير فى الشكر والسلام

(وله الى رئيس نسا)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الرئيس والكاتب مجهول والكتاب فضول وبحسب الرأى موقعه فان كان جميلا فهو تطول وان كان سيئا فهو تطفل فايهما سلك الظن فله أيده الله المن من نيسابور عن سلامة نسأل الله تعالى أن

ان أصحاب الطريق الفرامية هم موالي ورقيق الانسجام وتجاروه. ولولا انسمات أنفاسهم ماتنسمنا اخبار الحي وتغزلنا في سفحه وعقيقه وقد ألجأتني ضرورة الجنسية الى ضم المتقدمين مع المتأخرين لئلا يتفرط لعقودها انتظام واذا أخرت من تقدم وأوردت له غير الطريق الفرامي كان جل القصد من ذلك معرفة أنواع الانسجام فمن الانسجام الفرامي قول الشريف الرضي وهو الذي قال في حقه الثعالبي في كتاب اليتيمة هو أشعر الطالبيين قديما وحديثا على كثرة شعرائهم المفلقين ولو قلت انه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق والقول الموعود بايراده قوله

نسرق الدمع في الجيوب حياء * وبنا ما بنا من الاشواق
لا اذم السراء في طلب العز ولكن في فرقة العشاق
يوم لا غير زفرة من فؤاد * ذي قروح ورشقة من ماق
والثرى منتشر يعاقره الشر دما جاريا بأيدي السواق
أمعيني على بلوغ الاماني * وشفائي من علتي واشتياقي
ابعث بيننا المودة حتى * جللتنا والزهر بالاوراق
كم مقام خضنا حشاه الى اللهو جميعا والليل ملقي الرواق
ومزجنا خمر الرضابين في الرشف برغم المدام تحت العناق
ثم نبادر رمي الظلام يبين * بسهام الخطوب في الاتفاق
واعتنقنا قبل الفراق فانعشل يوما متى يكون التلاقي
فحن غصنان ضمنا عاطف الوجد جميعا في الحب ضم النطاق
في جبين الزمان منك ومني * غرة كوكبية الائتلاق
كلما رنت الليالي علينا * شق منا الوفا جيب الشقاق
أيها الرائح المغذ تحمل * حاجة للمتيم المشتاق
أقرمني السلام أهل المصلى * فبلاغ السلام بعض التلاقي
واذا ما مررت بالخيف فاشهد * أن قلبي اليه بالاشواق
واذا ماسئلت عني فقل نضو هوى ما أظنه اليوم باقي
وابك عني فطالما كنت من قبل أعير الدموع للعشاق

ومثله قوله من أبيات

سهمك مدلول على مقتلي * فمن يرى سهمك بالقاتل
ليس لقتلى ثائر يتقي * وليس في سفك دمي طائل
قد رضي المقتول كل الرضا * واعجبا لم سخط القاتل

ومثله قوله من أبيات

نكست لحظ العين حين خطا * والبين يرمقني و يرمقه
أذبت دمعي يوم ودعني * في صحن خد ذاب رونقه
واللثم يركض في سوالفه * يكاد خيل الدمع يسبقه

لا يلهينا بسكرها عن شكرها والحمد لله رب العالمين يقول الشيخ أيده الله ص هذا الرجل وما هذا الكتاب أما الرجل فخاطب ودا ولا وموصل شكرا ثانيا وأما الكتاب فلمام أرحام الكرام فان يعن الله الحمام تصل الارحام ويحسن غبور الى كل عشور هذا الشريف قد خانه زمان السوء فاخرجه من البيت الذي بلغ السماء مفخرا ثم طلب فوقه مظهرا وله بعد جلالة النسب وطهارة الاخلاق وكرم العهد وحضرني فسألته عما وراءه فأشار الى ضالة الاحرار وهو الكرم مع اليسار ونبه على قيد الكرام وهو البشر مع الانعام وحدث عن برد الاكباد وهو مساعدة الزمان للجواد ودل على نزهة الابصار وهو

ومثله قوله

خذى نفسى يا ريح من جانب الحمى * فلاقى به ليلا نسيم ربا نجد
فان بذاك الحى حبا عهدته * وبالرغم منى أن يطول به عهدى
ولولا تداوى القلب من ألم الجوى * بذكر تلاقينا قضيت من الوجد

ومثله قوله من أبيات

عارضا بى ركب الحجاز أسائلـ * ـه متى عهده بسكان سلع
واستملا حديث من سكن الجزع * ولا تكتباه الا بدمعى
فاتنى أن أرى الديار بطرفى * فلعلى أرى الديار بسمعى

ومن الانسجامات التى ينسجم الدمع لرقتها قول تلميذه مهيار الديلمى

ظن غداة البين أن قد سلما * لما رمى سهما وما أجرى دما
فعاد يستقرى حشاه فاذا * فؤاده من بينهم قد عدما
يا قاتل الله العيون خلقت * لواحظا فكيف صارت أسهما
اودعنى السقم وولى هازئا * يقول قم واستشف ماء زمزما
ولو أباح ماجنى من ريقه * لكان أشفى لى من الماء اللما
وا بأبى ومن يبيع بأبى * على الظماء الزلال الشبما
كانما الصهباء فى كافورة * قد مزجت وحل عن كائما

ومثله قوله

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغى عندكم قلبا سمحت به * وكيف يرجع شئ وهو موهوب
ما كنت أعلم مامقدار وصلكم * حتى هجرت وبعض الهجر تأديب

ومثله قوله وهو فى غاية اللطف

بطيرفك والمسحور يقسم بالسحر * أعمدا رمانى أم أصاب ولا يدرى
رنا اللحظة الاولى فقلت مجرب * وكررها أخرى فأحسست بالشر

ومثله قوله فى اللطف

من عذيرى يوم شرقى الحمى * من هوى جد بقلبى مزحا
الصبا ان كان لابد الصبا * انها كانت لقلبى أروحا
يا نداماى بسلع هل أرى * ذلك المغبق والمصطبحا
اذكرونا مثل ذكرانا لكم * رب ذكرى قربت من نزحا
واذكروا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

منها

وعرفت الهم مذ فارقتكم * فكأنى ما عرفت الفرحا

ومثله قوله من قصيدة

بكر العارض يحدوه النعامى * فسقاك الرى يا دار أماما

الثراء ومتعة الاسماع وهو الثناء فقلما اجتمعا وعزما وجدا معا وذكر ان الشيخ أيده الله جماع هذه الخيرات وسألنى الشهادة له وبذل الحظ به ففعلت وسألت الله اعانته على همته وللشيخ أيده الله فى الوقوف على ماطلب والاجابة ان نشط رأيه الموفق ان شاء الله

(وله الى أبى نصر الميكالى)

كتابى أيد الله الامير وبودى ان أكونه فاسعد به دونه ولكن الحريص محروم ولو بلغ الرزق فاه لولى قفاه فرق الله بين الايام تفريقها بين الكرام والهمذانى يورد بعقل ويصدر بتمييز وماذلك على الله بعزيز أنا فى مفاتحة الامير بين ثقة تعد وبدتر تعد ولم لايكون ذلك والبحر وان لم أره فقد

وتمشت فيك أرواح الصبا * يتأرجن بأنفاس الخزامى
قد قضى حفظ الهوى أن تصبحى * للمحبين مناخا ومقاما
وبجرعاء الحمى قلبى فعج * بالحمى واقرعلى قلبى السلاما
وترحل فتحدث عجبا * ان قلبا سار عن جسم أقاما
قل لجيران الغضى آها لى * طيب عيش بالغضى لو كان داما
حملوا ريح الصبا من نشركم * قبل أن تحمل شيحا وثماما
وابعثوا اشباحكم لى فى الكرى * ان أذنتم لجفونى ان تناما

ومن الغايات فى باب الانسجام قول الواواء الدمشقى

بالله ربكما عوجا على سكنى * وعاتباه لعل العتب يعطفه
وحدثاه وقولا فى حديثكما * ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فان تبسم قولا فى ملاطفة * ماضر لو بوصال منك تسعفه
وان بدا لكما فى وجهه غضب * فغالطاه وقولا ليس نعرفه

ومثله فى اللطف ورقة الانسجام قول الارجانى

حييت غادية الهوى من مربع * ربعت عهودى فيك أم لم ترجع
ما أسأروا فى كاس دمعى فضلة * عنهم فأجعلها نصيب المربع
لم يبكنى الاحديث فراقهم * لما أسر به الى مودعى
هو ذلك الدر الذى ألقيتم * فى مسمعى ألقيته من أدمعى

ومثله قوله

عوجا عليها أيها الركب * لا عار أن يتساعد الصحب
قد كان لى قلب ولا ألم * واليوم لى ألم ولا قلب

ومثله قوله

أما الفؤاد فانهم ذهبوا به * يوم النوى فبقيت صفر الاضلع
فمتى أتاك بما عقدنا للنوى * حلفا بغير رهائن لم يقنع
فرهينتى معهم فؤادى دائما * والطيف من سلمى رهينتهم معى

ومثله فى اللطف قول الطغرائى

خبروها أنى مرضت فقالت * أضنى طارفا شكا أم تليدا
وأشاروا بأن تعود وسادى * فأبت وهى تشتهى أن تعودا
وأتتنى فى خفية وهى تشكو * ألم البعد والمزار البعيدا
ورأتنى كذا فلم تتمالك * أن أمالت على عطفا وجيدا

والطف منه بل من النسيم قوله

بالله يا ريح ان مكنت ثانية * من صدغه فأقيمى فيه واستترى
وراقبى غفلة منه لتنتهزى * لى فرصة وتعودى منه بالظفر
وباكرى ورد عذب من مقبله * مقابل الطعم بين الطيب والخصر

سمعت خبره ومن رأى
من السيف أثره فقد
رأى أكثره ولذا لم ألقه
فلم اجهل خلقه وما وراء
ذلك من فاالداصل ونشب
وطارف فضل وأدب
وبعد همة وصيت
معلوم تشهد بذلك الدفاتر
والخبر المتواتر وتنطق به
الاشعار كما تختلف عليه
الآثار والعين أقل
الحواس ادراكا والآذان
أكثرها استمساكا وان
بعدت الدار أيضا فلا ضيران
أيسر البعدين بعد الدارين
وخير القربين قرب القلبين
وان لم تكن معرفة
فستكون ان شاء الله
الرقعة أيدالله الامير رقعة
واسعة انا فى أنواعها بانعة
وههنا نادرة واقعة لم نرها
فى نوادر ابن الاعرابى ولا
فى امالات الصولى ولا فى
ثانى غريب المصنف ولا فى

ولا تمسى عـذاربه فتقتضى * بنفحة المسك بين الورد والصدر
وان قـدرت على تشويش طـرته * فشوشيها ولا تبقى ولا تذرى
ثم اسلكى بين برديه على مهـل * واستبضعى وائتنى منه على قدر
وتبهيـنى دون القوم وانتفضى * علىّ والليل فى شك من السحر
لعـل نفحـة طيب منـك نائبـة * تقضى لبانة قلب عاقـر الوطر

ومن برع فى الطريق الغرامية وأينع زهر نظمه فى حدائق الانسجام بها الشيخ تقى الدين السروجى رحمه الله تعالى قال الشيخ أثير الدين أبو حيان رحمه الله كان الشيخ تقى الدين مع زهده وعفته مغرما بحب الجمال وكان يغنى بشعره الغرامى فى عصره لرقة انسجامه وعذوبة ألفاظه وقال الشهاب محمود كان الشيخ تقى الدين يكره مكانا يكون فيه امرأة ومن دعاه من أصحابه قال شرطى معروف وهو ان لا يحضر فى المجلس امرأة وكانوا مافى دعوة فاحضر صاحب الدعوة شواء وأمر بادخاله الى النساء يقطعنه ويجعلنه فى الصحون فلما حضر بعد ذلك تقرف منه وقال كيف يؤكل وقد لمسنه بأيديهن وذكر أبو حيان أنه لما توفى بالقاهرة رابع رمضان المعظم سنة ثلاث وتسعين وستمائة قال أبو محبوبه والله ما أدفنه الا فى قبر ولدى فانه كان يهواه فى الحياة وما أفرق بينهما فى الممات هذا لما كان يعهده من دينه وعفافه فى انسجاماته الغرامية

أنعم بوصلك لى فهذا وقته * يكفى من الهجران ما قد ذقته
أنفقت عمرى فى هواك وليتنى * أعطى وصولا بالذى أنفقته
يا من شغلت بحبه عن غيره * وسلوت كل الناس حين عشقته
كم جال فى ميدان حبك فارس * بالصدق فيك الى رضاك سبقته
أنت الذى جمع المحاسن وجهه * لكن عليه تصبرى فرقته
قال الوشاة قد ادّعى بك نسبة * فسررت لما قلت قد صدقته
بالله ان سألوك عنى قل لهم * عبدى وملك يدى وما أعتقته
أو قيل مشتاق اليك فقل لهم * أدرى بذا وأنا الذى شوقته

وما ألطف ما قال منها

يا حسن طيف من خيالك زارنى * من عظم وجدى فيه ما حققته
فمضى وفى قلبى عليه حسرة * لو كان يمكننى الرقاد لحقته

قلت ما نفثات السحر اذا صدقت عزائمها بأوصل الى القلوب من هذه النفثات ولا السلاف ظلم الحبائب مع حلاوة التقبيل عذوبة هذه الرشفات وعدوا من المرقص الغرامى فى باب الانسجام قول ابن الخياط الدمشقى

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا أن تكون لحبه

ومثله قول ظافر الحداد وقد عدوه من المرقص

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتى * كذا عادتى فى الصبح مع من احبه

ومثله قول خالد الكاتب وعدوه من المطرب

غيرها من كتب الادب وهى ان شيخنا ابا نصر بن دوسنام سألنى طول هذه المدة مكاتبة تلك السدة مستشفعا بكتابى الى الخلق العظيم والعلق الكريم والفضل الجسيم وكل شئ على الميم فى باب التفخيم وبى ان أعرف شغل شاغل وحتى أقبل واداخل دخولا معلوما لا يقتضى لوما ولا تظن الا الجميل وعرفته ان الحمار نفسه ثم رفسه والمرء وجوده ثم جوده وشفيع لا يعرف غريب ولكنه من غريب الحديث لا من غريب الحديث فأبى الا ان افعل وقد فعلت على السخط من القسط فان قبلت الشفاعة فالجد يأبى الا ان يعمل عمله وان رددته فليست كلمة السوء مثله والسلام

(وله أيضا)

رقدت ولم ترث للساهر * وليل المحب بلا آخر

ومثله قول راجح الحلي وعدّوه من المرقص

ياليل طلت ولم ترق لمغرم * لم يظلموا اذ لقبوك بكافر

ومثله قول ابن نقي وهو معدود من المرقص

باعدته عن أضلع تشتاقه * كيلا ينام على فراش خافق

ويعجبني في هذا الباب قول النجيب بن الدباغ وهو معدود من المرقص

يارب ان قدرته لمقبل * غيري فللمسواك او للاكؤس

ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فليك شمعة في المجلس

واذا حكمت لنا بعين مراقب * في الحب فلتك من عيون النرجس

وعدّوا من مرقصات الطريق الغرامية قول القائل

أستغفر الله الا من محبتكم * فانها حسناتي حين القاه

فان يقولوا بأن العشق معصية * فالعشق أحسن مايعصى به الله

ومن مطرب الانسجام الغرامي قول علية بنت المهدي

وأحسن أيام الهوى يومك الذي * تروع بالهجران فيه وبالعتب

اذا لم يكن في الحب سخط ولارضا * فأين حلاوات الرسائل والكتب

ومثله من المطرب قول الحسين بن الضحاك

له عبثات عند كل تحية * بعينيه تستدعي الحليم الى الوجد

رعى الله عصرا لم نبت فيه ليلة * خليا ولكن من حبيب على وعد

ومن الغايات في هذا الباب اعني الانسجام الغرامي ما كان يكثر من الترنم به أبو القاسم القشيري وهو

لو كنت ساعة بيننا مابيننا * وشهدت حين نكرر التوديعا

أيقنت أن من الدموع محدثا * وعلمت أن من الحديث دموعا

ومثله قول خالد الكاتب

بكى عاذلي من رحمتي فرحمته * وكم مثله من مسعد ومعين

ورقت دموع العين حتى كأنها * دموع دموعي لادموع جفوني

ويعجبني من هذا الباب قول اسحق بن ابراهيم الموصلي

على عصر أيام الصبابة والصبا * ووصل الغواني والتذاذي بالشرب

سلام امرئ لم تبق منه بقية * سوى نظر العينين أو شهوة القلب

ومن غراميات القاضي الفاضل في باب الانسجام قوله

ترى لحنيني أو حنين الحمائم * بوت فبكت دمعي دموع الغمائم

وهل من ضلوع او ربوع ترحلوا * فكل أراها دارسات المعالم

لقد ضعفت ريح الصبا فوصلتها * فني لا منها هبوب السمائم

دعوا نفس المقروح يحمله الصبا * وان كان يهفو بالغصون النواعم

مثلي أيد الله القاضي مثل رجل من أصحاب الجراب والمحراب تقدم الى القصاب يسأله فلذة كبد فسدّ باليسرى فاه وأوجع بالاخرى قفاه فلما رجع الى مسكنه كتب اليه توقيعا بطلب حلا رضيعا كذلك انا وردت فلا اكرام بالمام ولا صلة بسلام ولا تعهد بغلام فلما وجدته لايبالي بسبالي كاتبته اشفع لسواي وهو موصل رقعتي هذه وله خصم بينهما قصة لاأسأله في البين الا الاصلاح الجانبين والسلام

(وله أيضا)

النادرة أطال الله بقاء القاضي تطلى ولاتخطى وفي مضحكات الاحاديث ان عدة من المخانيث قدموا الى أمير فضرب أحدهم بالسياط وهو ينشده بالله العظيم وكتابه الكريم

تأخرت فى حمل السلام عليكم * لدينا لما الف دجلت من معالم
فلا تسمعوا الاحاديث الناظرى * يعاد بالفاظ الدموع السواجم

ومثله قوله

ياطرف مالك ساهد فى راقد * ياقلب مالك راغب فى زاهد
من يشترى عمرى الرخيص بجمعه * من وصلك الغالى بيوم واحد
عاتبته فتورّدت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذى فى حرير ناعم * وضربت من ذا فى حديد بارد

ويعجبنى من غراميات البهاء زهير قوله

عتبتكم عتب المحب حبيبه * وقلت بادلال فقولوا باصغاء
لعلكم قد صدكم عن زيارتى * مخافة أمواه الدمع وأنواء
فلو صدق الحب الذى تدعونه * وأخلصتم فيه مشيتم على الماء
وان تك أنفاسى خشيتم لهيبها * وهالتكم نيران وجد باحشائى
فكونوا رفاعيين فى الحب مرة * وخوضوا لظى نار لشوقى حمراء

وألطف منه واعجب قوله

نعيش أنت وتبقى * أنا الذى مت عشقا
حاشاك يانور عينى * تلقى الذى أنا ألقى
ولم أجد بين موتى * وبين هجرك فرقا
ياأنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من أكرم الناس خلقا
لك الحياة فانى * أموت لاشك حقا
ياألف مولاى مهلا * ياألف مولاى رفقا
قد كان ما كان منى * والله خير وأبقى

ومثله قوله

أنت الحبيب الاول * ولك الهوى المستقبل
عندى لك الود الذى * هو ما عهدت وأكمل
القلب فيك مقيد * والدمع منك مسلسل
يامن يهدد بالصدو * د نعم تقول وتفعل
قد صح عذرك فى الهوى * لكننى اتعلل
نفدت معاذيرى التى * التى بها من يسأل
حتام أكذب للورى * والى متى أتحمل
قل للعذول لقد أطلت لمن تقول وتعذل
عاتبت من لا يرعوى * وعذلت من لا يقبل
غضب العذول أخف من * غضب الحبيب وأسهل

ورسوله الامين ويذكره الدين وحرمة المسلمين والسباط نوبته نصيبه والمخنث يجعل الله حسيبه ثم قدم الباقون فعمل بهم مافعل بصاحبهم فقال الاخير باجهير كذا يحلف الامير اصبروا حتى أوتيتم واسمعوا حتى أتكلم فلما جرد السباط قال أيها الامير بحياة والدتك الاعفوت عنى فقد أخذ الخوف منى فغضب الامير وقال على بالسباط حتى يلج الجمل فى سم انخياط مالك ولذكر الحرم فخلفه المخنث بطرتها ثم بغدرتها ثم صار الى ثغرتها ثم تدحرج الى سرتها فلما انتهى الى السرة أشفق الامير على الحرة فقال خلوه قد والله بلغت السرة اوزدت وصرت الى الدرة او كدت وماذا بعد الحق الا الضلال وهل بعد الشر الا النكال

ومن انسجاماته التى تكاد ان لا تكون موزونة

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو رأيتم محاسكم * من فؤادى لسركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت أمركم
قصروا مدة الجفا * طول الله عمركم
شرفونى بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بانكم * شهركم لى ودهركم
قد نسيتم وانما * أنا لم أنس ذكركم
وصبرتم وليتنى * كنت أعطيت صبركم
ورأيتم تجلدى * فى هواكم فسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذى كان ضركم

ومن انسجاماته التى هى فى غاية الظرف

ياقلب بعض الناس هل * للضيف عندك زاويه
انى ببابك قد وقفت عسى ترد جوابيه
ياملبسى ثوب الضنا * يهنأك ثوب العافيه
لم يبق منى فى القميص سوى رسوم باليه
وحشاشة ما أبقت الاشواق منها باقيه
يامن اليه المشتكى * أنت العليم بحاليه
واليك عنى يا غرا * م فقد عرفت مكانيه
فكأنما لك قد قعد * ت على طريق القافية
من لى بقلب اشتريه من القلوب القاسيه
مولاى ياقلبى العزيز ويا حياتى الغاليه
انى لاطلب حاجة * ليست عليك بخافية
انعم على بقبلة * هبة والا عاريه
وأعيدها لك لا عدمت بعينها وكما هيه
واذا أردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومثله قوله فى هذا الروى

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
وتفوح من عطفى أنفاس الشباب كما هيه
ويميل بى نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديم بقية فى الزاويه

لا يفعل القاضى أيده الله آخر السرة أول الغرة ماله ولاصحاب الحديث والله لينتهين عن علمائهم وهو كريم أو لينتهين وهو لئيم وهذا القضيب ميمون وان بعد عن داره فلم يبعد عن مقداره وان لم تحضر أقاربه فهذى عقاربه افقطه أف فان لم تغن فلا ميدة الا كف ثم الله أعلم بما فى الخلف والشر قبيح أنواعه فليكف عنه سماعه وراء هذه الجملة تفصيل وهم طويل وقال وقيل وخطب ثقيل فان أرواح ارحت وان أحوج شرحت والسلام

(وله أيضا)

الاستاذ الزاهد يأمر غاشية مجلسه ان يفتشوا أعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا قريحا يحمل وذا صحيحا وكبدا دامية تنقل محبة نامية فانا ضيعتهما بالامس

ومن غراميات الحاجري في هذا الباب

لك أن تشوّقني الى الاوطان * وعليّ أن أبكي بدمع قاني
ان الذين رحلوا غداة المنحنى * ملؤا القلوب لواعج الاشجان
فلأبعثن من النسيم اليهم * شكوى تميل لها غصون البان
نزلوا برامة قاطنين فلا تسل * ما حل بالاغصان والغزلان

وقد تقدم قولي ان الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة * سقى الله من غيث الرحمة ثراه * هو غيث هذا الانسجام * وغريم هذا الغرام * في انسجاماته الغرامية الموعود بايرادها قوله

حديثي في المحبة ليس يشرح * فدعني من حديث اللوم واسرح
فما لك مطمع ببراح قلبي * عن الحب الذي أعيا وبرّح
فكم من لائم أنحى الى أن * تأمل من هويت فما تنحنح
فبالله ما أشهى وأبهى * ويا لله ما أحلى وأملح
له طرف يقول الحرب أحرى * ولي قلب يقول الصلح أصلح
سألت سواره المثرى فنادى * فقير وشاحه الله يفتح
وماس من القوام بغصن بان * اذا أنشدت أغزالي ترنح
وحياني بألحاظ مراض * صحيحات فأمرضني وصحح
اعاتبه فلا يصغي لعتبي * ولا أسلو فأتركه وأربح

ومن غايات انسجامه قوله

كم شرحت من وجد * كم سفحت من دمعه
كم بعثت من رسل * دفعة على دفعه
بنتم واعرضتم * ما أمرّها جرعه
هل عليكم باس * في المقال بالرجعه
قد عجبت منا كم * لا تحرموا المتعه
ترك سنتي فيكم * سادني من البدعه
هذه صبابا تي * والوصال في منعه
كيف لو تعلمتم * غير هذه الصنعه
يا مليك قلبي خذ * ما يليه بالشفعه
وامن بيننا أولا * ردنا الى القرعه
لا تحل عن قلبي * ليس فيه من نجعه
قد تركت أرداني * من مدامعي نقعه
ما لناظري كحل * غير هذه الطلعه

ومثله قوله

خبروه بتفصيل حالي جمله * فعساه يرق لي واعله

على ذلك الرمس رضي الله عن وديعته وعنا معاشر شيعته فيأمر بردهما الى قلاخير في الاجساد خالية من الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو الحسن الهمذاني موصل رقعتي هذه له قصة يعرضها وحاجة انا أعرضها تلميذ قد تطرف بيوته وتحيف حانوته ولجأ من الاستاذ الى حصن منيع ولجأ الاستاذ منه الى أمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا الحروان لم يعلم باطنه وعلم سيرته وان لم يعلم سريرته وأيقن أنه لو لم يدع الكذب ديانة لتركه امانة وصيانة فان حرفته لا تحتمل غير الصحة ثم يرضى بعد ألف مكاس راسا براس ويرد فضل صفقتين ويحمد الله عليهما بركعتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويذره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

كم تمحضت اذ تبدى حذارا * من رقيبي وكم تكلفت سعله
ليس لي عن هدى هواه ضلال * أكثر اللوم عاذلي أو أقله
ركبت في جبلتي نشوة العشق وصعب تغيير ما في الجبله
سادتي عاودوا ارضا كم وعودوا * عن جفا كم فسابق في فضله
ذبت شوقا فما بخلوني بقرب * مت عشقا فخطوني بقبله
واشغلوني عن لائم ما أتاني * برشاد أتته آفة غفله
قلت بالله خلني فتمادى * وقليل من يترك الشرقه

ومثله قوله

صب أخذ الهوى زمامه * قد صار جمالكم امامه
في حسنكم البديع شغل * عن عاذلي وعن امامه
من لي بمحجب أراه * بالفكر ولا أرى خيامه
اشدو بتغزلي لديه * فيه فيصد لي خصامه
يزهو ويقول كان ماذا * لو يترك جاهل كلامه
شبهت بطلعتي هلالا * ما كنت رضيته فلامه
والغصن حسبته شبيها * مني بتعطف وقامه
والظبي اذا رنت لحاظي * لا كيد له ولا كرامه
أفديه بمهجتي واني * لا حسرة لي ولا ندامه
كم دعوة موعد لوصل * قامت لحضورها القيامه
اخبرت بها العذول لكن * ما قلت له كم الغرامه

ومثله قوله

لا تعاتبني فلا عتب علي * خرج الامر وعقلي من يدي
ليس للنصح قبول يرتجى * عند شيخ هام وجدا بصبي
وأرى لومك يغريني به * لا تزدني أو فزدني يا أخي
انا في الحب امام فاذا * صرت من ابنائه فاخضع لدى
لا تسل غيري في شرع الهوى * وخذ التنزيل فيه عن أبي
خلق أني شحيح بهم * وبروحي لهم حاتم طي
فاختصر في شرح أشواقي فان * رمت اسهابا فوكل مقلتي
سادتي فارقتكم فاستلبت * بنواكم راحتي من راحتي
فاجبروا قلبي بشيء منكم * فلقد أوتيتم من كل شي
سادتي منكم غرير أغيد * فيه ما يشغل عن هند ومي
قلت قد أضنيت جسمي قال قد * قلت كي تذهب روحي قال كي
قلت أفديك بنفسي قال مه * ما اليك الامر فيها بل الى

ومثله قوله من أبيات يخاطب العذول

(وله أيضا الى أخيه)

كأني أطال الله بقاءك ونحن وان بعدت الدار شاسعة فلا تمتنّ بعدي على قربك ولا تمحونّ ذكري من قلبك فالاخوان وان كان أحدهم بخراسان والآخر بالحجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان في المعنى واحد وفي اللفظ اثنان وما بيني وبينك الاسترطوله فتر وان صاحبني رفيق اسمه توفيق لنلتقين سريعا ولنسعدن جميعا والله ولي المأمول حماك قداك الشفيق سيء الظن وما أحوجني الى ان أراك ولا قرابة الا الاخوة وتلك والله يعيذك نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشاء الله يسلكنا وبينك نيا تاحسنا والله أولى بك من أخيك وهو حسبي فيك فاستعن بالله وحده أليس الله بكاف عبده والسلام

آراك بخيلا بعونى فهبنى * سكوتك عنى اذا لم تعنى
ذممت الهوى ورجوت السلو * فأبكيت عينى واضحكت سنى
فان عفت شربى من خمرتى * فدعنى ما بين كأسى ودنى
واياك عربدتى فاخشها * فانى قد أخذ السكر منى

ويعجبنى من انسجامات ابن سنا الملك قوله

دنوت وقد أبدى الكرى منه ما أبدى * فقبلته فى الثغر تسعين أو احدى
وأبصرت فى خده به ماء وخضرة * فما أملح المرعى وما أعذب الوردا
تلهب ماء الخد أو سال جمره * فياماء ما أذكى ويا جمر ما أندى
أقول لناه قد أشار بتركه * لقد زدتنى فيما أشرت به زهدا
فلم لانهيت الثغر أن يعذب اللمى * ولم لا أمرت الصبر أن يكتم النهدا
وأقسم ما عندى اليه صبابة * وكيف وجور الشوق لم يبق لى عندا
وفى القلب نيران الخليل توقدت * وماذقت منها لا سلاما ولا بردا

ومثله قوله ويعجبنى الى الغاية

نم المشوق وأنم المعشوق * فالعيش كالخصر الرقيق رقيق
خصر أدير عليه معصم قبلة * فكأن تقبيلى له تعنيق
ونم لقد طرق الحبيب وماله * الا الخدود العاشقين طريق
فرشوا الخدود طريقه فكأنما * زفراتهم لقدومه تطريق
وافى وصبح جبينه متنفس * وأتى وجيد رقيبه مخنوق
فصنعت فيه صناعة شعرية * فالصدر رحب والعناق يضيق

ومثله قوله وهو فى غاية الظرف

لا أجازى حبيب قلبى بجرمه * انا أحنى عليه من قلب أمه
ضن عنى بريقه فتحيلت الى ان سرقته عند لثمه
والى اليوم من ثلاثين يوما * لم تزل من فمى حلاوة طعمه
ان قلبى لصدره ورقادى * ملك أجفانه وروحى لجسمه
يكسر الجفن بالفتور ومالى * حمل وقت كسره غير ضمه

ومن غراميات الشاب الظريف شمس الدين محمد بن العفيف قوله فى باب الانسجام

عفا الله عن قوم عفا الصبر منهم * فلو رمت ذكرى غيرهم خانني الفم
تجنوا كأن لا ود بينى وبينهم * قديما وحتى ما كأنهم هم
وبالجزع أحباب اذا ما ذكرتهم * شرقت بدمع فى أواخره دم
ومشبوب نارى وجنة وجناية * تعلمه ألحاظه كيف يظلم
ألم وما فى الركب منا متيم * وعاد وما فى الركب الا متيم
وليس الهوى الا التفاتة طامح * يروق لعينيه الجمال المنمم
خليلى ما للقلب هاجت شجونه * وعاوده داء من الشوق مؤلم

(وله الى ابن أخته)

كتابى وقد ورد كتابك بما ضمنته من تظاهر نعم الله عليك وعلى أبويك فسكنت الى ذلك من حالك وسألت الله ابقاءك وان يرزقنى لقاءك وذكرت مصابك بأخيك فكأنما فتت عضدى وماعنت فى كبدى فقد كنت معتضدا بمكانه والقدر جار لشانه وكذا المرء يدبر والقضا يدمر والآمال تنقسم والآجال تبتسم والله يجعله فرطا ولا يريني فيك سوأ أبدا وأنت أيدك الله وارث عمره وسداد ثغره ونعم العوض بقاؤك ان الاشاء اذا أصاب مشذبا منه أغل ذرى وأث أسافلا وأبوك سيدى أيده الله وألهمه الجميل وهو الصبر وآتاه الجزيل وهو الاجر وأمتعه بك طويلا فانت بديلا أنت ولدى ما دمت والعلم شانك والمدرسة

أظن ديار الحي منا قريبة * والا فنها نفحة تتنسم

ومثله قوله

لا تخف ما فعلت بك الأشواق * واشرح هواك فكلنا عشاق
فعسى يعينك من شكوت له الهوى * في حمله فالعاشقون رفاق
لا تجزعن فلست أول مغرم * فتكت به الوجنات والأحداق
واصبر على هجر الحبيب فربما * عاد الوصال وللهوى أخلاق
كم ليلة أسهرت أحداقي بها * وجدا وللأفكار بي إحداق
يا رب قد بعد الذين أحبهم * عني وقد ألف الفراق فراق
واسود حظي عندهم لما سرى * فيه بنار صبابتي احراق
عرب رأيت أصح ميثاق لهم * أن لا يصح لديهم ميثاق

ومثله قوله

بثنى قوامك المشوق * وبأنوار وجهك المشوق
وبعيني للحسن مبتكر فيك * وقلب كقلبي المحروق
جد بوصل أو زورة أو بوعد * أو كلام أو وقفة في الطريق
أو بارسالك السلام مع الريح * والا فبالخيال الطروق

ويعجبني في هذا المعنى على هذا الطريق قول بعض المواليا

زر شهر في عام يامن قد غلا في السوم * او يوم في شهر واحلى من صدود ودوم
وان عز هذا وهذا يا عزيز القوم * في الدهر ساعه وان لم ترتضي في النوم

ومن ألطف انسجامات ابن العفيف قوله أيضا

لي من هواك بعيده وقريبه * ولك الجمال بديعه وغريبه
يا من أعيذ جماله بجلاله * حذرا عليه من العيون تصيبه
ان لم تكن عيني فانك نورها * أولم تكن قلبي فأنت حبيبه
هل حرمة أو رحمة لمتيم * قد قل فيك نصيره ونصيبه
ألف القصائد في هواك تغزلا * حتى كأن بك النسيب نسيبه
لم يبق لي سر أقول تذيعه * عني ولا قلب أقول تذيبه
دع لي فؤادا بالغرام تشبه * واستبق فودا بالصدود تشيبه
كم ليلة قضيتها متسهدا * والدمع يجرح مقلتي مسكوبه
والنجم أقرب من لقاك مناله * عندي وأبعد من رضاك مغيبه

ومثله قوله

رشيق القامة النضره * لقد أصميت بالنظره
وقد سودت حظي منك * يا أبهى الورى غره
سواد الخال والمقله * مع العارض والطره
قديم الهجر هل تقتي * قديم في الهوى هجره

وكم

مكاتبك والدفتر نديمك وان قصرت ولا اخالك فغيري خالك والسلام

(وكتب الى والده)

كتابي أطال الله بقاء الشيخ وتواترت الأخبار من قبل أنه وارد لا محالة وتلقيت هذه الحالة بمقتضاها شكرا وصدقة ثم ورد كتابه بأن الامر في ذلك فتر لعارض علة ذكر فقسمت قلبي جزءين وما حال الواحد بين اثنين أحدهما يبكيه والآخر يشكيه وقلت العافية والزم الناحية ولم يرد كتابه بعد بذكر السلامة وقد علم ما بين الجوانح من قلق وتحت الترائب من حرق حتى اسمع بالسلامة افيضت عليه وقد خرج القاضي أبو ابراهيم حاجا فان رأى أو فعل ذمه اذا قفل وان ابى وتعد فقد أقلته عما وعد لا بر جنى بعد بوعد والسلام

وكم تلقاه بالايعا * د والابعاد والنفره
وكم يشكو ولا تطر * ح فى قفته كسره
رأينا من جفاوجفى * ولكن زدت فى كثره
فهل تمنح أو تسمح * بالوصل ولو مره
فقد أصبحت لا املك * من صبرى ولا ذره
وقد صيرنى هجر * لذى كسر اخت من اكره

ومن انسجاماته الرقيقة قوله

حتام حظى لديك حرمان * وكم كذا لوعة وهجران
أين ليال مضت ونحن بها * أحبة فى الهوى وجيران
وأين ود عهدت صحته * وأين عهد وأين أيمان
قد رضى الدهر والعواذل والحساد عنا وأنت غضبان
فاسلم ولا تلتفت الى مهج * بها جوى قاتل وأشجان
ونم خليا وقل كذا وكذا * من كل من أطلعت نامان

ومثله قوله

اعزالله أنصار العيون * وخلد ملك هاتيك الجفون
وضاعف بالفتور لها اقتدارا * وان تك أضعفت عقلى ودينى
وأبقى دولة الاعطاف فينا * وان جارت على قلبى الطعين
وأسبغ ظل ذاك الشعر منه * على قد به هيف الغصون
وصان حجاب هاتيك الثنايا * وان ثنت الفؤاد الى الشجون
حلت تسهدى والشيب هذا * على رأسى وذاك على عيونى

ومن غراميات ابن النبيه فى باب الانسجام

تعالى الله ما أحسن * شقيقا حف بالسوسن
خدود لثمها يبرى * من الاسقام لو أمكن
فاقحنى وحارسها * بقفل الصدغ قد زرفن
غزال ضيق العينين * ن يسبى الرشا الاعين
له قلب وأعطاف * فما أقسى وما ألين
ولم أر قبل مبسمه * صغير الجوهر المثمن
أبث هواه من خوف * لنجم الليل لما جن
وما ينفع كتمانى * ودمع العين قد أعلن
وقد اسكنته قلبى * فسار وأحرق المسكن

وعما كتبه القاضى الفاضل بخطه وهو غاية فى باب الانسجام الغرامى وكان كثيرا مايترنم به

(وله الى العم)

كتابى وورد كتاب العم والاسنة حشوه فرط عتاب اذلم أورده بكتاب واصدق من الكتاب الماسة والرحم الماسة افيظننى نسيته ان صدق هذا الظن فالماء نساء الظماء ولا ارانى الله أعود لما يكره واذا حنق وقطعت وامر واطعت رجوت لا يجد العتب مساغا سأل العم ان أبثه حالى بهذه البلاد انى فى بلاد وان لم يكن لاهلها تميز فانا بينهم عزيز يعظمونى تقليدا ويرونى فريدا والمال يجرى فيضا لكنى لا أبلعه ريقا ولا آلوه تفريقا فهو يأتى مدا ويذهب جزرا والسلطان مقبل غاية الاقبال بالجاه والمال هذه جريدة أحوالى وتفصيلها طويل واذا شئت من هذه الجراب أزن واكيل وحسبنا الله ونعم الوكيل

قصيدة القاضى المهذب بن الزبير ووجدت بخط القاضل غير تامة وقد أثبت هنا منها ما وجد بخط القاضل من غرامياها واختصرت المديح وهو

بالله يا ريح الشما * ل اذا اشتملت الروح بردا
وحملت من نشر الخزا * مى ما اغتدى للند ندا
ونسجت ما بين الغصو * ن اذا اعتنقن هوى وودا
وهززت عند الصبح من * أعطافها قدا فقدا
ونثرت فوق الماء من * أجيادها للزهر عقدا
فملأت صفحة وجهه * حتى اكتسى آسا وردا
فكأنما ألقت فيه * منهما صدغا وخدا
مرى على بردى عسا * ه يزيد فى مسراك بردا
نهر كنصل السيف تكـ * ـسو متنه الازهار غمدا
صقلته أنفاس النسيـ * ـم بمرهن فليس يصدا
أحبابنا ما بالكم * فينا من الاعداء أعدى
وحياة حبكم بتر * بة وصلكم ما خنت عهدا

وغاية الغايات فى باب الانسجام الغرامى ما كتبه القاضى فتح الدين بن عبد الظاهر الى والده القاضى محيى الدين وقد توجه صحبة الركاب الشريف الظاهرى فى مهم شريف فحصل له ضعف بدمشق المحروسة وهو

ان شئت تبصرنى وتبصر حالتى * قابل اذا هب النسيم قبولا
تلقاه مثلى رقة ونحافة * ولاجل قلبك لا أقول عليلا
فهو الرسول اليك منى ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

خطاب مثل هذا الولد لمثل هذا الوالد بقوله ولاجل قلبك لا أقول عليلا فيه ما يفتت الاكباد * ويحرك الجماد * سبحان المانح ان من البيان لسحرا ومن غراميات والده القاضى محيى الدين فى باب الانسجام

لا آخذ الله بندك * فكم وشى بى عندك
وقال عنى بانى * شبهت بالغصن قدك
وأنت تعظم عندى * أن يحكى البدر عبدك
ولست والله أرضى * أن يحكى الورد خدك
فقاتل الله طرفى * فكم به نلت قصدك
ولا رعى الله قلبى * فكم رعى لك عهدك
فمن ترى أنا حتى * جعلت صدرى وكدك
وما عشقتك وحدى * بلى عشقتك وحدك
وكم أطعتك جهدى * وكم تجنيت جهدك
وبعد هذا وهذا * وذاك لا ذقت فقدك

(وله الى الشيخ ابى الطيب سهل بن محمد)

أنا أخاطب الشيخ الامام والكلام مجون والحديث شجون وقد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس من فعله بد هذه العرب تقول لا أبا لك فى الامر اذا أهم وقاتله الله ولا يريدون الذم وويل امه للمرء اذا أهم ولاولى الالباب فى هذا الباب أن ينظروا من القول الى قائله فان كان وليا فهو الولاء وان خشن وان كان عدوا فهو البلاء وان حسن هذا الفقيه ميمون خبط اجواف الليل وضرب أكباد الخيل من العراق الى خراسان ليحبس بها ولا جرم كان لا يعدم هذا بالعراق لو اراد ولو سأل القاضى بها فعل وزاد وقد شكا الى مرارا ما يستقبل به من قبيح الكلام ويعامل به من سوء اهتضام وهؤلاء

ويعجبني في هذا الباب رشاقة ناصر الدين بن النقيب بقوله

سلك الشوق بقلبي * بعدكم صعب المسالك
ورمى قلبي بنيرا * ن ولا نيران مالك
هذه بعض صفاتي * طالع العبد بذلك

وأظرف ما رأيت في باب الانسجام الغرامي المرتجل ما أورده صاحب روضة الجليس ونزهة الانيس ذكر أنه كان بافريقية رجل نبيه شاعر مفلق وكان يهوى غلاما من علمائها جميلا فاشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فانفرد بنفسه ليلة جمع فيها بين سلاف الراح وسلاف الذكر فتزايد به الوجد وقام على الفور وقد غلب عليه السكر ومشى الى أن انتهى الى باب محبوبه ومعه قبس نار فوضعه عند باب الغلام فلما دارت النار بالباب بادر الناس باطفائها واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضي فأعلموه بفعله فقال له القاضي لاى شئ أحرقت باب هذا الغلام فقال مرتجلا

لما تمادى على بعادي * وأضرم النار في فؤادي
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد
حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أقل في الوصف من زناد
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

فرق القاضي لارتجاله الغرامي وتحمل عنه جناية الباب وقد انتهت الغاية بنا الى غراميات العارفين وابن الفارض هو قائد زمامها * وقتيل غرامها * فمن قوله في هذا الباب الذي ليس لغيره فيه مدخل ما ألفته من تائيته وجعلته قصيدا غراميا ينتظم بها شمل الانسجام * واذا هب نسيمها العذري تنسمت العشاق منه أخبار الغرام * وهو قوله

نعم بالصبا قلبي صبا لاحبتي * فيا حبذا ذاك الشذا حين هبت
تذكرني العهد القديم لانها * حديثة عهد عن أهيل مودتي
فلي بين هاتيك الخيام ضنينة * على بجمعي سمحة بتشتتي
محجبة بين الأسنة والظبا * اليها انثنت ألبابنا اذ تثنت
تبيح المنايا اذ تبيح لنا المنى * وذاك رخيص منيتي بمنيتي
متى أوعدت أولت وان وعدت لوت * وان أقسمت لا تبرئ السقم برت
وان عرضت أطرق حياء وهيبة * وان أعرضت أشفق فلم أتلفت
وقد سخنت عيني عليها كأنها * بها لم تكن يوما من الدهر قرت
فانسانها ميت ودمعي غسله * وأكفانه ما ابيض حزنا لفرقتي
خرجت بها عني اليها فلم أعد * الى ومثلي لا يقول برجعة
فوصلي قطعي واقترابي تباعدي * وودي صدي وابتدائي نهايتي
وفيها تلاف الجسم بالسقم صحة * له وتلاف النفس عين الفتوة
ولما تلاقينا عشاء وضمنا * سواء سبيلي ذي طوى والثنية

الصدور يرون الشمس من قبلي تدور وقد رأى الشيخ أحوالهم وسمع أقوالهم فلا أدرى من الكاتب في معناه وهذا القاضي أنا عنده في منزلة أقل من شئ المعتزلة ولا يسئل عما أبدى فانفصل بذي والخلاف واقع في كل شئ الا في الحساب فلم لا يحاسب على الذرة كما يحاسب على البدرة فان أخرج الحساب عليه شيأ طولب حينئذ بمعلوم وان كان حبس التهمة فسواد ليلة أو بياض يوم ولم أعهد الشيخ في الامور بهذا الفتور فما هذه الضراعة وأين الشفاعة وان لم تقبل فأين الشناعة الله أكبر أنا أول من ينعر وهذا الفقيه الزياري قد ضل فيه القياس من يستحي الله منه ولا يستحي من الناس أليس في آداب القضاء

وضنت وما منت على بوقفة * تعادل عندى بالمعرف وقفتى
عتبت فلم تعتب كأن لم يكن لقا * وما كان الا أن أشرت وأومت
وبانت فاما حسن صبرى فخاننى * وأما جفونى بالبكاء فوفت
أغار عليها أن أهيم بحبها * وأعرف مقدارى فانكر غيرتى
وكنت بها صبا فلما تركت ما * أريد أرادتنى لها وأحبت
بها قيس لبنى هام بل كل عاشق * كمجنون ليلى أو كثير عزة
بدت فرأيت الحزم فى نقض توبتى * وقام بها عند النهى عذر محنتى
فوقتى بها وجدا حياة هنيئة * وان لم أمت فى الحب عشت بغصتى
تجمعت الاهواء فيها فلا ترى * بها غير صب لا يرى غير صبوتى
وعندى عيدى كل يوم أرى به * جمال محياها بعين قريرة
وكل الليالى ليلة القدر ان دنت * كما كل أيام اللقا يوم جمعة
واى بلاد الله حلت بها فما * اراها وفى عينى حلت غير مكة
وما سكنته فهو بيت مقدس * بقرة عينى فيه أحشاى قرت
ومسجدى الاقصى مساحب بردها * وطيبى ثرى أرض عليها تمشت
مواطن أفراحى ومربى مآربى * وأطوار أوطارى ومأمن خيفتى
مغان بها لم يدخل الدهر بيننا * ولا كادنا صرف الزمان بفرقة
ولا صحبتنا النائبات بنبوة * ولا حدثتنا الحادثات بنكبة
ولا اختص وقت دون وقت بطيبة * بها كل أوقاتى مواسم لذتى
فان رضيت عنى فعمرى كله * زمان الصبا طيبا وعصر الشبيبة
وان قربت دارى فعامى كله * ربيع اعتدال فى رياض أريضة
بها مثل ما أمسيت أصبحت مغرما * وما أصبحت فيه من الحسن أمست
فلو بسطت جسمى رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل محبة
وقد جمعت احشاى كل صبابة * بها وجوى ينبيك عن كل صبوة
وكنت أرى أن التعشق منحة * لقلبى فما ان كان الا لمحنتى
ألا فى سبيل الحب حالى وما عسى * بكم ان القى لو دريتم أحبتى
اخذتم فؤادى وهو بعضى عندكم * فما ضركم لو كان بعضى جملتى
وهى جسدى مما وهى جلدى لدى * تحمله يبلى وتبقى بليتى
ومنذ عفا رسمى وهمت وهمت فى * وجودى فلم تظفر بكونى فكرتى
وبالى أبلى من ثياب تجلدى * بل الذات فى الاعدام نيطت بلذتى
كأنى هلال الشك لولا تأوهى * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى
وقالوا جرت حمرا دموعك قلت عن * أمور جرت فى كثرة الشوق قلت
نحرت لضيفى السهد فى جفنى الكرى * قرى فجرى دمعى دما فوق وجنتى
فطوفان نوح عند نوحى كأدمعى * وايقاد نيران الخليل كلوعتى

وفى ملته البيضاء ما يصونه عن الابتذال نسأل الله رأيا يسعد وسترا يمتد ووجها لا يسود والسلام

(وله اليه رقعة)

بالعباد الله القرض ولا هذا الرحض والزاد ولا هذا الكساد أمرض ولأعاد اذا شبع الزنجى بال على التمر وهذا بول على البحر ويوشك أن يكون له دخان بقول الشيخ الجليل الامام لو سمعت بمرضه لاتهمت الى غرضه اذا لا أواخذه بالجرم ولا اسامحه العذر وكانى به يقول اتدارك الآن اذا يجدنى ملآن عربدة لا حقيقة لها وموجدة ما خلق الله اصلها فما أجد منه مقرا ولا عند غيره مستقرا

ولولا زفيرى اغرقتنى أدمعى * ولولا دموعى أحرقتنى زفرتى
وحزنى مايعقوب بث اقله * وكل بلا أيوب بعض بليتى
وكل أذى فى الحب منك اذا بدا * جعلت له شكرى مكان شكيتى
نعم وتباريح الصبابة ان عدت * على من النعماء فى الحب عدت
وعنوان ما بى ما أبثك بعضه * وما تحته اظهاره فوق قدرتى
واسكت عجزا عن أمور كثيرة * بنطقى لن تحصى ولو قلت قلت
وعن مذهبى فى الحب مالى مذهب * وان ملت يوما عنه فارقت ملتى
هو الحب ان لم تقض لم تقض مأربا * من الوصل فاختر ذاك أو خل خلتى
ودع عنك دعوى الحب واختر لغيره * فؤادك وادفع عنه غيك بالتى
وجانب جناب الوصل هيهات لم يكن * وها أنت حى ان تكن صادقا مت
وقالوا تلاف مابقى منك قلت لا * ارانى الا للتلاف تلفتى
غرامى أقم صبرى انصرم دمعى انسجم * عدوى انتقم دهرى احتكم حاسدى اشمت
ويا نار أحشائى أقيمى من الجوى * حنايا ضلوعى فهى غير قويمة
ويا جسدى المضنى تسل عن الشفا * ويا كبدى من لى بان تتفتتى
ويا كلما أبق الضنى منى ارتحل * فمالك مأوى فى عظام رميمة
وماذا عسى عنى أنا بى توهما * بياء الندا أونست منك بوحشتى
فنفسى لم تجزع باتلافها أسى * ولو جزعت كانت بغيرى تأست
فيا سقمى لا تبق لى رمقا فقد * أبيت ابقيا العز ذل البقية

ومن غرامياته التى خلبت القلوب * وعرف العارفون بها طريق التوصل الى معرفة المحبوب * قوله من قصيدة

اهفو الى كل قلب بالغرام له * شغل وكل لسان بالهوى لهج
وكل سمع عن اللاحى به صمم * وكل جفن الى الاغفاء لم يعج
لا كان وجد به الآماق جامدة * ولا غرام به الاشواق لم تهج
عذب بما شئت غير البعد عنك تجد * أوفى محب بما يرضيك مبتهج
وخذ بقية ما أبقيت من رمق * لا خير فى الحب ان أبقى على المهج
من لى باتلاف روحى فى هوى رشا * حلو الشمائل بالارواح ممتزج
من مات فيه غراما عاش مرتقيا * ما بين أهل الهوى فى أرفع الدرج

وما احلى ما قال منها

قل للذى لامنى فيه وعنفنى * دعنى وشأنى وعد عن نصحك السمج
فاللوم لؤم ولم يمدح به أحد * فهل رأيت محبا بالغرام هجى

منها

لم أدر ما غربة الاوطان وهو معى * وخاطرى أين كنا غير منزعج
فالدار دارى وحبى حاضر ومتى * بدا فمنعرج الجرعاء منعرجى

ولكنه نقبة مصدور ونفثة مهموم والسلام

(وله الى الشيخ ابى النصر)

كأنى اطال الله بقاء الشيخ والماء اذا طال مكثه ظهر خبثه واذا سكن متنه تحرك نتنه كذلك الضيف يسمج لقاؤه اذا طال ثواؤه ويثقل ظله اذا انتهى محله قد حلبت اشطر خمسة اشهر بهراة ولم تكن دار مثلى لولا مقامه وما كانت تسعى لولا امامه ولى فى تتبين مثل صدق وان صدرا مصدر عشق واد يتمنى حتى اذا ما ملكتنى بقول يحل العصم سهل الاباطح تجافيت عنى حيث لا لى حيلة وغادرت ما غادرت بين الجوانح ثم قنصتنى نعم الشيخ فلما علق الجناح وقلق البراح طار مطار الريح بل مطار الروح وتركنى بين قوم

منها

ليهن ركب سروا ليلا وأنت بهم * فسيرهم في صباح منك منبلج
فليصنع الركب ماشاؤا لأنفسهم * هم أهل بدر فلا يخشون من حرج

وما ألطف ما قال منها

اهلا بما لم أكن أهلا لموقعه * قول المبشر بعد اليأس بالفرج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومثله في الرقة والانسجام قوله من قصيد

ابق لي مقلة لعلي يوما * قبل موتي أرى بها من رآكا
اين مني مارمت هيهات بل اين لعيني باللحظ لثم ثراكا
وبشيري لو جاء منك بعطف * ووجودي في قبضتي قلت هاكا
قد كفى ما جرى دما من جفون * لي قرحى فهل جرى ما كفاكا
فأجر من قلاك فيك معنى * قبل أن يعرف الهوى يهواكا
بانكساري بذلتي بخضوعي * بافتقاري بفاقتي لغناكا
لا تكلني الى قوى جلد خا * ن فاني أصبحت من ضعفاكا
كنت تجفو وكان لي بعض صبر * أحسن الله في اصطباري عزاكا
كم صدود عساك ترحم شكوا * ي ولو باستماع قولي عساكا
شنع المرجفون عنك بهجري * وأشاعوا أني سلوت هواكا
ما بأحشائهم عشقت فأسلو * عنك يوما دع يهجروا حاشاكا
كيف أسلو ومقلتي كلما لا * ح بريق تلفتت للقاكا
كل من في حماك يهواك لكن * انا وحدي بكل من في حماكا

ومن كاساته الغرامية التي سكر العشاق بقديمها وحديثها قوله

ادر ذكر من أهوى ولو بملام * فان أحاديث الحبيب مدامي
فلي ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلي بخصام
كأن عذولي بالوصال مبشري * وان كنت لم أطمع برد سلام

وما ابدع وارق ما قال منها

يشف عن الاسرار جسمي من الضنا * فتوجي بها معنى نحول عظامي
طريح جوى حب جريح جوارح * قريح جفون بالدوام دوامي
صحيح عليل فاطلبوني من الضنى * ففيها كأشاه النحول مقامي

منها

فلي كل عضو فيه كل حشا بها * اذا نظرت أغراض كل سهام
ولو بسطت جسمي رأت كل جوهر * به كل قلب فيه كل غرام

ومن غرامياته التي يغضرك الجماد لرقتها قوله من قصيد

مالي سوى روحي وباذل نفسه * في حب من يهواه ليس بمسرف

ينقض منهم الطهارة
وتوهن اكفهم الحجارة
حدثت عن هذا الخليفة
لابن الجيفة انه قال قضيت
لفلان خمسين حاجة عند
ورد هذا البلد وليس
يقنع فما أصنع فقلت
يا أحمق ان استطعت ان
تراني محتاجا فاستطع ان
اراك محتاجا اليك اف
لقولك وفعلك والدهر
احوج الى مثلك انا اسأل
الشيخ ان يبيض وجهي
بكتاب يسود وجهه
ويعرفه قدره ويملأ رعبا
صدره الى ان يبين على
صفحات جنبه آثار ذنبه
وله فيما يفعل رأيه الموفق
ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ ابي العباس)

رقعتي هذه عز علي ان لا
اسعد دون هذه الرقعة
بتلك البقعة وكنت

فلئن رضيت بم الفدا اسعفتني * ياخيبة المسعى اذا لم تسعف

وما أسجم ما قال منها

يا أهل ودى انتم أملى ومن * نادا كم يا أهل ودى قد كفى
عودوا لما كنتم عليه من الوفا * كرما فانى ذلك الخل الوفى
وحياتكم وحياتكم قسما وفى * عمرى بغير حياتكم لم أحلف
لو أن روحى فى يدى ووهبتها * لمبشرى بوصالكم لم أنصف
لاتحسبونى فى الهوى متصنعا * كلفى بكم خلق بغير تكلف
أخفيت حبكم فاخفانى أسى * حتى لعمرى كدت عنى أختفى
وكتمته عنى فلو أبديته * لوجدته أخفى من اللطف الخفى

وما أحلى ما خاطب العذول منها بقوله

دع عنك تعنيفى وذق طعم الهوى * فاذا عشقت فبعد ذلك عنف

وما أعذب ما قال منها

يا ما أميلح كل ما يرضى به * ورضابه يا ما أحيلاه بفى

ولقد أحسن الله خاتمته فيها بقوله

ما للنوى ذنب ومن أهوى معى * ان غاب عن انسان عينى فهو فى

ولقد أقام القواعد الغرامية بقوله من قصيد

تعرض قوم للغرام وأعرضوا * بجانبهم عن صحة فيه واعتلوا
رضوا بالامانى وابتلوا بحظوظهم * وخاضوا بحار الحب دعوى فما ابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا من مكانهم * وما ظعنوا فى السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبى لما استحبوا العمى على الشهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا

وما أحلى ما قال بعده

احبة قلبى والمحبة شافعى * لديكم اذا شئتم بها اتصل الحبل
عسى عطفة منكم على بنظرة * فقد تعبت بينى وبينكم الرسل
أحباى أنتم أحسن الدهر ام أسا * فكونوا كما شئتم أنا ذلك الخل
اذا كان حظى الهجر منكم ولم يكن * بعاد فذاك الهجر عندى هو الوصل

وما ألطف ما قال منها

وما ذا عسى عنى يقال سوى غدا * بنعم له شغل نعم لى بها شغل
أخذتم فؤادى وهو بعضى وما الذى * يضركم لو كان عندكم الكل

وما أظرف ما قال منها

تساله قومى اذ رأونى متيما * وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل
وقال نساء الحى عنا بذكر من * جفانا وبعد العز لذ له الذل
اذا أنعمت نعم على بنظرة * فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل

وما أرق ما قال منها

فاوضتك فى الحديث ما التمسك القاه الى الشيخ وشهر الصيام ضعيف الحصر كريه العصر ولولا ان وقت رجوعه وقت جوعه لقصدت حضرته لكنى اخاف ضجرته وانت اعرف باحواله والطف فى سؤاله فاعرض رقعتى هذه وتنجز الحاجة منه وان ارحتنى فى ذلك الحديث من صاحب المواريث فقد غزاه لاتسعها الارض والسماء وان لم تتمكن من الكل فاقطعه بالعرض فبعض الشر اهون من بعض والسلام

(وله ايضا)

الشيخ اطال الله بقاءه اجده كالفاتر فى انفاذ تلك الدفاتر وما اصنع بكاف التشبيه وهو الفاتر كله

خفيت ضنى حتى لقد ضل عائدى * وكيف يرى العوّاد من لاله ظل
وما عثرت عين على أثرى ولم * تدع لى رسما فى الهوى الاعين النجل
ولى همة تعلو اذا ما ذكرتها * وروح بذكراها اذا رخصت تغلو
فنافس ببذل النفس فيها أخا الهوى * فان قبلتها منك يا حبذا البذل
فمن لم يجد فى حب نعم بنفسه * وان جاد بالدنيا اليه انتهى البخل

ومن الغراميات التى تهيج الاشواق ولواعج الغرام * وتنتظم بها عقود الانسجام * قول أ. المشايخ العارفين الشيخ عفيف الدين التلمسانى

لذ بالغرام ولذة الاشواق * واخترقنا لك فى الجمال الباقى
واخلع سلوك فهو ثوب مخلق * والبس جديد مكارم الاخلاق
وتوق من نار الصدود بشربة * من ماء دمعك فهو نعم الواقى
واذا دعاك الى الصبا نفس الصبا * فأجب رسول نسيمه الخفاق
واذا شربت الصرف من خمر الهوى * اياك تغفل عن جمال الساقى
والق الاحبة ان أردت وصالهم * متلذذا بالذل والاملاق
اوليس من أحلى المطامع فى الهوى * عز الحبيب وذلة العشاق

ويطربنى من رقائق انسجاماته الغرامية قوله

تعلم فى مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم
وعاشره باخلاق فانى * وحقك عبد رق النديم
أعاطيه أحاديثى وكاسى * فاسكر بالحديث وبالقديم
ولى عند الاحبة قلب صب * صحيح الود فى جسد سقيم
أقام وسافر السلوان عنه * فلا اجتمع المسافر بالمقيم

وقد أوردت هنا ما أمكن من جهد الطاقة فى باب الانسجام الغرامى و بديع بيوته وقد تقدم قولى انى أخرت فيه المتقدم وقدمت المتأخر عصر الثلاثة فرط سلكه وتذهب لذته فان الانسجام يدخل فى الابواب الغرامية وفى غيرها ولكنه يوجد فيها اكثر لعذوبتها وارتياح الخواطر اليها لاسيما غراميات العارفين مثل الشيخ شرف الدين بن الفارض وغيره ومما يستظرف فى باب الانسجام من الطرائق الغرامية الغريبة قول عبد المحسن الصورى

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل ما مسنى من الجوع قرح
بت ضيفا له كما حكم الدهـ * ـر وفى حكمه على الحر قبح
فابتدانى يقول وهو من السكـ * ـرة بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت قلت قال رسول الله والقول منه نصح ونجح
سافروا تغنموا فقال وقد قا * ل تمام الحديث صوموا تصحوا

ومن الانسجام المطرب قول مروان بن ابى حفصة

سمت ربيعة وجهه من سابقا * لما جرى وجرى ذووا الاحساب

ومن الانسجام المرقص قول أبى نواس

وكانه قد عرف عادتى فى حبس العارية فاخذ بانواع البسط حتى نبهت على الصغر ما امر من البط وان احب أعطيته موثقا من لسانى و يدى فحلفت له بالله العظيم وجمعت الى اليمين بالله يمينا بالطلاق ولم اقتصر على اقل من الثلاث ان دفاتره لا تمكث عندى الا اليوم والليلة وما حوجنى من صاحب فضول يستعير هذا القسم بفضول واما البط فليس الا تفاده فقط والافابيات كاسمها شوارد وبعد الطبع بوارد ولتعلمن نبأه بعد حين (الابيات)

يا أبا الفضل قد تأخر بطى * فلماذا وفيم هذا التبطى
هات زطى وخذه قطى وان لم * تأت بى واثقا فدونك خطى

(آخر)

فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

ومثله قوله

دع عنك لومى فان اللوم اغراء * وداونى بالتى كانت هى الداء
صفراء لاتنزل الاحزان ساحتها * لومسها حجر مسته سراء
من كف ذات حر فى زى ذى ذكر * لها محبان لوطى وزناء *
قامت بابريقها والليل معتكر * فلاح من وجهها فى البيت لألاء
وارسلت من فم الابريق صافية * كانما أخذها للعقل اغفاء
رقت عن الماء حتى ما يلائمها * لطافة وخفى عن شكلها الماء

ومن الانسجام المطرب قول محمد بن صالح العلوى

وبدا له من بعد ما اندمل الهوى * برق تألق موهنا لمعانه
يبدو كحاشية الرداء ودونه * صعب الذرا متمنع أركانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه

وعدوا من الانسجام المطرب قول عبد الرحمن العطوى فى رثاء احمد بن ابى دؤاد

وليس صرير النعش ما تسمعونه * ولكنه أصلاب قوم تقصف
وليس فتيق المسك ما تجدونه * ولكنه ذاك الثناء المخلف

وعدوا من الانسجام المرقص قول العكوك فى ابى دلف

انما الدنيا ابو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

ومن الانسجام المرقص قول بكر بن النطاح

من كان مرعى عزمه وهمومه * روض الأمانى لم يزل مهزولا

ومن الانسجام المطرب قول ابى تمام

ولو لم يكن فى كفه غير نفسه * لجاد بها فليتق الله سائله

ومثله قوله

ظبى تقنصته لما نصبت له * فى آخر الليل أشراكا من الحلم

ومن الانسجام المرقص قول ديك الجن

بها غير معذول فداو خمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
موردة من كف ظبى كانما * تناولها من خده فأدارها

ومن الانسجام المطرب قول دعبل

ان الكرام اذا ما أيسروا ذكروا * من كان يألفهم فى الموطن الخشن

ومن الانسجام المرقص قول أبى على البصير

لعمر أبيك ما نسب المعلى * الى كرم وفى الدنيا كريم

وعدوا من الانسجام المطرب قول يزيد بن خالد المهلبى

ومن ذا الذى ترضى سجاياه كلها * كفى المرء نبلا أن تعد معايبه

يا ابا الفضل ما وفيت بشرطى
لا ولا قمت فى الاخاء بضبطى
كنت اهديت لى بزعمك بطا
فلماذا حبست عنى بطى
واراك احتقرت ذاك فهلا
انما ينقض الوضوء بضرط

(آخر)

ابا الفضل لا تشدد يديك على بطى
ولا تك من لفظى وخطى فى خبط
ولا تستزدنى ان اتتك ملامتى
تميتك عن ظما وانت على الشط

(وله الى ابى الحسن الجبرى)

ليس لك ان تغضب على ولى نعمتك وهو الاستاذ فان نشط حضرك وان اراد هجرك ورأيه فى الامر أفضل ثم لا يسئل عما يفعل وأيضا فانه يدعوك فتقول كنت وكان وهذه السمة قبيحة فاحضر الآن

ومن الانسجام المرقص قول البحترى

تخفى الزجاجة لونها فكانها * فى الكف قائمة بغير اناء

ومثله قوله

متعتب فى غير ما متعتب * ان لم يجد جرما على تجرما
ألف الصدود فلو يمر خياله * بالصب فى سنة الكرى ما سلما

ومن الانسجام المرقص قول ابن الرومى

فالموت ان نظرت وان هى أعرضت * وقع السهام ونزعهن أليم

ومثله قوله يخاطب بنى طاهر

علوتم علينا علو النجوم * فجودوا علينا بانوائها

وعدوا من المطرب قول ابى العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومثله فى المطرب قول سلم الخاسر

لا تسأل المرء عن خلائقه * فى وجهه شاهد من الخبر

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن المعتز

اهلا بفطر قد أنار هلاله * فالآن فاغد الى المدام وبكر
فانظر اليه كزورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

وعدوا من مرقصات المتنبى قوله

واصبح شعرى منهما فى مكانه * وفى عنق الحسناء يستحسن العقد

ومثله قوله

والهجر أقتل لى مما اراقبه * انا الغريق فما خوفى من البلل

ومثله قوله

فان تفق الانام وأنت منهم * فان المسك بعض دم الغزال

ومن الانسجام المرقص قول أبى نصر بن نباتة

لم يبق جودك لى شيأ أؤمله * تركتنى أصحب الدنيا بلا أمل

ومن الانسجام قول الواوا الدمشقى

وأمطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

ومثله قوله

متى أرعى رياض الحسن منه * وعينى قد تضمنها غدير

ومن الانسجام المرقص قول أبى العباس الضبى

زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

ومن الانسجام المرقص قول أبى الحسين الحمام

ياسائلى عن خالد عهدى به * رطب العجان وكفه كالجلمد

(وله اليه يعزيه بغلام)

بكتابى وانى اذا سألت الخاطر تأملا أو امرت القلم تجرى لتيم العهد والاصل فقد عزمت ان اقطعها من حيث زكت والحمد لله على ما ساء وسر والصلاة على محمد وآله فلما اغوص الموت على حبات القلوب واعرفه بمودعات الصدور واخلصه الى مكامن الروح والقطه لا ناسى الدون فانا لله وانا اليه راجعون انا لا اسأل مولاى كيف حاله بعده فانى اعرف بها منه على ان الرشد ان ينساه حتى لا يذكره ويسلاه كى لا يكدره وكفاه تسلية عله ان الدهر لا يقصد الا الكريم بمبراته وهذا على فورة الجوع وقطرات الدموع يصنع بالكاغد ما يصنع وسارا جع نفسى من بعد فاكتب بما يجب والسلام

كالاقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندى

وعدوا من الانسجام المطرب قول أبى نصر العتبى

أقاديه لم أنى لست ذا بخل * ولست ملتمسا فى البخل لى عللا

لكن طاقة مثلى غير خافية * والذر يعذر فى القدر الذى حملا

وعدوا من الانسجام المرقص المطرب قول أبى الفرج بن هند

عابوه لما التحى فقلنا * عبتم وغبتم عن الجمال

هذا غزال ولا عجيب * تولد المسك فى الغزال

ومثله قول الامير شمس المعالى قابوس

وفى السماء نجوم ما لها عدد * وليس يكسف الا الشمس والقمر

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الحجاج

كأن أيرى شمع فى رخاوته * فكلما مسته راحتى لانا

ومثله قوله

فاصبح الدهر به هيضة * فنحن غرقى فى خرا الدهر

وعدوا من المرقص قول ابى العلاء المعرى

والخل كالماء يبدى لى ضمائره * مع الصفاء ويخفيها مع الكدر

وعدوا من الانسجام المرقص قول المنازى الذى لا يوجد فى معناه مثله

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم

نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم

وارشفنا على ظمأ زلالا * ألذ من المدامة للنديم

يصد الشمس أنى واجهتنا * فيحجبها ويأذن للنسيم

تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الشهناء العسقلانى

ومهفهف علق السقام بطرفه * وسرى نحيم فى معاقد خصره

مزقت أثواب الظلام بثغره * ثم انثنيت أحوكها من شعره

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الخياط الدمشقى وهو من شعراء المائة السادسة

ومحجب بين الاسنة معرض * وفى القلب من اعراضه مثل حجبه

أغار اذا آنست فى الحى أنة * حذارا وخوفا ان تكون لحبه

وهذا الانسجام غرامى وعدوا من الانسجام المرقص قول القاضى الارجانى

وما ينزل الغيث الا لان * يقبل بين يديك الثرى

ومثله قول ابن الهبارية

ولولا نداه خفت نار ذكائه * عليه ولكن الندى مانع الوقد

وعدوا من المرقص قول أبى عبد الله النقاش البغدادى

(وله اليه جوابا عن كتاب بعتاب)

عرض على من كتابه فصل يقول الدراذا لم هلم والسمر اذا صح تنح يتبعه وعيد تخلج الآرام منه * وتكر منية الغنم الذئاب * وقات وسواس المرض المصيبة وازدياد من الغيبة زيادة فى الغيبة وذكر شوقه الى خطى واستراحته الى لفظى ولو صدق ولم يسخ بذلك الملق اترك النمل جميعا أولا ب سريعا ولو علم ما فى الصدر فى هذه الايام من حر الكلام ونفذ فى هذه البقاع من طرف الرقاع ثم ملكته هزة الفضل لطوى السير عاجلا والارض راجلا ولا والله لا اسقيه أو يرجع ولا يسمع من ذلك النمط الا شفاها واما الملجى وقصيدته فاهلا به وبها على

اذا وجد الشيخ من نفسه * نشاطا فذلك موت خفي
ألست ترى أن ضوء السراج * له لهب عند ما ينطفي

ومن الانسجام المرقص قول ابن المفضل البغدادي

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

ومثله قول سبط التعاويذي

بين السيوف وعينيه مشاركة * من أجلها قيل للاغماد أجفان

ومن الانسجام المرقص قول القاضي الفاضل في وكيله الشريف الكحال

رجل تو كل لي وكحلني * فاصبت في عيني وفي عيني

ومثله قوله فيه

عادى بني العباس حتى انه * خلع السواد من العيون بكحله

ومثله قول ابن الساعاتي

والطير يقرأ والغدير صحيفة * والريح تكتب والغمام ينقط

ومثله قوله في النهر

صدأ الظلام يزيد رونق حسنه * ارأيت سيفا قط يصقل بالصدا

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الملك بن مازة البخاري وقد دخل عليه مملوك وفي يده قوس

نهاني لما بدا عقرب * على خده أن أروم السفر
فقلت وفي يده قوسه * أسير في القوس حل القمر

ومثله قول ابن اردخل التكريتي

ألف القوام عن أمالو * ه فقلبي مكسور تلك الامالة

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن عنين

دمشق بي شوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

ومن الانسجام المرقص قول الحاجري

اني لاعذر في الاراك حمامه الشادي كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجري بأسرها * فغدت وفي أعناقها الاطواق

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب بهاء الدين زهير

فيا ظبي هلا كان منك التفاتة * ويا غصن هلا كان منك تعطف
ويا حرم الحسن الذي هو آمن * وألبابنا من حوله تتخطف
عسى عطفة بالوصل يا واو صدغه * على فاني اعرف الواو تعطف

وعدوا من المرقص قول محيي الدين بن زبلاق

ما ضمنت من سم وملح واودعت من جبر وخلع فان كانت برة لم يعدم مهرها وهو رضاه وان كانت ضرة لم يعدم من ضرب جثته من قعره فيقسم بشعرة ثم شعره والسلام

(ولابيه اليه)

الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل ولو علمت ان مناظرة الوالد باطلة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم تلقني بابر من القبول واحسن من ترك الفضول

(وله أيضا)

ذلك عادة فضل في كل فصل ولنا ايضا سنة مقت في كل وقت ولعمري ان ذا الحاجة مقت الطلعة ثقيل الوطأة ولكن ليسوا سواء أولو حاجة يحتاج اليهم المال واولو حاجة تحوجهم الآمال والامير

ومن عجبي أن يحرسوك بخادم * وخدام هذا الحسن من ذاك اكثر
عذارك ريحان وثغرك جوهر * وخدك كافور وخالك عنبر

ومثله قول ابن عربي الموصلي في المرقص

اناصب وماء عيني صب * واسيرمن الضنى في قيود
وشهودي على الهوى ادمع العيـ * ـن ولكنني قذفت شهودي

ومثله قول ابن الحلاوي الموصلي

كتبت فلولا أن هذا محلل * وذا حرام قست لفظك بالسحر
فوالله ماأدري أزهر خميلة * بطرسك أم در يلوح على نحر
فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

ومثله قول ابن ظهير الاربلي

طرفي وقلبي ذا يسيل دما وذا * دون الورى أنت العليم بقرحه
وهما بحبك شاهدان وانما * تعديل كل منهما في جرحه
والقلب منزلك القديم فان تجد * فيه سواك من الانام فنحه

انظر هذه القافية ما أحلاها وأمكنها ومثله قوله

غارت مناطقه وأنجد ردفه * يا بعد شقة غوره من نجده

ومن الانسجام المرقص قول تاج الدين بن الحواري

فوالله ما أخرت عنك مدائحي * لامر سوى اني عجزت عن الشكر
وقد رضت فكري مرة بعد مرة * فما ساغ ان أهدي الى مثلكم شعري
فان لم يكن درا فتلك نقيصة * وان كان درا كيف يهدى الى البحر

ويعجبني من الانسجام المرقص قول النجم القمراوي

وحاكت النسيم على مرور * بعطفيه فمال مع النسيم

ومثله قول عبد الكردي

اذا ما اشتقت يوما ان اراكم * وحال البعد بينكم وبيني
بعثت لكم سوادا في بياض * لابصركم بشيء مثل عيني

وعدوا من الانسجام المطرب قول المهذب بن الخيمي الحلي وقد كتب الى والده

جننت فعوذني بكتبك انني * شياطين شوق لا يفارقن مضجعي
اذا استرقت اسرار وجدي تمردا * بعثت اليها الد جاشهب أدمعي

ومن الانسجام المرقص قول ابن عبد ربه

يا ذا الذي خط العذار بخده * خطين هاجا لوعة وبلابلا
ما كنت أقطع أن لحظك صارم * حتى رأيت من العذار حمائلا

ومن أغرب ما رأيت من الانسجام المرقص قول جعفر بن عثمان المصحفي

خفيت على شرابها فكأنما * يجدون ريا في اناء فارغ

أبو تمام عبد السلام بن جعفر المطيع لله امير المؤمنين ان أحوجه الزمان فطالما اخدمه وان ابتلاه الله فكثيرا ما اكرمه ونعمه وقديما اقله السرير وعرفه النور وتق والسدير وان نقصه المال فالعرض وافر وان جفاه الملك فالقضاء ظاهر وان ابتلاه الله فليبتليكم به فينظر كيف تعملون وانت تقابل مورده عليك من الاعظام بما يستحق ولا تحكم فيه عينيك فانها لا ترى من الناس غير الراس وابدان لا تخطر الا بارد ان واني قاسمت هذا العم نعم مولانا على الا نعمة لا تحتمل قسمة وصلة لا تحتمل تنصلة من فرس لا يمكن قطعه نصفين وعبد لا يجوز توزيعه بين اثنين ولعل هذا العم تقم على هذا الجرم وان كان نسبق الى محظور

ومن الانسجام المرقص قول ادريس بن اليمان

ثقلت زجاجات أتتنا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت أن تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

ومثله قول المعتمد بن عباد

سميدع يهب الآلاف مبتدئا * و بعد ذلك يلفى وهو معتذر
له يد كل جبار يقبلها * لولا نداها لقلنا انها الحجر

و يعجبني قول الفضل بن شرف في المرقص

لم يبق للجور في أيامكم أثر * الا الذي في عيون الغيد من حور

ومثله قوله

تقلدتني الليالي وهي مدبرة * كأنني صارم في كف منهزم

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن رشيق صاحب العمدة في المعز بن باديس سلطان افريقية وقد غاب يوم العيد وكان يوما ماطرا

تجهم العيد وانهلت بوادره * وكان يعهد منك البشر والضحكا
كأنه جاء يطوي الارض من بعد * شوقا اليك فلما لم يجدك بكى

وعدوا من الانسجام المرقص قول عبد الله بن محمد العطار

وكأس ترينا آية الصبح والدجا * فأولها شمس وآخرها بدر
مقطبة ما لم يزرها مزاجها * فان زارها جاء التبسم والبشر
فوا عجبا للدهر لم يخل مهجة * من العشق حتى الماء يعشقه الخمر

ومثله قول القاضي الجليس بن الحباب المصري

ومن عجب أن الصوارم في الوغى * تحيض بأيدي القوم وهي ذكور
واعجب من ذا أنها في أكفهم * تأجج نارا والاكف بحور

وظريف من الانسجام المرقص قول ابن مكنسة

والسكر في وجنته وطرفه * يفتح وردا ويغض نرجسا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ظافر الحداد

ونفر صبح الشيب ليل شبيبتي * كذا عادتي في الصبح مع من أحبه

ومثله قول أبي اسحق بن خفاجة

وغت باسرار الرياض خميلة * بها الزهر ثغر والنسيم لسان

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن اللبانة

بروحي وأهلي جيرة ما استعنتهم * على الدهر الا وانثنيت معانا
أراشوا جناحي ثم بلوه بالندى * فلم استطع من ارضهم طيرانا

وعدوا أيضا من الانسجام المرقص قول ابن الزقاق

وأغيد طاف بالكؤس ضحى * وحثها والصباح قد وضحا
والروض أهدى لنا شقائقه * وآسه العنبري قد نفحا

وكتبه من مسكر شربته او منكر قربته او قمار لعبته أو عود ضربته او نرد نصبته او بيت نقبته أو وشي سلبته فقد صبر على هذه الهنات عشر سنين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق أيد الله الامير من انقلاب الزمان الا طلوع الشمس من مغربها والله المستعان وللخادم بهذه الحضرة رتبة يحسدها القاصر عنها ويضادها القارع لها ويزاحمه النازل بها ويمقته الطامع فيها فهو من جهاتها مقصود ومن أطرافها محسود والمرء لا يخلو من ذنب صغير فيورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير يوصل به ذنب صغير فيصير عظيما وربما شيع الى باب جهنم من لا يدخلها واني لا ظهر في جميع النفاق الا في النفاق فان لم اخف

قلنا وأين الاقاح قال لنا * آودعته ثغر من سقى القدحا
فظل ساقى المدام يجحدها * قال فلما تبسم افتضحا

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن سنا الملك

لا تخش منى فانى كالنسيم ضنى * وما النسيم بخشى على الغصن

وعدوا من الانسجام المرقص قول ابن الدباغ وقد تقدم

يارب ان قدرته لمقبل * غيرى فللمسواك أو للاكؤس
ولئن قضيت لنا بصحبة ثالث * يارب فلتك شمعة فى المجلس
واذا قضيت لنا بعين مراقب * يارب فلتك من عيون النرجس

ومثله قوله

واشكو الى ليل الغدائر غدرها * وأملى عليه وهو فى الارض يكتب

هذه الابيات تقدمت فى باب الانسجام الغرامى ولكن لم يظهر من مكررها غير الحلاوة وعدوا من الانسجام المرقص قول كمال الدين بن النبيه

وكوكب الصبح نجاب على يده * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وعدوا من الانسجام المرقص قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

اذا ما اشتهى الخلخال أخبار قرطها * فياطيب ما تملى عليه الضفائر

وعدوا من الانسجام المرقص قول البرهان بن الفقيه نصر الله

أقطف السودا من لمى * أخذا مع البيضاء اذ تسرف
فتضلف البيضاء أمثالها * وتغضب السودا فما تخلف
حاقة السودان من ههنا * يعرفها من لم يكن يعرف

وعدوا من الانسجام المرقص قول أمين الدين التلمسانى

ساروا فيا وحشة الوادى لبعدهم * منهم ولا سيما الاغصان والكثب

ومن الانسجامات المرجزة التى لو أدركها الشريف تطفل على نسيم أبياتها * واعترف ان ما للصادح والباغم تغريد صادحاتها * أرجوزة الشيخ جمال الدين بن نباتة الموسومة بنظم السلوك فى مصايد الملوك التى امتدح بها الملك الافضل بن الملك المؤيد صاحب حماة وكان قد لقب قبل الافضل بالمنصور وهى

اثنى شذا الروض على فضل السحب * واشتملت بالوشى أرداف الكثب
ما بين نور مسفر اللثام * وزهر يضحك فى الاكمام
ان كانت الارض لها ذخائر * فهى لعمرى هذه الازاهر
قد بسطتها راحة الغمائم * بسط الدنانير على الدراهم
أحسن بوجه الزمن الوسيم * تعرف فيه نضرة النعيم
وحبذا وادى حماة الرحب * حيث زها العيش به والعشب
أرض الهناء والسناء والمرح * والامن واليمن ورايات الفرح
ذات النواعير سقات الترب * وأمهات عصفه والاب

الله الكبير لم أخف الاميز والسلام

(وله يعاتب بعض أصدقائه)

الوحشة أطال الله بقاء الشيخ تقتدح فى الصدر اقتداح النار فى الزند فان أطفئت بارت وتلاشت وان عاشت طارت وطاشت والقطر اذا تدارك على الاناء امتلأ وفاض والعتب اذا ترك فرخ وباض ونحن أولو هذه الصنعة لا يطردنا سوط كالجفا ولا يعقلنا شرك كالندا ثم على كل حال تتطر من عال على الكريم تطر ادلال وعلى اللئيم تطر اذلال نحن لقينا بأنف طويل لقيناه بخرطوم فيل ومن لحظنا بنظر شزر بعناه بثمن نزر وعندى ان الشيخ الرئيس لم يغرسنى ليقطعنى قناه ولا اشترانى ليبيعنى سواه وبعد سلمت عليه الغداة فرد جوابا بردمثله على الوكلاء بشطر الاعياء واقتصر من

تعلمت نوح الحمام الهتف * أيام كانت ذات فرع أهيف
فكلها من الحنين قلب * فكيف لا والما عليها صب
لله ذاك السفح والوادى الفرد * والماء معسول الرضاب مضطرد
يصبو بها الرائى فكيف السامع * ويحمد العاصى فكيف الطائع
اذا تطرت للربا والنهر * فاروعن الربيع اوعن جعفر
محاسنا تلهى العيون والفكر * ربيع روضات وشعر وصفر
أمام كل منزل بستان * وبين كل قرية ميدان
اما رأيت الورق فى الاوراق * جاذبة القلوب بالاطواق
فبادر اللذة يا فلان * واغنم متى أمكنك الزمان
ولا تقل مشتى ولا مصيف * فكل اوقات الهنا خريف
كل زمان يقضى بالجدل * زمان عيش كلما دار اعتدل
أحسن ما اذكر من أوقاته * وخير ما أنعت من لذاته
بروزنا للصيد فيه والقنص * وحوزنا من مره أحلى الفرص
واخذنا الوحش من المسارب * وفعلنا فى الطير فوق الواجب
لما دنا زمان رمى البندق * سرنا على وجه السرور المشرق
فى عصبة عادلة فى الحكم * وغلمة مثل بدور التم
من كل مبعوث الى الاطيار * تظله غمامة الغبار *
قد حمد القوم به عقبى السفر * عند اقتران القوس منه بالقمر
لولا حذار القوس من يديه * لغنت الورق على عطفيه
فى كفه محنية الاوصال * قاطعة الاعمار كالهلال
زهراء خضراء الاهاب معجبه * مأثوت بين الرياض المعشبه
فاغرة الافواه للاطيار * طالبة لهن بالاوتار *
كانها بين المياه نون * أو حاجب بمالتشا مقرون
لها بنات بالمنى معذوقه * من طينة واحدة مخلوقه
سامعة لما تشير الام * مع انها مثل الحجار صم
كأنها والطير منها هارب * خلف الشياطين شهاب ثاقب
واها لها شبه كرات تخطف * شاهدة بالعزم وهى تقذف
حتى نزلنا بمكان مونق * اخوان صدق احدقوا بالملق
فياله فى الحسن من محل * مراد جد ومراد هزل
للطير فى مياهه مواقع * كأنها من حولها فواقع
فلم نزل فى منزل كريم * نروى حديث الرمى عن قديم
حتى طوى الافق رداء الورس * والتهم المغرب قرص الشمس
وابتدر القوم الى المراصد * من ساهر ليل التمام ساهد

البشاشة على تحريك الشاشة ومن الاقبال على تعويج السبال وعهدى بذلك الرئيس يخرق الى بساطه عدوا وسماطه حبوا فهذا الفاضل أجل من والده الفقيه ايده الله يوصيه بحسن العشير فمعى من بعد فلتبه يوم وللجبروت قوم وما أريد بعد هذا الاعتاب اعتابا ولا عن هذه الرقعة جوابا فانى لا أمكنه بعدها من ان يستهين ولا أسلم عليه حتى يهين والحمد لله رب العالمين

(وله الى الامير أبى احمد خلف بن احمد)

كتابى أطال الله بقاءك وقد كنت نذرت ان لا اخاطب حضرته ثم روى لى القاضى حديثا طرق الى نقض ما نذرت طريقا وسمعت منشدا ينشد على الله صعلوكا مناه وهمه من العيش ان يلقى لبوسا ومطعما

كالليث يسطو كفه بأرقم * والبدر يرمى فى الدجا بأسهم
بينا الطيور فى صداها ساهره * اذا هم من عينه بالساهره
واقبلت مواكب الطيور * على طروس الجو كالسطور
فجبذا السطور فى المهارق * منظومة الاحرف بالبنادق
من كل تم حق أن نسمى * ضياء المشرق بدر التم
تخاله من تحت عنق قد سجا * طرة صبح تحت أذيال الدجا
وكل ذى حسن من الوسامه * تخاله فى أفقه غمامه
تتبعه أوزة دكناء * من دونها لقلقة غراء
تقدمها أنيسة ملونه * تابعة من كل وصف أحسنه
يجنى بها الآكل خير ما جنى * وأحسن المأكول ما تلونا
وربما مر لديها حبرج * كأنه على نضار يدرج
وانقض من بعض الجبال نسر * له بأبراج النجوم وكر
مغير الخلق شديد الايدى * يبنى على الكسر حروف الصيد
تحت مسراه عقاب كاسبه * خافضة لحظ الطيور ناصبه
اذا مضت جلتها المعترضه * تواصلت خيوطها المنقرضه
بكل كركى عجيب السير * كأنه طيف خيال الطير
بحث غرنوقا شهى المجتلى * مقدما على الغرانيق العلا
وأبيض كالغيم يسمى مرزما * كم بات مثل نورة مبتسما
بحثه سيطر قوى * معجزة فى الطير موسوى
كم حاش ثعبانا وكم حواه * كأنه فى يده عصاه *
هذا وكم ذى تطر ممتاز * ينعت فى الواجب بالعناز
اسود اللمعة فى الصدر * كأنها نور الهدى فى الكفر
فلم تزل قسينا الضوارى * تصيبها باعين الاوتار *
حتى غدت دامية النحور * ساقطة منها على الثبور
كأنها وهى لدينا وقع * لدى محاريب القسى ركع
وأصبحت أطيارنا قد حصلت * ولم تسل باى ذنب قتلت
مستتبعا وجه العشا وجه السحر * وكل وجه منهما وجه أغر
يالك من صيد مقر العين * مرضى الصحاب وهو ذو الوجهين
لم نرض ما وفى من الامانى * حتى شفعناه بصيد ثانى
صيد الملوك الصيد بالكواسر * والخيل فى وجه الصباح السافر
ذالك الذى تصبو له الجوارح * نهى الى طلابه طوامح
واثقة بالرزق حيث كانا * تغدو خماصا وتجى بطانا
سرنا على اسم الله والمناهج * نعوم فى الاقطار بالسوابح

فقلت انا معنى هذا البيت لانى قاعد فى البيت آكل طيب الطعام والبس لين الثياب ويفاض على نزل ولا يفوض الى شغل ويملأ لى وطب ولا يدفع بى خطب وهذا والله عيش العجائز والزمن العاجز وكنت أيام مقام الامير أرى المسافة بين الرتب قريبه واجدنى أولا كالثانى وثانيا كالاول وأرى الآن ترتيبا جديدا وتفاوتا بعيدا وكنت احسبنى متأخرا اذا شاء تقدم ومتواضعا لو أراد نعظم ومسودا لو زاحم من ساد الملك الوساد وأرانى الآن محوجا الى التأخر ملجأ الى التصغر ولعل بوما تصور أورأيا تغير او اعتقادا اخلف أو ظنا اختلف فان لم يكن شىء مما سردت واوردت فالغلط فى صدر القصة كان وفى عجزها بان وان كان

خيل تحاذى الصيد حيث مالا * كأنها أضحت له ظلالا
تسعى بها قوائم لاتتبع * وكيف لاوهى الرياح الأربع
تحفنا من فوقها غلمان * كانهم لنا وحنا أغصان
ترك تريك فى سماء الملبس * كوا كبا طالعة فى الاطلس
منظومة الاوساط بالسلاح * من كل سهم زجل الجناح
وكل عضب ذرب المقاطع * يعترف الهام عن المواضع
على يد السائر منهم زاده * من كل بازقرم فؤاده
قدكتبت فى صدره حروف * تقراها تقرى به الضيوف
وكل شاهين شهى المرتمى * كبارق طار وصوب قدهمى
بيناتراه ذاهبا لصيده * معتصما بأيده وكيده
حتى تراه عائدا من أنقه * ملتزما طائره فى عنقه
أفلح من كان على يسراه * حتى غدت حاسدة يمناه
تلك يد لاتعرف الاعسارا * لاجل هذا سميت يسارا
وكل صقر مسبل الجناح * مواصل الغدو والرواح
ذى مقلة لهاضرام واقد * يكاد يشوى مايصيد الصائد
كأنما المخلب منه منصل * لحصد أعمار الطيور مرسل
ياحبذا طيور جد ولعب * تهوى الى الارض وللافق تثب
من سنقر عالى المدى والشان * معظم الاخبار والعيان
يصعد خلف الرزق ليس يمهله * كأنه من السما يستعجله
ومن عقاب بأسها مروع * كأنها للطير جن يصرع
لم جلبت لطائر من وهن * وكم وكم قد أهلكت من قرن
وحبذا كواسر الكواهى * عديمة الانظار والاشباه
مخصوصة بالطرد القويم * حدباء ظهر الذنب الرقيم
ذالك لعمرى حدب الراقى * يعدل ملك القلعة الحدباء
هذا وقد تجهزت أعداد * يجمعها الكلاب والفهاد
من كل فهد عنترى الجلد * اذا رأى شخص مهاة عبده
مبارك الاقبال والاعراض * مستقبل الحال بناب ماضى
كانه من حدة اكتسابه * قد أحرق الانجم فى اهابه
له على مسايل الجفون * خط كخط الالفات الجون
ماأبصر المبصر خطا مثله * وكيف لا والخط لابن مقله
وكل منسوب الى سلوق * أهرت وثاب الخطا ممشوق
طاوى الفؤاد ناشر الاظافر * ياعجبا منه لطاو ناشر *
يعض بالبيض ويحظو بالقنا * ويسبق الوهم لادراك المنى

كذا فبالله ماأرضى ولو صارت السماء أرضا ولا أريد ولو انقطع الوريد وانى لاستحيى من الله ان ارى فى المثل الادنى وفى القوس منزع أنا وان لم أكن بالعراق أمير البصرة وبحماه زعيم الحضرة فما ازعجنى عن همذان فقر الى جوع وعرى ولا ساقنى الى سجستان طمع فى شبع ورى وانما الحوم حول المراد ولو ان ماأسعى لادنى معيشة * كفانى ولم أطلب قليل من المال
لايكثر الامير على من خلعه وصلاته فوالله لو علمت ان قصارى اهرى سجستان الى ضياعها اقتنيها وعلمانها اشتريها واموالها اتسع فيها ولا مطمع فى زيادة بعد لا أحرت الزهد على الطلب الرأس ابداه الله الامير كثير الخبوط والضيف كثير

كالقوس الانه كالسهم * والغيم يجلو عن شهاب الرجم
اذا تراءى بقر الوحش اندفع * كأنه المريخ فى الثور طلع
قاصرة عن يده عيناه * مشروطة برجله أذناه
يشفعه كل عزيز عارى * مغالب الصيد على الاوكار
واهالها من أكاب طوارد * معربة عن مضمر المصايد
قد بالغت من طمع فى كسبها * ففتشت عن أنفس لم تخبها
حتى اذا تمت بها الامور * حفت بنا اصيدها الطيور
ما بين روضات مددنا نحوها * وحول آفاق ملكنا جوها
واستقبلت أطيارها البزاة * معلمة كأنها الغزاة
فلم تزل تسطو سطا الحجاج * على الكراكى الى الدراج
حتى غدت تلك البزاة سرعى * مجموعة على التراب جمعا
على الربا من دمها خلوق * كان كل نبتها شقيق
ثم عطفنا للوحوش السانحه * واستبقت تلك الضوارى الطامحه
كلاب صيد بينها سناقر * تفعل فى الوحش بها الفواقر
تخشى بها العقر على نفوسها * فالطير لاشك على رؤسها
وللكلاب حولها مغار * يكاد أن تقدح منه النار
من غير لسانه يلوب * تقول هذا كوسج مخضوب
يعانق الظبى عناق الوامق * ما كان أغنى الظبى عن معانق
والفهد يشتد على الآجال * شد وصى السوء فى الاموال
لا يهمل القصد ولا يخون * كان كل جسمه عيون
وللزغاريات خلف الارنب * حقائق تبطل كيد الثعلب
كم برحت بالهارب المكدود * وطوحت بصاحب الاخدود
وربما مرت ظباء ومها * للنبل فى أكل حشاها مشتهى
قد نسجت ملاءة من عشير * تخاط من قرونها بالابر
فابتدرت اجنحة السهام * صائبة الاغراض والمرامى
تجرح كل سانح نفور * كأنه بعض شهود الزور
كان اقطار الفلاة مجزره * أو روضة من الدماء مزهره
كان صرعى وحشها كفار * الموت عقبى أمرها والنار
للمرء فيها منظر أحبه * يملأ من لحم وشحم قلبه
فهذا المنظر المهنا * أى معاد من ذراه عدنا
قد ملئت من ظفر ايدينا * وقد شكرنا فضل ما حبينا
نسير حول الملك المنصور * كالشهب حول القمر المنير
محمد ناصر دين أحمد * الملك ابن الملك المؤيد

الخليط وصب هذا الماء خير من شربه وبعد هذا الضيف أولى من قربه وكانى بالامير يقول اذا قرئت هذه الفصول الهمذانى رأى بهذه الحضرة من الانعام مالم يره فى المنام فكيف من الانام ولعله انشأ هذا الكتاب سكران فعدل به عادل السكر عن طريق الشكر وكانه نسى مورده الذى أشبه مولده وانما رفع بطنه حين أشبع بطنه واللئيم اذا جاع ابتغى واذا شبع طغى والهمذانى لو ترك جلدته يرقص تحت رعدته ماتربع فى قعدته ولا تجشأ من معدته ولكنه حين لبس الحلة وركب البغلة وملك الخيل والخول تمنى الدول ورأس اللئيم يحتمل الوهن ولا يحتمل الدهن وظهر الشقى يحمل عدلين من الفحم ولا يحمل رطلين من الشحم ولولا الشعير

يا حبذا من والد ومن ولد * وحبذا من شبل ملك وأسد
فرع زها بأصله أيوب * فاثمرت بحبه القلوب
قال الانام حظه جلى * قلت نعم وجده على
ذاك الذى سام العلا صبيا * وجاءها من مهده مهديا
محكم السطوة مصاح الديم * يأخذ بالسيف ويعطى بالقلم
لولمس الصخر لفاض نهرا * أو صحب النجم لعاد بدرا
لاظلم يلفى فى حماه العالى * الا على العداة والاموال
اماترى الدينار منه خائفا * أصفر من كف الهبات ناشفا
كالبدر فى سناته وتمه * والطود فى وقاره وحلمه
مرأى يشف عن نجار أصل * ونهضة قد قوبلت بالاصل
ماضر من خيم فى جنابه * ان لاتكون الشهب من أطنابه
جناب عز جاره لا ينكب * وباب نجح للغنى مجرب
غنيت فى ظلاله عن الورى * غنى نزيل المدن عن قصد القرى
ورحت من نعماه بالتواتر * أروى أحاديث عطاء عن جابر
يزداد لفظى بهجة ورونقا * كأنه الجسر اذا تعتقا
ان لم أرم ذا الحمى العالى فمن * ينصرنى على تصاريف الزمن
يا ناصر الدين دعاء مادح * مابين روضات السطور صادح
حسبك مثلى فى الانام شاعرا * وحسب شعرى قوة وناصرا

ومن الاراجيز المرتجلة التى سارت الركبان ببلاغة ارتجالها ولطف انسجامها أرجوزة الشيخ زين الدين عمر بن المظفر الوردى سقى الله ثراه التى ارتجلها بدمشق المحروسة عند الامتحان المفحم ذكر الشيخ الامام العلامة امام المحدثين أبو الفداء اسمعيل بن كثير أن الشيخ زين الدين المشار اليه قدم دمشق المحروسة فى أيام القاضى نجم الدين بن صصرى تغمده الله برحمته ورضوانه فأجلسه فى الصفة المعروفة بالشباك فى جملة الشهود وكان يومئذ زرى الحال فاستخف به الشهود وحضر يوما كتابة مشترى ملك فقال بعضهم أعطوا المعرى يكتبه على سبيل الاستهزاء فقال الشيخ أرسموا الى أكتبه نظما أونثرا فزاد استهزاؤهم به فقالوا بل نظما فأخذ الطرس وكتب ارتجالا ماصورته

باسم اله الخلق هذا ما اشترى * محمد بن يونس بن سنقرا
من مالك بن أحمد بن الازرق * كلاهما قد عرفا من جلق
فباعه قطعة أرض واقعه * بكورة الغوطة وهى جامعه
لشجر مختلف الاجناس * والارض فى البيع مع الغراس
وذرع هذى الارض بالذراع * عشرون فى الطول بلا نزاع
وذرعها فى العرض أيضا عشره * وهو ذراع باليد المعتبره
وحدها من قبلة ملك التقى * وحائز الرومى حد المشرق

فانمحقت الحيد ولولم يتسع ماله لم يتسع مجاله وكذا الكلب يزمن حين يسمن ولا يتبع حين يشبع وعند الجوع يهم بالرجوع وهذا المقترح من دعاه ولولم يكن عقباما تدحرج ذكرت هذه الكلمات ليعلم الامير انى لم انسها ومع تصوره هذه الجملة اغار على الفاظه وأواخذ الامير بحركاته وسكناته وارى انه سعد منى بأكثر مما سعدت منه وانف ان يقال سما الهمذانى حيث ساسواه ويقاس على هذا ماعداه اللهم الا انا كون ضيفا كالاضياف يقيم اليوم ويرحل غدا فلا أنافس احدا والامير ايده الله ياخذ هذا المعنى فيكسوه لفظا لين المأخذ سهل المقطع ويرقيه الى سمعه ويجيب عبده فى الحال بما عنده والسلام

ومن شمال ملك أولاد علي * والغرب ملك عامر بن جهبل
وهذه تعرف من قديم * بأنها قطعة بنت الروي
يعاصيها لازما شرعيا * ثم شراء قاطعا مرعيا *
بثمن مبلغه من فضه * وازنة جيدة مبيضه *
جارية للناس في المعامله * ألفان منها النصف ألف كامله
قبضها البائع منه وافيه * فعادت الذمة منها خاليه
وسلم الارض الى من اشترى * فقبض القطعة منه وجرى
بينهما بالبدن التفرق * طوعا فلا لاحد تعلق *
ثم ضمان الدرك المشهور * فيه على بائعه المذكور
واشهدا عليهما بذا في * رابع عشر رمضان الاشرف
من عام سبعمائة وعشره * من بعد خمسة تليها الهجره
والحمد لله وصلى ربي * على النبي وآله والصحب
يشهد بالمضمون من هذا عمر * ابن المظفر المعري اذ حضر

فلما فرغ الشيخ من نظمه وتأمل الجماعة ارتجاله وسرعة بديهته اتفق انه لم يكن فيهم من يحسن النظم فقالوا وقد اعترفوا بفضل الشيخ وعجزوا عن رسم الشهادة لعل الشيخ يسد عن احد منا برسم شهادته فكتب عن شخص منهم الى جانبه يدعى ابن رسول

قد حضر العقد الصحيح أحمد * ابن رسول وبذلك يشهد

ومما استعذب من انسجامات الشيخ برهان الدين القيراطي قوله من قصيدة تائية

اخذت بابل عنه * بعض تلك النفثات
فهو غصن في انعطاف * وغزال في التفات
حسنات الخدمنه * قد أطالت حسراتي
كلما ساء فعالا * قلت ان الحسنات
ولسوء اللحظ صارت * حسناتي سيآتي
اعشق الشامات منه * وهي أسباب مماتي

ويعجبني قوله منها

* بابي لحظ غزال * قاتل في الخلوات
ان للموت باقداح جفوني سكرات
قلت قدمت غراما * قال لي مت بحياتي

ومنها

قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنغمات
انت مفتاح سروري * يا سعيد الحركات

ومن انسجاماتي الغرامية المرتجزة التي تقدمني فيها الشيخ جمال الدين بن نباتة والشيخ زين الدين بن الوردي قصيدتي الدالية التي كتبت بها قديما من حماة المحروسة الى القاضي فخر الدين

(وله الى الشيخ الوزير أبي العباس الاسفرايني جواب كتابه)
كتابي أطال الله بقاء الشيخ السيد من هراة غرة شهر ربيع الاول عن سلامة والشيخ الجليل يسحب اذيالها ويلبس ظلالها والحمد لله رب العالمين وصلى الله على نبيه محمد وآله أجمعين نهت الحكماء أيد الله الشيخ السيد عن صحبة الملوك وقالوا ان الملوك ان خدمتهم ملوك وان لم تخدمهم اذلوك فانهم يستعظمون في الثواب رد الجواب ويستقلون في العقاب ضرب الرقاب وانهم ليعثرون على العثرة اليسيرة من خدمهم فيبنون لها منارا ثم يوقدون لها نارا ويعتقدونها آثارا وانهم ليراوحون بجهد الخدمة ويغادون بلطيف الحشمة ولا يقيمون لهم وزنا وقالوا كن مع الملوك

ابن مكانس وولده القاضي مجد الدين تغمدهما الله برحمته وهي

مالمعت بارقة من نجد * الاوهزتني رعود وجدي
ولاسرت سحابة مغدقة * الاوكان مثلها في خدي
فيا رعى الله زمانا بالحمى * فان لي فيه بقايا عهد
ويا ربى مصر من اضحى الحيا * برضعك الغيث بذاك المهد
كم ليلة قضيتها والنجم الشجوزاء فوق صدرها كالعقد
والارض قدحاكت برودوشيها * يحار في صفاتها ابن برد
وكوثر النيل يروق منظرا * حتى كاني في جنان الخلد
وهند ماتخطر في برودها * الا أمالت عذبات الرند
مصرية لكن يمانى لحظها * منتسب في فتكه للهند
آها له من سيف لحظ باتر * زاد على عشاقه في الحد
عبد مناف جدها وانما * قلبي لها قد صار عبد ود
يا للامير النحل قرص وجهها * يشهد أن ريقها من شهد
* وثغرها يقول في نظامه * يا ليت أبكار اللآلى بعدى
وشعرها الطائل قد قلنا له * أنت لنا نابغة يا جعدى
* وريقها قال النباتي أنا * وخدها قال انا ابن الوردى
والغصن حاكى قدها قالت له * ما أنت يا غصن الرياض قدى
يا قدها وردفها لولا كما * ما اشتقت بانات الكثيب الفرد
سألتها لم صرفت عن ناظرى * وكلفت قلبي بطول النقد
قالت تركت الفخر من بين الورى * وقد قعدت عن طلاب المجد

لعمرى ان الشرح قد طال في نوع الانسجام ولكن ما استطردت بخيوله الاالى كل مهيع بديع وغريب فبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على نوع الانسجام يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فذكره قد أتى في هل أتى وسبا * وفضله ظاهر في نون والقلم

انسجام الشيخ صفي الدين في بيته ظاهر والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

بان انسجام كلام منزل عجب * يهدى ويخبرنا عن سالف الامم

بيت الشيخ عز الدين لم يكن له تعلق بما قبله من المديح النبوى والذى يظهر لى منه أنه أشار به الى القرآن بانه كلام منزل وانسجامه عجب يهدى ويخبرنا عن سالف الامم وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

له انسجام دموعى في مدائحه * بالله شنف بها ياطيب الكلم

ولقد عجبت من الشيخ عز الدين كيف عقد بيت انسجامه مع سهولة هذا النوع وقرب مأخذه ولطف تسميته وقبولها للاشتراك انتهى

مكانك من الشمس انها لتؤذيك والسماء لها مدار والارض لها دار فكيف لو أسفت قليلا ودنت يسيرا وان العاقل ليطلب منها مزيد بعد فيتخذ سربا والواذا منها وهربا ويبتغى نفقا فرارا منها وفرقا وكما ضربوا الشمس للملوك مثلا كذلك جعلوا البحر عنهم بدلا فقالوا جاور ملكا أو بحرا وأجرر اكب البحر ان لا يسلم ولم يرض الشيخ السيد أن يكون ملك الانام حتى يكون ملك الكلام فالرأى أن نريم والصواب أن لا نقيم وود له أيد الله عز كتاب بضرط الاتن ويعرق الآباط كالقنفذ من أى النواحى أتيته وكالحسك على أى جنب طرحته فرحم الله أبا النصر قلت له وما الذى انك لسى الرغبة سريع الملالة فقال عافاك الله هذه غيبة وهى فى الوجه غريبة وانما يغتاب المرء

(ذكر

(ذكر التفصيل)

(وان ذكرت زمانا ضاع من عمري * في غير تفصيل مدح صحت يا ندمي)

التفصيل بصاد مهملة نوع رخيص بالنسبة الى فن البديع والمغالاة في نظمه وقد نبهت قبله على عدة انواع سافلة ولكن المعارضة اوجبت الشروع في نظمه كالتصدير وعتاب المرء نفسه وتشابه الاطراف وما أشبه ذلك والتفصيل هو أن يأتي الشاعر بشطر بيت له متقدم صدرا كان او عجزا ليفصل به كلامه بعد حسن التصريف في التوطئة الملائمة والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وغالب علماء البديع لم تذكره في مصنفاتهم غير أن الشيخ صفي الدين الحلي اورده في بديعيته فدعت المعارضة الى نظمه وبيته في بديعيته

صلى عليه اله العرش ما طلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الظلم

فصدر هذا البيت ذكر أنه تقدم له في قصيدة قافية امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم مطلعها

فيروزج الصبح أم ياقوتة الشفق * بدت فهيجت الورقاء في الورق

والبيت الذي أتى بصدره منها واثبته في بديعيته على حاله لاجل نوع التفصيل

صلى عليه اله العرش ما طلعت * شمس النهار ولاحت أنجم الغسق

وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

تفصيل مدحك تجميل لذي أدب * اوصاله كفت البلوى من الرقم

فصدر بيت الشيخ عز الدين كان عجزا في قصيدة تقدمت له بائية مطلعها

لوان وجه رضائي غير منتقب * ما سرّ قلبي بلوغي غاية الارب

الذي جعل صدره عجزا وابقاه على حاله في بديعيته لاجل نوع التفصيل

كسوتي حلل بين الانام بها * تفصيل مدحك تجميل لذي أدب

هذا البيت كان تفصيل حلاه كاملا في موضعه ولما نقل الشيخ عز الدين عجزه وجعله صدرا في بديعيته ظهر في تفصيله نقص بقوله مع العقادة في العجز كفت البلوى من الرقم فان الرقم بفتح الراء وكسر القاف الداهية قلت والداهية اذا دخلت بيتا تركته خرابا وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

وان ذكرت زمانا ضاع من عمري * في غير تفصيل مدح صحت يا ندمي

فصدر هذا البيت تقدم لي في قصيدة قافية مطلعها

قد مال غصن النقا عن صب مهيفا * يا ليته بنسيم العتب لو عطفا

والبيت الذي نقلت صدره منها واثبته في بديعيتي وأبقيته على حاله لاجل نوع التفصيل

وان ذكرت زمانا ضاع من عمري * ولم أهاجر اليه صحت يا أسفا

وهذه القصيدة من غرر قصائدي بل من غرر القصائد منها

مزاج خمرة فيه جاء معتدلا * فراح منه مزاج الراح منحرفا

ومذ غدا جسمه ماء برقته * علمت والله ان القلب منه صفا

منه الغزالة غارت عينها حسدا * والبدر قد لازم التسهيد والكلفا

والظبي قال انا احكي لواحظه * فصح عندي أن الظبي قد خرفا

من وراء ظهره لاقى سوء وجهه وكان اللئيم لا يعرى من خلة خير كذلك الكريم لا يخلو من فعلة سوء فما هذه الشناعة ولا الناقة عقرت ولا بالله كفرت وما به أيده الله كتبي ان ترد ورسلي ان تصل ولكنه أراد امتحان طبعه في الكتابة واختبار تصرفه في البلاغة وانما يتعلم الحلق على رؤس المماليك ويجرب السيف على الكلاب لا على الالقاب وقد لعمري طبق العظام وهتك الحجاب ولم يكن سيف أبي زغوان ولم ينب بيدي ورقاء والجميل أجمل وأنا الى الجميل أحوج وهو أيده الله بالجميل أخلق والجميل به أليق أما الكتاب فلفظه فسيح ومعناه فسيح وأوله بآخره رهين وآخره لأوله قرين وبينهما ماء معين وحور عين وما شاء الله وعين

ومنها

مذ صار لي قبلة محراب حاجبه * صيرت عابد طرفي فيه معتكفا
ولام فيه عذول قلت من كلفي * قلبي رأى منه قدا في الهوى ألفا
ما ضره لو عفا عني وأظهر لي * عطفا وعاين ربع الصبر كيف عفا
اراد مني وكف الدمع قلت له * حسبك الله يا بدر الدجى وكفى

ثم استطرد الى ذكر هذه الابيات هنا الا لان نوع التفصيل لم يحتمل اطلاق عنان القلم في الكلام عليه الى أكثر من ذلك

(ذكر النوادر)

(نوادر المدح في أوصافه انشقت * منها الصبا فأتتنا وهي في شمم)

هذا النوع أعني النوادر سماه قوم الاغراب والطرفة وهو ان يأتي الشاعر بمعنى يستغرب لقلة استعماله لا لانه لم يسمع بمثله وهذا انما اختاره قدامة دون غيره ولكن غالب علماء البديع اختاروا غير رأي قدامة في هذا النوع فانهم قالوا لا يكون المعنى غريبا الا اذا لم يسمع بمثله وأورد زكي الدين بن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير لنوع النوادر حدا اقرب اليه من اختيار قدامة وأبلغ واوقع في النفوس وهو ان يعمد الشاعر الى معنى مشهور وليس بغريب في بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره ليصير بها ذلك المعنى المشهور غريبا وينفرد به دون كل من نطق به وبيان ذلك ان تشبيه الحسان بالشمس والبدر مبذول معروف قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله وكان سابق المتقدمين وقبلة المتأخرين القاضي الفاضل أنفت نفسه من المتابعة على هذا الابتذال وكثرة تشبيه الحسان بالبدور فقال

تراءى ومرآة السماء صقيلة * فأثر فيها وجهه صورة البدر

سبحان المانح حاصل كلامه تشبيه محبوبه بالبدر ولكن زيادة هذه النادرة اللطيفة لا تخفى الا على أكمه لا يعرف القمر وعلى هذا المنوال نسجت بيت بديعيتي ويعجبني في باب النوادر قول القائل

عرض المشيب بعارضيه فاعرضوا * وتقوضت خيم الشباب فقوضوا
ولقد سمعت وما سمعت بمثله * بين غراب البين فيه أبيض

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كأنما قلب معن ملء فيه فلم * يقل لسائله يوما سوى نعم

هذا البيت ذكر الشيخ صفي الدين في شرحه أن النادرة فيه قلب معن بنعم قلت قلب معن بنعم لم يعد من نوع النوادر بل من انواع الجناس المسمى بالقلب والعكس وجناس القلب وغيره من انواع الجناس ليس فيه غير خدمة الالفاظ فانه نوع لفظي والذي قرره قدامة وغيره في هذا النوع أن الغرابة تكون في المعنى بحيث يعد ذلك المعنى من النوادر والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

نوادر من جناني كالجنان زهت * أم هل بدت واضحات الحسن من ارم

قلت ان بيت الشيخ صفي الدين الحلي مع ما فيه من النقد والمؤاخذة معدود من النوادر بالنسبة الى هذا البيت وما أشبهه بالبيت الذي أخبر عنه الحريري في مقاماته وقال انه أخرج

السوء مصروفة وبيض ما يفرخن وفراخ ما ينهضن ونواهض ما يطرن وطير ما يبضن وقرت عين الوزارة وزهرت نار الدولة ورويت زناد الملة وانى على اهبابي بتلك الفصول وتهيبي منها الشديد الحنق عليها والقلق فيها وخلة أخرى وهي أني مفتون بكلامي معجب بعيوب أقلامي وذوب أفكاري فلا أزفه الا الى من يعتقد فيه اعتقادي ويميل اليه كفؤادي وينظر اليه بعين رأسي واذا بلغ الشيخ أيده الله من الفضل مبلغه فحرج على ان لا أصله به وأواصله والسلام

(وله الى وزير الري)

كتابي وأنا أدام الله عز الوزير المكين على بينة من أمري وبصيرة من ديني لا أقول بعلوم أصحاب النجوم فكما أعلم ان أكثرها زرق وريح أرى ان بعضها حق وصحيح وكان انا أنيس

من التابوت * واوهى من بيت العنكبوت * وماذاك الا انى كررت النظر فى اركان هذا البيت فلم أجد فيه مقرا لنادرة من النوادر التى تقدم تقريرها فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته قال ان جنانى ظهر منه محاسن مدهشة أم بدت محاسن ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد ويحكى أنها جنة بناها عاد قلت وما أحق اختراع الخراع بهذه العبارة وهى بشهادة الله عبارته بنصها والذى أعده من النوادر ابراز الشيخ عز الدين مثل هذا البيت فى بديعيته ورضاه به وتنزيل مثل هذه العبارة عليه انتهى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

نوادر المدح فى أوصافه نشقت * منها الصبا اذا أتتنا وهى فى شمم

النادرة فى معنى هذا البيت عرفها ضائع لمن شمه من أهل الادب وماذاك الا أن النسيم أكثر الشعراء من استعماله فى تحصيل الرسائل وغاية ما أغربوا فيه انه ينشق منه عرف الاحبة اذا هب من نحوهم والنادرة التى أغربت بها هذا المعنى ان نسيم الصبا لما نشقت عرف مديح النبى صلى الله عليه وسلم وتعرفت به تزايد شممها والشمم للنسيم نادرة بل نكتة لم أسبق اليها فان النسيم أحق باشتراك هذه التورية من غيره لان الشمم لائق به وهذا الذى أشار اليه ابن أبى الاصبع فى أن الشاعر يعمد الى معنى مبذول معروف ليس بغريب فى بابه فيغربه بزيادة لم تقع لغيره ويصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا ومثل ذلك حتى يزداد نوع النوادر ايضاحا قول أبى نواس

هبت لنا ريح شمالية * متت الى القلب باسباب
أدت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين أصحابى

قوله عرفتها من بين أصحابى نادرة لم تسبق اليها وقد جاراه مجير الدين الخياط فى بديع هذا النوع ونادرة هذا المعنى لولا الحياء لقلت انه أحرز قصبات السبق عليه بقوله

يا نسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله متى عهده باطلال نجد

بين ولقد رابنى شذاك فى بيت مجير الدين وبين عرفتها من بين أصحابى معرك ذوقى ما يدركه الا من صفت مرآة ذوقه فى علم الادب ولعمرى ان النادرتين يجمل بهما هذا النوع ومثله قول القائل ويعجبنى الى الغاية

وبدا الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما فى صحيفة جدول * فبدا الغمامة صححته بنقطها

النوادر فى هذين البيتين لم يحتج برهانها الى اقامة دليل وقد فهمت الزيادات فى غرابة المعانى المبتذلة ومثله ولم يخرج عما نحن فيه من لطف النسيم ونوادر النوع قول القائل

هبت صبا من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالى
خاضت مياه النيربين عشية * وأتتك وهى بليلة الاذيال

ويعجبنى فى هذا الباب قول ناصر الدين بن المشد

مسكية الانفاس تلى الصبا * عنها حديثا قط لم يعال

لا يؤمن بالصبح ايمانه بالنجوم فرئ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان فقال ان رضى الحسان والا فآل الفضل حرس الله نعمتهم وأدامها رحاط دولتهم وايامها كيف خفى عليهم مكانى وخبرهم أنبت اسنانى ومالهم انبت املاى وكيف لم يطلبونى طلب الرفيق الآبق ويربطونى ربط الجواد السابق وانما يحبس البازى ولو ترك والاقطار لطار ولم ار مثلى علق مضنة يرمى به من حالق ولكن رب حسناء طالق وقيل لمحسن فلان لا ياكل الرطب ولا يشتهى الفالوذج فقال رب ملوم لاذنب له ولعلها الصرفة التى يكفر بها قوم ونحن بها مؤمنون ان سليمان ابن داود عليهما السلام على ما أوتى من بسطة ملك وباع ويد فى الفتوح صناع وخطب

جننت لما ان سرى عرفها * وماترى من جن بالمندل

وألطف منه وأكثر نوادر قول بدر الدين حسن الغزي الشهير بالزغاري

سرت من بعيد الدار لى نسمة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ضائعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن العجائب فى هذا النوع

حبذا ليلة رأيت دجاها * زاهيا عطفه بحلة تبر
بشرت باللقاء وهى غراب * ونفى الفجر حسنها وهى قمرى

ومن النوادر اللطيفة فى هذا الباب قول علاء الدين الجويني صاحب الديوان ببغداد من دوبيت

مذصار مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر
نادى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاءت نسيم السحر

ومن نادر ما اتفق لى قولى من قصيدة رائية

ومذ سرت نسمات الثغر باردة * بدا باعضاء ذاك الجفن تكسير

قد تقدم تقرير حد ابن أبى الاصبع فى نوع النوادر وتكرر وهو أن يعمد الشاعر الى معنى مشهور كثير الاستعمال فيغرب فيه بزيادة نكتة لم تقع لغيره ليصير المعنى المستعمل بها غريبا وقد فهم ما أوردته هنا من تلاعب الشعراء بالنسيم وما أظهروا فيه من النوادر التى تركت رخيصه غاليا وتكسير الجفن أيضا ونسبة التكسير اليه أكثر أهل الادب استعماله فى تغزلهم ونسيبهم ولكن استعارة النسمات البادرة للثغر وهبوبها على أعضاء ذاك الجفن السقيم حتى ظهر فيه التكسير نادرة النوادر فى هذا النوع والله أعلم

(ذكر المبالغة)

(بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم)

المبالغة نوع معدود من محاسن هذا الفن عند الجمهور واستدلوا على ذلك بقول من قال أحسن الشعر أكذبه وبقول النابغة الذبيانى أشعر الناس من استجيد كذبه وضحك من رديئه واستدلوا أيضا برد النابغة المذكور على مثل حسان بن ثابت فى قوله

لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى * وأسيافنا يقطرن من نجدة دما

والرد الذى رده النابغة على هذا البيت فى ثلاثة مواضع الاول منها انه قال له قلت لنا الجفنات والجفنات تدل على قليل فلا فخر لك ولا مبالغة اذا كان فى ساحتك ثلاث جفان أو أربع والثانى أنك قلت يلمعن واللمعة بياض قليل ليس فيه كبير شان والثالث أنك قلت فى السيوف يقطرن والقطرة تكون للقليل فلا تدل على فرط نجدة ولا مبالغة وترشيح جانب المبالغة مذهب ابن رشيق فى العمدة ومنهم من لم يعد المبالغة من حسنات الكلام ومشى فى ذلك على مذهب حسان بن ثابت رضى الله عنه فانه قال

وانما الشعر عقل المرء يعرضه * على الانام فان كيسا وان حمقا
وان أشعر بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

(المبالغة)

فى المطلوب وساع وامر فى الثقلين مطاع وريح غدوها شهر ورواحها شهر وادراك كلام النملة وليس لها جهر صرف عن بلقيس وملكها سنين وهى بجاورته فى سبا اليمن حتى هداه الهدهد ولا عجب ان يصرف الشيخ الوزير ايده الله عنى وانا احمو اليه وغرس اياديه ولو شاء لسمى أبى زيدا وسمانى اسامة ولو شاء غيره اقلنا لاولا كرامة وما تأخرت كتبي عن حضرته كفرا نا لنعمته لكن اعظاما لحشمته ولولا امر من خادمه والدى اقام الله عزه وتعيين فرض اضطرنى اليه لرأيت الجرى على عادتى بابا من ابواب ادب الخدمة لكنه لا رخصة فى العقوق من الخالق والمخلوق فكاتبت الحضرة العالية متنجزا ما سأل من الكتب والوزير

وعند

وعند أهل هذا المذهب أن المبالغة لم تسفر عن غير التهويل على السامع ولم يفز الناظم الى التضييم عليها الا لعجزه وقصور همته عن اختراع المعانى المبتكرة لانها فى صناعة الشعر كالاستراحة من الشاعر اذا أعياه ايراد المعانى الغريبة فيشغل الاسماع بما هو محال وتهويل وقالوا ربما أنها أحالت المعانى فاخرجتها عن حد الكلام الممكن الى حد الامتناع والمبالغة تعاب فى بابها اذا خرجت عن حد الامكان الى الاستحالة وأتى الكلام على حدها فى موضعه والذى أقوله ان المبالغة من محاسن انواع البديع ولم يستطرد فى حلبات سبقها الافحول هذه الصناعة ولولا سمو رتبتها ما وردت فى القرآن العظيم والسنة النبوية ولو سلمنا الى من يهضم جانبها ولم يعدها من حسنات الكلام بطلت بلاغة الاستعارة وانحطت رتبة التشبيه وتسمية المبالغة منسوبة الى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليغ وسماه ابن المعتز الافراط فى الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن اكثر الناس رغبوا فى تسمية قدامة تلفظها وهذا النوع اعنى المبالغة شركه قوم مع الاغراق والغلو لعدم معرفة الفرق وهو مثل الصبح ظاهر والمبالغة فى الاصطلاح هى افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة والاغراق وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو وصفه بما يستحيل وقوعه ويأتى الكلام على كل واحد من الثلاثة فى موضعه وقد تقرر اولا أن المبالغة نوعها مبنى على وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه وحد قدامة المبالغة فقال هى أن يذكر المتكلم حالا من الاحوال لو وقف عندها لاجزأت فلا يقف حتى يزيد فى معنى ما ذكره ما يكون ابلغ من معنى قصده كقول عمير بن كريم التغلبى

ونكرم جارنا ما دام فينا * ونتبعه الكرامة حيث مالا

وقال ان هذا البيت من أحسن المبالغة عند الحذاق فان الشاعر بلغ فيه الى أقصى ما يمكن من وصف الشئ وتوصل الى أكثر ما يقدر عليه فتعاطاه ولخص بعضهم عبارة الحد الذى حده قدامة وقال المعنى اذا زاد على التمام سمى مبالغة وقال ابن رشيق فى العمدة المبالغة بلوغ الشاعر أقصى ما يمكن فى وصف الشئ قلت وعلى هذا التقرير يخل القصد فى المبالغة الامكان والخروج عن المستحيل والمذهب الصحيح أنها انما ضرب من المحاسن اذا بعدت عن الاغراق والغلو وان كان الاغراق والغلو ضربين من المحاسن ونوعين من أنواع البديع فقد شرط علماؤه أن النوع لا يتجاوز حده بحيث يزول الالتباس ويجىء من أمثلة المبالغة فى المديح قول القائل

أضاءت لهم أحسابهم ووجوههم * دجى الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

فالمعنى تم للناظم لما انتهى فى بيته الى قوله دجى الليل ولكن زاد بما هو أبلغ وأبدع وأغرب فى قوله حتى نظم الجزع ثاقبه ومثله قول أبى الطيب المتنبى فى وصف جواد

وأصرع أى الوحش قفيته به * وأنزل عنه مثله حين أركب

قال زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير أبلغ شعر سمعته فى باب المبالغة قول شاعر الحماسة اذ بالغ فى مدح ممدوحه بقوله

رهنت يدى بالعجز عن شكر بره * وما فوق شكرى للشكور مزيد

السيد جدير بالفضل قدير عليه وانا موضع لفقير اليه وورائى وأمامى من خوالى واعمامى من مواقف خدمته مشهورة ومقاماته مشكورة وبى وبهم حاجة الى فضل عونه وما عونه فان سعد واحظ من جميل رأيه فاكل بندار عشيرى الادنون وبعدهم ناس صلاحهم بصلاح هؤلاء مربوط وثم الشفيع السلطان الاعظم حرس الله ملكه والشيخ الجليل اعزه الله نصره والعلم الذى رفع الله قدره والعمر الذى انفقناه على خدمته والشيب الذى لبسناه فى جملته ورأى الوزير فى ذلك موفق ان شاء الله
(وله الى الشيخ الرئيس ابى عامر فى معنى الصدق) نحن اطال الله بقاء الشيخ اذا تكلمنا فى فضل العرب على العجم وعلى سائر الامم

الصدق بالسين لغة الوقود وبالصاد لحن اه مجد

ولو كان مما يستطاع استطعته * ولكن مالا يستطاع شديد

فانظر ما أحلى احتراسه عن ذلك بقوله ومافوق شكري للشكور مزيد وانظر كيف أظهر عذره في عجزه مع قدرته بأن قال في البيت الثاني ولو كان مما يستطاع استطعته ثم أخرج بقية البيت للمبالغة مخرج المثل السائر حيث قال ولكن مالا يستطاع شديد ومن هنا قال أبو نواس

لا تسدين الي عارفة * حتى أقوم بشكر ما سلفا

ومن معجز المبالغة في القرآن العظيم قوله تعالى سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار بجعل كل واحد منهم أشد مبالغة في معناه وأتم صفة وجامع المبالغة في السنة النبوية قوله صلى الله عليه وسلم مخبرا عن ربه كل عمل ابن آدم له الا الصوم فانه لي وأنا أجزي به وقوله في بقية هذا الحديث والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففي الحديث الشريف مبالغتان احداهما كون الحق سبحانه وتعالى أضاف الصيام الى نفسه دون سائر الاعمال لقصد المبالغة في تعظيمه وشرفه واخبر أنه عز وجل يتولى مجازاة الصائم بنفسه مبالغة في تعظيم الجزاء وشرفه ونحن نعلم ان الاعمال كلها لله سبحانه وتعالى ولعبده باعتبارين اما كونها للعبد فلانه يثاب عليها وأما كونها لله فلانها عملت لوجهه الكريم ومن اجله فتخصيص الصائم بالاضافة للرب سبحانه وتخصيص ثوابه بما خصص به انما كان للمبالغة في تعظيمه والمبالغة الثانية اخبار النبي صلى الله عليه وسلم بعد تقديم القسم لتأكيد الخبر بأن خلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك ففضل تغير فم الصائم بالامساك عن الطعام والشراب على ريح المسك الذي هو أعطر الطيب على مقتضى ما يفهم من ريح المسك واتى بصيغة أفعل للمبالغة فجمع هذا الكلام بين قسمي المبالغة المجازي والحقيقي ولذلك ورد أن دم الشهيد كريح المسك لا مبالغة وهذا النوع اعني المبالغة ممكن الناظم منه في المدائح النبوية والصفات المحمدية فان المادح اذا بالغ في وصفه صلى الله عليه وسلم كانت تلك المبالغة ممكنة قريبة من معجزاته وعظمه عند ربه فمن ذلك قولي من قصيدة نبوية أقول فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم

اذا ما سرى فرد الفرط جلاله * يقول الورى قد سار جيش عرمرم

فالمبالغة تمت لما انتهيت الى قولي سار جيش وزدت بعد ذلك بما هو أبلغ منه وأعظم لقولي عرمرم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته * والشهب أحلك ألوانا من الدهم

المبالغة تمت للشيخ صفي الدين في الشطر الاول بقوله كم قد جلت جنح ليل النقع طلعته ولكن زاد بما هو ابلغ منها حيث قال والشهب أحلك ألوانا من الدهم وبيت العميان في بديعيتهم

يم نباتباري الريح أنمله * والمزن من كل هامي الودق مرتكم

المجمع عليه أن المبالغة في الاوصاف المحمدية ممكنة عقلا وعادة ولكن الابلغ في مبالغة العميان ان الريح والمزن كان يصعب كل منهما ان يتطفل على أنامل النبي صلى الله عليه وسلم في المباراة لعلو رتبته وعظم مقامه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

أمدح وجز كل حد في مبالغة * حقا ولا تطر تقبل غير متهم

اردنا بالفضل ما احاطت به المبلود ولم تشكران تكون امة أحسن من العرب ملابس وانعم منها مطاعم واكثر ذخائر وأبسط ممالك واعمر مساكن ولكنا نقول العرب اوفى واوفر واوقى واوقر وانكى وانكر واعلى واعلم وأحلى واحلم واقوى وأقوم وابلى وابلغ واشجى واشجع واسمى واسمع واعطى واعطف والطى والطف واحمى واحصف

هذا البيت لم ينتظم فى سلك ما قبله من ابيات المديح النبوى ولا بينه وبين المبالغة أدنى وصلة ولم يظهر لى فى بيته غفر الله له الا رصيته للمادح أنه اذا مدح يتجاوز كل حد وأنه لا يطرى فيقبل وما احقه هنا بقول القائل

تمنيتهم بالرقتين ودارهم * بوادى الغضى يابعد ما أتمناه

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى * والشهب قد رمدت من عثير الدهم

فالمبالغة تمت فى شطر البيت الاول بقولى بالغ وقل كم جلا بالنور ليل وغى والزيادة بما هو ابلغ منه اقولى والشهب قد رمدت من عثير الدهم وتسمية النوع هنا هى ديباجة المبالغتين على هذه الصيغة والله اعلم

(ذكر الاغراق)

(لوشاء اغراق من ناواه مدّ له * فى البر بحرا بموج فيه ملتطم)

قد تقرر فى نوع المبالغة أنها افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة وهذا النوع أعنى الاغراق فوق المبالغة ولكنه دون الغلوّ وهو فى الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة وقلّ من فرق بينهما وغالب الناس عندهم المبالغة والاغراق والغلوّ نوع واحد وهنا لم يعمل بقول الحريرى

سامح أخاك اذا خلط

وكل من الاغراق والغلوّ لا يعد من المحاسن الا اذا اقترن بما يقربه الى القبول كقد للاحتمال ولولا للامتناع وكاد للمقاربة وما اشبه ذلك من أنواع التقريب وما وقع شئ من الاغراق والغلوّ فى الكتاب العزيز ولا فى الكلام الفصيح الا مقرونا بما يخرجه من باب الاستحالة ويدخله فى باب الامكان مثل كاد ولو وما يجرى مجراهما كقوله تعالى يكاد سنا برقه يذهب بالابصار اذ لا يستحيل فى العقل أن البرق يخطف الابصار لكنه يمتنع عادة وما زاد وجه الاغراق هنا جمالا الا تقريبه بكاد واقتران هذه الجملة بها هو الذى صرفها الى الحقيقة فقلبت من الامتناع الى الامكان ومن شواهد تقريب نوع الاغراق بلو قول زهير

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم * قوم بأولهم او مجدهم قعدوا

فاقتران هذه الجملة ايضا بامتناع قعود القوم فوق الشمس المستفاد بلو هو الذى اظهر بهجة شمسها فى باب الاغراق ومما استشهدوا به على هذا النوع بغير اداة التقريب قول امرئ القيس

تنورتها من أذرعات واهلها * بيثرب أدنى دارها نظر عالى

وبين المكانين بعد تام فان أذرعات من الشام والنار التى تنورها من اذرعات كانت بيثرب مدينة النبى صلى الله عليه وسلم وقد أثبتوا هذا الشاهد فى باب الاغراق لانهم قالوا لا يمتنع عقلا أن ترى النار من بعد هذه المسافة وأن لا يكون ثم حائل من جبل أو غيره من عظم جرم النار ولكن ذلك ممتنع عادة هذا ان جعلنا تنورتها نظرت الى نارها حقيقة وأما ان جعلناه بمعنى توهمت نارها وتخيلتها فى فكرى فلا يكون فى البيت اغراق ومثله قول أبى الطيب المتنبى فى صباه

وأنق وآنق ولا يشكر ذلك الا وقح ولا يجحده الا نغل نغر وانه قدم الله تعالى ملك العجم ليحتج عليها وانما آخر ملك العرب ليحتج بها وما ملكت العجم حتى تواصلت وما ملكت العرب الاحين تصاولت وما تواصلت العجم الا يأسا من نفوسها ولا تصاولت العرب الا املا فى رؤسها ولا تكاد السباع تأتلف كما لا تكاد البهائم تختلف وان قبله أقرت هذه العرب لها أنها جرتها لجماع اخلاق شريفة ونظام أحلام رزينة ومصاب ايام مذكورة ومصب مساع مشكورة وان امرأ ساد هذه الجمرة اطلاع المجد وغنى بما اولى من خيره عن التزين بحلى غيره وحقيق أن يثير شعار حبائه ويميت شعار اعدائه ان عهد الوقود لعهد افك وان شعار النار لشعار

(الاغراق)

روح تردد فى مثل الخلال اذا * أطارت الريح عنه الثوب لم يبن

كفى بجسمى نحولا أننى رجل * لولا مخاطبتى اياك لم ترنى

وقالوا هذا لا يمتنع عقلا ان ينحل الشخص حتى يصير مثل الخلال ولا يستدل عليه الا بالكلام اذ الشئ الدقيق اذا كان بعيدا لا يرى بخلاف الصوت ولكن صيرورة الشخص فى النحول الى مثل هذه الحال ممتنع عادة ولعمرى ان الشيخ شرف الدين بن الفارض ضم خصر هذا المعنى الرقيق ورشحه بنفائس العقود حيث قال

كأنى هلال الشك لولا تأوهى * خفيت فلم تهد العيون لرؤيتى

قلت اذا قابلنا نحول المتنبى بهلال الشك الذى ابرزه ابن الفارض لم تبعد المقارنة ولكن من قابل قول المتنبى أننى رجل لولا مخاطبتى بقول الشيخ شرف الدين بن الفارض فى بيته كأنى هلال الشك لولا تأوهى لا بد أن يقابله الله على ذلك وأين لطف لولا تأوهى من ثقل لولا مخاطبتى فالفرق بين خطاب الرجل وتأوه هلال الشك لا يخفى على حذاق أهل الادب ومنه قول بعضهم

قد بعثتم أنينه من بعيد * فاطلبوا الشخص حيث كان الانين

قلت ما برح طائر فكرى يحوم على ورود هذا المعنى الذى حصلت فيه المواردة على أن الشخص لا يرى لشدة نحوله الا بأنين أو تأوه وأريد أن أرشحه بنكتة الى أن قلت من قصيدى التى عارضت بها كعب بن زهير وامتدحت بها النبى صلى الله عليه وسلم

وفوق طرس مشيبى أرخوا تلفى * وذلك الطرس فوق الرأس محمول

وقد تجاوز جسمى حد كل ضنى * وها أنا اليوم فى الاوهام تخييل

وقد تقدم وتقرر أن أداة المقاربة ما استعملت فى الاغراق الا لتنقله من الامتناع الى الامكان وهذا الذى أوردته بغير أداة المقاربة هذا ان كان يبعد عادة لا يبعد عقلا ومما استشهدوا به على نوع الاغراق بلو التى يمكن الاغراق بها عقلا ويمتنع عادة قول القائل

ولو أن ما بى من جوى وصبابة * على جمل لم يبق فى النار كافر

يريد انه لو كان ما به من الحب بجمل لنحل حتى يدخل فى سم الخياط وذلك لا يستحيل عقلا اذ القدرة قابلة لذلك لكنه ممتنع عادة وهذا غاية فى الاغراق واورد الشيخ شهاب الدين ابن جعفر المغربى الاندلسى فى شرحه الذى كتبه على بديعية صاحبه شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى على هذا البيت حكاية لطيفة وهى أن ابليس تعرض لبعض الاولياء فلم ينل منه غرضا فقال له الولى من أشد عليك العابد الجاهل أو العالم المسرف على نفسه فقال العالم المسرف واما العابد الجاهل فهو فى قبضتى أدخل عليه فى دينه من حيث شئت وأنا أريك ذلك فانطلق به الى أعبد الجهال فى ذلك الزمان فطرق عليه الباب فخرج اليهما فقال له ابليس جئت استفتيك هل الله قادر على أن يدخل الجمل فى سم الخياط أولا فتوقف وتحير وغلق الباب فقال ابليس للولى ها هو قد كفر بالشك فى قدرة الله تعالى ثم انطلق به الى عالم مسرف على نفسه وطرق عليه الباب وكان فى القائلة فقال الرجل العالم من هذا الشيطان الذى يضرب بابى فى القائلة وقد قال عليه الصلاة والسلام قيلوا فان الشياطين لا تقيل فقال ابليس ها هو قد

شرك وما أنزل الله بالصدق سلطانا ولا شرف نيروزا ولا مهرجانا ونصاصب الله سيوف العرب على فروق العجم لما كره من أديانها وسخط من نيرانها وأورثكم ارضهم وديارهم واموالهم حين مقت فعالهم وان انصف الشيخ الرئيس أيام الله لديه وجدها كلها اعيادا ضاحكة المباسم ظاهرة المواسم فلا وقدت نار المجوس والله ما أقول ذلك الا غيرة على نعمته وشفقة على خطته انى اجد الله تعالى مقت من بحر البحيرة وسيب السائبة ووصل الوصيلة وحمى الحامى فالنار أولى بان مقت شارعها وهى معبوده وانما جعل الله تعالى النار تذكرة ومتاعا ولم يجعلها ودا ولا سواعا ولم يضرب الله تعالى لها عبدا ولم يجعلنا لها عبيدا الله والنبى والعبد

(الغاو)

عرفنى قبل رؤيتى فلما خرج قال له ابليس هل فى قدرة الله تعالى أن يدخل الجمل فى سم الخياط فقال له انشك فى قدرة الله تعالى على أن يوسع سم الخياط حتى يدخل فيه الجمل أو يرقق الجمل حتى يصير كالخيط فيدخل فى سم الخياط فانصرفا وقال ابليس لرفيقه معرفة هذا بالله تمحو ذنوبه وحاله خير من حال العابد الجاهل بالله انتهى وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على نوع الاغراق

فى معرك لاتثير الخيل عثيره * مما تروى المواضى تربه بدم

بيت الشيخ صفى الدين الحلى على هذا النوع ابرزه بغير أداة التقريب وهو بيت عامر قريب من العقل بعيد من الوقوع عادة على شرط الاغراق لكنه غير صالح للتجريد وقد تقرر وتكرر أن بيوت البديعيات شواهد على الانواع فلا ينبغى أن يكون البيت متعلقا بما قبله ولا بما بعده وبيت بديعية العميان يقولون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم وقد أتوا فيه باداة التقريب حيث قالوا

لو قابل الشهب ليلا فى مطالعها * خرت حياء وأبدت ذل محترم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق وجه الارض أجمعه * ندى يديه لاحياها ولم يضم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لو شاء اغراق من ناواه مدله * فى البحر امواج فيه ملتطم

على كل تقدير مقام النبى صلى الله عليه وسلم صالح للمغالاة بالاغراق فى مديحه والله اعلم

(ذكر الغلو)

(بلا غلو الى السبع الطباق سرى * وعاد والليل لم يجفل بصبحهم)

قد تقدم القول على المبالغة وتقرر أنها فى الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن القريب وقوعه عادة وتقرر أن الاغراق فوقها فى الرتبة وهو فى الاصطلاح افراط وصف الشئ بالممكن البعيد وقوعه عادة والغلو فوقهما فانه الافراط فى وصف الشئ بالمستحيل وقوعه عقلا وعادة وهو ينقسم الى قسمين مقبول وغير مقبول فالمقبول لابد أن يقربه الناظم الى القبول بأداة التقريب اللهم الا أن يكون الغلو فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فلا غلو ويجب على ناظم الغلو أن يسبكه فى قوالب التخيلات الحسنة التى يدعو العقل الى قبولها فى أول وهلة كقوله تعالى يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار فان اضاءة الزيت من غير مس نار مستحيلة عقلا ولكن لفظة يكاد قربته فصار مقبولا ومنه قول أبى العلاء المعرى

تكاد قسيه من غير رام * تمكن فى قلوبهم النبالا

تكاد سيوفه من غير سل * تجد الى رقابهم انسلالا

ويعجبنى هنا قول ابن حمديس الصقلى فى وصف فرس

ويكاد يخرج سرعة من ظله * لو كان يرغب فى فراق رفيق

ومنه قول الفرزدق فى على بن الحسين بن على بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين

يكاد يمسكه عرفان راحته * ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

العربى والتكبير الجهير وتلك الجماهير والملائكة بعد ذلك ظهير والرحمة صوبا وصبا والبركات فيضا وفضا والجنة وصراطها والنجاة واشراطها والموسم الطاهر من لغو الحديث ذلك لا ماشرع الشيطان لاوليائه نار لديهم تشب ولعنة عليهم تصب وخمرة متاعها قليل وفى الآخرة خمارها طويل هذا هو العيد وذلك هو الضلال البعيد انهم ليشبون نارا هى موعدهم والنار فى الدنيا عيدهم والله الى النار يعيدهم ان اليهود لعلى اثرة من الكتاب وان حرفوه وان النصارى لعلى ارث من الصواب وان تصرفوه وان ابعد الامم ضلالا لهذه المجوس وان مقبل الشيطان لثالث الرؤس فمن لم يابس مع

(الغلو)

ومن الغلو المقبول بغير أداة التقريب قول ابي الطيب المتنبي في ممدوحه

عقدت سنابكها عليه عثيرا * فلو ابتغى عنقا عليه أمكنا

معنى هذا البيت ان سنابك الخيل وهي أطراف الحوافر عقدت على هذا الممدوح عثيرا وهو الغبار حتى لو أراد أنه يمشي عليه عنقا لامكن والعنق هو المشي السريع وانعقاد الغبار في الهوا حتى يمكن المشي عليه مستحيل عقلا وعادة الا انه تخيل حسن مقبول وقد وقع للقاضي الارجاني جمع فيه بين الشيئين الموجبين للقبول والتقريب وهما ماجرى بهما مجرى كاد والتخيل الحسن وذلك قوله

يخيل لي أن سمر الشهب في الدجا * وشدت باهدابي اليهن أجفاني

فقوله يخيل لي هو الجاري مجرى كاد فانه جعل الامر وهما لا حقيقة واما التخيل الحسن فهو ماذكر من تسمير الشهب وشد أجفانه اليها باهدابه وجعل الاهداب بمنزلة الحبال ولا يخفى ما في هذا من التخيل الحسن واما الغلو الذي هو غير مقبول فكقول ابي نواس

فلما شربناها ودب دبيبها * الى موضع الاسرار قلت لها قفي

مخافة ان يسطو علي شعاعها * فيطلع ندماني على سري الخفي

قالوا ان سطوة شعاع الخمر عليه بحيث يصير جسمه شفافا فيظهر لندمائه ما في باطنه لا يمكن عقلا ولا عادة ومنه قول بعضهم

أسكر بالامس ان عزمت على الشرب غدا ان ذا من العجب

فسكره بالامس بسبب عزمه على الشرب غدا مما لا يمكن عقلا ولا عادة أيضا ومنه قول أبي نواس

واخفت اهل الشرك حتى انه * لتخافك النطف التي لم تخلق

وهذا الذي قاله ابو نواس ايضا امر مستحيل فان قيام العرض الموجود وهو الخوف بالمعدوم وهي النطف التي لم تخلق لا يمكن عقلا ولا عادة ومن الطف ما يحكى هنا ان العتابي الشاعر لقي أبا نواس فقال له اما تستحي من الله بقولك واخفت اهل الشرك البيت فقال له ابو نواس وانت ايضا ما استحييت من الله بقولك

مازلت في غمرات الموت مطرحا * يضيق عني وسيع الرأي من حيل

فلم تزل دائبا تسعى بلطفك لي * حتى اختلست حياتي من يدي اجلي

فقال العتابي قد علم الله وعلمت ان هذا ليس مثل قولك ولكنك اعددت لكل سؤال جوابا ومنه قول بعضهم

قد كان لي فيما مضى خاتم * واليوم لو شئت تمنطقت به

وذبت حتى صرت لو زج بي * في مقلة النائم لم ينتبه

ومثل هذا ايضا لا يقبله العقل ولا عليه رونق القبول قلت ومراتب الغلو تتفاوت الى ان تؤول بقائلها الى الكفر فمن ذلك قول ابن دريد

مارست من لو هوت الافلاك من * جوانب الجو عليه ما شكا

قيل انه لاجل هذا البيت والادعاء العظيم الذي ادعى فيه ابتلي بمرض كان فيه يخاف من الذباب أن يقع عليه ومنه قوله

اليهود غبارهم ولم يعقد
مع النصارى زنارهم ولم
يشب مع المجوس نارهم
هدى ولو شهد المسلمون
البيت ما شهدوه الا
مفسوخا محظورا وحجرا
محجورا ولو علقوا الصليب
ما علقوه الا كذبا وزورا
ونكرا منكورا وليست
النار بنكر ولا فسوق انما
هو الكفر الصحيح والشرك
الصريح والدين تحمله
الريح ولا يستريح ان
المجوسية حلوة خضراء
وأد البنات ونيك الامهات
واشرب وهات ولح الترهات
وان هذا الدين لذو تبعات
الصوم والفطام شديد
والحج والمرام بعيد والصلاة
والنوم لذيذ والزكاة والمال
عزيز وصدق الجهاد
والرأس لا ينبت بعد الحصاد
والصبر الحامض والعفاف
اليابس والجلد الخشن
والصدق المر والحق الثقيل

ولو

ولوجى المقدار عنه مهجة * لرامها اوتستبيح ماحى
تغدو المنايا طائعات امره * ترضى الذى يرضى وتأبى ما ابى

ومثله قول ابى الطيب

كانى دحوت الارض من خبرتى بها * وكان بنا الاسكندر السد من عزمى

هذا أيضا من الغلو الذى يؤدى الى سخافة العقل مع ما فيه من قبح التركيب وبعده عن البلاغة وأقبح من هذا كله قول عضد الدولة

ليس شرب الراح الا فى المطر * وغناء من جوار فى السحر
غانيات سالبات للنهى * ناغمات من تضاعيف الوتر
مبرزات الكاس من مطلعها * ساقيات الراح من فاق البشر
عضد الدولة بان ركنها * ملك الاملاك غلاب القدر

روى انه لم يفلح بعد هذا القول وكان لا ينطق الا بقوله تعالى ما أغنى عنى ماليه هلك عنى سلطانيه ولولا الاطالة وهو نظم غير مقبول لاوردت كثيرا من نظم الذين كانوا يتساهلون فى هذا النوع كأبى نواس وابن هانئ الاندلسى والمتنبى وابى العلاء المعرى وغيرهم من المتأخرين كابن نبيه ومن جرى مجراه وكنت من المبادى استقبح قول الشيخ صفى الدين الحلى واستقل ادبه بقوله فى موشحه الذى أوله

دارت على الدوح سلاف القطر

وذلك قوله فى ممدوحه

لو قابل الاعمى غدا بصيرا * ولو رأى ميتا غدا منشورا
ولو يشا كان الظلام نورا * ولو أتاه الليل مستجيرا
آمنه من سطوات الفجر

وبيته فى بديعيته على هذا النوع اعنى الغلو قوله

عزيز جار لو الليل استجار به * من الصباح لعاش الناس فى الظلم

قلت هذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم غير لائق بممدوحه الذى اشار اليه فى موشحه بقوله

ولو اتاه الليل مستجيرا * آمنه من سطوات الفجر

فقد تقرر ان الناظم اذا قصد الغلو فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم فلا غلو وبيت العميان فى بديعيتهم يقولون فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تكاد تشهد ان الله ارسله * الى الورى نطف الابناء فى الرحم

فنسبة الشهادة الى النطف وهى فى الارحام لا تمكن عقلا وما استحال عقلا استحال عادة وهذا الغلو هنا مقبول فى مديح النبى صلى الله عليه وسلم وقد زاد الناظم تقريبه بكاد ولكن ذكر الارحام والنطف فى المدائح النبوية ما يخلو من قلة أدب وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

فى مدحه نفحات لا غلو بها * يكاد يحيى شذاها بالى الرمم

والكظم وفى اللقمة العظم والناس رجلان موفق يوعظ فيقبل ويغنم ومخذول تأخذه العزة بالاثم فحسبه جهنم والسلام

(وله اليه أيضا)
قد بعث الى الشيخ اطال الله بقاءه باصل مال يحوته وأصان ان شاء الله عن فروعه فاما القسمة الواقعة لفلان فلو كان حمارى لنفشت على بطنه التبن ونقلت على ظهره اللبن افأودى عنه الغرامة لاولا كرامة انا والله لا أربط فى الاصطبل مثل ذلك الطبل انى لانفس بالعذار على ذلك الحمار من ذلك الثور حتى يحتمل منه الجور الموت ولا هذا الصوت والمنية ولا هذه الدنيه والسلام

(وله اليه ايضا)
خلق الله الخيرات وجعل

نفحات هذا البيت عطرت الوجود بالمديح النبوي وغلوّها فيه ملحوظ بعين القبول وتقريبها يكاد أحرز قصبات السبق ولا اقول كاد وهذا البيت عندي مقدم على بيت الشيخ صفي الدين وبيت العميان لالتزامه بتسمية النوع البديعي مورى به من جنس المديح مع انسجامه ورقته وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بلا غلوّ الى السبع الطباق سرى * وعادوا الليل لم يحفل بصحبهم

هذا الغلوّ يرخص عنده باتطاعه في تلك المدائح النبوية كل غلوّ فانه لو كان في غير النبي صلى الله عليه وسلم استحال عقلا وعادة ونعوذ بالله من نسبته الى غيره فانها تؤدي الى الكفر المحض وحصره في النبي صلى الله عليه وسلم متفق عليه عقلا ونقلا وقولي عند تقلم هذا النوع بلا غلو يعلم طالب هذا العلم طريق سلوك الادب وهذا البيت من خلاصات المدائح النبوية فنرجو الله أن تشملنا بركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم والله أعلم

(ذكر ائتلاف المعنى مع المعنى)

(سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألف في العطا والدين للعظم)

هذا النوع وهو ائتلاف المعنى مع المعنى ضربان فالاول في الاصطلاح هو أن يشتمل الكلام على معنى معه أمران احدهما ملائم والآخر بخلافه فيقرنه بالملائم واستشهدوا عليه بقول ابي الطيب المتنبي

فالعرب منه مع الكدريّ طائرة * والروم طائرة منه مع الحجل

وقالوا ان تقوية المعنى الاول مناسبة القطا الكدري مع العرب لانه يلائمهم بنزوله في السهل من الارض وينفر من العمران ويستأنس بالمهامه ولا يقرب العمران الا اذا دبه العطش وقل الماء في البر ومناسبة الحجل مع الروم انها تسكن الجبال وتنزل في المواضع المعروفة بالشجر والضرب الثاني هو ان يشتمل الكلام على معنى وملائمين له فيقرن بهما الاقترانه مزية واستشهدوا على هذا الضرب الثاني بقول أبي الطيب المتنبي ايضا

وقفت وما في الموت شك لواقف * كانك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الابطال كلمى هزيمة * ووجهك وضاح وثغرك باسم

وقالوا ان عجز كل من البيتين يلائم كلا من الصدرين وما اختار ذلك الترتيب الا لامرين احدهما ان قوله كانك في جفن الردى وهو نائم تمثيل السلامة في مقام العطب ولهذا قرن له الوقوف والبقاء في موضع يقطع على صاحبه فيه بالهلاك أنسب من جعله مقرّرا لثباته في حال هزيمة الابطال والثاني ان في تأخير التتميم بقوله ووجهك وضاح وثغرك باسم عن وصف الممدوح بوقوفه ذلك الموقف ومرور ابطاله كلمى بين يديه ما يفوت بالتقديم ولعمري ان الضرب الثاني من ائتلاف المعنى مع المعنى ابدع من الضرب الاول واوقع في القلوب واقرب الى مواقع الذوق وعليه نظمت بيت بديعيتي وبأتي الكلام عليه في موضعه ولكن هنا نكتة تزيد بديع الضرب الثاني ايضاحا وترشح قصد المتنبي في ترتيبه الذي تقدم عليه الكلام حكي ان سيف الدولة بن حمدان ممدوح المتنبي قال عند انشاده اياه هذين البيتين يا أبا الطيب قد انتقدنا عليك كما انتقد على امرئ القيس في قوله

(ائتلاف المعنى مع المعنى)

الدين مناطها وجمع المجازي وجعل الالحاد رباطها وكل طائفة تفتخر بالله بزعمها وتدينه يبلغ علها تقول اليهود نحن أبناء الله وخليله وورثة اسرائيله وتدعى النصارى انها صفوة جبله وحملة انجيله والصابئة تفتخر بجبريله وتقول بميكائيله والمجوس على اثر من سبيله واثرة من قبيله ونحن بحمد الله حملة تنزيله والعلماء بتأويله وأبو منصور الكروجي لا يهودي يشهد سبته ولا نصراني أعرف نفسه ولا مجوسي يعبد جبته ولا مسلم يحوص انه فيما بلغني يبيت بنته ولا يغسل استه فالى أي دين أناصحه والى أي مذهب أحاكمه وأنا الى رأى الشيخ الرئيس ومعونته فقير وهو بهما الى جدير والسلام

(وله الى ابي محمد بن حاتم)

كأني لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال
ولم أسبأ الزق الروي ولم أقل * لخيلي كري كرة بعد اجفال

فقال المتنبي أيها الامير ان صح ان البزاز أعلم بالثوب من حائكه فقد صح ما انتقد على امرئ القيس وعلى فان امرأ القيس أحب ان يقرن الشجاعة باللذة في بيت واحد وهو الاول وقد وقع مثل هذا في الكتاب العزيز وهو قوله تعالى ان لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وانك لا تظمأ فيها ولا تضحى فانه تعالى لم يراع فيه مناسبة الري بالشبع والاستظلال باللبس في تحصيل نوع المنفعة بل راعى مناسبة اللبس للشبع في حاجة الانسان اليه وعدم استغنائه عنه ومناسبة الاستظلال للري في كونهما تابعين اللبس والشبع قلت واما جواب المتنبي عن قول امرئ القيس

كأني لم أركب جوادا لغارة * ولم أتبطن كاعبا ذات خلخال

فهو الافتنان بعينه وهو نوع من أنواع البديع العالية وقد تقدم وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع قوله

من مفرد بغرار السيف منتثر * ومزدوج بسنان الرمح منتظم

قد كثر تكرار القول بان المراد من بيت البديعية أن يكون شاهدا على نوعه وان لم يكن صالحا للتجريد لم يصح الاستشهاد به على ذلك النوع وبيت الشيخ صفي الدين الحلي هنا غير صالح للتجريد وعدم صلاحه للتجريد هو الذي عقده وحجب ايضاح معناه عن مواقع الذوق والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ذو معنيين بعضب والعدا انتلفا * لخلف ما أشهب البازي كالرخم

قلت ان هذين المعنيين لشدة العقادة اتعبت الفكر فيهما على أن يتضح لي منهما معنى فعجزت عن ذلك والله اعلم وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

سهل شديد له بالمعنيين بدا * تألف في العطا والدين للعظم

وقد تقدم قولي ان بيت بديعيتي منظوم في سلك الضرب الثاني لكونه أبدع واوقع في الذوق من الضرب الاول وهو أن يشتمل الكلام على معنى وملائمين فيقرن بهما ما يلائم ويظهر باقترانه مزية نفسه ولة النبي صلى الله عليه وسلم قرنتها بالعطاء وناهيك بهذه الملاءمة وشدته صلى الله عليه وسلم قرنتها بالدين لعظمه فاكرم بها ملاءمة وشرف قران وقد ورد نص الكتاب بذلك في قوله تعالى محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم وقولي في القافية للعظم بعد ثبوت الشدة للدين في غاية التمكين والله اعلم

(ذكر نفي الشيء بايجابه)

لا ينتفي الخير من ايجابه أبدا * ولا يشين العطايا المن والسأم

نفي الشيء بايجابه هو ان يثبت المتكلم شيأ في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازا والمنفي في باطن الكلام حقيقة هو الذي اثبته كقوله تعالى ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع فان ظاهر الكلام نفي الذي يطاع من الشفعاء والمراد نفي الشفيع مطلقا وكقوله تعالى لا يسألون

ابو الفضل رحم الله شبابه واحسن مآبه وأجزل ثوابه وابقى أباه وجبر مصابه فنير الى سفنجة من سفاتج الاخرة يجوزها بينه وبين النار جوازا ويصطحبها جوازا وينفقها على الصراط ليجد جوازا ويقدمها ليعطيه مفازا واظن قلا نامكنا بايصالها ثقة في احتمالها ولاشك ان الشيخ لا ينفس على ذلك الفرط الصالح والولد الفاتح بما يعلم حاجته اليه ولكاني به يقول وما معنى الفاتح ومعناه ان رجلا كان يأتي الى النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ولد عليه عقيصتان فجاء يوما وحده فقال النبي صلى الله عليه مافعل ذو العقيصتين فبكى الرجل وقال ان الله استأثر به فقال عليه السلام ألا يسرك أن لا تأتي بابا من أبواب الجنة الا رأيت ابنك يفتحه

(نفي الشيء بايجابه)

الناس الحافا فان ظاهر الكلام نفى الالحاف فى المسئلة والباطن نفى المسئلة بتة وعليه اجماع المفسرين وذكر ابن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير انه منقول عن ابن عباس رضى الله عنهما وهذا هو الحد الذى قرره ابن رشيق فى العمدة فانه قال نفى الشئ بايجابه اذا تأملته وجدت باطنه نفيا وظاهره ايجابا واستشهد عليه بقول زهير

بارض خلاء لا يسد وصيدها * على ومعروف بها غير منكر

فاثبت لها فى الظاهر وصيدا ومراده فى الباطن أن ليس لها وصيد فيسد والطف مارأيت من شواهد هذا النوع اعنى نفى الشئ بايجابه قول مسلم بن الوليد

لا يعبق الطيب خديه ومفرقه * ولا يمسح عينيه من الكحل

فان ظاهر الكلام نفى عبق الطيب ومسح الكحل والمراد نفى الطيب والكحل مطلقا ومثله قول ابى الطيب المتنبى

افدى ظباء فلاة ماعرفن بها * مضغ الكلام ولا صبغ الحواجيب

ولا برزن من الحمام مائلة * أوراكهن صقيلات العراقيب

فظاهر الكلام عدم بروزهن من الحمام على تلك الهيئات والمراد فى باطن الكلام عدم الحمام مطلقا فانهن عربيات كظباء الفلاة ولهذا قال ذو الرمة

بالله ياظبيات القاع قلن لنا * ليلاى منكن أم ليلى من البشر

والقصد أن حسنهن لم يفتقر الى تصنع ولا الى تطرية بدخول الحمام وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع اعنى نفى الشئ بايجابه يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لا يهدم المن منه عمر مكرمة * ولا يسوء اذاه نفس متهم

فظاهر الكلام فى بيت الشيخ صفى الدين الحلى ان النبى صلى الله عليه وسلم لا يتبع المكرمة بمن وحاشاه من ذلك ولا يصدر منه لنفس متهم اساءة والمراد فى الباطن نفى المن والاساءة مطلقا فان مقام النبى صلى الله عليه وسلم فى الكرم والحلم فوق ذلك والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين غفر الله له يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

هذا البيت ليس له تعلق بهذا النوع فان مشايخ البديع توارد وافى حده على عبارة واحدة لم تختلف بحرف بل الجميع قالوا نفى الشئ بايجابه هو أن يثبت المتكلم شيأ فى ظاهر كلامه وينفى ماهو من سببه مجازا والمنفى فى باطن الكلام حقيقة هو الذى أثبته وأوردوا على ذلك ماتقدم من شواهد القرآن العظيم والشواهد الشعرية التى زادت النوع ايضاحا ولم يتضح لى فى بيت الشيخ عز الدين غفر الله له لمعة استضئ بها فى ظلمة هذه العقادة الى تقرير هذا النوع فى البيت المذكور فلم يسعنى غير النظر فى شرحه فوجدته قد قال مانفى الذم بايجاب المديح كريم الا وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عاقد الدهر بالسلم على ذلك المعنى قبل الذى فعل هذا الفعل المحمود فانه هو الاصل فى الاسباب الخيرية جميعها فاعلمت ماهر اده فى النظم ولا فى الشرح ولا ابن استقر نفى الشئ بايجابه والله أعلم وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى

صلى

ك وماقصدت بهذه الرقعة اعظم من قضاء حق ذلك الفاضل رحمه الله وارجوها تقع من وفاق الشيخ موقعها ان شاء الله تعالى

(وله الى الفقيه اسمعيل ابن ابراهيم المقرى)

هل اطال الله بقاء الفقيه تقضى حق بن عظيمين لم ارض لنفسى فيما سواء عبدا بلا وان نشط لم أبغ به بديلا حرمتان أولاهما واولاهما حرمة الغصن المختضر والورق المختضر والكمال المختصر والشباب المبتصر والاخرى حرمة العلم العاطل والحق فى معرض الباطل

صلى الله عليه وسلم

لا ينتقى الخير من ايجابه ابدا * ولا يشين العطايا بالمن والسأم

الذى أقوله ان محاسن هذا البيت ببركة ممدوحه صلى الله عليه وسلم تغنى عن التطويل فى شرحه وسهولة مأخذ النوع منه لم تفتقر الى زيادة ايضاح وما أحقه هنا بقول القائل

وقد ظهرت فلا تخفى على أحد * الا على أكمه لا يعرف القمرا

(ذكر الايغال)

(الجود فى السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم)

هذا النوع مأخوذ من ايغال السير فانه يقال اوغل فى السير اذا بلغ غاية قصده بسرعة ولهذا قلت الجود فى السير ايغال اليه البيت ومعنى ذلك أن المتكلم أو الشاعر اذا انتهى الى آخر القرينة أو البيت استخرج سجعة أو قافية يريد معنى زائدا وكل منهما فكان المتكلم او الشاعر قد تجاوز حد المعنى الذى هو آخذ فيه وبلغ مراده فيه الى زيادة عن الحد وهذا النوع مما فرعه قدامة وفسره بان قال هو ان يستكمل الشاعر معنى بيته بتمامه قبل أن يأتى بقافيته فاذا اراد الاتيان بها ليكون الكلام شعرا أفاد بها معنى زائدا على معنى البيت كقول ذى الرمة

قف العيس فى آثار مية واسأل * رسوما كأخلاق الرداء المسلسل

فتم كلامه قبل القافية فلما احتاج اليها أفاد بها معنى زائدا وكذلك صنع فى البيت الذى بعده حيث قال

اظن التى يجدى عليك سؤالها * دموعا كتبديد الجمان المفصل

فانه تم كلامه بقوله كتبديد الجمان واحتاج الى القافية فأتى بما يفيد معنى زائدا ولو لم يأت بها لم يحصل انتهى والفرق بين الايغال والتتميم ان التتميم يأتى الى المحتاج فيتممه كقول الشاعر وقد تقدم

أناس اذا لم يقبل الحق منهم * و يعطوه عاذوا بالسيوف القواضب

فان المعنى بدون قوله و يعطوه ناقص والايغال لا يرد الا على المعنى التام فيزيده كمالا ويفيد نفسه معنى زائدا غير أن بين الايغال والتكميل تجاذبا يكاد أن ينتظم كل منهما فى سلك الآخر ولكن رأيت الناس قد سلموا الى قدامة ما اختاره وفرعه هنا فمشيت مع الناس واستشهدوا على الايغال بقوله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون فان الكلام تم بقوله تعالى ومن أحسن من الله حكما ثم احتاج الكلام الى فاصلة تناسب القرينة الاولى فلما أتى بها أفاد معنى زائدا قلت ولعمرى لو طلب التكميل حقه من هذا الشاهد لم يمنعه الذوق السليم ومثله قوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين فان المعنى تم بقوله تعالى ولا يسمع الصم الدعاء ثم اراد وهو أعلم اتمام الكلام بالفاصلة فقال اذا ولوا مدبرين وقد حكى عن الاصمعى انه سئل من اشعر الناس فقال الذى يأتى الى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيرا وينقضى كلامه قبل القافية فان احتاج اليها أفاد معنى زائدا فقيل له نحو من فقال نحو الفاتح لابواب المعانى وهو امرؤ القيس حيث قال

كأن عيون الوحش حول خبائنا * وارحلنا الجزع الذى لم يثقب

الايغال

والدين فى اسر الفقر والنعمة فى يد الدهر اهل الله يسهل سعيه للاول فوزا أو نجاه وللآخر بضاعة مزجاه ويصون وجهه عن الابتذال ان اجرهما العظيم وقد طويت هذه الرقعة عليهما فليوصلها وليتجشم وليتكلم عليهما بما يعلم

(وله الى الشيخ الامام أبى الطيب سهل بن محمد الصعلوكى)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الفاضل الامام اتباعا لرضاه ونزولا حيث يراه والاصل فى هذه المخاطبات ان الله تعالى جعل تعظيم النبوة فرضا فقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فلما لحقت الرسالة وجاءت الامامة ردت اليها الكرامة فقيل لابى بكر يا خليفة رسول الله فجعل الله الخلافة شعار

وبمثله قول زهير
كأن فتات العهن في كل منزل * نزلن به حب الفنا لم يحطم

فكلام امرئ القيس انتهى الى قوله الجزع وزيادة المعنى في قوله الذي لم يثقب ولا يخفى على حذاق الادب ما فيهما من المحاسن ومعنى قول زهير انتهى في كلامه الى قوله حب الفنا وزيادة المعنى في قوله لم يحطم فيها نكتة بديعية غريبة وانا اذكرها هنا تنبيها على ما قرره الاصمعي وما ذاك الا ان زهيرا شبه ما تفتت من العهن بحب الفنا والفنا شجر ثمره حب احمر وفيه نقط سود وقال الفراء هو عنب الثعلب فلما قال زهير بعد تمام معنى بيته لم يحطم أراد أن يكون حب الفنا صحيحا لانه اذا كسر ظهر له لون غير الحمرة وقال ابن أبي الاصبع في كتابه المسمى بتحرير التحبير ولقد أحسن ابن المعتز في ايغاله بقوله لابن طباطبا العلوي

فانتم بنو بنته دوننا * ونحن بنو عمه المسلم

فانه تحيل على المساواة بأن قال ونحن بنو عمه المسلم والكلام تم قبل الاتيان بالقافية فلما أتى بها افادت معنى اذ لا طريق له الى التفضيل بزيادة في حسن الجد والذي وقع اتفاق البديعيين عليه أن اعظم ما وقع في هذا الباب وابلغ قول الخنساء اخت صخر

وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم في رأسه نار

فان معنى جملة البيت كامل دون القافية فوجودها زيادة لم تكن له قبلها وهذه المرأة لم ترض لاخيها أن يأتم به جهال الناس حتى جعلته يأتم به أئمة الناس وهذا تتميم ولم ترض تشبيهه بالعلم وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية حتى جعلت في رأسه نارا ويعجبني من أمثلة هذا النوع في شعر المتأخرين قول الباخرزي من قصيد

انا في فؤادك فارم طرفك نحوه * ترني فقلت لها وأين فؤادي

ومثله قول الآخر

تعجبت من ضنى جسمي فقلت لها * على هواك فقالت عندي الخبر

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

كأن مرآه بدر غير مستتر * وطيب رياه مسك غير مكتتم

الايغال مع الشيخ صفي الدين في غير مستتر وغير مكتتم والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم
وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

اضحت اعاديه في الاقطار طائرة * واوغلت في الهوى خوفا مع العصم

قال الشيخ عز الدين غفر الله في شرحه ان الايغال الذي افاد في بيته معنى زائدا بعد تمامه قوله خوفا مع العصم وذكر ان العصم هي الجوارح من الطيور التي تفرخ في العوالي والله أعلم
وبيت بديعيتي اشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم بقولي

للجود في السير ايغال اليه وكم * حبا الانام بود غير منصرم

فمعنى بيتي انتهى الى قولي عنه صلى الله عليه وسلم حبا الانام بود ولما قلت بعد ذلك غير منصرم اشارة الى ود النبي صلى الله عليه وسلم ظهر لي من زيادة المعنى ما أقام قواعد بيتي وملأ الدنيا بهجة بمحاسن الصفات النبوية والله أعلم

(ذكر التهذيب والتأديب)

آل أبي قحافة لم يدع بها غير صاحبهم ثم استخلف أبو بكر عمر فقال رجل يا خليفة الله فقال خالف الله بك ذاك نبي الله داود ثم قال يا خليفة رسول الله قال ذاك صاحبكم المفقود ثم قال يا خليفة خليفة رسول الله فقال انى لكما تقول ولكن هذا الامر يطول قال افنسميك قال لا تبخس مقامي شرفه أنتم المؤمنون وانا أميركم فقيل الامام وامير المؤمنين ولعمري العالم أولى بكرامة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خليفة زماننا هذا ان العالم ليجدد رسومه ويدرس علومه

قوله العصم هي جمع اعصم وفي القاموس الاعصم من الظباء والوعول ما في ذراعيه أو في احدهما بياض وسائرها أسود أو احمر انتهى المراد منه فما ذكره الشيخ عز الدين في تفسيرها غير صواب اه

التهذيب والتأديب

(تهذيب تأديبه قد زاده عظما * في مهده وهو طفل غير منفطم)

نوع التهذيب والتأديب ما قرروا له شاهدا يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح محرر وهو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله والشروع في تهذيبه وتنقيحه نظما كان أو نثرا وتغيير ما يجب تغييره وحذف ما ينبغي حذفه واصلاح ما يتعين اصلاحه وكشف ما يشكل من غريبه واعرابه وتحرير ما يدق من معانيه واطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ الفاظه لتشرق شموس التهذيب في سماء بلاغته وترشف الاسماع على الطرب رقيق سلافته فان الكلام اذا كان موصوفا بالمهذب منعوتا بالمنقح علت رتبته وان كانت معانيه غير مبتكرة وكل كلام قيل فيه لو كان موضع هذه الكلمة غيرها او لو تقدم هذا المتأخر وتأخر هذا المتقدم او لو تم هذا النقص بكذا او لو تكمل هذا الوصف بكذا او لو حذفت هذه اللفظة او لو اتضح هذا المقصد وسهل هذا المطلب لكان الكلام احسن والمعنى أبين كان ذلك الكلام غير منتظم في سلك نوع التهذيب والتأديب وكان زهير بن ابي سلمى معروفا بالتنقيح والتهذيب وله قصائد تعرف بالحوليات قيل انه كان ينظم القصيدة في أربعة اشهر ويهذبها وينقحها في اربعة اشهر ويعرضها على علماء قبيلته اربعة اشهر ويروى انه كان يعمل القصيدة في شهر وينقحها ويهذبها في احد عشر شهرا ولا جرم انه قلما يسقط منه شيء ولهذا كان الامام عمر ابن الخطاب رضي الله عنه مع جلالته في العلم وتقدمه في النقد يقدمه على سائر الفحول من طبقته وما احسن ما اشار ابو تمام الى التهذيب بقوله

خذها ابنة الفكر المهذب في الدجى * والليل اسود رقعة الجلباب

فانه خص تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهدأ فيه الاصوات وتسكن الحركات فيكون الفكر فيه مجتمعا ومرآة التهذيب فيه صقيلة لخلو الخاطر وصفاء القريحة لاسيما وسط الليل والنفس قد أخذت حظها من الراحة بعد نيل قسطها من النوم وخف عليها ثقل الغذاء وصح ذهنها وصار صدرها منشرحا وقلبها بالتأليف منبسطا وما قدموا اوسط الليل في التأليف على السحر مع ما فيه من رقة الهواء وخفة الغذاء واخذ النفس سهمها من الراحة الا لئلا يكون فيه مع انتباه اكثر الحيوان الناطق وارتفاع معظم الاصوات وجرس الحركات وتقشع الظلماء بطلائع الاضواء وبدون ذلك ينقسم الفكر ويشتغل القلب ووسط الليل خال مما ذكرناه ولهذا خص ابو تمام تهذيب الفكر بالدجى عادلا عن الطرفين لما فيهما من الشواغل المذكورة وحكت الثقات عن ابي عبادة البحتري الشاعر قال كنت في حداثتي اروم الشعر وكنت ارجع فيه الى طبع سليم ولم اكن وقفت له على تسهيل مأخذ ووجوه اقتضاب حتى قصدت ابا تمام وانقطعت اليه واتكلت في تعريفه عليه فكان اول ما قال لي يا أبا عبادة تخير الاوقات وانت قليل الهموم صفر من الغموم واعلم ان العادة في الاوقات اذا قصد الانسان تأليف شيء أو حفظه ان يختار وقت السحر وذلك ان النفس تكون قد أخذت حظها من الراحة وقسطها من النوم وخف عنها ثقل الغذاء * وصفا من اكثر الابخرة والادخنة جسم الهواء * وسكنت الغماغم * ورقت النسائم * وتغنت الحمائم * واذا شرعت في التأليف تغن بالشعر فان الغناء مضماره الذي يجري فيه * واجتهد في ايضاح معانيه *

ويفتش حديثه ويضبط أصوله ويخرج فروعه وان الخليفة لا يألوه خلافا ولا يألونا جوافا جاءنا رجل يصحب السرير ويصحب الحرير ويفرش الحصير ويخوض العبير يخلف بزعمه رجلا كان يقتات الشعير ويمروي البعير ويركب الحمير ويكلم الصغير ويجالس الفقير ويؤاكل الاسير فرق بينهما بعيد هذا وان لم يحسن العشرة ولم يجمل الرأي والنية وفيم علك الامامة وهذا الحسن البصري يتعظ به البدري ويستفيد منه العقبي وتقول عائشة كانه اذا تكلم النبي قال له رجل ما يقول الفقيه فقال له فاها لفيك سفيها وهل رأت عيناك بعد الصحابة فقيها وما أجد للشيخ مثلا الا صاحب النسور والنسور والحديث على بعده مقبول والخبر على ضعفه منقول وعلى الراوي عهدة الخبر وضمان درك الاثر وخفارة الحديث حتى يبلغ مأمنه من القلوب وينزل منزله من القبول ان النسور سمعت

فان اردت التشبيب فاجعل اللفظ رقيقا والمعنى رشيقا * واكثر فيه من بيان الصبابة * وتوجع الكآبة * وقلق الاشواق * ولوعة الفراق * والتعلل باستنشاق النسائم * وغناء الحمائم * والبروق اللامعة * والنجوم الطالعة * والتبرم من العذال * والوقوف على الاطلال * واذا أخذت فى مدح سيد فأشهر مناقبه * وأظهر مناسبه * وأرهب من عزائمه ورغب فى مكارمه * واحذر المجهول من المعانى واياك أن تشين شعرك بالعبارة الرديه والالفاظ الوحشيه * وناسب بين الالفاظ والمعانى فى تأليف الكلام * وكن كانك خياط تقدر الثياب على مقادير الاجسام * واذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت فارغ القلب ولا تنظم الا بشهوة فان الشهوة نعم المعين على حسن النظم وجملة الحال أن تعتبر شعرك بما سلف من اشعار الماضين فما استحسن العلماء فاقصده وما استقبحوه فاجتنبه انتهت وصية ابى تمام * واورد العلامة زكى الدين بن ابى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير وصية لنفسه اوردها ايضا على نوع التهذيب والتأديب فاخترت منها ما هو الائق بالحال واولها ينبغى لك ايها الراغب فى العمل السائل عن اوضح السبل أن تحصل المعنى قبل الشروع فى النظم والقوافى قبل الابيات قلت وهذا مذهب ابى تمام قال ابن ابى الاصبع قال ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص وروى مقصود وتوخ الكلام الجزل دون الرذل والسهل دون الصعب والعذب دون المستكره والمستحسن دون المستهجن ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والنفيس معه خسيس والخواطر ينابيع اذا رفق بها جمت واذا كثر استعمالها نزحت واكتب كل معنى يسنح وقيد كل فائدة تعرض فان نتائج الافكار كلمعة البرق ولمحة الطرف ان لم تقيدها شردت وندت وان لم تستعطف بالتكرار عليها صدت والترنم بالشعر مما يعين عليه فقد قال الشاعر

تغن بالشعر اما كنت قائله * ان الغناء لقول الشعر مضمار

وقد يكل خاطر الشاعر ويعصى عليه الشعر زمانا كما روى عن الفرزدق انه قال لقد يمر على زمان وقلع ضرس من اضراسى اهون على من أن أقول بيتا واحدا واذا كان كذلك فاتركه حتى يأتيك عفوا وينقاد اليك طوعا واياك وتعقيد المعانى وتقصير الالفاظ وتوخ حسن النسق عند التهذيب ليكون كلامك بعضه آخذا باعناق بعض وكرر التنقيح وعاود التهذيب ولا يخرج عنك ما نظمته الا بعد تدقيق النقد وامعان النظر انتهى قلت وهذا لعمرى هو المراد من النوع الذى نحن فى شرحه اعنى نوع التهذيب والتاديب لا كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * ابو امه حى أبوه يقاربه

فان الممدوح ابراهيم بن هشام المخزومى خال هشام بن عبد الملك واما التقديم والتأخير ففى قوله وما مثله البيت فان تقديره وما مثله فى الناس حى يقاربه الا مملكا ابو امه ابوه وسلوك طريق التعقيد فى قوله ابو امه ابوه وكان يجزيه قوله جده وهذا لعمرى هو التعقيد الذى بينه وبين التهذيب والتأديب الذى قررناه بعد المشرقين وقد تقدم قولى ان البديعيين اجمعوا على ان هذا النوع ليس له شاهد يخصه لانه وصف يعم كل كلام منقح فاختصرت الشواهد ليظهر للمتأمل من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات فى هذا النوع اعنى التهذيب

والتاديب

بتأبوته صعدا الى السماء حتى تظن فاكبر الجبال ثم تطأطأ فاكبر الارض ثم تطأطأ فلم يرشيئا كذلك الشيخ الامام قد سمت به الهمة الى حيث ينظر فلا يرى احدا فلينحط من الى الغمام ان لم يتواضع الى الانام ولم وهو بحمد الله ان ذكر الشرف كان بذروته أو الدين تمسك بعروته او العلم احتبى بحقوته او الجود تعلق بحبوته قلت شعرى بن هذى فضائله ماذا الذى يبلغ التعبير ينتظر (وله الى الفقيه الداوردى ابى القاسم) أنجل اطال الله بقاء الفقيه فيخ وهو بالسرقين أقبح والجبى بدعة وهى البشر ابدع ومن الغرائب ان يبخل البشر بما يسلح البشر وكانوا بالبخل على الطيب يعذلون وأراهم فى كل عام يرذلون ووردت رقعة وكيلى يزعم أن وكيله

والتأديب ولكن رأيت العلامة زكى الدين بن أبي الاصبع قد استخص من الشواهد اللائقة بهذا النوع قول القاضى السعيد بن سنا الملك

تغنى عليها حليها اطربابها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

قال وقوله صحيح لو لم تقدم فى صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء حصل بها فى البيت من الرونق ما لا يحسن بدونها او كان البيت خاليا من التهذيب فان بوجودها حصل فى بيته تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية وبذلك تقدم التهذيب فانه لو قال

زهت بأزاهير الجمال وحسنها * وفاحت فقلنا هذه الروضة الغنا

لظهر قلق القافية وتمكين تلك الاولى بسبب تصدير البيت بقوله تغنى انتهى كلام ابن أبي الاصبع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

هو النبى الذى آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس فى القدم

قد تكرر قولى انى لم اكثر من شواهد هذا النوع الا ليظهر فيه من أحرز قصبات السبق من نظام البديعيات والعميان لم ينظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

والله هذبه طفلا وأدبه * فلم يحل هدبه الزاكى ولم يرم

وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تهذيب تاديبه قد زاده عظما * فى مهده وهو طفل غير منفطم

هذا البيت يشتمل ببركة من أدبه ربه فأحسن تأديبه وهو الممدوح صلى الله عليه وسلم على عشرة أنواع من انواع البديع اولها النوع الذى هو شاهد عليه وهو التهذيب والتأديب والانسجام والسهولة والتورية بتسمية النوع والتتميم والتكميل والتمكين والايغال والائتلاف والمبالغة ولولا الخوف من الاطالة لذكرت كل نوع فى موضعه ولكن فى نظر اصحاب الذوق السليم من علماء هذا الفن ما يغنى عن ذلك والله اعلم

(ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس)

(بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يستحل بانعكاس ثابت القدم)

هذا النوع سماه قوم المقلوب والمستوى وسماه السكاكى مقلوب الكل وعرفه الحريرى فى مقاماته بما لا يستحيل بالانعكاس وهو ان يكون عكس البيت أو عكس شطره كطرده وهذا النوع اعنى ما لا يستحيل بالانعكاس غايته ان يكون رقيق الالفاظ سهل التركيب منسجما فى حالتى النثر والنظم وجاء منه فى الكتاب العزيز (كل فى فلك) (وربك فكبر) ومن الكلام الذى رق لفظه (ارض خضرا) وأورد الحريرى فى مقاماته (ساكب كاس) وزاد فى العدة (كبر رجاء أجر ربك) وزاد فى العدة ايضا فقال (لذ بكل مؤمل اذا لم وملك بذل) قلت هذا الكلام الذى زاد الحريرى فى عدة كلماته صحيح التركيب فى طرده وعكسه ولكن لم يخف على الحذاق واصحاب السجايا الرقيقة ان التكلف طوق جيده بطوق العقادة وذكروا أن العلامة

منعه روث الوادى فلا أدرى أى الوكيلين ألأم أصاحب الغوث أم صاحب الروث وأيهما انتن واتق من السرقين منعه واخبث من منعه رفعه

فان يكن شجر الاترج طاب معا اصلا وفرعا وطاب العود والورق

فان قدر عسيب الكلب خس معا قدرا وقدرا وخس اللحم والمرق

(وله الى أبى الحسين الجيرى)

انت ادام الله عزك طرفك جاف ولطفك خاف فاما عتابك فجنون محض وسباب صرف ولا علمت ان لا تعاتبنى احدا ولا تكاتبنى ابدا واذا نسبت لى محلة فلا تنسبن لك الصاقب وكيف ترى السهى عينك ولا ترى النجم

ذكر ما لا يستحيل بالانعكاس

القاضي فتح الدين بن الشهيد صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس تغمده الله برحمته ورضوانه وصل في تركيب هذا النوع الى أكثر من هذه العدة ولكن ما وقفت له على شيء من ذلك واغا مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك المحروسة الاسلامية عظم الله تعالى شأنه أخبر المملوك أنه وقف على ما نثره القاضي فتح الدين المشار اليه في هذا النوع قبل تيمورلنك وذكر أنه في غاية العقادة وقد تقدم القول وتقرر أن المراد من تركيب هذا النوع نثرا كان او نظما غير كثرة العدد والمبرز فيه هو الذي يأتي به رقيق الالفاظ سهل التركيب رافلا في حلل الانسجام وممن استوعب هذه الشروط في كلام منثور مولانا قاضي القضاة شرف الدين شيخ الاسلام ابن البارزي الجهني الشافعي نور الله ضريحه بقوله (سور حماه بربها محروس) ومن الغايات ايضا في هذا النوع قول العماد الكاتب وقد مر عليه القاضي الفاضل راكبا (سر فلا كبا بك الفرس) فاجابه الفاضل على الفور وقد علم القصد (دام علا العماد) وقال الحريري في المقامات ان أحببت ان تنظم * فقل للذي تعظم

اس أرملا اذا عرا * وارع اذا المرء أسا

قلت وهذا النظم ايضا لا يخفى انه يتجافى عن الرقة بغليظ لفظه ومن الشواهد المقبولة على هذا النوع في النظم قول الشاعر

عج تنم قربك دعد آمنا * انما دعد كبرق متنجع

ومنها أراهن نادمنه ليل لهو * وهل ليلهن مدان نهارا

والذي وقع عليه الاجماع أن أبلغ الشواهد على هذا النوع الذي استوعب ناظمه فيه الشروط التي تقدم ذكرها قول القاضي الارجاني

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

ومثال شطر البيت الذي نسجت أبيات البديعيات على منواله (أرانا الاله هلالا أنارا) وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على هذا النوع

هل من يتم بحب من يتم له * بمارموه كمن لم يدر كيف رمى

قلت الشيخ صفي الدين الحلي غفر الله له غير مشكور في نظم هذا البيت فان الطرد والعكس لم يأت به الا في الشطر الاول وهو غير ملتزم تسمية النوع فان تسمية هذا النوع بما لا يستحيل بالانعكاس تستوعب جزأ كبيرا من البيت ومع عدم التزامه بشيء من ذلك جاء بيته في غاية العقادة ولظلمة عقادته لم يلح لي فيه لمعة أهتدي بها الى فهم معناه وأعجب من ذلك ان البيت مبني على مديح النبي صلى الله عليه وسلم والبيت الذي قبله

من مثله وذراع الشاة كلمه * عن سمه بلسان صادق الرنم

والبيت الذي بعده

هو النبي الذي آياته ظهرت * من قبل مظهره للناس في القدم

فبيت مالا يستحيل بالانعكاس بينهما أجنبي ونسبه بعيد من شرف هذين البيتين المنتسبين

الثاقب آخبرني عن رجل من اخوانك ينمه مكة ايابك وموته خير من حياتك ان لم تزنك صحبته لم تشنك وان لم ينفعك لم يستقدمنك غبت عنه شهورا فلم تكاتبه ولم يهاتيك حتى اذا ابتدأنك عائدا بخلقه على خرقك انشأت تشتم عرضه كيف لم يبلغ فضل كتابه اليك فسخفت عقله وخبثت اصله ونسبت الى اللوم عهده يا ابا الحسين لئيم عهد من كتب فصلا وكريم عهد من لم يكتب اصلا والله لو بلغت المبلغ الذي انت اليوم دونه وكنت الرجل الذي تطمع أن تكونه لكفاك من التيه بعض ما انت فيه فاما الآن والحال من الضعف بحال والايام كانها البال والقفا كالوجه بال والكيس

الى

الى النبي صلى الله عليه وسلم والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يسخل بانعكاس في سجيته * مدن أخاطم معط أخا ندم

قلت الشيخ عز الدين رحمه الله تعالى يعذر هنا اذا احتجبت عنه مسالك الرقة لالتزامه بتسمية النوع الذي استوعب جزأ كبيرا من بيته وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بحر وذو أدب بدا وذو رحب * لم يسخل بانعكاس ثابت القدم

وقد حبست عنان القلم هنا عن الاطناب في انسجام هذا البيت ورقة ألفاظه وتمكين قافيته علما أن في انصاف أصحاب الذوق السليم من أهل الادب ما يغني عن ذلك والله أعلم

(ذكر التورية)

(أوصافه الغر قد حلت بتورية * جيدي وعقد لساني بعد ذا وفي)

التورية يقال لها الايهام والتوجيه والتخيير والتورية اولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته واظهرت غيره كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر وهي في الاصطلاح أن يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع أول وهلة أنه يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمي هذا النوع ايهاما ومثل ذلك قول ابي العلاء المعري

وحرف كنون تحت راء ولم يكن * بدال يؤم الرسم غيره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم انه يريد براء ودال حرفي الهجاء لانه صدر بيته بذكر الحروف وأتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هو المعنى القريب المتبادر أولا الى ذهن السامع والمراد غيره وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب لان مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها وبراء اسم الفاعل من رأى اذا ضرب الرئة وبدال اسم الفاعل من دلا يدلو اذا رفق في السير وبالرسم أثر الديار وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت رجل يضرب رئتها ولم يرفق بها في السير فهو غير دال وقد تقدم ان الدالي هو الرفيق ويؤم بها دارا غير المطر رسمها واجتماع هذه الاوصاف دليل على ضعف الناقة لانها لو كانت قوية لما احتاجت الى ضرب رئتها والى الرفق بها مع شدة شوقه الى ديار أحبابه وذلك باعث على شدة السير قال حذاق الادب تراكيب التورية في هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتأخرين وطلاوة ألفاظهم وزخارف بيوتهم تستحق قول القائل

وما مثله الا كفارغ حمص * خلي من المعنى ولكن يفرقع

لان هذا النوع اعني التورية ما تنبه لها سنه الامن تأخر من حذاق الشعراء وأعيان الكتاب ولعمري انهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الادب الى أن دخلوا اليه من باب فان التورية من أغلى فنون الادب وأعلاها رتبة وسحرها ينفث في القلوب ويفتح بها ابواب عطف

التورية

مثل الرأي خال والعم في السوق عال والقدر طيف خيال فأغنى ما انت عنه ما انت فيه وأحوج ما انت اليه ما الست نحوم حواليه والسلام

(وله الى رجل سأل مسكرا وتقاضاه في يوم مطير)

عافاك الله العاقل ان وافا ابوه على جمل البريد من المضرب البعيد في الطلب الشديد يوما هذا لم تستقبل جائزته وان مات لم تشهد جنازته وحل الى الركب ومطر كانوا له القريب ورجل ظاهر النفاق يلتمس منه الشراب وهو لا يعرف قربه فكيف شربه على انك الى السكر احوج منك الى السكر الا ترى كيف من الله تعالى على

وحجبة وما برزشمسها من غيوم النقد الا كل ضامر مهزول * ولا آحرز قصبات سبقها من المتأخرين غير الفحول * ومما يؤيد قولى هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى فى ديباجة كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام ومن البديع ما هو نادر الوقوع * ملحق بالمستحيل الممنوع * وهو نوع التورية والاستخدام * فانه نوع تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرامى المرام *

نوع يشق على الغبي وجوده * من أي باب جاء يغدو مقفلا

لا يفرع هضبته فارع * ولا يقرع بابه قارع * الا من نحو البلاغة نحوه فى الخطاب * وتجرى ريحها بامره رخاء حيث أصاب * وقال الزمخشرى وهو حجة فى هذا العلم ولا نرى بابا فى البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب ولا أنفع ولا أعون على تعاطى تأويل المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضى الله عنهم أجمعين فمن ذلك قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين أحدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب المورى به الذى هو غير مقصود لان الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذى ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم حين سئل فى مجيئه عند خروجه الى بدر فقيل لهم ممن أنتم فلم يرد أن يعلم السائل فقال من ماء أراد أنا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة يقال لها ماء ومنه ما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يزال المنام طائرا حتى يقص فاذا قص وقع ففى الكلام توريتان لفظة طائر ولفظة يقص ويحتمل ايضا ان يكون فى لفظة وقع تورية ثالثة ومنه قول أبى بكر رضى الله عنه فى الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم من هذا فقال هاد يهدينى أراد ابو بكر رضى الله عنه هاديا يهدينى الى الاسلام فورى عنه بهادى الطريق وهو الدليل فى السفر وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل * وافكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير قصد لانهم على كل حال ولاة هذا الشان وادلة هذا الركب وقيل ان اول من كشف غطاءها وجلا ظلمة اشكالها ابو الطيب المتنبى بقوله

برغم شبيب فارق السيف كفه * وكانا على العلات مصطحبان

كان رقاب الناس قالت لسيفه * رفيقك قيسى وانت يمانى

يريد أن كف شبيب وسيفه متنافران فلا يجتمعان لان شبيبا كان قيسيا والسيف يقال له يمانى فورى به عن الرجل المنسوب الى يمن ومعلوم ما بين قيس ويمن من التنافر قلت وكان من قال ان ابا الطيب أول من كشف غطاء التورية ما لمح قول عمرو بن كلثوم فى معلقته عن الخمرة

مشعشعة كان الحص فيها * اذا ما الماء خالطها سخينا

الشاهد هنا فى سخينا فان العرب كانوا يسخنون الماء فى الشتاء لشدة برده ثم يمزجونها به فسخينا على هذا التقدير نعت لموصوف محذوف والمعنى فاضحى شرابا سخينا وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل السخاء الذى هو عبارة عن الكرم وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ومراد الناظم ومما يؤيد قولى انه المراد قول الجوهرى فى الصحاح قول من قال سخينا من السخونة نصب على الحال ليس بشئ فان المراد لما خالطها الماء ومزجت به طبنا وسخينا

البيوت بالثبوت وعلى السقوف بالوقوف انتم والماء سلطانك والطين حيطانك اتسكن والطين جدرانك والانهار جيرانك ألا تنتظر هذا المطر أمطر عمارة أم مطر خراب وسقيا رحمة ام سقيا عذاب (وله فى تهنئة فتح الجابية ببلخ وهذا آخر كتاب انشاء ومات يوم الجمعة الحادى عشر من جمادى الاولى سنة ثمان وتسعين وثلثمائة) * كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل السيد من هراة عن سلامة وصنع الله جميل وسلطانه عزيز وكيده متين والحمد لله رب العالمين

بامو النا كقول عنترة

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم

والحص هو الزعفران على احد الاقوال وهو الذي شبه صفرتها به فان قيل سخا مضارعه يسخو ويسخو من ذوات الواو فلا يجوز أن يكون سخينا فعلا على هذا التقدير فالاجماع عند اهل اللغة أنه يقال سخا يسخا وسخا يسخو وهذا مذهب الجوهري في الصحاح وعلى هذا التقدير فاشتراك التورية في سخينا صحيح ممكن من الوجهين انتهى وكشف ايضا عن قناع التورية في شعره النابغة الذبياني بقوله

خيل صيام وخيل غير صائمة * تحت العجاج وأخرى تعلك اللجما

اراد بالصيام ههنا القيام وورى بقوله تعلك اللجما عن الصيام واورد السكاكي في المفتاح للعرب من هذا الباب

حملناهم طرا على الدهم بعدما * خلعنا عليهم بالطعان ملابسا

أراد بالحمل على الدهم تقييدهم وأوهم بالركوب على دهم الخيل قلت وقبل المتنبي ايضا بزمن طويل قال ابو نواس

فتنت قلبي محببة * وجهها بالحسن منتقب

قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام امتحنت بيت ابي نواس جماعة ممن حاضرتهم وذاكرتهم وعاطيتهم كؤوس الادب وعاشرتهم فبعضهم استخرج منه النكتة * وبعضهم لم أجد له اليها الفتة * وقال البحتري

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

الشاهد في قوله تملح فانه يحتمل ان يكون من الملوحة التي هي ضد العذوبة وهو المعنى القريب الموري به ويحتمل ان يكون من الملاحة وهو المعنى البعيد الموري عنه وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين قوله ملية بالحسن واما ابو العلاء فانه أتى في التورية بامة خفية الايماء شديدة العقادة والتكلف كما تقدم وكقوله

حروف سرى جاءت لمعنى اردته * برتني اسماء لهن وافعال

اذا صدق الجد افترى العم للفتى * مكارم لا تخفى وان كذب الخال

الجد هنا مشترك بين ابي الاب والسعد ومراده السعد والعم مشترك بين أخي الاب والجماعة من الناس ومراده الجماعة والخال مشترك بين أخي الام والظن ومراده الظن قلت زحوف هذا البيت ايضا لا تخفى انه مكسوف بدخان العقادة اين هذا من قول الشيخ تقي الدين السروجي

في الجانب الايمن من خدها * نقطة مسك اشتهي شمها

حسبته لما بدا خالها * وجدته من حسنه عمها

ومثله في اللطف والظرافة قول الشيخ عز الدين الموصلي

لحظت من وجنتها شامة * فابتسمت تعجب من حالي

قالت قفوا واستمعوا ما جرى * قد هام عمي الشيخ من خالي

والصلاة على محمد وآله اجمعين وهذا ورب الكعبة آخر ما في الجعبة لقد انصف القاره وصحا السيف ما قال ابن داره ثم لا تزوة بعدها الترك ولا تحكم بعدها بالملك لقد كاس السلطان اعز الله نصره اذ عفر لله شعره وعرض على الله فقره وفوض الى الله أمره ونذر لله نذره وناهض بالله خصمه وسأل الله حوله ولم يعجبه كثرة الملا حوله ولم يشغل بخيوله وفيوله بذا لشد الله آزره وقوى أسره واعز نصره وأقطعه عصره واطعمه ملكه واورثه ارضه انما الظفر بأسبابه والموفق يأتي الامر من بابه والمخالفون ادام الله تمكين الشيخ الجليل وان اكلوا الحديد وخاضوه وسروا الى الموت وخاضوه وبلغوا العذر وجاوزوه

قلت وإذا وقع الاجماع على ان المتأخرين هم الذين سموا الى افق التورية واطلعوا شموسها * ومازجوا بها أهل الذوق السليم لما أداروا كؤوسها * وقيل ان الفاضل هو الذى عصر سلافة التورية لاهل عصره * وتقدم على المتقدمين بما اودع منها فى نظمه ونثره * فانه رحمه الله تعالى كشف بعد طول التحجب ستر حجابها * وانزل الناس بعد تمهيدها بساحاتها ورحابها * وممن شرب من سلافة عصره * وأخذ عنه وانتظم فى سلكه بفرائد دره * القاضى السعيد ابن سنا الملك ولم يزل هو ومن عاصره مجتمعين على دور كاسها * ومتمسكين بطيب أنفاسها * الى ان جاءت بعدهم حلبة صاروا فرسان ميدانها * والواسطة فى عقد جمانها * كالسراج الوراق وابى الحسين الجزار والنصير الحمامى وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام وجاء من شعراء الشأم جماعة تأخر عصرهم * وتأزر نصرهم * ولان فى هذا النوع هصرهم * وبعد حصرهم * كل ناظم تود الشعرى * لو كانت له شعرا * و يتمنى الصبح لو كان له طرسا والغسق مدادا والنثرة نثرا * ما جلا من بنات فكره خودا الا شاب لحسنها الوليد * وسيرها فى الآفاق وبين يديها من النجوم جوار ومن الشعراء عبيد * كالشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصارى شيخ شيوخ حماة والامير مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى ومحيى الدين بن قرناص الحموى وشمس الدين محمد بن العفيف وسيف الدين بن المشد وقال الشيخ صلاح الدين فى اواخر ديباجة كتابه المذكور ومع هؤلاء جماعة يحضرنى ذكرهم عند شعرهم * ويعز على اذ لم ارهم على تكاثرهم اقوات عصرهم * وتلطف بقوله بعد ذلك ولا تقل ايها الواقف على هذا التأليف لقد افرطت فى التعصب لاهل مصر والشام * على من دونهم من الانام * وهذا باطل ودعوى عدوان * وحمية لاوطانك ومن جاورها من البلدان * فالجواب ان الكلام فى التورية لا غير * ومن هنا تنقطع المادة فى السير * ومن ادعى انه يأتى بدليل وبرهان * فالمقياس بيننا والشقراء والميدان * انتهى كلام الشيخ صلاح الدين الصفدى قلت قد تقدم وتقرر أن التورية عند علماء هذا الفن بمنزلة الانسان من العين * وسموها فى البلاغة سمو الذهب على العين * وقد ثبت ان خواطر المتقدمين كانت بها شحيحة * وافكارهم لا تقصد مظانها وان كانت سليمة صحيحة * لكنها ربما وقعت لهم عفوا من غير مرام * فنقول انها رمية من غير رام * وقد علم أن المتأخرين من الفاضل الى من فضل بعدهم نوروا مشكاتها * والمتفكهون فى ادواح الادب بثمراتها * فاذا جليت عرائس افكارهم على اختلاف أنواع التورية لا يمل المتأمل * اللهم الا ان يكون سيف ذهنه كليلا فيقول انه من هذا الفن متنصل * فان هذه العرائس لم تبرز لمتأمل الا من خدور هذا الكتاب * واذا طلبها من غيره توارت عنه بالحجاب * فاذا سرح المتأمل طرفه وامسى فى كل واد من محاسنها يهيم * وتنوعت حلاوات انواعها لذوقه السليم * جردت سيف العزم والفت لكل نوع حدا * ونظمت له من انواع التورية واقسامها فى سلك هذا النوع عقدا * قال الشيخ صفى الدين الحلى لم يذكر فى شرح بديعيته نوعا من انواع التورية ولا قسما من اقسامها بل ذكر حد التورية الذى أجمع الناس عليه وقال هى أن يأتى

وجهدوا القتال وصدقوا المصاع واشبهوا السباع فقد حكم الله لهم بالفشولة بعد الهزيمة وطرق اليهم الذم والشتيمة فهؤلاء الاشقياء الذين هم فراش النار وقماش الدار وأوباش القرار وخشاش الارض وعلق السيف وحشرات السيف ولفيف السبيل على سخيف الحبل لا يلزمون دارهم ولا يعرفون مقدارهم أولا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة او مرتين لا صبر فى القتال ولا نوم فى الرحال وعدة فوقها صلف وراعدة تحتها قصف يا ابناء الاماء ورعاء الشاء وحلب السقاء وغثاء الماء وجمع الغوغاء والقواعد من النساء الا يذهب احدكم لشانه الا يلزم رجل قطع لسانه الا يقف عند حده ما للتاج

المتكلم

المتكلم بلفظة مشتركة بين معنيين قريب وبعيد فيذكر لفظا يوهم القريب الى ان يجيء بقرينة يظهر منها ان مراده البعيد قلت ومن أين يعرف الطالب من هذا الحد التورية المجردة والتورية المرشحة وقسميها والمبينة وقسميها والمهيأة وأقسامها وكذلك العلامة زكي الدين ابن أبي الاصبع لم يذكر في كتابه المسمى بتحرير التحبير نوعا من أنواعها ولا قسما من أقسامها مع ان كتابه ما وضع في هذا الفن له نظير بل قال التورية وتسمى التوجيه وهي أن يكون الكلام يحتمل معنيين فيستعمل المتكلم احد احتماليها ويهمل الآخر ومراده ما أهمله لا ما استعمله وأما صاحب التلخيص فانه قال مشيرا الى البديع ومنه التورية وتسمى الايهام أيضا وهي أن يطلق لفظ له معنيان قريب وبعيد وهي ضربان مجردة ومرشحة ولم يزد على هذا القدر شيأ واذا أردت ما وعدت بايراده من طلاوة المتأخرين في التورية شرعت في الكلام على أنواعها واقسامها ليسير ركب الادب في طرقها المتشعبة بدليل * ويبصر لديباجة هذا النوع تفصيل * وقد قدمت ذكر الفاضل ومن فضل بعده في باب الاستخدام ولكن لم يمكن اختصارهم في باب التورية فانهم فرسان حلباتها * وأجل من سكن غريب نظمه بابياتها وكل ما أوردته لهم ولغيرهم من التورية في غرابه * تعين نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب باقاربه وانسابه * فمن مخترعات القاضي الفاضل في التورية قوله من مديح قصيدة طائية وهي نكتة لم تختلج في صدر غيره وهو

أما الثريا فنعل تحت أخمصه * وكل قافية قالت لذا الشطا

ومثله قوله

في خده فخ لعطفة صدغه * والخال حبته وقلبي الطائر

ومثله قوله

وكنت وكنا والزمان مساعد * فصرت وصرنا وهو غير مساعد
وزاحمني في ورد ريقك شارب * ونفسي تأبى شركها في الموارد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلي وقال

لقد كنت لي وحدي ووجهك جنتي * وكنا وكانت للزمان مواهب
فعارضني في ورد خدك عارض * وزاحمني في ورد ثغرك شارب

ومن نظم الفاضل أيضا في بواب يلقب بالبحري

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها انا قد وليته دونكم ظهري
وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خراني الشط في لحية البحر (ى)

ومثله قوله

عاتبته فتضرجت وجناته * والقلب صخر لا يلين لقاصد
فنظرت من ذا في حرير ناعم * وضربت من ذا في حديد بارد

ومن اختراعاته التي لم تجل في فكر غيره قوله من مديح قصيدة عادلية

وهذا التراب ام خد لثمنا * فآثار الشفاه عليه شامه
وهذا الدر منثور ولكن * أروني غير أقلامي نظامه
وهذي روضة تندى وسطاري * بها غصن وقافيتي حمامه

وأهل النتاج أالى الموت يعبرون ام للرؤيا يعبرون انه الجلاد ثم البلاد مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده كتب الله لغلبن السلطان وراءك ان السيف أمامك وخلفك ان الموت قدامك وارضك ارضك ان تأتنا ثم نومة ليس فيها حلم ان المغازى قد عادت مخازى الارب واكض نادم ورب سوط ظالم ورب عثور الى ثبور ورب طمع اهدى الى طبع وان هذا الفتح فتح حفظ على الشريعة ماءها وعلى النفوس دماءها وعلى السنة ذماءها وعلى الاموال نماءها وعلى الحرم غطاءها اعاد الله به البلاد خلقا جديدا وانشأ للناس نشأ جديدا وعقد الملائكة عقدا ما ريقا فالخلق يوم الفتح بان يتخذ عيدا

ومنه قوله أيضا

بالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا
يا قلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك ان يكون جميلا

ومنه قوله وأجاد الى الغاية

وقائل وثب الاعداء قلت له * كما الفراش على نسر انه يثب
فان ثوب الذى عادا كم كفن * كما بيوت الذى عاصا كم ترب
بالمغتوهم مناهم فى ترفعهم * والقوم ما ارتفعوا الا وقد صلبوا
هل السيوف عيون فى الجفون لكم * فانها لغراب البغى ترتقب

ومن نثره فى هذا الباب قوله فى يوم شديد المطر والبرد * والخادم فى رأس جبل يتلقى الرحمة غضة قبل أن يبتذلها الناس * و يصافح الرياح عاصفة قبل أن تقسمها الانفاس * و يتلقى الرعد بالرعدة * واذا السماء انشقت استصحاها المملوك بالسجدة * وقد تقدم القول ان ممن أخذ عنه ونهل من موارده العذبة القاضى السعيد ابن سنا الملك فمن نظمه فى هذا الباب قوله

أما والله لولا خوف سخطك * لهان على ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

ومنه قوله أيضا

وفى الحى من صيرتها نصب خاطرى * فما آذنت فى نازل الشوق بالرفع
تتيه بفرع منه أصل بليتى * ولم أر أصلا قط يسعى الى فرع

ومنه قوله

ليس الادمعى الذى من رأى جفـ * ـنى رآه كان دمعى هدبى
أنجم الدمع لاتغيب شروقا * مع انى رأيتها فى الغرب

ومنه قوله

صفاتك فى كل الوجوه صحيحة * فلحظك نصبى وهو ان صحفوا يسبى
حرست الحشا من ناظريك بصارم * فكسره ذا الناظر الجفن من ذلك الضرب

ومما سبق اليه الناس فى هذا الباب قوله

وفى القلب تصديع وفى الوصل جبره * وفى الخد دينار وفى الجفن كسره

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

فى خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وتلاعب الناس بعد ابن سنا الملك بهذا المعنى كثيرا حتى وصل الى المعمار فقال

كم حوى جفنى معنى * قلت ألفا وكسورا

ولم يزل ابن سنا الملك يتلاعب فى التورية باختراعاته ويسكنها فى عامر أبياته الى ان ظهر بعده السراج فلاعبها بنور مشكاته وتعاصر هو وابو الحسين الجزار والنصير الحمامى وتطارحوا كثيرا وساعدتهم صناعتهم والقابهم فى تطم التورية حتى انه قيل للسراج الوراق لولا لقبك

وصناعتك

ويجعل فى المسرات تاريخا وليس العقد مع الله بانشوطة فاوفوا الله عهده كما صدقكم وعده واما عهده عند السلطان اعز الله نصره أن يحسن النظر وعند الشيخ أن يحسن المحضر وهراة من البلاد شعة هذه الدولة وعيناها فان حط عن جملتها القلادة وفك عن عشيرتها الزيادة فلله هذا النظر ما احلى ثماره واكرم آثاره وللشيخ الجليل فى تشريف العبد بالجواب الفضل والعلو ان شاء الله تعالى

(وله فى قتل ابى عثمان رحمه الله)

كتبت اطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام بهجته وبهجة الدنيا به ورفعته ورفعة الدين بمكانه وحرس مهجته وقدم المهج دونها وكبت اعداءه آمين وانا عائد

ومما عدل الذهب في صفة شعر لتنفي ذلك قوله

شعر بي مذ رمدت قد عبست * طرفي عنكم فصرت محبوسا
الحمد لله زاد لي شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

وقال من أبيات فيمن تلقب بالضياء وأجاد

أمولانا ضياء الدين دم لي * وعش فبقاء مولانا بقائي
فلولا أنت ما أغنيت شيأ * وما يغني السراج بلا ضياء

ومثله قوله فيه

وما أنا سائر في ليل خطب * تساوى الصبح فيه والمساء
فلا أنا مثل ما أدعى سراج * ولا هو مثل ما يدعى ضياء

ومنه قوله

وكنت حبيبا الى الغانيات * فألبسني الشيب هجر الشبيب
وكنت سراجا بليل الشباب * فأطفأنوري نهار المشيب

وكتب الى بعض الرؤساء

بكتبك راج لي آملي وقصدي * وفي يدك النجاح لكل راج
ولولا أنت لم ترفع مناري * ولا عرف الورى قدر السراج

ومنه قوله يتقاضى من بعض الرؤساء شمعا

ما علينا ضوء وقد أبطأ الشمع فقوض به خيام الدياجي
وتدارك بيتا لبيه ظلام * لم يكد يجلي بنور السراج

وقال وقد اجتمع شمس الدين بيلبك وبدر الدين آق سنقر

لما رأيت الشمس والبدر معا * قد أنجلت دونهما الدياجي
حقرت نفسي ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

وظريف قوله في هذا الباب

بي اقتدى بالكتاب العزيز * وراح ليرى سعيا ولاجا
فما قال لي افمذ كان لي * لكونى باوالكونى سراجا

ومنه قوله أقول لي يوم شتاله * من صحبه ماخاف النبلا
خرجت من بيتي سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

وكتب الى أبي حسين الجزار في عيد الأضحى

اجيبت بعيد النحر من كان سائلي * عن الحال في عيدي وقدم ذكره
اذا بطل الجزار والعيد عيده * فلا تسأل الوراق فالعذر عذره

ومنه قوله

الهي لقد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التي ليس تكفر
وعمرت في الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا قالوا السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسي فسرني * وما ساءني أن السراج منور

الله من نعمته وبثبته من دولته قوى الظهور مستظهر على الدهر والحمد لله حق حمده والصلاة على محمد النبي وآله والشهادة أدام الله عز الشيخ الجليل غنيمة لا يدركها كل غاز أنا اريدها وآخر يستفيدها وزيد يعشقها وعمرو يرزقها ويتعرض لها ابو الفضل من همذان وتعرض على الحاكم ابي عثمان قتل والله كما تقتل الكلاب وشق بطنه كما يشق الجراب وهريق دمه كما يهراق الشراب وقطف رأسه كما تقطف الاعناب وقصد القصاب آمنا الايصاب باضيعة الدنيا وضيعة اهلها والمسلمين وضيعة الاسلام واقلة ثكل السلطان العظيم وتغافل وتسامح

ومن اظرف ما وقع له فى هذا الباب قوله

كم قطع الجود من لسان * قلد فى نظمه النحورا
فهاانا شاعر سراج * فاقطع لسانى ازدك نورا

ومثله قوله

اثنى على الانام انى * لم اهج خلقا ولا هجانى
فقلت لاخير فى سراج * ان لم يكن دافئ اللسان

ومثله قوله

اذا بحت بالشكوى عنيت معاشرا * بلا راحة فى مدحهم أتعبوا ذهنى
يريدون نفى رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

وكتب اليه الامير نصير الدين الحمامى وهو مقيم بالروضة

كم قد ترددت للباب الكريم لكى * ابل شوقى واحيى ميت اشعارى
وأنثنى خائبا مما أؤمله * وانت فى روضة والقلب فى نار

فكتب اليه السراج

الا نزهتنى فى روضة عبقت * انفاسها بين ازهار واثمار
اسكرتنى بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
فلا تقل طفل فينا السراج ومن * اولى بأن قال ان القلب فى نار

وقال النصير يوما للسراج الوراق قد عملت قصيدة فى الصاحب تاج الدين واشتهى ان تثنى عليها بحضرته وسيرها الى الصاحب فلما انشدت بحضرة السراج قال السراج بعد ما فرغ منها

شاقنى للنصير شعر بديع * ولمثلى فى الشعر نقد بصير
ثم لما سمعت باسمك فيه * قلت نعم المولى ونعم النصير

ومنه قوله

طوت الزيارة اذ رأت * عصر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت اهرب وهى تسأل جارة من بعد جاره
وتقول يا ستى استرحنا لا السراج ولا المناره

ومما ورى به عن صناعة الوراقة قوله

نصب الحشا غرضا فقرطس اذ رمى * وهى القلوب سهامها الاحداق
وسألته وصلا فقال يحجنى * ياليت شعرى من هو الوراق

ومثله قوله

يا خجلتى وصحائفى سود غدت * وصحائف الابرار فى اشراق
وموبخ لى فى القيامة قال لى * اكذا تكون صحائف الوراق

ومن لطائفه فى غير لقبه وصناعته قوله

قالوا وقد ضاعت جميع مصالحى * لهموم نفس ليت لا احملتها

الشيخ الجليل وتساهل ان اقصا الانتصاف الى وان الله على الانتقام لقوى والمحنة أدام الله عز الشيخ الجليل فى ذهاب ذلك العالم المسلم دون المحنة فى بقاء هذا الظالم المظلم ولئن ساغ لهذا الفاسق ما فعل ليرحص نجيم المسلم وليراق دم العالم وليصيرن كل سكين منشور ولاية ثم ليقسمن الطرق على الراقع وليس دم المسلم ويسير عند ربه ولزوال الدنيا على الله أهون من صبه أليس الله تعالى يقول من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكانما أحيا الناس جميعا وانا اعيذ بالله هذه الدولة من ان توصم بتعطيل الحدود أو توسم باهدار الدماء وعسى الله ان يوفق الشيخ الجليل

قد كان عندك يا فلان صريعة * فاجبتهم بعت الحمار وبعتها

ومنه قوله

رفضوا الشعر جهدهم ورموه * بينهم بالهوان والازدراء
فلوان الكتاب كان بايديهم محوا منه آية الشعراء

وله فى المعنى وأجاد

يا بنى الآمال قد خاب الرجا * وقد اشتدت وقد عز العزاء
سفن الآمال فى بحر المنى * وحلت منا فأين الرؤساء

وقال فى المعنى

أصون اديم وجهى عن أناس * لقاء الموت عندهم الاديب
ورب الشعر عندهم بغيض * ولو وافى به لهم حبيب *

ومن لطائفه قوله

وقائل لى لما أن رأى قلقى * من انتظارى لآمال تعمدنا
عواقب الصبر فيما قال اكثرهم * محمودة قلت أخشى أن تخرينا

ومن لطائفه بعد تخرينا قوله

اتيت أرجيه فى حاجة * فلم تنبعث نفسه الجامده
وقتل فى ذقنه والنفوس * تعاف المفتلة الباردة

ومنه قوله

دع الهوينا وانتصب واكتسب * واكدح فنفس المرء كداحه
وكن عن الراحة فى عزلة * فالصفع موجود مع الراحه

وانشده الجزار وهو يسرح ذقنه مماجنا

لا تعجبن من ابلاسى * فكل أمرى ابس
والله ما ثم مال * وانما ثم نفس

فاجابه على الفور

صدقت ما ثم مال * وانما ثم نحس
وثم اخرى وأخرى * فيها وعندك حدس

ومنه قوله

ومعمومات روس باكرتنا * بطيب شذا ولا طيب العروس
فقمت بما يليق بها فقالت * يحق لك القيام على الروس

ومنه قوله

واحمق اضافنا بيقله * لنسبة بينهما ووصله
فمن أقل ادبا من سفله * قد مد فى وجه الضيوف رجله

ومنه قوله

وسائل يسأل منى وقد * انشدت شعرا دونه الشعرى
يقول لى اذ كنت فى معشر * قد عبدوا البيضاء والصفرا

لتداركت هذا الامر ان ذلك
على الله يسير وقد جعل
الله هذه الدولة مثابة للناس
وليس الاسلام بمجال ظفر
من صاحب بدعة أو كفر
ما أدام الله نضارتها وأدام
الائمة طلب الكفار بعد
الاسفار ورد على خادم الشيخ
الجليل كتاب من أقصى
خراسان والعراق بحديث
تسارفلان وصاحبه فلان
وذكروا مع رفتهما باحوال
الثغور وممارستهما لما يعرض
بها من الخطوب وأن أعين
المرابطين والغزاة طامحة
الى نصرة من السلطان
المعظم أعز الله نصره وقد
بعثوا بهما وفدا وقدرا أنهما
يجدانى بالحضرة فاكون
لهما لسانا وتنجزا الى كتابا
معلما لى ولو امكننى النهوض
لاحتسبته لهما واذا لم
ينهض قدمى فقد نشاب
قلبى والشيخ الجليل يرى عالى
رأيه فى تقريبهما النصرة الله

هل حصلت دائرة بينهم * قلت بلى بطيخة خضرا

ومنه قوله

مدحته جهدى فما اهتز من * قولى ونادى الناس كم تتعب

فقلت أرجو زبدة قيل لى * فاتك أين اللبن الطيب

ومن لطائفه أيضا قوله

كان أيرا صار سيرا * يلطم الاكساس سحره

كيف لا يتقرن عنى * وصحى شيب ودره

ومنه قوله

فسرلى عابر مناما * فصل فى قوله واجمل

وقال لا بد من طلوع * فكان ذاك الطلوع دمل

ومنه قوله وقد طلب شرابا فما وصل اليه

لا تطمعن براحة من معشر * سادوا بغير ما آثر السادات

قطعت عن المعروف أيديهم وقد * سرقوا العلا نخلت من الراحات

ومن نكته البديعة فى مدائحه قوله

رأيت قطوف عفوك دانيات * فمن على المدى نجنى ونجنى

وكم بات المسىء قرير عين * وسيفك ان حلت قرير جفن

وكتب الى فتح الدين بن عبد الظاهر

انا فتحت وعدك واعد أملى بما * يرجوه من ظفر ومن نجح

اذ قال أين الجود قلت أجيبه * مع أين مبنى على الفتح

ومنه قوله

ومبخل بالمال قلت له له * بندى وظنى فيه ظن مخلف

جمع الدراهم ليس جمع سلامة * فاجابنى لكنه لا يصرف

وكتبت فى هذا المعنى الى الخواجا شهاب الدين بن لؤلؤ الذهبى بدمشق المحروسة وقد مطلنى فى صرف دنانير احلت بها عليه

قد منعتم صرف الدنانير عنى * ولكم فى الورى هبات كثيره

وأنا شاعر وفى شرع نظمى * صرفها واجب لاجل الضروره

وكتب السراج الى بعض اصحابه يطلب كتابا

لك فى المكارم سنة مألوفة * معروفة الانساب والاسباب

فابعث لعبدك بالكتاب فلم تزل * تقواك تشفع سنة بكتاب

ومن لطائفه فى شخص اسمه عرفات

أطنبوا فى عرفات وغدوا * يتعاطون له حسن الصفات

ثم قالوا لى هل وافقتنا * قلت عندى وقفة فى عرفات

ومن اغزاله قوله

وفاتك بجرح سيف لحظه * مجردا عن جفنه ومغمدا

والاصفاء المثوبة ان شاء الله تعالى

(وله اليه)

كتابى أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأدام علوه وتمكينه وحرس دنياه ودينه وبسط بالخيرات يمينه وجعل التوفيق قرينه والقضاء معينه من هراة ولا هراة فقد طحنتها هذه المحن كما يطحن الدقيق وقلبتها كما يقلب الرقيق وبلعتها كما يبلع الريق والحمد لله على المكروه والمحبوب وصلواته على نبيه وآله قد خدمت الشيخ الجليل سنين والله لا يضيع أجر المحسنين ونادمته والمنادمة رضاع ثان وطاعمته والمواكلة نسب دان وسافرت معه والسفر والاخوة رضيعا لبان وقت بين

خاف على خديه من لحاظه * فبات فى عذاره مزردا

ومنه قوله وهو فى غاية الحسن

ومهفهف عنى يميل ولم يمل * يوما الىّ فقلت من الم الجوى
لم لا تميل الىّ يا غصن النقا * فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى

ومثله قوله

قلت للاهيف الذى فضح الغصن كلام الوشاة ما ينبغى لك
قال قول الوشاة عندى ريح * قلت أخشى يا غصن أن يستميلك

ومنه قوله

عذبت طرفى بالسهاد فليله * قدمات عنه تعيش أنت صباحه
والح سائل أدمعى فرمتنى * ولكم أضر بسائل الحاحه

وقال فى مليح قلندرى

عشقت من ربقته ترتقى * ومالها اذ ذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنون الخط من كاتب
سلطان حسن زاد فى عدله * فاختار أن يبقى بلا حاجب

ومنه قوله

والساق جواد كفه * وكفت بالراح صبا بعد صب
قال قوم فاق كعبا فى الندى * قلت لا غرو الساق فوق كعب

ومنه قوله

يا ساكنا قلبى على انه * بوجده فى قلق ذائب
قلبى من خوف النوى واجب * وأنت لم تخرج عن الواجب

نكتة الواجب أخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب فى قوله فى رامى بندق

اسعد بها يا قمرى برزة * سعيدة الطالع والغارب
صرعت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

ويعجبنى من تغزلات السراج الوراق قوله

أقول لهم شبهت بالغصن قدها * فقالوا رأينا قدها منه أرشقا
فقلت وبالرمان شبهت نهدها * فقالوا اذن شبهت شيأ محققا

ومنه قوله

وقفت باطلال الاحبة سائلا * ودمعى يسقى ثم عهدا ومعهدا
ومن عجب أنى أروى ديارهم * وحظى منها حين أسالها الصدا

ومنه قوله

وبى من البدو كحلاء الجفون بدت * فى قومها كمهاة بين آساد
بنت عليها المعالى من ذوائبها * بيتا من الشعر لم يعمد بأوتاد

يديه والقيام والصلاة
ثم بكاعنان وأثنيت عليه
والثناء من الله عز وجل بكل
لسان واخلصت له
والاخلاص محمود من كل
انسان وان كنت لا احبه
محبة والدى وولدى فانا ابن
زانية وزان ولى مع الله
الثان افبعد هذه الحرمات
انا طعمة فلان وفلان
يتناولانى سبعا فى ثمان

واوقدت وجنتاها النار للقرى * لكن لأفئدة مناوأكباد
فلو بدت لحسان المضرقين لها * على الرؤس وقلن الفضل للبادى

قلت ديوان الشيخ سراج الدين الوراق سبع مجلدات فى القطع الكامل ولكن الذى جنيته وفكهت المتأمل به هناه وغرات تلك الاوراق وجمع الشيخ صلاح الدين الصفدى من ديوانه كتابا لطيفا وسماه لمع السراج ولكن رأيت نور السراج فيه قليلا ومن مقاطيف الجزار فى حسن التوريه قوله موريا فى صناعته

الاقل للذى يسأ * ل عن قومى وعن أهلى
لقد تسأل عن قوم * كرام الفرع والاصل
ترجيهم بنو كلب * وتخشاهم بنو عجل

ومنه قوله

انى لمن معشر سفك الدماء لهم * دأب وسل عنهم ان رمت تصديق
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

ومثله قوله

أصبحت لحاما وفى البيت لا * أعرف ما رائحة اللحم
واعتضت من فقرى ومن فاقتى * عن التذاذ الطعم بالشم
جهلته فقرا فكنت الذى * أضله الله على علم

ومثله قوله

أعمل فى اللحم للعشاء ولا * انال منه العشاء فاذنبى
خلا فؤادى وقى فى وبخ * كاننى فى جزارتى كلبى

وظريف قوله

كيف لا أشكر الجزارة ما عشـ * ـت حفاظا وارفض الآدابا
وبها صارت الكلاب ترجينى وبالشعر كنت أرجو الكلابا

وقلبه أيضا وقال

لاتعبنى بصنعة القصاب * فهى أذكى من عنبر الآداب
كان فضلى على الكلاب فذصر * ت اديبا رجوت فضل الكلاب

ومثله قوله

معشر ما جاءهم مسترفد * راح الا وهو منهم معسر
انا جزار وهم من بقر * ما راونى قط الا نفروا

وقال متهكما على المتنبى

تعاظم قدرى على ابن الحسين * فذهنى كالعارض الصيب
وكم مرة قد تحكمت فيه * لان الخروف أبو الطيب

وكتب اليه الشيخ نصير الدين الحمامى موريا عن صناعته

ومذ لزمت الحمام صرت بها * خلا يدارى من لا يداريه

محن الزمان كثيرة لا تنقضى وسرورها يأتيك فى الاحيان والله ما كتبت هذا الكتاب حتى رأيت جارى يرهب وجاريتى توهب ومالى يذهب وضياعى تنهب وأكارى يضرب ووكيلى يطلب وان الكلمة بجراءة مختلفة جدا كالضد لا يلائم ضدا فاذا صير الى خدين كان احدهما خدا امرد والآخر صدغا اسود زعموا ان الشيخ الجليل

أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الما من مجاريه

فاجابه أبو الحسين الجزار بقوله

حسن التأنى مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف

والعبد مذ صار فى جزارته * يعرف من أين تؤكل الكتف

ومن لطائفه البديعة ما كتب به الى بعض الرؤساء وقد منع من الدخول الى بيته فى يوم فرح

أمولاى مامن طباعى الخروج * ولكن تعلمته من خمول *

أتيت لبابك ارجو الغنى * فأخرجنى الضرب عند الدخول

وكتب الى بعض الرؤساء يستهدى منه قطرا

ايا علم الدين الذى جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا

لئن أمحلت أرض الكنافة انى * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

هذا القطر تحلى به الشيخ جمال الدين بن نباته بقوله

لجود قاضى القضاة أشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى

والقطر أرجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

وتلاعب الناس به بعده كثيرا ويعجبنى من تغزلات أبى الحسين الجزار قوله

تمكن بدر السما اذ حكى * محياك لولم يشنه الكلف

وقام بعذرى فيك العذار * فاجرى دموعى لما وقف

ومنها قوله

حمت خدها والثغر عن حائم شج * له أمل فى مورد ومورّد

وكم هام قلبى لارتشاف رضابها * فأعرب عن تفصيل نحو المبرّد

ومن لطائف مجونه فى التورية قوله

تزوج الشيخ أبى شيخة * ليس لها عقل ولا ذهن

لو برزت صورتها فى الدجا * ما جسرت تبصرها الجن

كأنها فى فرشها رمة * وشعرها من حولها قطن

* وقائل قال ماسنها * فقلت ما فى فمها سن

قال الشيخ اثير الدين أبو حيان رأيت ابا الحسين بالقاهرة عند الشيخ قطب الدين بن القسطلانى فقال لى الشيخ قطب الدين هذا هو الاديب أبو الحسين الجزار فانشدنى لنفسه وكتبت عنه

من منصفى من معشر * كثروا علىّ وأكثروا

صادقتهم وأرى الخرو * ج من الصداقة يعسر

كالخط يسهل فى الطرو * س ومحوه يتعذر

واذا أردت كشطته * لكن ذلك يؤثر

ومما شرح الصدور وقلب من قول الحمامى

وكدرت حمامى بغيبتك التى * تكدر فيها العيش من كل مشرب

نظر لجيرانك فنحن نستدرك ذلك وقلت ما احتاط الشيخ الجليل فى سكة احتياطه فى سكتى ولا تعرف حال محله تعرفه حال محلق ولقد بعث اليها من عدها حجرة حجرة وعلم من يسكنها ملكا واجرة واستكشف حرفة كل واحد فاثبت على داره شبابيك داره فان كان نظرلى كما تزعمون فلم تخالفون ولى نعمتكم وانتم صنائعه

فما كان صدر الحوض منشرحا بها * ولا كان قلب الماء فيها بطيب

ومنه قوله

لى منزل معروفه * ينهل غيثا كالسحب
اقبل ذا العذر به * واكرم الجار الجنب

ومن لطائفه ما كتب به الى السراج الوراق على يد مليح واسانه

عبدك يا مولاى وافى بها * وفى بها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم أنه يدخل

ومن نكته اللطيفة قوله

أصبحت من اغنى الورى * وطائرا بالفرح
الخمر عندى ذهب * أكاله بالقدح

وقوله

أقول للكاس اذ تبدى * بكف احوى اغن احور
اخربت بيتى وبيت غيرى * واصل ذا كعبك المدور

ومن لطائفه فى تغزلاته قوله

مازال يسقينى زلال رضابه * لما خفيت ضنى وذبت توقدا
ويظننى حيا رويت بريقه * فاذا دعا قلبى يجاوبه الصدى

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وتقوى عليه بالسيف فقال

ادعو السيوف صقيلة من لحظه * واذا دعوت لما يجاوبنى الصدى

ومن لطائفه فى مداعباته قوله

رأيت شخصا آكلا كرشة * وهو أخو ذوق وفيه فطن
وقال مازلت محبا لها * قلت من الايمان حب الوطن

وممن انتظم فى سلك الجماعة وانتصر للتورية وحسن مواقعها ناصر الدين حسن بن النقيب

وبردت مع فقرى وشيخوختى التى * بها اليوم نومى عن جفونى مشرد
* فلا يدعى غيرى مقامى فاننى * انا ذلك الشيخ الفقير المجرد *

ومن نكتها العربية فى التورية قوله

اقول وقد شنوا الى الحرب غارة * دعونى فانى آكل الخبز بالجبن

ومثل ذلك قوله

اقول لنوبة الحمى اتركينى * ولا يك منك لى ما عشت أوبه
فقالت كيف يمكن ترك هذا * وهل يبقى الامير بغير نوبه

ومن لطائفه قوله

قالوا رأينا العلق ينفق مسرفا * والعلق لا شئ لديه ولا معه
فاجبتهم انفاقه من بحره * قالوا صدقت لذا ينفق من سعه

ولم تهدمون بناء هو رافعه
وتفرقون شملا هو جامعه
ولقد حدثت بحوادث رسوم
غيرت فى وجه ما تقدم
واستؤنف ظلم يقطر الدم
لا اصبح الاعلى باب يردم
وساكن يعدم ولا امسى
الاعلى دار تهدم ومخدومة
تستخدم فى كل دار ديوان
وعلى كل باب أعوان وفى
كل يد ميزان وكل احد
سلطان واذا اطلق غوره

ومن لطائف ما وقع في تورية السعة قول ابي الحسين الجزار وقد وقف على باب ابن الزبير ومنع من الدخول دون غيره فكتب رقعة وأرسلها الى ابن الزبير فاذا فيها

الناس قد دخلوا كالاير اجمعهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما وقف ابن الزبير على هذا البيت أمر بعض الخدم ان يقف على الباب وينادي ادخل يا خصى فدخل وهو يقول هذا دليل على السعة ومنه قوله

ومكرش اضحى يحلق شعره * لعساه لا يشكى اليه ويشكر
ويقص لحيته فان ناديته * لبالك وهو محلق ومقصر

ويعجبني من لطائفه قوله في داره

ودار خراب بها قد نزلت * ولكن نزلت الى السابعه
طريق من الطرق مسلوكة * محجتها للورى شاسعه
فلا فرق ما بين اني اكون * بها او اكون على القارعه
تساررها هفوات النسيم * فتصغي بلا اذن سامعه
واخشى بها أن أقيم الصلاة * فتسجد حيطانها الراكعه
اذا ما قرأت اذا زلزلت * خشيت بان تقرأ الواقعه

ومنه قوله

جودوا لنسجع بالمديح على علا كم سرمدا
فالطير أحسن ما يغرد عندما يقع الندى

ومن بدائع اغزاله قوله

ومالي سوى عين نظرت لحسنها * وذاك لجهلي بالعيون وغرقي
وقالوا به في الحب عين ونظرة * لقد صدقوا عين الحبيب ونظرتي

ومن لطائف مجونه قوله

نفقت لي راس من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله في المشاعر اخرى * بشقاق لها عن المشي مانع
واذا قيل كم بقي لك رأس * قلت رأس لكن بغير كوارع

ومن لطائفه ايضا في تورية المطوق قوله

أنت طوقتني صنيعا واسمعتك شكرا كلاهما ما يضيع
فاذا ما شجاك سجعي فاني * انا ذاك المطوق المسموع

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة سجع المطوق ووصل به عدة مقاطيع ومن غاية تغزلاته قوله

رميت بمهجتي بجمرات شوق * ولم تأخذ لنا بالمشتاق رأفه
فهرول دمع عيني فوق خدي * وما حصلت لمعي ذاك وقفه

ومن لطائف مجونه قوله

قال لي الواسع صف لي * مثل ما اعرف وصفك

والمن الله ابا فلان لا اراه في اليوم الا اصاب ذاك اليوم ومما ابث الشيخ الجليل ان مبلغ خراجي بهراة ألفان وعلى المخف من الجرمان ثلاثة مدوره بيض مقشره وعلى المثقل تسعة وعشره ووددت لو امكن التبليغ باقل من هذا فافعل ولكن افواها فاغره واضراسا طاحنه وعيالا واذيالا الله وكيلهم وانا

آين باب الخرق قل لى * قلت باب الخرق خلفك

ومن غرائب النكت قوله

أبيات شعرك كالقصو * ر ولا قصور بها يعيق
ومن العجائب لفظها * حر ومعناها رقيق

ومن بديع اختراعاته قوله

قالوا قد احترقت بالنار راحته * وهى الغمام ومنها الوابل الغدق
وقال قوم وما ضلوا وما وهموا * بانها النيل قلت النيل يحترق

ومن غريب نكته قوله

بخالد الاشواق يحيي الدجا * يعرف هذا العاشق الوامق
فخذ حديث الوجد عن جعفر * من دمع عينى انه الصادق

ومن بديع تغزله قوله

يا مالكى ولديك ذلى شافعى * مالى سألت فما أجبت سؤالى
فو خدك النعمان ان بليتى * وشكايتى من جفنك الغزالى (لى)

ومن بديع غزله قوله

أقول لمن جفنه سيفه * ولكنه ليس يخشى نبوه
تكلف جفنك حمل الفتور * وأخرج فيه من الضعف قوه

ومن نكته الغريبة قوله

قلت لسقم الجسم منى وقد * أفرط بى فرط ضنى واكتئاب
فعلت بى يا سقم مالم يكن * تلبس والله عليه الثياب

ومن حسل الجلاء لعيون التورية بلاطفته الحكيم شمس الدين بن دانيال من لطائفه قوله

يا سائلى عن حرفتى فى الورى * واضيعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفاقه * يأخذه من أعين الناس

ومنه قوله

كم قيل لى اذ دعيت شمسا * لا بد للشمس من طلوع
فكان ذاك الطلوع داء * يرقى الى السطح من ضلوعى

ومن لطائفه أيضا قوله

ما عاينت عيناى فى عطلتى * أقل من حظى ومن بختى
قد بعت عبدى وحمارى معا * وصرت لا فوقى ولا تحتى

ومن لطائفه أيضا فى جارية تضرب بالدف واجاد قوله

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لو مر يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالجمار معصمها * لنقر بيتان يشبه البطحا
غناؤها برقيق الغنج تمزجه * فما ينقط الا كل من رشحا

ومن اختراعاته البديعة قوله

ديهم وأكلهم وان أمكن
تحويل هذا المقدار من
الخراج بيوشنج لتوفر حقوق
بيت المال واصان عن
مجازفات العمال وتبعات
العمال فتلك غاية الآمال
وان تعذر فكتاب الى كل
واحد من الاعمال ينبض
له على العروق السواكن
ويسكن العروق النوابض
ومن محن هذا العام أن ابا
البحترى وهو من عيون التجار

أياسائلي عن قد محبوبي الذي * فتنت به وجدا وهمت غراما
أبي قصر الاغصان ثم رأى القنا * طوالا فأضحى بين ذلك قواما

ومن أحياء رسوم التورية وأظهر خفيها القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ومن نظمه فيها

لقد قال كعب في النبي قصيدة * وقلنا عسى في فضلها نتشارك
فان شملتنا بالجوائز رحمة * كرحمة كعب فهو كعب مبارك

ومن لطائفه قوله

لاينقل الروض أحاديثه * عن عين غمام غدت حاقبه
فانه ينقل أخباره * الى أعين عنده صافيه

ومثله قوله

* ياقاتلي بلحاظ * قتيلها ليس يقبر
ان صبروا عنك قلبي * فهو القتيل المصبر

وقال

ان لوزي جلق * واهن الحبل والقوى
لم يكافك كسره * فالق الحب والنوى

ومن نظامي في هذا المعنى في المشمش السلطاني بحماة

قال سلطاني حماة عندما * أجلسوه مذ أتاهم في الصدور
مشمش الشام يقوى قلبه * يوم نقع فهو قد أضحى وزيري

ومن لطائف القاضي محيي الدين قوله

شكر النسمة أرضكم * كم بلغت عني تحيه
لاغروان حفظت أحا * ديث الهوى فهي الذكية

وهذه النكتة أخذها الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

ياطيب نشر هب لي من نحوكم * فأثار كامن لوعتي وتهتكي
أهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا لنشر ذكي

وأشار الى هذه السرقة الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة بقوله ولم يخرج عما نحن فيه من التورية

ان ابن أيبك لم تزل سرقاته * تأتي بكل قبيحة وقبيح
نسب المعاني في النسيم لنفسه * جهلا فراح كلامه في الريح

من نكته البديعة الغريبة قوله

لاتسلني عن أول العشق اني * أنا فيه قديم هجر وهجره
من دموعي ومن جبينك أرخت * غرا مابين سيل وغره

وتطفل الشيخ عز الدين الموصلي على هذا المعنى ولكن سبكه في قالب حسن بقوله من قصيد

فياها جرى عام القد ضل عاذلي * وليس له وجه وتاريخه سلخ

ومن لطائفه قوله بمنزلة القطيفة بالقرب من دمشق

واعيان الاحرار عاملني معاملة الطرار طالبت منه مالا استقتم بعضه الى بلخ فابى أن يطلب حتى يحصل المال عند شريكه فاذا وصل الكتاب بوصوله اليه خرج حينئذ مما عليه وكتبت الى صاحبي ببلخ فوفر على صاحبه المال واستخار الله ابو البحتري وابتلعه ابتلاع الحوت وايام سلامة صدري وتهاوني بامري تركت هذا

هذه القطيفة التى * لاتشتهى عقلا ونقلا
حشيت ببرديابس * فلاجل ذا المشوتقلى

ومن لطائفه قوله

ضفرالشعروألقى * خلقه كالقطن وفره
قات ماذا قال شيب * قلت والله ودره

ومن لطائفه قوله فى معشوقه المعنى المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم ياليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله قوله فيه

يامن غدالى من عوا * صف هجره الزيح العقيم
اترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

ومن لطائفه قوله

سل سيفا من جفنه ثم أرخى * وفرة وفرت عليه الجميلة
ان شكا الخصر طولها غيربدع * لنحيل يشكو الليالى الطويله

وألم به ابن العفيف فقال

حل ثلاثا يوم حمامه * ذوائبا تعبق منها الغوالى
فقلت والقصد ذوابانه * ياسهرى فى ذى الليالى الطوال

وهذا المعنى تلاعب به جماعة من المتأخرين ولولا الخيفة من طول الشرح لذكرت ذلك ولكن لابدأن يردعلى المتأمل فى مواضعه ويعجبنى قوله

وبروحى هويته عجميا * لى لذت الفاظه الغتميه
كم حلا عجمة فقلت لخلى * خلنى والحلاوة العجميه

ومن لطائف مجونه قوله

وأعور العين ظل يكشفها * بلاحياء منه ولاخيفه
وكيف يلقى الحياء عندفتى * عورته لاتزال مكشوفه

ومنه قوله

قال لى العلق وقدجئته * أريه ابزاقاق فى حسنة
ابرك هذا مات قلت انحنى * كرامة الميت فى دفنه

ويعجبنى من خمرياته قوله

خمرة للشقيق أمست شقيقه * بنت كرم بالمكرمات خليقه
قال قوم من لطفها هى فى الكا * س مجاز والكاس فيها حقيقه
اتحفت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة فنعم الشقيقه

ومن بديع اقتباسه بالتورية قوله

بابى فتاة من كال صفاتها * وجمال بهجتها اتصار الاعين

الحديث وراء ظهرى
فقدرأن مالى عندصاحبى
حتى ورد الآن كتابه فذكر
أن هذه القصة فعلت قبح
الله الخائن وأخزاه واضعف
له اذاجازاه عمرى اقد
شكوت العلة الى طبيب
وانزلت الحاجة بكريم
وللشيخ الجليل الرأى العالى
والسلام
(وله اليه أيضا)
الشيخ الجليل أدام الله عزه
يعلم حال هراة وأهلها

كم قد دفعت عواذلي عن وجهها * لما تعدت بالتي هي أحسن

هذا الاقتباس بالتورية أخذه الشيخ جمال الدين بقافيته ولكن زاده ايضاحا بقوله

ياعاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي ألذ وأزين *
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي أحسن

والم به الشيخ عز الدين الموصلي وما خرج عن ايضاحه أيضا بقوله

قد ساونا عن المليح بخود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

ومن لطائفه قوله

ذات طوق وذات زيق تغنى * فتنني بالوجد من ليس يدرى
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق الغنى ولى زيق فقرى
ماتراها قد حدثت خاطر الشعر بما قد جرى وما منه يجرى

ومن لطيف كلامه قوله

وبطحاء فى واد يروقك روضها * ولاسيما ان جاد غيث مبكر *
تلاحظها عين تفيض بادمع * يرقرقها منه هنالك محجر *
اذا فاخرتها الريح وهى عليلة * باذيال كثبان الربا تتعثر *
بها الفضل يبدو والربيع وقد غدا * بها الروض يحيى وهو لاشك جعفر

وقال فى مليحة اسمها وردة

بابى وردة مولدة الحسـ * ـن دعوها بوردة البستان
فى التصاوير مثلها ليس يلفى * فيقولون وردة كالدهان

ومن نوادره الغريبة فى المواليا فى مليح مشطوب

لك طرف احور حمى من حسنك السمرحه * كم قد أغار على العشاق فى صبحه
لما علمت بانو سابق النصحه * عليه خفت فشطبتو على صحه *

ومن نكته الغريبة فى اغزاله قوله

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه حسن انتسابى
ولا عجب اذا ماقيل هذا * لصدغ زمرذه ذبابى *

ومن اختراعاته العربية قوله

كتبت لكم من اعين القصب التى * لها من معانيكم ومن نفسها طرب
فان أطرب التشبيب فيها بذكركم * فكم أطرب التشبيب من أعين القصب

ومن هنا أخذ المعمار فقال

هويته مشببا * بجماله برح بى *
تيم قلبى بالحجا * ز من عيون القصب

ومن مخترعات القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر قوله

ملأت الليالى من علاو خفتها * فقد أصبحت محشوة بمكارمك

في استقصاء النقد وكثرة الرد وشدة الاحتياط في المدح وجراءة الاقدام على الذم وان الجليل عندهم من وراء جدار والقبيح عندهم نار على منار ولهم في الوذيج قولات فاذا مدحوا سيرة رجل وجدوا عشرته لم يبق فيه مطمع للسبك ولا موضع للشك ووردت هراة فوجدت الالسن متفقة على تقريظ أبي فلان والنفوس بخيلة بفراقه تسأله المقام بين اظهرهم وتجزع لخروجه من بلدهم ثم وجدته من بعد غاليا في العبودية للشيخ الجليل مستظهرا بايامه وسألني تقرير حاله واقامة الشهادة له فخرجت من عهدتها وللشيخ الجليل ديما التمام عبده وخادمه العين العالية

خفقت عليها بالثريا فقل لنا * اهذا الذى فى كفها من خواتمك

ومنه قوله

ياسيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لا تخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومنه قوله

ذو قوام يجور منه اعتدال * كم طعين به من العشاق
سلب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشكوه بالاوراق

ومنه قوله

يارب كاس صرت من شربها * من بعد رشفى ريق معشوقى
ملتهب الاحشاء نارا الآن * شربتها منه على الريق

ويعجبنى منه قوله

انت من وجه ولحظ * لك دينار وكسر

هذا الدينار والكسر اغتصبه الشيخ جمال الدين بن نباتة ولم يشبكه فى غير قالبه فقال

افدى حبيبالى الى * مرآه طول الدهر فقر
فى خده وجفونه * للحسن دينار وكسر

وهذه زاوية اخترتها من ديوان الشيخ الامام العلامة شيخ الشيوخ عبد العزيز الانصارى الحموى سقى الله ثراه أما بعد حمد الله الذى اطلعنا من زوايا الادب على خبايا * وارشدنا بمشايخ شيوخه الى سلوك ما فيه من المزايا * والصلاة والسلام على نبيه الذى اختاره فكان نعم المختار * وعلى آله وصحبه المنتظمين فى سلك هذا الاختيار * فقد انتهى ما اوردته منوعا فى التورية من الحلاوات القاهرية * وقد تعين ان افكه المتأمل بعد ذلك بالفواكه الشامية * واقتطف له من فروع شيخ الشيوخ ما يظهر به مزية الثمرات الحموية * وقدرة السلطنة فى الادب وباهيك بها السلطنة الشيخيه * فاخترت من ابيات قصائده ومواصيل مقاطيعه ما يحلو بها التشبيب * وسميته زاوية شيخ الشيوخ علما بانها زاوية يتاهل بها الغريب * والله تعالى يجعلنا ممن تخير العمل الصالح فاحسن * وسمع القول فاتبع منه الاحسن * فمن ذلك قوله من قصيدة

ويلاه من نوى المشرد * وآه من شملى المبدد
يا كامل الحسن ليس يطفى * نارى سوى ريقك المبرد

منها وصل الى المخلص وهو فى غاية الحسن قوله

غصن تقاحل عقد صبرى * بلين خصر يكاد يعقد
فمن رأى ذلك الوشا * ح الصائم صلى على محمد

ومنه قوله من قصيد

انا من ربة الخلخال جاره * نواصل تارة وتصد تاره
تعاملنى بما يحلى سلاوى * ولكن ليس فى حلو مراره

(وله اليه ايضا)

وفى الحديث المرفوع اطال الله بقاء الشيخ الجليل ان شر القرون قرن يحلف فيه قبل ان يستحلف ويشهد فيه قبل ان يستشهد وقد نويت ان وفق الله تعالى ان لا ابتدئهم ذاكرا ولولا هذه الحالة لحلفت ان الله تعالى وان صانى عن اليتم صغيرا وعن الثكل كبيرا فقد اذاقنى من فراق الشيخ الجليل امرّ منهما كاسا وحكى ان رجلا قعد للفاحشة مقعدها ثم افكر وقال ان من باع جنة عرضها السموات والارض بهذا الفترة هذا الستر لواسع رقعة الرقاعة لضيق البضاعة بالاضاعة قليل البصر بالمساحة مغبون الصفقة فى التجارة جدير الحبس بالحجارة وذلك مثلى اذ بعت مسكانى من

ومنه قوله وهو مطلع قصيد

بحروف غرامى كلها حرف اغراء * على أن سقمى بعض افعال اسماء

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين وقال

أودت فعال الدنيا اسما باحشائى * واحيرتى بين افعال وأسماء

ومن بديع نكته قوله

وبدر دجى لم ينتقل كسميه * ولكنه مازال فى القلب والطرف
يلوح لعينى ماشقا نون صدغه * فاعبد خلاقى على ذلك الحرف

هذه النكتة اخذها ابن الوردى بقافيتها وغالب الفاظها ومعناها فقال

يابدر تم نوره باهر * منزله فى القلب والطرف
صدغك حرف النون فى مشقه * من يعبد الله على حرف

ولعمرى انها سرقة فاحشة ومنه قوله

اقام لخده النارى عذارا * ومذ أقصى عذارى وهو يلجى
حمى مرج العذار بعقلتيه * فامشى الناس فى هرج ومرج

ومنه قوله فى التورية مع بديع الاقتباس

يا نظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وجعله مطلعا القصيدة فقال

انسان عينى بحميل السهاد ملى * عمرى لقد خلق الانسان من عجل

ومنه قول الشيخ عز الدين شيخ الشيوخ وتلطف ماشاء مع قصر الوزن

وغمام معربد * ببروق وزمجره * غادر الروض ناضرا * بعيون مخضره

ومنه قوله

قلت وقد عقرب صدغاله * عن مشقه الحاجب لم يحجب
قد سدت يارب الجمال الذى * الف بين النون والعقرب

وقال وتلطف ماشاء واظنه أول من ورى بهذه النكتة

افدى حبيبا رزقت منه * عطف محب على حبيب
بوجنة مااتم ربى * وقد غدا وردها نصيبى

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره وقول الشيخ جمال الدين بن نباتة

فديتك غصنا ليس يبرح مثمرا * من الحسن فى الدنيا بكل غريب
تفتح فى وجناته الورد احمرا * فياليت ذاك الورد كان نصيبى

ومنه قوله

لا تنس وجدى بك يا شادنا * بحبه انسيت احبابى
مالى على هجرك من طاقة * فهل الى وصلك من باب

ومنه قوله

مجلسه المعمور واعتدت منه عرضا من الدنيا يسيرا ومتاعا قليلا
فان ترجع الايام بينى وبينكم بذى الاثل صيفا مثل صيفى ومربعى
اشد باعناق النوى بعد هذه مرائر ان جاذبتها لم تقطع
على انى اصبت سدادا للخلة ومدادا للخدمة وصوانا للوجه وبعض الشر اهون من بعض ولله الحمد ثم للشيخ الجليل من بعد فاولا كتبه المتواترة ونعمه الظاهرة المتظاهرة لاقت طويلا ولم اصب قبيلا فالآن قد آذنت الحال ببعض النظام وستنتظم على الايام ان شاء الله تعالى
ووردت من الشيخ الرئيس على كريم والعرب وان كانت اكبادها غلاظا اكثر الامم حفاظا وضبة وان كانت كاسمها احقادا

مرضت ولى جيرة كلهم * عن الرشد فى صحبتى حائد
فاصبحت فى النقص مثل الذى * ولا صلة لى ولا عائد

ومن هنا أخذ الشيخ عز الدين الموصلى وقال

اهل دمشق قد مرضت عندهم * وماقصدت نحوهم بمسئله
مع علمهم بانى انا الذى * ولا أتانى عائد ولا صله

ومنه قوله

قالوا أما فى جلق نزهة * تسيل من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا

السهم وسطرى من متنزهات دمشق المشهورة ومن هنا أخذ الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا وقال

سألتكما ان جئتما الشام بكرة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
قفا واقرآ منى كتابا كتبته * بدمعى لكم مقرا ولا تنسيا سطرا

ومقرا أيضا من متنزهات دمشق وحسن بعدها ذكر سطرا ومنه قوله واجاد

سبحان مورثه من حسن يوسف ما * لم يبق فى الخرلى والصبر من حصص
اقام للشعراء العذر عارضه * فكم لهم فى دبيب النمل من قصص

ومنه قوله

ولقد عجبت لعاذلى فى حبه * لما دجا ليل العذار المظلم
اومادرى من سنتى وطريقتى * انى اميل مع السواد الاعظم

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وغيره فاما ابن نباتة فانه أخذه وزنا وقافية وقال

اهواه معسول الرضاب منعما * ولقد يعذبنى الهوى بنعيم
ياقلب هذا شعره وجفونه * صبرا على هذا السواد الاعظم

ومن لطائفه قوله

ا كلت ستا وار بعين بها * اخلت همومى من راحتى ربعى
وجزت فى السبع ثانيا وجلا * لانى جائز على سبع *

ومن نكته اللطيفة قوله

هزم الهم عن ندامى راح * حظيت من سماعهم بلحون
لم تكد فى الكؤس تظهر لطفا * فبدت من خدودهم فى العيون

ومن لطائف مجونه قوله

سألته من ريقه شربة * اطفى بها من كبدى حره
فقال اخشى ياشديد الظما * أن تتبع الشربة بالجره

ومن هنا أخذ المتأخرون ومن نكته اللطيفة ما كتبه على جرن حمام السلطان بحماة

كملت لطفا ووقارا على * ماحزت من اوصاف الحلوه
من أجل هذا صرت اهلا لان * اجالس السلطان فى الخلوه

واكبادا اوفر العرب احلاما واكثرها اكراما والشيخ الرئيس طوع لمخاطبات الشيخ الجليل يتصرف معها تصرف الظلال عن اليمين وعن الشمال فالشهد اذا اعرض عنه سم ما بذل الجهد والسم اذا نظر اليه شهد وقد وردت فلم ال مقدمى اكراما ومنزلى انزالا وحديثا ما حديث حديث الشيخين السيد ابن أبى القاسم وابى الحسين وارانى الله طلعتهما وامتعنى بهما وبقربهما فلا عيش الا فى ذراهما وبحيث اراهما وضالة الامل كلاهما وبرد الفؤاد هما ما فعلا واين بلغا فما يقصر نفاذهما ان لم يقصر استاذهما ولا يضيق امكانهما ان لم يضيق زمانهما وما أخاف عليهما الا عارض الكسل وحادث

ومن اجاد رقيق التورية من فحول القادة الامير مجير الدين بن تميم فى ذلك قوله

لما لبثت لبعده ثوب الضنى * وغدوت من ثوب اصطبارى عاريا
اجريت واقف أدمعى من بعده * وجعلته وقفا عليه جاريا

ومن لطائف نكته قوله فى كتاب

ياحسنها نسخة يلهو مطالعها * بها لما قد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت اجزاؤها فحكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

ومنه قوله

بتنا جميعا وبات لثمى * له حمى ثغره مباح
فمات منى الظلام غيظا * وانشق من غيظه الصباح

ومنه قوله

وساقية تدور على الندامى * ونهرهم لسرعة شرب خمر
سنشكر يوم لهو قد تقضى * بساقية تقابلنا بنهر

وهذه النكتة تلاعب الناس بها كثيرا ومن نكته الغريبة قوله فى سجادة

ياحسنها سجادة سندسية * يرى للتقى والزهد فيها توسم
اذا ما رآها الناسكون ذووا الحجا * أمامهم صلوا عليها وسلموا

ومن هنا أخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

ان سجادتى الحقيرة قدرا * لم يفتها فى بابك التعظيم
شرفت اذ سعت اليك فامست * وعليها الصلاة والتسليم

وتطفل عليها الشيخ زين الدين بن الوردى أيضا فقال

سجادة اذكرتنى * منك الذى كنت اعلم
اهديتها لمحب * صلى عليها وسلم

ومن قوله وهو من ألطف اغزاله

ياحسن اهيف حظه من حبنا * طيب النعيم وحظنا منه الشقا
قدم العذار الى نقا وجناته * يامرحبا بقدوم جيران النقا

ومن نكته الغريبة قوله فى مليح جرح جبينه

بكوا الجراحة شقت جبين الحبيب فقال ماضر الجراح
اليس جبينه صبحا منيرا * ولا عجب اذا انشق الصباح

ومن لطائفه قوله

وعيرنى بالشيب قوم احبهم * فقلت وشأن العاشقين التحمل
بعثتم الى رأسى المشيب بهجركم * ومهما أتى منكم على الرأس يحمل

وهذه النكتة أيضا تلاعب بها المتأخرون بعد ابن تميم كثيرا * ومن لطائف نكته أيضا قوله

ونهر خاف الاهواء حتى * غدا طوعا لها فى كل أمر
اذا سرقت حلى الازهار ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

ان الطينة بحمد الله قابلة والغريزة حرة والهمة صاعدة وليت شعرى من المختلف اليهما ووددت لو أنت عاهدتهما فاخرج من عهدة بعض النعم والعود ان شاء الله احمد انهاء وانسلاخ صفر وابتداء سفر وطيرة الهم وقوعها باذن الله وغاشية لمجلس العالى ادام الله بهجته اعدهم امناء على نصيبى منه فان احسنوا فان الله يجزى المحسنين وان خانوا فان الله لا يحب الخائنين السيد الفاضل فلان وان كان له اليد واللسان فمنه الحسن والاحسان وان كان قد خامه الغريم فلن يخافه الخلق الكريم وان حركته بالمهلة انفذت اليه سفتجة عن قريب وما قليل وما شغفى بالماء الا تذكرا لماء به اهل الحبيب نزول وما عشت من بعد الاحبة سلوة ولكننى للنائبات حمول

ومثله قوله

سرق النسيم حلى الغصون بسحرة * لما أتاها وهي في اطرابها
ورمى بها نحو الغدير فضمها * في صدره من خوفه وجرى بها

ومن بدائع نكته

وليلة بت اسقى في غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم
ما زلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ومن لطائف نكته في أغزاله قوله

خليلي قد صاد الفؤاد بحسنه * غزال به عذر المحبين واضح
ولا غرو ان صاد الفؤاد بلحظه * الم تعلما أن العيون جوارح

ومن لطائف نكته في اغزاله أيضا قوله

وقالوا بدا خط العذار بخده * فأضحى سعيد الخد وهو معذر
فقلت خيال الشعر ما قد رأيتم * فان صح ذاك الخط فهو مزور

ومن هذا أخذ الشيخ صلاح الدين ولكن زاده نكتة اخرى بقوله

عيناه قد شهدت بأني مخطئ * وأتت بخط عذاره تذكارا
يا حاكم الحب اتئد في قتلتي * فالخط زور والشهود سكارى

ومن نكته الغريبة قوله

ايا ذا الذى قد كف كفيه عامدا * عن الجود خوف الفقر ماذاك سائغ
اتخشى سهام الفقر ما دمت منفقا * نصيبك والنعما عليك سوابغ

ومن نكته الغريبة قوله

ونهر يحب الروض اصبح مغرما * تروح ويغدو هائما بوصالها
اذا ابعدت عنه شكا بخريره * جفاها وامسى قانعا بخيالها

ومن لطائف مجونه

وقواد يعيد الهجر وصلا * وطول البعد قربا واتفاقا
يكاد لحكمة فيه ولطف * يقود بلا أزمتها النياقا

ومن نكته البديعة الغريبة في باب التورية قوله

لما مدحتك بالمديح ولم أكن * ادرى بانك خامل في الناس
ناديت لما ان جسستك بالهجا * اكليب خذها من يدى جساس

ومنه قوله

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس الـمزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك في سواى فانني * عندى قبالة كل عين اصبع

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه في الرياض طيور
ودولابها كادت تعد ضلوعه * لكثرة ما يبكي لها ويدور

والشيخ الجليل ادام الله عزه
في تشريف عبده وخادمه
بالجواب ونصريفه على
الامر والنهي وأيه العالى
ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

وصل للشيخ الجليل السيد
كتاب خشن البرد حافاته
كالاسل يدق دق القصار
ويشق شق البيطار ويقرض
قرض الفار ويحك
بالاظفار ويشك بالشفار
فلو كنا على السواء ولكن
احدنا في الارض والآخر
في السماء
ولو كان ادركنا والكف بسطة
ولكن احاطت بالرقاب
السلاسل

آخر

ولو رأى
مساغا لنابيه الشجاع لصمما
ولكن الرماح ابرت ولولا
ان يغبط دمى اقاض بغى
وخير ما في الباب قول
الاول
لئن ساءني ان نلتني بمساءة
فقد سرني اني خطرت ببالك

النكتة في يدور وفي ضاع دارت بين ابن تميم وبين الجماعة وتسلسل دورها منهم بدر الدين يوسف ابن لؤلؤ الذهبي بقوله

وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا
من حين ضاع نشرها * دار عليها وبكى

ومنهم الشيخ جمال الدين بن نباتة بقوله

وناعورة قسمت حسنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكي على الضائع

ومنهم الشيخ صلاح الدين الصفدي ونقل المعنى الى الغزل بقوله

اضحى يقول عذاره * هل فيكم لي عاذر
الورد ضاع بخده * وانا عليه دائر

وبعضهم نقصه وقنع بالدور بقوله

أبدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه
اني من العجب العجيب كما ترى * قلبي معي وانا ادور عليه

وزاد الشيخ جمال الدين بن نباتة الدور نكتة أخرى فقال

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * واضلعها كادت تعد من السقم
ادور على قلبي لاني فقدته * واما دموعي فهي تجري على جسمي

وهذا المعنى سبق اليه ابن تميم أيضا بقوله

قامت لنا بالعذر ناعورة * ادمعها في غاية السكب
تقول لما ضاع قلبي وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمي كله اعينا * يدور في الماء على قلبي

ومثله قوله

ناعورة مذ ضاع منها قلبها * ناحت عليه بأنة وبكاء
وتعللت بلقائه فلاجل ذا * جعلت تدير عيونها في الماء

وقنع الشيخ زين الدين بن الوردي بالدور فقال

ناعورة مذعورة * ولهانة وحائره
الماء فوق كتفها * وهي عليه دائره

وعلى ذكر تورية الدور يعجبني قول المقر المرحومي الفخري ابن مكانس وقد كتب الى الشيخ بدر الدين البشتكي يداعبه وقد دار الشيخ بدر الدين المذكور في ساقية الهمائل

دورة البدر في سواقي الهمائل * تركت ادمع العيون هوامل
آه من للرياض نور اديب * مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سجعا على بني عجل في الجو * د وأغنى عن الولي الهاطل
زاد علما على أبي نور لكن * قال بالدور تارة والسلاسل

ومنها ولم يخرج عن تورية الدور

وما ظننت أحدا يعبث هذا العبث بطومار الجمار ويستخف هذا الاستخفاف بلى الاسرار زعم ادام الله تمكينه اني اخلف المواعيد وارد العذر البعيد ومتى ادعيت ان قولي يكتب في المصاحف او يتلى في المحاريب ومتى تبرأت من الاحاديث والله اني لاكذب الكذبة اظنها لحسنها صدقا وليس الشان في اللسان الشان فيما يعرج كل ليلة الى سماء الدنيا ولو شئت عددت عليه كما عد علي ولكن لا تحرك الساكن وانما يلام المرء على موعد يخلفه اذا استفاد بخلفه جمالا اومالا اوراحة فاما مواترة الكتب ومواصلة الرسل فلا في الوفاء بها اقرب الى

ياسعيدا اثرى من النظم والنثــر فأنسى الورى زمان الفاضل
قدسقيت الرياض ياشيخ بالدو * ر فها غصنها من السكر مائل

ومن تطفى فى تورية الدور أيضا قولى من قصيد

ومذمدذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش البيت يمشى على بسط
لوينا خلاخيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقه السبط

وعلى ذكر تورية الدور وتسلسلها هنا نكتة لطيفة وهى انه اتفق ان الشيخ نجم الدين الفجفيرى سأل جماعة من الطلبة المشتغلين عليه عن قول الشاعر

يا أيها الحبر الذى * علم العروض به امتزج
أبن لنا دائرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا فى الدولاب لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوته حال دورانه فقال له الشيخ صدقت الا انك درت فى الدولاب زمانا حتى ظهرت لك التورية وهذا الكلام فى غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى * رجع الى ما كنا فيه من لطائف ابن تميم فمن ذلك قوله

لم لا اميل الى الرياض وحسنها * واعيش منها تحت ظل ضافى
والزهر يلقانى بثغر باسم * والماء يلقانى بقلب صافى

وهذان البيتان عزاهما الصلاح الكتبى فى كتابه فوات الوفيات للبدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى ونسبا أيضا لمحيي الدين بن قرناص فى مواضع كثيرة والله أعلم ومن نكته اللطيفة فى التورية قوله

روحى الفداء لمن ادار بلحظه * صهباء فى عقلى لها تأثير
فاعجب له انى يصون بلحظه * مشمولة وانا أوها مكسور

ومنه قوله

انى لاشهد للحمى بفضيلة * من اجلها اصبحت من عشاقه
مازاره ايام نرجسه فتى * الا وأجلسه على احداقه

وتلاعب المتأخرون بهذه النكتة كثيرا ومنه قوله

الا رب يوم قد تقضى ببركة * اتت بها فيها جرى متفكرا
بعينى رأيت الماء فيها وقد هوى * على رأسه من شاهق فتكسرا

ومثله قوله

يا حسنه من جدول متدفق * يلهى بروتق حسنه من ابصرا
مازلت انظره عيونا حوله * خوفا عليه أن يصاب فيعثرا
فابى وزاد تماديا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

وتورية تكسر تلاعب بها الناس بعد ابن تميم كثيرا ومن نكته البديعة الغريبة قوله

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى انابيب القناة على يدى * يجرى دما من تحت ظل القسطل

الله تعالى ولا فى الاخلال بحرج من الله ولو كنت وعدته نصوصا ثم لم أتبع الوعد وفاء لاستهدفت لسهام العتاب لكن الله يشهد انى على الاخلال بالمكاتبة احب له من لا يرى وعينى ويدى وكل نعمة انعمها الله على بيد الاسلام ولو انصف ناظره لجبر بافراطى فى هذا الجانب تقصيرى فى ذلك الجانب فجعل بدل العتاب شكرا والسلام

(وله أيضا رقعة اليه)

قد بسط مولاى باع الفصاحة وملأ أسفار البلاغة وبهرنى ببيانه كما غمرنى بفضله وبره وكالاعذر

ومن لطائف نكته قوله

قالوا أ ينالك كل وقت * تهيم بالشرب والغناء
فقلت انى فتى قنوع * أعيش بالماء والهواء

ومنه قوله

حاذر اصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب فى الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه فى بحر الغضى * الا الدعا باصابع المنثور

ومن لطائف نكته وقد تقدم معناها ولكن حلا مكررها هنا بقوله

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن نسيم الروض قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

وقال الشيخ اثير الدين ابو حيان انشدنى ابو الخير الازدى لمجير الدين بن تميم

نزلنا الى الغور فى جحفل * نقاتل قوما من المسلمينا
قطعنا الشريعة فى حربهم * وخضنا اليهم مع الخائضينا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

انى لاعجب فى الوغى من فارس * حارت دقائق فكرتى فى كنهه
اذى الشهادة لى بأنى فارس الـ* ـهيجاء حين جرحته فى وجهه

ومن لطائف مجونه قوله

هويت نطاعا اذا جئته * بادرنى باللسط والصفع
اروم ان احظى بوصل وقد * قابلنى بالسيف والنطع

ويعجبنى من نكته فى الخمريات قوله

ومدامة كاساتها * تعطى الامان من الزمان
قد أحكمت علم النجو * م واتقنت سحر البيان
فاذا حساها الشاربو * ن وأوقعتهم فى الامانى
بدأت باخراج الضمـ* ـير وبعده عقد اللسان

ومن لطائف مجونه قوله

غطت محاسن وجهها عن ناظرى * هيفاء لم أر فى البرية شبهها
وغدت تمانعنى فنمت مبادرا * وكشفت من بعد التمنع وجهها

ومن نكته الغريبة قوله

ساهجوا أناسا يتغرون نقيصتى * وقد رسخوا فى بحرجهلهم رسخا
واسلهم لانى اوان مغيبهم * ولكن أريهم فى وجوههم السلخا

ومن لطائفه قوله

بعث النسيم رسالة بقدومه * للروض فهو بقربه فرحان
واطيب ما قرأ الهزار بشدوه * مضمونها مالت له الاغصان

ومن لطائفه التى سبقه السراج اليها واستعملها ابن تميم احسن منه

للسيف اذا لم يمض ولا القلم اذا لم يمض وهو بحمد الله يزداد زيادة الهلال ويتقدم كل يوم فى محاسن الآداب والاخلاق وارجو ان لا تنقبه همته دون اعلاء منزلته ولا يرضى لنفسه الكريمة الا بأقصى غايته وما تفضل به من الاعتذار فقد اغناه الله تعالى عنه فقضله الظاهر فاضل عن كل حق وخلقه الطاهر بالغ به مدى كل بر وبقى أن يوفق الله بقابلته بما التزمه له وأوجبه فيه وقد عملت فى أمر الدواء ما أشرحه له شفاها وجملة الامر أنى أؤمل النفع فى تناوله وارجو حسن عاقبته وحالى الآن صالحة لولا ما ذكر من فتور الشيخ الجليل فقد شغل قلبى وأقلق نفسى وان كان لا ينكر الضعف عقب المسهل ولعل سبب هذا

أراق دمى بسيف اللحظ ظلما * وها أثر الدماء بوجنتيه
فلما خاف من طلبى لثارى * ادار عذاره زردا عليه

وقال فى غلام وقاد

لاموا على الوقاد فى حبه * وحبه باللوم يزداد
لو لم يكن فى حسنه كوكبا * ما كان أمسى وهو وقاد

وزاد شيخنا الشيخ شهاب الدين بن حجر فسح الله فى اجله هذا المعنى نكتة حصل بها الاتفاق البديع بلقبه الكريم فقال فى وقاد أيضا

أحبب بوقاد كنجم طالع * أنزلته برضا الغرام فؤادى
وأنا الشهاب فلا يعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

بيده الازرق لما * شده من قدسبانى
جدول فوق كثيب * دار يسقى غصن بان

ومن نكته الغريبة قوله فى وكيل بدار القاضى بدمشق المحروسة

لاتقرب الشرع اذا لم تكن * تخبره فهو دقيق جليل
ووكل العزالذى وجهه * على نجاح الامر أقوى دليل
ولاتمل عنه الى غيره * وحسبنا الله ونعم الوكيل

وعلى ذكر الوكيل رأيت

لاقى فلان اليوم ماساءه * وافرغ الصك عليه وكيل
وذاق من كف الوكيل العمى * وحسبنا الله ونعم الوكيل

ومن لطائفه قوله يصف روضة

ارض كساها القطر حلة سندس * رقت لها طرز من الغدران
وفد النسيم أضاع نشر رياضها * فالورق تنشده بكل مكان

وكتب الى كمال الدين بن النجار وكيل بيت المال بدمشق المحروسة وهى من نكته المخترعة

كمال الدين يامولاى يامن * يغير البحر فى بذل النوال
أتيت لحاجة فاغنم ثنائى * عليك بها وشكرى وابتهالى
ولاتجعل سؤالك اهمالى * عليك بنجحها وقع اتكالى
ايجمل أن يقول الناس انى * أتيت لحاجة لم نقضها لى
واصبح بينهم مثلا لانى * اتانى النقص من جهة الكمال

ومن لطائف نكته قوله

لم أنس قول الورق وهى حبيسة * والعيش منها قد أقام مقفصا
قد كنت ألبس من غصونى اخضرا * فلبست منها بعد ذاك مقفصا

وقال فيمن تاب عن شرب الخمر

تركت شرب الحباغيره فتكز * فيها وفى شربها اللذات والطرب

العارض ماوقع من الحركة الى ان عاد الى الدار وتعرض للشمس فى طريقه فالله تعالى يعافيه ويبقيه ولايرينا مكروها فيه ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبى القاسم أدام الله تأييده وسوده رحمه الله)

أنا أصون ذلك المجلس الكريم عن الزكام والسعال وجميع اخوات الفعال ولو استطعت أن انفى من جلق انفى لرضيت لخدمة المجلس اعلاه الله سائرى ولكن هومنى وان ذن وكافى بالشيخ الجليل يقول الامثال لاتغير وفى الحدود المعطلة والثغور المهملة والرسوم المبدلة والسنن المحولة والبدع المستعملة هذا الخطأخالى يسير وغلط قريب وماسد استظهارى بخلافته وان لم يكن من ولد العباس

فارجع فقد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يلتهب

فأنشده بعد ذلك وقد وافقه

ان كان قد اسبل الراووق ادمعه * شوقا اليك وقلب الكاس يضطرم
فاليوم أعينه من فرط فرحته * تفيض دمعا وثغر الكاس يبتسم

ومن نكته الغريبة قوله فيمن غضب عند عزله من منصب ولايته

كم قلت اذ فاض غيظا وقد * ازيح عن منصبه المعجب
لا تعجبوا ان فار من غيظه * فالقلب مطبوخ على المنصب

وهذا المعنى ألم به شرف الدين النصيبي واستعمله ارق واحشم بقوله

ولوك اذ علوا بجهلك منصبا * علموا بأنك عن قليل تبرح
طبخوا بنار العزل قلبك بعد ذا * وكذا القلوب على المناصب تطبخ

وقال يعتذر عن مخدومه فى كثرة تجريده له

لقد لام قوم صاحبي حيث لم يزل * يجردنى دون الرفاق تعمدا
رآني حساما ماضيا فاقامني * مدى الدهر فى وجه الاعادي مجردا

ومنه قوله

مذ قلت للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو امير
بسمت ثغور الاقحوان مسرة * بقدومه وتلون المنثور

وأحسن منه قوله

ومذ قلت للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد المنزه فى الشبه
تلون من قولى وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأوما الى وجهى

ومثله قوله

كيف السبيل للثم من أحببته * فى روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وناضر نرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير باصبع وعيون ذا * ترنو الى وثغر هذا يضحك

ومثله قوله

كيف السبيل لان أقبل خد من * اهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزها عيون النرجس

ومنه قوله

روض الحمى يهوى اقاحوانه * من فرط شوق لا يزال قرينه
لم يهد نرجسه اليك وانما * لغرامه اهدى اليك عيونه

ومن لطائفه فى أغزاله قوله

قالوا بدا نبت خديه فخذ بدلا * عنه فقلت لهم حاشاه حاشاه
ان لاح فى خده نبت فلا عجب * الله أنبته والعين ترعاه

وتورية النبت والرعى تلاعب بها جماعه من المتأخرين بعد ابن تميم ومن مخترعاته فى هذا

والله يبقيه علما للفضل وعالما فيه والسلام

(جواب الشيخ أبي القاسم وهذه الرسالة جواب انا أصون ذلك المجلس)

وصلت رقعة الاستاذ وشغل قلبي تنبسط تلك النفرة نسخ الله حكمها ومحا أثرها ولو قبل الفداء لكنت عنه وما اصابني أيده الله عما يصونني ورفعني عما يرفعني وهل جال اتم ملابس من كريم عادته فى التخصم الى وما حق عرنين رث يردعر نينه الما قبل الشفاه الا أن تشممه اذا عطس الكرام السيرة ولا عطس الاباشم من الطراز الاول ولولا التطير من سمة العبادة لخف ركابى اليه والشيخ أبو الحسن فوق شروط الخلافة فاذا كان المستخلف تغلبا جاز ان يكون الخالف كسرويا

الباب قوله

لو كنت حين علوت كور مطيتي * لم تعتلقها للمطي عيون
وتوسطت بحر السراب حسبتني * من فوقها ألفا وتحتي نون

ومن نكته المخترعة قوله

دعيت فكان أكلي خذطير * ولم أشرب من الصهباء نقطه
ومايومي كامس وذاك أني * أكلت اوزة وشربت بطه

أخذ الشيخ صلاح الدين الكل مع القافية فقال

شوي الاوز فاضحت * في حمرة الخد بسطه
فقلت تشوي أوزا * ام كنت تشرب بطه

ومن اختراعاته التي لعب الناس بها بعده

قد هجرت الراح حتى * ليس لي فيها نصيب
وعلى الراووق مني * طول ماعشت صليب

ومن نكته المخترعة الغريبة قوله يرثي الامير قطب الدين رحمه الله تعالى

نأيتم فلا قلبي عن الحزن مقصر * عليكم ولا جفني بجفنه غرب
وافلاك لذا في تعطل سيرها * وهل فلك يسري اذا عدم القطب

ومن غريب نكته في اغزاله قوله

شبهت خدك ياحبيبي عندما * أبدى الجمال به عذارا أشقرا
تفاحة حمراء قد كتبوا بها * خطا دقيقا بالنضار مشعرا

ومثله في الغرابة قوله

ولما احتمت عنا الغزالة بالسما * وعز على قناصها ان ينالها
نصبنا شباك الماء في الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

ومن لطائف غرامياته

لاتبعثوا غير الصبا بتحية * من أرضكم فلها على جميل
خاضت دموع العاشقين ورجعت * عنهم الي وثوبها مبلول

وهذا المعني وقفت عليه لغيره والله أعلم من السابق ولعمري ان الآخر اجاد بقوله

وصبا صبت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النيربين عشية * وأتتك وهي بليلة الاذيال

ومن لطائفه قوله

لولم اعانق من أحب بروضة * احداق نرجسها الينا تنظر
ماشق جيب شقيقها حسدا ولا * بات النسيم بذيله يتعثر

وتلاعب الناس بعد ابن تميم بهذا المعني كثيرا وقال في اهداء مهرة حمراء وهي من مخترعاته

أهديت لي يامالكي مهرة * جميلة الخلق بوجه جميل
مؤخرها والعنق قد أوقعا * قلب الاعادي في العريض الطويل

(وله الى الشيخ السيد أبي الحسن علي بن الفضل الاسفرايني رحمه الله) كتابي اطال الله بقاء الشيخ السيد والخطيب ابو فلان قد توجه وفدا الى الحضرة ويريد أن يقرن بين الحج والعمرة ولا يقتصر على الشمس دون الزهرة ولا يقنع بالبحر دون الحضرة وقد قصد من الشيخ الجليل بحرا والشيخ السيد سفينة نجاته وذريعة حاجاته وسببه الى كل مراد يتعذر وجنته دون مايخاف ويحذر ومفزعه في كل مايأتي ويذر وهو وديعتي حتى ترده سالما وقد جهزت معه من السلام مايجاوز حجى الظلام ويدر أخلاف الغمام ويهدي العافية الى السقام ويشير النعمة بالقيام ويربط عليها بالدوام وترفعت اليه بأهبة شوق يؤديها واوصافا

قدلبست من شفق حلة * تخبرنا ان أباها اصيل

ومنه قوله وهو من الاختراعات اللطيفة

حبيى وعدت الكاس منك بقبلة * واعقب ذاك الوعد منك نفار

وما كان هذا الونا غير أنها * علاها لطول الانتظار صفار

ومن هنا أخذ الشيخ بدر الدين بن الصاحب فقال

ياحابس الكأس لا تزدها * من بعد حبس البنان حسره

واغنم مراجا لها لطيفا * أورثه الانتظار صفره

ومن نكته الغريبة البديعة قوله

لما رأت عيني مناطقك التى * انحت بخصرك دائما تتعلق

لاتستقر وقد علتها صفرة * ونحول جسم بالصبابة ينطق

ايقنت ان الخصر ضاع مخافة * فلذا تدور حوى عليه وتقلق

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

وشاح من أحبته قال لى * وهو الذى فى قوله قد صدق

قد ضاع منى الخصر لما انثنى * أما ترانى دائرا فى قلق

وقال فى شخص اسمه عثمان يهدده بالهجو

توعدت ياعثمان لهجو شاعرا * سيوليك هجوا عاره ليس ينجلى

فخذها قصيدا اذ أتت من محمد * تجاوز حضرطه السيل من عل

وعن ابدر فى افق التورية ونظم عقود لآ لئها بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى فن لآلئ عقوده قوله

صدوا وقد دب العذار بخده * ماضرهم لو أنهم خبروه

هل ذاك غير نبات خد قد حلا * لكنهم لما حلا هجروه

ومنه قوله

عرج على الزهر باندبى * ومل الى ظله الظليل

فالروض يلقاك بابتسام * والريح تلقاك بالقبول

ومنه قوله واجاد

ورياض وقفت اشجارها * وتمشت نسمة الصبح اليها

طالعت أوراقها شمس الضحى * بعد ان وقعت الورق عليها

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام لما وقف على هذين البيتين نكتة التوقيع هنا البق بن عبد الظاهر لكن طلع واطلع عليه البدر * وحفظ سره لما أضاءه ذلك الصدر * ومنه قوله

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق أزهار الربا

يتكسر الماء الزلال على الحصى * فاذا جرى بين الرياض تشعبا

ومن هنا اخذ الشيخ برهان الدين القيراطى فقال من قصيد

وشرحا وبصورشدة وترحا ورسمت له أن يقبل على يده العالية انما يقبل سبعة أبحر وسبعة انجم وأوصيته أن يصد وجهه قبله ويعتقد طاعته مله واوصى الشيخ السيد ان لا يألوه بسطا وتقريبا ونشدا وتوجيها والسلام

(وله الى الشيخ السيد العالم بى أحمد)

كتابى وقد أنعم الله تعالى على الشيخ السيد العالم نعما ان عدها لم يحصها وأمره أن يلبس شعارها ويحسن جوارها ليقصر قرارها وليس بعد الايمان بالله خصلة خير هى اوفر من رضوان الله حظا ومن تقوية المسلم ومعونته وليس بعد الشرك بالله خلة سوء هى أقرب الى غضب الله من شد على عضد ظالم وتقويته يده وقد علم الشيخ ما منى به اهل هراة من محن

وكان ذاك النهر فيه معصم * يد النسيم منقش ومكتب
فاذا تكسر ماؤه ابصرته * فى الحال بين رياضه يتشعب

ويعجبنى قوله من قصيد كلها غرر ولولا خشية الاطالة لاوردتها بكمالها

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنبهت اشواقى
ورقاء قد اخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحق
قامت تطارحنى الغرام جهالة * من دون صحبى بالحمى ورفاقى
انى تبارينى جوى وصبابة * وكآبة واسى وفيض مآقى
وانا الذى املى الجوى من خاطرى * وهى التى تملى من الاوراق

ومنه قوله

هلم ياصاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

ومنه قوله

ادر كؤس الراح فى روضة * قد نمقت ازهارها السحب
الطير فيها شيق مغرم * وجدول الماء بها صب

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال فى نواعير حماة من طرديته

ذات النواعير سقاها الترب * وأمهات عصنه والاب
تعلمت نوح الحمام الهتف * ايام كانت ذات فرع اهيف
فكلها من الحنين قلب * وكيف لا والماء فيها صب

وقال ابن نباتة فى مطلع قصيد

دمعى عليك مجانس قلبى * فارث على الحالين للصب

ونكتة الصب تطفل عليها أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدى ولكن ركبها تركيبا قلقا فقال

وحقكم ما حلت عن سنن الوفا * ولم ينقلب منى الى سلوة قلب
وما أنا غر بالصبابة والهوى * فانكر دمعى ان جرى وانا صب

ويعجبنى قول بدر الدين يوسف بن لؤلؤ من قصيدة

باكر الى الروضة تستجلها * فثغرها فى الصبح بسام
والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه اسقام
وبلبل الدوح فصيح على الايكة والشحرور تمتام
وسمة الريح على ضعفها * لها بنام والمنام
فعاطنى الصهباء مشمولة * عذراء فالواشون نوام
وا كتم أحاديث الهوى بيننا * ففى خلال الروض نمام

ومن هنا اخذ الجميع حتى الشيخ صفى الدين الحلى مع ان التورية غير مذهبه فقال

اقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللنمام حولى المام
ايارب حتى فى الحدائق اعين * على وحتى فى الرياحين نمام

انالنايبة ثم ما ارهقهم من الحقوق الديوانية ثم ما زيد عليهم من علاوة المصادرة الحادثة ثم ما كشف الاستار واظهر العوار وقبح النوار من غلاء هذه الاسعار حتى لقد أكلت الجيفة وهى خائسة وطحنت عظام الميتة وهى يابسة وعدم القوت وتمنى الموت وتركت العبادات وهجرت الجماعات وافردت الجنائز وتخطى الموتى وهم بالشوارع مطروحون ولقد دخلت المسجد الجامع يوم امس فرأيت تحت كل اسطوانة عليلا وكلمت احدهم فلم يفقه الا قليلا فيا عباد الله تعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان انكم تنشرون ثم اليه تحشرون ومن الواجب على السلطان اعز

ولكن ما أخل بها الشيخ جمال الدين بن نباتة لئلا يخرج عن مذهبه فقال

وأهيف ينهب أرواحنا * ووجهه كالروض بسام
تنم خداه بقتل الورى * فخده ورد ونمام

واخذها ابن الوردي ايضا ولكن زادها نكتة أخرى بقوله

ان قال صف لي عذارى وصف مبتكره * ووجنتي قلت خذها صنعة البارى
هذا عذارك نمام ومسكنه * نار بخديك والنمام في النار

ومنه قوله

الروض احسن ما رأيت اذا تكاثرت الهموم
يحنو على غصونه * ويرق لي فيه النسيم

ومنه قوله

البرد قد ولى فمالك راقدا * يا أيها المدثر المزمل
أوما ترى وجه الربيع وحسنه * والروض يضحك والحيا يتهلل

ومن لطائف تغزلاته قوله

حلا نبات الشعر يا عاذلى * لما بدا في خده الاحمر
فشاقني ذاك العذار الذي * نباته احلى من السكر

ومثله في اللطف قوله

شوقي اليك على البعاد تقاصرت * عنه خطاى وقصرت اقلامى
واعتلت النسمات فيما بيننا * مما أحملها اليك سلامى

ومنه قوله

تعشقته لدن القوام مهفهفا * شهى اللمى احوى المراشف اشنبا
وقالوا ابدا حب الشباب بوجهه * فيا حسنه وجها الى محببا

وقد تقدم القول ان اباتمام أول من اخترع هذه النكتة ومن نكته الغريبة اللطيفة البديعة قوله

وذى قوام اهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبي قط

وتطفل الناس بعده على هذه النكتة ومنه قوله

وبمهجتي المتحملون عشية * والركب بين تلازم وعناق
وحداتهم اخذت حجازا بعدما * غنت وراء الركب في عشاق

ومن هنا اخذ الناس بعد الشيخ بدر الدين كقول بعضهم

قلت مذ غني حجازا * ليتنا في اصبهان

ومنه قول الشيخ بدر الدين بن لؤلؤ

لك مبسم عذب اللمى يفترعن * بردوسلسال الرضاب مرادي
وفم يحاكي الميم الا انه * كم حوله عين نحوم كصاد

الله نصره في مثل هذا العام ان يتعهد الناس بالطعام ويتفقد الرعية بالانعام ويبذل فيهم الرغائب ليؤمن الساكن وليتألف الغائب والبلاء كل البلاء ان طلب هذا المال الموظف وتذهب الحاسة الباقية فانشد الله الشيخ ليبذلن في هذا الامر مجهوده ولينجزن موعوده وكرهت أن اخلط بهذا الكتاب غير التماس هذا النظر وفي الرأس فضول وفي الدماغ فضول ورأى الشيخ السيد في ملاحظة فلان بالعين التي كان يلاحظني بها وتمكينه من مجالسه وبساطه اوقات نشاطه وتمديته الى ما عساه يخطئ فيه وجه رشاده او يضل عن سبيل مراده عال ان شاء الله تعالى

وهذا المعنى أيضا تطفل عليه المتأخرون بعد الشيخ بدر الدين منهم الشيخ جمال الدين بن نباتة حيث قال

يا عين آمالى اذا استجمعت * انى الى مورد لقيالك صاد

ويعجبنى قوله من قصيدة ورّى فى بيتها الاول باسمه فقال

قد اخلقنى الفؤادى غير راحة * ومحقتنى الليالى بعد ابدار

فكم اوارى غراما من جوى وأسى * زناده تحت اثناء الحشا وارى

جيراننا كنتم بالرقمتين فمذ * بعدتم صار دمعى بعد كم جارى

ومن هنا اخذ الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بروحى جيرة ابقوا دموعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى

كانا للصبا ورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

وما أحلى قول بدر الدين من القصيدة المذكورة فى الخمرة ولم يخرج عما نحن فيه من التورية فقال

سارت لتقتص من قوم فما ربحت * فى حث كاس على الاوتار دوّار

فالقوم من بعض قتلاها وما ظلمت * وانما أخذت منهم بأوتار

ومن هنا اخذ القاضى امين الدين الحمصى كاتب السر الشريف بالشام المحروس كان فقال

وقوس حاجبه يصمى كانّ له * مطالبات على قلبى بأوتار

ويطربنى قوله من قصيد

فلما تفرقنا كانى ومالكا * لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

فاتبعته قلبا طيعا على الغضى * وخليت لى جفنا على السفح أطوعا

ومن لطائفه الغريبة

رفقا بصب مغرم * ابليته صدا وهجرا

وافاك سائل دمعه * فرددته فى الحال نهرا

هذا النهر وردمنه المتأخرون قاطبة ولولا طول الشرح لذكرت ذلك ومن لطائفه قوله

يا عاذلى فيه قل لى * اذا بدا كيف أسلو

يمرّ بى كل وقت * وكلما مرّ يحلو

ومن لطائف اتفاقه ونكته الغريبة قوله فى نجم الدين بن اسرائيل وقد هوى مليحا يلقب بالجارح

قلبك اليوم طائر * عنك ام فى الجوانح

كيف يرجى خلاصه * وهو فى كف جارح

وكتب اليه وقد بلغه انه سلا عن معشوقه المذكور

خلصت طائر قلبك العانى ترى * من جارح يغدو به ويروح

واقد يسر خلاصه ان كنت قد * خلصته منه وفيه روح

ومن مخترعاته الغريبة قوله فى الخمرة

ابدى الحباب لها خطا فاحسن ما * قد كان حرر من ميم ومن هاء

(وله اليه ايضا)
يا فرحا بيوم لا يحيى بوجهك
ويليلة تطوى بفقدك
وبضمير يخلو من ذكرك
ويا برح بجمالك ويا شوقى
الى أن لا القاك ولا يكفينى
الا كتحال بالقذى من
طلعتك حتى توقنى بفداة
رقعتك تخلى من نصائحك
حتى ان رأيت السيل
يسيل بى فلا تنذرنى وان
رأيته يغرقنى فلا تنقذنى
وان عاودتنى بعد ذلك
بشفقاتك الباردة ظهر شؤم
شفقتك على عنفقتك وقد
أعذر من أنذر

قديحة

قديمة ذاتها في روض جنتها * كانت وكان لها عرش على الماء

ومن هنا اخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس فقال من قصيدة السرحة

فاستهدت دوحها المخضل وافترشت * نجم الربا وورقت عرشا على الماء

ولكن لم يساعده في لفظة العرش اشتراك تورية بالنسبة الى الشيخ بدر الدين فان نسبة العروش الى الكرم معروفة ومنه قوله في مليح نجار

بروحي نجار حكى الغصن قده * رشيق التثني احور الطرف وسنان
يميل على الاعواد قطعا بما جنت * وما سرقت من قده وهي اغصان

ومن هنا اخذ جميع الناس وقال من قال

قد لمت ذا الاهيف النجار وهو على الاشجار يقطع في اغصان خلاف
فقال لي عندها ثار تحدثه * لانها سرقت من لين اعطافي

ومن احياها درس من رسوم التورية القاضي محيي الدين بن قرناص الحموي تغمده الله برحمته فمن نكته اللطيفة قوله

سقيا له روضا قدود غصونه * تختال في الابراد من اوراقها
جنت به ورق الحمام صبابة * اوما ترى الاغلال في اعناقها

ومن لطائف قوله

مال القضيب بروضة من سكره * لما سقاه عقاره ادرار
حتى اذا سرق النسيم دراهما * من كمه صاحت به الاطيار

ومثله قوله

مذ أتينا نبغي زيارة دوح * قد حبانا بالجود والاكرام
ناولتنا ايدي الغصون ثمارا * اخرجتها لنا من الاكمام

ومثله قوله وتلطف ما شاء في جمعه بين الاستعارة البديعة والتورية

لقد أتينا الرياض حين تجلت * وتحلت من الندى بجمان
ورأينا خواتم الزهر لما * سقطت من أنامل الاغصان

ومنه قوله

ورب نهر له عيون * تحار في وصفه العيون
لما غدا الريق منه عذبا * مالت الى رشفه الغصون

ومنه قوله

ايا حسنها روضة قد غدا * جنوني فنونا بافنانها
اتى الماء فيها على رأسه * ليقبيل اقدام اغصانها

ومنه قوله

تثنى الغصن اعراضا وعجبا * على نهر يذوب اسى عليه
فرق له النسيم وجاء يسعى * ملاطفة وميله اليه

ومنه قوله وتلطف ما شاء

(وله رقعة اشخاص)

سيرا على اسم الله وعونه الى الكلب ابن الكلبة واللابس ابن الرضيه والضيق ابن الرحبه والفؤاد ابن القحبه وألزماه داره وعرفاه مقداره وامنعاه طيب الغذاء وريح الهواء وبارد الماء حتى يؤدي ما عليه ويجر برجليه ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

كتابي وكنت اقعد بحالي عن مطالعة المجلس العالي واقتصر على خدمة الدار طرفي النهار والنفس آمر من فرط الصبابة وناه من ظل المهابة وللعزم باعث من الانبساط ومانع من الاحتياط والصدر بما يمسكه حرج وبما يبثه فرج لكني عرفت مكاني عنده فلم ازعده ومحلي وخطه فلم أتخطه فلما ورد كتاب

ويوم قد قطعناه بروض * يضاحك زهره شمس النهار
فكان نهارنا طلق المحيا * صبيح الوجه مخضر العذار

ومنه قوله

انم فان الدوح يا مالكي * حمل من اجلك ما لا يطيق
يرقبك الطير على وكره * واعين الازهار نحو الطريق

وهذا المعنى اخذه الصاحب فخر الدين بن مكانس وزناو قافية فقال

والنرجس الغض غدا شاخصا * فلا يخلى عينه للطريق

ومنه قوله وتلطف ما شاء

لو كنت اذ نادمت من احببته * فى روضة اطيارها تترنم
لرايت نرجسها يغض جفونه * عنا وثغر اقاحها يتبسم

ومنه قوله فى معذر

ووجنة قد غدت كالورد حمرتها * واشبه الآس ذاك العارض النضر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

وهذا المعنى استعمله بعضهم فى شجرة نارنج فقال ولكن لم اعلم المخترع من هو

نارنجة برزت فى منظر عجب * زبرجدو نضار صاغه المطر
كأن موسى كليم الله اقبسها * نارا وجر عليها ذيله الخضر

ومنه قوله

وروض قد اتت فيه معان * يطيب به الندامى والمدام
يسامرها النسيم اذا تغنت * حمائمه ويسقيه الغمام

ومنه قوله

روضة من قرقف انهارها * وغناء الورق فيها بارتفاع
لا تلم اغصانها ان رقصت * فهى ما بين شراب وسماع

ومن لطائفه فى اغزاله قوله

هويت فى مكتب غلاما * قلبى بهجرانه جريح
اهيف اضحى قبيح خط * وانما شكله مليح

ومنه قوله فى مليح مؤذن

ومؤذن اضحى كريما وجهه * لكنه بالوصل اى شحيح
ابدا اموت بهجره لكننى * من بعد ذاك اعيش بالتسبيح

ومنه قوله

قبلت خط عذاره لما بدا * وهصرت لين قوامه المياس
وطلبت لى من خده الحمر تما * بشفى قواى فجاءنى بالآس (ى)

وهذه النكتة توارد هو وشمس الدين محمد بن العفيف عليها فقال

من يعطف شجوى قلب هذا القاسى * كم اذكره وهو لعهدى ناسى
اشكو سقمى لعارضيه وكذا * يشكو دنف سقامه للآسى (ص)

الامير فى معنى استزارة الم
اتاى لم اجد بدا من المطالعة
وبالله ما اعرف لاستزارته
سببا يقتضى هربا وما اعلى
حملت حالا اوجبت ارتحالا
وما أبرئ نفسى انها العيبة
عيب لكنها فى غيب
ولست بمعصوم عن كل لوم
ولكنى اصون ولا بمحجوب
عن كل حوب ولكنى
التجمل فليت شعرى اى
عيوبى ظهر وكيف اشتهر
ولم اتطر وان كان خبر فهلا
ستر وان كان عثر فهلا
عذر واين رنق العمومة
وستر الابوة وما هذه
الشناعة والاشاعة وهلا
تقدم الايقاع انذار وهلا
سبع من اعتذار وبالله
اقسم وبنعمة الملك احلف
ان كنت اتهم نفسى بجرم
تطرقت اطرافه وامر
قصدت خلافه او شئ
لم يوافق مراده او حال

وتطفل عليهما بعدهما الشيخ صلاح الدين الصفدي فقال

كم جرح القلب منه جفن * كالسيف في صحة القياس

وطب آس العذار جرحي * فصح ان الطبيب آسي

وابتذل المتأخرون بعدهم حجابها ونظمتها انا ولكن زدتها نكتة اخرى من جنسها فترشحت وازدادت حسنا وهي قولي

مذ جفاني مرض القلب ولم * الق للضعف ولا الكسر انجبارا

قلت للعارض يا آسي اذا * درت داري مرض القلب فداري

ومن لطائفه في اغزاله قوله

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين ناظره

اتراهم في مقلتي * فاذا هم بالساهره

وهذه النكتة ايضا ابتذل المتأخرون حجابها كثيرا ومن ظرافات شمس الدين محمد بن العفيف المشهور بالشاب الظريف قوله

اذا حاولت حل البندقات * معاطفه جمانا لا يحل

وان جليت بوجنته مدام * يرى لعذاره دور وزنزل

وسبك ايضا تورية الدور في قالب آخر وجاء في غاية اللطف والغرابة بقوله

لحاظك اسياف ذكور فمالها * كما زعموا مثل الارامل تغزل

ومابال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل

ومنه قوله فيما يكتب على كاس واجاد

ادور لتقبيل الثنايا ولم ازل * اجود بنفسي للندامى وانفاسي

واكسوا كف الشرب ثوبا مذهبا * فمن اجل هذا لقبوني بالكاس (ى)

ومن هنا اخذ الشيخ شهاب الدين بن ابي حجلة وقال مضمنا

يا صاح قد حضر الشراب ومنيتي * وحظيت بعد الهجر بالايناس

وكسا العذار الخد حسنا فاسقني * واجعل حديثك كله في الكاس (ى)

ويعجبني قوله وقد اهدى مجموعا

يا ايها الصدر الذي وجه العلا * منه يزان بمنظر مطبوع

لا تعتقد قلبي يحبك وحده * ها قد بعثت لسيدي مجموعي

ونكتة المجموع استعملها الشيخ جمال الدين وغيره ومن نكته البديعة التي لم يسبق اليها قوله

كان ما كان وزالا * فاطرح قيلا وقالا   ايها المعرض عنا * حسبك الله تعالى

وهذه اخذها صاحبنا المرحوم مجد الدين بن مكانس بنصها فقال من قصيد

يا غصنا في الرياض مالا * حملتني في هواك مالا

يا راتعا بعد ما سباني * حسبك رب السما تعالى

ومن لطائفه في مليح رسام قوله

قلت لرسامكم * بك الفؤاد مغرم   قال متى اذيبه * فقلت حين ترسم

اقلقت فؤاده اكثر من
ضجر بالمقام وكان يمكنه
ان يضع لنفسه عذرا
احسن مما وضع ويتحمل
وجها اجمل مما تحمل واريد
ان اذكر قصة يلهيني سامعها
ويمقتني ناقلها اذ كان
لا يجاوز لما يفعله مثلي بمثله
وانا فرع من اصله وجزء
من كله ولكن لا بد من
ان ارخي وامد واجذب
واشد حتى يعلم الملك
انني في استزارته مظلوم
وانني من ظلمه مرحوم
وقد علم ما وردنا هذه الحضرة
بجيادة لا تطاهر ببردة
وابدان لا تخطر بارادن
وانني قاسمت هذا الم نعم
مولانا على الا نعمة لا تحتمل
قسمة وصلة لم تحتمل تفصلة
من فرس لم يمكن قطعه نصفين
وعبد لم يجز توزيعه بين اثنين
ولعل هذا الم نقم على هذا
الجرم وان كان نسبني الى

ومن لطائفه واختراعاته قوله

قامت حروب الزهر ما * بين الرياض السندسيه
واتت باجمعها الى * زور وضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان * الورد شوكته قويه

ومن لطائفه ايضا قوله

ياساكنا قلبي المعنى * وليس فيه سواك ثانى
لاى معنى كسرت قلبي * وما التقى فيه ساكنان

ومن لطائفه ايضا قوله

انى لاشكو فى الهوى * ماراح يفعل خده
ما كان يدرى ما الجفا * لكن تفتح ورده

ومن هنا اخذ الشيخ صلاح الدين الصفدى فقال ولكن زاده نكتة

اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال فى الشفق الدجا
فمن اين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح وردى والعذار تخرجا

ومن نكته البديعة قوله

قد تعشقت خلافيا ولى فيه معانى
كلما جادلنى العاذل فيه ولحانى
جئته من عارضيه * بدليل الدوران

ومن اختراعاته اللطيفة قوله فى مليح خيالى

خيالى اخاف الهجر منه * ولست اراه يرغب فى وصالى
وكنت عهدتنى قدما شجاعا * فمالى صرت افزع من خيالى

وقال فى زهر اللوز

تبسم ثغر اللوز عن طيب نشره * واقبل فى حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة * فان غصون الزهر تصلح للقصف

ومثله قوله

تمشى بصحن الجامع الشادن الذى * على قده اغصان بان النقا تثنى
فقلت وقد لاحت عليه حلاوة * الا فانظروا هذى الحلاوة فى الصحن

وقال

ياذا الذى نام عن غرامى * ونبه الوجد والجوى لى
جفنى جرى طيه دموع * شوقا الى وجهك الهلالى

ومن اختراعاته الغريبة قوله

عبتم على المحبوب حمرة شعره * واظنكم بدليله لم تشعروا
لاتنكروا ما احمر منه فانه * بدماء ارباب القلوب مضفر

وقال فى مليح زجاج

محظور ركبته او مسكر شربته او منكر قربته او قمار لعبته او عود ضربته او نرد نصبته او بيت نقبته او ثوب سلبته فقد صبر على هذه الهنات عشر سنين فما هذا الضجر اليوم وان لم اتعاطها فلا لوم ولم يبق ايد الله الامير من انقلاب الزمان الا ان تطلع الشمس من مغربها والله المستعان ولخادمه بهذه الحضرة رتبة يحسده القاصى عنها ويخافه القارع لها ويراجعه النازل بها ويمقته الطامع فيها فهو من جهاتها محسود ومن اجلها بالتشيع مقصود والمرء لايخلو من ذنب صغير يورى عن جهته فيرى كبيرا وخطب يسير يتوصل به كذب صار عظيما وربما شيع الى باب جهنم من لايدخلها وانى لا ظهر

قولوالزجاجكم ذا الذى * له محيا بالسنا يسفر
ان كنت فى الصنعة ذا خبرة * وكان معروفك لا ينكر
فالاحداق اقداحها * فى صحة من حسنها انكسر

وقال ايضا

كلف الفؤاد بظبية مجانة * ماسكنت يوما آمنا من هجرها
جنت فؤادى بالغرام فاوها * من ادمعى ودقيقها من خصرها

وهذا المعنى تلاعب به الجماعة بعد ابن العفيف ولكن ما برح دقيقه خاصا وقال فى ذم الحشيش واجاد

ماللحشيشة فضل عند آكلها * لكنه غير مصروف الى رشده
صفراء فى وجهه خضراء فى فمه * حمراء فى عينه سوداء فى جسده

وقال فى مليح اصيبت عينه

كان بعينين فلما طغى * بسحره ردّ الى عين
وذاك من لطف بعشاقه * مايضرب الله بسيفين

وتورية السيف تناولها الجماعة بعد ابن العفيف ولولا خشية الاطالة لذكرت غالبها وقال فى مليح بدوى

بدوى كم جدلت مقلتاه * عاشقا فى مقاتل الفرسان
ذو محيا يصيح بالهلال * ولحاظ تقول يا السنان

وقال فى مليح جرح بسكين

لم تجرح السكين كف معذبى * الا لمعنى فى الغرام محقق
هى مثل ماقد قيل جارحة له * ولكل جارحة اليه تشوّق

وقال فى مليح مؤذن بالجامع الاموى

فديت مؤذنا تصبو اليه * بجامع جلق منا النفوس
يطير النسر من شوق اليه * وتهوى ان تعانقه العروس

هذان البيتان توارد على نكتتهما شمس الدين بن العفيف والشيخ جمال الدين بن نباتة ورأيتهما فى ديوانه والبيت الاول بنصه والبيت الثانى فيه بعض تغيير وهو

لقد زف الزمان لنا ماما * تكاد بان تعانقه العروس

وقال فى مليح منير

منير وجدى به * اكتمه ويظهر
وكيف تخفى لوعتى * وقد غدا ينير

وقال ايضا يصف بساطا

بساط يملأ الاحداق حسنا * ويهدى للقلوب به سرورا
وينشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط مايرضى الصدورا

وقال دو بيت

فى سائر الاخلاق الا النفاق فان لم اخف الله العلى الكبير لم ارهب الامير والسلام

(وله اليه ايضا)

كانى ومن شرط العبودية الكذب الى ولى النعمة بامور سلبية واحوال مستقيمة ثم يبطء عن قرحة الحال بصدق الاتصال لكن العبد يكره ان يقول امرى مستقيم وهو بالبعد منه مقيم بين نهار يفقده جاه وليل يترقبه جاه وبلاد لا يوافقه ثراه وولى نعمة لا يراه فلو كان العبد حجرا لمات ضجرا بين هذه الاحوال او حديدا لسال صديدا تحت هذه الاثقال ويعز على العبد ان يزيد الحضرة العالية ثقلا ولكن لا طاقة للمحموم بحر السموم ولا قبل للمحرور بفيح الحرور ولا سيما اذا

الصب بحبكم عراه الوله * فى طوع هوا كم عصى عذله
ايضاح غرامه غدا تكملة * اذ كان مفصل الهوى مجمله

وقال ايضا

اقدى عربا حلوا بوادى الجزع * ياوحشة ناظرى لهم فى الربع
لما بحثوا عندى فى فرقتنا * انشأت اهم مسائلا من دمعى

ومنه قوله

يقول وقد رناعن لحظ ظبى * وهز الغصن فى ورق الغلائل
أأقتلكم بطرفى ام بعطفى * فقلت بما تشا فالكل ذابل

وهذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بقافيتها وقال

له معطف لدن القوام ومرشف * رقيق على التقبيل فالكل ذابل

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى كتابه الذى جمعه من املاء الشيخ اثير الدين ابى حيان وسماه مجانى العصر من ادب اهل العصر انشدنى الشيخ اثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف فى مليح طباخ

رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير
مالكى أصبح لكن * شغلوه بالقدور (ى)

قال الشيخ صلاح الدين وانشدنى الشيخ اثير الدين قال انشدنى شمس الدين محمد بن العفيف لنفسه

ليس خليلا لى ولكنه * يضرم فى الاحشاء نار الخليل
يا ردفه جرت على خصره * رفقا به ما انت الا ثقيل

وهذه النكتة تلاعب بها غالب المتأخرين بعد ابن العفيف ومن لطائفه قوله وقد احتجب بعض اصحابه عنه

ولقد اتيت الى جنابك قاضيا * باللثم للعتبات بعض الواجب
واتيت اقصد زورة احيابها * فرددت ياعينى هناك بحاجب

هذه النكتة اخذها الشيخ جمال الدين بن نباتة غفر الله لهما بقافيتها فقال

حجبتنى فازددت عندى علا * برغم من اقبل كالعاتب
وقلت لاعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

والم الشيخ زين الدين بن الوردى بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

زرتكم صحبة وودا * الفيتكم مغلقين بابا
سعيى الى بابكم جنون * عليه استأهل الحجابا

ومن لطائفه فى أغزاله قوله

وكم يدعى صونا وهذى جفونه * بفترتها للعاشقين تواعد
وكم يتجافى خصره وهو ناحل * وكم يتحالى ريقه وهو بارد

ومن هنا اخذ الشيخ صفى الدين الحلى ولبته ما قال

كان همذانى المولد جبلى المنبت نارى المزاج ضعيف البنية يابس العظام حاد الطبع حديث السن وعبده يجمع هذه الاوصاف وقد مال مزاجه الى الانحراف بأشر ما باشر من الحر بهذا المستقر ولم يهجم حزيران ولا التى جرانه تموز ومولانا ادام الله سلطانه رأى العين على مسيرة يومين فكيف اذا سار المطى بنا عشرا ونشرت حزيران فيها نشرا ولوانعم على عبده واذن له فى قصده لجمع اسباب السعادة له فى سمط وارجوأن لا يرده عن هذا الامل ويسلمه الى العلل ولا يحرمه برد النظر الى الغرة الميمونة فلولا انه مرض وروح ماله عوض ولا فى خروجى ضرر

وما فيه شيء ناقص غير خصره * وما فيه شيء بارد غير ريقه

ومنه قوله

أيسعدني يا طلعة البدر طالع * ومن شقوتي خط بخدك نازل

ولو ان قسا واصف منك وجنة * لاعجزه نبت بها وهو باقل

الذي يظهر لي ان النكتة في باقل من اختراعات ابن العفيف فاني لم اجد احدا ممن تقدمه ألم بها ولكن ما صبر الشيخ جمال الدين عنها لحسنها فقال من قصيد مضمنا

تطاولت الاغصان تحكي قوامه * وعند التناهي يقصر المتطاول

واعيا فصيح الوقت نبت عذاره * وعيرقسا بالفهاهة باقل

وكذلك الشيخ زين الدين بن الوردي ما صبر عنها حتى قال

وبي اغيد من حسنه البدر خائف * على نفسه والنجم في الغرب مائل

فلو رام قس وصف باقل خده * لعير قسا بالفهاهة باقل

ومن لطائفه قوله

يا خاله خضرة بعارضه * حرستها عن متيم مغرى *

كف عن العاشقين مقتصرا * هل انت الاحوبرس الخضرا

ومن نكته اللطيفة قوله

زار وجيب الظلام منسدل * فانشق ثوب الدجى عن الفجر

وبت من صدغه ومبسمه * اجمع بين الحشيش والخمر

هذه النكتة أخذها الشيخ زين الدين بمعناها وقال

ومليح قال جهرا * يا نفوس الناس عيشي

من رضابي وعذاري * بين خمر وحشيش

ومن لطائف نكت ابن العفيف قوله

واني بوجه كالهلال مركب * من قامة غصنية هيفاء

ويعلة خفق الفؤاد وقدرنت * وكذا الجنون يكون عن سوداء

ومن لطائف اختراعاته قوله

بدا وجهه من فوق اسمر قده * وقد لاح من سود الذوائب في جنح

فقلت عجيب كيف لم يذهب الدجى * وقد طلعت شمس النهار على رمح

ومنه قوله والنكتة غريبة وبديعة

اسكرني باللفظ والمقلة الـ * كحلاء والوجنة والكاس

ساقٍ يريني قلبه قسوة * وكل ساق قلبه قاس (ى)

ومن لطائفه ايضا قوله

يا باعثا شعره انتشارا * بقامة ما لها نظير *

الموت من ناظريك لكن * من شعرك البعث والنشور

ومن لطائفه قوله في مليح اسمه مالك

ولا با قامتي غرض
وليس عقيده بيدي
اذا ما غبت ينتقض
ولي في قصدك شرف
وعين القصد معترض
اذا انقبضت من املي
ولكن فيم انقبض
أيأمر بالمقام وهل
يقوم بذاته عرض
ومولانا ادام الله سلطانه
أبسط رأفة على الخدم كافة
وعلى من بينهم خاصة
ألا يرحم لحي الضعيف
في هذا الهواء الكثيف
والامراض لا تعبث من
عبده بشحم ولحم انما تصل
الى العظم فتقضه والى
الروح فتستخلصه وله ادام
الله قدرته في الانعام رأيه
العالي ان شاء الله تعالى
(وله الى ابي الحسن البغوي)
كتابي وجزى الله الشيخ خيرا
عن بطان الساغب وكف
الراغب واعانه على همته

مالك قد احل قتلى برمح الـ * ـقد منه وراح قلبى طعينه
ليس يفتى سواه فى قتل صب * كيف يفتى ومالك بالمدينه

ومنه قوله مع حسن التضمين

جلا ثغرا واطلع لى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وانشد ثغره يعنى افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن لطائفه قوله

بأبى شادن غدا الوجه منه * يخجل النيرين فى الاشراق
سلب القضب لينها فهى غيظا * واقفات تشكو مع الاوراق

البيت الثانى بلفظه ومعناه تقدم لابن عبد الظاهر والله اعلم ايهما السابق وابتذل جماعة هذه النكتة بعد ذلك المتأخرون منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

قده جار اعتدالا * فله فتك ونسك
سلب الاغصان لينا * فهى بالاوراق تشكو

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

ومستتر من سنا وجهه * بشمس لها ذلك الصدغ فى
كوى القلب منى بلام العذار * فعرفنى انها لام كى

ومن لطائفه قوله

كانى والواحى فى محبته * فى يوم صفين قد دقنا بصفين
وكيف يطلب صلحا او موافقة * ولحظه بيننا يسعى بسيفين

ومن نكته التى تطفل الناس بعده عليها قوله

بأبى افدى حبيبا * تيم القلب غراما
عذر العاذل فيه * مذ رأى العارض لاما

وقال

لولم تكن ابنة العنقود فى فمه * ما كان فى خده القانى ابولهب
تبت يدا عاذلى فيه فوجنته * حمالة الورد لا حمالة الحطب

اخذه ابن نباتة وقال

حمالة الحلى والديباج قامته * تبت غصون النقا حمالة الحطب

قلت ورد ابن العفيف اغلى من ديباج ابن نباتة من حيث المناسبة الادبية والله اعلم وهذه النكتة ايضا اغار عليها المعمار بقوله

تعرض البدر يحكى حسن صورته * فراح منكسفا وانشق بالغضب
وبانة الجزع ماست مثل قامته * تبت وقد اصبحت حمالة الحطب

(وممن احسن المباشرة فى نظم التورية) سيف الدين بن المشد فمن نكته البديعة الغريبة قوله

مسكية الانفاس على الصبا * عنها حديث شاقط لم يقال

جنت

ووفقه واخاف عليه خيرا مما اتقه فليس لمثل هذا العام الامثل ذلك الانعام والبذل العام فلو انتقر لهلك من افتقر ولكنه اجمل وعم الاعلى والاسفل فكانه كان ربيعا وكاما احيا الناس جميعا ومما يدل على شكر الله سعيه فى الحج ان جعله كعبة المحتاج لا كعبة الحجاج وجعل داره مشعر الكرم كما ودع مشعر الحرم ولم يفصله عن منى الخيف حتى عقد بناصيته منى الضيف وكما جعل البيت قبلة للصلاة جعل بيته قبلة للصلات الشيخ اذ لم يختم بهذا الختام لم يكن بالحج التام فالحمد لله الذى مكنه ووفقه والله بتمام النعمة كفيل وهو حسبنا ونعم الوكيل رجع فلان فوصف ما صدقه الشيخ من اعتناء واهتمام

جذفت لسان سرى عرفها * وماترى من جن بالمندل

ومن لطائفه قوله

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
مافيه ساع سوى الساقى وليس به * على الندامى سوى الريحان نمام

هذه النكتة تقدمت للبدر بن لؤلؤ الذهبى وذكرت من اغارعليها من الجماعة ولكن الامير سيف الدين زادها نكتة اخرى بديعة واستعملها أحسن من الجماعة ومن لطائفه قوله

وشادن اورد فى هجره * لهيب حر الشوق والفرقه
اصبحت حران الى ريقه * فليت لى من قلبه رقه

هذه النكتة نظمتها فى مبادى العمر ولم اقف على قول ابن المشد الا بالديار المصرية فى الايام المؤيدية فقلت

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يلتوى من الدقه
فبت من خصره وريقته * اهيم بين الفرات والرقه

ومن لطائفه قوله

فى يوم غيم من لذاذة جوه * غنى الحمام وطابت الانداء
والروض بين تكبر وتواضع * شمخ القضيب به وخر الماء

ومن لطائفه أيضا قوله

اذن القمرى فيها * عند تهويم النجوم
فانثنى الغصن يصلى * بتحيات النسيم

ومن لطائفه قوله

لئن صرفت وحاشا * لذ قالدنانير تصرف
وما اعتقلت كريما * الا وأنت مثقف

ومن لطائفه قوله

الحمد لله فى حلى ومرتحلى * على الذى نلت من على ومن عملى
بالامس كنت الى الديوان منتسبا * واليوم اصبحت والديوان ينسب لى

ومن لطائفه قوله

لعبت بالشطرنج مع شادن * رشاقة الاغصان من قده
احل عقد البند من خصره * وألثم الشامات من خده

تورية الشامات رخصها المتأخرون بعد سيف الدين بن المشد وممن أخذها الشيخ جمال الدين ابن نباتة فقال

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * فى شكله من معانى الحسن اشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

انتهى ماتخيرته ووعدت بايراده فى باب التورية من كلام هذه العصابة التى مشت تحت

وذلك لائق بفضله فليتبع الفرس اللجام ان الصنيعة بآخرها والسلام

(وله ايضا)

ياشيخ والفاضل فضله والسيد بدعة ولو رأى كل حده لم يتعده وابصر خطه لم يتخطه واذا لم تسخف اقوام ولم تسفه احلام ولست والله لرتبة الشيخ اهلا وان كان الشيخ كهلا فما الذى دعاك الى الزيادة واتصال السيادة اسربالك ام خشونة سبالك ام مرض فؤادك ام صحة سوادك ام طهارة اصلك ام صرامة فضلك ام حصانة اهلك ام رجاحة عقلك ام ملاحة شكلك ام غزارة فضلك ام تقلم كلامك وسلامك ام خبر قعودك وقيامك ام كنف جنابك وخيامك ام حسن وارائك وامامك ياشيخ حقيق ان لا اغرك بنفسك

العصائب الفاضلية * وصار لها من بعده في نظم التورية اعظم روية * وقدمت امامهم الذي صلت الجماعة خلفه وهو القاضي الفاضل وبعده القاضي السعيد بن سنا الملك والشيخ سراج الدين الوراق وأبو الحسين الجزار ونصير الدين الحمامي وناصر الدين حسن بن النقيب والحكيم شمس الدين بن دانيال والقاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهذه الفرقة التي تقدمت بعد الفاضل بالديار المصرية وأما الفرقة الشامية فامام جماعتها الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري شيخ شيوخ حماة وبعده مجير الدين بن تميم وبدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي ومحيي الدين بن قرناص الحموي وشمس الدين بن العفيف وسيف الدين بن المشد ولكن عجبت من الشيخ صلاح الدين الصفدي كيف اخل في كتابه المسمى بفض الختام عن التورية والاستخدام بذكر الشيخ علاء الدين علي بن المظفر الكندي الشهير بالوداعي وهو اشهر من قفا نبك في نظم التورية بل هو امرؤ قيسها او كنديها * واذا ذكر شرف نسبها فانه علويها * وانتقل من حلب الى دمشق المحروسة وعاصر الجماعة المذكورين ومولده سنة أربعين وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة فكانت مدة حياته ستا وسبعين سنة ومولد السراج الوراق سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وتسعين وستمائة فكانت مدة حياته ثمانين سنة ومولد أبي الحسين الجزار سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنتين وسبعين وستمائة فمدة حياته احدى وسبعون سنة ووفاة نصير الدين الحمامي سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ووفاة ناصر الدين بن النقيب سنة سبع وثمانين وستمائة ووفاة الحكيم ابن دانيال سنة عشرة وسبعمائة ومولد محيي الدين بن عبد الظاهر سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنتين وتسعين وستمائة فمدة حياته اثنتان وسبعون سنة ومولد شيخ الشيوخ الانصاري سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة فمدة حياته خمس وسبعون سنة ووفاة مجير الدين بن تميم سنة احدى وثمانين وستمائة ووفاة بدر الدين يوسف الذهبي سنة ثمانين وستمائة ومولد شمس الدين بن العفيف سنة اثنتين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة فمدة حياته خمس وعشرون سنة ومولد سيف الدين بن المشد سنة اثنتين وستمائة ووفاته سنة خمس وخمسين وستمائة فمدة حياته ثلاث وخمسون سنة وحل القصد من ذلك تحقيق الواقف على هذا الشرح ان علاء الدين الوداعي عاصر الجماعة او غالبهم وقد تقدم قولي في باب التوجيه ان الشيخ علاء الدين الوداعي سبك التورية في قوالب لم يسبقه احد من هذه الجماعة اليها * ولا سقط فكره عليها * ومع علو قدر الشيخ جمال الدين بن نباتة وهو الذي مشت ملوك الادب قاطبة بعد الفاضل تحت اعلامه تطفل على موائد نكت الوداعي ومعانيه * وعلى الانواع الغريبة من تواريه * واوردت هنالك من هذا القدر نبذة ولكن تعين ايرادها هنا كاملة لانها حق من حقوق التورية وصل في تقدمه الى غير مستحقه بحيث ان الطالب اذا اراد ان يفرد هذا النوع اعني التورية كان بافراده فريدا * وعقدا نضيدا * وكلما اوردته من انواع التورية في غير بابه * عزمت على نظم شمله هنا ليجتمع كل غريب باقاربه وانسابه * وقد عن لي انني اذا فرغت من هذا الشرح ان افرد بابا للتورية والاستخدام واجعلهما مصنفا مفردا واسميه كشف اللثام * عن وجه التورية والاستخدام * فان الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه لم

انك بالتسبيح اخلق منك بالتسبيح وبالقيادة اليق منك بالسيادة كذبك من ناجاك ان اخاك من نادك وخانك من سودك ان الصادق من قودك وأضلك من فضلك ان المرشد من ضللك وقد نصحتك وان اوحشتك وان شئت غششتك وآنستك وشمت الفلك اذ لم يكن عبدالك وشمت دهرك اذ لم يوف مهرك فقعد بك عن ملك العراق وحيازة الآفاق فالرأي في الحبس ولا اطلاق والامر بالغل والاملاق والحكم في الرؤس والاعناق فاكون ايضا من جملة من اجلوك حتى اذلوك فلا احب ان اكون هنالك وورد كتابك ووقفت منه على حديث خفي وما قدمته في فصله من الشكاية حتى التجأت فيه الى الشكاية فالحين

يشف القلوب بترتيبه * ولا تفقه في بديعه وغريبه * فمن موائد الوداعي التي تطفل الشيخ جمال الدين بن نباتة عليها قوله من قصيد

انخنت عينها الجراح ولا اثـ ـم عليها لانها نعساء

زاد في عشقها جنوني فقالوا * ما بهذا فقلت بي سوداء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال من مطلع قصيد

قام يرنو بمقلة كحلاء * علمتني الجنون بالسوداء

والشيخ جمال الدين بن نباتة أدرك الوداعي وهو في عنفوان شبابه * ولمعان سيوف آدابه وقد تقدم مولد الوداعي ووفاته ومولد الشيخ جمال الدين سنة ست وثمانين وستمائة وتوفي سنة ثمان وستين وسبعمائة فتكون حياته اثنان وثمانون سنة وعلى هذا كان سن الشيخ جمال الدين ابن نباتة عند وفاة الوداعي ثلاثين سنة والله أعلم ومما نعطف به على ما تقدم قول الوداعي

اذا رأيت عارضا مسلسلا * في وجنة كجنة يا عاذلي

فاعلم يقينا انني من امة * تقاد للجنة بالسلاسل

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وزنا وقافية وقال

افدي الذي ساق اليها مهجتي * فرع طويل تحت حسن طائل

قلبي بصدغيه الى طلعتها * يقاد للجنة بالسلاسل

ومن ذلك قول الشيخ علاء الدين الوداعي

لقد سمح الزمان لنا بيوم * غدا فيه السمي مع السمي

تجمعنا كانا ضرب خط * على في على في على

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا وزنا وقافية وقال

علوت اسما ومقدارا ومعنى * فدالله من حسن جلي

كأنكم الثلاثة ضرب خط * علي في علي في علي

قال الشيخ علاء الدين الوداعي

من آخذ من خده * بدم الشهيد المغرم

فالريح ريح المسك منه * ولونه لون الدم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

لا ينكر الكاسر من جفنه * دم الشهيد الصابر المغرم

فالريح ريح المسك من خده * كما ترى واللون لون الدم

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

يفتن بالفاتر من طرفه * وريقه البارد يا حار

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

لو ذقت برد رضاب من مقبله * يا حار مالت اعطافي التي غلت

مع أن الشيخ جمال الدين فتر عن الفاتر وقال الشيخ علاء الدين الوداعي

قيل ان شئت أن تكون غنيا * فتزوج وكن من المحصنينا

ولا ذلك الدين والموت ولا هذا الصوت فقد وهبت ذلك واضعافه لقلبك وان شئت رفعته لكلبك

(وله أيضا)

افارق الشيخ مفارقة العبد ثم اعلل نفسي بالمواعيد فاذا سهل الله العسير وقرب البعيد وأعاد لي العيد كانت المتعة خطفة البارق والسهم الخارق ووقفة السارق والخيال الطارق واقفة الآبق والجواد السابق

لا استتم عناقه للقائه

حتى اروم عناقه لوداعه

ولو شاء الله جعلني ظله ولو جعلني ظله لربطني معه وعنده لحسدت عليه جلده ولكنت المنهوم الذي لا يشبع والحريص الذي لا يقنع

والنفس راغبة اذا رغبتها

واذا ترد الى قليل تقنع

قلت ما يقطع الا هجر * لم يضع بين اظهر المسلمينا

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

قال لي خلي تزوج تسترح * من اذى الفقر وتستغنى يقينا
قلت دع نصحك واعلم انني * لم اضع بين ظهور المسلمينا

قلت ان قافية محصنين أصدق من يقين ابن نباتة في مقطوعه قال الشيخ علاء الدين الوداعي مضمنا

ياعاذلي في النكاريش اطرح عذلي * واعذر فعذري فيهم واضح حسن
فالمرد ان حاولوا حربي بهجرهم * اذا القام بنصرى معشر خشن

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

لو آذتني عذالي بحربهم * اذ في النكاريش قد أصبحت هيمانا
اذا القام بنصرى معشر خشن * عند الحفيظة ان ذو لوثة لانا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

عذب مقبله وحلو لحظه * او ماتراه بالنعاس معسلا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

معسل بنعاس في لواحظه * أماتراها الى كل القلوب حلت

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من القصيدة المذكورة

الحاظه وهي السيوف كليلة * ويكون تعذيب الكليلة اطولا

أخذه الشيخ جمال الدين مع القافية وقال من قصيد

بليت به ساجي اللحاظ كليلها * ومازال تعذيب الكليلة أطولا

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

والنهر كالمبرد يجلو الصدا * ببرده عن قلب ظمآنه

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

والنهر فيه كمبرد * فلاجل ذا يجلو الصدا

لكن نقص نهره وكل مبرده عن نكتة ببرده في بيت الوداعي فات الشيخ جمال الدين حط مكانها في بيته فلاجل ذا وشتان قال الشيخ علاء الدين الوداعي في مطلع قصيد

ما كنت اول مغرم محروم * من باخل بادي النفار كريم

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

مبخل يشبه ريم الفلا * ياطول شجوى من بخيل كريم

قال الشيخ علاء الدين الوداعي في مليح أعمى

بروحي غزال راح في الحسن جنة * تعشقته اعمى فهمت من الوجد
اذا ما تبدى قائدا بيمينه * تيقنت حقا انه جنة الخلد

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال

افديه اعمى مغمد اللحظه * ليرنى في خده الوردى

هذا والرحيل غدا وان
رغم انف ابي الدردا
وقرت عيون الاعدا
وعلا نفس الصدا
وانطوى القلب على لذا
ويا ويح نفسي من غد
ان رأى ان ينفذ الى تذكرة
بامره ونهيه وجريدة
بعوارضه وحاجاته فعل
وقد كان الشيخ كتب خطا
عن فلان بصدره من الخطة
الى بعض وكلائه وانتظرت
به حركة سعر فرجع
القهقرى وتحرك الى
ورا وقد حملت ابا فلان
في معناه ما يشم بالاصغا
اليه ويأتي قضية كرمه فيه ثم
أبو فلان تمرة الغراب وفرحة
الاياب وتوصله بخصاله
آكد مما معه من كتاب
وللشيخ الرأي الموفق فيما
يأتي ويذر

تمكنت عيناى من وجهه * فقلت هذى جنة الخلد

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

بخلت على بدر مبسمها * فغدت مطوقة بما بخلت

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال من قصيد

بخلت بلؤلؤ ثغرها عن لاثم * فغدت مطوقة بما بخلت به

هذا المعنى استحقيته على الشيخ علاء الدين الوداعى والشيخ جمال الدين بن نباتة فانى زدت الاقتباس من الحديث تورية بقولى

ناحت مطوقة الرياض وقد جرى * دمعى المطوق بعد فرقة حبه

لكن بتساوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد يصف مليحا من المغل

ومايرى هوى المشتا * ق الاذلك المغلى

قال الشيخ جمال الدين من قصيد

من المغل اشكو نحره ألم الجوى * وطب الهوى عندى كما قيل بالمغلى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

يانديمى والذى عاهدنى * أنه عن شربها لن يقصرا

اسقنى صرفا ودع عذالنا * يضربون الماء حتى يحصرا

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

اسقنى صرفا من الرا * ح تحت الهم سنا

ودع العذال فيها * يضربون الماء حتى

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من مطلع قصيد

باللوى صعدة عليها لواء * كل طعنات نصلها نجلاء

وقال بعد المطلع

لاتحل عندها سماع الشكوى * فلهذا قالوا لها صماء

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة فى مطلع قصيد

وعدت بطيف خيالها أسماء * ان كان يمكن مقلتى اغفاء

وقال بعد المطلع

يامن يطيل من الجوى لقوامها * شكواه وهى الصعدة الصماء

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

يادوحة أطربتنى * وحسنت لى هتكى

اذلست أبرح فيها * مابين دف وجنك

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

بالجنك من مغنى دمشق حمائم * فى دف اشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها الشجى بكأسه * غنت عليه بجنكها وبدفها

(وله ايضا الى محمد بن طهير رئيس بلخ وعميدها) كتابى والشيخ الرئيس رحمه الله فى الرياسة معقول وله فى الفضل آخر واول ومايعنو له طرف من شرف تناله يد الحر ولقد جعله عرضة بانع الولاء وطيب الثناء وصالح الدعاء

أية أعلام ضبه

واهلا باحلامها

هن الاروم ومنها ذلك الثمر

هن العروق عليها تنبت الشجر

السيف ادام الله عز الشيخ الرئيس خامل حتى يجيد حامل وكنت كمثل النصل فارق غمده

فاحدثت الايام فى حده

وهنا

فصادفه الشيخ الرئيس معطلا

بأيدى رجال لايرون له وزنا

فجاذبنى سنا وأحدث لى سنا

وجدد لى جفنا وحلى لى الجفنا

ولبست الابيات لى ولكنى اصبتها فاستطبتها والبز

وتطفل أيضا الشيخ صلاح الدين الصفدي على الوداعي في جنكه ودفه فقال

انهض الى الربوة مستمتعا * تجد من اللذات مايكفي
فالطير قد غنى على عوده * في الروض بين الجنك والدف

وتطفل على الوداعي أيضا الشيخ زين الدين بن الوردي وتزاحم هو والصفدي على العود

دمشق قل ماشئت في وصفها * واحك عن الربوة ماتحكي
فالطير قد غنى على عوده * في الروض بين الدف والجنك

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد يصف نار شوقه لمحبوبه مع كتمان سره

في حشاه للشوق نار تلظى * وبفيه حفظا لسر له ماء

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة بالقافية وقال من قصيد ولكن زاده حسنا

فيا عجبا مني لانسان مقلتي * يحدث أخباري وفي فمه ماء

ومن لطائف الوداعي ونكته في العود الذي اخذه منه الشيخ صلاح الدين الصفدي والشيخ زين الدين بن الوردي واستعملاه ولا وتار قوله

والروض يهدي مع نسيم الصبا * نشر خزاماه وريحانه
وراسل القمري ورقاءه * شدوا على اوتار عيدانه

ويعجبني من هذه القصيدة قوله مشيرا الى رأس العين ببعلبك

ياحادي الاظعان ان شارفت * من بعلبك سفح لبنانه
فاقر ارتياحاتي على نازل * في محجر العين كانسانه

قال الشيخ علاء الدين الوداعي من قصيد

ياجيرة بالغور قد نزلوا * الله من حسرة ونزال
ماعطل الطرف بعد فرقتكم * من دمعه وا كشفوا عن الحال (ى)

أخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال

حلوا بعقد الحسن اجيادهم * وحاولوا صبري حتى استحال
فآه من عاطل صبر مضى * والحمد لله على كل حال

قال الشيخ علاء الدين الوداعي واجاد الى الغاية

قالت الورق اذ شدا * فشجاها وشوقها
مارأينا مقرطقا * قبل هذا مطوقا

ومثله في تورية المطوق

ياجنة كوثرها * رضابه المروق
وفوق غصن قده * عذاره مطوق

ومثله قوله

فديت من مبسمه * زهر لغصن قده

وصدغه

الى بن والعزلين عن
وما انجعونا طائعين فنامهم
ولكن خطبناها بارماحنا
قهرا
ولي صاحب لما أتاني جوابه
نثرت على عنوانه قبلي نثرا
سرقت له شعرا ولو وصلت
يدي
سرقت له الشعرى ولم اسرق
الشعرا
اعوذ بالله من الحور بعد
الكور واستقيل الله
عثرات الكرام كنت
نويت ان لا اقول الشعر
فأبت النفس الا الدبيب وأجدني
قد اكتهلت والكهل قبيح
به الجهل ولاحت الشعرات
البيض وجعلت تفرخ
وتبيض وآن لعازب ان
يؤب وانما اختارت الحكماء
الزاويه والاماكن الخاليه
لانهم وجدوا العاشيه تهيج
الآسيه وما أهنا هذه
العافيه اولم أحرم الخدمة
العاليه ورقات تدرس
وشجرات تغرس وشويهات

وصدغه مطوق * فى روضة من خده

النكتة فى المطوق من اختراعات الوداعى وتطفل عليها الشيخ جمال الدين بن نباتة حتى فى تسمية كتابه ومن نظمه فيها قوله

طوق جود الوزير جيدى * فلست عن مدحه اعوق
اسجع بالمدح فى علاه * لا غرو أن يسجع المطوق

قال الشيخ علاء الدين الوداعى

لى من الطرف كاتب يكتب الشو * ق اليه اذا ا لفؤا د أمله
سلسل الدمع فى صحيفة خدى * هل رأيتم مسلسلات ابن مقله

هذا المعنى قلبه ابن نباتة بعد الوداعى كثيرا وسبكه فى قوالب كثيرة واظنه اخذه وزنا وقافية بقوله

قلت للكاتب الذى ما أراه * قط الا ونقط الدمع شكله
ان خط الدموع فى الخد خطا * ما يسمى فقال خط ابن مقله

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

قلبى مطيع فى هواك وانت لى * من بين دوح الحسن غصن خلاف

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة وقال فى مطلع قصيد

قاسى الجوانح لين الاعطاف * أهواه فى الحالين غصن خلاف

قال الشيخ علاء الدين الوداعى من قصيد

كيف أقوى لحمل سخط وبعد * بعدما كان من رضا وتدانى
فتكرم بعطفة والتفات * مثل ما فى الاغصان والغزلان

اخذه الشيخ جمال الدين فقال من قصيد

غزال رمل ولكن غير ملتفت * وغصن بان ولكن غير منعطف

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى ونكته الغريبة قوله

قال لى العاذل المفند فيها * يوم وافت وسلمت مختاله
قم بنا ندعى النبوة فى العشـ * ـق فقد سلمت علينا الغزاله

اخذه الشيخ جمال الدين بن نباتة فقال

يا غزالا أهدى السلام الى المغـ * ـرم لا تنكرن حالا لديه
كيف لا يدعى النبوة فى العشـ * ـق وقد سلم الغزال عليه

واخذه الشيخ صفى الدين الحلى فقال فى ثلاثة ابيات تركيبها ضعيف

تنبأ فيك قلبى واسترابت * قلوب صدهم عنه ضلال
وردهم الهوى أن يؤمنوا بى * وقالوا ان معجزه محال
فمذ سلمت سلمت البرايا * الى وقيل كلمه الغزال

ومن لطائف الشيخ علاء الدين الوداعى ايضا ونكته الغريبة قوله على لسان صديق معه عمر وقد هام بمليح فى احدى اذنيه لؤلؤة

تحرس واللبن الرائب والبر الخليط وعريش كعريش موسى والشأن أقرب من ذلك

لعمرى لئن قيدت نفسى لطالما سعيت وأوضعت المطية بالحبل
ثلاثين عاما ما أرى من عماية اذا برقت الا شددت لها رحلى

فجزى الله الشيبة خيرا انها لا ناه ولا رد الشبيبة انها لهناه وبئس الداء الصبا وليس دواؤه الا انقضاؤه وبئس المثل النار ولا العار ونعم الراكضان الليل والنهار واظن الشباب والشيبة لو مثلا لكان الاول كلبا عقورا والآخر شيخا وقورا ولاشتعل الاول نارا واتشر الآخر نورا والحمد لله الذى بيض القار وبماء الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد ان السعيد من شابت جلدته والشقى من خضبت لحيته وكفى الله الشيخ

كم قلت لماصر بى * مقرطق يحكى القمر
هـذا ابو لؤلؤة * منه خذوا ثار عمر

ومن لطائفه أيضا فى مليح اسمه سعد

اذا ما كان قتلى ياحياتى * مرادك من يرتك او بصد
ففوق سهم طرفك نحو قلبى * فداك أبى وامى وارم سعد

ومن لطائفه أيضا فى مليح بدوى

اقبل من حيه وحيا * فاشرقت سائر النواحى
فقلت ياوجه من بنى من * فقال لى من بنى صباح

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

تعجبوا لما غدت أدمعى * بيضا وراحت كالدم القانى
لاتعجبوا طرفى رب الهوى * فكل يوم هو فى شان

ومن نكته البديعة الغريبة ايضا قوله

* وليلة خلت مجلسنا سماء * وصحبى كالثريا فى اجتماع
فبات الطرف يرعى البدر منهم * الى ان حل منزلة الذراع

ومن نكته البديعة الغريبة ايضا قوله من دو بيت

ياغصن نقا ينع بالازهار * ياألطف من نسيمة الاسحار
ريحان عذارك الذى تمنى * من ولده من قلم الاشعار

ومن لطائفه قوله من دو بيت ايضا

لما حجب السكرى عن الآماق * وانقاد مع العدى على العشاق
ناديت وقد تزايدت اشواقى * ياغصن رضيت منك بالاوراق

ومن لطائفه الغريبة قوله فمن يبيع السكر بالدين

ارى من الواجب ان يصرف الشعطار بالصد وبالزجر
فأى تصريف وذوق لمن * يدين السكر بالصبر

ومن نكته الغريبة ايضا من مديح قصيدة

ياطالبا للكيمياء ولم * يحصل على عين ولا أثر
زر لاثما عتبات ساحته * تظفر اذا بمكرم الحجر

وهـذا المعنى تطفل عليه الشيخ جمال الدين بن نباتة وكثير من الناس بعد الوداعى ومن لطائفه قوله

ياعز والله العزيز الذى * قضى على نفسى باذلالها
ماخطرت من نحوكم نسمة * الا تعرضت لتسآلها
ولا سرت منا الى ارضكم * الا تمسكت باذيالها

ومن لطائف مجونه قوله

انا شاعر قد هذب الطبع شعره * واصبح عاصيه على فيه طبعا

الرئيس كل محذور لقد كفانى كل مكروه ووفقنى لشكره وخدمته آمين وصلى الله على محمد وآله الطاهرين اللهم غفرانك لنا اجمعين فان أبا جعفر العلوى اخذ على العهد الثقيل والميثاق الغليظ أن لا أكتب الا أجمعين فقلت وما أنكرت من الطاهرين فقال لا أكون من جملة القوم فقد اخرجتنى من زمرة الجد بهذا الحد والسلام

(وله اليه أيضا)

والله أطال الله بقاء الشيخ الرئيس ما سكنت هراة اضطرارا ولا فارقت غيرها فرارا وانما اخترتها قطنا ودارا واخترته سكنا وجارا لتكون ارفق لى من سواها ولا زداد به عزا وجاها فان كان قد ثقل مقامى فالدنيا امامى وان كان قد طال ثوائى فالانصراف ورائى لست والله ذباب الحلوان ولا وتد الهوان

اذا خمس الناس القصيد لحسنه * يحق لشعر قاله ان يسبعا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله مع حسن التضمين

وشادن مثل الضحى وجهه * كتمت عشقى فيه خوف الرقيب
حتى بدا ليل عذاره * فبحت والليل نهار الاديب

ومن لطائفه التى تقدم بها قوله

كلما رمت فيك انكار حبى * من عذولى يزيد فى تعنيفى
عرفته لام العذار غرامى * بك والّلام آلة التعريف

ومن نكته التى هى نوع من السحر قوله فى مطلع قصيد

اعيذ ريم الترك بالروم * والصدغ مع فيه بحم

وما الى ما قال به معه ولم يخرج من مطابقة التورية

وخده المشرق قد صح فى * عذاره المعوج تقويمى

ومن نكته البديعة الغريبة المطاربة قوله

واغن ساجى الطرف ذى هيف * والواو فى واغن للقسم
قالت خلاخله أسكنى * نطق وماء الساق مل فمى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله من قصيد

وكان ريق النحل ريقتها * فيها الشفا لمهجة نحلت

ومن لطائفه قوله

ويوم لنا بالنيربين رقيقة * حواشيه خال من رقيب يشينه
وقفنا وسلمنا على الدوح بكرة * فردت علينا بالرؤس غصونه

ومن لطائفه أيضا قوله

وذى دلال اهيف احور * أصبح فى عقد الهوى شرطى
طاف على القوم بكاساته * وقال ساقى قلت فى وسطى

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

دمشق مصر وسكانها * شوقى وجد دعهدى الخالى
وار ولنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

ومن اختراعاته البديعة الغريبة قوله

سقيا لكرم مدامة * انشت لنا النشوات ابلا
خلعت علينا سكرة * بدوية كما وذيلا

ومن نكته البديعة الغريبة قوله

رمتنى سود عينيه * فاصمتنى ولم تخطى
وما فى ذاك من بدع * سهام الليل لا تخطى

أخذه الشيخ جمال الدين بالقافية وقال

واغيد كل شئ فيه يعجبنى * كأنما هو مخلوق على شرطى

والشام لى شام مادام بكرمى هشام وهراة لى دار ما عرفت فيها مقدار وقرى الضيف غير السوط والسيف مرض ابو العيناء مرض وفاته فقال له بعض عوادهيا ابا العيناء قل لا اله الا الله فقال انا لله وجد يا والله صار ابو سفيان بعد امان من لجأ الى داره ولاذ بجداره يؤخذ بجرم جاره ويصلى بجمر ناره شد والله ما انتكس العز وانقلب الامر هذا الملبقة يزعم انى طعام فلا والله

اجفانه السود ما تخطى اذا رشقت * سهامها وسهام الليل لا تخطى

ويعجبني من نكته الغريبة قوله من قصيد

اهل نجد هل تجدون محبا * صاده بالغوير ظبي ماول
كم دماء مطلولة في هواه * وبها روض خده مطلول
وحديث عن السقام صحيح * قد رواه عن طرفه مكحول

وقال وقد عينه الوزير لرحبة مالك بن طوق

حاشاك ان تختار لي رحبة * لست اليها الدهر بالسالك
لانها نار تلظى أما * ترونها تعزى الى مالك

ومن نكته التي ما حام فكر غيره عليها قوله

وفي اسانيد الاراك حافظ * للهدير وي صبره عن علقمه
وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

التورية في علقمة وفي عكرمة ايضا فانه اسم للحمامة ومثله في الغرابة ايضا قوله وقد توجه من دمشق الى البلقاء لزيارة صاحب له يلقب بالشمس فلما وصل الى البلقاء وجده قد توجه الى حسبان فكتب اليه

اتيت الى البلقاء ابغي لقاءكم * فلم اركم فازداد شوقي واشجاني
فقالت لي الاقوام من أنت قاصد * لرؤيا ةات الشمس قالوا بحسبان

انتهى ما أوردته من ترجمة الشيخ علاء الدين الوداعي ومن غرائب نكته البديعة في باب التورية وأيدت سمو رتبته بتطفل مثل الشيخ جمال الدين بن نباتة على موائد بدائعه وغرائبه ولكن أقول ان الجزاء من جنس العمل كما اغار الشيخ جمال الدين على الوداعي ودخل الى بيوته وابتذل حجاب بنات فكره قيض الله له الشيخ صلاح الدين الصفدي فان الشيخ جمال الدين رحمه الله كان يخترع المعنى الذي لم يسبق اليه ويسكنه بيتا من ابياته العامرة بالمحاسن فيأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي بلفظه ولم يغير فيه غير البحر وربما عام به في بحر طويل يفتقر فيه الى كثرة الحشو واستعمال ما لا يلائم فلم يصبر الشيخ جمال الدين على ذلك وصنف كتابا ألفه من نظمه ونظم الشيخ صلاح الدين الصفدي وسماه خبز الشعير يعني انه مأكول مذموم واستعمل خطبته بقوله تعالى رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا ورتب كتابه المذكور على قوله (قلت انا فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال) وكنت اوردت من خبز الشعير نبذة في اوائل هذا الكتاب ولكن لم يرض باب التورية الا بايراده هنا كاملا لانه حق من حقوقها فمن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة قال

ومواسع بجفاخ * عذها وشبالك
قالت لي العين ماذا * يصيد قلت كرالك (ى)

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اغار على سرح الكرى عندما رمى الشكرا كي غزال للبدو ويحما كى

ان لحمي لحرام وفيه عروق عظام ولو كنت طعاما لكنت الاكلة التي تمنع الاكلات ولو كنت الية ما كنت الا في الفلاة ومن شغفي في خلف الجزاو ومائة الف واذا انتهت الدعوة الى تقدعزل عزرائيل ولم يبق من ولايته الا القليل والله ما يصلح لحمي للقديد ولا يحسن فوق الثريد وانه ليأبى من المضغ وينشب في الحلق ويقلق في البطن ولا يخرج من المعى الامع الامعا وكانوا الا يصيدون

فقلت ارجعي يا عين عن ورد حسنه * الم تنظريه كيف صاد كرا الشّ (ى)

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

اسعد بها يا قمري برزة * سعيدة الطالع والغارب
صيرت طيرا وسكنت الحشا * فما تعديت عن الواجب

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

قلت له والطير من فوقه * يصرعه بالبندق الصائب
سكنت قلبي فحركته * فقال لم اخرج عن الواجب

وقال الشيخ جمال الدين قلت

ويهيجني رشأ يميس قوامه * فكأنه نشوان من شفتيه
شغف العذار بخده ورآه قد * نعست لواحظه فدب عليه

أخذه الشيخ الصلاح الصفدي وقال

واهيف كالغصن الرطيب اذا انثنى * تميل حمامات الاراك اليه
له عارض لما رأى الطرف ناعسا * أتى خده سرا فدب عليه

قال الشيخ جمال الدين قلت

يا غادرا بي ولم اغدر بصحبته * وكان مني مكان السمع والبصر
قد كنت من قلبك القاسي اخال جفا * فجاء ما خلته نقشا على حجر

فاخذه الشيخ صلاح الدين وقال

مازلت اشكو حين وفرقي الضنى * قسمي واسلي الى البلوى وفر
حتى تأثر من شكاية لوعتي * لي قلبه فرأيت نقشا في حجر

واحسن ما وقع في هذا الباب للشيخ جمال الدين بن نباتة انه قال

بروحي عاطر الانفاس المى * ملي الحسن حالي الوجنتين
له خالان في دينار خد * تباع له القلوب بحبتين

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

بروحي خده المحمر اضحت * عليه شامة شرط المحبه
كان الحسن يعشقه قديما * فنقطه بدينار وحبه

فلما وقف الشيخ جمال الدين على هذين البيتين قال لا اله الا الله سرق الشيخ صلاح الدين كما يقال من الحبتين حبة قال الشيخ جمال الدين قلت

يا عاذلي شمس النهار جميلة * وجمال فاتنتي ألذ وازين
فانظر الى حسنيهما متأملا * وادفع ملامك بالتي هي احسن

فأخذه الشيخ صلاح الدين مع البحر بل اخذ الكل مع القافية وقال

بابي فتاة من كمال صفاتها * وجمال بهجتها انحار الاعين
كم قد دفعت عواذلي من وجهها * لما تبدى بالتي هي احسن

وهذان البيتان تقدم القول انهما ينصبهما القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ولكن

ابن آوى وان كانوا شم اوى ومن حلف ان لا يأكل مضيرة فأكل زب كلب بلبن قرد لم يحنث وساوى ان تركه الشيخ الرئيس يقول فمن اخذ اذا لم يؤخذه اكره المحتشمين بجرم محتشم يؤخذ اكاره اذا جنى جاره وخرج عليه اذا لم ينجهم بشعر السطل ويصلبهم على جذوع النخل واسأل الله خاتمة خير وعاجل وفاة ان بطن الارض اوسع من ظهرها وارفق بأهلها ولا عليه ان لا ينتهي الى مائما

ر أيت العزالموصلى نسبهما فى تذكرته للصلاح الصفدى من جملة خبز الشعير والله اعلم

قال الشيخ جمال الدين قلت

فديتك ايها الرامى بقوس * وطرف ياضنى جسدى عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشئ منجذب اليه

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

تشرط من احب فذبت وجدا * فقال وقد رأى جزعى عليه
عقيق دمى جرى فأصاب خدى * وشبه الشئ منجذب اليه

قلت اظن ان الشيخ صلاح الدين لما سمع قول الشيخ جمال الدين ونظم هذين البيتين ما كان فى حيز الاعتدال واين انجذاب القوس الى الحاجب من انجذاب الدم الى الخد وأينه تلفظ بالانجذاب بل قال عقيق دمى جرى فأصاب خدى قال الشيخ جمال الدين قلت انا

يامشتكى الهم دعه وانتظر فرجا * ودار وقتك من حين الى حين
ولا تعاند اذا اصبحت فى كدر * فانما انت من ماء ومن طين

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

دع الاخوان ان لم تلق منهم * صفاء واستعن واستغن بالله
اليس المرء من ماء ومن طين * واى صفا لهاتيك الجبله

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

احاول صبرا عن هوى قد كتمته * فلا اجد الصبر المحاول يعذب
والقى به ثوب المشيب مطبعا * فاغسله بالدمع والطبع اغلب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

يقول الفكر لى دنست ثوب الشباب وفى غداة الشيب تتعب
وتغسله بدمعك كل وقت * وما ينقى لان الطبع اغلب

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى رحمة واسعة قلت

اسفت لشاشى الذى قد مضى * وفاز به سارق حاشه
ووالله ما بى مما جرى * سوى قولهم صفعوا شاشه

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

قد سرق الشاش بليل وما * قدره الله فما يندفع
الحمد لله الذى لم يكن * شاشى على رأسى لما صفع

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

اشكو الى الله ما اكابد من * دمامل مسنى بها الضر
فالليل عندى من حالها سنة * فما الليلى ولا لها فجر

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

اشكو الى الله من امور * غمر عيشى لما غمر
ودمل مع دوام ليل * ما لهما ما حييت فجر

اسكن من يقظان وجاتما اخبث من شبعان والذنب لا يساد عدوا والصواب فى الوقوف والطاس اذا نقر فعلته بالصوت

* (وله اليه أيضا) *

كتابى واعل الاخبار قد وردت تلك الديار وكيف شكرت النعمة واديت فرضها وان عشت لتبلغن الراعى ولو على ماء مدين والذاهب ولو بعدن ابين فشكر الغارس تثمير غرسه ومن شكر فانما يشكر لنفسه ولما حضر فى رؤساء نيسابور

ونظم

ونظم الشيخ جمال الدين هذا المعنى ايضا في ابيات معناها الوعظ يعجبني الى الغاية وهي

لا تخش من هم كغيم عارض * فلسوف يسفر عن اضاءة بدره
ان غمس عن عباس حالك راويا * فكانني بك راويا عن بشره
واقصد بحزالحادثات على الفتى * وتزول حتى ما تمر بفكره
ولرب ليل في الهموم كدمل * صابرته حتى ظفرت بفجره

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحي فاتر الاجفان ساج * كان الحسن لفظ وهو معنى
تفرد وهو فتان التثني * فيا الله من فرد تثنى

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

واهيف حازقدا * قد حار فيه المعنى
تراه في الحسن فردا * لكنه يتثنى

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

بروحي جيرة ابقوا دموعي * وقد رحلوا بقلبي واصطباري
كانا للمجاورة اقتسمنا * فقلبي جارهم والدمع جاري

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

اسكنت شخصك طرفي * حتى اواري اواري
لحين جاورت دمعي * جعلت جارك جاري

وقد تقدم ان بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي اول من سبق الى هذه النكتة قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت

سألت النقا والغصن يحكي لناظري * روادف او اعطاف من زاد صدها
فقال كثيب الرمل ما انا حاملها * وقال قضيب البان ما انا قدها

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

يقول ردف حبيبي * وعطفه المتثني
ما انت يا غصن قدي * ولا كثيبك وزني

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لك يا ازرق اللواحظ مرأى * قمري اضحى على الخلق يزهى
يا لها من سوالف وخدود * ليس تحت الزرقاء احسن منها

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

البسوه عمامة للنصارى * قد روى اللازورد في الحسن عنها
وجلا طلعة كبدر تمام * ليس تحت الزرقاء احسن منها

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

يا مجريا دمعي وموقف لوعتي * مرجى المضنى على الاطلال
يا من اذا سألوه عن بدر الدجى * والمسك قال اخي الشقيق وخالي

ولم اشكر ذلك الاحسان
با وقع من بيت حسان
اذا ما الاشربات ذكرن يوما
فهن لطيب الراح الفداء
فمنهم من سره فصاح ومنهم
من ساءه فشاح وما انسى
لا انسى ارتياح الامام ابي
الطيب وقوله احسنت
وانفاس قوم آخرين جعل
الله نفوسهم فداء ذلك
النفس
بجبهة العير يفدى حافر الفرس
لا جرم اني تطرت الى الولي
وعطفت على العدو
فانشدتهما
مدحت الامير وايامه

اخذه الشيخ صلاح الدين وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن خده * فصب على خديه ذوب عقيق
اذا عاين الروض المديح خده * يقول لنا هذا اخي وشقيق

قلت الشيخ صلاح الدين ماشم لمسك الخال رائحة والله اعلم وقال الشيخ جمال الدين قلت انا

هيهات بين ذوي الاسى لا يستوي * دمعي ودمعك ايها المتواجد
فحديث دمعي عن تلهب اضلعي * ذاكي اللظى وحديث دمعك بارد

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

شكوت حبيبي لان بعد قسوة * ورحت ابكي وهو لي يساعد
وقال ها نحن سواء في البكا * لا يا حبيبي ما بكانا واحد
لا يستوي دمع حكى جمر الغضى * اذا جرى ودمع عين بارد

قال الشيخ جمال الدين بن نباتة قلت انا

هنئتم آل الشهيد بنجمكم * وبوجه مولود لكم ما ازهره
من قبل ما عملت لديه عقيقة * عملت له المدح الجواري جوهره

فأخذه الشيخ صلاح الدين وقال

ايا اندى الورى كفا ووجها * واقومهم الى العليا طريقه
لقد جاءتك جوهرة المعاني * فلا تبخل عليها بالعقيقه

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

عذول لست اسمع منه عذلا * على هيفاء مثل البدر رغما
له طرف ضرير عن سناها * ولي اذن عن الفحشاء صما

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وغير صيغة المثل بالحشو فقال

تعشقته مثل القضيب اذا انثنى * بوجه حكى البدر المنير اذا تما
وان كان عذالي عموا عن جماله * فلي اذن عن كل ما نقلوا صما

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

حربي من مهفهف القد رام * اسهم اللحظ ما اسدوا رشق
كلما قلت يفتح الله بالوصـ * ـل رماني من سحر عينيه بغلق

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

سهام طرفك اصمت * قلبي ولم تترفق
ما يفتح الجفن الا * ورهن قلبي يغلق

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

تأملت في الحمام تحت ما زرر * روادف بيض ماسناها بغائب
كأني من هذي وها تيك ناظر * بياض العطايا في سواد المطالب

فأخذه الشيخ صلاح الدين الصفدي وقال

فضاعت وجوه وسيئت وجوه
وهل يجحد الشمس الا العمي
وهل يعرف الفضل الا ذووه
انا اذا فكرت فيما يليه
الزمان من خطوبه مشغول
القلب فاذا رجعت الى
ما يحكيه من كفاية الشيخ
الرئيس قوي الظهر والله
يبقيه غالا وجاوالا نزيده
الا القاضي ابا عاصم وما
احسن هذه الاحجية واملح
هذه اللفظة واوفق لفظها
لمعناها ولا يذهبن ذاهب
الى التكنية فغيرها
قصدت بالتعمية وما هذا

نبدى حبيبى فى السواد فراقنى * وماراعنى لماانى بالعجائب
وشبهت ذاك الجيد فى طوق برده * بياض العطايا فى سواد المطالب

قال الشيخ جمال الدين قلت انا

لقد كنت فى لذات ثغرك هائما * ليالى لم يمنع على عاشق ثغر
فأما وستردونها من شوارب * فلا خير فى اللذات من دونها استر

أخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

الا فاسقنى من خمر لذطعمها * بفيك ولا تبخل وقل لى هى الخمر
وحط لثاما حجب اللثم عن فمى * فلا خير فى اللذات من دونها ستر

قلت قد اوردت هنا ما جناه الشيخ صلاح الدين الصفدى من حدائق الروض النباتى ومقابلة الشيخ جمال الدين له على ماجناه فان نسبنى احد الى تحمل راجعته الى النقل * وان وافق وتعقل الرتبتين فقد اكتفى بشاهد العقل * والا فالاقصاء الصفدية بالنسبة الى القطر النباتى مجها الاذواق * وها انا قد ابرزت ثمرات الدوحتين بين هذه الاوراق * والشيخ صلاح الدين رحمه الله تصاغر لذلك وما كابر * ووقف على باب الشيخ وقوف فقير يسأل بر الاجازة * واطال وقوفه على ذلك الباب العالى الى ان حصل له الفتوح واجازه * وها انا اذكر سؤال هذا السائل الذى رد قبل العطاء ان يدفع بالتى هى احسن * واشرح كرم المسؤل الذى نثر على سائله الدر جزافا علما بأن عطاء الكريم لا يوزن * فسؤال الاجازة من الشيخ صلاح الدين قوله يخاطب الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمهما الله تعالى الحمد لله على نعمائه المسؤل من احسان سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة رحلة اهل الادب * قبلة ذوى التحصين فى التحصيل والدأب * الذى تبيت شوارد المعانى صرعى تحوله الطافة تخيله * وتمسى الالفاظ العذبة طوع تحوله فى التركيب وتحيله * فأمسى وله النسيب الذى يضحك من العباس فى رقته * ويقيم صريع الغوانى الى مقته بعد مقته * والغزل الذى يشيب له فؤاد الوليد * ويسترق الحر من كلام عبيد * والتشبيه الذى لو علمه ابن المعتز لما نصب الهلال فخا لصيد النجوم * ولو تعاطاه حفيد جريح اقيل له ألم تسمع الم غلبت الروم * والمديح الذى لو بلغ زهيرا لقال ما انا من هذه الحدائق * او اتصل بنوء بالمتنبى لاشتغل عن ذكر العذيب وبارق * والرثاء الذى نقص عنده ابو تمام بعد ان رفع له لواء الشرف والفخر * وقال هذه عذوبة الزلال لا ما تفجر من الخنساء على صخر * والترسل الذى بز الفاضل كأس الحتوف لما شبه الغمود بالكمائم والسيوف بالازهار * واذهله حتى صحت له القسمة فى الخيل والخدال بين المراقب والمراقد فأخطأت معه فى المرابع والمساجد بين الانواء والانوار * والكتابة التى تغدو الطروس بها وكأنها رياض محبرة * اوسماء بالنجوم زاهره * ان لم ترض ان تكون فى الارض رياضا مزهره

ادب على الحصرى يعلو تاجه * وله ابن بسام بكى الوانا
وترسل سحبان من قدزاده * منه واعطى الفاضل النقصانا
وكتابة لعلوها فى وضعها * ليس ابن مقلة عنده انسانا
فلكم اخى فضل رأت عيناه فى الاوراق لابن نباتة بستانا

التعريض وما هذا الهوس العريض وهلا شرحت فقلت المحبوب واسترحت وللشيخ الرئيس فى تشريفى بالجواب وتعريفى بمسار الاخبار وتكليفى سوانح الاوطار وتصريفى على الامر والنهى وأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

نهرى اطال الله بقاء الشيخ الرئيس لا يزيد البحر عددا وبحرى لا يزيد الطود وزنا وقد رأيت ان لا ازيده شغلا فليران لا ينقصنى فضلا

بجمال الدين أبي عبد الله محمد ابن الشيخ الحافظ شمس الدين محمد بن نباتة جمع الله به شتات اهل الادب في درجة هذه الدولة * ولم به شعث ابنائه الذين لا صون لهم ولا صولة * واقام به عماد ابيات الشعر التى لولاها لما عرفت دارمية من أطلال خولة * اجازة كاتب هذه الاحرف فسح الله له في مدته برواية المصنفات في الاحاديث النبوية * والتأليفات الادبية * على اختلاف اوضاعهما * وتباين اجناسهما وانواعهما * بحسب ما يؤدى ذلك اليه واتصل به من سماع او اجازة * او وصية او وجازة * من مشايخ العلم الذين اخذ عنهم واجازته ماله احسن الله اليه من مقول نظما ونثرا وتأليفا او وضعا اجازة خاصة واثبات ماله من التصانيف الى هذا التاريخ بخطه الكريم واجازته ماله يقع بعد ذلك اجازة عامة على احد القوانين في المسئلة فان الرياض لا ينقطع زهرها * والبحار لا ينفد درها * واثبات ما يحسن ايراده في هذه الاجازة من المقاطيع الرائقة * والابيات اللائقة * وذكر نسبه ومولده ومكانه متفضلا في ذلك وكتب كتبه خليل بن ايبك بن عبد الله الايبكي بالقاهرة المحروسة في مستهل شعبان المبارك سنة تسع وعشرين وسبعمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل

(وكتب الشيخ جمال الدين بن نباتة الجواب مجيبا السؤال الشيخ صلاح الدين الصفدى رحمهما الله تعالى) بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد حمد الله الذى اذا توجه اليه ذو السؤال فاز * واذا استدعى كرمه ذو الطلب اجاب واجاز * والصلاة والسلام على سيدنا محمد كعبة القصد التى ليس بينها وبين النجح حجاز * وعلى آله وصحبه سابقى الفضل والفضل من بعدهم مجاز * فلو لزم في كل الاحوال تناسب المخاطبة * وكان جواب السؤال بحسب ما بينهما من شرف المناسبة * لما رضى سجع الحمائم لمطارحته نوعا من الاطيار * ولا قبل فصحاء الاول مراجعة الصدى من الديار * ولا قنع مخزحواجب الاحبة برد القلوب الهائمة في اودية لافكار * ولكن نقول الاكابر والاوليا تبذل من الاجوبة جهدها وتنفق ما عندها * وتجرد الاماثل سيوف المنطق ولا تتعدى الاتباع من الطاعة حدها * ولما كنت ايها الراقم برود هذا الاستدعاء ببنانه * والمنشئ روض هذا السؤال بآثار السحب من بيانه * والسائل الذى بهرت الافكار فضائله * وسحرت ارباب العقول عقائله * واقام المسؤل مقاما ليس من اهله فليتق الله سائله * فريد فن الادب الذى لا يبارى * وبحره الذى لا يهدى غائص قلمه الدر الا ابكارا * وذا اليد البيضا خيمه الذى طالما آنس من جانب الذهن نارا * وخليله الذى اطلع على اسراره الدقيقة * ورشيمه الذى لو طارح ابن المعتز وعت ولايته لكان امير المؤمنين على الحقيقة * وناظمه الذى يسرى الطائيان تحت علمه المنشور * وكاتبه الذى تبجح العبدان بالدخول تحت رقه المأثور * طالما شافه منه القلم وجها جميلا وقدا جليلا * ولاقى من لا يندم على صحبته فيقول ليتنى لم اتخذ فلانا خليلا * فهو الفرس الذى يقصر عن امالى وصفه الشجرى * ويفخر الدين والعلم بشخصه وافقه فهذا يقول غرسى وهذا يقول ثمرى * كم اغنى بمفرد شخصه عن فضلاء جيل * وكم بدا للسمع والبصر من بنات فكره بثينة ومن وجهه جميل * وكم تنزهت الافكار من لفظه بين آس وورد لا بين اذخر وجليل * وكم دام عهده وودّه حتى كاد يبطل قول الاول دليلا على ان لا بد ومن خليل * تودّ الشهب لو كانت حصباء غدير

انا العلم اصدق عبودية وانتم فيها نية فان تقضى عطية ولم اركب خطية سوف طننا وضقت ذرعا وما بى الغرامة ان على لها عملا ولكن الناس نظارة رأيه العامل فان صدق رغم الحساد وان تغير ظهر الفساد وكالا ينقض شرطه طاعة كذلك لا تنقض طاعته شرطا وانا الى الزيادة احوج وهو بها اخلق فان لم تكن الزيادة فلتكن العادة

طرسه * وتغار الافق اذا طرز براع درجه بالظلماء أردية شمسه * ويتحاسد النظم والنثر على ماتنتج مقدمات منطقه من النتائج * وينشد كل منهما اذا حاول القول (خليلى الصفاهل أنت بالدار عائج) ان كتب اغضى ابن مقلة من الحسد على قذاه * وجعل ابن البواب يخبيه عصا القلم فاتلا ماظلم من اشبه أباه * وان نحا النحو لباه عشرا * ولانت اعطاف الحروف قسرا * وتشاجرت على لفظه الامثلة فلا غرو أن ضرب زيد عمرا * يترجل كلام الفارسي بين يديه * ويطير لفظ ابن عصفور حذرا من البازى المطل عليه * وان شعر هامت الشعراء بذكره فى كل واد * ونصبت بيوت نظمه على بقاع الشرف كما نصبت بيوت الاجواد * طالما بلد لبيدا * وولى منه شعر ابن مقبل شريدا * وقالت الآداب لبحترى لفظه ألم نربك فينا وليدا * وان نثر فما الدر اليتيم الا تحت حجره * ولا الزهر النضير الا ما ارتضع من أخلاف قطره * ولا المترسلون الا من تصرف فى ولاية البلاغة تحت نهيه وأمره * وان تكلم على فنون الادب روى الظماء * وجلا معانى الالفاظ كالدمى * وقالت الاعاريض لابن أحمد وله (خليلى هبا بارك الله فيكما) هذا وكم أثنى قديم علم الاوائل على فكره الحكيم * وشهدت رواية الحديث النبوى بفضله وما أعلى من شهد بفضله الحديث والقديم * بدأ أننى أعزك الله من الوصف بما قل عنه مكانى * وكاد من الخجل يضيق صدرى ولا ينطلق لسانى * وحملت كاهلى من المنن مالم يستطع * وضربت لذكرى فى الآفاق نوبة خليلية لا تنقطع * وسألتنى مع ماعندك من المحاسن التى لها طرب من نفسها * وثمر من غرسها * أن أجيبك وأجيزك * وأوازن بمثقال كلى الحديد ابريزك * وأقابل لسنك المطلق بلسانى المحصور * وأثبت استدعاءك على بيت مال نطقى المكسور * فحيرت بين أمرين أمرين * ووقع ذهنى السقيم بين داءين مضرين * ان فعلت ما أمرت به فما أنا من أرباب هذا القدر العالى * والصدر الحالى * ومن أنا من أبناء مصر حتى أتقدم لهذا الملك العزيز * وكيف أطالب مع اقتارى بأن أمدح وأجيز * وأنى لمقيد خطوى هذه الوثبات * وأنى بمائل قوة هذا الغرس ضعف هذا النبات * وان منعت فقد اسأت الادب والمطلوب حسن الادب منى * واهملت الطاعة التى اقرع بعدها برح القلم سنى * وفاتنى شرف الذكر الذى امتلأ به حوض الافق وقال قطنى * ثم ترجح عندى ان اجيب السؤال * واقابل بالامتثال * صابرا على تهكم سائلى * معظما قدرى كما قيل بتعاقلى * منقادا الى جنة استدعائك من السطور بسلاسلى * واجزت لك ان تروى عنى ما تجوز لى روايته من مسموع ومأثور * ومنظوم ومنثور * واجازة ومناولة ونقل وتصنيف * وتنضيد وتفويف * وماض ومتردد * وآت على رأى بعض الرواة ومتجدد * وجميع ما تضمنه استدعاؤك فاجمع ما يكون من لفظه المتبدد * كاتبا لك بذلك خطى * مشترطا عليك الشرط المعتبر فليكن قبولك يا عربى البيان جواب شرطى * ذاكرا من لمع خبرى ما ابطأت بذكره وارجو ان ابطئ ولا اخطى * فأما مولدى فبمصر المحروسة فى ربيع الاول سنة ست وثمانين وستمائة بمنزلنا بزقاق القناديل * واما شيوخ الحديث الذين رويت عنهم سماعا وحضورا فمن اقدمهم الشيخ شهاب الدين ابو الهيجاء غازى بن ابى الفضل بن عبد الوهاب المعروف بالرادف والشيخ عز الدين ابو نصر عبد العزيز بن ابى الفرج المصرى البغدادى والشيخ شهاب الدين احمد بن ابى محمد اسحق

(وله الى الوزير أبى نصر ابن أبى بريدة)
قد عرف الشيخ الجليل التتامى بعبوديته ولو عرفت مكانا بعد العبودية لبلغته معه أفكلما بعدت صحبة رجعت رتبة وكلما طالت خدمة قصرت حشمة واست ممن يذهب عليه ان السلطان ان يرفع عبدا حبشيا ويضع قرشيا ولكنى أحب أن أقف من مكانى على رتبة لولبها لا يغور ومنزلة كوكبها لا يدور فاذا عرفت مكانى

الابرقوهى * واما ذووا الاجازة فى مصر وغيرها من الامصار فكثير * واما الفضلاء والادباء الذين رويت عنهم ورأيت منهم فمنهم القاضى الفاضل محيى الدين ابو محمد عبد الله ابن الشيخ رشيد الدين عبد الظاهر بن نشوان الكاتب المصرى * والشيخ الامام بهاء الدين ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن النحاس الحلبى النحوى * والامير الفاضل شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الصاحب شرف الدين بن اسمعيل بن المتنبى اقترح علىّ ان انظم له فى زيادة النيل فقلت

زادت اصابع نيلنا * وطمت فأكمدت الاعادى

واتت بكل جميلة * ماذى اصابع ذى ايادى

والشيخ العالم علم الدين قيس بن سلطان المصرى من اهل منية ابن خصيب قرأت عليه كثيرا من الكتب الادبية وكان كثيرا ما يستنشدنى الى ان انشدته قولى

ياغائبين تعللنا لغيبتهم * بطيب عيش ولا والله لم يطب

ذكرت والكاس فى كفى لياليكم * فالكاس فى راحة والقلب فى تعب

فقال اتعب والله جزعك القدح * والشيخ العالم شهاب الدين احمد بن محمد المعروف بابن المفسر انشدنى لنفسه

لا ارى لى فى حياتى راحة * ذهبت لذة عيشى بالكبر

بقى الموت لمثلى سترة * يا الهى انت اولى من ستر

فأنشدته لى

بقلت وجنة المليح وقد ولى زمان الصبا الذى كنت املك

يا عذار الحبيب دعنى فانى * لست فى ذا الزمان من خل بقلك

والشيخ الاديب الفاضل سراج الدين عمر الوراق المصرى سمعته ينشد لنفسه

واخجلتى وصحائفى مسودة * وصحائف الابرار فى اشراق

وتوقفى لموبخ لى قائل * اكذا تكون صحائف الوراق

* والاديب الفاضل نصير الدين المناوى الحمامى انشدنى لنفسه

احب من الدنيا الىّ وما حوت * غزال تبدى لى بكاس رحيق

وقد شهدت لى سنة اللهو اننى * احب من الصهباء كل عتيق

فأنشدته لى

انى اذا آنست هما طارقا * عجلت باللذات قطع طريقه

ودعوت ألفاظ المليح وكاسه * فنعمت بين حديثه وعتيقه

* وجماعة يطول ذكرهم ويعز علىّ ان لا يحضرنى الآن شعرهم * واما مصنفاتى التى هى كالياسمين لا تساوى جمعها * ولولا الخزائن الشريفة السلطانية الملكية المؤيدية تجبرها ما استخرت نصبها ورفعها فهى كتاب مجمع الفرائد * القطر النباتى * سرح العيون فى شرح رسالة ابن زيدون * منتخب الهدية من المدائح المؤيدية * الفاضل من انشاء الفاضل * زهر المنثور * ابرار الاخبار * شعائر البيت * التقوى * لم تكمل الى الآن * الارجوزة المسماة فرائد السلوك فى مصائد الملوك * اجزت لك اعزك الله روايتها عنى ورواية ما ادونه واجمعه بعد

وخطه لم أخطه واذا رأيت محلى وحده لم أتعده ثم ان قلعنى يوما عليها علمت ان عنايته وان اخرنى عنها عرفت ان جنايته قدم علىّ اليوم فلانا ولست انكر سنه وفضله ولا اجحد بيته وأصله ولكن لم تجر العادة بتقدمه لا فى الايام الخاليه ولا فى هذه الايام العاليه وشديد على الانسان ما لم يعود فان يكن حاسد قد هم او كاشح قد نم او خطب قد الم او امر قد وقع ثم فالشيخ الجليل اولى من

ذلك حسبما اقترحه استدعاؤك وعنه * ونسخه وحققه * وتضمنه سؤالك الذى تصدقت به
فنك السؤال ومنك الصدقة * والله تعالى يشكر عهدك الجميل * وكلماتك الجزلة وكرمك
الجزيل * ويمتع بك فنون الفضائل المتعينة الى ظل قلمك الظليل * ولا يعدم الاحباب
والآداب من اسمك ومعيك خير صاحب وخليل * قال ذلك وكتبه محمد بن محمد بن محمد بن
الحسن بن أبى الحسن بن صالح بن على بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب بن يحيى بن عبد
الرحيم بن نباتة الفارقى الحذاقى ثم المصرى عفا الله عنه انتهى ما أوردته من استدعاء الشيخ
صلاح الدين وسؤاله وجواب الشيخ جمال الدين واجازته بعد ان علمت دقائق الدرجتين فى
النظم والنثر واتضح الفرق بينهما وثبت أن الشيخ جمال الدين بن نباتة سقى الله نباته ورعاه *
ومتع أهل الذوق السليم بحلاوة ذلك النبات وجناه * فانه وان تأخر فى السبق عن فحول
المتقدمين عصرا * فقد تقدم عليهم ببديعه وغريبه بيانا وسحرا * وتفقه فى الطريق الفاضلية
المذاهب ما سلكها المتقدمون وها نحن نستجدى من حواصلها نظما ونثرا * وكم سأله عالم فى
سلوك هذه الطريقة فقال له انك لن تستطيع معى صبرا * وكيف تصبر على ما لم تحط به خبرا *
وان قيل ان الفاضل اجل من تمذهب بهذا المذهب فمذهبى وأنا استغفر الله انه وصل فيه الى
درجة الاجتهاد وهذا القول يقول به من رفع الخلاف وتأدب فان هذه الطريقة ما امها ناظم
ولا ناثر فى الايام الامويه * ولا ابتسمت لهم ثغورها فى الخلافة العباسية * ولما انتهت الغاية الى
الفاضل اتى بهذه القضية الغريبة واظهر منها الزيادة المستفاده * واعتادت بلغاء المتأخرين
بها بعد ما شهدوا بسبقه فأكرم بها اعادة وشهاده * ولما اتصلت بالشيخ جمال الدين بن نباتة اهل
غربتها * وشرف بأصل شجرته النباتية نسبتها * واسكن فى ابياته من بديع النظم كل قرينة
صالحه * واستسجع انشائها على فروعه النباتية صادحه * وقد عن لى ان اورد نبذة من
مفرداته التى حصل الاجماع فى الغرابة عليها * واشار المصنف بقوله اليها

اصغ لما قال اخو وقته * وخل عنك اليوم ما قيلا
واسمع مقاطيعا له اطربت * ولا تقل الا مواصيلا

فمن ذلك قوله

جاءت خاتم فيه فصا ازرقا * من كثرة اللثم الذى لم احصه
لولاه ما علم الرقيب فيا له * من خاتم نقل الحديث بفصه

ومنه قوله

لله خال على خد الحبيب له * فى العاشقين كما شاء الهوى عبث
ورثته حبة القلب القتيل به * وكان عهدى ان الخال لا يرث

ومنه قوله

واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان اجفانه الوسنى
اجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين او ادنى

وقوله

بروحى مشروط على الخد اسمر * دنا وفى بعد التجنب والسخط
وقال على اللثم اشترطنا فلا تزد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

تعرفه وعرفتنيه والا
فما الرأى الذى اوجب
اصطناعى ثم ضياعى
والسبب الذى اقتضى
نهى بعد ابتدائى انا
لا البس الشيخ الجليل على
هذه الخصلة ولا احمله على
هذه الفعلة
فاما ان تكون اخى بحق
فاعرف منك غثى من سمينى
والا فاطرحنى واتخذنى
عدوا أتقيك وتتقينى
لا اعدم كريما ولا نعدم
نديما ولى مع هذا المساء
حالان لا واسطة بينهما اما

وقوله

واحربا من هوى رشيق * معتدل كالقضيب مائل
عذاره لايجيب دمعى * وسائل لايجيب سائل

ومن نكته البديعة فى هذا الباب قوله

وضعت سلاح الصبر عنه لانه * يقاتل بالالحاظ من لايقاتله
وسال عذار فوق خديه جائر * على مهجتى فليتق الله سائله

ومن السرقات الفاحشة قول ابن الوردى غفر الله له

تعجبت من نهديه لوان لامسا * أراد انقباضا لم تطعه أنامله
وسال عذار لو لحا نفس صبه * بلحاد بها فليتق الله سائله

ومنه قوله

لاتخف عيلة ولاتخش فقرا * يا كثير المحاسن المختاله
لك عين وقامة فى البرايا * تلك غزالة وذى قتاله

ومنه قوله

قبلته عند النوى فتزرت * تلك الحلاوة بالتفرق والجوى
ولثمته عند القدوم فجبذا * رطب الشفاه السكرى بلانوى

وقوله

افديه لدن القوام منعطفا * يسل من مقلتيه سيفين
وهبت قلبى له فقال عسى * نومك أيضا فقلت من عينى

ومنه قوله

يارب اص ناهب سالب * وهو من الحسن ملى غنى
يرنو الى سرب الظبى لحظه * فيسرق الكحل من الاعين

ومنه قوله

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لى فى حبها عاتبى
عن أحمر المشروب ماتنتهى * قلت ولا عن أخضر الشارب

ومنه قوله

كم قلت بالثم وبرد اللمى * ايه برغم العاذل الحاسد
روصدى قلبى ودع عاذلى * فى الحب يغتاظ على البارد

ومنه قوله

بروحى معسول اللمى متحجب * اذا لم يزر لم يهن عيش ولا اذا
وان ذقت منا من حلاوة ريقه * أتانا رقيب يتبع المن بالاذى

ومنه قوله

يا كعبة الحسن الممنع لاتطل * بينى وبينك للجفاء حجاز
حاشى لها من قامة ألفية * يثنى لقاها كاشح همار

صهوا فاشربه اوكدرا فلا
الروية والسلام
(وله ايضا)
الكرم اطال الله بقاه
القاضى الامام مجان بقى
ان يفطن له والفضل
عدنان بقى من يهتدى
اليه وليس دون الجد
حجاب يدفع ولا حاجز يمنع
ولا بواب يعبس ولاشرى
يحبس ولكن عزمن يناله
ومن شاء ان يعلم ان الناس
ظماء وان الكرماء ماء
لكن الشقاء يمنعهم من
قربه والقضاء يعجزهم

ومنه قوله

يا واصف الخيل بالكميت وبالنهد أرحني من طول وسواسي
لا نهد الا من صدر غانية * ولا كميت الا من الكاس

ومن هنا أخذ الصاحب فخر الدين بن مكانس وقال

وان ذكرت الخيل في الميدان * فاشرب كميتا واعل فوق نهد

ومنه قوله

قلت ولي في هوى حبيبي * قلب رقيق عليه يدهش
بالخفر والصدغ يا عناقي * هذا سقيم وذا مشوش

ومنه قوله

نقطة خال في وجنة جعلا * في الهوى لي بعد نوبتي غبطه
فيا لها وجنة معشقة * صرت عليها أقول بالنقطه

ومنه قوله

اذا سألوني عن هوى قد كتمته * سكت أراعي واشيا ورقيبا
وجاوب عني سائل من مدامعي * فلله دمعي سائلا ومجيبا

ومن اختراعاته الغريبة مع بديع التضمين قوله

لما رأيت نهودها قد أقبلت * ورأت لقلبي عشقه يتجدد
قالت وقد رأت اصفراري من به * وتنهدت فأجبتها المتنهد

ومنه قوله

وتاجر قلت له اذ رنا * رفقا بقلب صبره خاسر
ومقلة تنهب طيب الكرى * منها على عينك يا تاجر

وهذه النكتة زاحمه فيها الشيخ زين الدين بن الوردي ورنا وقافية ومعنى وقال

وتاجر شاهدت عشاقه * والحرب فيما بينهم دائر
قال علام اقتتلوا هكذا * قلت على عينك يا تاجر

واتصلت بالشيخ شمس الدين الرئيس الدمشقي العصري الشهير بالمزين فاستعملها أحسن من الشيخ زين الدين بن الوردي وزاد المثل قوة وايضاحا بقوله

وتاجر أسكرني طرفه * والكاس فيما بيننا دائر
وقال لي سرك قلت اسقني * جهرا على عينك يا تاجر

ومنه قوله

أفني جفاكم كثير دمعي * لكن بقي في القليل نشطه
وكنت أروي عن ابن بحر * فصرت اروي عن ابن نقطه

ومنه قوله وتلطف كثيرا

خف خصر الحبيب ثم ابتلاني * بعذول يزيدني تعنيفا
ليت لو كان في الملامة مثلي * في هوى الخصر يؤثر التخفيفا

عن شربه فلينظر هل يحب أن يدعى كريما كما يحب ان يرى سقيما ثم ليفكر ما الذي عنعه عن مثل ما أتاه القاضي الامام من المفاتحة بذلك الفضل والابتداء بذلك الفصل ويا سبحان الله ما علمت ان هراه تسبق صرصر والصرات حتى انستني دجلة والفرات على ظهر الغيب تطر الريب فكيف بنا اذا دخلناها وحللناها فسقاها الله من بلد واهلها من عدد والقاضي ابا القاسم من بينهم وما نصصت الاعلى

ومنه قوله

وكنت اظن العشق يترك مهجتى * اذا زاحم الشيب الشباب بمفرقى
فلما بدا مع أسود الشعر ابيض * اتى العشق يغزونى على الف أبلق

ومنه قوله

يا حبذا خد الحبيب * وقد اضاء شريقه
ان لم يكن فى الحسن نفس * الروض فهو شقيقه

اخذه الشيخ صلاح الدين الصفدى وقال

فديت حبيبا ضرج الحسن وجهه * وصب على خديه ذوب عقيق
اذا ابصر الروض المدبج خده * يقول انا هذا اخى وشقيق

ومنه قوله

يا حبذا يومى بوادى جلق * وفرحتى مع الغزال الحالى
من اول الجبهة قد قبلته * مرتشفا لآخر الخلخال

ومنه قوله

آها لحاذق ذهن * يقول فى الحب من لى
قال العذار لحذق * ما انت من خل بقلى

ومنه قوله مع التضمين للمثل

فى الناس من يشتاق للمرد ولا * يزال فى هجر وشوق يبطنه
وآخر شاخوا وما يتركهم * ذا يشتهى التين وذا يقطنه

ومنه قوله

يامن يقول البدر او شمس الضحى * كهذى لا كيد للقمرين
ابوجه ذالك وجه ثلث تقيسه * قسما لقد اخطأت من وجهين

ومنه قوله

نسبوه حسنا للهلال وعينه * للظبى تنسب لا رميت ببينه
فاذا بدا فالى هلال اصله * واذا رنا فهو الغزال بعينه

ومثله ومن خطه نقلت

يرنو بشرق حسنه * فى ناظرى ولهانه
فهو الغزالة والغزا * ل بعينه وعيانه

وضاقت عين الشيخ صلاح الدين الصفدى عن هذه النكتة فأخذها بعينها وقال

بسهم أجفانه رمانى * وذبت من صده وبينه
ان مت مالى سواه خصم * لانه قاتلى بعينه

ومنه قوله

دعونى فى حلى من العيش مأنسا * ومرتقبا من بعده عفو راحم
امد الى ذات الاساور مقلتى * واسأل للاعمال حسن الخواتم

عينهم وحبذا كتابه
واصلا ورسوله حاملا
فلقد اقرأنيه الشيخ السيد
ابو فلان بعدان درجنى الى
التعمية وغالطنى فى كاتبه
ونسبه الى بعض خدمه
ليروز بنقده عقلى فخين
صادف امتداحى امجاده
ووافق انتقادى اعتقاده
اطلع الكتاب من ستره
وابرز السر من خدره
وتطرت من عنوانه فى اسم
القاضى الامام فحمدت
القها اذ نبهه للكرم وانا من
نم لاجرم انى اخذت

ومنه

ومنه قوله

لما تبدى في المنيـن تحاربت كبدى وعيني
فاعجب لهامن وقعة * جاءت بيدر في حنين

ومن هنا أخذ الشيخ برهان الدين القيراطي فقال

بدت روادفـه * تحت المنيز بعين
فقلت يا بدر هذى * حقا جبال حنين

ومن لطائف الشيخ جمال الدين قوله

دعوا شبيه الغزال يرمى * في مهجتي بالنفار جرا
تالله لا فاتني اقاه * وعين كيسى عليه جرا

ومنه قوله

بأبي نائم على الطرق راحت * في هواه وليس يعلم روحي
فانح في السكري فما سكريا * ياله من مسكر مفتوح

ومنه قوله

ملأت انسان عيني عسجدا * من خدود قد ملاها الحسن صبغا
قلت والردف اريني فانثنت * ثم قالت هكذا الانسان يطغى

ومنه قوله

ومن الشقا ان الجفا وتشوقى * لا ينتهى هذا وذاك الى طرف
ما مال غصن قوامه عن فكرتى * يوما ولا دينار وجنته انصرف

ومنه قوله

سلت مهجية قد كان صدعها الاسى * فلا آخذ الله الاسى بصدوعها
وعين على حالى بعاد وجفوة * عفا الله عما قد جرى من دموعها

ومن لطائفه قوله

من الترك اثنى سلوتى مع انها * صواب وأفتى فيه وهو من الخطا
اما والهوى لاحلت عن عطف اغيد * ولا بت في رمان صدر مفرطا

ومن نكته البديعة في المدائح قوله

لنا ملك قد قاممنا هيابه * فنثر العطا منه ونظم الثنا منا
يذكرنا اخبار معن بجوده * فننشى له لفظا وينشى لنا معنا (معنى)

وقال في صدر مطالعه

خذ من عبيدك مقتضى نياتها * في الحد واعذر مقتضى أقوالها
قسما الواسطات اليك جودهم * بعثت دروج الحمد من أوصالها

وقوله

لاعدمنا لابن الاثير يراعا * جاريا للعفاة بالارزاق
كلما ماس في المهارق كالغصن رأيت الندى على الاوراق

الفضل بجملته وبعثته الى هراة برمته وذلك انى ابو فلان وهو الفاضل الذى أكسبته بغداد لطفا عراقيا وافادته سجستان ادبا شرقيا ولو قدرت على انفس منه لبعثته هدية لكني تصفحت الاعلاق فوجدت الياقوت من جملة الاحجار وهذا الفاضل من جملة الاحرار والدر منسوبا الى الصدف وهذا الفاضل منسوبا الى الشرف والخزوالبز

وقوله فى كمال الدين بن الزملكانى

يقديه قوم تشبهوا حسدا * به وايسواله باشباه
ان نطقوا بالجميل اوفعلوا * فللسريا والكمال لله

ومنه قوله

لعمرى اقد اخمت بالفضل منطقى * وقد كنت ذا نطق وفضل بيان
وحركت ميزانى فاثنى اسانه * فلازلت مشكورا بكل لسان

وقال وقد كتب اليه الملك المؤيد صاحب حماة

فديتك من ملك يكاتب عبده * باحرفه اللاتى حكتها الكواكب
ملكت بها رقى واخلى الاسى * فها انا ذا عبد رقيق مكاتب

وقال يهنئ الصاحب شمس الدين بخلعة

تهنأ مدى الايام بالخلع التى * وجدنا بها الايام واضحة الانس
اضاء بها وجه الزمان واهله * ولم لا ومن اطواقها مطلع الشمس

ومنه قوله يهنئ القاضى جمال الدين وقد عاد من غزوة سيس

بقيت مدى الدنيا جمالا لدولة * لها منك شهم فى اللقا ورئيس
يسوق لها عند الفتوح جنائبا * واول ها تيك الجنائب سيس

ومنه قوله فى جواد

وادهم اللون حندسى * فى جريه للورى عجائب
يقصر سعى الرياح عنه * فكلها خلفه جنائب

ومنه قوله وقد كتب بها الى الصاحب شرف الدين يعقوب

قالت العليا لمن حاولها * سبق الصاحب واحتل ذراها
فدعوا كسب المعالى انها * حاجة فى نفس يعقوب قضاها

ومنه قوله

قصدت معاليك ارجو الندى * وازجى من العسر داء دفينا
فما كان بينى وبين اليسار * سوى ان مددت اليك اليمينا

وقوله يهنئ محتسبا

تهنأ بها حسبة ادركت * بايام فضلك ما ترتقب
فانك من اسرة تصطفى * وترزق من حيث لا تحتسب

ومنه قوله يهنئ بعيد النحر

تهنأ بعيد النحر وابق ممتعا * بامثاله سامى العلا نافذ الامر
تقلدنا فيه قلائد انعم * واحسن ما تبدو القلائد فى النحر

وقوله

كذا ابدا يا ارفع الناس همة * غوادى الندى من راحتيك غزار
اقدم اطراسا وتمنح انعما * فمنى اوراق ومنك ثمار

نوعين يخلق الدهر جدتهما وهذا الفاضل لا يغيره الزمان عن عهد ولا يحيله خال عن ود والدرهم والدينار جوهرين يملكهما الاراذل كما يملكهما الافاضل وهذا الفاضل لا يسبك لشك ولا يضرب فى محك وانلميل العشاق يهتدى اليها الخذلان والجماح كما يلحقها العضاض والطماح وهذا الفاضل نقى الجيب من كل عيب وقد جدت به بعد ضن ولعمرى انه علق مضنة بقى ان يقبله القاضى الامام بمنة وسلام عليه مل عرضه ويختمه حسب اخلاصى واخلاصه ان شاء الله عز وجل

ومنه قوله وكتب بها الى القاضي بهاء الدين ابن أبي البقاء على يد طالب شفاعة

ارسلته لك واثقا بمكارم * آو رثتها عن سادة انجاب
لا غرو ان أعربت عن احسابهم * فابو البقاء أحق بالاعراب

ومنه قوله وكتب بها الى القاضي شمس الدين البهنسي

يارب أمدد بالغنى بدست * في يومه يهب الجزيل وفي غده
فالبحر يسعى خادما في بابه * والسحب جارية تصب على يده

ومنه قوله وكتب بها اليه

على ديون من شمائل أقمها * فيا عجبا لي في ازديادي من الفضل
واعجب من ذا أنك الشمس أشرقت * وها أنا منها حيثما كنت في ظل

ومنه قوله وقد ارسل اليه شرف خالد الدين القيسراني هدية جليلة في وقتها

لك الله ما ازكى واشرف همة * وأحمد صنعا حيث تبلي المحامد
فانت الذي قرت برؤيته العلا * وهنئت الدنيا بانك خالد

قال وقد وصلت اليه هدية على يد الكمال

قبضت من الكمال نداء عفوا * بريئا من سؤال أو مطال
فيالله من عادات بر * أتتني بالتمام وبالكمال

وكتب الى الصاحب تقي الدين بن هلال

هنئت ما اوتيته من رتبة * حلتك في العينين من اجلالها
في مقلة الانسان تمت فقل لنا * أنت ابن مقلتها ام ابن هلالها

وقوله

فديناك يا ابن الحسنين مجودا * باقلامه اوجائدا بمكارمه
لخاتم عند الجود في بطن كفه * وياقوت عند الخط في فص خاتمه

وقوله يهني بالعيد

تهن بعوده عيدا سعيدا * وعش ما شئت يا كهف البرايا
فخرت به جميع عداك فاخر * قرونا آخرين من الضحايا

ومنه قوله

قف بباب العلا وقل يا كتابي * عن لساني قول الخديم حقا
انا عبد مكاتب غير اني * لست ابغي من مالك الرق عتقا

وقال وقد انعم عليه بنصفية

سور الذكر سهلت * لي نصفية علت
فبياسين عوذت * وبحاميم فصلت

وتلطف بكتابته الى من أنعم عليه بالنصفية بقوله

ياسيدي نصفيتي قد فصلت * وعجزت لما غبت عن تبطينها
ما حلت فيها عن ندى نعمايديك * ولا اتخذت بطانة من دونها

(وله أيضا)

كتابي وقد توسطت الشباب وأظرفت الشيب وقبضت من اثر الزمان وتبصرت في عقب الامور وطرت مع الملوك ووقعت مع الخطوب ورافقتها والجن تنهى وتأمر ففارقتها والموت خزيان ينظر وعددت من سني خمسا وعشرين وما عددت اشهرها حتى حلبت اشطرها ولا سلمت رسنها حتى استوفيت ثمنها وانا بما منح الله الاستاذ كل يوم من مزيد منتظم الامور موفور السرور والحمد لله حق حمده والصلاة على رسوله محمد عبده وقول الاستاذ نعمة

وكتب الى القاضى شمس الدين البهنسى

شكرا لله ايا ديك التى * انعشت حالى بشمس الهبات
أنت بالمعروف قد احييته * وكذا الشمس حياة النبات

وقال يهنئ قادما من الحجاز

قالوا امير رث زائد ابقادم * حج شهابا ثم عاد بدرا
تقصد منه ماله اوجاهه * قلت نعم كلاهما وتمرا

وكتب الى من أهدى اليه تمرا رديئا غالبه نوى

ارسلت تمرا بل نوى فقبلته * بيد الوداد فما عليك عتاب
واذا تباعدت الجسوم فودنا * باق ونحن على النوى احباب

ومنه قوله

قال فتح الدين اذ حدثنا * بتلا فى قصة تقضى لمحى
كيف اخبار حديثى عندكم * قلت فصى والانهو فتحى

وقال يهنئ ولد الامير ناصر الدين بن فضل الله العمرى بامرة عشرة

هنئتها امرة مجددة * يا ابن المراة الاكابر البرره
اقسم من ذا وذا بانكم * وجدتم من أكابر العشره

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

والله ما عجبى لقدرك انه * قدر على باغى مداه بعيد
الا لكونك لست تشكو وحشة * فى هذه الدنيا وأنت وحيد

وكتب على شرح مختصر ابن الحاجب لشمس الدين الاصفهانى

الم تعلم ان الشمس بادضياؤها * فسر بسناها حيثما أنت سائر
وخل فتى شيراز عنك فانما * هو القطب قد دارت عليه الدوائر

ومن لطائفه قوله

* وصلت الى باب المرزوق اله * وفارقت ذلى اذ وصلت الى العز
واصبحت من جند المحامد والثنا * ولا بد للجندى من طلب الخبز

وقوله فى الجامع الاموى بدمشق

ارى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفى صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى بالجوامع معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

ومن مداعبته ومجونه واعراضه ونكتته اللطيفة فى باب التودد به قوله

يا ايرلا تركن لعلق ولا * تثق به واتركه مع نفسه
ولا ترج الود ممن يرى * انك محتاج الى فلسه

ومن مداعباته اللطيفة مع الشيخ بدر الدين حسن الزغارى مضمنا قوله

يا غائبا عن مجلس قد شاقت * ندماه واشتعلت عليه الاكؤس
نبتت ان النار بعدك اوقدت * واستب بعدك يا كليب المجلس

لو صادفت ارضا وصنيعة لو اصابت موضعا فكانى به يقول هذا الكافر للنعمة طوانا حين نشرناه بجفانا حين بررناه وغاب سنين بلا كتاب شكر كتب ولا قصيدة مدح نظم لا يوما من ايامى ذكر ولا يدا من ايادى نشر وان فعلت فلانى خراسانى واعز وجود فى الخراسانيه لانسانيه ولو رآنى الاستاذ وانا فى قميص باذنين وقباء ضيق الردنين وعمامة تقبة الحجاج وخف فاسد المزاج اعلاه جراب وأسفله خراب على برذون عبدى النقطع برأسر كالرضيع اعلم كيف تجرى الفرسان وكيف يمسخ

ومنه

ومنه قوله في مليح اسمه الياس

أفدي مليحاً في البرايا لم أزل * طول الزمان عليه في وسواس
قالوا أتقطعه كثيراً قلت من * راحات قلب المرء قطع الياس

وقوله

أهيف على فرسي الذي * أضحى تريح المقلتين
يكبو وأملك رقه * فعثر في الحالتين

ومنه قوله

سافرت للساحل مستبضعاً * قصداً وجداً حسن أملي
فباله من متجر رابح * ما نفقت فيه سوى بغلتي

وقوله

ميزاني العاطل الحلي * قال له الفقر قف مكانك
لا تذكر المال عند هذا * ولا تحرك به لسانك

ومنه قوله يداعب صديقاً له يروم ولاية القضاء

رب ان ابن عامر هام في الفكر في صبحه والمساء
يتمنى القضا فلا تعطينه * واجعل الموت سابقاً للقضاء

ومثله قوله

لقد أصبحت في حال * يرق لمثلها الحجر
مشيب وافتقار يد * فلا عين ولا أثر

ومنه قوله يداعب بعض أصحابه

لفلان في الديوان صورة حاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر ما مخزومه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب

ومن لطائفه قوله يهنئ شارب دواء

امط بالدواء أسباب الأذى * وطب بالرواح به والغدو
وكرر أحاديث بيت الخلا * ولكن على رغم أنف العدو

وكتب الى صفي الدين الحلي مداعباً له

أوقعني ودي مع هاجر * يبخل بالدرج وبالوصل
والله لا اغتررت من بعدها * ولا جعلت الود في حل

ومنه قوله

وقالوا أحاطت ذقنه بخدوده * ووجدك لا ينفك يذكر حسنه
فقلت نعم ضيفي بقلبي نازل * أعظم مثواه وأكرم ذقنه

وقوله

رب مليح حسن صوته * قالوا وقد أصبح ذا ذقن
لحيته قد قطعت حلقه * قلت من الاذن الى الاذن

الانسان وقد علم الله اني فارقت تلك الحضرة مفارقة ابنا الجنه ولكن الحر لا يجنح الى النكوص الا اذا احوج الى الشخوص ولو من جنة الخلد ولا يسأم الاقامه على الدعامة بالهامه اذا وجد وجهاً خصيباً ومرعى رطيباً والله لقد رأيت بذي مجت افواه الامراء والوزراء وقد نظرت بعينه فلم أر الا محنة وعطفت بسره فلم ار الا حسره
فان مت لم أهلك وفي النفس حاجة
وفي العمر الا قد قضيت قضاءها
(وكتب الى سهل بن محمد)
اذا أنا طويت عن خدمة

وكتب وقد أهدى اليه بعض أصحابه ديوكا

وصلتنا ديوك برك تزهو * بوجوه جميلة مستجاده
كل عرف يروق حسنا وانى * ارتجى ان تكون عرفا وعاده

وكتب اليه فى المعنى

قل للرئيس جمال الدين لابرحت * هباته ذات تاسيس وايناس
واصل رجاى بعرف الديك مقتبلا * لن يذهب العرف بين الله والناس

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

لقد عدنا كما ضعفتم * فلا والله ما وافيتمونا
اقيموا فى ضمنا كم أو أفيقوا * فان عدنا فانا ظالمونا

ومنه قوله وقد صرف عن مباشرته

أيا ابن نباتة جار الزمان * وزالت وزالت قوى همتك
وقد كنت ذا خدمة وانقضت * فلا اوحش الله من خدمتك

ومن نكته اللطيفة قوله فى هذا الباب

احمد الله كم أجود فى الخلـ * ـق مقالا وما يفيد المقال
كلى فى الانام سحر ولكن * انا والسحر باطل بطال

وقوله

لقد أصبحت ذا عمر عجيب * أقضى فيه بالانكاد وقتى
من الاولاد خمس حول أم * فوا حربا من خمس وست (ى)

ومن لطائفه قوله

قد لقبوا الراح بالعجوز وما * تخرج القابهم عن العاده
الا ترى الغادة التى امتنعت * فصح أن العجوز قواده

وقال يداعب كبير الانف

أقبل عند القوم يسألنى * من أى ارضيك نلت ايثارا
قلت من الذيل ما رأى بصرى * خيرا ولكن رأيت منقارا

ومن لطائف مجونه

أرى ايرى تكبر فى جلوسى * وفى عمر وا على اللوم قومه
فامسى لا يقوم لزائريه * وان زار العزيز فنصف قومه

وقال فى صديق باع مملوكا وتزوج امراة جميلة

لى صاحب ترك المليح وعادنى * حب المليحة من ذوى الاقدار
قد كان عبد الاشهب المنسوب فى * حسن فأضحى وهو عبد الدار

ومن لطائفه قوله فى هذا الباب

لقد اضحت سعاد تعاف ايرى * ويحوجها الضرورة ان تجامل
فتمسكه بلا قلب لديها * وتاخذه باطراف الانامل

الشيخ أطال الله بقاءه يوما لم ارفع له بصرى ولم اعدده من عمرى وكانى به اذا اغفلت مفروض خدمته من قصد حضرته يقول ان هذا الجائع قد تشبع وتجال وتبرقع فما يطور خلق ابن آدم خلقه الفراش مرته فى المعاش ومساره على المضار والا بيت لمثلى اذا خرج من بلده ان تبذخلفه الحصات وتكنس بعده العرصات وتوقد فى اثره النار ويثار فى قفاه الغبار ويستنبح لفراقه الكلب ويصرف عن ذكره القلب وتسد لاوبته الاذنان وتغمض عن رجعته العينان ويقال كم سنة تعد وسلام لا يرد

ومنه قوله مع التضمين المخترع وهو

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتي لما دنوت وادلالي *
وقلت امسكيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالي

ومنه قوله

محبوبتي دنيا جفت بعدما * جادت وكانت نزهة الهائم
كانت مع الاير زمان الصبا * وهكذا الدنيا مع القائم

ومن لطائفه قوله

باع صديقي لجام بغلته * ليشتري الخبز منه والادما
واها عليه راحت جرايته * فهو على ذا السنة اللجما

ومن لطائف مجونه قوله

يا ملاذي الغوث من عائلة * ليس من نكلية مهم لي مهرب
طلبوا في أرجلي شيئا وقد * نقبوا راسي بما قد طلبوا

ومنه قوله

جنينة التين وجيرانها * قد طيبت لذاتها ذوقي
وكثرت عندي ما اشتهي * فالتين من فوقي ومن تحتي

وقال يداعب صديقا له طلق زوجة تسمى دنيا

قل لابن فلان الذي أصبحت * كرته بين الورى خاسره
* طلقت دنيا الذوارقتها * ورحت لا دنيا ولا آخره

وقوله

تبسم الشيب بذقن الفتى * يوجب سح الدمع من جفنه
حسب الفتى بعد الصباذلة * ان يضحك الشيب على ذقنه

ومن اغراضه اللطيفة في اهداء كتاب قوله

ارسلته نسم الجليس * اذا تغيرت البشر
يبقى على سنن الوفا * ابدا ويقنع بالنظر

وقوله

* لله تصنيف له رونق * كرونق الحبات في عقدها
كادت تصانيف الورى عنده * تموت للهيبة في جلدها

وقال وقد عتب عليه القاضي بدر الدين لامر

أهلتني للعتب حتى لقد * اذلمعي وهو صعب شديد
هذا ولو قطعتني انلي * وسرني اني ببدر شهيد

وقال يداعب جنديا من اصحابه عرض ولم يقبل

قلنا طوله يجدي * ليوم العرض اويرضي
فلا والله ما أجدى * وراح الطول في العرض

وما قدرت الشيخ بعد ما كفاه الله شر مقامي برتاح لاياني وأصحت سماؤه من اشغالي بلقد بمقالي وصفا جوه من دمي يشتاق الى طلعتي شوقا يبعثه على العتاب ويهزه للاستعتاب ولاشك انه اشتهاني كما يشتاق الجرب الحك وله العتبى فستأتيه كتبي تباعا ورسلي ولاء وحاجاتي قطارا وان شاء قذيت عينه بلقائي وانصرفت وراني والعافية له اوسع وهو الى العافية احوج والسلام

(وله اليه أيضا)

كتابي وليس الشوق الى لقائه بشوق انما هو العظم الكسير والنزع العسير

ومن لطائف مجونه قوله

صبغا لون شيبي ثم ضحكته يشتق * فيا عجبا الشيب من كدر صافي
وصار على الاكتاف يضحك من يرى * فاتحاله شيبا بقماع أكافي

ومن اعراضه اللطيفة قوله

كانت للقطي رقبة * ضن الزمان بما استحقت
فمر فتها ان قد رقى * وقطعتها من حيث رقت

ومن لطائف مجونه قوله

قالت أريد من طبيخ قدرة * وكثرت حاجاتها وأوغلت
فقلت هذي قدرة ياستنا * من قبل أن تمسها النار غلت

ومن لطائف مجونه قوله

دعاني صديق لحاجاته * فاوقعني في العذاب الاليم
كلاميزيد وما يقسل * فبئس الصديق وبئس الحميم

ومنه قوله

مازلت اقلع شيبة سخطتها * فسواد عقد شبابها مفسوخ
حتى غدت صفحات وجهي آية * لاناسخ فيها ولامنسوخ

ومن مراثيه البديعة قوله يرثي الملك المؤيد صاحب حماة

الا في سبيل الله ملك مؤيد * كنصل غدا في باطن الارض مغمدا
على الرغم منا ان اتى منه لامع * وجاوبنا من حول تربته الصدى

وقوله وقد توفي له ولد ولم يبلغ حولا

ياراحلا من بعدما أقبلت * مخايل للخير مرجوه
لم تكتمل حولا واورثتني * ضعفا فلا حول ولا قوه

ومثله قوله في ولده عبد الرحيم

يالهف قلبي على عبد الرحيم ويا * شوقي اليه وياشجوي ويا داني
في شهر كانون وافاه الحمام لقد * احرقت بالنار يا كانون احشاني

ومنه قوله فيه

آه الشمل قد وهي سلكه * وكان ذا در بعبد الرحيم
فليتني لاقيت عنه الردى * وعاش ذاك الدر دراً يتيم

وقال يرثي جارية له

يقولون قد اخلقت جفنك بالبكى * نعم ان جفني بالبكاء حقيق
دعوا الدمع للجفن القريح مؤاخيا * فاني عدمت الدمع وهو شقيق

وقال يهني بالعشر بعد تعزية ببيت

اتيتك يا ازكى البرية جامعا * لامرين في يوم من الدهر واحد
هناء وعزاء لا عيب فيه لانني * اهني بعشر اذا عزي بواحد

والسم يسري ويسير والنار تطيش وتطير وليس الصبر عن رؤياه بصبرا انما هو الصبر معجون بالصاب وتشريح القلوب والاعصاب والغلب في الميسر والانصاب والكبد على يد القصاب وقد دارت الحلقة الا قليلا وكاد اللقاء الا يسيرا والحمد لله كثيرا وصل كتاب الشيخ مؤنسا موروده موحشا مودعه وهذه الاعمال موازين الرجال وهي الطرفه حادها الغنى والعفه والشيخ بحمد الله الموزون في الكفه لاتشيله الخفه حقيق ان لا أغره من نفسي وأوطئه العشوة من أمري وقد علم ان العمل لعامه والعامل

وقال يرثي الملك الافضل صاحب حماة

مضى الافضل المرجو للبأس والندى * ومحت على رغم العداة وفاته
وماماتت اذماتت بحزن نساؤه * وماتت باحزان البلاد حماته

وقال في رثاء طفل

بدا وفي حاله توارى * فيالها طلعة شريقه
جوهرة ماعملت الا * دموع عيني لها عقيقه

وقال في رثاء ولده أيضا

قالوا فلان قد جفت افكاره * نظم القريض فلا يكاد يجيبه
هيهات نظم الشعر منه بعدما * سكن التراب وليده وحبيبه

انتهى ماوقع عليه الاختيار ووعدت بايراده من غرائب الشيخ جمال الدين بن نباتة وبدائعه في باب التورية على اختلاف أنواعها وقد تقدم قولي ان الراية الفاضلية هو عراية مجدها * وواسطة عقدها * وقائد زمامها * ومالك ختامها * وقدمت أيضا من مشى تحت الراية الفاضلية من ابن سناء الملك الى الوداعي ولما رفع العلم النباتي كانت هذه الفرقة التي مشت تحت هذا العلم أكثر عددا وأشهر ذكرا * وأعلى رتبة نظما ونثرا * وقد عن لي ان اذكرهنا لكل من عاصره ومشى تحت علمه النباتي وتحلى بسكته الادبية نبذة من مختار مقاطيعه التي حلاوتها في الاصل نباتية * ليظهر صدق قولي في تفضيل العصابة المجدية * واشرع بعد ذلك في ايراد نبذة من نظم التابعين لهم باحسان * وادير هذا الكاس بحيث يتسلسل دوره الى أهل هذا العصر والاوان * والعصابة التي مشت تحت العلم النباتي وتحلت بقطر نباته هم الشيخ صلاح الدين الصفدي والشيخ زين الدين بن الوردي والشيخ برهان الدين القيراطي ومذهبي انه أقرب الناس الى الشيخ جمال الدين نظما ونثرا والشيخ شمس الدين بن الصائغ والشيخ بدر الدين بن الصاحب والشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة والشيخ ابراهيم المعمار والشيخ بدر الدين حسن الزغاري والشيخ يحيى الخباز الحموي والشيخ شهاب الدين الحاجبي وممن ادركهم وعاصرهم المصنف وكتبوا اليه وكتب اليهم وانشدوه وانشدهم من أهل مصر والشام الشيخ زين الدين بن العجمي عين كتاب الانشاء الشريف بالديار المصرية والقاضي فتح الدين ابن الشهيد صاحب دواوين الانشاء الشريف بدمشق المحروسة وناظم السيرة النبوية نور الله ضريحه والشيخ عز الدين الموصلي والشيخ علاء الدين بن أيبك الدمشقي والشيخ جلال الدين ابن خطيب داريا والشيخ شمس الدين الرئيس الشهير بابن المزين والصاحب فخر الدين بن مكانس وولده الجناب المخدومي المجدي وسيدي ابو الفضل بن أبي الوفاء قدس الله روحه ولكن ما رأيته والشيخ شرف الدين عيسى الشهير بعويس والشيخ شهاب الدين بن العطار ولكن ما حضرته والشيخ جمال الدين ولكن مارأيته وصاحبنا الشيخ شمس الدين المنفي المصري والفرقة التي أطال الله بقاءها واسست قواعد الادب بها قائمة * وختمت بهم هذه الطريقة البديعة وأخلصوا في العمل ففازوا في الحالتين بحسن الخاتمة * وهم القاضي بدر الدين بن الدماميني المالكي المخزومي فسح الله في اجله والشيخ الامام الحافظ العلامة شهاب

في عهدة ايامه والقابل ولاية اخرى ومنشور جديد فالكافي من استوفى زمانه ووفى ضمانه والعاجز من انفق أيامه قبل ان يبلغ تمامه فليتق الله وحرب السلطان وصعوبة الزمان وليحذر الباقي وليذكر القاضي والاعور الماضي والمكن اموال الناحية لديه اربعة أصناف خراجا بذلت به الحجة له أو نسبيا أوصله أوجولا حوله وصلاقة له ويبنى الامر على ان آخر درهم عليه مطلوب وأول درهم له محسوب والمغبون والمكروب من طلب الانصاف ولم يبذل من نفسه الانصاف فان قصر

الدين بن حجر العسقلانى الشافعى رحمه الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله تعالى ونبدأ بمن تقدم ذكره أولا فأولا فمن محاسن الشيخ صلاح الدين الصفدى فى باب التورية رحمه الله قوله

أفديه ساجى العيون حين رنا * أصاب منى الحشا بسهمين
أعدمنى الرشد فى هواه ولا * أفلح شئ يصاب بالعين

ومثله قوله

لقد شب بحر القلب من فيض عبرتى * كأن رأسى شاب من موقف البين
فان كنت ترضى لى مشيبى والبكى * تلقيت ما ترضاه بالرأس والعين

ومثله فى تورية العين قوله

سألتم عن منام عينى * وقد براه جفا وبين
واليوم قد غاب حين غبتم * ولم يقع لى عليه عين

ومثله قوله

ان عينى مذ غاب شخصك عنها * يأمر السهد فى كراها وينهى
بدموع كأنهن الغوادى * لا تسل ما جرى على الخد منها

ومنه قوله

وفقيه قلت صلنى * فالبكى قرح عينى
قال لا تفخر بشئ * هو دون القلتين

ومن لطائفه قوله

قلت وقد أعرض عنى ولم * يصغ الى الشكوى ولم يقبل
لا تطمعى يا نفس فى وصله * ويا دموع العين لا تسألى

ومن لطائفه قوله

ان لم تصدقنى تصدق بالكرى * ليزورنى فيه الخيال الزائل
وانظر الى فقرى لوصلك واغتنم * أجرى وقل للدمع قف يا سائل

وقوله أيضا

يقول الناس كيف يميل عنه الحبيب ويدعى صونا وعفه
أليس الله فى كل يوم * يرمع النواسم ألف عطفه

وقوله أيضا

وأحور أحوى فاتر الطرف قد غدا * به قلب صب بالجوى يتضرم
كستنى ضنى جسمى سهام جفونه * فبرد سقامى فى هواه مسهم

وقوله مع حسن التضمين

مقلته السوداء أجفانها * ترشق فى وسط فؤادى نبال
ويقطع الطرف على سلوتى * حتى حسبنا فى السويدا رجال

وألم الشيخ زين الدين بهذه النكتة ولكن سبكها فى غير هذا القالب بقوله

والله بعيده أو يجز والله يعينه بجميع ما فعل هباء وهواء وهو العاجز سواء ثم هو الداء لا يجده الا الدواء وليس الرأى الآن يتكلف بوافيه والعمل فى بدءاته يوم يدعها واليا ليأخذها معزولا لبعيد الغلط مخذول الأمل وعرضت على الشيخ الجليل كتابه وما أقدم عليه البغوى فقال ليس أبو الوفاء بالبائع المغبون ولا المشترى الزبون ولو رأيت السباع تلجمه والجبال ترجمه ما كنت ارحمه افهذا الجزع مستحث ورد الناحية بكتاب ما طوى عليه انتهى اليه وما عداه لم تنله يداه

من قال بالمرد فانى امرؤ * ميلى الى النسوة ذات الجمال
ما فى سويدا القلب غير النسا * ما حيلتى ما فى السويدا رجال

ومنه قوله

بجفنه سيف فرى حده * قلوب قوم فى الهوى اسرى
ومن عجيب نصر ألحاظه * وجفنها المكسور قد قرا (ى)

ومنه قوله

وظبى معانيه بيان بديعها * لها رانكرى اذ رأى كل معجز
قرأت مقامات الحريرى كلها * بعارضه مشروحة للمطرزى

وتزاحم الشيخ صلاح الدين والشيخ زين الدين بن الوردى فى هذا المعنى والنكتة بقوله

شبهت خد حبيبى * تشبيه فكر مبرز
مقامة الحريرى * وشرحها المطرز

والذى يشهد به الذوق ان تركيب الصفدى احسن وقعا ومنه قوله

كن كيف شئت فان قد * ولد قد علا عندى وعزا
مات السلو نميش انشـ * ـت اما رأيت الصبر عزا

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

قالوا حكى بدر الدجا وجه الذى * تهوى فقلت لهم قفوا وتربصوا
انا ما اصدق ما عليه كلفة * فاذا حكى شيأ يزيد وينقص

ومنه قوله

من شافعى يوما الى مالك * فى امر روحى القبض والبسطا
صوب رأى الناس فى حبه * وشعره فى الارض قد خطا

ومنه قوله

بقول اذ أذكرته قبلة * غصبتها فى زورة الطيف
هذا عذارى وجفونى فقم * واحلف على المصحف والسيف

ومنه قوله

يقولون حاكاه الهلال فلا تزغ * عن الحق واعرف ذاك ان كنت تنصف
فقلت اذا ما صار بدرا مكملا * حكاه ومع هذا عليه تكلف

وقوله

اذا قلت قد اسرفت فى التيه قال لى * تقل فى جمالى فى الورى غير ماجرى
وأبيض طرفى واقف عند حده * واسود شعرى قد تواضع للثرى

وقوله

محياه له حسن بديع * غدا روض الخدود به مزهر
وعارضه رأى تلك الحواشى * مذهبة فزمكها وشعر

وقوله

ويقولون أرجفوا بعزله فكان ماذا الوعزل وغاية الراكب أن ينزل والوالى أن يعزل وليس العمل ضربة لازب ولا العامل فيه بخالد ولا عقده اوثق من عقدة النكاح ثم بنقضها الطلاق ويخلوها الشقاق ويختمها الفراق فليعمل الشيخ عمل من يلى ابدا وليحتط احتياط من يعزل غدا على أن جاهه بالحضرة على غاية الوفور وحاله فى نهاية النور فليهدئ الهاذى ما استطاع من الهذاء وليهدد بسببه الى

أقول وحر الرمل قد زاد وقده * ومالى الى شم النسيم سبيل
أظن نسيم الجو قدمات وانقضى * فمهدى به فى الشام وهو عليل

النسيم العليل تلاعبوا به كثيرا ولكن قول الصفدى فمهدى به فى الشام وهو عليل فى غاية اللطف ومنه قوله

كؤس المدام تحب الصفا * فكن لتصاوير ها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها * فاحسن ماذهبت بالطلا

وقوله

قلت لما شوى اوزاحبيبى * وا كتسى بالهيب ثوب سناء
لو يعيش الجزار مات غراما * فى معانى محاسن الشواء

وقوله

كلفى ببدر صائغ * كالبدر فى جو السماء
سكر المحب بريقه * وغدا يموه بالطلاء

ومنه قوله

شوى الاوز فاضحت * فى حمرة الخد بسطه
فقلت تشوى اوزا * أم كنت تشرب بطه

ومنه قوله

قل للعذول يسترح من عذلى * ما اصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

ومن نكته البديعة قوله

اقول له ما كان خدك هكذا * ولا الصدغ حتى سال فى الشفق الدجا
فمن أين هذا الحسن والظرف قال لى * تفتح وردى والعذار تخرجا

وقوله

اصبحت نابغة الغرام لصبوة * فى غادة بجمالها متفرده
كم قد جلت من خدها وسيوف مقلتها لى النعمان والمتجرده

وقوله ايضا

انفقت كنز مدائحى فى ثغره * وجمعت فيه كل معنى شارد
وطلبت منه جزاء ذلك قبلة * فأبى وراح تغزلى فى البارد

وقوله

قالت وقد مادت كغصن النقا * اسرفت فى العشق بلا فائده
فقلت منهوم الهوى لم يكن * يشبع ان مدت له المائده

وقوله

سكن البدو من احب فقالوا * زاد اهل الغرام فى البعد بعدا
قلت بالله هل سمعتم ببدر * غاب عن عاشقيه لما تبدى

ومن

السماء وصلت الصفة ولم اجد الى قبولها سبيلا حتى تنجلى غيابة هذا العارض المتالق واما اعيذه بالله ان يجعل عرضه جنة لمراده والله ولى ارشاده

(وله فى شأنه ايضا وقد حبس)

ان هؤلاء العمال ليعلقون المال كما تعلق النار الذبال والنار لاتذر الفتيل وان احتيل لها بما احتيل حتى تطفأ واطفاء العامل قتله وما اظن ابا الوفاء الاتعرض للاطفاء من الحاصل والباقى الا ما وقى الله ونعم الواقى

ومن نكته الغريبة قوله

سال العذار فسل سيف جفونه * حتى غدت مهج الورى افلاذا
يا صدغه والله كافى غنى * عن ان نراك السائل الشحاذا

وقوله

اقول لقاض سهم مقلته غدا * يصيب الحشا الا تبيح قتلى ولا توذى
وان كان قلبى عنده غير تائب * فدعه ولا تحكم عليه بتنفيذ

وقوله

اما ان تعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم ما لا يرى
وعلمت أن بعادكم لابد أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

وقوله

لئن سمح الدهر البخيل بقربكم * وسكن منى انفسا وخواطرا
جعلت ابتذال الروح شكران وصلكم * وقلت لدمع العين يعمل ما جرى

وقوله

بدا فى الخد عارضه فاضحى * عليه معنفى باللوم يغرى
وحاول أن يرى منى سلوا * وقال اقد تعذر قلت صبرى

وقوله

تقول له الاغصان اذ ماس قده * اتزعم ان اللين عندك قد ثوى
فقم نحتكم فى الروض عند نسيمه * ليقضى على من مال منا مع الهوى

وقوله

تناءى الذى أهوى فمت صبابة * فقال عجيب كل امرك فى الهوى
صبرت لطرفى اذ رمتك سهامه * ولم تتصبر اذ رمتك يد النوى

وقوله

أتانى وقد اودى السهاد بناظرى * يمزق جنح الليل بارق فيه
فناديته يا طيب الاصل هكذا * اخذت الكرى منى وعينى فيه

وقوله

بأسياف الجفون قتلت نفسا * مبرأة عن الشكوى زكيه
فما اقوى جفونك وهى مرضى * واقدرها على قتل البريه

وقوله

جاء بقد قد ثنته الصبا * ورنحت اعطافه السامية
ومذ غدا فى لينه واحدا * كانت له ريح الصبا ثانيه

وقوله

وفى القلب من هاجرى لوعة * بغير تلافيه ما تندمل
فيا شعره بعض هذا الجفا * ويا ردفه أنت ما تحمل

(وله الى الامير ابى الحرث محمد مولى امير المؤمنين) كتابى والبحر وان لم اره فقد سمعت خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه والملك العادل وان لم اك قد لقيته فقد بلغنى صيته ومن رأى من السيف أثره فقد رأى أكثره ومازالت ايد الله الامير أسمع بهذا البيت القديم بناؤه الفسيح فناؤه الرحب اناؤه الكريم آباؤه وأنشد فى هذه الحضرة ضالة الامل والعوائق بجنة ويسرة ترينى المنى حسرة والزمان العثور يقعدنى ويثور

وقوله

يا قلب صبرا على الفراق ولو * روعت ممن تحب بالبين
وانت يا دمع ان ابحت بما * تخفيه وجدا سقطت من عيني

وقوله

لولا شفاعة شعره في صبه * ما كان زار ولا ازال سقاما
لكن تطاول في الشفاعة عنده * وغدا على اقدامه يترامى

وهذه النكتة تزاحم هو والشيخ زين الدين بن الوردي عليها والله أعلم من المخترع فانهما كانا متعاصرين فقال

كيف انسى لشعر حبي يوما * وهو كان الشفيع في لديه
شعر الشعر أنه رام قتلي * فرمى روحه على قدميه

وقوله

ان قلت زرني قال لا * بحاجب ما اظلمه
فما يرى جوابه * الا بنون العظمه

والشيخ صلاح الدين تزاحم هو والشيخ برهان الدين القيراطي على هذه النكتة و زنا وقافية والله أعلم من المخترع منهما بقوله

وتائه حدثته * فلم يفه بكلمه   أجابني بحاجب * لكن بنون العظمه

ويعجبني قوله

اضحى نسيم دمشق حيا ها الحيا * يمشي الهوينا في ظلال رباها
فكأنه من مائها وهضابها * ما داس الا اعينا وجباها

ومثله قوله

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهي الرفيع المشيد
جرى ليباهي حسنه كل معبد * وما قصبات السبق الا لمعبد (ى)

وقوله

لما ازهار الربيع بروضه * وغدا الفضل ينبر لديه
قام الحمام له خطيبا بالهنا * وجرى الغدير مخربين يديه

وقوله

قالوا على نيل مصر في زيادته * حتى لقد بلغ الاهرام حين طمى
فقلت هذا عجيب في بلادكم * أن ابن ستة عشر يبلغ الهرما

ومن اغراضه قوله

رب طباخ به نضجت * مهجات غير مرحومه
سلوتي عنه مزورة * ابدا والنفس مغمومه

وقوله

احببت بابا حسنه بارع * سبي من الناس الألبابا

فأمن عام الا عزمت وأبت المقادير وتوبت وعرضت المعاذير والآن لما وفقت لهذه الزوره اختلفت على أخبار الملك في مستقره واختلفت باختلافها فقرة في قوس الطريق ومرة في وترها مقتفيا اثره حتى بلغت مبلغي هذا ثم وسوس الى الشيطان تعذره مقدار أني اقصد هذه الحضرة طامعا في مال اوطامحا الى نوال وعظم سلطان هذه الوسوسة حتى كاد ينفيني عن درك الحظ من طلعته ولم أبعد ما ألقاه في خلدي أن يكون وأنا انشد الله

اغلق فى وجهى باب الرضى * فهل ترانى أفتح البابا

وقوله

ان اللطافة لم تزل * بين الاكابر فاشيه

أرأيت عمرك فى الورى * طرفا رقيق الحاشيه

وكتب على لسان صاحب له طلب من صاحب سرجا فلم يجهزه له قوله

عجبا كيف لم تجد لى بسرج * وحده واللجام دأب النفوس

واذا لم تبعثه فى اول الامر * اختيارا فابعثه بالدبوس

وكتب الى من اهدى له صحن قطائف قوله

اتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تنبت بالقطر

فلا غرو ان صدقت حلو حديثها * وسكرها يروى ويملى عن ابى ذر

الجماعة تجار وا فى هذا الحلبة واجادوا منهم الشيخ زين الدين بن الوردى بقوله

بعثت قطائفا حلت * جناها قطرها الغامر

فسكرها ابو ذر * ومرسل صحنها جابر

وأجاد الشيخ جمال الدين بن نباتة هنا وجمع بين التورية وحسن التضمين وبديع الاكتفاء والحلاوة بقوله

أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب طعام القطر يا غاية المنى

بعيشك قل لى جاء صحن قطائف * وبح باسم من تهوى ودعنى من الكنا (فه)

وقوله مع بديع التضمين

رعى الله نعمالك التى من اقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر

امد لها كفى فاهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

ويعجبنى هنا قول الشيخ برهان الدين القيراطى مع بديع التضمين

لقد قطفت زهر النبات قطائف * تخيرتها فاخترت للنفس ما يحلو

تقول اسمعوا منى مدائح مرسلى * فكلى ان حدثتكم السن تتلو

واما تورية القطر فالقطر النباتى معروف فمن ذلك قوله

شكرا لبرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تنتخب

قد جدت بالقطر حتى زدت فى طمع * واول الغيث قطر ثم ينسكب

وقوله

بجود قاضى القضاة اشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى

والقطر ارجو ولا عجيب * القطر يرجى من الغمام

ويعجبنى هنا قول ابى الحسين الجزار

ايا علم الدين الذى جود كفه * براحته قد اخجل الغيث والبحرا

لئن امحلت ارض الكنافة اننى * لارجو لها من سحب راحتك القطرا

قلت الشىء بالشىء يذكر ذكرت هنا الغزافى لوزفيج كتب به مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن

الظنون ان تتصرف فى قصدى الا الى معرفة ارقعها او خدمة اودعها ومدحة اسمعها ورجعة اسرعها ثم أذخر هذه الدولة المملكة اغصبها او راية انصبها او كتيبة اغلبها او دولة اقلبها واما الدرهم والدينار دفعهما الى ونزعهما من يدى سواء لا اشكر واهبهما ولا اشكو سالبهما ان لى فى القناعة وقتا وفى الصناعة بختا لا يستمنال المال اذا اردته ولا يحوجنى الى ركوب العقاب وسلوك

الادبى رحمه الله الى علامة العصر القاضى بدر الدين بن الدمامينى رحمهما الله

يامن له فى عروض الشعر أى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى لفظه ائتلفت * والثلم فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * وقد تقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه * يا فرد يا رحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر منه له فرجا * لا زال سعدك بالاقبال مقرونا

فأجابه المشار اليه بقوله

يا من سلا من شهى النظم لى كلما * منه ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يا فاتنى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأدم * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد الرأى مأمونا

وقد آن الرجوع الى ما كنا فيه مما اختاره من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدى فى باب التوربة فن لطائف مجونه قوله فيمن سرق شيأ من بعض شعره

ان كان يا مولاى لابد ان * تأخذ شعرى جملة كافيه
قافية البيت اطرح لفظها * وقم خذ الكل بلا قافيه

وقوله

أدير لحيتى البيضاء كاسى * بكيس زائد منى وفطنه
ألم ترنى وعفو الله راج * ومن شرهى أصفيها بقطنه

وقوله

وجرة قدموها * والراح فيها كمينه
شممت طينة فيها * فرحت سكران طينه

وقوله

قلت له اذهز لى ذقنه * ولام فيمن همت فى عشقها
تذكر اذ غنت فنادى نعم * فقلت واشوقا الى حلقها

وقوله

وعاذل بارد المقالة لا * يعى صوابا وزاد فى نكدى
وقال ذقن الحبيب باردة * فقلت يا بردها على كبدى

وقوله

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما احد فى دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة حاله * يقولون لا تهلك اسى وتجلد

ومن نكت المجون التى توارد هو والشيخ جمال الدين عليها وزنا وقافية قوله

الشعاب بل يجيئنى فيضا ويتطفل على ايضا وما كل يرفع له الحجاب ولا يفتح له الابواب وبعد ذلك فهذه الحضرة وان احتاج اليها المأمون ولم يستغن عنها قارون فان الاحب الى ان أقصدها قصد موال لا قصد سؤال والرجوع عنها بجمال احب الى من الرجوع بمال وقد قدمت التعريف وانا انتظر الجواب الشريف فان نشط الامير اضيف ظله خفيف ضالته رغيف فليدعه اليه بالاقبال

اذا ماقام أيرك فى الدياجى * وعندك من تحب فلا تحابى
ومل نحو الطواشى واعتقه * فذلك لابدل على صواب

وقول الشيخ جمال الدين

أرى لصواب يا أيرى صفات * تحث على التعشق والتصابى
فبادره فانت به خبير * ومثلك لابدل على صواب

ويحسن أن نختم هذه المجونات بقول الشيخ صلاح الدين وهو

ياساحبا ذيل الصبا فى الهوى * ابليته فى الغى وهو القشيب
فاغسل بدمع العين ثوب التقى * ونقه من قبل وقع المشيب

الشيخ صلاح الدين سامحه الله كان من المكثرين وكان هو والشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة يرضيان لرغبتهما فى الكثرة بالاشياء الرخيصة ولم أورد للشيخ صلاح الدين هنا غير الغالى من نظمه واختياره واختيارى ومن محاسن الشيخ زين الدين بن الوردى فى باب التورية ومقاطيعه التى هى احسن من مقطعات النيل * واحلى فى الاسماع من نغمات المواصيل

ان قلت قدك غصن * قالت لى الغصن ساجد
اوقلت ريقك ثلج * قالت تشبه بارد

ومن ذلك قوله

ياسائلى قصيرا * عن لثم فيه لاتسل * ماتستحى تبدلنى * بالصبر عن ذاك العسل

ومن ذلك قوله

ومليح اذا النحاة رأوه * فضلوه على بديع الزمان
برضاب عن المبرد يروى * ونهود تروى عن الرمانى

وقوله

امام فى الركوع حكى هلالا * ولكن فى اعتدال كالقضيب
وقال تلوت قلت الشمس حسنا * وقال ختمت قلت على القلوب

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

يشفع فى شعره * اذمال عن قبوله * فهو على اقدامه * ممدد بطوله

ومنه قوله

عجبت فى رمضان من مسحرة * بديعة الحسن الا انها ابتدعت
قامت تسحرنا ليلا فقلت لها * كيف السحور وهذى الشمس قدطلعت

ومن لطائفه قوله

اذا تعذر حبى * لخله يتعذر * لجيده أصل مابى * والجيد لايتغير

ومنه قوله

وتاجر ما طلته دينه * لاجتليه قال ماأمطلك
قلت له جيدك لى اولن * فقال هات المال والجيد لك

ان شاء الله تعالى
(وله اليه ايضا)
ان جاز للفقراء ان يصيروا فداء للامراء فانا فداء الامير السيد من سوء يلحقه ومكروه يرهقه والمصاب الذى اشار اليه خاتمة المصائب على ان النساء كالصدف اذا انتزع منه درة الشرف لم يصلح الا للتلف والسعيد من حمل من دار السيد الامير نعشه واسعد منه من جدد فرشه ولا خلة بالرجال اليق من الصبر ولا حصن للنساء احصن من القبر وانا اسأل الله

وقوله

قالت اذا كنت تهوى * انسى وتخشى نفورى
صف ورد خدى والا * ابور نادبت جورى

ومنه قوله

انكر حبى مدعى * وقال هذا من هوى * فقلت لا بل من فتى * اصاب عينى بنوى

ومن نكته اللطيفة فى تضمين المثل السائر قوله

وصينة كانت لها * فى القلب منزلة ترقت
رقت فعفت وصالها * وقطعتها من حيث رقت

وقوله

سألتها أى ناه * نهاك عن حسن نوحك
قالت نهانى زوجى * فقلت روحى بزوجك

ومن اغزاله قوله

أقول اذ قال لى حبيبى * علام فارقتنى علاما
خدك كان الصفا ولكن * قد اصبح المشعر الحراما

وقوله

رامت وصالى فقلت لى شغل * عن كل خود تريد تلقانى
قالت كأن الخدود كاسدة * قلت كثير القلة القانى

وقوله

ابصر وادمعى فخافوا * قلت لا تخشوا بكاءى
ما عليكم من دموعى * غير امطار السماء

ومنه قوله

سل الله ربك من فضله * اذا عرضت حاجة مقلقه
ولا تسأل الترك فى حاجة * فاعينهم اعين ضيقه

وقوله

لما شنت عينى ولم * ترفق لتوديع الفتى
ادنيتها من خده * والنار فاكهة الشتا

وقوله

ضممتها عند اللقا ضمة * منعشة للكاذت الهالك
قالت تمسكت والاهما * هذا الشذا قلت بأذيالك

وقوله

شكى من الخط ضعفا * وذاك منه دلال
قلت استعن بعثال * فقال مالى مثال

ومنه قوله

تعالى الذى سلبه الكرمة ان يتبعه بعتبها ولا خير فى الفضلة من وراء مرطبها واما كتاب الاصول فمالى اراه بعيد الوصول أيحتمل حالى كل هذا التناسى مليحسن به ايناسى واما انا فعبد الامير وقد بلغنى تعداب فضله ومثلى من قصد بابه مثله فعاد وحاله انطق من بيانه وخط يده افصح من لسانه وقد شققت اطراف الارض بادراج الشكر ولعل اجوبتها ترد عن قريب فيعلم اى حر استرق واى مجد استحق وقد طولت وعلى الله توكلت

وأغيد يسألني * ما المبتدا والخبر   مثلهما لي معبرا * فقلت أنت القمر

ومن نكته مع حسن التضمين قوله

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الشاوج
خذوا من خده القاني نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

ومن نكته اللطيفة قوله

مهفهف القد اذا ما انثنى * يقول لا تخش من الرد
ما أنت حلي يا كثيب النقا * ولست يا غصن النقا قدي

وقوله

لو نلت من خده تقبيلة * تزين الريحان بالورد

وقوله

رومية الاصل لها مقلة * تركية صارمها هندي
قد فضحتني وجناتها فقل * في وجنة فاضحة الوردي

وقوله من دوبيت

يا روضة حسن لينها لي وحدي * الشركة فيك قد أذابت كبدي
ما ضرك أن تسقى بماء فرد * والواجب أن يكون ماء الورد

ومنه قوله

هويت اعرابية ريقها * عذب ولي فيها عذاب عذاب
رأسي بنو شيبان والطرف من * نبهان والعذال فيها كلاب

وقوله

قلت وقد عانقته * عندي من الصبح قلق
قال وهل يحسدنا * قلت نعم حتى انفلق

ومنه قوله

تقويم قدك ماليامن ثغره * در يقصر دونه التقويم
انى لابكى من جفاك ولي أب * والثغر يضحك منه وهو يتيم

ومن اختراعاته قوله

رأم ظبي الترك وردا * قلت اقصر خاب ضدك
عندك الورد المربي * قال فاني قلت خدك

وقوله

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كفلي اضعف خصري * فاعينوني بقوه

وقوله

قلت لما زارني أديمي * وزاد صدا وطال هجرا

(وله الى الاستاذ أبي بكر محمد بن اسحق) الاستاذ الزاهد أدام الله عزه يأمر غاشية مجلسه ان يفتشوا أعطاف المقابر وزواياها فان وجدوا قلبا قريحا يحمل ودا صحيحا وكبدا دامية تنقل محبة نامية فانا ضيعتهما بالامس على ذلك الرمس رضي الله عن دفينه وعنا معاشر شيعته فيأمر بردهما فلا خير في الاجساد خالية عن الفؤاد عاطلة من الاكباد وأبو فلان موصل رقعتي هذه له قصة يعرضها وحاجة اذا افرضها تلميذ قد تطرفه نوبه وتصيبه نوبه وبلغا من الاستاذ الى حصن منيع وبلغا الاستاذ منه

قد فر صبرى وفر نومى * قال نعم مذ عشقت فرا

وقوله

رغيف خباز كم قد حكى * من وجهه التدوير والحمره
اذا رأى ميزانه المشترى * قال هنا الميزان والزهره

ومنه قوله فى مليح عبرى

اغيد عبرى له مقلة * حكت من العشاق الوانا
لقد سبى بالنور شمس الضحى * فهل أتى من آل عمرانا

ومنه قوله

ووعدت أمس بأن تزور ولم تزر * فغدوت مسلوب الفؤاد مشتتا
لى مهجة فى النازعات وعبرة * فى المرسلات وفكرة فى هل أتى

وقوله

اعور كالبدر له مقلة * واحدة قامت مقام اثنتين
قد سرق الرقد من ناظرى * وقال ما جئتك الا بعين

وقوله

بابى أعور عين فاتن * مثل بدر التم والتم بعين
طرفه الواحد عضب ذكر * فله فى الحسن حظ الانثيين

ومنه قوله

رأيت رشيق القد أعور فاتنا * له مقلة اغنته عن حسن ثنتين
اذا قال غصن البان أنت ابن قامتى * يناديه بدر التم أنت أخو عينى

وقوله

جنكية شاهدت عشاقها * وهم بها فى الجهد والضنك
قالت أما تعشق جنكية * قلت كذا يا ليتنى جنكى

وقوله

تغسل عينى وجنتى * بدمعة هامله
فوجنتى قائله * عدوتى غاسلى

وقوله

ناديت صالحة الى * كم أنت عنا نازحه
قالت نزحت لانكم * لا تصطحون لصالحه

وقوله

هويت حصادا حكت قامتى * من طول ما يهجرنى منجله
أقول والسنبل من حوله * مولاى أنت الشمس فى السنبله

وقوله

أنا فى سالى نقيض * يا شموسا فى البزوغ

الى أمر شنيع وهو أيده الله قد عرف ظاهر هذا الحر وان لم يعرف باطنه وعلم سيرته وان لم يعلم سريرته وأيقن انه لولم يدع الكذب ديانة لتركه امانة وصيانة فان حرفته لا تحتمل غير العفة ثم يرضى بعد ألف مكاس ان يخرج راسا براس ويرد فضل صفقتين ويحمد الله على ما بركتين والله يوفق الاستاذ لما يأتيه ويذره فنعم الرفيق التوفيق والسلام

(وله اليه)

قد علم الاستاذ الزاهد أن اهل هذا الشطر من البلد رجلان هذا موتور وهذا مستور فصالحة الموتور خشيه والظفر بالمستور

هزم الصبر عليكم * والمنى دون البلوغ

ومن لطائفه قوله

قال لى بند نصره * كم كذا ترجع البصر
قلت لا تنفرد به * للتشدد ولى تطير

ومن اغراضه اللطيفة قوله فى صديق له بالمعرة يقال له شمس

لى بالمعرة شمس * رضاه غير مرادى
فلا تذموه انى * أدرى بشمس بلادى

وكتب اليه فى زفة له

ياشمس أشعلت شمعا * عليك عشر الاصابع
رغما لمن قال قبلى * الشمع فى الشمس ضائع

ومنه قوله فى آل النصيبى بحلب

فؤادى الى آل النصيبى مائل * وودّى لهم فى محضرى ومغيبى
فبينى و بين القوم نوع تجانس * اذا طاب أصل الورد كان نصيبى

وقوله

للمقدسى بقلبى * حب خلى الدليل
فمن يكن ذا خليل * فالمقدسى خليلى

ومن لطائف اغراضه قوله

ياشيخ خل التصابى * فالزهد بالشيخ أليق
ولا تحث كميتا * فان فودك أبلق

وقوله

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول أتدرى كيف أصنع بالخلق
اذا حمروا وجهى ومابيضوا ايدى * ازرق لهم رجلى ولوخضروا عنقى

ومثله قوله

لى صاحب واسمه سراج * ماقرّلى عنده قرار
لسانه محرق لقلبى * ان لسان السراج نار

ومن اغراضه اللطيفة قوله

تجادلنا اماء الزهر أزكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ومن لطائف مجونه

يامن تولى قاضيا * هذا قضاء أم قدر
غدروك فى بستاننا * ان القضا يعمى البصر

ومن اغراضه البديعة قوله

قدمات شيخى فاظهروا * بجر به أوسلمه

هزيمه والحرب صفقة سوء الخاسر عليها من يربح والمذبوح فيها من يذبح وقد وضعت اوزارها فالجانى من طلب ثارها والباغى من شب نارها وقد محا الصلح آثارها وفى الجانبين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات من لق الله فيهم من غير عذر فقد هلك وانما الحرب عليك اولك وترك النهى فى بعض المواضع امر وربما كان تحت الرماد جمر وقد امسك هؤلاء القوم لاعن ظاهر ضعف ولاعن بين عجز فليسك اولئك ان الثقة بالصلح شؤم والاستظهار بالريح خرق فكم رأينا الشمال هبت جنوبا و وجدنا الخبر قد

عيشوا بجهل بعده * فقد قضى بعلمه

ومن اغراضه البديعة قوله

لا تحملوني على انتقام * فالجاه يحكي خيال طيف
عفوت عن مذنب فقرت * عين عدوي وجفن سيفي

ومن اغراضه قوله

ديار مصر هي الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهي ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

ومن لطائف مجونه قوله

حمامكم قيمه اسود * هربت منه وأنا صارخ
قد سلخت جسمي اظفاره * يا قوم هذا اسود سالخ

ومن لطائف اغراضه قوله

يا من غدا في طلاب المجد مجتهدا * لم يثنه عنه لا مال ولا ولد
لا تبسطن لتقليد القضاء يدا * ايرتضي رتبة التقليد مجتهد

وكتب الى قاضي القضاة شرف الدين بن البارزي

جنبتني وأخي تكاليف القضا * وكفيتنا مرضين مختلفين
يا حق عالم دهرنا أحييتنا * فلك التصرف في دم الاخوين

وقوله مع تضمين المثل السائر

اني عدمت صديقا * قد كان يعرف قدري
دعني لقلبي ودمعي * يا صاح أحرق وأذري

ومن لطائف اغراضه وقد ولي قضاء شيراز قوله

انما شيراز نار * وبها القاضي مخلد
قلت لا أمكث فيها * أنا من حزب محمد

ومن اغراضه قوله

مرض الفؤاد وصح ودي فيهم * وأقام تذكاري وصبري نازح
انسان عيني كم سهاد كم بكى * يا أيها الانسان انك كادح

ومن نكته البديعة مع تضمين المثل قوله في آل البيت عليهم السلام

يا آل بيت النبي من بذلت * في حبكم روحه فما غبنا
من جاء عن بيته يحدثكم * قولوا له البيت والحديث لنا

ومن نكته الغريبة قوله في محتسب

من ولي الحسبة يصبر على * تعرض الواقف والسائر
فليس يحظى بالمنى والغنى * فيهم سوى المحتسب الصابر

وقوله

قد عجبنا لامير * ظلم الناس وسبح

صح مقلوبا وسمعنا بالقاتل فوجدناه قتيلا وبالطمع استحكم لم يصب قتيلا لعل الله يصوننا في هذه الايام الكرام وهذا الشهر الحرام عن الدم الحرام والسلام. *(وله الى محمد بن ابراهيم الشاري)* لعمري ان ايامي منذ لم اره ليال وانه من جسمي لفي طلل بال وان العيش لا يبسم الا بثغره والعافية لا تطلب الا في ظله ولكني وقيذ اوجاع من حي الى صداع وأخشى ان يأخذ مني لفح الهوى ما أخذه فلذلك لا ابرز عن البيت واما فيه حيث كنت واما ابطاله ما ذكرت

فهو كالجزار فيهم * يذكر الله ويذبح

وقوله في مدينة حلب

عليك بصهوة الشهباء تلقى * بجوشنها محاربة الزمان
فللعرقان في الفردوس ريح * يفوح شذاه من باب الجنان

ومن مجونه فيمن رتبوا له أربعة دراهم قوله

كل يوم رتبوا اربعة * لك فازددت علينا صعصعه
فلو استفتيت في سيدنا * قلت يستأهل قطع الاربعه

ومن لطائفه قوله

ناعورة مذعورة * ولهانة وحائره * الماء فوق كتفها * وهي عليه دائره

ومن نكته الغريبة قوله

زوجة مجد الدين والداها * في اخذ عرض المجد اشبهاها
ان أبا ها وأبا ابا ها * قد بلغا في المجد غايتاها

وقوله

مليحة مصطولة * ان لمتها فيما يرى
تقول كل طيبة * ترعى الحشيش الاخضرا

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

كرهت وضوأ من قناة تساق من * دماء الرعايا او بسخرة مسلم
ستشرق في يوم الحساب ندامة * كما شرقت صدر القناة من الدم

ومما تخيرته هنا من تأليفي الذي وسمته بصرير القيراطي رحمه الله تعالى قوله

البدر طلعة وجهه * وعذاره هالاته
وخفوق قلبي في هواه * سعيدة حركاته

وقوله

اجريت دمعي فذا قنيت ابحره * اجريت مني باسياف الجفون دمي
ان ملت عن برع القد يا أملي * لنقرعن على السن من ندم

وقوله

اسدى بم ألم تحت طاق * له والدمع يجري كل وقفه
وكم يوم عبرت له زقاقا * أحاول غفلة وأروم عطفه

وقوله

لما تبدى قوام قامته * وحاجباه لناظر العين
رأيت موتي بسيف ناظره * من قيد رمح وقاب قوسين

وقوله

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه
واطربت في العود قرية * وكيف لا تطرب عوديه

فصدق ان علة لا يسيل لها الدماغ ولا تذوب منها الاضلاع ولا ينقطع بها الضاع ولا يتغاضى فيها العواد ولا ينفر منها الطبيب ولم يبتغ لها الحفار ولم يتسلف لها الجمال ولم يعرفها حديث النائحة ولم يتداو منها بالرائحة حقيقة ان لا يساء بها الصديق ولا يحتجب عن الطريق وعلى كل حال فاذا خفت وطأة الهوى وحال وقت المسا ألعبت لعباتي الى حضرته متزودا من طلعته ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

والله اني لارحم عقل طرفة اذ قال

وقوله

ارتاح للاقمار وهي طوالع * وشموس راحي للمغارب تجنح
ويهزني زجل الطيور بلحنها * والروض بالزهر النظيم موشح

وقوله

يا أمير الجمال قل * فالمراسيم تسمع
أنا مملوكك الذى * لك قلبي غدا تبع

وقوله

في جفنه سيف مضاربه * يا صاح اسبق لي من العذل
وبخده والردف لي خبر * قد سار بين السهل والجبل

وقوله

شبه السيف والسنان بعيني * من لقتلي بين الانام استحلا
فابى السيف والسنان وقالا * حدنا دون ذلك حاشى وكلا

وقوله

هويت ظبيا خاله نصبة * نيرا نها للقلب جنات
يكسر اجفانا اذا مارنى * لها على الارواح نصبات

وقوله

اهيم باعطاف القدود صبابة * وان هي زادتني جفا وتباعدا
ويعجبني بين الانام تطفلي * عليها اذا شاهدتهن موائدا

وقوله

اباح لي نرجس الحاظه * في مجلس ما فيه ما ننكره
فقلت وردا لخد لي به * أيضا فقال الكل في الحضره

وقوله

قال لي بالحمى غزالي لما * لم أجد من ظبا الجفون ملاذا
كيف جاءت اليك اسياف جفني * قلت جاءت على الحمى فولاذا

وقوله

في وصف خمر الثغر منك نوادر * تزري بحسن نوادر ابن عتيق
واذا وصفت رشيق قدك عندما * هز القوام لنا فانا ابن رشيق

وقوله

جفني وجفن الحب قد احرزا * وصفين من نيلك يا مصر
جفني له يوم الوداع الجفا * وجفنه الساجي له الكسر

وقوله

خدمت بالاغزال أبوابه * لما تبدى حسنه الباهر
ولي من الدمع على خدمتي * جراية اطلقها الناظر

وليت لنا مكان الملك عمرو
رغوثا حول قبتنا تدور
كيف ضرب المثل في الشعر
وقلة الخير بما هو خير له ان
البرغوث لتغذوه برسلها
وتصبوه بنسلها وتكسوه
بصوفها وتنفعه بيعرها
وتغيظ عدوه بسراحها
وتفرعينه برواحها
وتملأ بيته اقطاوسمنا
وحسبك من غنى شبع وري
ثم ارجع الى حديثك تمنى
مكانه رغوثا وانا اتمنى
مكانك برغوثا ان
البرغوث اجدر منك ان
يغوث كنت اعلم انك
عرشي والعرشي تيس
وحشي وما حسبتني افقد
منافع التيس فعلى الله
حسن الخلف منك ومن
الظن كان بك والسلام
(وله أيضا)

وقوله

وقوله

الدمع والجفن فيه * لي شاهدان بحزني
فالجفن يسقط دمعي * والدمع يجرح جفني

وقوله

عبدك يامن جفا وصدّ وما * درى بصب يموت بالكمد
جرى على الخد من مدامعه * في الحب ما لا جرى على أحد

وقوله

في خد من همت به شامة * ما الند في نفحه ندها
والعنبر الرطب غدا قائلا * لا تدعني الا يا عبدها

وقوله

ومخايل نبت العذار بخده * وله مخايل بالملاحة تشهد
لما رآني قانعا بخياله * نزل العذار بوجنتيه يسوّد

وقوله

مال الى الهيئة ذو هيئة * فاتنة الباب باهرة
تخاله في خده نقطة * عذاره أضحى لها دائره

وقوله

انظر الى سطر عذار بدت * من فوقه الشامات مثل النقط
صحت به نسخة حسن لمن * قد راحت الارواح فيه غلط

وقوله

جزت النقا لحويت لين غصونه * وكثيب واديه وجيد غزاله
وأخذت حسن البدر منه وقد بدا * في افقه بتمامه وكماله

وقوله

ويوم توالى القطر فيه بجانبي * بشمس الطلا بدر يفوق على البدر
فعانقت لما مال عسال قده * وقبلت معسول اللمى عدد القطر

وقوله

يامن تيمك صبه في عشقه * بالروح لا تبخل فعشقي زائد
بالفضل جد لي ان دمعي جعفر * والوجد يحيي والتشوق خالد

وقوله

ياهاجرا اوقعني هجره * وصده في حالة صعبه
أخذت قلبي بالتجني وما * تركت لي منه ولا حبه

وقوله

قلت له لما زها حسنه * على بدور التم ما احسنك
وقلت للاثم بالاحمى * في خده الناعم ما اخشنك

ياسيدي اشعار كثير
الشوق واشغال كثيل
الامالي وأيام كانها الليالي
وآمال كعهد العوالي
معاذيري اليك واتكالي
علمك لديك ان استقصرت
كتابا اوذممت عهدا أو
اطلت عتبي ولك بعد العتبى
والمودة في القرب والكرامة
والنعمى والمنزلة العظمى
والقلب وخلبه والصدر
ورحبه والعين وماسقت
والنفس وماوسقت وخير
أوقاتنا وقت ذكراك وخير
منه يوم نراك ويابرح
شوقاه اليك وطول عهداه
بك مورده ورهنت لساني
بما اكره ضماني وهو ادام
الله عزه يخرجني من
عهدة مابذلته مشكورا

ومن لطائف مدائحه قوله

اوصافكم تسرى أحاديثها * مسرى النجوم الزهر فى الافق
كأحاديث الندى عندكم * تسندها الركبان من طرق

وقوله فى البيانى الموقت

شهاب الدين ذو فكر بسمت * وبالفلك المحيط غدت محيطه
غدا فى العصر شيخ الوقت حقا * وفى اوضاعه ملك البسيطه

ومن اغراضه قوله

قناطر الجيزة كم قادم * عليك يلقى فيك اقصى مناه
أنالك قوم لاطة فاشتفى * ظهرك للوطء وصب المياه

وقلت فى هذا المعنى

وقالوا كيف النيل يجرى وقد غدا * عليه حاوق السبق قلت كذا جرى
ولكنه نحو القناطر اذ أتى * تجـــــــرى عليها معجبا فتقنطرا

ويعجبنى من اغراضه اللطيفة قوله

كم عالم قد اشتكى * فى الفقر طول مكثه
وكل ثور سارح * زبدة فى حرثه

وكتب الى الشيخ صلاح الدين

ياصلاح العلا صفاء ودادى * لا يرى عن أبى الصفا تحويلا
فدع العتب اننى است عن * لا يراعون فى الامام خليلا

ومن لطائفه قوله فيما يكتب على طاسة

تأمل فانى طاســـــــة صح نقشها * وفاق على نقش الغوانى التى تسبى
وواصف حسنى اطرب السمع قوله * كانى فى الكاسات داخلة الضرب

وقلت فى المعنى

انا طاسة قدرى سما وبروضتى * نهر المجرة للنجوم موارد
وتسارع القمر المنير لحسنه * فقمرته وعليه نقشى قاعد

وقلت أيضا

أنا طاسة بيضت وجهى عندكم * ووصفا لكم قلبى بماء رائق
عذبت موارده بيارق بهجتى * فتنزهوا بين العذيب وبارق

ومن اغراضه اللطيفة فى باذهنج قوله مضمنا

بروحى أفدى باذهنجا سموكلا * باطفا ما يلقاه من حرق الجوى
اذا مدحت أوصافه قال منشدا * على اننى راض بان احمل الهوى

ومن اغراضه قوله

اطربنا العود الى أن غدا * مقامنا يرقص مع صحبه
فشمعنا قام على ساقه * وكاسنا دار على كعبه

ان شاء الله تعالى
(وله الى ابى القمر بن شاه)
اظنك ياسيدى لم تسمع بقول
القائل
اسمع نصيحة ناصح
جمع النصيحة والمقه
اياك واحذر ان تكو
ن من الثقات على ثقة
صدق الشاعر واجاد للثقاة
خيانة فى بعض الاوقات
هذه العين تريك السراب شرابا
وهذه الاذن تسمعك الخطأ
صوابا فلست بمعذور ان
وثقت بمعذور وهذه حالة
الواثق بعينه السامع باذنه
وأرى فلانا يكثر غشيانك

وقوله مضمنا

درب الحجاز لقد شرفت منازلا * قدر المنازل من سواها نازل
كم سرت فيها نحو مكة منشدا * لك يا منازل فى القلوب منازل

ومما اخترته من الابيات العامرة للمعمار رحمه الله قوله

ان قام يتلو سورة الشمس المنيرة فى ضحاها
يا حسنه فكانه الشمس والقمر المنير اذا تلاها

(هى)

ونقلت من تذكرة الشيخ عز الدين الموصلى بخطه بيتين للمعمار وذكر انهما خارجان عن الديوان وهما من اللطائف فى هذا الباب

لما تبدى عذار الحب قلت له * رفقا ومهلا عليه ايها الجانى
ولا تخشن فما فى الخد محتمل * بان يخط عليه عرق ريحان

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

وخادم قبلت مشروطه * فى خده لكن رأيت العجب
من ناعم حلو فناديته * ما انت يا مشروط الا رطب

وقوله

تملك قلبى خادم قد هويته * من الهند معسول اللمى اهيف القد
أقول لصحبى حين يرنو بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندى

وقوله

لثمت عذار محبوبى الشرابى * فقال تركت لثم الخد عجبا
حفظت الانسبون كما سمعنا * ورحت تضيع الورد المربى

وقوله

صاد فؤادى من بنى العرب فتى * له من الحسن اتصال ونسب
فصحت فى الحى وقلبى طائر * يا عربا اهل ذمام وحسب
عسا كم أن تنشدوا حشاشة * فى حبكم ضلت وراحت يا عرب

وقوله

رحلوا عريب المنحنى * وفراقهم ما كان اصعب
املتهم ان يرجعوا * والموت لى من ذاك اقرب
جئت الحى لارى الخبا * م فلم يلح فى الحى مضرب

ومنه قوله واجاد

كانى بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافى من جفاه وكم غدت * منه قلوب فى الصدور خوافق

ومنه قوله

رب جزار هواه * صار لى لحما ودما
فزت بالألية منه * وامتلا قلبى شحما

وهو الذى دخلته الردية جلته السئ وصلته الخبيث كلمته وقد قاسمته فى زرك وجعلته موضع سرك فارنى موضع غلطك فيه حتى أريك موضع تلافيه افظاهره غرك ام باطنه سرك وبلغنى انه عرض على أخيك خلعة فلبسها اعيذك بالله انها خدعة ظاهرة النور وباطنة الغرور كامنة الحور كسعلة السنور عرض على الجرذان نقلها من بحر الى بحر بو قرمن السمسم فقالت الجرذان سفر محتضر والكرى خطر لكن فى الطريق نظر يا مولاى يوردك ثم لا يصدرك ويوقعك ثم لا ينقذك فاجتنبه ولا تقربه وان حضر بابك فاكنس جنابك وان مس ثوبك

وقوله

حاكمت فى شرع الهوى قاتلى * ولى دم طل على خده
فاتهم الحاكم لحظاته * تحقق الفتنة من عنده
مال الى الحق فلما رأى * قد حبيبى مال مع قده

وقوله

أصاب قلبى خطائى * بلحظه اشقانى
فرحت من فرط دائى * اشكو الى الحكماء
قالوا اصبت بعين * فقلت من علم دائى
ان كان هذا صوابا * فذاك عين الخطائى

ومن لطائفه قوله

رحت يوم الفراق اجرى دموعى * حسرة اذ قضى الزمان ببينى
قيل كم ذا تجرى دموعك تعمى * اوقف الدمع قلت من بعد عينى

ومن لطائفه قوله

شكوت لمحب منتهى حربى * وما الاقيه من ضنى جسدى
قال تداوى بريقتى سحرا * فقلت يا بردها على كبدى

ومن لطائفه قوله

قلت له لما وفى موعدى * مختفيا من حاسد معتدى
رب كما فرحتنى بالوفا * اسبل على الستر يا سيدى

وقوله

وبى غضبان لا يرضيه الا * دموع ساكبات مستمره
فعاطفت معاطفه بوصل * وفى عينى بعد الهجر قطره

ومن لطائفه قوله

لو انصفت لأشارت بالسلام على * متيم ماقضى من وصلها وطره
باصبع انما عضت انامها * حتى ولا واحد يمه ومن العشره

ومثله قوله

لو رأى دور ثغره * عاذلى فى التبسم
ذهبت روحه كما * قيل فى دور درهم

وقوله

فى خد من احببته * ورد بدا لم اجنه
وشامة ذقتها * حلاوة فى صحنه

ومن لطائف قوله مع التضمين

عزمت على رقيا محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن نظم ثغره * بدأت ببسم الله فى النظم اولا

فاغسل ثيابك وان لصق بجلدك فاسلخ اهابك وان كان ما أودعه صدرك قد تمكن من قلبك فليس الاشربة من المطبوخ تبيعها بحاذق من الطوخ برحضان عن ظاهرك وباطنك ما اودعه ثم افتتح الصلاة بلعنه واذا استعذت بالله من الشيطان فاعنه والسلام

(وكتب الى عمار بن الحسين)

لما أجد لعمار مثلا الا الغراب لا يقع الا مذموما على اى جنب وقع ان نعب فروعة النذير وان حجل فمشية الاسير وان شحج فصوت الحمير وان اكل فدبر البعير وان سرق فبلغة الفقير كذلك عمار ان حذفت عينه فالحين وان حذفت ميمه فالشين

ومن

ومن بديع مديحه قوله

لابن فضل الله فضل * غمر الفضل ووفى
كيف لا وهو علىّ * علم السرّ واخفى

وقوله

ابا بدر المحاسن حزت جودا * وفضلا شاع بين العالمينا
وكنت من الكرام فحزت خطا * فصرت من الكرام الكاتبينا

وقوله

قسما بما أوليت من احسانه * وجميل ما عشت طول زمانى
ورأيت من يثنى على عليائه * بالجود الا كنت اول ثان

ومن اغراضه قوله

نامصر الامنزل مستحسن * فاستوطنوه مشرقا أو مغربا
هذا وان كنتم على سفريه * فتيمموا منه صعيدا طيبا

وقوله

جاء الرخاء وفاض النيل وانفرجت * عنا الهموم وهان القمح ثم رخى
وراح بخزانه للنيل يشطره * فاستكثر الماء فى عينيه ثم عمى

وقوله

بوزن الخزان لما أن رأى * نيلنا قد عم سهلا وجبل
ورأى الارض لنا قد اخرجت * سنبلات ذات حب فاختبل
وبكى اذ رمدت اعينه * زادها الله عمى وقاوسبل

وقوله

سمعت يوما سد مصر يقو * ل النيل وافى زائدا عندى
وكان هذا خبرا صادقا * فرحت اروبه عن السدى

وقوله

لائمى فى الشباب دع عنك لومى * لست ممن تروعه بالعتاب
ايها الشيخ هات بالله قل لى * اىّ عيش يحلو بغير الشباب

وقوله

وشادن ليس له شارب * ولا عذار بل له طره
كفاينى من ريقه شربة * واحسرتى منه على جره

ومن لطائف مجونه قوله

شهر الصيام تولى * فراقه يوم عيد
فقيل شيخ بست * فقلت ايضا وسيدى

وقوله

قلت هلال الصيام لبس يرى * فلا تصوموا وارضوا بقول ثقه

وان حذفت راءه فالرين وان صحف خطه فالمين وان لاصقته فالمعاذير الكاذبة وان استقصيته فالوجه العبوس وان صدقته فالظفر اللئيم وان كذبته فالعقاب الاليم وان زرته فالحجاب الثقيل وان لم تزره فالعتاب الطويل

(وله الى أبيه)

ان الابل على غلظ أكبادها لتحن الى بلادها وان الطير لتقطع عرض البحر الى مظانها وبلغنى ان ذا اليمينين طاهر بن الحسين لما ولى مصر وافاها مضروبة قبابها مفروشة ارضها مزخرفة جدرانها والناس ركبانا ورجالا والنثار يمينا وشمالا فاطرق لا ينطق حرفا ولا يرفع طرفا ولا يهش الى احد فقيل له فى ذلك فقال ما أصنع بهذا

فقالطونى وحققوا ورأوا * وكل هذا من قوة الحدقه

وقوله

ايرى مع المردخاب متجره * مذعاملوه معسر التصبه
فضيعوا راس مال حاصله * اذ كسروه وقام بالثقبه

وقوله

ايرى اذا اندبته * لحاجة تختص بى
قام لها بنفسه * ماهو الاعصى

وقوله

تأخرت لعذرها * قلت لها تقدمى
أيرى هذا عصبى * يدخل معك فى الدم

وقوله

لى أير فيه كبر وجفاه * وهو منى بالقوى والى
كلما أغضبنى أرضيته * واذا أرضيته قام على

وقوله

أيرى مغرى باللواط الذى * يقبح لاسيما على مثله
أوقف حالى لا تسل ما جرى * وصرت خلف الناس من أجله

وقوله

وبخت ايرى اذ جاء ملتثما * بذاك من غفلة فما اكترثا
بل قال لى حين اقسم قسما * ماجزت حمام قسره عبثا
كيف وفيها طهارتى وبها * أقلب ماء وارفع الحدثا

وقوله

ياليلة قضيتها * فهل تراها عائده
عمود أيرى قائم * وهى عليه قاعده

وقوله

وصغيرة كلفتها * أيرى فقالت ويك باعد
ماخلت يحمل ذا العمو * د من النسا الا القواعد

ومثله

صغير نام على وجهه * وقال حكك قلت لافائده
قم أدخل العامود ياسيدى * فقال لا تنخرم القاعده

وقوله

عميرة قام يبتغى نكدى * جلدته ثم قلت يا ولدى
ها أنت فى قبضتى تطاوعنى * وان عصانى خصاه تحت يدى

وقوله

وليس فى النظائر جائز وشنج والعجب من حاضر أنطاكية صاحب ياسين وقد كذب وعذب وقتل وجر برجله وأهلك قومه من أجله وقيل ادخل الجنة قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين فكأنه تمنى الجنة بلقيا قومه على سوء جوارهم وقبح آثارهم فهذا أخو كندة يزعم ان لا ينعم من كان أقرب عهده

قوله عميرة هو كنية وقد خطر ببال هذا الشاعر غلطا انه كناية عن الذكر وفى شرح القاموس انه كناية عن الكف والذى غره عبارة القاموس حيث قال وجلد عميرة كناية عن الاستمناء باليد ففهم منها ان عميرة كناية عن الذكر وليس كذلك اه مصحح

وقحبة ذات حر يابس * يحمل كالسندان رصى الشديد
تقول قسم طرقه لى لا تنم * فقلت مالى زبرة من حديد

وقوله

اطعمت ايرى كى ينا * م وقلت قر فما استقر
بل قام يسعى قائلا * أنا من اذا طعم انتشر

وقوله

قد ذبت من كربى لفقد النسا * أفور كالتنور من ناريه
وقد طغى الماء فمن لى بأن * أحمل بالجود على جاريه

وقوله

لو رأى قحبة حبى عاذلى * وهى تجلى فى ثياب سندسيه
لغدا العاذل فيها عاذرا * وتقاصلنا على بيضاتقيه

وقوله

سألت وصال حبى قال دعنى * فانك فى افتقار لا تجاب
فقلت له حبيب القلب أدعى * بذى فقر وفى وسطى نصاب

وقوله

وصاحب ازل بى صفعه * غضبت اذ ضيع لى حرمتى
فقال فى ظهرك جاءت يدى * فقلت لا والعهد فى رقبتى

وقوله

سألته فى صفعة قال لى * جناية الصفعة مامنه بد
صاع من التمر احلى به * قلت له اعطيك صاعا ومد

وقوله

لج العذول ولامنى * فيمن احب وعنفا
فهممت الطم رأسه * لما بليت تأسفا
لكننى زلقت يدى * وقعت على أصل القفا

وقوله

جئت لخل يلاطف الجرحى * قلت له يا اخا الرضا صف لى
فى عنقى دمل به ورم * قال تداو بمرهم النحل

وقوله

قالوا عشقت الشباب جهلا * فعلك هذا هو القبيح
فقلت قد قيل كل شئ * باقى على وجهه مليح

وقوله

بدا بخد الحبيب شعر * وسفله يا اخى سالم
فكان كالخوخ اذ ينادى * عليه ذا مشعر وناعم

ثلاثين شهرا وثلاثة احوال فباطنه بى لاحدى عشرة سنة على ان لى برسول الله اسوة حسنه وعسى الله ان يأتينى بكم جميعا او يأتيكم بى سريعا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

اطال الله بقاء الشيخ الرئيس طالت الاذيال وكثر العيال وضاق الاحتيال فالحلال قل ما ينال والحرام حمى الله ومن أخفر الله وجد الله قويا عزيزا وبقيت شبهات هن مواقف العثار بين الجنة والنار حدتها الى بأس الله وآخر الى عفو الله انا عليها أدور وفيها أخوض وحولها أحوم وهى ان لم تكن طعمة الاخيار فليست بمأكلة الاشرار واحق من اعان على صالح النية وطيب

وقوله

رعى ابن يهوى الصفا * ع ولم يكن اذذاك فني
سلمته عنق الدقيـ * ـق فراح يخفله بفي
ما ان أذنت له رضا * لكنه من خلف اذني
لولا يد سبقت له * لامرته بالكف عني

ومثله قوله

ومزحة تهوى المجون ولم تزل * تباسطني لطفا بطيب مجونها
تقول وقد تاهت بلين قوامها * وقلبي مفتون بسحر عيونها
بعيشك هب لي صفعة ثم أقسمت * على صبها المضنى بنور جبينها
فلما جرى منها اليمين واكدت * مددت قفاي فسحة ليمينها

ومن عجائبه وغرائبه قوله

جاءت بخدين كالعجين * فقلت ماذا سوى طحيني
ذات حر واسع عميق * كانه ترعة اللبيني
عليه شعر لونسجته * بحاء مسحا للراهبين
وحاض ماء فقلت لما * عاينت منه غسلي بعيني
تقول لم لا تجر أنفا * اجبتها باسط اليدين
ان كان قصدي عليه جرا * غرقت فيه بجرتين

ومنه قوله

وان من الندام من ليس ترتجي * مكارمه فالبعد عنه غنائم
ولاتك عن يتهمهم بحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

وقوله

فلان والجماعة عارفوه * وان ابدى التنسك والزهاده
يموت على الشهادة وهو حي * الهي لاتمته على الشهاده

وقوله

لما جلوا الى عروس الست اطلبها * قالوا اليهنك هذا العرس والزينه
فقلت لما رأيت النهد منتفشا * رمانة كتبت باليها تينه

وقوله

ايست من الافلاس والفقر طاويا * لقد زهدوني العشق قهرا واسلوني
وقالوا اتحب البيض والسمر قلت لا * احب من الالوان قمحية اللون

وقوله في المواليا

طرف لمح حسن رايس قرح والتقريح * اوسق بصدي وسمي الهجر بالتصريح
قذف لعرضي وخلاني من التبريح * دمعي انحدر والعوازل تقذفوا في الريح

الطعمة من صلبت نيته وطابت طعمته وأخذ الدهقة في زماننا هذا خير المطاعم وأبعدها من الملاوم فان ضمن لي مضارها توليت منافعها فكان لي تثميرها وارتفاعها وعليه عشرها وخراجها والا اكلت اللحم نضيجا وأخذت الثوب نسيجا ولزمت التجارة المأمونة والحرفة الميمونة فليغاب

قوله جاءت الابيات هي من مخلع البسيط ووزنه مستفعلن فاعلن فعولن ست مرات وهي على ماتراه هكذا في جميع النسخ وهي وان كانت تامة عمارا الان الطبقة الاولى من بيته الثالث والثانية من بيته الرابع خراب لانه حسن وزنها كان ميزانه مخلعا اه مصحح

وقوله

مزحت يوما مع الحب الرشيق القد * وقلت آهي على قبلة تبعهن الخد
فسل سيفو من الحاظو لقتلي حد * قلت انتهى الامر ياحبي الى ذا الحد

وقوله

رمى اصاب صميم القلب زين الزين * واصبحت منه في قلق اخشى حلول الحين
وكنت لم اشك قبل الحب وشك البين * سالم من العشق حتى صابني بالعين

وقوله

يقل لها زوجها لاتختشى من لوم * ولاقني كل من في الارض وانا الكوم
وانبني واطعميني ابق من ذا اليوم * النعس وأرقد ومثلي لا يرى في النوم

وقوله

قلت لمن تركتني بالجفا ناحل * وصالك بكم وارحمي ذا العاشق الناحل
قالت بتين جمل قلت لها انا راحل * مالي جمال ولكن نخل في الساحل

وقوله

قالت لى اخبر وروى نابي الظامى * واصدقني اعطيك ماخلفي وقدامى
عهدى بارك رقيق خرط لاقلامى * وقدغما قلت ايرى لم يزل نامى

وقوله

قالوا وقى الشتا كم قد صرع اعيان * يصدمك تعمى وذا انى يعرفوا العميان
انهض تعال ودع اعبابك مع العيان * قلت يجى انى لو منحنى عريان

ومن لطائف العلامة الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي رحمه الله تعالى في باب التورية

قوله

من هجر سلمى ماسلمت ومن ترى * يقوى لحمل الشوق والهجران
لاتغتر يوما بجاور صابها * فلقد بدا من قد هاجر ان (نى)

وقوله

وشادن ظلت غصون الربا * لما رأته مقبلا ساجده
سألته من ريقه شربة * فقال ذى مسئلة بادره

وقوله

ثنى غصنا ومد عليه فرعا * كفلي حين أطلب منه وصلا
وأسبله على الارداف منه * فلم ار مثل ذاك الفرع أصلا

وقوله

ركبت في بحر هوا كم مركبا * قذفت فيه بيد التبريح
فانحدرت مدامعي واقبلت * عواذلي واقلعت في الريح

وقوله

هجرت فاحشائي توقد جرها * هذا وايست في المحبة فاتره

فيهما رأيه الموفق ان شاء الله تعالى
(وله أيضا)
انا اطال الله بقاء الشيخ وان كنت امشى بالنهار على الماء واعرج بالليل الى السماء وازعم ان الشمس لا تخرج الا بى وان الماء ينبع من تحت رجلى فانى من جملة هذا البشر ومن عرض هذا المحشر آكل مما يأكلون واشرب مما يشربون ولا غنى بالمرء عن طعمة طيبة او خبيثة فالمحمود من تحرى طيبها والمذموم من تناول خبيثها وأرانى طيب الطعمة كريم المأكل واما على ذلك مذموم وهذه الصنعة ارتهنت بعضها بغلق وابتعت بعضها بغلق وقد رنا انبك فنا كونا فلعن الله القدرية وابعد فالحاسد العتبى والمكاره

وتظل تحرقنى بنيران الجفا * ومن الذى يقوى لنار الهاجره

وقوله

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل فى الليل مثل النجم حيرانا
راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

وقوله

يقول عذولى للدموع وقد جرت * على اثر محبوب برى مهجتى بريا
تأنى فقد لاح العذار بخده * فقالت له والله قد زدتنى جريا

وقوله

قد زاد فى التفنيد لى عاذلى * على هوى من لم أطق بينها
حتى بدا من لحظها صارم * ففر لما ان رأى عينها

وقوله

لا تنكروا أنى تركت معذرا * اضنى الفؤاد بلوعة التبريح
لما بدا شعر بصفحة خده * قابلت ذاك الشعر بالتسريح

وقوله

عارضنى العذال فى عارض * قالوا بالطف بعدما اطنبوا
ما آن للعارض ان ينتهى * قلت ولا للشيب لا تتعبوا

وقوله

قاس الورى وجه حبيبى بالقمر * بجامع بينهما وهو الخفر
قلت القياس باطل يفرقه * وبعد ذا عندى فى الوجه نظر

وقوله

لما ثنى العطف ثنى مهجتى * اليه ظبى فى الهوى شارد
ناديت اذ صرنا بلا ثالث * يا ثانى العطف عسى واحد

وقوله

قال العذول عندما * شاهدنى فى شغلى
بمن فتنت فى الورى * فقلت دعنى بعلى

وقوله

يا باخلين بالسلام جهدهم * من ذا رأيتم شح يوما بالكلام
لا تمنعوا عنى السلام سادتى * فأنتم قصد المعنى والسلام

وقوله

يا مليحا رووا لنا عنه حسنا * وقبيح ان لم يكن تم حسنا
طبت لفظا مع الرواة ولكن * ينبغى ان تكون فى الدهر معنا (معنى)

وقوله

اميل اليه كى يميل فينثنى * ويعرض ابصرت القضيب اذا انثنى

الرضا بردعلى المال والبيع باطل والشان انى اعيش عيش الجعل بين السرقين والعمل وانا على ذلك محسود ان من اشراط الساعة ان ترى الناس يحسدون الكاس ليت شعرى ما يصنع الاستاذ اعزه الله اذا نزل بباب الامير وأخذ بأذناب الحمير وانتقل من العراق فقعد بالرستاق ولعل مقتدرا يقدر أن لى فى هذه الفلاحة فلاحا فانا فى العمارة شريك أبى العبس فى التجارة وانما الحسم للبيع لا للربيع رأيت رجلا يندم أن ولده آدم او يألم أن يسعه العالم يحسد فى قرية يشتريها والله لولا يدتحت الحجر وكبد تحت الخنجر وطفلة كفرخ يومين قد حببت الى العيش

ويطرحنى

ويطرحنى عن بابه لايعدنى * فيلبسنى من طرحه حلة الضنى

وقوله

وليلة مرت لنا حلوة * ان رمت تشبيها بها عبتها
بت مع المعشوق فى روضة * ونلت من خرطومه المشتهى

وقوله

است أنسى رقة العيش الذى * زاد فى الرقة حتى انقطعا
فرعى الله زمانا بالحمى * وحماه وسقاه ورعا

وقوله

بدا ليل العذار بخد بدر * يفوق البدر حسنا فى الكمال
فلا تطمع عذولى فى سلوى * فعشقى لاتغيره الليالى

وقوله

بروحى أفدى خاله فوق خده * ومن أنا فى الدنيا فافديه بالمال
تبارك من أخلى من الشعر خده * واسكن كل الحسن فى ذلك الخال

وقوله

راحت منى روحى فهذى مهجتى * من بعدذا وحدابها قد طاحت
فاترك ملامك ياعذول فانما * هى مهجة رحلت على من راحت

وقوله فى القاضى علاء الدين بن فضل الله

لقد أعطى علاء الدين مالم * توف بشكره المداح طرا
فحاضحوا الكرام الى حتى * دخلت مبردا وخرجت قرا

وقوله فى القاضى تقى الدين بن صالح مع بديع التضمين

بجود تقى الدين أصبح دهرنا * رقيق الحواشى معلما بالمدائح
فيادهرنا حزت المفاخر فافتخر * اذا نحن أثنينا عليك بصالح

ومن اغراضه قوله

اعدى احتراق النيل اكبادالورى * فغدت تذوب تلهبا وتلهفا
وتزايدت نيرانها من نقصه * فاذا به طاف البلاد وقد طفا

ومن نكتة اللطيفة وقد أهدى له بعض الوزراء فى عيد الاضحى كبشا

وزير الملك عيد أف عبد * فانت الصاحب الخلق الجميل
لقد منيت فى الاضحى بكبش * ملى بالغنى كاف كفيل

ومن لطائف مجونه قوله

وناحل اضحى يصفى وقد * حنت له راووق جريال
سألته كاسا أطفى بها * نيران احشائى فصفى لى

وقوله

قلت لبزاز على خلوة * واصل فتى ينسب للخرقة

وسلت عن رأسى الطيش
اشمخت بأنى عن هذا المقام
ولكن صبر جميل والله المستعان
*(ومن فصوله رحمه الله
تعالى)*
ياهؤلاء لاتكابروا الله فى
بلاده ولاتراودوه فى مراده
ان الارض لله يورثها من
يشاء من عباده
(وله أيضا)
لى أيدك الله على الكلب
ابن الكلبة واليابس ابن
الرطبة والضيق ابن الرحبة
والعاق ابن القحبة مال قد
عفا رسمه لما نسجته من
جنوب وشمال وقد مطانى
مطل النعاس الكلب ولا
أعرف جرما غير أنى منعت
دمه أن يسفك وستره أن

وخالى أصفق ولوصفقة * فانت ماتخسر فى صفقتى

وقوله فى العنب العاصمى

وعاصمى قد غدا طعمه * اروى من الماء الذى الدائم
أورث خلى اكله هيضة * فاعجب له من مسهل عاصم

وقوله

جاء فوى معتذر * بعد ماعز مطلبه
قلت ذا الاير ميت * فظل يبكى ويندبه

وقوله

تطلبت جرا فى الظلام فلم أجد * ومن يك مثلى حسنه دأبه الجحر
فنادانى البدر الاديب الى هنا * وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

ومن لطائف مجونه مع الشيخ شهاب الدين أحمد بن ابى حجلة قوله

يكذب من ينسب البغاء الى * شاعرنا المنتمى الى حجله
ما هو بغا كما يقال لنا * بل هو ثور يدور بالعجله

وقوله فى الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد

لعلاء الدين ذقن * تملأ الكف وتفضل
فاعمل المنخل منها * لدقيق العيد وانخل

ومن لطائف الشيخ بدر الدين بن الصاحب فى باب التورية قوله وتلطف ماشاء

حبيب لى طبيب لم يزرنى * سوى بالطيف فى ظلم الليالى
رآنى ناحلا من فرط شوقى * فاهدى لى مزوره الخيالى

وقوله

وعدتنى بخيال * يزور طرفى مناما
فشاب رأسى انتظارا * وما بلغت احتلاما

وقوله

ياهلالا قد تسامى * وله الصدغ عمامه
اشتهى لونلت حظا * منك مقدار قلامه

ومن لطائفه فى هذا الباب قوله

يقبل الارض لازالت مقبلة * من بعد ثغرى بثغر الروض والزهر
ويسأل الله جمع الشمل منتظما * ودمعه قائل يامنزل المطر

وقوله

جفنى عليك ساهر * بحرقة قد ذقتها
ودمعتى جارية * ان زرتنى عتقتها

وقوله فى قيم حمام

وقيم قيم فى حسن صنعته * حازا الجمال على حسن من الترف

يهتك ودا روان تخرب وماله أن ينهب ولى عنده تذكرة تطلع كل يوم من جرمانه فلا أدرى كيف نسيها على قرب مكانها من مكانه فليقتضه ماعليه وليذكره التذكرة لديه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كتابى أطال الله بقاء القاضى كتاب من ينسى الايام ويذكره ويطوى العالم وينشره ويعقد من عصره عليه خنصره ثم ينبذ ابناء دهره وراء ظهره ويخرج أهل زمانه من عهدة ضمانه فاذا تسلمهم يمناه وسلمهم يسراه تيقن أن صفقته هى الرابحة وكفته هى الراجحة وانى أيدالله القاضى على

لويخدم البدرانق البدر من كاف * لكنه لم يزل مابى من الكلاف

وقوله

فتنت بثبت من عوارض خده * فها انا فى قيد الغرام أسير
ولا كان لى بالعشق قط تعلق * ولا بالهوى قبل العذار شعور

وقوله

اذا جاوا الى كاسى * بها حباب منتظم
علمت ان زمانى * بعد القطوب تبسم

وقوله

يا أيها العاصر بادر الى * عنقودك الفاخر فى كرمه
اياك أن تتركه ساعة * يزبب الحصرم على أمه

وقوله

ياحابس الكاس لا تردها * من بعد حبس الدنان حسره
واغنم مزاجا لها لطيفا * اورثه الانتظار صفره

وقوله

أطربنا مشدب * من غير جعل سأله
يا حسن موصول له * لم يفتقر الى صله

ويعجبنى قوله

غنت فاغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيجنى صوتها * فى مثل ذا الحلق تروح الذقون

وقوله

يامهدى الاقصاب من سكر * صفرا حكى طول القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأحسن الاقصاب موصولها

وقوله

ناحت حمام البان ام ناهت أسى * لم ادر ما عناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفا من شجى * كأنها مخنوقة من طوقها

وقوله

وذات طوق على الاغصان تذكرنى * قوام حسنك فى ضمى لمعتنقك
قد سودت وجهها نوحا نقلت لها * سواد قلبى يا ورقاء فى عنقك

ويعجبنى قوله

ياليل ان الحبيب وافى * وخفت اسراع دهم خيلك
فطل وغش الصباح انى * دخلت ياليل تحت ذيلك

ومن نكته البديعة الغريبة فى الشطرنج قوله

تامل ترى الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما

قرب العهد بالمهد قطعت عرض الارض وعاشرت أجناس الناس فما أحد الا بالجهل نعته وبالخبرة نعته وبالظن أخذته وباليقين نبذته مامن حد وضعته فى أحد الا ضعته ولا مدح صرفته عن أحد الا عرفته ومن احتاج الى الناس وزنهم بالقسطاس ومن طاف نصف الشرق لقى نصف الخلق ومن لم يجد فى النصف لحة دالة لم يجد فى الكل غرة لائحة كان انما صديق يقول نلتها ولا أتملت ثلثيه وهذا العمري ياس بوجيه قياس وقنوط باطلة منوط ودعاية تكاد تكون جدا وورا هذه الجملة موجدة على قوم وعربدة على قوم

محرككها باقى وتغنى بجميعها * وبعد الغنا تحيي وتبعث أعظما

وقوله مضمنا

اميل لشطرنج أهل النهى * واسلوه من ناقل الباطل
وكم رمت تهذيب لعابه * وتأبى الطباع على الناقل

ومن اغراضه

لعبت في الشطرنج لى غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح في الاقران لى بيدق * تموت منه الشاة في جلدها

ومن لطائف مجونه قوله

شاب الحبيب فقلت أهلا بالوفا * وازددت فيه تعشقا وتكلفا
والايرقام ولم يبل لمشيبه * فالراية البيضا عليه في الوفا

وقوله

كم بار صرف الدهر في حكمه * وضرّني من حيث بي يعتني
البسني من شيبتي حلة * قلت له والله عريتني

ومن اغراضه البديعة مع حسن التضمين قوله

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

وقوله

النيل ألبس حلة * حمراء في تخليقه
وله اصابع زينب * قد خضبت بعقيقه

وقوله

نادى منادى الوفاء مصرا * اذ علقوا سترة علامه
من الغلا قد سلمت حقا * فبت في الستر والسلامه

وقوله

كانت لمصر سترة * بالنيل مذ وفى خلت
كأنه زوج لها * فبعده ترملت

ومن اغراضه البديعة قوله

فاخرت الاقلام سمر القنا * والمجد في الاقسام مكتوب
فقلت للخطي لا تستطل * كلا كما للخط منسوب

وقوله

ولائم زاد لوما * في أسود اشتهيه
وقال أسود تهوى * فقلت عينك فيه

ومن لطائف اغراضه في مليح قوال قوله

انا ابن الذي في الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للضيف يحمل

(وله من محسنات)
والامير السيد واسع مجال
الهمم ثابت مكان القدم
وأنا في كنفه صائب سهم
الامل وافر جناح الجذل
والحمد لله على ما يوليه
ويولينا معاشره واليه وصلى
الله على سيدنا محمد وعلى آله
وسلم وقد اعترضتني أيد
الله القاضي فصول لا أدري
بايها أبدأ أبالشوق فهو
أحرى في الرسم واصدق
على الحال أم بالعتب فهو
أحق بالكتب أم بالشكر
فهو أولى بالذكر ولعمري
ان شكر المولى هو الاولى
فهل حتى تسالب سرده
وتقاسم برده أقول جزى
الله هذا الملك السيد أفضل
ما جازى مولى عن عبده
ومخدوما عن خدمه ومنعما

نطوف

يطوف باقداح العوافى على الورى * ويصبح بالخير الكثير يقول

ومما اخترته من نظم الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة وقد تقدم قولى انه كان يرضى بالرخيص لاجل الكثرة قوله

بى من غدا ظهرى عليه انحنى * ولحظه لحظ ظباء رامه
ثم قلت من عذاره وقد بدا * لى خطه يا كاتب السلامه

وقوله

يقول لى الحبيب أرى عذارى * يدب الحسن من وجهى اليه
تكلم فى وظيفة حسن خدى * وقام بنفسه يسعى اليه

وقوله

وعاذل قد زاد فى لومه * وقال لما هاج بلبالى
بعارض المحبوب ما تنتهى * قلت ولا بالشيب والوالى

وقوله

يا سائلى عن حالتى ما حال من * امسى بعيد الدار فاقد الفه
بى صيرفى لا يرق لحالتى * قد مت من جور الزمان وصرفه

وقوله

أصبحت ما بين الورى * كالواله المصاب
من هجر ذا القبطى الذى * ما كان فى حسابى

وقوله

يقول جارى من بعد جور * وقد راى حرقتى ونارى
دمعك ما شانه ومن ذا * عليك قد جار قلت جارى

وقوله مضمنا

أقول لصب قلبه يشتكى الاسى * هو الحب فاسلم بالحشا ما الهوى سهل
عذلتك فى ابن السكرى والذى أرى * مخالفتى فاختر لنفسك ما يحلو

وقوله مضمنا

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من أهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

وقوله فى غلام يدعى مقبلا

يا من تحجب عن محب صادق * ما زال عنه كل حين يسأل
من لى بيوم فيه تقبل بالاقا * ويقال لى هذا حبيبك مقبل

وقوله فى جارية تدعى حكم الهوى

حكم الهوى صدق فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلى لا تلحنى فى حبها * نفذ القضا وكذا جرى حكم الهوى

ورأيت غالب مقطعات الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى الباذهنج والقانوس ولكن مختار منها

عن نعمه وأعانه على همه فلو أن البحر مدده والسحاب يده والجبال ذهبه لقصرت عما يهبه حقا أقول ان التمرة بالبصرة أقل خطرا من البدرة بهذه الحضرة ولا أراها تحمل الى المتبعين الا تحت الذيل فى جنح الليل ولا شئ أكثر وجودا من الدينار بهذه الديار بينما المرء فى سنة من نومه لتعب يومه وقصارى همته قوت ليلته اذ يقرع عليه الباب قرعا خفيا ويسئل سؤالا حفيا ويعطى ألفا خلفا هذا اذا لم تنصره وسيلة ولم تعصبه فضيلة فاما أولوا الامال فلا حد لما يصل اليهم من المال ابتد

مايحسن نظمه فى هذا السلك فن ذلك قوله فى فانوس مع حسن التضمين

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار تحتويه ضلوعه

وتقدمه فيه مجير الدين بن تميم فقال وأحسن التضمين

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه بدموعه * وتعد من تحت القميص ضلوعه

وقال فيه ابن أبى حجلة وأجاد مع حسن التضمين

يحكى سنا الفانوس من بعدلنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سحت به أجفانه

ويعجبنى قوله مع حسن التضمين

أنا فى الدجا ألقى الهوى وبمهجتى * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
فكأننى فى الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

ويعجبنى أيضا هنا قول مجير الدين بن تميم

ابدى اعتذار النا الفانوس حين بدا * فى حالة من هواه ليس يشكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه * نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

ومن نظم الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى الباذهنج قوله مع حسن التضمين

وباذهنج غدا فى الجو منظره * من فوق مخبره يدعو على سكنى
فانظر فديتك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاء يا سكنى

وقوله

يا باذهنجى كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حقا زائدا * ورفعت رأسك للسما

والطف منه قوله مع حسن التضمين

يا باذهنجى لابرحت من الهوى * مثلى على حب الديار مولها
دارى بحبك لم تزل مشغوفة * خلعت هواك كما خلعت هوى لها

وقوله مضمنا

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه ابدا عليل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ومن نكته الغريبة فى باب التورية قوله وكتب به الى ابن الزين المعروف بلبيكم

ياشاعرا قد حاز حسن بديهة * وتطيعه درر النجوم اذا نظم
وتجيبه قبل السؤال القصده * وتقول يا ابن الزين لبيكم نعم

وقوله وقد قدم الشيخ جمال الدين الى الشام

يامعشر الادباء غدا تشبيبكم * ومديحكم فيما يروق ويعذب
وافا كم ابن نباتة فتفقهوا * أقواله بسكينة وتأدبوا

بخمسة عشر ألفا واتبه الى مائة ألف غرفا بحذف وعطاء بغير صرف وحسب الغريم أن لا يوفى ومن منع الصدقة فليقل قولا معروفا وما أجهل ان ذلك الشيخ ممن احتمل ذلك المال غرما ولكن لا أعرف لنفسى فيه جرما وما فائدة خط يبذل ولسان يرهن وتاريخ يكتب وضمان يقبل ومال يغرم ولولا الغرامة لم تفقد الزعامة فقبح الله هذا المال واهن هذا القيل والقال هل كان يجرى الآن رددت اليه خطه وذكرته وعده ألم يكن فى الرد مندوحة عن تجاوز الحد أما أنا فليس له عندى الا الثناء الجميل والولاء الجزيل ولولا الكافر ابن الكافر والعاهر بن العاهر ابن فلان فى الظاهر

وقوله

وقوله من ابيات

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس دريها * لم تلق الاراغبا أو راهبا

ومن قنص شوارد التورية بحبائل فكره الشيخ بدر الدين حسن الزغارى فمن ذلك قوله

قالت وقد أنكرت سقامى * لم ارذا السقم يوم بينك
لكن اصابتك عين غيرى * فقلت لاعين بعد عينك

وقوله

حبست الدمع ثم جعلت جفنى * سياجا ماله قط انفراج
فما زلتم بجوركم الى أن * تجرى الدمع وانخرق السياج

وقوله

قيل لى اذ رأيت الفارتم * عن بدور السماء الطرف تلهى
اى وجه أضناك قلت دعونى * فسقامى قد صح من كل وجه

وقوله

سل لحظه كالحسام الصقيل * لحظا حديدا تحت جفن كليل
ثقيل ردف قادنى فى دجا * شعر فقواد وليل طويل

وقوله أيضا

افديه فى الالكن يرمى دائما * وسواد قلب الصب من أغراضه
أطلقت لحظى نحوه فأجابنى * سهم وماعاينت كشف بياضه

وقوله مضمنا واجاد

يقول العاذلون نرى رمادا * على خديه من شعر العذار
فقلت لهم صدقتم غير أنى * ارى خلل الرماد وميض نار

وقوله

فتنت باسمر حلو اللمى * لسلوانه الصب لم يستطع
يقطع قلبى ومارق لى * ودمعى يرق ومايقطع

ومنه قوله فى مليح بيده قوس حلقه

وبدا العشية أغيد فى كفه * قوس كأنما سهام جفونه
فسألته البقيا على عشاقه * فنفوسهم مطوية بيمينه

وقوله

وانى كأنك ياخليلى بعدما * حكمت على ببعدك الايام
لكن ارى نار اشتياقى لم تكن * برداعلى وفيه منك سلام

ومن نكتها الغريبة قوله

أماترى النهر كالحسام غدا * يفصل بين الغصون والورق
وليس فى الجرى مثل صارمه * يشق نحوى مفارق الطرق

والله أعلم بالسرائر وما أشرب قلبه من الطمع فى مالى والتعرض لحق اصفا الغدير بينى وبين أبيه ومن وجد اباه يشكو بثه ولا يقفل بيته ولايغسل استه ولايراعى الفرض ووقته ولايراقب الله ومقته لم يرث اللؤم كلالة وان انجلت هذه الغمة وسكنت هذه الامة استعنت بالله عليه وصرفت اعنة الكلام اليه وهو حسبى وبه أستعين والسلام

(وله الى أبى على الحسامى بغرشستان)

ولاتكاد ادام الله عز الشيخ سنة سبع تعمل الاعمال السباع ثم لاتعمل فى اللقاء ماتعمل فى الوداع وكان سنة ثمان سنة آمال

قوله فى الالكن كذا فى النسخ ولم اقف له على معنى مناسب اه

ومن غاياته البديعة فى هذا الباب قوله

سرت من بعيد الدار لى نفحة الصبا * وقد أصبحت حسرى من السير ظالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندى * ومن تعب أنفاسها متتابعه

ومن لطائفه قوله

أعجب ما فى مجلس اللهو جرى * من أدمع الراووق لما انسكبت
لم تزل البطة فى قهقهة * ما بيننا تضحك حتى انقلبت

ومثله قوله وزاد لطفا بزيادة نكتة أخرى

يا من يلوم فى التصابى خلنى * فأذنى عن الملام قد نبت
تصفية الكاسات فى شواربى * أضحكت البطة حتى انقلبت

وتلاعب بهذا المعنى وقال

أنا القليل العقل فى صرف الذى * أملكه فى كلف المشارب
ولم أنل مما أضعته سوى * تصفية الكاسات فى شواربى

ومن مجونه قوله

يا صاحبا ما زال من أنعامه * لشباب راجيه المؤمل رافى
قد قطعت فرجيتى حتى لقد * ظهر القطوع بها على أكتافى

ومن أتى فى دقيق التورية بخاص الخاص الشيخ يحيى الخباز الحموى فمن ذلك قوله

قال عذولى والقوم قد رحلوا * وقصده فى مقاله حيفى
أطلق دموعا ما زلت تحبسها * وطلق النوم قلت من عينى

وقوله

لم أنس طيفا زارنى وانثنى * عنى وقلبى بعده يخفق
وما كفى حتى دموعى غدت * من خلفه تجرى وما تلحق

وقوله مضمنا

لئن وعدت بالوصل سلمى وأخلفت * فسلها عسى العذر المبين يقوم
ولا تبدها باللوم قبل سؤالها * لعل لها عذرا وأنت تلوم

وقوله

لقد تعشقت فتى سائبا * يبدل الحاضر بالغايب
مدحته جهدى فلم يرتبط * وراح كل المدح فى السائب

وقوله

تعذر من أهواه واسود وجهه * ورام وصالى بعد ما لم يكن خلق
وقال بكى صدغى نباتا أجبته * صدقت لها هذا عاد يصلح للحلق

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

قلت لمن ينتف أصداغه * لا تكره الريحان حول الشقيق
واعتق شعر الذقن من نتفها * فإنى شيخ أحب العتيق

ولم يوجعنى العام الماضى بنفسه كما أوجعنى برفسه إنه لما طلع العام طلع البلاء العام تخبط الأوراق ثم قصل الأعذاق ثم كسر الساق ثم قلع الأعراق وأنزل الله بخصاصة من السيل وعلى جزيرة من الجرف كن يعصمنى من الماء ويحميني صوب السماء حتى مضى العام فلم يضرنى عيبه ولم يصبنى نابه ولم تخبطنى يده فلما كدت أسلم رضخنى بوجده فحال بينى وبين أحب الناس إلى وأعزهم على وأقربهم لعينى وأشبههم بأبوى وأوصلهم لدى وأحضرهم فى الملمات لدى ولم يخلنى الله فى هذه الحادثة من جميل عادته

ومن لطائف نكته في هذا الباب قوله

اصبحت في العالم اعجوبة * عند ذوي الالباب والفهم
جدي جوي فاسمعوا واعجبوا * وما كني حتى ابي أمي

ومن لطائفه قوله

عاطنيها من عهد كسرى سلافا * تتقد في الكؤس كالنيران
وابن ماء السماء زوجه راحا * اذكرتنا شقائق النعمان

ومن رقيق اغزاله قوله

لضعف اجفان حبي * بالقتل فينا عتوه
فيالها من جفون * تزداد بالضعف قوه

ومن مجونه قوله

كسبت مملوكا ومن لطفه * يسير باللطف على سيري
سميته خيرا وان يخسل الامر يكن خيرا على خير

ومن مداعباته مع الشيخ حسن الزغاري المذكور قوله

حسن الزغاري احمق * يا بئس من يوافقه
خنقته هجوا وما * للكلب الاخانقه

ومثله قوله فيه

نجم الزغاري عند نظم موشح * وكمال نظمي بالسفاهة نقصا
فضربته بعصا الهجا الماعوي * فاصبحت مصرعه ولم تنفع العصا

وقوله فيه

قل للزغاري الذي من جهله * امسى باقوال الاكابر هازي
هذا ابن قرصة قد سمعت هجاءه * من ذا يجيرك من يد الخباز

ومن لطائف الشيخ شهاب الدين الحاجي تغمده الله برحمته في باب التورية ولم أظفر له الا بقاقل من مقاطيعه مع اني كثير الفحص عنها فانه ما يجاري في انسجامه وسهولته ورقته ولطيف تركيبه في هذا الباب قوله

لها عين لها غزل وغزو * مكحلة ولي عين تباكت
وحاكت في فعائلها المواضي * فيالك مقلة غزلت وحاكت

وقوله

وصفت خصره الذي * اخفاه ردف راجح
قالوا وصف جبينه * فقلت ذاك واضح

وقوله

عودوا الصب بكى عليكم * يا جيرة ودعوا وساروا
فدمع عينيه عاد بحرا * وقلبه ماله قرار

وقوله

ولم يخل سهمي من سعادته حيث انزله في جوار النعيم وفناء العصر ومناط الملك ومراد الجود ومساق العز ومجال المجد ومقام الدين وجناب العلم ومصاب الغيث وذمار الليث ومن جمع الله له جوار التبارين فقد جمع له صلاح الدارين وكنت على ان اكتب كتاب شكر الى السيدين الملكين المؤيدين ادام الله تمكينهما وجعل التوفيق قرينهما والقضاء معينهما وبسط بالخير يمينهما ثم رأيتني مهتزا للقائهما مشتاقا الى فنائهما فقدمت هذه الاسطر وانا بمشئة الله على اثرها وللشيخ في تعريفي جمل احواله وتفاصيلها رأيه الموفق

لاتبعثوا غير الصبا بتحية * ماطاب في سمعي حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فبالله ما أذكاها

ووقفت له على قصيدة لامية امتدح بها الملك الافضل صاحب حماة كلها غرر في باب التورية مطلعها

عما جرى من ادمعي لاتسألوا * فدامعي اخبارها تتسلسل

وما أحلى ما قال بعد المطلع

وخذوا حديثا قد ألم بمهجتي * وازداد حتى أهملته العذل

منها

ثاني المعاطف كنت اول عاشق * في حبه ولكل ثان اول
بر نوفيحلو للمتيم لحظه * اذ ذاك لحظ بالنعاس معسل
وتميل منه شمائل لم ادر من * مشمولة أو حركتها الشمأل
متلون الاوصاف سيف لحاظه * ماض ولكن هجره مستقبل

منها قوله واظنه سبق ابن نباتة الى معناه وهو

أيجود لي دهر بطيف خياله * واظنه برجوع ذلك يبخل
أم كيف يأتي الطيف جفنا بابه * بالفتح من ارق الصبابة مقفل

وقول الشيخ جمال الدين

واقسم لوجاد الخيال بزورة * لصادف باب الجفن بالفتح مقفلا

ومن قصيدة الحاجبي قوله

ياساكني السفح كيف حبيتم * عن ناظري البدر الذي لا يأفل
وفعلتم بي مايسرعو اذلي * ماشئتم يا أهل بدر فافعلوا
لاتحجبوا بيني و بين غزالكم * فعلي مجاز الصد مالي محمل

ومنها وهو المرقص والمطرب قوله

ياصاح علني بكاس مدامة * عن ذكره ان المحب يعالل
صهباء ان جن الفتى بخمارها * فهي الشفاء وفي شذاها المندل

ومن لطائفه في هذا الباب قوله

لم انس ايام الصبا والهوى * لله ايام الصبا والصباح
ذاك زمان مرحلو الجنى * ظفرت فيه بحبيب وراح

تالله لقد عز على ان تحجب عني عرائس الحاجبي في خدور الاوراق فاني لم اظفر من منهله العذب بغير هذه النهلة ومن عروبة الشيخ زين الدين بن العجمي في باب التورية قوله

سهل الخدود عزيز وصل من يرم * يوما جني وجناته لم يستطع
كم رمت لثم الخد منه فقال لي * لاتطمعن فكل سهل ممتنع

ان شاء الله تعالى (وله الى الشيخ الرئيس أبي الفضل) كان عناء الشيخ في ان يثير ارضا أو يسقي حرثا أو يشيد بناء أو ينبط ماء أو يعمر طاحونا أو يغرس كرما كان عنائي ان افيق حيلة أواخلق وسيلة فاذا وجدت من الكريم فرصة لم احتشم ولو خطر بالمال وخطرت بالمروأة لم اغتنم وقد كان تطول عام اول بخط آنا اقتضيه اعادة الانعام به في هذا العام وقد والله بدرت لكنه زاد الرحيل وخطبه جليل اذا اصبحت عنكم راحلا وثقلت والثقل ليس مضاعفا المطية الا اذا ما كان قوما بازلا واذا كان الكريم من قد

وقوله

حبي يمين في يمين الهوى * فلا تثق منه بزور المقال
كم قال ما ملت وولى وكم * قد سلب العشاق روحا ومال

وقوله

وافى وفي كمه ورد احمر * حبابه مذشب تحت اثامه
فرشفت حلو الراح من خرطومه * وجنيت ورد الخد من اكمامه

وقوله

انظر الى الغدران كيف تجعدت * امواجها فزهت وراقت منظرا
وحكت سطورا في طروس خطها * قلم النسيم بلطفه لما انبرى

ومن نكت مدائحه البديعة قوله في القاضي شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله تعالى

يا عمري الاصل أنت مالكي * ونافعي بجوده دون البشر
لذا رفعت سندي في حكمكم * لنافع لمالك لابن عمر

وقال وقد اهدى له حلاوة سكب

لفضلك يا قاضي القضاة مزية * على السحب لا تخفى على من له لب
فاول جود الغيث قطر مبدد * وغيث ندالك الجم اوله سكب

ويعجبني من زهدياته قوله

عن طريق الذنوب قيدت خطوي * خيفة من عقاب عقبى التجري
واذا لاح نهج بر تراني * فيه امشي ابغي ثوابي واجري

وقد عن لي ان اوردهنا نبذة له من المواليا فانه كان فارس ميدانها وقائد عنانها فمن ذلك قوله

للحب قالوا معناك الذي اذبلتو * جدلو بقبله فعقلوا فيك خبلتو
فقال اقسم لوان البوس سبلتو * ومات للشرق مادرتو وقبلتو

ومن مخترعات معانيه قوله فيها

حشيش عارضك الاخضر بدا في هدو * في روض وجنتك يحدو الصبابه حدو
والوهم ماضير خدك يا رخيم الشدو * الالان حشيشو قد طلع في بدو

وقوله

شدوا المحامل فصرت ساعة التحميل * ملهوف لا حمل يعنيني ولا تحميل
والعين قد حلفت يا بدر في التكميل * لا تكتحل بالكرى ان غبت عنها ميل

وقوله

يا من على الخلق اذيال المكارم جر * وقد سلب نوم اجفاني وعني فر
يحل لك ان قلبي يا عزيز الدر * مالو قرار ودمعي البحر وانت البر

ومن فتح له هذا الوصيد * القاضي فتح الدين بن الشهيد * رحمه الله تعالى فمنه قوله

بستان حسنك ايعت ثمراته * واما الغصن قوامك المياس

عليه فلا رحمني الله ان رحمته وقد جهزت الحاجة في دل رخيمة الى كف كريمة فان عمل بقضية فضله وزن صداقها وان عمل بقضية تقصيري اسرع طلاقها وله في الامرين ما يراه ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كأني والتي نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا طالق ثلاثا مردودة على اهلها من ورائها البعرة وفي قفاها النعرة الا ترجع الخرقاء أو تظهر العنقاء والله ما نقض الغزل بعد قوة اضعف من نقض عهد واخوة وليس ارش الغزل اذا نقض ارش الفضل اذا رفض ولم يجعل الله اضاعة الصوف كاضاعة المعروف يا ابا

في صدره رمان نهدزانه * حلي يوسوس في صدور الناس

وقوله

افدي التي ساقت حروب الهوى * بحسن ساقيها لمشتاقها
جادلت عذالي على حسنها * فقامت الحرب على ساقها

وقوله

قال لاتخش رقيبي فلن * حبني في زورتي أوفى نصيب
قلت ان زرت وحانت غفلة * فبودي وعمى عيني رقيبي

وقوله في عين بعلبك

ولقد اتيت لبعلبك فشاقني * عين بها روض النعيم منعم
فلاهلها من اجلها أنا مكرم * ولاجل عين الف عين تكرم

وقوله

قاسوا حماة بجلق فاجبتهم * هذا قياس باطل وحياتكم
فعروس جامع جلق ما مثلها * شتان بين عروسنا وحماتكم

فاجبته في ذلك التاريخ عن ذلك بقولي

والله ان حماة شامة شامكم * وعروسها بمحاسن متزايده
ودمشقكم بعذارها الثلجي قد * وات شيبتها وأمست بارده

ومن لطائف القاضي فتح الدين بن الشهيد قوله وقد احضر له عوادا يسمى طائربغا بسفارة الحاجب توكل

نهاري انس كله بمنادم * على عوده يغزو الحشا بتبلبل
وكنت أراه طائرا عز مطلبا * ولكنني حصلته بتوكل

وقال وقد حضر عنده من يلعب بالقانون واطربه

غنى على القانون حتى غدا * من طربه يهتز عطف الجليس
داوى قلوبا من عليل الاسى * وكان فيها من هواها رسيس
فصاحت الجلاس بجبابه * ياصاحب القانون انت الرئيس

ومن نكته اللطيفة التي هو أحق بها من غيره لكونه صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام قوله

كانت فتاتي لنظم بيتي * قرينة برة امينه
بكيتها والحمام قامت * بالسجع في ندبها معينه
من علم الورقاء ان سجعي * ليس يؤاتي بلا قرينه

ومن لطائفه وقد جهز لبعض أصحابه رسالة القلب وهي ما لا يستحيل بالانعكاس وجهز بعده قوالب سكر

رسالة القلب بها خدمتي * تقدمت في الزمن الذاهب
وها أنا أرسل من بعدها * قوالب السكر في الواجب

الحسن الحق نقيل وهو خير فاقيل انا الخاطبك بالشيخ والجنون شعبة من شبابك وبالفاضل والفضل وراء بابك ولو كان القلب يستخير والهوى يستشير ولم اكن المحب المغرم ولم تكن المحب المكرم الكتاب وصل حجم هائل ليس وراءه طائل وخط مجنون لايدري الف فيه من نون وسطور فيها شطور دبيب السرطان على الحيطان والفاظ اخلاط لايدركه استنباط ولا يفسره بقراط هذيان المحموم وهوس الملوم وسوداء المهموم وقرأت شطر كتاب لم أدر والله عماذا يعبر عن أمور سقيمة أو عن

ليعلم المخدوم انى امرؤ * اخدمه بالقلب والقالب

وكتب على عمارة بيته قوله

بنيت على وفق المكارم والعلا * فللفتح أبوابى وصدرى للضم
سنا الملك يبدو من موشح زينتى * ومن أجل ذا دار الطراز على كمى

وكتب على الرفوف

رفعتك ماشاء الترفه رفرفا * أزين سمائى بل أزين سماحى
فلا بدع ان الناس يهوون بهجتى * ويمشون فى ظلى وتحت جناحى

وكتب على مجلس بيته

يا من ينزه فى حسنى نواظره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالى
انى مقام مقر عز جانبه * ودون قدر مقامى المجلس العالى

ومن لطائف الشيخ عز الدين الموصلى فى باب التورية قوله رحمه الله تعالى

يقول وقد بدا قمرا وغصنا * حباه حسنه هيفا بلين
تنشق مسك اصداغى حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

وقوله

كالزرد المنظوم اصداغه * وخده كالورد الماورد
بالغت فى اللثم وقبلته * فى الخد تقبيلا يفك الزرد

ويعجبنى من نكته الغريبة قوله

وحاجم فى الكأس أجرى دما * من ساق ساقينا باشفاق
لكنه خالف فى شرطه * وحكم الكأس على الساق (ى)

ولعمرى انه تلطف الى الغاية بقوله

اعدى سقام جفونه * جفنى فاعدمنى الكرى
حتى اعتلت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

ويعجبنى قوله فى باب التدبيج

خضرة الصدغ والسواد من العيـ * ـن بياض المشيب قد أورثانى
واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

وقوله

حديث عذار الحب بادو ساقه * له اوجه تبدى لقلبى اشتياقه
درى انه انسى الى الحسن كلنا * فابدى لنا ذاك الحديث وساقه

وقوله

يا مقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت ياوجنتيه * لا تحرقينى بنارك

وقوله

حديث عذار الحب فى خده جرى * كمسك على الورد الجنى مسطرا

أحوال مستقيمة لاجرم انى ظننت خيره ولم أبعد غيره وجوزت السلامة ولم آمن ضدها وذهبت مع الظن الجميل اتفاقا ثم رجعت القهقرى اشفاقا فسألت الله لك المزيد ان كانت سلامة والسلام

(وله أيضا)

لا يزال الشيخ يحمل الى أبا فلان فيما يوليه من رفق باسبابه واعتناء بأصحابه ومايفعل فى ذلك الا ما يوجبه فضله ويأتيه مثله ويدعو اليه أصله ومايأتى من الخير الا ماهو أهله وحقا أقول لقد عاشرت هذا الفاضل فطابت عشرته

فقبلت حتى محوت رسومه * كان لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

وقوله

عينى أفاضت دموعى * من طول صد وبين
ووجنة المبدّات * رأيت غسلى بعين (ى)

وقوله

عاتبت حبى على تأخره * وقد نعى برجة الردف
فقال هذا الثقيل أخرنى * عن سرعتى لانقطاعه خلفى

وقوله

لحديث نبت فى العذار حلاوة * وطلاوة هاجت بها العشاق
فاذا اتجافى المردفات تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

وقوله

هجروك البيض لما * نصل الصبغ نضرك
كشف الدهر المغطى * ياجميل الستر سترك

وقوله

ذو حور اصابنى * بعينه لما نظر فليس قتل صبه * الا كلمح بالبصر

ومن لطائف مجونه قوله

وبى ناتف للعارضين يقول صف * نبات عذار زان فى الحسن منظرى
فناديت ياحلو الشمائل ماالذى * يقول لسانى فى النبات المكرر

وقوله

لما جفا المحبوب ناديته * قابلت حبى منك بالبغض
فعندها نام على وجهه * وقال وجهى منك فى الارض

وكنت اظن ان هذه النكتة اختراع الشيخ عز الدين الموصلى الى أن وقفت على الديوان الكبير من نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة فوجدته قد أخذها منه بنصها اللهم الا أن يكون وقع حافر على حافر وقول الشيخ جمال الدين فى هذه النكتة

عاتبت محبوبى وقد نكته * بطعنا فاضحى بخلامغضى
فقلت دربنى وخلى الحيا * فقال وجهى منك فى الارض

ومن لطائف مجون الشيخ عز الدين قوله

قد لقبوا بالزاغ ذا حنكة * كرامة التلقيب فى القلب داغ
وهو غراب البين فى شؤمه * لكن اذا جئنا الى الحق زاغ

وقوله فى تمتع الدمشقى

وذى أدب لطيف الذات جدا * طلبت الوصل منه فما تمنع
ودب لاخذ أيرى قلت مزذا * فنادانى باشفاق تمتع

وقوله

ولانت قشرته وواصلت فاحسنت وصاله واحمدت خصاله وسألته فأعرب جوده وجنبته فاصلب عوده ومانقبت فى الامتحان معرقا الاجسسته ولانظرا الاافترسته فماتنفى خصله من خصاله الاهى أكبر من اختها حتى حالت الغربة بينى وبينه فكان لى فى الغربة اكبر فى الجد جهدا واطيب فى الغيب عهدا وأتم على البعد ودا ولعمرى ان ود الحضر اخاء واخوة وود الغيبة وفاء ومروة وقد جمع هذا الفاضل حبليهما وراش نبليهما وماخسر على الكرم كريم كما لم يربح

مذ نام ایری قال لی * آخه بحظی بالوصول
فقلت فیه قصر * فقال ذاشی یطول

وممن عاصر الشیخ عز الدین الموصلی ومشی تحت علم التوریة علاء الدین بن ایبك الدمشقی وكان المتعصبون علی الشیخ عز الدین یناظرونه به ولعمری ان هذه المناظرة ما صدرت ممن له نظر فی نكته البدیعة قوله وقد اجتمع بملیح فی منتزه من منتزهات دمشق یعرف بالسلطانی

سلطان حسن افتدیه بناظری * واعیذه من نظرة الشیطان
یوما بزهر اللوز لما زارنی * قضیت ذاك الیوم بالسلطانی

وقوله

احببت من حیاله وجنة * مشرقة حمرا مشبه اللهب
قالوا الشهیدیة اعطافه * فقلت والردف تلیل الذهب

وقوله

أقول وقد ظمئت ووجه حبی * له عرق علی ورد الخدود
أری ماء وبی ظمأ شدید * ولكن لاسبیل الی الورود

ومن لطائف مجونه قوله

تلطف واحتمل مزح الغوانی * وان أوجعن منك الظهر دقا
وجبهك ان یلق الصفع فاصبر * فان الجید فی الدنیا ملقی

ومن نظم الشیخ جلال الدین ابن خطیب داریا فی باب التوریة قوله

شهدت جفون معذبی بعلاقة * منی وان وداده تكلیف
لكننی لم أنا عنه لانه * خبر رواه الجفن وهو ضعیف

وقوله

تقول وقد أتتنی ذات یوم * مخبرة عن الظبی الجموح
یسرك ان أروح الیه أجری * فقلت لها خذی مالی وروحی

ومن لطائف مجونه قوله

یا معشر الاصحاب قد عن لی * رأی یزیل الحق فاستظرفوه
لا تحضروا الا باخفافكم * ومن تثاقل بینكم خففوه

وقوله

تصفحت دیوان الصفی فلم أجد * لدیه من السحر الحلال مرامی
فقلت لقلبی دونك ابن نباتة * ولا تقرب الحلی فهو حرامی

الشیخ جمال الدین رحمه الله تعالی أراد بالسحر الحلال الذی ما وجده فی دیوان صفی الدین التوریة لاغیر وما ذاك الا ان الشیخ صفی الدین كان اجنبیا منها ولهذا لم أنظمه فی سلك القوم الذین مشوا فی نظم التوریة تحت العلم الفاضلی والعلم النباتی وغایته انه رضی بالشعر الساذج المنسجم وتعرض للتوریة فی بعض المواضع ولكن سبكها فی غیر قالبها لانه لم یكن فی طباعه ویأتی الكلام علی ذلك فی موضعه ان شاء الله تعالی ومن نظم الشیخ جلال الدین غفر الله له

علی اللوم لئیم وان یسأل الخیر فی القیاس ولا یذهب العرف بین الله والناس اعان الله علی تأدیة فرضه وقضاء الواجب او بعضه ان شاء الله تعالی

(وله ایضا)

این تكرم الشیخ العمید علی مولاه وكیف معدلته الی سواه ایقصر فی النعمة لانی قصرت فی الخدمة اذا قد اسأت المعاملة ولم تحسن المقابلة وعثرت فی أذیال السهو ولم ینعش ید العفو ام یقول ان الدهر فیما بیننا خدع وفیما بعد متسع فقد ازف رحیلی ولا ماء بعد الشط ولا سطح وراء

والمعنى فى مراده ومفهوم قوله

ذكر المصطفى ثلاثين دبا * لايجيئون فى قيام الساعه

فيهم اعور وقد صح بالبر * هان أن جا كواحد من جماعه

ويعجبنى قوله فى آثار النبى صلى الله عليه وسلم

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره

فلقد حظيت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

ومن لطائف شمس الدين بن المزين فى باب التورية ما انشدنيه من لفظه لنفسه

مدير الكاس حدثنا ودعنا * بعيشك من كؤسك والخبيث

حديثك عن قديم الراح يغنى * فلا تسق الانام سوى الحديث

وانشدنى من لفظه لنفسه أيضا

ومليح لالاه يحكيه حسنا * فهو كالبدر فى الدجى يتلالا

قلت قصدى من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلا لا

ومن نكته اللطيفة قوله

قلت للاحدب لما * ان رأى الوجد علانى

أنا ابقى بوجدى * فيك يا احدب فانى

وقد تقدم القول ان النكتة فى التاجر استحقها الشيخ جمال الدين ابن نباتة على الصلاح الصفدى وعلى زين الدين الوردى وهى

وتاجر اسكرنى طرفه * والكاس فيما بيننا دائر

وقال لى سر لك قلت اسقنى * جهرا على عينك يا تاجر

ومن نكته المخترعة قوله

شاب ورد الرياض منى * وورد خديك وانفرك

فله الناس انشدوا * وانتشى الورد للكرك

ورسم الجوبانى وهو اذذاك كافل المملكة الشامية لفضلاء دمشق ان ينظموا له مايكتب على اسنة الرماح فنظم القاضى فتح الدين بن الشهيد

اذا الغبار علا فى الجو عثيره * فأظلم الجو ماللشمس أنوار

هذا سنانى نجم يستضاء به * كأنه علم فى رأسه نار

ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

ونظم مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه وكان اذذاك فى عنفوان شبابه ومبادى نظمه

النصر مقرون بضرب اسنة * لمعانها كوميض برق يشرق

سبكت لتسبك كل خصم مارق * وتطرقت لمعاند يتطرق

زرق تفوق البيض فى الهيجاء اذ * يحمر من دمها العدو الازرق

ينسجن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

انظر أم ينتظر سؤالى وانما سألته يوم أملته واستمحته حين مدحته واقتضيته وقت اتيته واتبعت سحابه لما آتيت بابه وليس كل السؤال اعطى ولا كل الرداء عقى ام يظن انى أرد صلته ولا البس خلعته وهذه فراسة المؤمن الا انها باطلة ومخيلة العارف الا انها فاسدة ام ليس يجدنى مكانا للنعمة يضعها وارضا للمنة يزرعها فلا اقل من تجربة دفعة والمخاطرة باتخاذ خلعة ليخرج من ظلمة التخمين الى نور اليقين وليبلونى أأشكر ام اكفر

ولعمري ان الشيخ شمس الدين بن المزين تطاول برمحه على أقرانه في خلال العصر بقوله

أنا أسمر والراية البيضا لي * لا للسيوف وسل من الشجعان
لم أحل في عيش العداة لانني * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تعانقت الكماة بجحفل * كلهم فيه بكل لسان
فتخالهم غنما تساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوباني

وكتبت من حماة المحروسة حسب ما رسم لي به قولي

أنا في الخط ان تحمر تقطى * فكأني مقاتل الفرسان
وقوامي اذا انثنى ففرد * ماله في تفرق الجمع ثاني
وسناني كالبرق بل صارمنه * قلب سيف البروق في خفقان
رمحه الردين ينسب لكن * صاح لما علاه بالسنان

ومن اغراض الشيخ شمس الدين المزين اللطيفة قوله

حل الدواة قرمتها * منه مرامة عاشق
قالت اذن ما أنت يا * قلم الديار بلائق

ومن لطائف مجونه قوله

سلما لي اضافنا * ابنا ماله ثمن
بيض الله وجهه * كلما جاء باللبن

ومن مقاطيعه التي سارت اليها الركبان قوله

أنا دواة يضحك الجود من * بكا يراعي جل من قد براه
دلوا على جودي من مسه * داء من الفقر فاني دواه

ومن اغراضه اللطيفة قوله

نزلنا بالقصير فرام قلبي * مليحا بالعذاري الغيد أزري
فلما ان تعذر مال عنه * فؤادي وبالجوانح نحو عذرا

ومن مدائحه المخترعة ما أنشده لشيخنا ومولانا قاضي القضاة علاء الدين بن القضامي الحنفي نور الله ضريحه وقد مر على دمشق متوجها الى الحجاز الشريف في محفة قوله

محفة المجلس العلائي * تنشر جدواه في المشاهد
تقول هذا قني واعطى * وجج بالناس وهو قاعد

وأمر ابن المزين ان يكتب على قبره من نظمه ما قرأته على القبر وحفظته وهو قوله رحمه الله

بقارعة الطريق جعلت قبري * لاحظى بالترحم من صديق
فيا مولى الموالي انت أولى * برحمة من يموت على الطريق

ومما قرأته للشيخ شرف الدين عيسى العالية في باب التورية قوله رحمه الله تعالى

لما رأوا مضاجعي تحت الدجا * هجبوه عن عيني حتى اسهرا

أم يتوقع صاعقة تملكني اوداهية تهلكني فهذا أمل موفر لان شيخ السوء باق معمر ام يقصد رأني أشكره اذا اصطنع واعذره اذا منع وبالله لو كنت بنبوع المعاذير ما خطى مني بجرعة فليرجى بشرعة ام يرجو اني أمهله حتى اعود من هراة والشيطان اعقل من ان يوسوس اليه بهذا اويسول لديه ذلك وانا الى الشيخ العميد وردت وعن هؤلاء القوم صدرت وقد نعلوا فوق مقدارهم ودون ما قدرت فليعصبني من الفعل تذكرة اومن القوم معذرة وليصرف على أمره وتهمه بهراة يشرفني بها ان شاء الله تعالى

قبلت خالا فوق كعبة خده * قبل الوداع وما أتيت المشعرا

وقوله

ومليحة راودتها فتعللت * بالحيض وهي تقول كالمذعور
هل موضع خال فقلت لها اسكتي * فمواضعي ليست تعد ودوري

ومن لطائف مجونه قوله وهو حكاية الحال

قالت لي القروة قم دفني * حتى ادفيك بقلبين
قلت لها بالله ما تشتهي * قالت غشاقلت على عيني

ومن مجونه مع الشيخ بدر الدين البشتكي

البشتكي المكدي * ذوابة ليس تخفى
قد مد للنيك رجلا * وللعلا تق كفا

وقوله

ايا معشر الصحب مني اسمعوا * مقالي وكس أم من يتذكي
الا فالعنوا آكلين الحشيش * وبولوا على شارب البشتكي

وقوله

البشتكي البدر له لحية * كلحية الراهب مشعوره
قال أنا أشعر هذا الورى * قلنا له فاستعمل النوره

ويعجبني من مدائحه قوله

تهنا بنصف كم به من حلاوة * وجد لي بفضل لا يضيع ثوابه
فان لساني صارم وفمي له * قراب وارجو أن يحلى قرابه

ومن شعر عيسى في مؤلفه من قصيدة

صبيغ دعاويه ما تنقضي * ويخطي في القول لا يشعر
تفكرت فيه وفي ذقنه * فلم ادر أيهما احمر

وقوله

ايا رب الجناب الرحب جد لي * وكثر في العطاء ولا تقلل
وما تعطيه لي من خشكنان * نهار العيد كبر أو فهلل

وقوله

لفضلك يا ابن فضل الله أشكو * برأسي البرد في يومي وامسي
وارجو أن يكون الشاش شمسا * اروم القرزمن برد بشمس

الشيخ شرف الدين عيسى وعصريه الشيخ شهاب الدين بن العطار الا في ذكره رحمهما الله تعالى والشيخ بدر الدين البشتكي لم اجد في اغزالهم من المقاطيع ما يغازل بغزله عيون التورية ولكن وقفت لهم على اغراض هي فوق الغرض فمن ذلك قول الشيخ شهاب الدين بن العطار

اصبحت بطال والاولاد اربعة * محمد وثلاث موتهم يجب

(وله ايضا)

هذا القاضي انا عنده في المنزلة أقل من شيء المعتزلة نسأل الله رأيا يسدد وسترا يمد ووجها لا يسود واما فلان فلا اشك ان كتابي يرد منه على صدر يحيي اسمه من صحيفته ونسي اجتماعنا على الحديث والغزل وتصرفنا في الجد والهزل وتقلبنا في اعطاف العيش بين الوقار والطيش وارتضاعنا ثدي العشرة اذ الزمان رقيق القشره وتواعدنا ان يلحق احدنا بصاحبه اذا انس الرشد في جانبه وتحالفنا من قبل ان لا يصرم الحبل وتعاهدنا من بعد ان لا ينقض العهد

فان قيل فى رزق بعد حكم * ابو محمد البطال لا يجب

ومن ايهامه فى هذا الباب قوله

طلبت رزقا قبل رح ناظرا * جيوش سيش قلت وأى تعيس
لو ان ذى الحكام فى سلطنة * ما طلبوا انى ابقى بسيس

وقال فى الشيخ شرف الدين عيسى المذكور

عيسى ومن مدحوه * ماشت فيهم رقيسا
وما رأيت اناسا * لكن حيرا وعيسا (وعيسى)

وقوله فى طاهر بن حبيب

تجادل شافعى مع مالكى * وهذا البحث بين الناس ظاهر
فقال الشافعى الكلب نجس * وقال المالكى الكلب طاهر

ومن لطائف مجونه قوله

هيأ البلان موسى * خلوة تعيى النفوسا
قلت ما اصنع فيها * قال تستعمل موسا (موسى)

ومن محاسن الشيخ جمال الدين عبد الله السوسى فى باب التورية قوله

اهوى غزالا عليه صبرى * قد بان فى الحب وهو عذرى
لما اسرت مقلتاه قلبى * فرحت عاوسكه بأمرى

وقوله

تهاون شمس الدين بى وهو صاحب * وأظهر لى أضعاف ما تظهر العدا
نزلت به ابغى الندا وهو طالع * وعند طلوع الشمس يرتفع الندا

وقوله

زجرت النفس عن نفل لئيم * اقر بموعده غلطا وأنكر
وقد ذكرته عنه مرارا * وهيهات المؤنث لا يذكر

وقوله

تجنب اقطعا لصابريا * يحن الى الجنابة كل ساعه
وما قطعوه بعد الوصل الا * ارادوا كفه عن ذى الصناعه

ومن محاسن الصاحب فخر الدين بن مكانس فى باب التورية قوله

بأبى عشيقة مرشف * برئت وكانت قبل عقت
فلثمتها ورشفتها * وقطعتها من حيث رقت

ومنه قوله

يقول مفندى اذ همت وجدا * بخد خلت فيه الشعر غلا
ايعرف خده العشق اهلا * فقلت لهم نعم أهلا وسهلا

وقوله

زارت معطرة الشذا ملفوفة * كى تختفى فابى شذا العطر

وهل ذا كرمن كان اقرب عهده

ثلاثين شهرا او ثلاثة أحوال

(وله فى نقض قصيدة أبى بكر الخوارزمى)

سألت أمتع الله بك عن الخوارزمى وشعره وقلت انى لاجد فيه بيتا لو رؤى فى المنام لاوجب الغسل حسا وبعده بيتا اذا سرد ينقض الطهارة مسا ولعمرى ان هذين البيتين لو كانا تينتين ما نبتتا فى الارض او ثمرتين ما جنينا من غصن فكذلك اذا كانا شعرين يبعد ان يصدرا عن صدر او يطبعا من طبع او يسبا على قالب قلب او يكونا نفس نفس فقد يسمن الشاعر ثم يغث. ويجيد

يامعشر الادباء هذا وقتكم * فتناظموا فى اللف والنشر

وقوله

علقتها معشوقة خالها * اذعمها بالحسن قد خصصا
ياوصلها الغالى وياجسمها * لله ما اغلى وما أرخصا

وقال واجاد

ان الهوى ياممشوق قد عبثا * بالروح والجسم فى سر وفى علن
فالروح تفديك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فى كفن

وقوله مضمنا

ومقلة ظبى يرشق القلب سهمها * ولكنه رشق يزال به الهم
على نفسه فليبك من ضاع عمره * وليس له منها نصيب ولا سهم

وقوله

عارض المحبوب من نو * ر صفاه انا دفاتن
شبه ورد زاد لطفا * حول ماء غير آسن

وقوله فى مجونه مضمنا

قلت يا لائمى على بذل مالى * فى هوى الحب دع كلام القشار
فعلى فلس ذا ينام ويبكى * لا على درهم ولا دينار

وقوله

شكى الى اليم اذ نكته * مراهق فيه حلاة تكى
بث اسله على يمه * وكلما سلبته يبكى

وقوله

سكر الشيخ وطابا * واشتهى الشيخ شبابا * حسب الخمرة صابا * وجد الراح شرابا

وقوله يمازح السراج السكندرى وقد انقطع عنه

قل للسراج اذا تكبر حيث بالقوم احتمى * انت السراج بعينه لو شئت انفك للسما

ومثله قوله فيه

باذا السراج اشترى أرى فانت به * أولى وذلك للحق الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام وانتصبا

وقال فى الصاحب بن النشو الوزير وقد انشأ سبيلا بالجامع العمرى

انشا القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته فى وزره
بالجامع العمرى سبيلا وقد * قال لنا عنه بنو مصره
هذا سبيل ماله فاسد * وزيره يرشح من قعره

ومن اغراضه البديعة قوله

لولا الزمان للمحال قابل * ما سلسلوا مطلق كل جدول
واصبح الدولاب فى رياضه * يقول بالدور وبالتسلسل

القائل ثم يرث ولكن لا كما
تراه فى شعر أبى بكر وما كنت
لا كشف تلك الاسرار
واهتك هذه الاستار والمهم
منه العار والعوار لولا
ما بلغنا عنه من اعتراض
علينا فيما املينا وتجهيز
قدح علينا فيما روينا من
مقامات الاسكندرى من
قوله انا لا احسن سواها
وانا اقف عند منتهاها ولو
انصف هذا الفاضل لراض
طبعه على خمس مقامات
أو عشر مفتريات ثم عرضها
على الاسماع والضمائر
واهداها الى الابصار
والبصائر فان كانت
تقبلها ولا تزججها أو تأخذها
ولا تعيبها كان يعترض علينا
بالقدح وعلى املائنا

ومن اغراضه الغريبة قوله فى ولده مجد الله بن فضل الله رحمهما الله تعالى

اري ولدي قد زاده الله بهجة * وكمله فى الخلق والخلق مذ نشا
سأشكر ربى حيث اوتيت مثله * وذلك فضل الله يؤتيه من يشا

ومن بدائع امداحه قوله فى الشهيد فخر الدين نقيب الاشراف رحمه الله تعالى

جناب فخر الدين كهف الورى * دامت له النعماء لا تنقضى
فهو الشريف الحسن المرتضى * وخلقه ذاك الشريف الرضى

وقال يمدح الامام المرتضى على بن أبى طالب كرم الله وجهه

يا ابن عم النبىّ أن اناسا * قد تولوك بالسعادة فازوا
أنت للعلم فى الحقيقة باب * يا اماما وما سواك مجاز

ويعجبنى من حسن خواتمه قوله

واسوأتاه اذا وقفت بموقف * ما مخلصى فيه سوى الاقرار
وسواد وجهى عند أخذ صحيفتى * وتطلعى فيها شبيه القار (ى)

ومن محاسن ولده مجد الدين بن فضل الله تغمده الله برحمته قوله

واغيدبت منه * بنار عشقيه اقلى
رمى من اللحظ سهما * به نموت ونبلى (لم)

وقوله

قالوا وقد عبثت بنا * قاماتهم والاعينا
ان رمت تلقانا فلج * بين السيوف والقنا

وقوله

يقولون هل من الحبيب بزورة * ومنا كم المطلوب قلنا لهم منا
فقالوا الناغوص واعلى قده وما * يحاكى اذا ما اهتز قلنا لهم غصنا

وقوله

بحق الله دع ظلم المعنى * ومتعه كما يهوى بأنسك
وكف الصد يا مولاى عنى * بيومك رحت تهجره وامسك

وقوله

قال خلى لحبيبى صل فتى * بك قد أضحى معنى مغرما
قال هل يولم ان واصلته * قلت ان فاز بثغر ا ولما

وقوله

يا لائمى ان فقدت الصبر فى قمر * اصداغه سلبت اهل الهوى وسبت
كانت سيوف اصطبارى عنه حين بدا * آس العذار على وجناته ونبت

وقوله

من مجيرى من سادة القوا الهجر لعشاقهم و زادوا النفارا
سال الدمع ان يجيروه قالوا * مثل هذا فى حينا لن يجارا (ى)

بالجرح او يقصر سعيه ويتداركه وهنه فيعلم ان من اصلى من مقامات الكذبة اربعمائة مقامة لامناسبة بين المقامتين لا لفظا ولا معنى وهو لا يقدر منها على عشر حقيق بكشف عوبه والسلام

* وله تجاوز الله عنه اليه) *

اجدد بالشيخ السيد وجدا يقض العظام وينقض النظام اذ كرتلك الاخلاق الكرام وتلك الشيم الحسان وتلك الليالى القصار وما كنا نتجاذبه من حديث ونتنازعه من جدال فاتصدع ذفرات وانقطع حسرات وأموت

ومن اختراعاته اللطيفة

تسامرنا شذى أزهار روض * فحير ناظرى فيه وفكرى
فقلت نسيمك الارواح حقا * بعرف طيب منه ونشر (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

مصغا الذى تظم يجيج من البغا * و يشرف هجو الكرام هجاجا
اقصيته عنى فظل يسبنى * ومنعته ابرى فذم وهاجا (ى)

ومن مدائحه يهنى والده بعوده من السفر

هنئت يا ابنى بعودك سالما * وبقيت ما طرد الظلام نهار
ملئت بطون الكتب فيك مدائحا * حتى لقد عظمت بك الاسفار

وقال فيه أيضا وقد أهدى له هدية حسنة

تناهيت فى برى الى ان هديتنى * ولولاك كنت الدهر فى التى سارنا
وأهديت لى ما حير العقل حسنه * فلازلت فى الحالين للعبد هاديا

ويعجبنى من زهدياته قوله

جزى الله شيبى كل خير فانه * دعانى لما يرضى الاله وحرضا
فاقلعت عن ذنبى واخلصت تائبا * وامسكت لما لاح لى الخيط أبيضا

ومن كلام الشيخ ابى الفضل بن ابى الوفاء العارف الذى دخل بحسن سلوكه الى زوايا الادب فاخرج منها الخبايا وأظهر البرهان تغمده الله برحمته قوله

عبدك الصب المعنى * عرف الفقر وذاقه
فلكم فاخر محتا * جا شكا فقرا وفاقه

ومن مخترعاته فى باب التورية مع بديع التضمين قوله

ما خادم واسمه فى در مبسمه * الاغن غضيض الطرف مكحول
وريقه مع ثناياه التى انتظمت * كأنه منهل بالراح معلول (مع لولو)

ومن اختراعاته قوله

على وجنتيه جنة ذات بهجة * ترى لعيون الناس فيها ازدحاما
حمى ورد خديه حماة عذاره * فيا حسن ريحان العذار رحاحا (حى حى)

ومثله قوله

ارسلت عينى بدمعيهما * بين يدى من قد تمادى بجفاه
أساله فى فمه قبلة * فلم يجب لاه ولم يعطفاه (يعطفاه)

ومثله قوله

سألتها رشف ريق * مستعذب الطعم حلو
قالت فسقى ارتجالا * فقلت بعد التروى

ومن لطائف نكته فى هذا الباب قوله

ازداد خدك شعرا * فازداد قلبى حبا

كل عام فسح الله عهده
عفو السحاب وجهده
والعز الضف اجتماعنا وعده
فما أنعم عيشى بعده وشتان
ما حالى ولبسى وارتضاه
ابيت بعيش ناصب فى عذاب
واصب وخرج فاستراح
من فضولى واصحت معاوه
من غيرى ومصائب قوم
عند قوم آخرين فوائد
وقد جعلت الشيخ أبا فلان
ولى مهدى فى خدمته
وأقمته مقام نفسى فى
مضان نعمته وولمته
يتلافى ما كنت أتولاه
من مجلسه الا التجميل
فانه لا يبلغ كنه مقداره
وليس ذلك من شأنه واسال

اذ كان وردك جرى * فيه فصار مربى

ومن لطائفه قوله

الا لا تلوموني فلست بمقلع * اذا اصدرت من كأسها الراح في حلقي
سآوي الى بحر من الخمر مترع * احط المراسي عنده فاملي واسقي (وسق)

وقوله

ذكرك لي في اللوم مستحسن * واللوم عندي غير مستحسن
كم قلت للمعرب في لومه * ان جئت نحوي قط لا تلحن (ني)

ومن لطائف مجونه مع حسن التضمين

وخل سمته صفعا بمال * فقال تواز عوه يا صحابي
اذا الحمل الثقيل توازعته * اكف القوم هان على الرقاب

ومن اغراضه قوله

تعنت دهر لج فينا بخطبه * وذللنا من بعد عز وأمكانا
قسا واتنى يختال في جبروته * وجر اذيالا علينا وأردانا

وانشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين المتنبي قوله في مليح اسمه حمزة

ترى يبدو لحمزة بعض ما بي * ويرثي لي ويتطرفي بلاني
واشفي بالمبرد من لماه * واجمع بين حمزة والكساء (ي)

ومن لطائف علامة الوجود فريد الدهر بدر الدين بن الدماميني المخزومي المالكي قوله

قلت له والدجا مول * ونحن في مجلس التلاقي
قد عطس الصبح يا حبيبي * فلا تشمته بالفراق

وقوله

يقول بديوان المحبة وردوا * محاسن حي فهو في الحسن مفرد
فوردت في الديوان عامل قده * فقال وذاك الخد قلت مورد

وقوله

وبي وجنة حمراء زاد صفاؤها * وأبدت صفات أبدع الحسن كونها
فدع لائمي ينهى عن الحب جهده * فما أنا بالسالي صفاها ولونها (نهى)

وقوله

يا عذولي في مغن مطرب * حرك الاوتار لما سفرا
كم تهز العطف منه طربا * عندما تسمع منه وترى (ا)

وقوله

اذاب احشائي هوى صائغ * قلت له والقلب رهن لديه
اني على فيك أرى خاتما * فهل ترى يقعد نقشي عليه

وقد زاد النكتة حسنا بقوله

بدا وقد كان اختفى * وخاف من مراقبه

الشيخ السيد ان ينظر اليه بعين ويحفظ ما بينه وبين ويتخوله دائبا ولا يعرض عنه جانبا ويمكنه من بساطه كل وقت ويخصه بصلته ويمنع سمعي ببشارته ويظهر على صفحات حاله آثار افضاله ويشرفني كل وقت باصره ونهيه ان شاء الله تعالى

(وكتب اليه رقعة أخرى)

كان أيد الله الشيخ العالم بين أسير بن خلاف كصدع الزجاج وشربطيء السكون ولا مكاتبة ولا مجاملة وانبعث رجل طالب فضل بكتاب مزور من احدهما الى الآخر يسأله فيه العناية بموصله فتعجب

فقلت هذا قاتلي * بعينه وحاجبه

وقوله

امنيتي انت يامليح * مامثله في الزمان ثاني
فكيف تبدي جفاك خوفا * وأنت في غاية الامان (ن)

وقوله

وعزيز الجمال اوجب ذلي * وهواه علي اصبح فرضا
فهو في الحسن والجمال سماء * صرت ياصاح منه بالذل أرضا (ضي)

وقوله

تناسبت أوصاف من وصله * ينفي عن القلب جميع الكرب
في انخد تسهيل ومن ثغره * يطيب للصب ارتشاف الضرب

وقوله

لاماء عذاريك هما أوقعا * قلب المحب الصب في الحين
فجد له بالوصل واسمح به * فقلبك قد هام بلا مين

وقوله

قلت لعاطر به صبوتي * محمودة والصبر لا يستطاب
اسقيتني كاس غرام به * ذبت ومن فيك براني الشراب

وقوله

لله منه ملثم اشنب * قد طاب فيه العشق للمغرم
قلت لعذالي لا تعجبوا * طيب الهوى مازال في الملثم

وقوله

في ليلة البدر اتى * حتى فقرت مقلتي
وقال لي يا بدر قم * فقلت هذي ليلتي

وقوله

قم بنا نركب طرف اللهو سبقا للمدام
واثن ياصاح عناني * لكميت ولجام (ى)

ومن اغراضه اللطيفة قوله

أقول لخل حسن من فرط ماله * ورابي فأسقي الناس كأس عذاب
صفاتك ياهذا العمري تناقضت * فانك ذو مال وانت ترابي

ومن مدائحه ما كتبه الى قاضي القضاة ناصر الدين التنيسي قوله

قد نلت يا قاضي القضاة مطالبي * بكنوز جود منك أورثت الغنى
واخافني الدهر الظلوم فمذ آ * نى داعيا بجناب جودك آمنا

ومن مدائحه فيه قوله وقد ولاه وظيفة العقود في مبادي العمر

ياحاكما ليس يلقى * نظيره في الوجود

المكتوب اليه وخيره بين العفو عنه ولاصله او يعرف الحال فان كان صادقا فله حكمه وان كان كاذبا فدمه فاختار المزور تعرف الحال فكتب الى وكيله هنالك ان يعرف الامر في ذلك فقد خيرت موصل الكتاب بين حكمه واراقة دمه فتعرف الحال فقال الامير لندمائه ماترون في هذا الرجل فقال احدهم يضرب وقال الآخر يصلب فقال الامير اوخيرا من ذلك اني اصدقه ليعطى حكمه فلا نعدم مكرمة اومثوبه فصدقه هذا الامير وخيره ذلك الامير

قوله في الملثم هو في النسخ بالثاء وبها تتم التورية والمعروف في الريح التي تهب من ناحية الشمال الثاء وعليه فلا تورية اه

قد زدت في الفضل حتى * قلدتني بالعقود

وكتب الى برهان الدين المحلي

يا سريا معروفه ليس يحصى * وربناه كابفرع وأصل

منعلا في الورى محلك عزا * قلت هذا هو العزيز المحل (ى)

وكتب الى شهاب الدين البارقي

قل للذي أضحى يعظم حاتما * ويقول ليس بجوده من لاحق

ان قسته بسماح أهل زماننا * اخطا قياسك مع وجود الفارق (ى)

ويعجبني من اغراضه البديعة قوله

لئن عقدت بنت الكروم عقودها * على حل نفي الهم والهم زائد

فنحن شهود في المقام لعقدها * على أولياء اللهو واللوز عاقد

ومن لطائف مجونه قوله

أمنت صدوده فدنوت منه * على مهل بشيء زاد حسنا

وعاجلني الرقيب فخاف أيري * وانزل اذ رأى خوفا وامنا (امني)

ومما اختاره سيدنا الشيخ العالم العلامة ابو الفضل احمد بن حجر العسقلاني روى الله من سحائب الرحمة ثراه من نظمه لنفسه رحمه الله تعالى في باب التورية ورسم لي ان يكون واسطة لهذا العقد وكتب ذلك بخطه الكريم في كراسة واتحف بها العبد لانظمها في عقود هذه الاسلاك وكتب في ديباجة الكراسة قوله

يا سيدا اطالعه * ان راق معناه فعد

وافتح له باب الرضى * وان تجد عيبا فسد

وقوله

سالت من لحظه وحاجبه * كالقوس والسهم موعدا حسنا

فقوق السهم من لواحظه * والقوس الحاجبان واقترنا (وقترنا)

وقوله

سألوا عن عاشق في * قربا دسناه * اسقمته مقلتاه * قلت لا بل شفتاه

وقوله

أتى من أحبائي رسول فقال لي * ترفق وهن واخضع تفز برضانا

فكم عاشق قاسى الهوان بحبنا * فصار عزيزا حين ذاق هوانا

وقوله

ضنيت جوى فواصلني حبيبي * وعاد الى الجفاء فعاد ما بي

فقلت اعد وصالا قال كلا * فها أنا ذبت من رد الجواب (الجلوى بي)

وقوله مع بديع الاقتباس

خاض العواذل في حديث مدامعي * لما رأوا كالبحر سرعة سيره

فحبسته لأصون سر هواكم * حتى يخوضوا في حديث غيره

فاختار أن نزوجه ابنته وصلحت الحال بين الاميرين وجاب ذلك التزوير صلاح ذات البين وقد زورت على الشيخ تزويرا آمل أن ينفعه الله به في الدارين وغدا اعرفه الحديث ان شاء الله تعالى وان أحب ان يعرف الحديث فوصلها على علم والسلام

(وله أيضا)

لعل مثلي مع الشيخ الامام مثل التاجر مع ولده اذ جهزه من بلده بما أصحبه من مال وقال يا بني انا وان وثقت بأمانة عقلك وطهارة اصالتك لست آمن عليك النفس وسلطانها والشهوة وشيطانها فاستعن عليهما نهارك بالصوم وليلك بالنوم انه

وقوله

ياعاذلى وسهام اللحظ ترشقنى * عن قوس حاجب بدر خده قبسى
ان تستطع انجاتى فى الهوى سببا * فاستنبط السلم لى من اسهم وقس (قسى)

وقوله

ولم انس اذ زار الحبيب بروضة * فغارت من المعشوق أعينها المرضى
ولاحت بخد الورد حمرة خجلة * حياء رأينا طرف نرجسها غضا

وقوله

يا مبدعا فى حسنه واصل انا * هيمت له عام وما واصلتنا
فقال هل صيف فى مشتاته * قلت نعم وفى هموم شتى

وقوله

محبوبتى واصلتنى * والهم عنى تشتت
وذاب قلب حسودى * لما وفت وتفتت

وقوله

احبب بوقاد كنجم طالع * انزلته برضى الغرام فؤادى
وانا الشهاب فلا تعاند عاذلى * ان ملت نحو الكوكب الوقاد

وقوله

نحن أهل الهوى بلوناه قدما * بين خوف من أهله وأمان
وشربنا خمر الهوى كل حين * بكؤس قد أترعت وأوان (نى)

وقوله

ورشا مذ نشا وعينا التصابى * بعدما كان ذا اشتباه علينا
وجهلنا الغرام حتى أرانا * منه تحت اللثام خدا وعينا

وقوله

صرت وخلفتنى غريبا * فى الربع أصلى جوى بنارك
اغث حشا احرقت غراما * فى ربعك المعتلى ودارك

وقوله

وبدر تم جميل * محجب بالدلال
اذا هممت بانى * اسلو هواه بدالى

وقوله

نهانى حبيبى ان اطيع عواذلى * لكى أتهنى بالوصال الذى سرا
فقلت فدتك النفس سمعا وطاعة * فلم ار نهيا منه اهنى ولا أمرا

وقوله

واهيف حيانى بطيب وصاله * ومن ريقه الخمر الحرام حلالى
ادار لى الكاسين خمرا وريقة * ونزهنى عن جفوة وملال (لى)

لبوس ظهارته الجوع وبطانته الهجوع وما لبسه أشر الالات سورته أفهمتها يا ابن المنومة ستحدثك النفس بمعنى اسمه القرم وتخبرك السفهاء عن شئ يقال له الكرم وقد جربت الاول فوجدته اسرع فى المال من السوس وتطرت الى الثانى فوجدته أشام من البسوس ودعنى من قولهم أليس الله كريما بلى ولكن كرمه يزيدنا ولا ينقصه وينفعنا ولا يضره ومن كانت هذه حاله فلتكرم خصاله فاما كرم لا يزيدك حتى ينقصنى ولا يريشك حتى يبرينى فخذلان لا أقول عبقرى ولكن بقرى انه المال عافاك الله فلا

وقوله

تجرّد من احب فقال لى من * يلوم واظهر الحسد المكتم
اجادلك الحبيب بلمس جسم * لمكا الخزفلات نعم وأنعم

وقوله

تيه فلان الدين مع فقره * اقوى دليل أنه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه * فعاقع ماتحتها طائل

ومن اغراضه اللطيفة قوله

اشكو الى الله مابىَ * وماحوته ضلوعى
قد طابق السقم جسمى * بنزلة وطلوع

وقوله وهو مما كتبه على مجموع الكرمانى

تطرّبت لما سطرته من فوائد * لها الفضل اذ وافت محاسنها يعزى
فقلة ماسطرت منها الخاطرى * فلم يكف طرفى منه شئ ولا أجزا

وقوله

قد جئت فى علم الاصول لناوفى * علم الفروع بخالص الابريز
وبرزت فى هذا وفى هذا على الر * ازى بالاحسان والتبريز (ى)

ويعجبنى من وعظياته قوله

ياأيها الشيخ المطيع هواه دع * هذى الدعابة قد اتى داعى الردى
وخيوط هذا الشيب لاتنسج بها * ثوب التصابى فهى ماخلقت سدى

وقوله

خليلىّ ولى العمر منا ولم نتب * وننوى فعال الصالحين ولكنا
فحتى متى نبنى بيوتا مشيدة * واعمارنا منا تهد وماتبنى (تبنا)

ومن نظم الشيخ بدر الدين البشتكى رحمه الله فى هذا النوع قوله

بدا بوجه جميل * قد شرّف الحسن قدره
فى شمسه كل صب * يودّ يبذل بدره

هذا الذى ظفرت به من اغزاله فى هذا الباب ومن مجونه قوله

وانى بذقن بهدأن * قاسيته حلوا ومرا
فقبضت لحيته وابـ*ـشرى فى استه وهلم جرا

وقال من كتابه المسمى برفع شان العمشان

اقول لناتف خدّيه مهلا * اترضى اللانطين مدى الدهور
فدع نتف العوارض عنك كيما * تنال بلحية مثل الحرير (ى)

ومثله قوله فى الشيخ بدر الدين بن الدمامينى المخزومى

تبا القاضى جار فى أحكامه * حتى على المنثور والمنظوم
خان الشريعة مذ اطاع بنى وفا * وانقاد للفساق كالمخزوم (مى)

تنفقن الامن الربح وعليك بالخبز والملح ولك فى البصل والخل رخصة مالم تذقهما واللحم لحمك وما أراك تأكله يا ابن الخبيثة انما التجارة صرف وبين الاكلة والاكلات صروف ربح العربيدان لاخطر والصين غيرأن لاسفر والحلوطعام من يعيش ليأكل فكن ممن يأكل ليعيش وأخرى يا ابن اللئيمة ما التجار ولفضول العيش خذ هذا وحسبك ثم انت الآن وكسبك فلما فصلت العير لجت بالفتى همة العلم فانفق ماصحبه فى طلبه فلما انسلخ من طارفه وتالده رجع بالقرآن وتفاسيره الى والده فقيرا لايملك نقيرا وقال يا أبت جئتك بسلطان

ومن مدائحه قوله

وقاس الورى بالنيل نائلك الذى * حلا وصفا والنيل يبدو مرنقا
فقلت وهل يقاس من خلقه الوفا * بمن بالوفا فى العام يوما تخلقا

وكتب اليه سيدنا ومولانا قاضى القضاة شهاب الدين بن حجر العسقلانى فى رمضان

أليس عجيبا بأننا نصوم * ولا نشتكى من اذى الصوم همّا
ونسغب والله فى نسكنا * اذا نحن لم نرو نثرا ونظما

فأجابه بقوله

الا يا شهابا رقى فى العلا * فامطرنا نوءه العذب قطرا
الى فقرة منك يا نقرنا * ونستغن ان قلت نظما ونثرا (ى)

ومما فضل لى من صبابات هؤلاء الفضلاء فى مناهل التوريه قولى

هويته اعجميا فوق وجنته * لامية عوذتها احرف القسم
فى وصفها ألسن الاقلام قد نطقت * وطال شرحى فى لامية العجم (ى)

وقولى

خال الحبيب يقول لى لما بدا * من تحت عارضه كسر غامض
انا فارضى فى الغرام بخده * فقد امقامى تحت ذيل العارض

وقولى

عزمت على السلو لطول هجرى * فجاءتنى عوارضه تعارض
وكان العذر يقبل فى سلوى * ولكن ماسلمت من العوارض

وقولى

دويرة العارض عن جيت * برشفة من جفنه مشتقة
فاترك ملامى يا عذولى اننى * قتلت بين دورة ورشقة

وقولى

ولما رآنى الشعر وهو مذيل * وجانب ذاك الصدغ وهو مطرف
بدا بخمار من خمار بريقه * فقلت لهم هذا الجناس المحرف

وقولى

أقول لثغر الحب مت ولم أجد * سبيلا الى برد الحشايا أخا الصفا
فقال ارتشف من خمر ريقى نهلة * ألم تره من برده قد تقرقفا

وقولى

لما تعذر من أحب تعذر الصـ * ـبر الجميل فلم أطق ان أصبرا
قال العذول الصبر أعظم مسعد * فى العشق قلت اماتراه تعذرا

وقولى مع بديع الاقتباس

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه
لكن به لما سمعت تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

الدهر وعز الابد وحياة الخلائق جئتك بالقرآن وتفاسيره والحديث باسانيده والفقه باباز يره والكلام بافانينه والشعر بغريبه والنحو بتصاريفه واللغة باصولها فاجتن العلم نورا ونورا والآداب حرا ودورا فأتى به الى السوق وقدمه للصراف والبزاز والعطار والخباز والقصاب وانتهى الى البقال فساومه عن باقة بقل وقال انتقد تفسير أى سورة شئت فنهى البقال وقال انما نبيع بالكسرة المكسرة لا بالسورة المفسرة فأخذ الوالد ترابا بيده ووضعه على رأس ولده وقال يا ابن المشؤمة ذهبت بقناطير وجئت بأساطير لا يبيع

وقولى

وقولى فى مدح حماة

ذكرت احبتى بالمرج يوما * ففوّت ادمعى نيران وجبى
وبت أكابد الاحزان وحدى * وكل الناس فى هرج ومرج

وقولى فيه أيضا

مرج حماة بنواعيره * زاد على المقياس فى روضته
واغتاظ غروذ دمشق لذا * فقلت لاأفكر فى غيظته

وجلست يوما فى قطاف السفرجل على عين الغيضة المرصوفة بست الشام مع جماعة من اهل العلم والادب فنظم كل منهم مايليق بذلك المقام على قدر مقامه فنظمت قولى

تقول ست الشام لما غازلت * بعينها فانعشت سياقى
وانتقشت برجها وابرزت * نهدا حلالانه نباقى
خذنى بغير ضرة فاننى * بديعة فى الحسن والصفات
واستجلنى عروسة يتيمة * شامية وعش بلا حماة

وقولى فى وادى رشعين وعينه بظاهر مدينة طرابلس

ارض وادى رشعين مفتوحة العين * لها نقطة على الشعرين
* ماحللنا هنالك الاوقات * اجلسوهم على محاجر عينى

وقولى بوادى المنافس بظاهرها أيضا

وادى المنافس من مغنى طرابلس * بطيب انفاسه أبدى نفائسه
وكاد يلحق بالشقرا وابلقها * فلا تلوموا اذا قوى منافسه

وقولى برأس العين ببعلبك

ولما نزلنا بعلبك تفكهت * عيونى واذواقى وصلت على البين
وطالبتها يوما برؤية مرجها * وخضرته قالت على الرأس والعين

ومن اغزالى البديعة قولى

ماس فى الروض وانثنى * بخدود موردة
* فرأينا غصونه * وهى خشب مسندة

وقلت موريا ومقتبسا ومكتفيا

قالوا وقد فرطت فى تصبرى * ومابرى بوصله سقاما
اصبر عسى تسقى بماء ريقه * قلت لهم ياحسرتا على ما

وقولى

ارخت لناذوائبا من شعرها * عشرا وفرق الفجر فيهم يسرى
نصرت بالفجر لها معوذا * لما بدا بين ليال عشر *

وقولى موريا مع بديع التضمين

سرنا وليل شعره منسدل * وقد غدا بومنا مضفرا
فقال صبح ثغره مبتسما * عند الصباح يحمد القوم السرى

بهاذو عقل باقة بقل والقصة ابدالله الشيخ الامام فهى قصتى معه انفقت عمرى وروحى وقلبى ونفسى على صداقة من لم يمر لى فى كتاب شكر هبنى أنا أول فى الخاتمين فاقول الفص ياقوت احمر والفضة جوهرا زهر والفيروزج علق يذخر فما اقول فى درج كاغد اقول لم اساوه ام لم ابلغ كنه شاوه لولا اكون صديق صداقة اسقت هذا العتاب سياقة تحل عرى الرقدة قبح الله الطمع لولا ان الود شاركه والانف تداركه لقد كان يوجد الحساد مقالا القافلة راحلة غدا او بعده فلينجز فى الكتاب وعده موفقا رأيه ان شاء الله تعالى
(وكتب أيضا)

وقولى

قف واستمع طربا فليلى فى الدجا * باتت معانقتى ولكن فى الكرى
وجرى لدمعى وقصة بخيالها * اترى درى هذا الرقيب بما جرى

وقولى

كم صحت فى ظلمة الليالى * ويلاه من نومى المشرد
والدمع فى وجنتى ينادى * اواه من شملى المبدد

وقولى

يقول معذبى حسن تخير * سواى فقلت قد عز اصطبارى
وكم فى الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتى وقع اختيارى

وقولى

ارشفنى ريقه وعانقنى * وخصره يا نوى من الدقه
فصرت من خصره وريقته * أهيم بين الفرات والرقه

وقولى

ابصروا عند وداعى * عقدها وهو مفرط
لمتها فى ذاك قالت * برح الشوق وافرط

وقولى

سجدت جفونى هيبة لما بدا * محراب حاجبه بغير حجاب
الله اكبر وهو يغزو مهجتى * حربا ولم أخرج عن المحراب

وقولى

طلبت منه قبلة فقال لى * وقد بدا يشرع فى الاعراض
نسيت فعل سيف لحظى قلت لا * يا قاتلى وكيف أنسى الماضى

وقولى

قيل لى لما عرتنى شدة * وتناءى فرج عن مده
يا أخا الاشواق ماذا تبتغى * قلت أبغى فرجا من بعد شده

وقولى

مذ جفانى ممرض القلب ولم * الق فى الضعف وفى الكسر انجبارا
* قلت للعارض يا آسى اذا * درت دارى ممرض القلب فدارا

وقولى

طلبت تقبيل من احب وقد * انكرت فى الخد نقطة حسنه
فرق لى قلبه وقال اذا * قبلت خدى لا تنكر الحسنه

وقولى موريا ومضمنا

حثثت عزمى شوقا اليكم * فلم اطق مكثه بارض
وحيث لم احظ بالتلاقى * فغايتى أن الوم حظى

انه ابد الله الشيخ مابى الحطان لكن القطان ولا المكان لولا السكان وقد كنت اسمع الناس يقولون ان الانسان لولده احب منه لوالده فانكرت ذلك طبعا واعظمته شرعا فقال لى انك لم تذق حلاوة الاولاد فاقول واعل ويوشك وانسب ذلك الى لؤم الفطرة وسوء الخلقة وخبث الطينة والقشر المطعون بالجما المسنون حتى ولدت وحسب العاقل نص الكتاب حكما ان البنات خير زكاة واقرب رحما لعمرى ان لى بها شغف الوالد بالواحد وما اود ان لى بدلا ولا عشرة لى

وقولى

وقولى

جاء بصبح ثغره مبتسما * يمشى بليل الشعر فى دلال
قلت ادمت لقلبى هكذا * مادامت الايام والليالى

وقولى مرتجلا فى جبهة دمشق من دوبيت

* ياما ملأ الجبهة بالانوار * لمناء على ذلك خوف العار
قال انصرفوا سمت من بلدتكم * والجبهة من منازل الاقمار

وقولى

مذ اظهر ورده لنا ريحانه * ناديت لتلك المقلة الكسلانة
قد دب عذاره على وجنته * قومى انتبهى قالت انا نعسانه

وقولى

احببته متأدبا ونظمت فى * حسن ابتدائى فيه نظم المرقص
واشار فى حسن الختام أجبته * حسن الختام بكون بعد تخلصى

وقولى

يحاضرنى بابيات ولكن * يعيرنى اذا طال اجتماعى
فان انشدت اشعار السلام * يطارحنى بابيات الوداع (حى)

وقولى

قلت للخال اذ بدا * فى نقا جيده السعيد
فزت يا عبد قال لى * انا عبد لكل جيد

وقولى

قال أراك الحمى تعوض * بغصن قدى اذا جفاكا
فقلت من بعد قد حبى * والله ما اشتهى أراكا

وقولى

رمت يوم العيد منه وقفة * ليرى من بعده حالى وضعفه
فطر القلب وولى قائلا * يا معنى ما العيد الفطر وقفه

وقولى

قال نهد الحب صف نهدى مذ غدا * قاعدا فى الصدر بالتصدير يجهر
قلت اذ برز فى تحقيقه * أنت بالتحقيق والله مصدر

وقولى

اسياف لحظ قاتلى * لما تعدت حدها
وعربدت من سكرها * قالت استحى فردها
* وقال لى موريا * لابد أن احدها

وقولى

عاتبته ودموعى غير جارية * لان دمعى من طول البكى نشفا

مثلا ومع ذلك فليس فى حل من ظن انى لا أجعلها السيدنا ادام الله عزه فداء وانتظر دعاء وفداء لا ابتدارا لا ابتداء على بذلك ميثاق من الله غليظ والله على ما اقول حفيظ واجدنى اذا قرات قصة الخليل ابراهيم فى الذبيح اسمعيل صلوات الله عليهما أحس لنفسى من سيدنا ادام الله عزه بتلك الطاعة لو وقع البلاء والعافية اوسع واظنه لو تلنى للجبين اواخذ منى باليمين وقطع الوتين لصنته عن الانين وبين الضمان والوفاء علم الله المحيط وبينهما من الترجيح ما بينى وبين الذبيح وربما نظر فى كتابى هذا من لم يعرف بعد الضمان من الوفاء وبينهما

فقال لم أروكف الدمع قلت له * حسبك اقسم بدر الدجا وكفا (وكفى)

وقولى

قالت وقد قبلتها في جيدها * تصبوا الى غيرى وتخلص من يدى
فاجبت حين تقلدت بدامعى * ياهند خوضى فى دمى وتقلدى

وقولى

بنقطة الخال وطعم اللمى * وخضرة الشارب ياعاتبى
قدملت للنقطة بعد التقى * وقلت بالمشروب والشارب

وقولى

ارداف من اهواه قد تثاقلت * لما تجافى الشعر يوم البين
وبعد ذا وجنته تلونت * وساقه والله ذو وجهين

وقولى

برامة لى ظبى * تخشى الاسود مرامه
كم هام قلبى فيه * بين العذيب ورامه

وقولى

هويت غصنا الاطيار القلوب على * قوامه فى رياض الوجد تغريد
قالت لو أحظه انا اسود على * بيض الظبا قلت انتم اعين سودوا (د)

وقولى

* قلت له ان جفن مقلته * يشبه سهما بجعبة رشقه
خفت من الفتك رحت أملقه * سابقنى مدمعى جرى ملقه

وقولى

فى سويداء مقلة الحب نادى * لحظه وهو يقنص الاسد صيدا
لاتقولوا مافى السويدا رجال * فانا اليوم من رجال السويدا

وقولى

بروحى أفتدى ظبيا نفورا * يحق له بروحى ان يفدى
جلا لصدا قلبى فرد يوم * بوصل منه ثم جفا وصدا

وقولى مورّيا مضمنا

ومذ كلمت جسمى سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم أر بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم *

وقولى

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لى
انا ما اقصر عن ندى * وكاعلمت شمائلى

وقولى

رأيت مع المنثور بعض وقاحة * ولم ادر ما بين الغدير وبينه

ما بين الارض والسماء فيرانى اشرف وماأراه يعرف انه وان بعد المثل اختلف قوم فى عمر بن عبد العزيز والحسن بن يسار أيهما افضل فقال اولو التمييز عمر بن عبد العزيز وقال اهل الابصار الحسن ابن يسار وانما أردت بأولى التمييز نظارة القلوب وباهل الابصار نظارة العيون فسئل الحسن عن ذلك فقال عمر خير منى لانه ملك فعف ووجد فاخف واعدل الحسن لو وجد لاخذ وصدق رحمه الله ليس الزاهد عن جدة كالزاهد عن عدة وليس من فعل لكن بعد ان يفعل وبعد ما انعرف بركات دعاء سيدنا واستظهر

تلوّن منه ثم مدّ أصابعا * الى وجهه قصدا وخضر عينه

وقولى

حبابها عاصرها فى كأسها * مشرقة باسمة كالثغر
وقال هذى تحفة فى عصرنا * قلت استفيها يا امام العصر

وقولى

لما غدا حباب كأسى شاعرا * لنظم خمريانه يحرّر
اوقفت ساقينا على نظامه * فقال لى والله هذا جوهر

وقولى

لما غدا راحى مخيلا باليا * وكاد أن لم يك فى الزجاج
وجاز بالماء الى بحرانه * ورق قالوا صفه بالعلاج
فجئته مستقصيا اعراضه * وجدته معتدل المزاج

وقولى

فى حب كأسى لامنى * من ليس يدرى حالتى
فقلت دعنى اننى * وجدت فيها راحتى

وقولى مماجنا

أعنا بكم ان حرّموا ماءها * وحرّقوا فيها على الشارب
لا تحرمونى التين انى امرؤ * أعشقه بالقلب والقالب

وقولى

أدخلت أيرى فيه * اصبت منه المقاتل
فقلت كيف تراه * فقال والله داخل

وقولى

العلم ابن الكوير قال معى * لطف وظرف حواهما الكرم
وفاسق بانة مهفهفة * فقلت لا بانة ولا علم

وقولى

قالوا صفى الدين اشعاره * ما اللورى فى طرقها ممشى
وهكذا انشاؤه مسكر * قلت لهم والله ما أنشا

وقولى

ديوان نظمى جاء وهو محرّر * برقيق نظم لفظه يستعذب
فاذا بدى لا تستقلوا حجمه * وحياتكم فيه الكثير الطيب

انتهى ما أوردته فى باب التورية من كتاب الله وحديث نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام اصحابه رضى الله عنهم اجمعين ومن نظم فحول العرب والمولدين الى أن ارتفع العلم الفاضلى وأوردت محاسنه ومحاسن من مشى تحت علمه المحمدى الى أن اتصل هذا السند باعيان أهل العصر قلت ولولا الحياء من العصابة الناتية وأنا منها لعززت العلمين من الوداعى

بها على الخطوب فليمدنى بها ادبار الصلوات وادبار النجوم ان دعاء الفجر كان مشهودا وعلى سيدنا ايده الله ورد صباح ومساء من صلاة ودعاء فليرقنى انى الى حركات لسانه فقير وهو بان يفعل جدير والله على أن يستجيب قدير

(وله اليه أيضا)

يبسط سيدنا الى سمعه ويقف عليه من لا يتهم عقله ان هذا السلطان لما ارتحل عن بلاد خراسان الى دار الهند وهى سيف واصبح السيف وهو دم فتن تشغلى وتاتلظى وناس يأكل بعضهم بعضا وبعث الفساد أهله فالنهار مصادرة والليل مكابرة وقتل عمرو وقتل

بثالث فاوردت هنا من مطرب عطر مفرداته ما يغنى عن المثانى والمثالث فانه أحد أئمة هذا المذهب واذا ذكرت التورية فهو عذيقها المرجب وعلى كل تقدير ففرسان العلمين المشهورين القاضى والنباتى هم الذين أبرزوا عروس التورية من خدرها وحققوا للناس من تسانح عن نقوش القاعدة وسفل عن علو قدرها ولم أخل بذكر الشهاب محمود وكان محمود الحشمة فى الفاظه على كل ناظم وناثر الا ان التورية كانت غير مذهبه ووقوعها فى نظمه ونثره من النوادر وتمذهب بمذهب القاضى شهاب الدين بن فضل الله ولكن ما تفقه فى هذا المذهب ولا حرره ولا أبدر فيها بدر الدين بن حبيب وكانت لياليه سطورها بنظمه غير مقمرة ولهذا خدمها حذاق الادب وحافظوا على الخدمة وثابروا وأنشدوا من رضى بالشعر الموزون

اذا كنت لا تدرى سوى الوزن وحده * فقل أنا وازن وما أنا شاعر

قلت ومما تخيرته من نظم القاضى شهاب الدين بن فضل الله رحمه الله من النكت التى وقعت له عفوا من غير كد ولا تكلف قوله

جاءوا بانواع من الطيب لنا * تحملها معشوقة ممشوقه
قلت خذوا الطيب لكم جميعه * بشرط أن لا تأخذوا المعشوقه

ومما اخترته من نظم بدر الدين بن حبيب رحمه الله تعالى قوله

وجنته الحمراء لما كست * خضرة أذناب الطواويس
عابوا لفرط الحسن دينارها * فقلت خلوه على كيسى

قلت وقد عن لى أن أورد هنا نبذة من نظم من كانت التورية غير مذهبه لاجعلها فى مهالك الاشكال وموانع العقادة جل مطلبه وما على ممن تأخر عصرا أو تقدم فان الغرض أن يصير عقد التورية وهو بنظم من شعر بها منتظم وما خفى أن من حذاق الادب من وقعت له التورية عفوا وصار العفو محلا عند القدرة ومنهم من نقب عنها وعسعس عليه ظلام التكليف فلم يبرزها نيره كالشيخ صفى الدين فانها كانت غير مذهبه وحاولها مرارا فاتى بها مغصوبة ولم يبلغ من اقتناص شواردها بحبائل فكره مطلوبه كقوله

وساق من بنى الاتراك طفل * أتيه به على جمع الرفاق
املكه قيادى وهو رقى * وافديه بعينى وهو ساقى

قلت لا شك ان مراده بالمعنى الواحد من التورية ساقى الراح وهو ظاهر صحيح وبالمعنى الآخر أن يكون هذا الساقى ساقا للشيخ صفى الدين وهو غير ممكن ولعمرى ان هذا مسلك من ليس له فى باب التورية مدخل وهذه النكتة أبرزتها معلمة الطرفين وانا اذ ذاك مبتدئ لم أبلغ من البلاغة أشدى ولا ثبت عند قضاة الادب رشدى بقولى موريا ومضمنا

يا حسن ساق يقول ان ذهبت * مدامكم تكيفوا بأحداقى
شمر عن ساقه لنا وسقى * قامت حروب الهوى على ساق

قلت ومما عقده الشيخ صفى الدين فى هذا الباب بيت بديعيته الذى نظمه شاهدا على هذا النوع وهو قوله فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم

خير النبيين والبرهان متضح * فى الحجر عقلا ونقلا واضح اللقم

زيد وابن سعد فقد هلك سعد وثمن الرأس منديل والبنية العادلة سكين ودار الحكم بيت القمار واليمين الغموس فلان الجار والجامع حانة الخمار وخير الاسواق ما يسرق وشرها ما يحرق والسعيد من سلب والشقى من صلب ولا شئ الا السلاح والصياح وكل شئ الا السكون والصلاح وأنا اذ ذاك حاضر نيسابور ودارى بين القبة الرافضة وكل يوم تهديد ورعب جديد فقلت

ولكن اخو الحزم الذى ليس نازلا
به الخطب الا وهو للقصد مبصر

فلقيت صدور نيسابور وقلت حتام هذا البلاء والعلاج قريب المأخذ

قلت

قلت ومن نواريه التي يستشهد بها على رفضه ولابد ان الله تعالى يقابله فيها على قبح سريرته وقلة أدبه قوله

اذا شاهدت عيناك وجه معذبى * وقد زارنى بعد القطيعة والهجر
رأيت بقلبي من تلقيه مرحبا * وسيف على فى لحاظ أبي بكر

وكذلك الشيخ شمس الدين ابو عبد الله محمد بن جابر الاندلسى ناظم البديعية كان عن نظم التورية بمعزل ولم ترض أن تنزل من أبياته بمنزل وبيت نظمه فى بديعيته شاهدا على هذا النوع فى غاية العقادة والسفالة وهو قوله

لا يرفع العين للراجين يغضهم * بل يخفض الرأس قولا هالك فاحتكم

وهذه البديعية غالبها سافل على هذا النمط والتورية تجل عن أن تكون من مخدرات هذا البيت ولكن أورد له الشيخ أبو جعفر فى شرحه الذى كتبه على بديعيته ما هو منقول فى هذا الباب وهو قوله

وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعى وحلو * سكب دمعى على اصابع زينب

قلت ورتبة الشيخ صفى الدين بالنسبة الى ابن جابر معلوم انها عالية ولكن التورية ما دخلت الى بيت من بيوته الا خرجت غير راضية ومن التوارى التى وقعت لناظمها عفوا بل سحرا من غير كد قول القائل

قاسوك بالغصن فى التثنى * قياس جهل بلا انتصاف
فذا الغصن الخلاف يدعى * وأنت غصن بلا خلاف

ومن ذلك قول جلال الدين شاعر ماردين قديما

ويوم برديذ أنفاسه * تخمش الاوجه من قرصها
يوم تودّ الشمس من برده * بلوت النار الى قرصها

ومثله قول شرف الدين بن منقذ

ولرب ليل تاه فيه نجمه * وقطعته سهرا فطال وعسعسا
وسألته عن صبحه فاجابنى * لو كان فى قيد الحياة تنفسا

ومثله قول ابن نبيه وكانت التورية غير مذهبه

تعلمت علم الكيمياء بحبه * غزال بجسمى ما بعينيه من سقم
فصعدت أنفاسى وقطرت أدمعى * فصح بذا التدبير تصفية الجسم

ومثله قول ظهير الدين ابن البارزى

بالحبة الحب التى * طال لها تلفتى
هل أنت مسك التركاو * هل انت مسك تبت

ومثله قول امين الدين السليمانى

اضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر
وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

وهلا نفر طائفة من الغزاة الى هؤلاء الغواه وآزرهم اهل الصلاح وانا أول من دعا الى هذا الامر وأجاب اليه وبذل فيه وأنفق عليه ففعلوا وما كان سواد ليلة حتى علت كلمة الحق وباد الفساد وان جرح الجور قريب الغور وان نار الطغاة سريعة الانطفاء وان كيد الشيطان ضعيف ثم أسمع الآن بهمذان من خراب واضطراب وباموالها من ذهاب وانتهاب وباسواقها من فساد وكساد وباسعارها من غلاء وباهلها من جلاء افليس فيهم رجل رشيد يجمع كلمة اهل الصلاح عجبا من تعاون المفسدين على أخذ ما ليس لهم

ومثله قول محاسن الشواء

ولما أتاني العاذلون عدمتهم * وما منهم الا للحمى قارض
وقد بهتوا لما رأوني ساهيا * وقالوا به عين فقلت وعارض

ومنه قول سعد الدين الفارقي

قف بي على نجد فان قبض الهوى * روحي فطالب خد ليلى بالدم
واذا دجا ليل الفراق فناده * يا كافرا أحللت قتل المسلم

ومثله قول شهاب الدين ابن ابي الحوف

اقول لعقد أذهل الطرف حسنه * على جيد خود وصلها كل مقصودي
أخذت نظاما راق معنى فقال لي * وما زلت في عمري أدور على الجيد

ومثله قول ابراهيم بن عبد الله الغرناطي

يا رب كأس لم تشج شمولها * فاعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من اشكالها * جلا نسبناه الى الزجاج

ومثله قول مجير الدين بن حيان الشاطبي

تؤمون الحجاز وما علمتم * بان القلب بينكم العتيق
والفاظي العذيب واضلعي المنحنى ودمعي مقلتي العقيق

ومثله قول الشريف محمد بن قاضي الجماعة بغرناطه وهو

حدائق انبتت فيها الغوادي * ضروب النور رائقة البهاء
فما يدعو بها النعمان الا * نسبناه الى ماء السماء

ومنه قول لسان الدين بن الخطيب

جلس المولى لتسليم الورى * ولفصل البرد في الجو احتكام
فاذا ما سألوا عن يومنا * قلت هذا اليوم برد وسلام

ومنه قول الشيخ شمس الدين الادفوي

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى ان تجحدا
ما زارها وشكت اليه فاقة * الا وهزلها الشمائل بالندا

ومثله في الحسن واللطف قول الشيخ موفق الدين الحكيم

لله أيامنا والشمل مجتمع * نظما به خاطر التفريق ما شعرا
والهف قلبي على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

ومنه قول عبد العزيز الآمدي

ان الذي في وجهه جنة * حفت بمكروه من العذل
مقلته في وسط قلبي غدت * ارملة تأكل بالغزل

ومنه قول القائل واجاد

وبدا الشمال عشية مذ أرعشت * دلت على ضعف النسيم بخطها
كتبت سقيما في صحيفة جدول * فبدا الغمامة صححته بنقطها

وتخاذل المسلمين عن منع مالهم واعجب من ذلك تدبيم خراسان انه والله يعزني ما اسمع فينطقني ما تسمع وقد كنت سمعت من قبل بالقفول غاردني عن تلك الديار الاموال الاخبار اني وان كنت بهذه الامصار امشي على الابصار قبولا عند السلطان ووجاهة عند العوام مقصوص جناح المسار الطير الى الاوطان كل مطار كان الم يصل رحى كل عام بكتاب ثم قطع عادة بره وأراه محا اسمي من صحيفة صدره وقد اهديت له فارقي مسلك تصلان بوصول كتابي هذا اليه وبينهما من السلام الطيب منهما عرفا وسيدنا يوصلهما اليه ويصله بهما

ومثله فى الحسن قول علاء الدين بن البطريق ناظر الجيش ببغداد

دار السراج بديعة * فيها تصاوير بمكنه
تحكى كتاب كليلة * فترى اراها وهى دمنه

ويعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى حمام

ان حمامنا التى نحن فيها * أى ماءها وأية نار
قد نزلنا فيها على ابن معين * وروينا عنه صحيح البخارى

ومن المخترعات فى هذا الباب قول الشيخ شمس الدين الواسطى يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
بعقرب يضرب وهو ساكت * وارقم ينفخ وهو خارج

ويعجبنى قوله من دوبيت

ان ضرمنى بجذوة التذكار * حبى وبرى عظمى شكرت البارى
فالعاذل فى هواه لا عقل له * ما بال عاذلى وأذكى نارى

ومنه قول القاضى علاء الدين بن الجوينى صاحب الديوان ببغداد

يا طيب مبيتنا بوادى السمر * فى بهجة ليلة بضوء القمر
وافى بفراقنا نسيم سحرا * ما أبرد ما جاء نسيم السحر

ومن الغايات فى هذا الباب قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

كم قال معاطفى حكتها الاسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
والآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

ومثله قوله

يا غاية منيتى ويا معشوقى * من بعدك لم أمل الى مخلوق
يا خير نديم كان لى يونسنى * من بعدك صليت على الراووق

ويعجبنى من نظم المواليا فى هذا الباب قول القائل

حبى ومحبوبتى مذبان يوم البين * زاروا عشا ليلة الاثنين قبل الحين
فصرت انظر الى زينه والمح زين * واقول يا قلب ما احلى ليلة الاثنين

ومثله فى اللطف قول الآخر

سمعتها وهى داخل دارها فى الصحن * تنشد رمل صحنت قلبى المعنى صحن
يا اليتها مع تغنيها وطيب اللحن * ترفع أجر ودع يدخل على اللحن

ومثله قول الآخر

قالت لها اختها قصدى يسمعنا * ما النحو قالت انها نحن باجمعنا
للرفع والنصب انا واتى ومن معنا * للجر والزوج حرف جاء لمعنى

ومنه قوله

ستى الكبيرة لها الخدام والحرمه * تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشى افشخت لونك من كمه * راحت يمين القواقيه على قرمه

اليه وبصلهما والقاضى مولاى أبو فلان لا يذكرنى الاسرا ولا يأتينى الا نزرا وهو الخاب وما يحجب والنفس وما تخدم وقد أهديت اليه فأرة مسك معها أختها من السلام اليه مولاى أبو القاسم فى سعة من العقوق بركض وان كان سيدنا يعتذر عنه بما يعلم عبده وقد اتحفته بفأرة مسك تصل اليه الفقيه فلان اذا نسيت الناس أذكره واذا طويته الجميع النشره البرقد يما وحديثا الزكى اولا وآخرا قد بعثت اليه فأرة مسك كأنما اشتقت من اخلاقه سيدى فلان

ومثله فى اللطف قول القائل

يامنيتى زدت اهوائى تنشقها * واحرمتنى الشفة الحمراء ارشفها
تحب بيضاء واجفانك تحشفها * بالله انظر طلا مائى وكشفها

ويعجبنى قول الشيخ حامد الحكالى

ثار الغرام الذى فى مجهتى خامد * وسال دمعى الذى كنت اعهده جامد
وانا ببغداد والمحبوب فى آمد * مصيبتى عظمت وانا لها حامد

وقد طال الشرح واوردت فى باب التورية من المحاسن ما يكفى قديما وحديثا وأوردت بعد ذلك ماوقع فيها من النظم عفوا وتكليفا وقد تعين على ايراد ماوعدت به فى ديباجة هذا الباب من فقه التورية والكلام على أنواعها واقسامها فان القول على اختلاف عبارات الحدود قد تقدم والكل راجع الى مقصود واحد اذ القصد من لفظ التورية أن يكون مشتركا بين معنيين أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويورى عنه بالقريب فيوهم السامع اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولهذا سمى هذا النوع ايهاما (والتورية اربعة أنواع) مجردة ومرشحة ومبينة ومهيأة

النوع الاول التورية المجردة وهى التى لم يذكر فيها لازم من لوازم المورى به وهو المعنى القريب ولا من لوازم المورى عنه وهو المعنى البعيد وأعظم امثلة هذا النوع قوله تعالى الرحمن على العرش استوى لان الاستواء على معنيين احدهما الاستقرار فى المكان وهو المعنى القريب والثانى الاستيلاء والملك وهو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد لان الحق سبحانه منزه عن المعنى الاول ولم يذكر من لوازم هذا شيأ ولا من لوازم ذاك فالتورية مجردة بهذا الاعتبار ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجه الى بدر وقد قيل له ممن انتم فلم يرد ان يعلم السائل فقال من ماء واردا انا مخلوقون من ماء فورى عنه بقبيلة من العرب يقال لها ماء ومن ذلك قول ابى بكر الصديق رضى الله عنه فى الهجرة وقد سئل عن النبى صلى الله عليه وسلم فقيل من هذا فقال هاد يهدينى اراد أبو بكر هاديا يهدينى الى الاسلام فورى عنه بهادى الطريق الذى هو الدليل فى السفر ومنه قول القاضى عياض فى سنة كان فيها شهر كانون معتدلا فازهرت فيه الارض

كأن نيسان أهدى من ملابسه * لشهر كانون أنواعا من الحلل
اوالغزالة من طول المدى خرفت * فماتفرق بين الجدى والحمل

فالتورية هنا مجردة والشاهد فى الغزالة والجدى والحمل فان الناظم لم يذكر قبل الغزالة ولا بعدها شيأ من لوازم المورى به كالاوصاف المختصة بالغزالة الوحشية من طول العنق وسرعة الالتفات وسرعة النفرة وسواد العين ولا من اوصاف المورى عنه كالاوصاف المختصة بالغزالة الشمسية من الاشراق والسمو والطلوع والغروب فان قيل ان الغزالة قد رشحت بذكر الجدى والحمل وهما مرشحان بالغزالة فالجواب ان لازم التورية من شرطه ان يكون لفظه غير مشترك والغزالة هنا مشتركة وكذلك الجدى والحمل ومنه قول القاضى محيى الدين بن زيلاق وقد اهدى لصاحب الموصل حلا

نسالتى التى نشدتها وعدتى التى ذخرتها وله فأرتا مسك وعليه قبولهما سيدى أبو فلان له من صدرى شعب فارغ ومن قلبى محل عامر وعليه السلام وله فأرتا مسك يصله بهما سيدنا سيدى أبو فلان وكريمته العمة يصحبان مثالا لعبدى ويسيان خبالا لقلبى وقد أهديت لهما فأرتى مسك وما طاب وعذب من السلام العمات مخصوصات بالسلام وقد وصلتهن بفأرتى مسك يقسم بينهن سيدى أبو فلان قد سرنى اقباله على العلم وتوسطه الادب واشتد عضدى به

يا أيها المولى الذى * يابه كل امل * لولم تكن بدر الما * أهدى لك الثور حمل

فالتورية وقعت بين البدر والثور والحمل ولم يذكر لواحد منهما لازما فالبدر مشترك بين اسم الممدوح وبدر السماء والثور مشترك بين الحيوان والبرج فى السماء وكذلك الحمل ومنه قول بعضهم من كان وكان

لوسنبله خلف ظهرو * ناظر اليها المشترى
ولو دنب مايقارن * حتى يرى الميزان

ومنه قول القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يصف واديا

وبطحاء من وادير وقك حسنه * ولاسيما ان جاد غيث مبكر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به العيش يحيى وهو لاشك جعفر

فالتورية وقعت هنا فى الفضل والربيع ويحيى وجعفر والاشتراك فى كل من الاربعة ظاهر

النوع الثانى التورية المرشحة وهى التى يذكر فيها لازم المورّى به سميت بذلك لتقويتها بذكر لازم المورّى به ثم تارة يذكر اللازم قبل لفظ التورية وتارة بعده فهى بهذا الاعتبار قسمان فالقسم الاول منها هو ما ذكر لازمه قبل لفظ التورية واعظم امثلة قوله تعالى والسماء بنيناها بايد فان قوله بايد يحتمل الجارحة وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر من لوازمه على جهة الترشيح البنيان ويحتمل القوة وعظمة الخالق وهذا المعنى البعيد المورّى عنه وهو المراد فان الله سبحانه منزه عن المعنى الاول ومنه قول يحيى بن منصور من شعراء الحماسة

فلما نأت عنا العشيرة كلها * انخنا فحالفنا السيوف على الدهر
فما أسلمتنا عند يوم كريهة * ولا نحن اغضينا الجفون على وقر

الشاهد فى الجفون فانها تحتمل جفون العين وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد تقدم لازما من لوازمه على جهة الترشيح وهو الاغضاء لانه من لوازم العين وتحتمل أن تكون جفون السيوف أى اغمادها وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم ومن الطف ما وقع فى هذا القسم قول شمس الدين الحكيم بن دانيال الكحال

ياسائلى عن حرفتى فى الورى * ومنعتى فيهم وافلاسى
ما حال من درهم انفاقه * ياخذه من اعين الناس

الشاهد هنا فى أعين الناس فانها تحتمل الحسد وضيق العين وهو المعنى القريب المورّى به وقد تقدم لازمه على جهة الترشيح وهو درهم الانفاق لانه من لوازم الحسد ويحتمل العيون التى يلاطفها بالكحل وهذا هو المعنى المورّى عنه وهو مراد الناظم الكاحل انتهى القسم الاول من التورية المرشحة والقسم الثانى منها هو ما ذكر لازمه بعد لفظ التورية ومن أمثلته اللطيفة قول الشاعر

مذهمت من وجدى فى خالها * ولم أصل منه الى اللثم
قالت قفوا واستمعوا ماجرى * خالى قد هام به عمى

الشاهد فى الخال فانه يحتمل خال النسب وهذا هو المعنى القريب المورّى به وقد ذكر لازمه بعد لفظ التورية على جهة الترشيح وهو العم ومنه قول الشاعر

والله يبقيه وله فارة مسك ولمن وراءه سترهم الله مثلها وقد خدمت مجالس سيدنا بخمس وعشرين نافجة تبتية خالصة لخاصته وأوصيت شيخى أبا نصر العطار أن يتأنق فى ابتياعها واختيارها ويحتاط فى انفاذها وايصالها وقرنت من العود الهندى الرطب بها نصف رطل ويصل بوصولها جبة حلة معينه وزوج خاتم أحدهما منقوش بلا اله الا الله والآخر بدخشانى لطيف وسيدنا يعتذر عنى الى الاخ فى تأخير ما طلب من الزبيب الطائفى فان ذلك أمر يتصل بفراغ البال وسعة الوقت واذا وجدتهما

اقلعت عن رشف الطلا * واللثم فى ثغر الحبب
وقلت هذى راحة * تسوق للقلب التعب

الشاهد هنا فى الراحة التى هى ضد التعب وقد ذكر التعب بعدها على جهة الترشيح لها وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل الراحة التى هى من أسماء الخمر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم

النوع الثالث التورية المبينة وهى ماذكر فيها لازم المورّى عنه قبل لفظ التورية أو بعده فهى بهذا الاعتبار أيضا قسمان فالقسم الاول هو ماذكر لازمه من قبل واستشهدوا عليه بقول البحترى

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح فى القلوب وتعذب

الشاهد هنا فى تملح فانه يحتمل أن يكون من الملوحة التى هى ضد العذوبة وهذا هو المعنى القريب المورّى به ويحتمل أن يكون من الملاحة التى هى عبارة عن الحسن وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد تقدم من لوازمه على جهة التبيين ملية بالحسن قلت هذا الشاهد الذى استشهدوا به من نظم البحترى فيه نظر ولكن يأتى الكلام عليه فى موضعه ومن أحسن الشواهد على هذا القسم قول الشيخ شرف الدين بن عبد العزيز شيخ شيوخ حماة رحمه الله تعالى

قالوا أما فى جلق نزهة * تنسيك من أنت به مغرى
ياعاذلى دونك من لحظه * سهما ومن عارضه سطرا (ى)

لشاهد هنا فى موضعين وهما السهم وسطرا فان المعنى البعيد هما الموضعان المشهوران عنتزهات دمشق وذكر النزهة بجلق قبلهما هو المبين لهما وأما المعنى القريب فسهم اللحظ وسطر العارض القسم الثانى من التورية المبينة هو الذى يذكر فيه لازم المورّى عنه بعد لفظ التورية ومن أمثلته البديعة قول الشاعر

أرى ذنب السرحان فى الافق ساطعا * فهل ممكن أن الغزالة تطلع

الشاهد هنا فى موضعين أحدهما ذنب السرحان فانه يحتمل أول ضوء الفجر وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بذكر لازمه بعده بقوله ساطعا ويحتمل ذنب الحيوان المعروف وهذا هو المعنى القريب المورّى به واستشهدوا على هذا القسم بقول ابن سناء الملك وهو

أما والله لولا خوف سخطك * لهان علىّ ما ألقى برهطك
ملكت الخافقين فتهت عجبا * وليس هما سوى قلبى وقرطك

الشاهد هنا فى الخافقين فانه يحتمل أن يريد قلبه وقرط محبوبه وهذا هو المعنى البعيد المورّى عنه وهو مراد الناظم وقد بينه بالنص عليه فانه صرّح بعد الخافقين بذكر القلب والقرط ويحتمل أن يريد ملك المشرق والمغرب وهذا هو المعنى القريب المورّى به

النوع الرابع التورية المهيأة وهى التى لاتقع فيها التورية ولا تتهيأ الا باللفظ الذى قبلها او باللفظ الذى بعدها أو تكون التورية فى لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية فى الآخر فالمهيأة بهذا الاعتبار ثلاثة أقسام القسم الاول من التورية المهيأة وهو الذى تتهيأ فيه

أهديت لمماثلة وقر سيدى خاله قطع عادة فضله فى اهداء السلام والكتاب المفرد وسيدنا أولى من عاتبه ليعود الى الحسنى بمكانة معتدة وقد أهديت له فارة مسك ليوسعه تذكرة ويوسعنى معذرة ولسيدنا فى الوقوف على ما كتبت به وتشريفى بالجواب رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

كتبت أطال الله بقاء الشيخ الجليل وأنا فى هباط وسباط ووجع اختلاط بزاق ممزوج بمخاط وسعال معجون بضراط فان نشط لى فى هذه الحالة فالقذر القذر وان لم ينشط فالحذر الحذر والسلام

التوريه من قبل وقد استشهدوا على ذلك بقول ابن سناء الملك يمدح الملك المظفر صاحب حماة

وسيرك فينا سيرة عمرية * فروحت عن قلب وافرجت عن كرب

واظهرت فينا من سميك سنة * فاظهرت ذاك الفرض من ذلك الندب

الشاهد هنا فى الفرض والندب وهما يحتملان أن يكونا من الاحكام الشرعية وهذا هو المعنى القريب المورى به ويحتمل أن يكون الفرض بمعنى العطاء والندب صفة الرجل السريع فى قضاء الحوائج الماضى فى الامور وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولولا ذكر السنة لما تهيأت التورية فيهما ولا فهم من الفرض والندب الحكمان الشرعيان اللذان صحت بهما التورية * القسم الثانى من التورية المهيأة وهو الذى تتهيأ فيه التورية بلفظة من بعد ومن أمثلته نثرا قول الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه فى الاشعث بن قيس انه كان يحوك الشمال باليمين فالشمال يحتمل أن يكون جمع شملة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل أن يراد بها الشمال التى هى احدى اليدين وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر اليمين بعد الشمال لما تنبه السامع لمعنى اليد ومنه نظما قول الشاعر

لولا التطير بالخلاف وأنهم * قالوا مريض لا يعود مريضا

لقضيت نحبا فى جنابك خدمة * لاكون مندوبا قضى مفروضا

فالمندوب هنا يحتمل الميت الذى يبكى عليه وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد ويحتمل أن يكون أحد الاحكام الشرعية وهو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر المفروض بعده لم يتنبه السامع لمعنى المندوب ولكنه لما ذكر تهيأت التورية بذكره ومثله قول أبى الحسين الجزار

يا عذولى دعنى من العذل ان النصح فى مذهب الهوى تعريض

مت لما أى فيها أنا مندوب فراق وحبه مفروض

الكلام على هذا الشاهد كالكلام على الذى قبله * القسم الثالث من التورية المهيأة وهو الذى تقع التورية فيه فى لفظين لولا كل منهما لما تهيأت التورية فى الآخر واستشهدوا على ذلك بقول عمر بن أبى ربيعة المخزومى وهو

أيها المنكح الثريا سهيلا * عمرك الله كيف يلتقيان

هى شامية اذا ما استقلت * وسهيل اذا استقل يمانى

الشاهد فى البيت الاول فى الثريا وسهيل فان الثريا يحتمل أن يكون أراد بها بنت على بن عبد الله بن الحرث بن امية الاصغر وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه وهو المراد والقريب ثريا السماء وهذا هو المعنى القريب المورى به وسهيل يحتمل أيضا سهيل بن عبد الرحمن بن عوف وقيل كان رجلا مشهورا من اليمن وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ويحتمل النجم المعروف بسهيل وهذا هو المعنى القريب المورى به ولولا ذكر الثريا التى هى النجم لم يتنبه السامع لسهيل وكل واحد منهما صالح للتورية والتورية هنا لا تصلح أن تكون مرشحة ولا مبينة لان الترشيح والتبيين لا يكون كل منهما الا بلازم خاص والفرق بين اللفظ الذى تتم به التورية واللفظ الذى تترشح به واللفظ الذى تتبين به أن اللفظ الذى تقع به التورية مهيأة لو لم يذكر

(وله الى نقيب نيسابور) وصلت رقعتك وشكرت فى الذب عنى فضلك ومثلك من ذب عن أحب لكن الذب أبواب ولكل امرئ جواب ولو آثرت الحلم لكان أولى بك وأحب الى واذا أبيت الا أن تعطى المروأة مرادها كان الصواب ان تحفظ تلك الابواب أولها أن تعلم انه ليس فى أبواب الذب أضعف من السب واذا تلوت قول الله عز وجل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا علمت أن سلاح خصمك أقوى والناس رجلان كريم ولئيم وكل بأن لا يسب حقيق ان الكريم لا يشكر

لما تهيأت التورية أصلا واللفظ المرشح والمبين انما هما مقويان للتورية فلو لم يذكر لكانت التورية موجودة وسبب نظم هذين البيتين أن سهيلا المذكور تزوج الثريا المذكورة وكان بينهما بون بعيد في الخلق فان الثريا كانت مشهورة في زمانها بالجمال وسهيل بالعكس وهذا مراد الناظم بقوله عمرك الله كيف يلتقيان وأيضا هي شامية الدار وسهيل يماني انتهى الكلام على التورية المهيأة وهي آخر أنواع التورية (وهنا تنبيه فيه فائدة) وهو أن مشايخ هذا العلم قالوا ليس كل لفظ مشترك بين معنيين تتصور فيه التورية كاللغات التي تدور على الالسنة وانما تتصور حيث يكون المعنيان ظاهرين الا ان احدهما اسبق الى الفهم من الآخر وقد عن لي ان اختم باب التورية بفائدة تكون مسك ختامها وبدر تمامها وهي ان بعض علماء هذا الفن قالوا ان التورية اذا جاءت بلازمين فتكافآ ولم يترجح احدهما على الآخر فكأنهما لم يذكرا وصار المعنى القريب والمعنى البعيد بذلك في درجة واحدة وتلحق هذه التورية بالمجردة وتعد فيها قسما ثانيا وتصير مجردة بهذا الاعتبار واستشهدوا على ذلك بقول الشاعر

غدوت مفكرا في سر افق * أرانا العلم من بعد الجهاله
فما واريت له شبك الدراري * الى ان أظفرته بالغزاله

وقالوا ان الشبك من لوازم الغزالة الوحشية والدراري من لوازم الغزالة الشمسية قلت أما قوله في تقريره ان اللازمين اذا تكافآ ولم يترجح أحدهما على الآخر تصير التورية كالمجردة فقريب وأما الشاهد ففيه نظر فانه صدر بقوله غدوت مفكرا في سر افق فالتفكر في سر هذا الافق الذي أراه العلم من بعد الجهالة لازم خاص يرجح جانب الغزالة الشمسية وأما الشبك فاستعارة مرشحة بالحسن للنجوم الدراري وهي ايضا مما يرشح جانب الشمس عند طلبها الذي أراد به الناظم غيابها ولو كانت الشمس مجردة من الدراري وربما كان للغزالة الوحشية بعض مقاربة وعين الشمس هنا ما تغطى على الترجيح والله اعلم واستشهدوا أيضا على هذا بقول مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى في غياهبها * راحا تسل شبابي من يد الهرم
مازلت اشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

وقالوا أيضا ان الصبح من لوازم الغزالة الشمسية والرعي من لوازم الغزالة الوحشية قلت أما الصبح فمن لوازم الغزالة الشمسية كما قالوا وأما رعي نرجس الظلم فليس من لوازم الغزالة الوحشية وانما هو استعارة مرشحة بالحسن للنجوم وهي مثل استعارة الشباك والدراري والغزالة الوحشية ليس لها هنا مرعى فانها اجنبية من رعي نرجس الظلم الذي هو عبارة عن النجوم والله اعلم وقد تقدم قولي على الشاهد الذي اوردوه للبحتري في التورية المبينة بذكر لازم المورى عنه من قبل وقلت فيه نظر وهو قوله

ووراء تسدية الوشاح ملية * بالحسن تملح في القلوب وتعذب

هذا الشاهد تعارض فيه اللازمان وتكافآ وهو اقرب الى المجردة وماذا الا ان الشاهد في قوله تملح يحتمل ان يكون من الملوحة ولازمه تعذب وهو المعنى القريب ويحتمل أن

الفضل وان النذل لا يألم العذل يبيعك منه عرضا لم يصنه ويرتع منك في عرض مصون وهل أعرض لك مسئلة الذئب في الذباب لتعلم ان اتقاءه بالكلبة خير من اتقائه بالمذبة وان ذبه بالمطلة أبلغ من ذبه بالمذبة فان كان لا بد من انتقام واستيفاء فاعيذك الله ان تجهل أن آذان الانذال في القذال وهي آذان لا تسمع الا من ألسنة النعال الا دم أو ترجمة اكف الخدم وعلامة فهمها جحوظ العينين وخدر اليدين فان تاب والا كررت هذا العتاب ووجدتك ابدك الله تعجب ان يجحد لئيم فضل صديقك

يكون من الملاحة وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه ولازمه مليئة بالحسن وقد تعارض اللازمان وهذا هو الشاهد على هذا القسم الذى اختاروه أن يكون قسما ثانيا التورية المجردة وأقرب منه قول الشيخ زين الدين بن الوردى

قالت اذا كنت تهوى * أنسى وتخشى نفورى

صف ورد خدى والا * أجور ناديت جورى

ومثله قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

حملت خاتم نبه فصا أزرقا * من كثرة اللثم الذى لم احصه

لولاه ما علم الرقيب نباله * من خاتم نقل الحديث بنصه

والاشباه والنظائر من هذا القسم كثير والغرض ان اللازمين اذا تعارضا وتكافآ فى التورية يلحق هذا القسم بالتورية المجردة انتهى الكلام على التورية وقد قدمت من نظم الجماعة الذين مشوا تحت العلمين المشهورين ماهو أشهر من الاعلام فالمتأمل اذا جمع بين طرفى هذا الباب وعرف الانواع والاقسام وضع كل شئ فى محله فانى كشفت له اللثام عن وجه التورية وأما أبيات البديعيات فقد تقدم ذكرها والله أعلم بالصواب

(ذكر المشاكلة)

(من اعتدى فبعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم)

المشاكلة فى اللغة هى المماثلة والذى تحرر فى المصطلح عند علماء هذا الفن ان المشاكلة هى ذكر الشئ بغير لفظه لوقوعه فى صحبته كقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فالجزاء عن السيئة فى الحقيقة غير سيئة والاصل وجزاء سيئة عقوبة مثلها ومثله قوله تعالى تعلم مافى نفسى ولا أعلم مافى نفسك والاصل تعلم مافى نفسى ولا أعلم ما عندك فان الحق تعالى وتقدس لا يستعمل فى حقه لفظ النفس الا أنها استعملت هنا مشاكلة لما تقدم من لفظ النفس ومنه قوله تعالى ومكروا ومكر الله والاصل أخذهم بمكرهم ومنه قوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم أى فعاقبوه فعدل عن هذا لاجل المشاكلة اللفظية وفى الحديث قوله صلى الله عليه وسلم فان الله لا يمل حتى تملوا الاصل فان الله لا يقطع عنكم فضله حتى تملوا عن مسألته فوضع لا يمل موضع لا يقطع الثواب على جهة المشاكلة وهو مما وقع فيه لفظ المشاكلة أولا ومنه قول عمرو بن كلثوم فى معلقته

الا لا يجهلن أحد علينا * فنجهل فوق جهل الجاهلينا

أى فنجازيه على جهله فجعل لفظة فنجهل موضع فنجازيه لاجل المشاكلة ومثله قول الشاعر وتلطف ماشاء

قالوا اقترح شيأ نجد لك طبخه * قلت اطبخوا لى جبة وقميصا

أراد خيطوا فذكره بلفظ اطبخوا لوقوعه فى صحبة طبخه قلت قد تقرر ان هذا النوع اعنى المشاكلة اللفظية أن يأتى المتكلم فى كلامه باسم من الاسماء المشتركة فى موضعين فتشاكل احدى المشاكلتين اللفظتين الاخرى فى الخط واللفظ ومفهومهما مختلف ومن انشادات التبريزى فى هذا الباب قول أبى سعيد المخزومى

(المشاكلة)

تخفض عليك رحمك الله ان الذى تعجب منه يسير فى جنب ما يجده الانسان ان الله تعالى خلق أقواما وشق لهم اسماعا وابصارا فغاصوا بها على عرق الذهب حتى قصدوه ولم يزالوا بالنجم حتى رصدوه واحتالوا للطائر فانزلوه من جو السماء والحوت فاخرجوه من جوف الماء ثم جحدوا مع هذه الافكار الغائصة والاذهان الناقدة صانعهم فقالوا اين وكيف حتى رأوا السيف فلم تعجب بافقسه ان جحدوا فضلا ليست الارض بساطه ولا الجبال أسماطه ولا السماء فسطاطه ولا الليل رباطه ولا النهار سراطه ولا النجوم

حدق الآجال آجال * والهوى للمرء قتال

فلفظة الآجال الاولى أسراب البقر الوحشية والثانية منتهى الاعمار وبينهما مشاكلة فى اللفظ والخط قال الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع فى كتابه المسمى بتحرير التحبير هذا الشاهد وامثاله داخل فى باب التجنيس قلت قول الشيخ زكى الدين ظاهر ليس فى صحته سقم وهذا البيت الذى أنشده التبريزى من أحسن الشواهد على الجناس التام ولو اعتمد البديعيون على المشاكلة المعنوية لخلصوا من هذا الاعتراض وعلى كل تقدير فالمعارضة تعدت حكم الالتزام فى نظم هذا النوع أعنى المشاكلة اللفظية وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على هذا النوع قوله عن النبى صلى الله عليه وسلم

يجزى اساءة باغيهم بسيئة * ولم يكن عاديا منهم على ارم

وبيت العميان

سقاهم الغيث ما اذ سقى ذهبا * فغيركفيه ان أمحلت لا تشم

وبيت الشيخ عز الدين

يجزى بسيئة الضد سيئة * معنى مشاكلة من خير منتقم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

من اعتدى فبعدوان يشاكله * لحكمة هو فيها خير منتقم

(ذكر الجمع مع التقسيم)

(جمع الاعادى بتقسيم بفرقه * فالحى للاسر والاموات للضرم)

هذا النوع أعنى الجمع مع التقسيم هو ان يجمع الناظم بين شيئين فأكثر ثم يقسم كقول أبى الطيب المتنبى

الدهر معتذر والسيف منتظر * وأرضهم لك مصطاف ومرتبع

للسبى ما نكحوا والقتل ما ولدوا * والنهب ما جمعوا والنار ما زرعوا

وقد يتقدم التقسيم ويتأخر كقول حسان بن ثابت

قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم * أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا

سجية تلك منهم غير محدثة * ان الخلائق فاعلم شرها البدع

فالاول أحسن وأوقع فى القلوب وعليه مشى أصحاب البديعيات وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

أبادهم فلبيت المال ما جمعوا * والروح للسيف والاجساد للرخم

الشيخ صفى الدين مسخ فى هذا الباب قول أبى الطيب فى بيته وبيت العميان فى بديعيتهم

والمال والماء فى كفيه قد جريا * هذا الراج وذا للعيش حين ظمى

وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

علم ومال على جمع تقسمه * هذا الغمر وهذا نفع مغترم

وبيت بديعيتى

جمع الاعادى بتقسيم يفرقه * فالحى للاسر والاموات للضرم

(الجمع مع التقسيم)

اشراطه ولا النار شباطه وآراك ابدك الله تغلو اذا وصفتنى ودونها فيصل المراد ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ العميد أبى الحسين)

ما اشبه وعد الشيخ العميد فى انخلاف الا بشجر الخلاف خضرة فى العين ولا ثمر فى اليدين فالا ينفع الموعد والا انجاز ان يعد ومثل الوعد مثل الرعد ليس لخطر ما لم يتله مطر

كان ايده الله الشيخ فى جبر تار جل فاره الافراس فى خزالباس لا يعد من الناس فلا تظن ان الانسانية ببساط قونى ولا ثوب سقلاطونى ولا تقدر أن المكارم ثوبان من عدن

(ذكر الجمع مع التفريق)

(سناه كالبرق ان أبدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم)

هذا النوع اعنى الجمع مع التفريق هو ان يجمع الشاعر بين شيئين فى حكم واحد ثم يفرق بينهما فى ذلك الحكم كقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فكأنه يقول الشمس والقمر كوكبان فهذا نهارى وهذا ليلى فجمع بينهما اذ هما كوكبان ثم فرق بان هذا يضىء نهارا وهذا يضىء ليلا فوقع الفرق فى الشىء الذى وقع به الجمع واستشهدوا على هذا النوع بقول الفخر عيسى

تشابه دمعانا غداة فراقنا * مشابهة فى قصة دون قصة

فوجنتها تكسو المدامع حمرة * ودمعى يكسو حمرة اللون وجنتى

هذا الناظم جمع بين الدمعين فى الشبه ثم فرق بينهما بان دمعها أبيض فاذا جرى على خدها صار أحمر بسبب احمرار خدها وان دمعه أحمر لانه يبكى دما وجسده من النحول أصفر فاذا جرى عليه الدمع حمره ومنه قول البحترى

ولما التقينا والنقا موعدلنا * تعجب رائى الدر منا ولاقطه

فمن لؤلؤ تجلوه عند ابتسامها * ومن لؤلؤ عند الحديث تساقطه

وبيت الصفى الحلى

سناه كالبرق يجلو كل مظلمة * والعزم كالنار يفنى كل مجترم

وبيت العميان فى تركيبه قلق حيث قالوا

فللذين كفه والبحر ما افترقا * الا بكف وبحر فى كلامهم

وبيت الشيخ عز الدين شن فيه الغارة على بيت الشيخ صفى الدين الحلى بقوله

وعزمه النار فى جمع يفرقه * ووجهه النور يجلو ظلمة الغشم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

سناه كالبرق ان ابدوا ظلام وغى * والعزم كالبرق فى تفريق جمعهم

(ذكر الاشارة)

(ومن اشارته فى الحرب كم فهم الانصار معنى به فازوا بنصرهم)

هذا النوع أعنى الاشارة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على المعنى الكثير بايماء ولمحة تدل عليه كما قيل فى صفة البلاغة هى لمحة دالة وتلخيص هذا الشرح انه اشارة المتكلم الى المعانى الكثيرة بلفظ يشبه لقلته واختصاره باشارة اليد فان المشير بيده يشير دفعة واحدة الى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج الى الفاظ كثيرة ولابد فى الاشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار لان المشير بيده ان لم يفهم المشار اليه معناه فاشارته معدودة من العبث وكان النبى صلى الله عليه وسلم سهل الاشارة كما كان سهل العبارة وهذا ضرب من البلاغة يمتدح به والاشارة قسمان قسم للسان وقسم لليد ومن شواهد الاشارة فى الكتاب العزيز قوله وغيض الماء فانه سبحانه أشار بهاتين اللفظتين الى انقطاع مادة الماء من نبع الارض

(الجمع مع التفريق)

ولا تعجبان من لبن الجهد وراء هذا الصف وقد طال مقامى وامتدت ايامى فلا تذكرة من فعل ولا معذرة من قول

(وكتب الى أبى نصر الطوسى)

كتابى عن سلامة ونعمة وأحوال على النظام جارية وشوق اليك وتواجد عليك واعتداد بك وعلق فيك واستيحاش منك وخلوص مقة لك والحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله اجمعين ولك ياسيدى أيدك الله خلال خير وخصال فضل لا يدفعك عنها أحد ولك فى أكثر المكارم لسان ويد ولا تخلو معهما من حزونة طوسية

(الاشارة)

ومطر السماء وذهاب الماء الذي كان حاصلا على وجه الارض قبل الاخبار ولو لم يكن
كذلك لما غاض الماء ومنه قوله تعالى وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين فالمح ايها المتأمل
كل ما تميل النفوس اليه من اختلاف الشهوات * وملاذ الاعين في اختلاف المرئيات *
لتعلم ان بلاغة هذا اللفظ القليل جدا * عبرت عن المعاني التي لا تنحصر عدا * ومنه قوله
تعالى فاوحى الى عبده ما أوحى ومن المنظوم قول زهير في هذا النوع

فاني لو لقيتك فاتجهنا * لكان لكل منكرة لقاء

يعني قابلت كل منكرة بمثلها ومن أمثلة هذا النوع قول امرئ القيس

بعزهم عززت فان يذلوا * فذلهم أنالك ما أنالا

فانظر كم تحت قوله أنالك ما أنالا من أنواع الذل ومثله قوله

فلا شكرن غريب نعمته * حتى أموت وفضله الفضل
أنت الشجاع اذا هم نزلوا * عند المضيق وفعلك الفعل

فالحظ كم تحت قوله وفضله الفضل بعد اخباره بانه يشكر غريب نعمته حتى يموت من أصناف المدح وترجيح فضله على الشكر وفي قوله غريب نعمته غاية المدح اذ جعل نعمته غريبة لم يقع مثلها في الوجود وكم تحت قوله وفعلك الفعل بعد اخباره بنزول القوم عند المضيق الدال على صبرهم وشجاعتهم وما في ذلك من ترجيح شجاعته عليهم ومنه قوله في صفة الفرس

على هيكل يعطيك قبل سؤاله * أفانين جري غير كز ولا واني

فانه أشار بقوله أفانين الى جمع صنوف عدو الخيل المحمودة والذي يدل على ذلك قوله قبل سؤاله فان الأفانين المحمودة كانت منه عفوا من غير طلب ولا حث وهذا كمال الوصف ولو عددت هذه المعاني بالفاظها الموضوعة لها لاحتاجت في العبارة الى الفاظ كثيرة وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته

يولي الموالين من جدوى شفاعته * ملكا كبيرا عدا ما في نفوسهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

ما تشتهي النفس يهدي في اشارته * يعطي فنونا بلا من ولا سأم

وبيت بديعيتي

ومن اشارته في الحرب كم فهم الا نصار معنى به فاز وا بنصرهم

(ذكر التوليد)

(توليد نصرتهم يبدو بطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد رملهم)

قلت هذا النوع أعني التوليد ليس تحته كبير أمر وهو على ضربين من الالفاظ والمعاني فالذي من الالفاظ تركه اولى من استعماله لانه سرقة ظاهرة وماذاك الا ان الناظم يستعذب لفظة من شعر غيره فيقتضبها او يضمنها غير معناها الاول في شعره كقول امرئ القيس في وصف الفرس

وقد اغتدي والطير في وكناتها * بمنجرد قيد الأوابد هيكل

ورجل طاوسية ولو عريت منهما لكنت الامام الذي تدعيه الشيعة وتنكره الشريعة وكنت عزمت عزم يقين ان لا كاتبك عاما عقوبة لك على اخلالك بما عودتني من خلالك ثم وجدت مرآة شوقي اليك جديدة ووطأة الفطام عنك شديدة فاستخرت الله تعالى في نقض العزيمة ولا يسعك دينا ومروءة أن لا تقدر الحظي منك وحظك مني بما وجدت اليه سبيلا فافعل ذلك قبل أن أدكم الحال بيني وبينك فارميها من عال فلا تجد الا فتاتا وقد كانت فلانا أشغالا قبلك ومهمات تصورها لك فلا

(التوليد)

فاستعذب أبو تمام قيد الاوابد فنقلها الى الغزل فقال

لها منظر قيد الاوابد لم يزل * يروح ويغدو فى خفارته الحب

والتوليد من المعانى هو الاجمل والاستر وهو الغرض ههنا وذلك ان الشاعر ينظر الى معنى من معانى من تقدمه ويكون محتاجا الى استعماله فى بيت من قصيدة فيورده ويولد منه معنى آخر كقول القطامى

قد يدرك المتأنى بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال من بعده ونقص الالفاظ وزاد تمثيلا وتوكيدا وتذييلا

عليك بالصبر فيما أنت طالبه * ان التخلق يأتى دونه الخلق

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطامى بكماله ومعنى عجزه نوع التذييل وما تقدم ذكره وهو مولد قال ابن أبى الاصبع فى تحرير التحبير أغرب ما سمعت فى التوليد قول بعض العجم

كأن عذاره فى الخد لام * ومبسمه الشهى العذب صاد

وطرة شعره ليل بهيم * فلا عجب اذا سرق الرقاد

فان هذا الشاعر ولد من تشبيه العذار باللام وتشبيه الفم بالصاد لصا وولد من معناه ومعنى تشبيه الطرة بالليل ذكر سرقة النوم فحصل فى البيت توليد واغراب وادماج وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على هذا النوع

من سبق لا يرى سوط ابها ملا * ولا جديد من الارسان والجم

بيت صفى الدين هنا غير صالح للتجريد وقد تكرر عليه هذا النقد فى كثير من الابيات فان بيته لم يظهر له معنى ان لم ينشد البيت الذى قبله وهذا العيب سماه علماء هذا الفن التضمين ويأتى الكلام عليه فى موضعه ولكن هو أقبح ما يكون فى البديعيات لان المراد من بيت البديعيات أن يكون بمجرده شاهدا على النوع المذكور وليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده وبيت صفى الدين مولد من قول أبى عبد الله بن الحجاج

خرقت صفوفهم بأقب نهد * صراح السوط متعوب العنان

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

مالى بتوليد مدحى فى سواه هدى * لمعشر شبهوا الهندى بالجلم

بيت عز الدين هنا صالح للتجريد فان ضميره عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم وأما قوله لمعشر شبهوا الهندى بالجلم فانه ذكر فى شرحه أنه ولده من قول أبى الطيب المتنبى

فالعيس أعقل من قوم رأيتهم * عما أراه من الاحسان عميانا

ثم قال فى الشرح ما شبه السيف بالمقص الا اعمى قلت ومن أين لنا ان تشبيه السيف بالجلم مولد من بيت المتنبى والفاظه ومعانيها ظاهرة للمتأمل وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

توليد نصرتهم يبدو بطلعته * ما السبعة الشهب ما توليد رملهم

معنى هذا البيت ولدته من قول أبى تمام

تألوفيها معونة ان شاء الله تعالى وكنت رسمت لفلان أن لا يخليني اسبوعا من كتاب وان استطاع ان يزيد زاد فجزاه الله عن الانسانية جزاءه وأحسن عنها عزاءه وان لم تر أهلا للمكاتبة فما وراءها عليك قياس والله المستعان ورأيك سيدى فى اسعادى بكتبك الى أن تسعدنى بقربك موفقا ان شاء الله تعالى

(وله الى الشيخ الرئيس ابى عامر عدنان بن محمد) معاذ الله لا أشفع لضارب القلب ولا أرضى له غير الصلب وأعتقد فى دار الضرب أنها دار الحرب ولكن يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبا

والنصر من شهب الأرماح لامعة * بين الخميس علا في السبعة الشهب

ولكن ذكر التوليد هنا وهو اسم النوع البديعي مع النصرة لا تخفى محاسنه على حذاق الادب فانه التوليد في التوليد وذكر الرمل هنا توليد آخر وقد جمعت في صدر هذا البيت وعجزه بين التوليد الذي هو المراد من التورية في تسمية النوع وبين التذييل بقولي بعد تتمة الفائدة ما توليد رملهم وبين مراعاة النظير بذكر التوليد والرمل والسبعة الشهب والنصرة وجمعت بين قسمي التوليد في اللفظ والمعنى والذي بينهما من توليد المحاسن الظاهرة الزائدة على بيت أبي تمام غير خاف على المتأمل المنصف والله أعلم

(ذكر الكناية)

(قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لنار ألسن تكنى عن الكرم)

الكناية هي الارداف بعينه عند علماء البيان وانما علماء البديع افردوا الارداف عنها والكناية هي أن يريد المتكلم اثبات معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء الى معنى هو ردفه في الوجود فيومئ اليه ويجعله دليلا عليه مثال ذلك قولهم طويل النجاد كثير الرماد يعنون بذلك أنه طويل القامة كثير القرى فلم يذكروا المراد بذكره الخاص به ولكن توصلوا اليه بمعنى آخر هو رديفه في الوجود ألا ترى أن القامة اذا طالت طال النجاد واذا كثر القرى كثر الرماد ومن أحسن الامثلة على هذا النوع قول الشاعر

بعيدة مهوى القرط اما لنوفل * أبوها واما عبد شمس وهاشم

أراد أن يذكر طول جيدها فأتى بتابعه وهو بعد مهوى القرط ومثله قول ليلى الاخيلية

ومخرق عنه القميص تخاله * وسط البيوت من الحياء سقيما

كنت عن الافراط في الجود بخرق القميص لجذب العفاة له عند ازدحامهم عليه لاخذ العطاء والابلغ في هذا الباب والابدع أن يكنى المتكلم عن اللفظ القبيح باللفظ الحسن والمعجز في ذلك قوله تعالى كانا يأكلان الطعام كناية عن الحدث وقوله جل جلاله وقد أفضى بعضكم الى بعض يريد بذلك ما يكون بين الزوجين وعلى الجملة لا تجد معنى من هذه المعاني في الكتاب العزيز الا بلفظ الكناية لان المعنى الفاحش متى عبر المتكلم عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيبا من جهة فحش المعنى ولهذا عاب قدامة على امرئ القيس قوله

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع * فألهيتها عن ذي تمائم محول

اذا ما بكى من خلفها انصرفت له * بشق وتحتي شقها لم يحول

قال أعني قدامة عيب هذا الشعر من جهة فحش المعنى والقرآن منزه عن ذلك ولو استعار امرؤ القيس لمعناه الفاحش لفظ الكناية لسلم من العيب وهذا القدر ينتقد على مثله وفي السنة النبوية من الكنايات ما لا يحصى كقوله صلى الله عليه وسلم لا يضع العصا عن عاتقه كناية عن الضرب أو كثرة السفر وحكى ابن المعتز أن العرب كانت تقول لمن به ابنة أنت تحت العصا وأنشد

(الكناية)

فتبينوا وما أرى يخفى على الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه أن ضرب القلب من ضربان القلب بحيث لا يتسع للرقيعة ولا يتفرغ للوقيعة ورضي من صاحب دار الضرب رأسا برأس لا ولكن هذا البائس كان يتعيش من دار الضرب عيشة أمثاله من العمال فحرم منها قوته فهدده صاحب دار الضرب بانهاء خبره ونهاه أبو الحسن أيده الله وتهيبه فأبى الا الاصرار وخاف صاحبه منه فألصق به هذه السمة ثم أنا طوع الشيخ الرئيس السيد أدام الله عزه فان رأى غير ما رأيته وولاني قبله توليته والسلام

زوجك زوج صالح * لكنه تحت العصا

ومن نخوة العرب وغيرتهم كانت كنايتهم عن حرائر النساء بالبيض وقد جاء القرآن العزيز بذلك فقال سبحانه كأنهن بيض مكنون وقال امرؤ القيس في معلقته

وبيضة خدر لا يرام خباؤها * تمتعت من لهو بها غير معجل

أي بيضة خدر يعني امرأة كالبيضة في صيانتها لا يرام خباؤها لعزتها ومن لطائف الكنايات قول بعض العرب

ألا يا نخلة من ذات عرق * عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبروني * هناً ذاك تكرهه الكرام

وليس بما أحل الله بأس * اذا هو لم يخالطه الحرام

فان هذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة وبالهناة عن الرفث فان العرب كانت تكنى بها عن مثل ذلك وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن ألطف الكنايات وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته عن الكناية قوله

كل طويل نجاد السيف يطربه * وقع الصوارم كالأوتار والنغم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

داع كثير رماد القدر ان وصفت * كناية بطنها والظهر بالدسم

قول الشيخ عز الدين كثير رماد القدر معلوم أنه أراد بذلك الكرم وأما تتمة البيت فالدسم الظاهر من القدر في ظاهرها تعافه النفس ولفظة الدسم سافلة بعيدة عن حشمة الالفاظ وبيت بديعيتي

قالوا طويل نجاد السيف قلت وكم * لناره السن تكنى عن الكرم

تقدم القول ان الناس كنوا بطول النجاد عن طول القامة وبكثرة الرماد عن كثرة القرى ولكن الكناية بألسن النار عن كثرة الكرم والقرى لا تخفى استعارتها التي كادت تقوم مقام الحقيقة من المحاسن الظاهرة والله أعلم بالصواب

(ذكر الجمع)

(آدابه وعطاياه ورأفته * محببة ضمن جمع فيه ملتئم)

هذا النوع اعني الجمع هو أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر في حكم واحد كقوله تعالى المال والبنون زينة الحياة الدنيا جمع سبحانه وتعالى المال والبنون في الزينة ومنه قوله تعالى الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان فجمع بين الشمس والقمر في الحسبان وجمع بين النجم والشجر في السجود ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أصبح آمنا في سربه معافا في بدنه وروى في جسده عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها فجمع الامن ومعافاة البدن وقوت اليوم في حوز الدنيا بحذافيرها وهي النواحي والواحد حذفار ومنه قول الشاعر

ان الشباب والفراغ والجدة * مفسدة للمرء أي مفسدة

فجمع بين الشباب والفراغ والجدة في المفسدة وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الجمع

(وكتب اليه أيضا) لم يكن اطال الله بقاء الشيخ الرئيس السيد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم للانصار والمهاجرين ما في وقتنا هذا للمؤاجرين وما جاز لعلية الاصحاب ما يجوز الآن لازواج القحاب وقد نبغت نابغة ونجمت زنابغة لا يرد رؤسهم شيء فاوشاء الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه أراحني منهم واغناني عنهم وقد كثر ترددا أصحابي الى فلان فابعيرهم الأذن أصماء أونابا أصم وانما يتولى حارها من تولى قارها ومن لم يتول منافعها لم يتول مضارها وان كان لابد من صاحب يثقل فعل غيري

(الجمع)

قوله

آراؤه وعطاياه ونقمته * وعفوه رحمة للناس كلهم

وبيت العميان في بديعيتهم

قد أحرزنا السبق والاحسان في نسق * والعلم والحلم قبل الدرك للعلم

وبيت الشيخ عز الدين

للفصل والفضل والالطاف منه يرى * والعلم والحلم جمع غير منخرم

قلت حشو لفظة يرى في بيت الموصلي اذهب طلاوة الانسجام وبيت بديعيتي

آدابه وعطاياه ورأفته * سجية ضمن جمع فيه ملتئم

(ذكر السلب والايجاب)

(ايجابه بالعطايا ليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم)*

هذا النوع أعني السلب والايجاب ذكر ابن أبي الاصبع في تحرير التحبير انه من مستخرجاته ولكن رأيت لابي هلال العسكري تقريرا حسنا على هذا النوع وهو ان يبني المتكلم كلامه على نفي شئ من جهة واثباته من جهة أخرى والذي قرره ابن أبي الاصبع هو أن يقصد المادح افراد ممدوحه بصفة لا يشركه فيها غيره فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس ويثبتها للممدوح بعد ذلك كقول الخنساء في أخيها

وما بلغت كف امرئ متطاولا * من المجد الا والذي نلت أطول

ولا يبلغ المهدون للناس مدحة * وان أطنبوا الا الذي فيك أفضل

قال الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع ويروى متناولا ونصبها على انها مفعول به وما ههنا ابلغ وعلى هذه الرواية رسمنا هذا الشاهد وأخذ أبو نواس معنى البيت الثاني ولكن لم يتمكن منه الا في بيتين ومع ذلك قصر عنه تقصيرا زائدا فقال

اذا نحن أثنينا عليك بصالح * فانت كما نثني وفوق الذي نثني

وان جرت الالفاظ منا بمدحة * لغيرك انسانا فانت الذي نعني

هذا كله عين كلام الخنساء ولكن فانه وان أطنبوا في بيت الخنساء وقولها وما بلغ المهدون وكل هذه المبالغات قصر عنها أبو نواس والفرق بين وأنت الذي نعني وبين الذي فيك افضل ظاهر وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما ومنه قول امرئ القيس

هضيم الحشا لا يملأ الكف خصرها * ويملأ منها كل حجل ودملج

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع

أعز لا يمنع الراجين ما طلبوا * ويمنع الجار من ضيم ومن حرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

لم ينف ذما بايجاب المديح فتى * الا وعاقدت فيه الدهر بالسلم

وبيت بديعيتي

ايجابه بالعطايا ليس يسلبه * ويسلب المن منه سلب محتشم

(ذكر

(السلب والايجاب)

من الناس على هذا القياس ان شاء الله تعالى

(وكتب الى الشيخ أبي الحسن أحمد بن فارس جوابا عن كتاب كان ورد عليه منه يذم الزمان فيه ولا يشكره) نعم أطال الله بقاء الشيخ الامام انه الحمأ المسنون وان ظنت الظنون والناس بنسبون لآدم وان كان العهد قد تقادم وتركبت الاضداد واختلط الميلاد والشيخ الامام يقول فسد الزمان أفلا يقول متى كان صالحا أفي الدولة العباسية فقد رأينا آخرها وسمعنا أولها ام المدة المروانية وفي اخبارها لاتكسع الشول باغبارها أم السنين الحربية

(ذكر التقسيم)

(هدا ، تقسيم حالى به صلحت * حيا وميتا ومبعوثا مع الامم)

التقسيم أول أبواب قدامة وهو فى اللغة مصدر قسمت الشئ اذا جزأته وفى الاصطلاح اختلفت فيه العبارات والكل راجع الى مقصود واحد وهو ذكر متعدد ثم اضافة ما لكل اليه على التعيين ليخرج اللف والنشر هذه عبارة صاحب التلخيص وذكر بعضها فى الايضاح وقال السكاكى هو أن يذكر المتكلم شيأ ذا جزأين او أكثر ثم يضيف الى كل واحد من اجزائه ما هو له عنده ومنهم من قال هو أن يريد المتكلم متعددا أو ما هو فى حكم المتعدد ثم يذكر لكل واحد من المتعددات حكمه على التعيين ويعجبنى بلاغة زكى الدين بن أبى الاصبع فانه قال التقسيم عبارة عن استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذى هو آخذ فيه ومثل ذلك قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا ليس فى رؤية البرق غير الخوف من الصواعق والطمع فى الامطار ولا ثالث لهذين القسمين ومن لطيف ما وقع فى هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع اذ كانت الصواعق لا يحصل فيها المطر فى أول برقة ولا يحصل الا بعد تواتر البرقات فان تواترها لا يكاد يكذب ولهذا كانت العرب تعد سبعين برقة ثم تنتجع فلا تخطئ الغيث والكلأ والى هذا المعنى أشار المتنبى بقوله

وقد أرد المياه بغير هاد * سوى عدى لها برق الغمام

فلما كان الامر المخوف من البرق يقع فى أول برقة أتى ذكر الخوف فى الآية الكريمة أولا ولما كان الامر المطمع انما يقع من البرق بعد الامر المخوف أتى ذكر الطمع فى الآية الكريمة ثانيا ليكون الطمع ناسخا للخوف لمجئ الفرج بعد الشدة ومنه قوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم فاستوفت الآية الكريمة جميع الهيآت الممكنات ومنه قوله تعالى ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله فاستوفت الآية الكريمة جميع الاقسام التى يمكن وجودها فان العالم جميعه لا يخلو من هذه الاقسام الثلاثة ومنه قوله تعالى له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك فالآية الشريفة جامعة لاقسام الزمان الثلاثة ولا رابع لها والمراد الحال والماضى والمستقبل فله ما بين أيدينا المراد به المستقبل وما خلفنا المراد به الماضى وما بين ذلك الحال وفى الحديث النبوى قوله صلى الله عليه وسلم مالك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من أقام الصلاة كان مسلما ومن آتى الزكاة كان محسنا ومن شهد أن لا اله الا الله كان مخلصا فانه صلوات الله عليه استوعب الوصف الذى من الدرجات العليا والوسطى والسفلى ومنه قول على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنعم على من شئت تكن أميره واستغن عمن شئت تكن نظيره واحتج الى من شئت تكن أسيره فانه استوعب أقسام الدرجات وأقسام أحوال الانسان بين الفضل والكفاف والنقص ويحكى ان بعض وفود العرب قدم على عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه وكان فيهم شاب فقام وتقدم فى المجلس وقال يا أمير المؤمنين أصابتنا سنون سنة أذابت الشحم وسنة أكلت اللحم وسنة أنقت العظم وفى أيديكم فضول أموال فان كانت لنا فلا تمنعونا

(التقسيم)

والرمح يركز فى الكلى
والسيف يغمد فى الطلى
وميت يجر فى الفلا والحرتاذ
وكربلا ام البيعة الهاشمية
وعلى يقول لبت العشرة
منكم براس من بنى فراس
ام الايام الاموية والنفير الى
الحجاز والعيون الى الاعجاز
ام الامارات العدوية
وصاحبها يقول وهل بعد
البزول الا النزول أم الخلافة
التيمية وهو صاحبها يقول
طوبى لمن مات فى نأنأة
الاسلام أم على عهد
الرسالة ويوم الفتح قيل
اسكتى يا فلانة فقد ذهبت
الامانة أم فى الجاهلية
ولبيد يقول

وان كانت لله ذخرقوها على عباده وان كانت لكم فتصدقوا ان الله يجزى المتصدقين فقال عمر بن عبد العزيز ما تركنا الاعرابى فى واحدة عذرا ووقف اعرابى على حلقة الحسن البصرى فقال رحم الله من تصدق من فضل أو واسى من كفاف او آثر من قوت قال الحسن ما ترك الاعرابى فى واحدة عذرا ومن النظم قول زهير بن أبى سلمى فى معلقته

واعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عم

ونقل أبو نواس جد زهير الى الهزل فقال

أمر غد انت منه فى لبس * وامس قد فات فاله عن امس
فانما الشان شأن يومك ذا * فباكر الشمس بابنة الشمس

وقال ابن حيوس واجاد فى تقسيمه

ثمانية لم يفترقن جميعها * فلا افترقت ماذب عن ناظر شفر
ضميرك والتقوى وكفك والندى * ولفظك والمعنى وسيفك والنصر

ومنه قول الشيخ شرف الدين عمر بن الفارض قدس الله روحه

يقولون لى صفها فانت بوصفها * خبير أجل عندى باوصافها علم
صفاء ولا ماء ولطف ولا هوا * ونور ولا نار وروح ولا جسم

وأنشد سيبويه بيتا بديعا على هذا الباب وهو قوله

فقال فريق القوم لا وفريقهم * نعم وفريق أيمن الله ما ندرى

ويعجبنى قول الحماسى فى هذا الباب

وهبها كشئ لم يكن او كنازح * عن الدار أو من غيبته المقابر

ويعجبنى قول أبى تمام فى مجوسى احرق بالنار

صلى لها حيا وكان وقودها * ميتا ويدخلها مع الفجار

ومنه قول عمرو بن الاهتم

اشربا ما شربتما فهذيل * من قتيل أو هارب او أسير

وبيت صفى الدين الحلى ماخوذ من قول عمرو بن الاهتم

افنى جيوش العدا غزوا فلست ترى * سوى قتيل ومأسور ومنهزم

وبيت العميان فى بديعيتهم

غيثان أما الذى من فيض أنمله * فدائم والذى المزن لم يدم

وبيت الشيخ عز الدين

تقسيمه الدهر يوما أمسه كغد * فى الحلم والجود والايفاء الذمم

قلت قد تقدم شرح هذا النوع وتقرران الاثنين فى التقسيم لا يمكن ان يكون لهما ثالث والثلاثة لا يجوز ان يكون لها رابع وقد تقدم فى الاثنين قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وليس فى رؤية البرق الا الخوف من الصواعق والطمع فى المطر وتقدم فى تقسيم الثلاثة قول النبى صلى الله عليه وسلم ليس لك من مالك الا ما أكلت فافنيت أو لبست فابليت أو تصدقت فابقيت ولا رابع لهذه الثلاثة ورايت باب الزيادة فى بيت الشيخ عز الدين مفتوحا

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم
وبقيت فى خلف كجلد الاجرب
أم قبل ذلك واخو عاد يقول
بلاد بها كانوا وكانوا بها
اذ الناس ناس والزمان زمان
أم قبل ذلك وروى عن آدم
عليه السلام
تغيرت البلاد ومن عليها
ووجه الارض مغبر قبيح
ام قبل ذلك وقد قالت
الملائكة أتجعل فيها من
يفسد فيها ويسفك الدماء
وما فسد الناس وانما اطرد
القياس ولا اظلمت الايام
وانما امتد الظلام وهل
يفسد الشئ الا عن صلاح
ويمسى المرء الا عن صباح
ولعمرى لئن كان كرم العهد

ذاته

فانه يحتمل الحلم والجود وايفاء لدم والشجاعة والصبر والقناعة والدين وهلم جرا وتقدم ان بيت صفي الدين الحلي ماخوذ من بيت عمرو بن الاهتم

اشرب ماشربت فانه ذيل * من قتيل أو هارب او أسير

فهذه الثلاثة لا تحتمل رابعا وكذلك بيت صفي الدين فانه ماخوذ من هذا وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

هداه تقسيمه حالي به صلحت * حيا وميتا ومبعوثا مع الامم

وهذه الثلاثة أيضا لا يمكن ان يكون لها رابع وهذا النوع ليس في تحصيله على واضعه مشقة زائدة على حذاق الادب لاسيما مثل الشيخ عز الدين والذي أقوله انه لم تضق عليه المسالك لا بالتزام التورية في تسمية النوع والله أعلم

(ذكر الايجاز)

(أوجز وسل أول الايات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم)

هذا النوع أعني الايجاز اعتنت به فصحاء العرب و بلغاؤها كثيرا فانهم كانوا اذا قصدوا الايجاز توا بالفاظ استغنوا بواحدها عن الفاظ كثيرة كأدوات الاستفهام والشروط وغير ذلك فقولك أين زيد مغن عن قولك أزيد في الدار أم في المسجد الى ان تستقري جميع الاماكن وقولك من يقم أقم معه مغن عن ان يقم زيد أو عمرو أقم معه وما بالدار من أحد مغن عن قولك ليس فيها زيد ولا عمرو فغالب كلام العرب مبني على الايجاز والاختصار واداء المقصود من الكلام باقل عبارة وهذا النوع على ضربين ايجاز قصر وايجاز حذف فايجاز القصر اختصار الالفاظ وهو كقوله تعالى ولكم في القصاص حياة فهذا اللفظ الوجيز المعجز المختصر غاية في الايجاز والايضاح والاشارة والكناية والطباق وحسن البيان والابداع ومنه قوله تعالى ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وعظ في ذلك بالطف موعظة وذكر بالطف تذكرة واستوعب جميع أقسام المعروف والمنكر واتى بالطباق اللفظي والمعنوي وحسن النسق والتسهيم وحسن البيان والايجاز وائتلاف اللفظ ومعناه والمساواة وصحة المقابلة وتمكين الفاصلة ومن ذلك قول الشاعر

يا أيها المتحلي دون شيمته * ان التخلق يأتي دونه الخلق

وايجاز الحذف عبارة عن حذف بعض لفظه لدلالة الباقي عليه كقوله تعالى واسال القرية التي كانوا فيها وكقول الشاعر

ورأيت زوجك في الوغى * متقلدا سيفا ورمحا

أي ومعتقلا رمحا ومثله قول الشاعر

علفتها تبنا وماء باردا

أي وسقيتها ماء باردا وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على الايجاز

واستخدم الموت ينهاه ويأمره * بعزم مغتنم في زي مغترم

تقديره بعزم رجل مغتنم ومثله في زي مغترم ولكنه ماتحته في بلاغة الايجاز كبير أمر

(الايجاز)

كما بارد وجوابا يصدر انه لقريب المنال واني على تو بعضه لي لفقير الى لقائه شفيق على بقائه منتسب الى ولائه شاكرا لآلائه لا أحول عريدا عن أمره ولا أقف بعيدا عن قلبه ما نسيته ولا أنساه ان له أيده الله على كل نعمة خولنيها الله نارا وعلى كل كلمة علمنيها منارا ولو عرفت لكتابي موقعا من قلبه لاغتنمت خدمته به ولرددت اليه سؤر كاسه وفضل أنفاسه ولكني خشيت ان يقول هذه بضاعتنا ردت الينا وله أيده الله العتبى والمودة في القربى والمرباع وما نال له الباع وما ضمه الجلد وضمنه المشط

والعميان ماانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وقول الشيخ عز الدين

وسل زمانك تلف الكتب راوية * ايجاز معنى طويل الذكر مرتسم

الشيخ عز الدين ايجازه وسل زمانك أى أهل زمانك واما بقية البيت فلا أفهم له معنى فان البيت الذى قبله متعلق بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ماش فى أثر الابيات التى قبله واما رواية الكتب لايجاز هذا المعنى الطويل المرتسم فانه نوع من المعميات والله أعلم واما بيت بديعيتى فهو قولى عن النبى صلى الله عليه وسلم

أوجز وسل اول الابيات عن مدح * فيه وسل مكة يا قاصد الحرم

الضمير فى لفظة فيه عائد الى النبى صلى الله عليه وسلم والايجاز البديع البليغ الغريب فى قولى وسل أول الابيات فانه اشارة الى اول بيت وضع للناس والايجاز الثانى فى قولى وسل مكة أى وسل أهل مكة فهذا البيت المبارك فيه ايجازان بليغان وفيه التورية بتسمية النوع وفيه المناسبة البديعية بين مكة والبيت والحرم ومراعاة النظير ايضا بين الايجاز والمدح والابيات وفى الابيات تورية أخرى ونوع التمكين فى القافية ظاهر

(ذكر المشاركة)

(بالجرساد فلاندّ يشاركه * بحر الكتاب المبين الواضح اللقم)

هذا النوع اعنى الاشتراك جعله ابن رشيق وابن أبى الاصبع ثلاثة أقسام قسمان منها من العيوب والسرقات وقسم من المحاسن وهو ان يأتى الناظم فى بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا اوفرعيا فيسبق ذهن سامعها الى المعنى الذى لم يرده الناظم فيأتى فى آخر البيت بما يؤكد ان المقصود غير ماتوهمه السامع كقول كثير عزة

وأنت الذى حببت كل قصيرة * الىّ ولم تعلم بذاك القصائر

عنيت قصيرات الحجال ولم أرد * قصار الخطا شر النساء البحاتر

فانه أثبت فى البيت الثانى ما أزال به وهم السامع من انه أراد القصار مطلقا وقد يلتبس الاشتراك بالتوهيم على من لا يحققه والفرق بينهما ان الاشتراك لا يكون الا باللفظة المشتركة والتوهيم يكون بها وبغيرها من تحريف أو تصحيف او تذييل والفرق بينه وبين الايضاح ان الايضاح فى المعانى خاصة لاتعلق له بالالفاظ وهذا نوع اشتراك اللفظة وبيت الشيخ صفى الدين على هذا النوع قوله

شيب المفارق يروى الضرب من دمهم * ذوائب البيض بيض الهند لا اللمم

هذا البيت الاشتراك فيه بين البيض فلولا بيض الهند التى ترشح بها جانب السيوف بذكر الهند لسبق ذهن السامع الى انه أراد الذوائب البيض ولكن بيت الشيخ صفى الدين لم يخل من بعض عقادة والعميان ماانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

والغزالة تسليم به اشتركت * مع التى هى ترعى نرجس الظلم

هذا البيت يصلح ان يعد من باب الاشارة فى الجناس المعنوى فان الشيخ عز الدين أضمر احد الركنين واظهر الآخر وهذا حد جناس الاشارة من المعنوى فانه ذكر الغزالة فى أول

البيت

(المشاركة)

وليست وضاى ولكنها جل
ما املك واثنتان ايده الله
قلما تجتمعان الخراسانية
والانسانية وانا وان لم اكن
خراسانى الطينه فانى
خراسانى المدينه والمرء من
حيث يوجد لا من حيث
يولد والانسان من حيث
يثبت لا من حيث ينبت فاذا
انضاف الى خراسان ولادة
همذان ارتفع القلم وسقط
التكليف فالجرح جبار
والجانى حمار ولا جنة ولا نار
فليحتملنى الشيخ على هنانى
...س صاحبنا يقول
...تلى على ركاكة عقلى
ان تيقنت انى همذانى
...ولها الى القاضى أبى الحسين
...لى بن على) انا أمت الى

البيت وأضمر الغزالة الشمسية في الشطر الثاني وهذا النوع تقدم تقريره ولو صرح الشيخ عز الدين في الشطر الثاني بلفظة الغزالة وذكر معها الاشراق والنور بحيث يزيل وهم السامع أن المراد الغزالة الوحشية ويتحقق ان المراد الغزالة الشمسية أو بالعكس كان نوع الاشتراك في بيته خالصا مما فيه من النظر وهو ان كلا من الغزالتين سلم على النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه أظهر لفظ الغزالة الثانية فتعين انه صار جناسا معنويا ولعمري انه احسن من بيته الذي استشهد فيه على الجناس المعنوي في أول بديعيته

وكافر نعم الاحسان في عذل * كظلمة الليل عن ذا المعنوي عمي

فانه أظهر في أول البيت لفظة كافر والليل يسمى كافرا فاضمر لفظة كافر الذي هو الليل وتالله ان بيته الذي نظمه شاهدا على نوع الاشتراك يستحق الجناس المعنوي اسقفا فاذوقيا وهو اسجم من هذا البيت وارق المعنى وأوقع في الاسماع وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بالجرساد فلا ند يشاركه * بجر الكتاب المبين الواضح اللقم

هذا البيت يجب ان يعقد عليه في هذا النوع ولا يخفى على أهل الذوق السليم ما في تركيبه والعميان ما نظموه في بديعيتهم وبيت عز الدين تقرر ان الجناس المعنوي احق به واشتراك بيتي في لفظة الجر فاني قلت في أول بيتي بالجرساد وهذه اللفظة مشتركة بين العقل وسورة الحجر فلما قلت في الشطر الثاني بحجر الكتاب المبين زال الالتباس عن السامع وعلم المراد وترشح عنده جانب السورة المنزلة على الممدوح فيه صلى الله عليه وسلم

(ذكر التصريع)

(تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم)

هذا النوع أعني التصريع هو عبارة عن استواء آخر جزء في صدر البيت وآخر جزء في عجزه في الوزن والروي والاعراب وهو أليق ما يكون بمطالع القصائد وفي وسطها ربما تمجه الاذواق والاسماع وهذا وقع في معلقة امرئ القيس فانه صرع المطلع بقوله

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

وقال في اثناء هذه القصيدة

الا ايها الليل الطويل الا انجلي * بصبح وما الاصباح منك بامثل

قلت وعلى كل تقدير ليس في نوع التصريع كبير امر حتى يعد من أنواع البديع ولكن القوم كلما تغالوا في الرخص رغبوا في الكثرة وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

لا قاهم بكماة عند كرهم * على الجسوم دروع من قلوبهم

والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

لا زال بالعزمات الغر والهمم * يصرع الضد بالتشطير في القمم

وبيت بديعيتي أشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم

تصريع أبواب عدن يوم بعثهم * يلقاه بالفتح قبل الناس كلهم

انظر أيها المتأمل المنصف الى بديع التورية وترشيحها عند ذكر الابواب بالفتح هو فتوح

القاضي اطال الله بقاءه بقرابة ان لم يكن عربيا فابي وأبوه اسمعيل وعمي وجمه اسرائيل فان لم تجمعنا هذه الرحم فبآدم عليه السلام نلتحم وأدل عليه بذمة جوار هو خراساني وأنا عراقي وليس بين الدارين الا مسيرة شهرين وعبور نهرين وقد رافقته في الدر وصاحبته في المستودع والمستقر وعاشرته في الجنود وشاركته في الخلود ولا بعد ان أشرق ويغرب بتجديد العهد ويطوى المعرفة وادنى هذه الوسائل بلغة السائل انه ليست الوسيلة جلاله ساما ان ولا هو جانبه غلامان ولا شابا يجلب من

(التصريع)

في هذا الباب مع سهولة التركيب وحسن الانسجام وتمكين القافية

(ذكر الاعتراض)

(فلا اعتراض علينا في محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم)

هذا النوع اعني الاعتراض هو عبارة عن جملة تعترض بين الكلامين تفيد زيادة في معنى غرض المتكلم ومنهم من سماه الحشو وقالوا في المقبول منه حشو اللوزنيج وليس بصحيح والفرق بينهما ظاهر وهو ان الاعتراض يفيد زيادة في غرض المتكلم والناظم والحشو انما يأتي لاقامة الوزن لا غير وفي الاعتراض من المحاسن المكملة للمعاني المقصودة ما تميز به على أنواع كثيرة ومن معجزه في القرآن فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة ومنه قوله تعالى فلا أقسم بمواقع النجوم وانه لقسم لو تعلمون عظيم ومن الشواهد الشعرية قول بعضهم

ان الثمانين وبلغتها * قد أحوجت سمعي الى ترجمان

فقوله وبلغتها من الاعتراضات التي زادت المعنى فائدة في غرض الشاعر وهو الدعاء للمخاطب وامثلته كثيرة وبيت الشيخ صفي الدين الحلي يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فان من انقذ الرحمن دعوته * وانت ذالك به الجار لم يضم

فقوله وانت ذالك هو الاعتراض بعينه فانه زاد المعنى فائدة وسماه قدامة التفاتا وهو قريب والعميان ما نظموه وبيت الشيخ عز الدين

ولا اعتراض علينا في السؤال به * أعني الرسول لكي نجو من الضرم

فقول الشيخ عز الدين أعني الرسول هو الاعتراض الذي أراده وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

فلا اعتراض علينا في محبته * وهو الشفيع ومن يرجوه يعتصم

فقولي بين الكلامين هو الشفيع هو الاعتراض البديع المتمكن فان في قول عز الدين أعني الرسول ركة تدل على ضعف التركيب وكذلك قول الشاعر في مخلص مديحه أعني فلانا يدل على ضعف رويته وقلة تصرفه فانهم عدوا ذلك من الخالص الواهية ولم يجنح اليه الاعلام أهل الادب ومثل الشيخ عز الدين ينتقد عليه ذلك والله أعلم

(ذكر الرجوع)

(وما لنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم)

هذا النوع أعني الرجوع ذكره ابن المعتز وأبو هلال العسكري وسماه بعضهم استدراكا واعتراضا وليس بصحيح قال القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص والايضاح هو العود على الكلام السابق بالنقض لنكتة كقول زهير

قف بالديار التي لم يعفها القدم * بلى وغيرها الارواح والديم

والنكتة فيه كأنه لما وقف بالديار عرته روعة ذهل بها عن رؤية ما حصل لها من التغير فقال لم يعفها القدم ثم رجع الى عقله وتحقق ما هي عليه من الدروس فقال بلى عفت وعليه بيت الحماسة

(الاعتراض)

الصر فيعلق في الصر انما هي العشرية والبادية والجوار والعصبية وانا قد أخذنا بحمد الله من كل بحظ ولي مع الشيخ أبي نصر دوس قصة في ضيعة كرمه بالاحسان فيها زعيم وربما ارتقت الى القاضي أيده الله وبعض الظن اثم ولكن بعض الاثم حزم وبلغني ان القاضي أيده الله يريد ان يعجل فاريد ان لا يعجل حتى أحضر فينظر كيف الخصومة وانظر كيف الحكومة فالحكم رأيه سعيد وهو رأس أسعد الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد والسلام

(الرجوع)

ألبس قليلا نظرة ان نظرتها * اليك وكل ليس منك قليل

ويعجبني هنا قول ابي البيداء

ومالي انتصار ان غدا الدهر جائرا * علي بلى ان كان من عندك النصر

وأما من سمى هذا النوع استدراكا واعتراضا فتسميته غير صحيحة والذي أقول ان هذا الرجوع لافرق فيه بين السلب والايجاب وقد تقدم قول ابي هلال العسكري ان السلب والايجاب هو أن يبني المتكلم كلامه على نفي شيء من جهة واثباته من جهة أخرى وقال القاضي جلال الدين الرجوع هو العود على الكلام السابق بالنقض وكل من التقريرين لائق بالنوعين وللمتأمل أن ينظر في ذلك ليحسن ذوقه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

أطلتها ضمن تقصيري فقام بها * عذري وهيهات ان العذر لم يقم

وبيت العميان

فلو ابيد رفضوا اغرب شانئهم * به وما قل جمع بالرسول حمي

وبيت الشيخ عز الدين

رمت الرجوع عن الامداح أنظمها * سوى مديح سديد القول محترم

قلت ليس في بيت الشيخ عز الدين رجوع الا عن حشمة الالفاظ ونخامتها في مديح النبي صلى الله عليه وسلم فان قوله سديد القول دون من أنزل الله القرآن في أوصافه ويعجبني قول ابن نباتة في لاميته

ماذا عسى الشعراء اليوم مادحة * من بعد ما مدحت حم تنزيل

وأيضا فانه كان يجب على الشيخ عز الدين أن يقول في النوع البديعي الذي هو الرجوع رجعت عن الامداح حتى يصح النقض في الشطر الثاني وانما قال رمت كأنه يرى أن يرجع وعلى الجملة فالبيت قاصر من كل وجه وبيت بديعيتي أشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم بقولي

وما لنا من رجوع عن حماه بلى * لنا رجوع عن الاوطان والحشم

هذا البيت لم يحتج الى اطلاق عنان القلم في ميادين الطروس بوصف ما فيه من المحاسن اذ في مدح أهل الذوق من علماء هذا الفن ما يغني عن ذلك والله أعلم

(ذكر الترتيب)

(ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر في الاكم)

هذا النوع أعني الترتيب من استخراجات التيفاشي ذكره في كتابه وسماه بهذا الاسم وقال هو أن يجمع الشاعر الى أوصاف شتى في موضوع واحد أو في بيت وما بعده على الترتيب ويكون ترتيبها في الخلقة الطبيعية ولا يدخل الناظم فيها وصفا زائدا عما يوجد عليه في الذهن أو في العيان كقول مسلم بن الوليد

هيفاء في فرعها ليل على قمر * على قضيب على حقف النقا الدهس

فان الاوصاف الاربعة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل وبيت صفي الدين الحلي

كالنار منه رياح الموت ان عصفت * روى صرى مائه أرض الوغى بدم

ولهُ أيضا الى الشيخ الرئيس أبي عامر عدنان بن محمد

اشهد لو خير الشيخ الرئيس أطال الله بقاءه لما اختار فوق ما اختير له لما في الغيب أكثر مما في الجيب ولما بقي أحسن مما لقي هذا الامير عمدة الدولة أبو اسحق ملك العراقين بالامس وأشهر بهما من الشمس ما أظن الله تعالى أخر مدته الا ليصدر شدته وزاد الا هيبته اليوم سوددا وذلك مجد يملأ العين واليدا لك اليوم أسباب السموات مظهر وما اليوم مما أنت بالغه غدا عمدة الدولة أخو عز الدولة ابن معز الدولة ابن أخي عماد الدولة وركن الدولة وابن عم عضد الدولة ومؤيد الدولة وفخر الدولة وعز الملوك الغلب والجبال الشمخ والنجوم المثل والبحور الطفح شراب من ذاقه

الترتيب

ترتيب بيت صفي الدين على العناصر الاربعة وهي الماء والنار والهواء والتراب والعميان
ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين

له الملائك والانسان أجمعهم * والجن والوحش في الترتيب كالخدم

هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين في شرحه أنه على ترتيب المخلوقات الملائك والانس والجن والوحش ولكن وضع هذا الترتيب غير منتظم على ما قرره التيفاشي وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

ترتب الحيوانات السلام له * والنبت حتى جماد الصخر في الاكم

معلوم ان الموجودات ثلاثة وهي حيوان ونبات وجماد والثلاثة على ترتيب خلقة الانسان من الاعلى الى الاسفل فاذا قلنا جسم نام خرج الجماد لانه لا ينمو واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته خرج النبات واذا قلنا جسم نام متحرك بارادته ناطق خرج باقي الحيوان وبقي الانسان وهذا حده والله أعلم بالصواب

(ذكر الاشتقاق)

(محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم)

هذا النوع أعني الاشتقاق استخرجه الامام أبو هلال العسكري وذكره في آخر أنواع البديع من كتابه المعروف بالصناعتين وعرّفه بأن قال هو أن يشتق المتكلم من الاسم العلم معنى في غرض يقصده من مدح أو هجاء أو غيره كقول ابن دريد في نفطويه

لو أوحي النحو الى نفطويه * ما كان هذا العلم يعزى اليه
أحرقه الله بنصف اسمه * وصير الباقي صياحا عليه

وهذا النوع ما ذكره القاضي جلال الدين القزويني في التلخيص ولا في الايضاح ولا ذكره الشهاب محمود في حسن التوسل ولا نظمته العميان ولا غيرهم من أصحاب البديعيات غير الشيخ صفي الدين الحلي وبيت بديعيته التي ذكر أنه جمعها من سبعين كتابا قوله

لم يلق مرحب منه مرحبا ورأى * ضد اسمه عند هد الحصن والاطم

الشيخ صفي الدين اشتق من اسم مرحب الترحاب حتى يقابله بضده وهذا هو الغرض الذي أراده الناظم وبيت الشيخ عز الدين في المعارضة قوله

ميم وحاء اشتقاق الاسم محو عدا * والميم والدال مد الخير للامم

هذا البيت يشق علي أن أشرح اشتقاقه واذكر ما فيه من التعسف والزيادة وعدم القبول للتجريد فانه أراد أن يمشي على طريق ابن دريد في الاشتقاق فلم يأت بغير الشقاق وما ذاك الا أن اسم نفطويه سداسي قسمه الناظم في الاشتقاق نصفين جعل النصف الاول نفطا والثاني صياحا وهذا الاشتقاق صحيح على هذا التفصيل وقالوا هو في محمد رباعي من أين للشيخ عز الدين غفر الله له هذا حتى تصح معه لفظة محو مع اني راجعت شرحه فوجدته قال الميم والحاء من اسم محمد صلى الله عليه وسلم فيهما محو لاعدائه وأيضا لم نجد أحدا استشهد في بيت من بيوت بديعيته وصدر بيته بقوله ميم وحاء اشتقاق الاسم محو عدا الا الشيخ عز الدين فان المراد من بيت البديعية أن يكون صالحا للتجريد خاليا من العقادة ليصح الاستشهاد به على ذلك

الاشتقاق

أنخ وصيت من سمعه بجخ وشرف من ناله أرخ عمري لقد زان الله هذا البيت بكل زينة وساق اليه العز من كل مدينة وما أحوج هذا البيت الى عماد من الشكر وثيق وما أفقر هذه النعمة الى حرث من الصدقات كثير ان الله قد احتج على هذه الامة بهذا البيت الكبير واحتج على هذا البيت الكبير بهذا الامير عرف الامير كيف يجاور النعم ويتقي الغير وعرفكم ان النعمة ان لم تعمد بالشكر لم يؤمن زوالها فالسعيد من وعظ بغيره ألا وان في صدري لغصه وان في رأسي لقصه وان لكل مسلم فيها لحصته وان في هذا المقام فيها الفرصه قد سمع الشيخ الرئيس أخبار عضد دولة أبي شجاع وما أوتي من بسطة ملك وباع ويدمن

النوع و بيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه وسلم

محمد أحمد المحمود مبعثه * كل من الحمد تبيين اشتقاقهم

قد تقدم تقرير ابي هلال العسكري في هذا النوع وهو ان يشتق المتكلم معنى لغرض يقصده والغرض هنا ان كلا من محمد وأحمد وصفهما المحمودة مشتق من الحمد وشرف هذا المدح ظاهر والله أعلم

(ذكر الاتفاق)

(ووصفه لابنه قد جاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم)

الاتفاق عزيز الوقوع جدا وهو ان يتفق للشاعر واقعة وأسماء مطابقة لتلك الواقعة تعلمه العمل في نفسها اما بالمشاهدة أو بالسماع فان السبق الى معاني الوقائع يشترك الناس في مشاهدتها وفي سماعها فضل لا يجحد وان حصل للشاعر في ذلك قران سعادة سارت الركبان بقوله وترنم الحادي والملاح به كما اتفق للرضي بن ابي حصينة المصري في حسام الدين لؤلؤ صاحب الملك الناصر يوسف حين غزا الفرنج الذين قصدوا الحجاز من بحر القلزم نظفر الحاجب بهم فقال ابن ابي حصينة يخاطب الفرنج

عدوكم لؤلؤ والبحر مسكنه * والدر في البحر لا يخشى من الغير

واحسن من ذلك وأبدع ما اتفق للشيخ شمس الدين الكوفي الواعظ في الوزير مؤيد الدين العلقمي حيث قال

يا عصبة الاسلام نوحي والطمي * حزنا على ما حل بالمستعصم

دست الوزارة كان قبل زمانه * لابن الفرات فصار لابن العلقمي

فاتفق ان المذكورين كانا وزيرين وان المورى بهما نهران معروفان وقد طابق الناظم بينهما بالفرات الحلو والعلقم المر ومنه قول ابن الساعاتي وقد حضر الملك الناصر بيت يعقوب من حصون الشام يخاطب الفرنج

* دعوا بيت يعقوب فقد جاء يوسف *

ومنه قول ابن ابي الاصبع وقد اجتمع الملك الاشرف موسى بالملك الظاهر وهو الخضر بن يوسف ابن أيوب

غدا مجمع البحرين شاطي فراتنا * ألم تر موسى فيه قد لقي الخضرا

واتفق لي مع الملك ما يناسب هذه الاتفاقات البديعة فاني أنشدته وقد كسر النيل في شهر مسري وبلغه في يوم الكسر ان نوروز قد وصل من الشام الى غزة وقصد الديار المصرية فقلت

أيا ملكا بالله أضحى مؤيدا * ومنتصبا في ملكه نصب تمييز

كسرت بمسرى نيل مصر وتنقضي * وحقك بعد الكسر أيام نيروز

الاتفاق البديع الغريب في هذا البيت ان كسر نوروز بعد كسر مسرى ويسمونه المصريون الكسر النيروزي ولم يبق بعده كسر واتفق لي نظير ذلك بالحضرة المؤيدية وهو ان المقر التاجي نائب السلطنة الشريفة نقل عنه الى المسامع الشريفة كلام فثبت فيه براءته فأنشدته

الاتفاق

الفتوح صناع وخوارق الخطوب وساع ان كان ليقول ملكان في الارض فساد وسفان في غمد محال ولم يرض أن يلي الارض بطاعة معروفة حتى يجعلها قبضته فأعد لجهد مراكب وللبر مصانع وللحصون مكايد وكاد وهم ولو عمر لتم ثم عجز والقدرة هذه أثث بسمر التربتين الخبيثين أو يصلح البلدتين المشؤمتين قم والكوفة فعلم ان ذلك لخبث فجامهما فهم ان يسبي ويبيح ثم فرض الجزية عليهم أو يقيموا التراويح ورجع صاحبي أنفا من هراة فذكر انه سمع في السوق صبيا ينشد

ان محمدا وعليا العنا تيما وعديا فقلت ان العامة لو علمت معنى تيم وعدي لكفتني شغل الشكاية وولي النعمة شغل الكفاية وبل أم هراة انصب الشيطان بها هذه

الحضرة الشريفة المؤيدية ما حصل به للخواطر الشريفة الرضا الزائد وهو قولي

سبع وجوه لتاج مصر * تقول ما في الوجوه شبهي
وعند ناذو الوجوه يجبى * وأنت تاج بفرد وجه

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع

ومن غدا اسم آمنة لامه * فتلك آمنة من سائر النقم

اتفاق هذا البيت في اشتراك لفظي آمنة وآمنة والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم
وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

محمد واسمه بالاتفاق له * وصف بشاكله في اسمه العلم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم واذكر فيه وصفه الشريف لابنه الحسن رضي الله عنه

ووصفه لابنه قد جاء تسمية * فانه حسن حسب اتفاقهم

اتفاق هذا البيت في اشتراك لفظي حسن وحسن الوصف هو أن النبي صلى الله عليه وسلم اشار الى الحسن رضي الله عنه وقال ان ابني هذا سيد وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين اه

(ذكر الابداع)

(ابداع أخلاقه ابداع خالقه * في زخرف الشعر فاسجع بها وهم)

الابداع هو أن يأتي الشاعر في البيت الواحد بعدة أنواع أو في القرينة الواحدة من النثر وربما كان في الكلمة الواحدة ضربان من البديع ومتى لم يكن كذلك فليس بابداع كقوله تعالى وقيل يا أرض ابلعي ماءك ويا سماء أقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين هذه الآية الشريفة استخرج منها زكي الدين بن أبي الاصبع أنواعا كثيرة من البديع منها * المناسبة * التامة بين ابلعي وأقلعي * والمطابقة * اللطيفة بين الارض والسماء * والمجاز * في قوله ويا سماء ومراده مطر السماء * والاستعارة * في قوله أقلعي * والاشارة * في قوله تعالى وغيض الماء فانه بهاتين اللفظتين عبر عن معان كثيرة * والتمثيل * في قوله تعالى وقضي الامر فانه عبر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير لفظ الموضوع له * والارداف * في قوله تعالى واستوت على الجودي فانه عبر عن استقرارها في المكان بلفظ قريب من لفظ المعنى * والتعليل * لان قوله تعالى غيض الماء علة الاستواء * وصحة التقسيم * اذ قد استوعب سبحانه أقسام أحوال الماء حالة نقصه * والاحتراس * في قوله تعالى وقيل بعدا للقوم الظالمين اذ الدعاء عليهم مشعر بأنهم مستحقون الهلاك احتراسا من ضعيف يتوهم ان الهلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق فأكد بالدعاء على المستحقين * والمساواة * لان لفظ الآية الشريفة لا يزيد على معناها * وحسن النسق * لانه سبحانه وتعالى قص القصة وعطف بعضها على بعض بحسن ترتيب * وائتلاف المعنى * لان كل لفظة لا يصلح معها غيرها * والايجاز * لانه سبحانه وتعالى قص القصة بأقصر عبارة * والتسهيم * لانه من أول الآية الى قوله أقلعي يقتضي آخرها * والتهذيب * لان مفردات الالفاظ موصوفة

بصفات

الابداع

الحياة وصرنا نشكو اهذه المقالة والله ما دخلت هذه الكلمة بلدة الا صبت عليها الذلة ونسخت عنها الملة ولا رضي بها أهل بلدة الا جعل الله الذل لباسهم والقى بينهم باسهم هذه نيسابور منذ فشت فيها هذه المقالة في خراب واضطراب وأموالها في ذهاب وانتهاب وأسواقهما كاد وفساد وأسعارها في غلاء وخلاء وأهلها في بلاء وجلاء يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون وهذه قهستان منذ فشت فيها هذه المقالة جعلت مأكله النغص ونجعة الاكدار ولجة السيف ومزار السنان مرة يهدم سورها ومرة تنهب دورها وتارة تقتل رجالها وأخرى تهتك حجالها فالشيطان لا يصيد هراة صيدا انما

بصفات الحسن وعليها رونق الفصاحة لسلامتها من التعقيد والتقديم والتأخير * والتمكين * لان الفاصلة مستقرة فى قرارها مطمئنة فى مكانها * والانسجام * وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وباقى مجموع الآية الشريفة سوى * الابداع * الذى هو المراد هنا مع تكرار الانواع البديعية وسهو وقت عن تقديم حسن البيان وهو أن السامع لايتوقف فى معرفة معنى الكلام ولايشكل عليه شئ من هذه النظائر وهذا الكلام تعجز عنه قدرة البشر وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على الابداع قوله

ذل النضار كما عز النظير لهم * بالفضل والبذل فى علم وفى كرم

الشيخ صفى الدين فى بيته من أنواع البديع التجنيس والتصحيح واللف والنشر والكناية عن الكرم فى قوله ذل النضار وائتلاف المعنى مع المعنى والعميان ما نظموا هذا فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى ذكر فيه ستة عشر نوعا ما أمكن العبد استيعابها وتركته لحذاق الادب وهو قوله

كم ابدعوا روض عدل بعد طولهم * واترعوا حوض فضل قبل قولهم

وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ابداع أخلاقه ابداع خالقه * فى زخرف الشعر افاصحبه بها وهم

الشطر الاول من هذا البيت مشتمل على التورية وعلى جناس التصحيف وعلى الجناس المطلق وعلى الترصيع والمماثلة والتصحيح وائتلاف المعنى مع المعنى والسهولة والشطر الثانى فيه التورية ومراعاة النظير والاعتراض والانسجام ظاهر فى البيت بكماله والابداع الذى هو المراد هنا والله أعلم

(ذكر المماثلة)

(فالخير ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه فى الحكم والحكم)

هذا النوع أعنى المماثلة هو أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها فى الزنة دون التقفية كقوله تعالى والسماء والطارق وما أدراك ما الطارق النجم الثاقب ان كل نفس لما عليها حافظ وقد تأتى بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد لان التقفية فى هذا الباب غير لازمة كقول امرئ القيس

كأن المدام وصوب الغمام * وريح الخزامى ونشر العطر

وأما الشاهد الذى هو على أصل هذا الباب فى الزنة دون التقفية فكقول الشاعر

صفوح صبور كريم رزين * اذا ما العقول بدا طيشها

والفرق بين المماثلة والمناسبة توالى الكلمات المتزنة وتفرقها فى المناسبة قلت هذا النوع أعنى المماثلة ما تستحق عقود أنواع البديع بسموها أن ينتظم النوع السافل فى اسلاكها وما أعلم وجه الابداع فيه ما هو ولا ارى من استخراجه وعده بديعا غير الكثرة وقد حسن ان أنشد ههنا

وكم فارتابت ولو شاقلا

وبالله ما اختلج فى فكرى من حين تأدبت ان أرصعه فى قصيدة من قصائدى ولكن حكم

ويستدرجها رويدا وهذه الكوفة مما اختط أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه وما ظهر الرفض بها دفعه ولا وقع الالحاد فيها وقعة انما كان أوله النياحة على الحسين بن على رضى الله عنهما وذلك مالم ينكره الانام ثم تناولوا معاوية فأنكر قوم وتساهل آخرون فتدرجوا الى عثمان فنفرت الطباع ونبت الاسماع وكان القراع والوقاع حتى مضى ذلك القرن وخلف من بعدهم خلف لم يحفظوا حدود هذا الامر فارتقى الشتم الى بقاع وتناول الشيخين رضى الله عنهما فلينظر الناظر أية زند قدح القادح وأى خطب بلغ السائح لاجرم ان الله تعالى سلط عليهم السيف القاطع والذل الشامل والسلطان

المماثلة

المعارضة أوجب ذلك * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

سهل خلائقه صعب عرائكه * جم غرائبه في الحكم والحكم

والعميان ماانظموه وبيت الشيخ عز الدين الموصلي

يبدي بماثله يعطي مناسبة * يجزي مجانسة في الكلم والكلم

وبيت بديعيتي

فالخير ماثله والعفو جاوره * والعدل جانسه في الحكم والحكم

(ذكر حصر الجزئي والحاقه بالكلي)

(الحق يحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم)

هذا النوع الغريب اخترعه الشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع وهو أن يأتي المتكلم الى نوع فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الانواع فيه والاجناس كقوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر فانه سبحانه وتعالى يعلم ما في البر والبحر من أصناف الحيوانات والجماد حاصر الجزئيات المولدات فرأى الاقتصار على ذلك لايكمل به المدح لاحتمال أن يظن ضعيف أنه جل جلاله يعلم الكليات دون الجزئيات فان المولدات وان كانت جزئيات بالنسبة الى جملة العالم فكل واحد منها كلي بالنسبة الى ما تحته من الاجناس والانواع والاصناف فقال لكمال المدح وماتسقط من ورقة الا يعلمها وعلم سبحانه وتعالى ان علم ذلك يشاركه فيه كل ذي ادراك فتمدح بما لايشاركه فيه أحد فقال عز من قائل ولا حبة في ظلمات الارض ثم الحق هذه الجزئيات بالكليات فقال ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين وأمثاله من النظم قول الشاعر

اليك طوى عرض البسيطة جاعل * قصارى المطايا أن يلوح لها القصر

فكنت وعزمي في الظلام وصارمي * ثلاثة اشباه كما اجتمع النسر

فبشرت آمالي بملك هو الورى * ودار هي الدنيا ويوم هو الدهر

المراد من النوع البيت الثالث فان الشاعر قصد تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التي قصده فيها ومدح يومه الذي لقيه فيه فجعل الممدوح جميع الورى وجعل داره الدنيا ويومه الدهر فجعل الجزء كليا بعد حصر أقسام الجزئي أما جعله الجزئي كليا فلان الممدوح جزء من الورى والدار جزء من الدنيا واليوم جزء من الدهر وأما حصر أقسام الجزئي فلان العالم عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان وقد حصر ذلك وهذا النوع صعب المسالك في نظمه عزيز الوقوع والتحصيل وقد فر العميان من نظمه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي فيه

شخص هو العالم الكلي في شرف * ونفسه الجوهر القدسي في عظم

الشيخ صفي الدين جعل الجزئي كليا فقط وهو القسم الاول لكون الواحد لايسع جميع القيود وبيت الشيخ عز الدين

فالحق الجزء بالكلي منحصرا * اذ دينه الجنس للاديان كلهم

هذا البيت ما وجدت فيه للكلام فسحة لامور وبيت بديعيتي

ألحق يحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

حصر الجزئي والحاقه بالكلي

الظالم والخراب الموحش ولما أعد الله لهم في الآخرة شرا مقاما وأنا أعيذ بالله هراة أن يجد الشيطان اليها هذا المجاز وأعيذ الشيخ الرئيس أن لا يهتز لهذا الامر اهتزازا يرد الشيطان على عقبه

(وله اليه أيضا)

الخير أطال الله بقاء الشيخ محل الدين وهو على الشمال والروح على اليمين ويعلم تعالى من فرائض النفقة ونوافل المروءة كما يعلم مالي من وجوه الدخل وأبواب المنافع وقد ورد غرماقي من موضع كذا وعليهم تبعات دواوينه وحقوق سلطانيه فماذا تأمر ان اصنع وفيم ترى ان أشرع ولو رأيت لحنتهم آخر الصبر حتى يستوفي الديوان حقه على ان عهدي بالشيخ أن لا يؤخر مالي عن مال السلطان ولا يقعد حق

النبي صلى الله عليه وسلم صالح أن يكون هنا كليا العلو مقداره وعظمه فقولي عن الانبياء فالجزء يلحق بالكلي للعظم لايخفى مافيه من المبالغة والمغالاة في وصف الممدوح صلى الله عليه وسلم هذا مع تحرير هذا النوع الذي يدق عن افهام كثيرة وايضاحه مع التورية باسمه وسهولة تركيبه وانسجامه وما أعلم له في هذا الباب نظيرا وما أوضحه وزاده طلاوة وحسنا الاتشريفه بالمديح النبوي

(ذكر الفرائد)

(وشم وميض بروق من فرائده * وانظم حنانيك عقدا غير منفصم)

الفرائد نوع لطيف مختص بالفصاحة دون البلاغة لان المراد منه أن يأتي الناظم أو الناثر بلفظة فصيحة من كلام العرب العرباء تتنزل من الكلام منزلة الفرائد من العقد وتدل على فصاحة المتكلم بها بحيث ان تلك اللفظة لو سقطت من الكلام لم يسد غيرها مسدها كقوله تعالى أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم قوله تعالى الرفث فريدة لا يقوم غيرها مقامها وكقوله تعالى هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي فقوله سبحانه وتعالى أهش بها على غنمي فريدة يعز على الفصحاء أن يأتوا بمثلها في مكانها ومنه قول عنترة في معلقته

يادار عبلة بالجواء تكلمي * وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

فعمي صباحا فريدة في مكانها وروي أن أباذر أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال عم صباحا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله قد أبدلني ماهو خير منها فقال ماهي قال السلام وبيت الشيخ صفي الدين الحلي

ومن له جاور الجزع اليبيس ومن * بكفه أورقت عجزاء ذي سلم (١)

الفريدة في بيت الحلي هي العجزاء والعجزاء هي العصا المعقدة والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

كم خص الحق اذوافت فرائده * وفي الوطيس بداثبتا بلا برم

الفريدة في بيت الشيخ عز الدين هي لفظة الوطيس وأما برم فما برم فيها أمرا وبيت بديعيتي أقول فيه وأنا مستمر على خطابي لمن رام مديح النبي صلى الله عليه وسلم فاني قلت في البيت الذي قبله

ألحق بحصر جميع الانبياء به * فالجزء يلحق بالكلي للعظم

وقلت بعده في الفرائد

وشم وميض بروق من فرائده * وانظم حنانيك عقدا غير منفصم

الفرائد في هذا البيت ثلاثة وهي شم وحنانيك ومنفصم والوميض صالح لذا والله أعلم بالصواب

(ذكر الترشيح)

(بمن زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه في نون والقلم)

هذا النوع أعني الترشيح هو أن يأتي المتكلم بكلمة لاتصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة ترشحها وتؤهلها لذلك كقول التهامي في مرثيته المشهورة

واذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفير هار

الفرائد

عن حقوق الديوان وان ألقيت دلوي في الدلاء وأمدني الشيخ الرئيس ببعض الاعتناء قضمت الى ان أخضم وقنعت الى ان أقبض وتطرفت حتى يمكن التوسط وان خذلني فقد عمالنصر وطالما راش وطير وأنا أنشد الله وعد صديقه الكريم العزيز ثم واجب خادمه السامع المطيع فما أقدره ان نشط والسلام

(وله أيضا)

أنا وأنا غرس الشيخ الرئيس ألف العمامه على فضول لاتقلها جبال تهامه ثم أسبح في الماء الغزير ثم أعتضد بالامير والوزير ثم أستظهر بسجل القاضي ثم الشيخ الرئيس المتغاضي ثم لاحول ولاحيلة مع ابن جيلة العار والله النار والقتل والدمار والنار والتراب المشاد عزوالله

(١) قوله ذي سلم في نسخة من سلم اه

الترشيح

فلولاذكر الشفير لما كان فى الرجاء تورية برجا البئر ولكان من رجوت الامر اقوله أولا واذا رجوت المستحيل قلت وهذا النوع تقدم ذكره فى باب التورية المرشحة وقد تقدم أيضا ان التورية أربعة أنواع مجردة ومرشحة ومهيأة ومبينة فالمرشحة هى التى يذكر فيها لازم من لوازم المورى به قبل لفظ التورية أو بعده وسميت مرشحة لترشيحها وتقويتها بذكر لازم المورى به وتقدم هذا فى باب التورية المرشحة ولكن ذكروا فى تكرير الترشيح هنا فائدة لم يكن لمكررها حلاوة وهى اذا قيل ما الفرق بين التورية والترشيح وقد جعلت مثاليهما واحدا قلت الفرق بينهما من وجهين أحدهما من أنواع البديع مالا يحتاج الى ترشيح وهى التورية المجردة المحضة والثانى ان الترشيح لا يختص بالتورية دون بقية الابواب بل يعم المطابقة والاستعارة وغيرهما فى كثير من الابواب ألا ترى الى قول ابى الطيب المتنبى

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه * ياجنتى لرأيت فيه جهنما

فان قوله ياجنتى رشحت لفظة جهنم لمطابقة ولو قال مكانها يامنيتى لم يكن فى البيت مطابقة البتة وأما ترشيح الاستعارة فكقول بعض العرب

اذا ما رأيت النسر عز ابن دأية * وعشش فى وكريه طارت له نفسى

فانه شبه الشيب بالنسر لاشتراكهما فى البياض وشبه الشعر الاسود بابن دأية وهو الغراب لاشتراكهما فى السواد واستعار التعشيش من الطائر للشيب لما سماه نسرا ورشح به الى ذكر الطيران الذى استعاره لنفسه من الطائر فقد ترشح باستعارة الى استعارة ولولا خشية الاطالة لذكرت ترشيح التشبيه وترشيح غيره من الانواع وبيت الشيخ صفى الدين الحلى يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

ان حل أرض اناس شد أزرهم * بما أباح لهم من حط وزرهم

لفظة شد فى البيت للشيخ صفى الدين رشحت لفظة حل للمطابقة ولو أبقاها على حالها فى معنى الحلول لم يكن فى البيت مطابقة البتة والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

فى الفتح ضم من الانصار شملهم * جبر الكسر بترشيح من الرحم

الترشيح فى بيت الشيخ عز الدين ظاهر فانه رشح الفتح للتورية بصريح الضم ورشح الضم للتورية بذكر الكسر وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

يس زادت على لقمان حكمته * وبان ترشيحه فى نون والقلم

فذكر لقمان رشح يس للتورية وذكر نون والقلم رشح لقمان للتورية والفرق بين قولى وبان ترشيحه فى نون والقلم وبين قول الشيخ عز الدين بترشيح من الرحم ظاهر وأما سهولة التركيب وعذوبة الانسجام وتمكين القافية فلم احتج معهما الى اقامة دليل والله تعالى أعلم

ابن جبلة ان عاز الله ورسوله ثم أدرك سوله ان امر أترجح كفته على كفة فيها خصمه والاسلام وحكمه والسلطان وأمره والوزير وشفاعته والرئيس وعنايته لموفور الحظ من الجلالة وان خصمه لبعيد الضرب فى الضلالة عجبا لذلك الخبيث وأف من هذا الحديث ولا أعاود بعدها الشيخ الرئيس والسلام

وكتب الى الشيخ الرئيس عدنان بن محمد

عجب الناس أطال الله بقاء الشيخ الرئيس من ثلاثة وهن فرحة القواد وغضبة الجلاد ونشاط السماد والاستدراك على أبى الحسن بن غياث أعجب من هذه الثلاث واعجبا أتريد جهنم حطبا واعجبا أيريد أسوأ منها منقلبا

العنوان

(ذكر العنوان)

(به العصا أثمرت عز الصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم)

هذا النوع أعنى العنوان هو أن يأخذ المتكلم فى غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو ذم

أو عتاب أو غير ذلك ثم يأتي القصد تكملة بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدمة وقصص مبالغة كقول أبي تمام لأحمد بن أبي دواد

تثبت ان قولا كان زورا * أتى النعمان قبلك عن زياد
فأثر بين حي بني جلاح * لدى حرب وبين بني مصاد
وغادر في صدور الدهر قتلى * بني بدر على ذات الاصاد

فأتى بعنوان يشير الى قصة النابغة حين وشى به الواشون الى النعمان بجز ذلك حروبا انطوت عليها قطعة من الدهر وذكر في البيت الثالث عنوانا آخر أشار فيه الى ماجرى بين بني عبس وبين بني بدر على غدير ذات الاصاد وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

والعاقب الحبر في نجران لاح له * يوم التباهل عقبى زلة القدم

الشيخ صفي الدين أشار بعنوانه الى عبد المسيح عاقب النصارى حين قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم التباهل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين وكان قد خرج النبي صلى الله عليه وسلم محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن عليهما السلام وفاطمة تمشي خلفهما سلام الله عليهم أجمعين فحين رآهم العاقب قال للنصارى لا تباهلوا محمدا فاني أرى وجوها لو أقسم على الله أن يزيل بها الجبال لأزالها فانصرفوا وقبلوا الجزية والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

بشرى المسيح أتت عنوان دعوته * وقبله كل هاد صادق القدم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

به العصا أثمرت عزا لصاحبها * موسى وكم قد محت عنوان سحرهم

هذا البيت عنوانه ظاهر لم يحتج فيه الى شرح ولكن التورية في العنوان وترشيحها بلفظة محت لا يخفى ما فيها من المحاسن لانها اسم النوع الذي هو القصد هنا وأما قولي به العصا أثمرت فهي مناسبة ليس لها في الحسن مناسب

(ذكر التسهيم)

كذا الخليل بتسهيم الدعا به * أصابهم ونجا من حر نارهم

التسهيم

هذا النوع مأخوذ من الثوب المسهم وهو الذي يدل أحد سهامه على الآخر الذي قبله لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص به لمجاورة اللون الذي قبله ومن المؤلفين من جعل التسهيم والترشيح شيأ واحدا والفرق بينهما أن الترشيح لا يدل على غير القافية والتسهيم تارة يدل على عجز البيت وتارة يدل على مادون العجز وتعريفه أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما يتأخر تارة بالمعنى وتارة باللفظ كأبيات أخت عمرو ذي الكلب فان الحذاق بمعاني الشعر وتأليفه يعلمون معنى قولها

* فأقسم يا عمرو لو نبهاك *

يقتضي أن يكون تمامه

* اذا نبها منك داء عضالا *

والله ما يجري تمام أبي الحسن حوالك ولا على شفقة أبي الحسن استدراك وما أظن الملائكة تحصي احسانه ولا تبلغ الزبانية استقصاءه وتذكرت تلك القرية بالرجالة والفرسان واستدل نصيبها من العدل والاحسان ولا عليه أيده الله ان يحتمل غلطات أبي الحسن فيجعل ما أصله فانون الجهل ابتداءه ويختم داءه فأستريح وأريح

(وله اليه أيضا)

ابق أطال الله بقاء الشيخ الرئيس عبدان أحدهما الذي أنبت عليه شجرة من يقطين والآخر الذي قال خلقتني من نار وخلقته من طين فانجي هذا من الظلمات ومدّ لذلك في الحبال فعرف لكل مقدار حق خدمته وأنا أمت الى الشيخ الرئيس أطال الله

دون غيره من القوافى لانه لو قال مكان داء عضالا ليثا غضوبا أوافعى قتولا أوما ناسب ذلك لكان الداء العضال ابلغ اذ كل منهما يمكن مغالبته والتوقى منه والداء العضال لا دواء له هذا مما يعرف بالمعنى وأما ما يدل على الثانى دلالة لفظية فهو قولها بعده

اذا نبه الليث عريسة * مفيتا مفيدا نفوسا ومالا

وكذلك قولها

وخرق تجاوزت مجهولة * بوجناء حرف تشكى الكلالا

* فكنت النهار به شمسه *

يقتضى ان يتلوه

* وكنت دجا الليل فيه الهلالا *

ومنه قول البحترى

أحلت دمى من غير جرم وحرمت * بلا سبب يوم اللقاء كلامى

* فليس الذى قد حللت بمحلل *

ومن هنا يعرف المتأدب ان تمامه

* وليس الذى قد حرمت بحرام *

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

كذاك يونس ناجى ربه فنجا * من بطن حوت له فى اليم ملتقم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته يقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تسهيمه فى الوغى حسم لمتصل * تسليمه فى الرضا وصل لمحتشم

قلت الشيخ عز الدين رماه التسهيم فى العكس فتشوش اذ صاد كل من النوعين يتجاذبه وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

كذا الخليل بتسهيم الدعاء به * أصابهم وبحا من حر نارهم

لفظة التسهيم فى هذا البيت انحصر فيها ثلاثة أنواع احدها تسمية النوع والثانى الاستعارة البديعية والثالث التورية المرشحة فان لفظة التسهيم رشحت التورية بذكر الاصابة وتحرير النوع ظاهر فى دلالة الاول على الثانى

(ذكر التطريز)

(تملى بتطريز مدحى فيه منتظم * باطيب منتظم يا طيب منتظم)

هذا النوع اعنى التطريز هو ان يبتدئ المتكلم او الشاعر بذكر جمل من الذوات غير منفصلة ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذى قرره وقدره فى تلك الجملة الاولى وعدد الجمل التى وصفت بالذوات عدد تكرر واتحاد لا عدد تغير كقول ابن الرومى

قرون فى رؤس فى وجوه * صلاب فى صلاب فى صلاب

ومثله قوله

كأن الكأس فى يدها وفيها * عقيق فى عقيق فى عقيق

ومثله قول ابن المعتز

بقاءه ليستأنف الود فان كان قد عرض فى البين عارض العين واعتدنى وليا من أوليائه فهبنى الآن عدوا من اعدائه

لبس الشيخ الرئيس فى تلك الاسباب وخراب تلك الضياع شفاء صدر ولا فى بقائها زيادة قدر فان استطاع أن يحسن فيها الخلافة فعل

(وله الى الشيخ الامام ابى الطيب سهل)

يا شبر ماهذا الكبر ويا فتر ماهذا السكر ويا قرد ماهذا البرد ويا يأجوج متى الخروج ويا فقاع بكم تباع ويا قرنانى متى ترانى ويا قمقمة الخجل نحن ببابك ويا بيضة البغل من أين بك

التطريز

قتوبى والمدام ولون خدى * شقيق فى شقيق فى شقيق

وابدع من الجميع والطف قولى من قصيدتى المصغرة

لقيظك والمقيلة مع نظيى * هجير فى هجير فى هجير

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التطريز

فالجيش والنقع تحت الظل مرتكم * فى ظل مرتكم فى ظل مرتكم

قلت هذا البيت لا يخلو أن يكون للعقادة فيه بعض تراكم والعميان ليس فى بديعيتهم تطريز وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله تعالى فى بديعيته قوله

الدين والنقع تطريز لمحترم * فى نصر محترم فى نصر محترم

هذا البيت لم أفهم منه غير لفظة التطريز الذى هو اسم النوع وبيت بديعيتى اقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

شملى بتطريز مدحى فيه منتظم * ياطيب منتظم ياطيب منتظم

هذا البيت بهجة التطريز ظاهرة على أركانه وقد جمع فيه بين التطريز الذى هو المراد والتورية واللف والنشر والترشيح والاستعارة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والجناس التام والله أعلم

(ذكر التنكيت)

وآله الغر آل أن يقس بذى * كفوتهم فافهموا تنكيت مدحهم

هذا النوع أعنى التنكيت يستحق لغرابته ان ينتظم فى اسلاك البديع ويغار عليه أن يعد مع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع وقد تقدم الكلام على سفالة هذه الانواع والتنكيت عبارة عن ان يقصد المتكلم شيأ بالذكر دون اشياء كلها تسد مسده لولا نكتة فى ذلك الشئ المقصود ترجح اختصاصه بالذكر وعلماء هذا الفن أجمعوا على انه لولا تلك النكتة التى انفرد بها لكان القصد اليه دون غيره خطأ ظاهرا عند أهل النقد وجاء من ذلك فى الكتاب العزيز قوله تعالى وانه هو رب الشعرى فانه سبحانه خص الشعرى بالذكر دون غيرها من النجوم وهو رب كل شئ لان من العرب من عبد الشعرى وكان يعرف بابن ابى كبشة ودعا خلقا الى عبادتها فأنزل الله تعالى وانه هو رب الشعرى التى ادعيت فيها الربوبية دون سائر النجوم وفى النجوم ما هو أعظم منها ومنه قوله تعالى وان من شئ الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم فانه سبحانه وتعالى خص تفقهون دون تعلمون لما فى الفقه من الزيادة على العلم والمراد الذى يقتضيه معنى هذا الكلام الفقه فى معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيمى والنبات والجماد الذى تسبيحه بمجرد وجوده الدال على قدرة موجده ومخترعه ومن الامثلة الشعرية قول الخنساء

يذكرنى طلوع الشمس صخرا * واذكره بكل غروب شمس

خصصت هذين الوقتين بالذكر وان كانت تذكره كل وقت لما فى هذين الوقتين من النكتة المتضمنة للمبالغة فى وصفه بالشجاعة والكرم لان طلوع الشمس وقت الغارات على العدا وغروبها وقت وقود النيران للقرى وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التنكيت

وبادية وباجبة ويامن خلفه المسبة ويادمل ماأوجعك ويا قل لنا حديث معك فان رأيت اذنت والسلام

(وله اليه ايضا)

ولما وقع بخراسان ما وقع من حرب وجرى ما جرى من خطب واضطربت الامور واختلفت السيوف والتقت الجموع وظفر من ظفر وخسر من خسر كتبنى الله فى الاعلين مقاما ثم الهمنى من الامتداد عن تلك البلاد والاقلاع عن تلك البقاع واعترضنا فى الطريق الاتراك واحسن الله الدفاع عن خير الاعلاق وهو الراس بما دون الاعراض وهو اللباس

التنكيت

وآله امناء الله من شهدت * لقدرهم سورة الاحزاب بالعظم

الشيخ صفي الدين خصص سورة الاحزاب هنا بالذكر لان فيها تصريحا بمدح آل البيت عليهم السلام بقوله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ولولا هذا الاختصاص كانت كثيرا من السور والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله

فني براءة تنكيت بمدحته * معناه في الشرح يشفي داء ذي البكم

ذكر الشيخ عز الدين في شرحه ان النكتة المقصودة في بيته في سورة براءة هي قوله تعالى ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا وبيت بديعيتي اشير فيه الى النبي صلى الله عليه وسلم

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تنكيت مدحهم

التنكيت في هذا البيت بديع وغريب في بابه فاني خصصت الندى بالذكر عند مقايسته بالبحر في قولي ان البحر عند ندى كفوفهم كالآل والآل هو الذي يحسبه الظمآن ماء ولو قلت انهار كفوفهم اوجداول كفوفهم لسد كل واحد منهما مسده بزيادة زائدة ولكن في الندى نكتة ليست فيهما وهي الغلو في أن البحر يصير عند هذا الندى سرابا وهذا الذي أوجب تخصيص الندى بالذكر دون غيره وقد اجتمع في هذا البيت التنكيت الذي هو القصد هنا والتورية والغلو ومراعاة النظير والجناس والله أعلم

(ذكر الارداف)

(وفي الوغى رادفوا السن القنا سكنا * من العدا في محل النطق بالكلم)

نوع الارداف قالوا انه هو والكناية شيء واحد قلت واذا كان الامر كذلك كان الواجب اختصارهما وائمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني قالوا ان الفرق بينهما ظاهر والارداف هو أن يريد المتكلم معنى فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه كقوله تعالى واستوت على الجودي فان حقيقة ذلك جلست على المكان فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى الى لفظ هو رديفه وانما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الارداف من الاشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل وهذا لا يحصل من لفظ جلست وقعدت ومن الامثلة الشعرية على الارداف قول ابي عبادة البحتري يصف طعنة

فأوجرته اخرى فأضللت نصلها * بحيث يكون اللب والرعب والحقد

ومراده القلب فذكره بلفظ الارداف والفرق بين الارداف وبين الكناية ان الارداف قد تقرر انه عبارة عن تبديل الكلمة بردفها والكناية هي العدول عن التصريح بذكر الشيء الى ما يلزم لان الارداف ليس فيه انتقال من لازم الى ملزوم والمراد بذلك انتقال المذكور الى المتروك كما يقال فلان كثير الرماد ومراده نقله الى ملزومه وهي كثرة الطبخ للاضياف وبيت الشيخ صفي الدين رحمه الله تعالى على الارداف قوله

بفتية اسكنوا اطراف سمرهم * من الكماة محل الضغن والاضم

الشيخ صفي الدين زاحم البحتري في بيته الى ان نزع قلبه من صدره بل جل قصده في اردافه

هنا

الارداف

فلم نجزع لمرض المال مع سلامة النفوس ولم نحزن لذهاب المال مع بقاء الرؤس وسرنا حتى وردنا عرصة العدل وساحة الفضل ومربع المجد ومشرع الجد ومطلع الجود ومنزع الاصل ومشعر الدين ومفرع الشكر ومصرع الفقر حضرة الملك العادل ابي احمد خلف بن احمد فكان ما ضعناه كأنا زرعناه فأنبت سبع سنابل وكان ما فقدناه كأنا اقرضناه هذا الملك العادل وكأنما سمي خلفا ليكون عن كل فائت خلفا وعن كل ما مضى عوضا وكأنما جئناه ليضيق علينا العالم ويبغض الينا بني آدم فيجعل حسنا محسنا وقيدنا الاحسان وكأنما خلق للدنيا تجميلا وللملوك تخجيلا وكان هذا العالم قد احتشى

هنا القلب وكان الواجب المعدول عنه اشهرته فى هذا الباب عند أهل البديع والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى

للطعن والضرب ارداف يحل به * فى موضع العقل يحكيه ذووا الحكم

وبيت بديعيتى قلت قبله عن آل النبى صلى الله عليه وسلم مشيرا الى الغلو فى كرمهم

وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تشكيت مدحهم

واردفته بقولى فى الشجاعة

وفى الوغى ردفوا السن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم

انظر أيها المتأمل فى بديع هذا الارداف الغريب الذى ميزته على أقرانه من البحترى الى الشيخ عز الدين بحسن مراعاة النظير الذى اسكنت به الالسنة بالافواه بقولى فى محل النطق بالكلم مع التورية بتسمية النوع والله سبحانه أعلم

(ذكر الايداع)

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

هذا النوع أعنى الايداع يغلب عليه التضمين والتضمين غيره فانه معدود من العيوب والعيب المسمى بالتضمين هو ان يكون البيت متوقفا فى معناه على البيت الذى بعده كقول النابغة

وهم وردوا الجفار على تميم * وهم أصحاب يوم عكاظ انى

شهدت لهم مواطن صادقات * اتيتهم بود الصدر منى

والايداع الذى نحن بصدده هو ان يودع الناظم شعره بيتا من شعر غيره او نصف بيت او ربع بيت بعد ان يوطئ له توطئة تناسبه بروابط متلائمة بحيث يظن السامع ان البيت باجمعه له واحسن الايداع ماصرف عن معنى غرض الناظم الاول ويجوز عكس البيت المضمن بأن يجعل عجزه صدرا وصدره عجزا وقد تحذف صدور قصيدة بكمالها او ينظم لها المودع صدورا لغرض اختاره وبالعكس وقد تقدم وتقرر ان الاحسن فى هذا الباب ان يصرف الشاعر ما اودعه فى شعره عن معناه الذى قصده صاحبه الاول ويجوز تضمين البيتين بشرط ان ينقلهما من معناهما الاول الى صيغة اخرى كما حكى ان الحيص بيص قتل جرو كلب وهو سكران فأخذ بعض الشعراء كلبة وعلق فى رقبتها قصة واطلقها عند باب الوزير فاذا فيها مكتوب

يا اهل بغداد ان الحيص بيص اتى * بخزية ألبسته العار فى البلد

ابدى شجاعته بالليل مجترئا * على جرى ضعيف البطش والجلد

فأنشدت امه من بعد ما احتسبت * دم الابيلق عند الواحد الاحد

اقول للنفس تأساء وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم ترد

كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا اخى حين ادعوه وذا ولدى

البيتان الاخيران لامرأة من العرب قتل اخوها ابنها فقالت ذلك تسلية ومنهم من اودع شعره بيتين وكل بيت منهما لشاعر كقول القاضى شهاب الدين محمود

عملا فجعل هذا الملك ثوابه وكان هذا الملك قد اذنب مثلا فجعل هذا العالم عقابه وكانه جسم والعرض عفاته وكانه ذاته والمكارم صفاته فهو البحر يمشى على رجلين والجد يتصور فى العين والعدل ينقسم والجود يتجسم والنجم يتكلم فلما التقينا فرشت الارض يدى فرشا ونقشت التراب بفمى نقشا وخطا الى خطوات كادت الارض لا تسعها وكادت الملائكة ترفعها ثم انه زينى بلقياه وفود الكلام كما زينت بقياه ملوك الانام وافسدنى على الناس من جميع الاجناس فما ارضى غيره احدا ولا اجد مثله ابدا وان طلبت ملكا فى اخلاقه متولم الاقه

و بتنا على حكم الصبابة مطعمى * زفيرى واشجانى وشربى المدامع
وخلى يعاطينى كؤس ملامة * وينشدنى والهم للقلب صادع
اتطمع من ليلى بوصل وانما * تقطع اعناق الرجال المطامع
فبت كانى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى انيابها السم ناقع

البيت الاخير للنابغة قلت غاية الاوائل ان ينقلوا المعنى الاول فى الايداع الى معنى آخر ان كان فى بيتين او بيت واحد او نصف بيت ولكن الفرقة التى مشت تحت العلم الفاضلى وتحلت بالقطر النباتى وهلم جرا لم يرضوا بنقله مجردا من التورية او ما يناسبها من انواع البديع ومما يؤيد قولى هذا قول القاضى جلال الدين القزوينى فى التلخيص واحسنه ما زاد على الاصل بنكتة كالتورية والتشبيه وممن ابدع فى نقله الى التورية علامة هذا الفن الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى بقوله

اتانى على الباناسى منشدا * فبالك من شعر ثقيل مطول
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

ومثله قوله فى مليح اسمه حبيب وهو

حبيب حبيب القلب اخلى منزلا * به كان فى عرس المسرة يجتلى
فياصاحبى الذكر قد لذ بالبكا * قفانبك من ذكرى حبيب ومنزل

وما يشك من عنده ذوق ان المقطوعين فى الايداع تميزا بمحاسن التورية وغريب النقل الى غرض كل من الناظمين وكذلك تقطيع اعناق الرجال فى ايداع الشهاب محمود فانهم نقلوه الى الصفع وجاءت توريته فى غاية الحسن وهذا هو المذهب الذى انتهت غايات المتأخرين اليه ومن ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة ايضا وهو

اقول لمعشر جلدوا ولاطوا * وباتوا عاكفين على الملاح
السم خير من ركب المطايا * واندى العالمين بطون راح

وقولى

ومذ كلمت قلبى سيوف لحاظها * شكوت اليها قصتى وهى تبسم
فلم ار بدرا ضاحكا قبل وجهها * ولم ترقبلى ميتا يتكلم

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

دنوت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلتى لما دنوت واذلالى
فقلت امسكيه بالانامل فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

وقولى

طاول الليل بالذؤابة قيس * وتثنى عجبا بلطف وكيس
فلالى السهاد مذ طال ليلى * ياخليلى من ذؤابة قيس

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

تصدى الى ايرى فقلت له اتئد * وحقك لو عاينته وهو ثائر
رأيت الذى لا كله انت قادر * عليه ولا عن بعضه انت صابر

او كريناف جوده عدمت قبل وجوده غرس الله سلطانه من ملك وسع ارزاقى وضيق اخلاقى واغلى ثمن مايشتريه احد وعظم امرى فما يسعنى بلد وهذا وصف ان اطلته طال ونشر الاذيال واستغرق القرطاس بل الانفاس واستنفد الاعمار بل الاعصار ولم يبلغ المعشار وافنى الاقلام بل الكلام ولم يبلغ التمام ما ظنك بشيخ ملك شهدت له الفراسة رضيعا بان لا يكون وضيعا والمخايل فطيما بان يكون سمحا كريما والشواهد صبيا بان ينزل مكانا عليا والشمائل غلاما ان يكون ملكا همام فلما ايفع وارتفع طالبته الهمة العليا برفض الدنيا حتى يؤدى فرض الله فى الحج فقام عن سرير الملك الى سبيل النسك فحج البيت ودرس العلم حتى علم ناسخ

وانشدنى ٣ من لفظه لنفسه الكريمة مولانا المقر الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد ابن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريفة بالممالك الاسلامية المحروسة كان تغمده الله برحمته ٣ ما اختلف هو والشيخ جمال الدين بن نباتة فى ابداعه واتفقا فى معناه والمعنى فى البيتين المذكورين قبل واما الترشيح فعندى ان التورية فى بيتى المقر الناصرى ارجح وهما قوله

اقول وقد ابى عن اخذ ابرى * وسالت من محاجره دموع
اذا لم تستطع شيئا فدعه * وجاوزه الى ما تستطيع

الذى ترجح عندى ان قوله وجاوزه اقعد من قول الشيخ جمال الدين لا كاه والذى اقوله ان كلا منهما فى بابه بديع وغريب وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

لم أنس موقفنا بكاظمة * والعيش مثل الدار مسودّ
والدمع ينشد فى مسائله * هل بالطلول لسائل ردّ

ومثله قولى

قف واستمع طربا فليلى فى الدجا * باتت معانقتى ولكن فى الكرى
وجرى لدمعى رقصة بخيالها * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى

ومن ابداعاتى الغريبة قولى من اعجاز الملحة

تنكر الخال علينا عندما * سال عليه العارض المسلسل
نعنه سلنى ان ترد تعريفه * فانه منكر يا رجل

ومما انفرد به الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى تضمين أعجاز الملحة والذى يؤيد انفراده حسن تخلصه من الغزل وهو ماش على التضمين الى مدح قاضى القضاة ولم يزل مستمرا على غرر المدائح اللائقة بالقاضى الى حسن الختام وضمن الشيخ زين الدين بن الوردى نبذة من اعجاز الملحة ولم يفرغها فى غير قوالب الغزل فان التخلص من الغزل الى المدح من المستحيلات فى هذا الباب ولكن الشيخ جمال الدين بن نباتة كان فى ذلك العصر نسيج وحده ومن المعلوم ان الجماعة مثل الشيخ زين الدين بن الوردى والشيخ صلاح الدين الصفدى والشيخ برهان الدين القيراطى وغيرهم ممن عاصره ما منهم الا من تطفل على موائد حلاوته النباتية وقد عن لى ان أورد هنا نبذة من التضمين للشيخين واجعل كلا من أبيات الشيخين وقفا محبسا على اصحاب الذوق السليم قال الشيخ جمال الدين فى المطلع

صرفت فعلى فى الاسى وقولى * بجمد ذى الطول الشديد الحول

وقال الشيخ زين الدين رحمه الله تعالى فى المطلع

يا سائلى عن الكلام المنتظم * هو الذى فى لفظ من أهوى قسم

هذا المطلع من الابداع الذى قصر فيه باع الشيخ زين الدين ابن الوردى فانه صدر مطلعه بالصدر وهو جائز ولكنه غير المراد فان الشيخ جمال الدين تقدمه بتضمين الاعجاز ونسج ابداعه على هذا المنوال ومن اغزال الشيخ جمال الدين البديعة فى هذا الباب قوله

أفدى غزالا مثلوا جماله * فى مثل قد أقبلت الغزاله

الكتاب ومنسوخه ومباحه ومحظوره ومتن الحديث وصدره وكان استخلف على رعيته بعض خدمه واوصى بهم كبيرا لا يظلمهم نقيرا فبسط ذلك العامل يده فى المظالم يحتقبها والمحارم يرتكبها فنكر عليهم كرة القمر ورجع اليهم رجعة المطر فحاربه وقهره ومحا الله أثره ثم جاءت له الاعداء العصى وحنت اليه القسى والله من ورائه يكلؤه من اعدائه فما من يوم من تلك السنين الا نقصهم وازداد فكم ركن هدم وجيش هزم وكيد عدم فلما اقاموا طويلا ولم يغنوا فتيلا لم يكن اكثر من ان جاؤوا امراء فعادوا فقراء ولبسوا أمراء ورجعوا صاغرين وانقلبوا خاسرين وتبعهم كيده النافذ ومكره الآخذ يقفو آثارهم ويكسح ادبارهم واشتملت جريدة ما لقى من الحروب مع ابناء الذنوب واولاد الدروب على بضعة عشر حربا اخفهما مع بضعة عشر الفا

ماقال مذ ملك قلبي واسترق * كقولهم رب غلام لي ابق
للقمرين وجهه مطالع * فهي ثلاث مالهن رابع
لأحرف الحسن على خديه خط * وقال قوم انها اللام فقط
منفرد بالوصل في دار الهنا * مثاله الدار وزيد وانا
لايختشي تلاعب الظنون * والامر مبني على السكون
في خده التبري هات نشبي * وقيمة الفضة دون الذهب
فاصرف عليه ثروة تسام * فما على صارفها ملام
وان رأيت قده العالي فصف * وقف على المنصوب منه بالالف
والعارض النوني ما انصفته * وان تكن باللام قد عرفته
واهاله من حرف نون قد عرف * كمثل ماتكتبه لايختلف
يأتي بنقط الخال في الاعجام * وتارة يأتي بمعنى اللام
لحظه المسكر فعل يطرب * مفعوله نحو سقى ويشرب
ولا تلم فيه عويشقا تلف * ولاسكران الذي لاينصرف
جسمي وذاك الخصر والجفن الدنف * من حروف الاعتلال المكتنف
فيامليحا عنه أخرت القمر * اما لاهوان واما لصغر
كرر فما احلى بمعنى الساهي * قولك ياغلام ياغلامي
وارفق بمضناك فاسوى اسمه * ولاتغير مابقي من رسمه
وقد حكى العذار في الوقوف * فاعطف على سائلك الضعيف
وانخر بمعنى لحظك المعشوق * في كل ماتأتيه حقيق
يالك لحظا بسعاد أزرى * وجاء في الوزن مثال سكرى
ياناصبا أوصاف ذيالك الصبي * تم الكلام عنده فلتنتصب
هيهات بل دع عنك ماأضنى وما * وعاص اسباب الهوى لتسلما
وكرر الامداح في علي * قاضي القضاة الطاهر النقي
بكل معنى قد تناهى واستوى * في كلم شتى رواها من روى
بادر بناذاك الحمى العالي وصف * اذا اندرجت قائلا ولاتقف
دونك والمدح زكيا معجبا * نحو لقيت القاضي المهذبا
فالجود والعلم عليه ارتقى * وهكذا أصبح ثم امسى
واهرع الى قارقراه نافع * وافزع الى حام حماه مانع
يقول للضيف نداه جب وجل * ومثله ادخل وانبسط واشرب وكل
وان ظفرت عنده بموعد * تقول كم مال أفادته يدي
لله ما البنه عند العطا * وما احد سيفه اذا سطا
ان قال قولا بين الغرائبا * وقام قس في عكاظ خاطبا
وان حذا الفي على ذي العدد * والكيل والوزن ومذروع اليد

وبجتل وكتب الله في جمعها النصر عادة في ملك عصب الدهر فلم يشرب الخمر ولم يسمع الزمر ولم يعرف النقر ولم يلعب القمر تشحن دور الملوك بالمعازف وداره بالمصاحف وتأنس مجالسهم بالقيان ومجلسه بالقرآن ويألف ابوابهم جهلة الظلم وبابه حملة العلم وتعبث ايديهم بالعود ويده بالجود وتلعب اناملهم بالمزاهر وانامله بالدفاتر يدخرون الدراهم ويدخر المكارم ويقتنون الجواهر ويقتني المآثر ويعدون نفيس الاعلاق ويعد نفيس الاخلاق وكثيرا ماينشدني

فهن اذا جمعتهن دراهم
وهن اذا فرقتهن مكارم

الم به في هذه المده فلان فرجع بثلاثين الف دينار وقد نزلت بهذا المقام في هذه الايام فاختلت بين الخيل والخول

معطل السمع عن العذال * فماله مغير بحال *
الفضل جنس بشه المهنا * ونوعه الذى عليه يقف
سام به أهل العلا جميعا * وارفع ولا رد ولا تقريبا
وان ذكرت افق بيت قدغدا * فانصب وقل كم كوكب تحوى السما
بيت عظيم المجد والعلاء * عند جميع العرب العرباء
اذا اجتليت فى العطا جبينه * اوا ستترت للرجا يمينه

منها والبيت مضمن بكماله

تقول قد خلت الهلال لانما * وقد وجدت المستشار ناصحا
كم بالغنى عنه تولى راجل * وواقف بالباب أضحى سائل
قال له الشرع امض ما تحاوله * واقض قضاء لا يرد قائله
وانت يا قاصده سر فى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد
ولا تقل كان غماما ورحل * كان وما انفك الفتى ولم يزل
باب سواه اهجر عدا الذيب * وصغر الباب وقل بويب
جوده أنسى احاديث المطر * فليس يحتاج لها الى خبر
خذ بحر شعر جبته للذكر * وغصت فى البحر ابتغاء الدر
حتى ملا عينى نداه عينا * وطبت نفسا اذ قضيت الدينا
دونكها معسولة الآداب * ممزوجة بلحة الاعراب
مضى بها الليل مضى الانجم * وبات زيد ساهرا لم ينم
فافتح لها باب القبول تجتلى * وان تجد عيبا فسد الخللا
لازلت مسموع الثنا ذا منن * جائلة دائرة فى الالسن
ما العدا لك راية تقام * فليس الا الكسر والسلام

وقال الشيخ زين الدين بن الوردى

فى صدغه للحسن آيات تخط * وقال قوم انها اللام فقط

قلت الشيخ جمال الدين تقدمه فى هذا البيت بالايداع وهنا بحث لطيف ابحثه مع حذاق الادب قال الشيخ جمال الدين بن نباتة (لاحرف الحسن على خديه خط) ومراده بذكر الحرف هنا مخالفة القوم له على انم البيت باحرف وانما هى حرف اللام فقط وقال الشيخ زين الدين (فى خده للحسن آيات تخط) فلم يبق لقول من خالفه بقوله وقال قوم انها اللام فقط موضع ولا محل واين الآيات التى تخط من اللام ولعمرى ان هذا الايداع على هذا التقدير بصير بيته وبين العجز من بيت الملحة بعض مباينة وكان الاليق للشيخ زين الدين الاعراض عن ايداع هذا البيت بعد الشيخ جمال الدين فانه لم يترك لغيره مجالا فيه والله اعلم وقال الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

زمانه غض فلا يخشى فرط * اذا الف الوصل متى يدرج سقط
بسيف جفنه قتلت نفسى * فانه ماض بغير لبس

وبجلسى بين الحلى والحلل وسيأتيه الم بتفصيل ما اجملت ثم ان لهذا الملك عند الله تعالى دعاء مستجابا يصعد بالاجابة واعتبر ذلك فى خطب وقع فى هذه السنة فكشفه الله بدعائه ورد الكيد فى نحر اعدائه وكان بعض اولاده كرمهم الله تعالى يشرب فى السر شرب المصر فبلغه الخبر فقصه على من اختصه وذهبت النفرة طولا وعرضا وجر الحديث بعضه بعضا وأفضى الى استمالة قلوب العسكر لركوب المنكر من اظهار العصيان والعقوق برفع المنجوق وضرب البوق وطابقه على ذلك جملة من الجنود ليسعوا

فياغزال ان ابنت ما اعتدى * فأسقط الحرف الاخير ابدا
قلت لمذ كر لحى خل الفند * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

وهذا الايداع أيضا نسخه الشيخ زين الدين من قول الشيخ جمال الدين وسبكه فى غير قالبه واين هذا من قول الشيخ جمال الدين فى اشاراته الى قاصد ممدوحه

وانت يا قاصده سر فى جدد * واسع الى الخيرات لقيت الرشد

قال الشيخ زين الدين

وان يكن عدلك فى المؤنث * فقل لها خافى رجال العبث

منها وأجاد الى الغاية

قوامه اشبه شئ بالالف * كمثل ما تكتبه لا يختلف

ومثله فى الحسن قوله

يا خصره من ردفه فز بالمنى * ولا تسل أخف وزنا أم رجح

تركيب هذا البيت غاية فى هذا الباب لانه قدم ذكر الالف فى الاول وقال فى عجز بيت المحة كمثل ما تكتبه لا يختلف بخلاف قوله فى ذلك البيت آيات وقوله فى عجز بيت المحة وقال قوم انها اللام فقط وقال

عذاره الرقيم فز بلثمه * ولا تعير ما بقى من رسمه

ولكن مرسوم الشيخ جمال الدين أمثل واين قول الشيخ جمال الدين

* وارق بمضناك فما سوى اسمه *

حتى يقول بعد التوطئة

* ولا تغير ما بقى من رسمه *

من قول الشيخ زين الدين

* عذاره الرقيم فز بلثمه *

وقال الشيخ زين الدين بعد بيته الاول

تقول فيه خضرة يسيره * كما تقول نار منيره *
دينار وجهه به شحت * وكم دنيير به سحت
يا ليته يعطف بالوصال * ولعطف قد يدخل فى الافعال
لاما حلا لى فى هواه العذل * لشبه الفعل الذى يستقبل

منها واجاد

عيناه افنت أكثر العشاق * وهكذا تفعل فى البواقى
* فى ثغره جواهر غوالى * جلوتها منظومة اللآلى
صورته كالبدر فوق الغصن * فانظر اليها نظر المستحسن
وخل عنك يا عذول العذلا * وان تجد عيبا فسد الخللا

وهذا البيت أيضا منسوخ من ايداع الشيخ جمال الدين والبون بينهما بعيد فان الشيخ جمال الدين اعتذر للممدوح فى آخر القصيدة فى التقصير كما جرت عادة الشعراء بقوله

فافتح

فى الظلم فلا يؤخذ فى الجرم
و ينسلوا من لجام الشرع
ويأمنوا عليه ألم الردع
ودب الشيطان بينهم ودرج
وأولج هذا الابن وخرج
واتبعه الملك العادل باكثر
حجابه وزعماء بابه ونفر
من غلمانه ليرده الى مكانه
فلما بلغوا معسكره صاروا
معه يدا واحده وقدما
قاصده واظهروا شعار
الدولة والعصيان على وليهم
وولى نعمهم ومالك دمهم
واتصل الخبر
فكادت العقول تطير
والقلوب تطيش ولم يؤمن
من الحاضرين ان يكونوا
مع الغائبين ومن المقيمين
ان يكونوا كالذاهبين
فلما جن الليل اردفهم

فافتح لها باب القبول تجتلي * وان تجد عيبا فسد الخللا

هذا مع مطابقة الفتح بالسد في هذا الباب وهذا غاية وأما اعتذار الشيخ زين الدين للعاذل وقوله له عن محبوبه وان تجد عيبا فسد الخللا فالمحبوب عند محبه أجل من هذا القدر والله اعلم وختام الشيخ زين الدين بن الوردي رحمه الله قوله

حتى وفى لي وألان القولا * والحمد لله على ما اولى

ولعمري انى اختصرت من ابداع الشيخ زين الدين بن الوردي جانبا لم أرضه له ومن الابداعات التى برز فيها الشيخ زين الدين بن الوردي قصيدته التى امتدح بها النبي صلى الله عليه وسلم وضمن فيها أعجاز قصيدة أبي العلاء المعري وبعض صدورها وهي القصيدة الرائية التى امتدح بها ابو العلاء المعري ابن القصيبصي ونقلها الشيخ زين الدين ابن الوردي الى مستحقها صلى الله عليه وسلم وقد عن لي ان اجمع هنا بين الاصل والفرع لتظهر مزية الشيخ زين الدين فانه اظهر في ابداعه العجائب واتى بالغرائب ومطلع الشيخ زين الدين خال من الابداع وهو أدر أحاديث سلع والحمى أدر * واهيج بذكر اللوى او بانه العطر

ومطلع الشيخ أبي العلاء المعري

ياساهر البرق أيقظ راقد السمر * لعل بالجزع اعوانا على السهر

قال الشيخ زين الدين بعد المطلع

وقف على الجزع واذكرني اساكنه * لعل بالجزع اعوانا على السهر

وقال في ابداع صدر مطلع أبي العلاء

اذا تبسم ليلا قل لمبسمه * ياساهر البرق أيقظ راقد السمر

قال ابو العلاء يخاطب البرق

وان بخلت على الاحياء كلهم * فاسق المواطر حيا من بني مطر

وقال ابو العلاء في قصر الليل على العاشق ليلة الوصل

يود أن ظلام الليل دام له * وزيد فيه سواد القلب والبصر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح واجاد الى الغاية بقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم

تشرف الركن اذ قبلت اسوده * وزيد فيه سواد القلب والبصر

قال ابو العلاء

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط في الخصر

فنقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

عذبت وردا فلم تهجر على خصر * والعذب يهجر للافراط في الخصر

قال ابو العلاء يخاطب محبوبته

قلدت كل مهاة عقد غانية * وفزت بالشكر في الآرام والعفر

فنقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وما احق المادح والممدوح به فقال

ان الغزالة لما ان شفعت شجت * وفزت بالشكر في الآرام والعفر

قال الشيخ ابو العلاء

بجماعة من الاعراب وقام الى المحراب يستنجد الله تعالى على ولده ويسأله ان يجعله في يده فلما التقت الفئتان اوحى الله تعالى الى الرعب ان يدهشه والى الرسل ان يوحشه فقهر ذلك الجمع وقسر وقص جناحه وكسر وافلت النكل واسر ولجأ من افلت الى ابن سبعون وحارب في عسكره فلما التقى الجمعان بباب هراة وفي عسكره الحاجب النادب وزعيم بابه الذاهب اوحى الله تعالى الى فرسيهما فوقفا فاسر كل واحد منهما وحده واسر من كان معهما بعده فكبلوا في الحديد ووردوا الى مولاهم فلما مثل الحاجب بين يديه قال كيف رأيت الله ياظالم نفسه ألم اشترك وحيدا الم اربك وليدا الم اغنك فقيرا الم ارفعك حقيرا الم اهرب مستجيرا الم تكن للظالمين نصيرا الم تأتني اسيرا الست بجديرا الست

أقول والوحش ترميني باعينها * والطير تعجب مني كيف لم أطر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ضمنت مدح رسول الله مبتهجا * والطير تعجب مني كيف لم أطر

قال ابو العلاء

في بلدة مثل ظهر الضب بت بها * كانني فوق روق الظبي من حذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولي ذنوب متى اذكرسوالفها * كأنني فوق روق الظبي من حذر

قال أبو العلاء يخاطب صاحبيه

لاتطويا السيرعني يوم نائبة * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال الشيخ زين الدين بعد قوله ولي ذنوب

ومطمعي انها لا شرك يشركها * فان ذلك ذنب غير مغتفر

قال أبو العلاء

ياروع الله سوطي كم اروع به * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

نقله الشيخ زين الدين وقال

ولي فؤاد متى تخفر سوى مضر * فؤاد وجناء مثل الطائر الحذر

قال ابو العلاء في المخلص بعد روع الوجناء

باهت بمهرة عدنانا فقلت لها * لولا القصيصي كان المجد في مضر

قال الشيخ زين الدين لله دره

والله لو ان اهل الارض قاطبة * مثل القصيصي كان المجد في مضر

قال ابو العلاء مشيرا الى ممدوحه واساء الادب

وقد تبين قدري ان معرفتي * من تعلمين سيرضيني عن القدر

نقله الشيخ زين الدين بن الوردي الى المديح النبوي صلى الله عليه وسلم وقال بحق

يا نفس لا تيأسي يوم المعاد فلي * من تعلمين سيرضيني عن القدر

قال ابو العلاء وكذب عن القصيصي في قوله

ولو تقدم في عصر مضى نزلت * في وصفه معجزالآيات والسور

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وقال رحمه الله حيث قال

وأين شعري من الهادي الذي نزلت * في وصفه معجزات الآي والسور

قال الشيخ ابو العلاء يخاطب ممدوحه

وافقتم في اختلاف من زمانكم * والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي وقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم وسبى العقول بقوله

وانت في القبر حي ما اعتراك بلى * والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

قال ابو العلاء يخاطب ممدوحه

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لا من اعين البشر

عليه قدرا ثم اجاب بافصح من السكوت فلما سمع الملك العادل صليل الحديد في رجليه بعد وسواس المنطقة عليه رق لشقوته فعفا عن قدرته وتلك عادته فمن خصه بجرم ولا يعفو عن مستوجب حدا ولو عز حدا ثم انه اطلق عن ولده وحبس من كان يسعى في الدولة بفساد وذكر الشيخ ابو فلان ان ابا فلان زاد على خراجه توابع ونوافل وضعف عليه مؤنا ولواحق وامرني ان اكاتبه ليرفع من الزيادة ما اثبت ويحصد من النكاية ما انبت فقلت اللهم غفرا كيف يحتشمني وهل يوقر فضلي من لا يوقر اصلي وكيف اكاتب سلطانا لا يعلم ان الدرهم يؤخذ من مالي خبيث الاحدوثة قليل المغوثة ان رأى الشيخ ان يعفيني من مكاتبته وهلم الى ملك وجد خراجين لم تزل الملوك من اسلافه يستأدونهما ويسمون الاول اصلا ويتأولون في الثاني

والبيت نقله الشيخ زين الدين الى المديح النبوي بكماله ولكن كان فارس ميدانه وقائد عنانه وكأنه كان معدًّا القصيدته حتى يبرزه في حُلة من مديح النبي صلى الله عليه وسلم وهو

لله قولي لعبد الله واليه * قولا الى فص علياه على قدر

اعاذ مجدك عبد الله خالقه * من اعين الشهب لامن اعين البشر

قال أبو العلا يخاطب ممدوحه

سافرت عنا فظل الناس كلهم * يراقبون اياب العيد من سفر

نقله الشيخ زين الدين الى المديح فقال يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

كم راقبت ام منك القدوم كما * يراقبون اياب العيد من سفر

قال أبو العلا يخاطب الممدوح

لو غبت شهرك موصولا بتابعه * وابت لا تنتقل الاضحى الى صفر

قال الشيخ زين الدين يخاطب النبي صلى الله عليه وسلم

سل تعط واشفع تشفع ما ترده يكن * لو شئت لا تنتقل الاضحى الى صفر

قال أبو العلاء في ختام قصيدته

ولا تزال بك الايام ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

قال الشيخ زين الدين في ختامه

وارتجي بك من ذي العرش عافية * في الآل والحال والعلياء والعمر

رحم الله الشيخ زين الدين هذه القصيدة معدودة من محاسنه ولولا خشية الاطالة لاستوعبتها بكمالها فانها بديعة في باب الابداع انتهى وأما اعجاز قصيدة امرئ القيس اللامية المعلقة فان جماعة من اهل الادب ثابروا على تضمينها وتضمين البعض منها وسبكوها في قوالب مختلفة الانواع كتب الي مولانا قاضي القضاة صدر الدين بن الآدمي الحنفي سقى الله ثراه من دمشق المحروسة الى حماة المحروسة في صدر رسالته

احن الى تلك السجايا وان نأت * حنين اخي ذكرى حبيب ومنزل

واهدي اليها من سلامي معطرا * بمسك سحيق لا بريا القرنفل

وأذكر ليلات بكم قد تصرمت * بدار حبيب لا بدارة جلجل

شكوت الى صبري اشتياقي فقال لي * ترفق ولا تهلك اسى وتجمل

* وقلت له اني عليك معول * وهل عند رسم دارس من معول

فاجبته وصدرت الرسالة بقولي

سرت نسمة منكم الي كانها * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فقلت لليلى مذ اصبح طرسها * الا ايها الليل الطويل الا انجل

جنت ما حلا ذوقا فقلت تقربي * ولا تبعدينا عن جناك المعلل

ورقت فاشعار امرء القيس عندها * كجلمود صخر حطه السيل من عل

فقلت قفا نضحك لرقتها على * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وتطارح الشيخ جمال الدين والشيخ صلاح الدين قبلنا في جانب كثير منها ولكن الشيخ جمال

تأويلا ويسمون أحدهما فرضا والآخر قرضا فعمد الى الخراج الاول فحذفه والى الآخر فحذفه فاما أبو فلان فان استصوب الشيخ ان يعرض عليه الفصل من كتابي عرض ولا يستوحش من خشونة الاقوال فهي من خشونة الافعال من جهته فان جاز له ان يفعل جاز لنا ان نقول ثم ان استانف الحسنى عرفني لاحسن الخطاب واعرف ما خبث مما طاب ويتوب الله على من تاب

(وله اليه أيضا)

عظم الله تعالى على الابناء حق الآباء لعلمه بان الوالد يصبو الى والده جنينا ولا يألو حنينا ويشمه وليدا ويقبله رضيعا ويغذيه فطيما ويربيه غلاما ويؤدبه ناشئا

الدين تنازل فيها الى الغاية فقال

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

واما الشيخ صلاح الدين فانه كتب الى الشيخ جمال الدين فى معنى العتب المفرط

افى كل يوم منك عتب يسوءنى * كجلمود صخر حطه السيل من عل
وترمى على طول المدى متجنيا * بسهميك فى اعشار قلب مقتل
فامسى بليل طال جنح ظلامه * علىّ بانواع الهموم ليبتلى
واغدو كان القلب من وقدة الجوى * اذا جاش فيه حميه غلى مرجل
تطير شظاياه بصدرى كانها * بارجائه القصوى اناييش عنصل
وسالت دموعى من همومى ولوعتى * على النحر حتى بل دمعى محملى
اذا عاين الاخوان مابى من الاسى * يقولون لا تهلك أسى وتجمل
ترفق ولا تجزع على فائت الوفا * فما عند رسم دارس من معول
ولى فيك ود طال ما قد شددته * بامراس كتان الى صم جندل
ولى خطرات فيك منها ابو انجى * صبحن سلافا من رحيق مفلفل
كان امانيها كؤوس مدامة * غذاها نمير الماء غير محلل
سلوت غوايات الشبيبة والصبا * وليس فؤادى عن هواها بمنسلى
واجلو محيا الود فيك لاهله * متى ماترق العين فيه يسهل
فكر على جيش الجناية عائدا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
تجد خفرات الانس منها كواعبا * ترائبها مصقولة كالسجنجل
وخل الجفا وارجع الى معهد الوفا * وان كنت قد ازمعت صرمى فاجمل
حلا وتلك الماضى وان لم تعد أعد * لدى سمرات الحى ناقف حنظل

فاجابه الشيخ جمال الدين متهكما فى المطلع والتهكم فيه غاية لا تكاد تخفى على حذاق الادب بقوله

فطمت ولائى ثم اقبلت عاتبا * افاطم مهلا بعض هذا التدلل
بروحى الفاظ تعرض عتبها * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فاحييت ودا كان كالرسم عافيا * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تعفى رياح الصد منك رقومه * لما نسجتها من جنوب وشمأل
ثم قوضت منك المودة وانقضت * فيا عجبا من رحلها المتحمل
امولاى لا تسألن من الظلم والجفا * ببابطن خبت ذى قفاف عقنقل
ولا تنس منى صحبة تصدع الحيا * بصبح وما الاصباح منى بامثل
صحبتك لا الوى على صاحب عطا * بجيد معم فى العشيرة مخول
وحاولت من ادناه وتلك ما نأى * فانزلت فيه العصم فى كل منزل
يقلب لى وجدى به سوط سائق * وارخاء سرحان وتقريب تتفل
وكم خدمة جللتها ومحبة * تمتعت من لهو بها غير معجل

ويعلمه يانعا علما بنفسه
نافعا ويبقيه ذخيرة حياته
ويحتسبها عليه بعد وفاته
ويصدقه النصح فى حالاته
ثم لا يكاد يعدم هذه المبار
من ابيه الا الولد النادر هذه
الابل على غلظ اكبادها
تحن لاولادها وان الطير
على خفة احلامها ترق
افراخها وان الهرة
لتأخذ اولادها بانيابها
فلا تنفذ فى اهابها والناقة
على ثقلها تطأ الحوار
برجلها فلا توجعه بوطئها
فاذا شب الولد ووجد هذه
المبار مغمورا بهذه المسار
صرف وجهه عن ابيه
فلا يكاد يعرف نعمة والده
ويقدرها قدرها الا الشاذ
النادر وفى هذا الباب
تحير أولو الالباب ولا حيرة
فان عندى لهذه العقدة
حلا ان الله فطر ابن آدم
على ضد ما امره به امره

وكم اسطرمني ومنــك كأنها * عذارى دراري في ملاء مذيل
وقلب خليل ينشد الوذهـ‍ـمه * الا ايها الليل الطويل الا انجلي
وكم ناصح كذبت دعواه اذغدت * علي وآلت حلفة لم تحلل
ولحيـــة لاح غانظها ضحكي علي * أثيث كقنو النخـلة المتعشكل
ترى بعر الآرام في عرصاتها * وقيعانها كأنه حب فلفـل
نزعت لسكري ساحبا من صبابتي * على اثرها اذيال مرط مرحل
الى آن تبــدى عـذره مقطيا * واردف اعجازا وناء بكلكل
فلا طفتـه في حالتيه ولم اقـل * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل
وضن باسطار كأن يراعها * اساريع ظبي اومساويك اسحل
ويقرع سمعي من معاريض لفظه * مداك عروس اوصلاية حنظل
وعـدنا الود يملأ القلب عوده * بشهم كهذاب الدمقس المفتل
أعدت صلاح الدين عهد مودة * بكل مغار الفتل شدت بيذبل
فدونك عتبي اللفظ ليس بفاحش * اذا هي نصته ولا بمعطـل
وعادات حب هن اشهر فيك من * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

والذي أقوله المهيع الذي اخترعه الصاحب فخر الدين ابن مكانس ومشى عليه في تضمين هذه المعلقة يعد من المعلقات في بابه * فانه ضمنها في مداعبة رجل من اصحابه * كان كبير الانف وأتى بها الاختلج في صدر متأدب * ولا سمع بعده المرقص والمطرب * وهو قوله

تأنف عن وصف الغــزال تغزلي * بلحيـــة انف ذي عقاص ومرسـل

انظر أيها المتأدب ما ألطف تأنف هنا والطف منه قوله بلحيـــة انف فان العقاص جمع عقيصـــة وهو ما جمع من الشعر والمرسل الشعر المسرح ومراده ان لحية هــذا الانف غزيرة الشعر مسرحة وقال مشيرا اليها

من البق فيها جلة قد تعرضت * تعرض اثناء الوشاح المفصل
فياقبح شعر فوق أنف معرقص * اثيث كقنو النخـلة المتعشكل

الاثيث الكثير والمتعثكل الذي دخل بعضه في بعض لكثرته وتدلى وهكذا قنو النخلة الذي شبه به الصاحب فخر الدين هذا الانف ولعمري ان هــذا الابداع من السحر في نقـله الى هــذه الصفة الغريبة وقال بعده

وقالوا اختبا في شعره فكأنه * كبير اناس في بجاد مزمل

هذا التشبيه بالنسبة الى كبر الانف نوع من الغلو وهو من المخترعات في بابه فان امرأ القيس شبه به جبل ثبير فقال

كأن ثبيرا في عرانين وبله * كبير اناس في بجاد مزمل

والعرانين جمع عرنين وهو الانف والوبل ما عظم من المطر والبجاد كساء مخطط من الشعر الابيض والاسود فنقله الصاحب فخر الدين في ابداعـه الى الانف لما فيـه من الشعر الابيض

بالصلاة وعلقـه كسلان
وبالصيام وجبله شهوان
وبالزكاة وحبب اليه المال
وبالحج وكره اليه الارتحال
وبالعفة وسلط عليه الهوى
وبالصبر ونزع منه القوى
وخلق الانسان على حب
ولده ونهاه عن زينته وخلته
ليشق ذلك عليه فالوالد
يلتذ بما يتكلفه من مبرة
والولد يفعل ما يفعل من بر
مخالفا لما فطر عليـه غير
ملتذ بما يسدي الى ابويه
ولعمري لقد قضى سيدنا
ادامه في امري وفعل ما
لم يفعل غيره بغيري ثم قسا
قلبه وجفت رحمه وانقطعت
كتبه بعد ما تواترت عداته
بالزيارة فالى الله المشتكى
والصلاة على نبيه المصطفى
وآله وسلم
(وله اليه ايضا)
كتابي اطال الله بقاء سيدنا
من ينبع اسوة بيعقوب

والاسود الذى اتسبج فى انفه كالبجاد وشبهه لما اختفى فى ذلك الشعر بكبير اناس فى بجاد مزمل أى ملتف وقد تقدم قولى انه من المخترعات

مقلص كلتا الجانبين كأنه * لدى سعرات الحى ناقف حنظل

وهذا التشبيه أيضا من العجائب فان هذا الانف لم يبرح سائلا فشبهه الصاحب برجل ناقف حنظل فان ناقف الحنظل كثير الدمع لشدة حرارته وقال

ترى القمل والصيبان فى عرصاته * وقيعانه كأنه حب فلفل
وفى جوفه شعر طويل كأنه * بارجائه القصوى اناييش عنصل
فيالك شعرا فوق انف معظم * يلوح كهداب الدمقس المفتل
وكم قلت اذ أرخى ذوائب انفه * على بانواع الهموم ليبتلى
ألا ايها السيل الطويل ألا انجلى * بصبح وما الاصباح منك بامثل

الصاحب فخر الدين رحمه الله ضمن هنا عجزا وبيتا كاملا بنصف بيت واحد وفى هذا من الروية والقوة ما يزيد على الوصف وا ماقوله بعدما ارخى هذا الرجل ذوائب انفه الا ايها الليل الطويل ألا انجلى فان هذا نوع من السحر بل السحر بعينه ومن المبالغة المفرطة فى هذا الباب قوله

كأن الفسا ان قيس مع ريح انفه * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل
ترى شعرات الانف سدت خدوده * لما نسجتها من جنوب وشمأل
وقد درست بالانف آثار وجهه * فهل عند رسم دارس من معول
كأنى بمولانا على وصف انفه * تولى باعجاز وناء بكلكل
وجرد شعر الانف منه وجاءنا * بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معا * كجلمود صخر حطه السيل من عل

هذا الذى وقع عليه الاختيار من اختراع الصاحب فخر الدين تغمده الله برحمته ورضوانه ولعمرى انه من الاختراع الذى لم يسبق اليه * ولا حام فكر من قبله عليه * انتهى وكان الامير مجير الدين بن تميم يجنح الى نوع الايداع كثيرا وأتى فيه بالعجائب والغرائب وقال من شغفه بالتضمين

اطالع كل ديوان أراه * ولم ازجر عن التضمين طيرى
اضمن كل بيت فيه معنى * فشعرى نصفه من شعر غيرى

ومن تضامينه

اقدى الذى اهوى بفيه شاربا * من بركة راقت وطابت مشرعا
ابدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

وله أيضا

وشابة قد كنت اهوى سماعها * وقد صرت منها بعدما شبت انفر
وها انا قد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهى تصفر

واورد العميان فى شرح بديعيتهم بيتين ذكروا ان تضمينهما لبعض المتقدمين من المغاربة

قوله اذ ظعن اليه عن بلده وليس العاق سود الاعراف ولا رمل الاحقاف ولا جبل قاف ثم لا ينشط والله لا يضيع بتلك المكان درهما الا عوضته دينارا ولا يعدم هنالك دارا الا افدته ديارا اخاف والله ان اموت وفى النفس حاجة لم اقضها ومنية لم احظ ببعضها لا يفعل سيدنا الشيخ والضن بالولد اولى من الضن بالبلد وقد رسمت لموصل كتابى هذا ان ينقده مائة دينار بشرط ان يخرج وان يرتب له عمارة تشوية تسعه والشيخ الفاضل الم فليتفضل وليقوما ويرحلا ويستصحب الاخ اباسعيد وليأتى باهله اجمعين فما يعجبنى لقاء ليس له بقاء ولا وصل بعده

وهما على طريقتهم ولكن اعجبانى وهما

وفرع كان بوعدنى بأسر * وكان القلب ليس له قرار
فنادى وجهه لا خوف فاسكن * كلام الليل يمحوه النهار

ومن التضامين البديعة قول زكى الدين بن أبى الاصبع وقد جعل مطلع أبى الطيب عجز بيتين فلم يلحق فيهما فانه نقلهما من فخامة الحمس الى زخارف الغزل بقوله

اذا الوهم أبدى لى لماها وثغرها * تذكرت ما بين العذيب وبارق
ويذكرنى من قدها ومدامعى * مجر عوالينا ومجرى السوابق

ومن تضامين ابن تميم

عاينت فى الحمام أسود وائبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد اثقلته حمولة من عنبر

وقال فى الفانوس

* يقول لى الفانوس حين أتيته * وفى قلبه نار من الوجد تسعر
خذوا بيدى ثم اكشفوا الثوب تنظروا * ضنى جسدى لكننى أتستر

وله

أزهر اللوز أنت لكل زهر * من الازهار يأتينا امام
لقد حسنت بك الايام حتى * كأنك فى فم الدهر ابتسام

وقال

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس فى أمواهها الا لاء
لرأيت اعجب ما ترى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

وقال غيره وسبكه فى غير هذا القالب

لو كنت فى الحمام والحمام على * اعطافه وجسمه لالاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

وقال

يامن يقول بان ترشف لى الحباب لم يرق
وغدا يعنفنى به * دع عنك تعنيفى وذق

وقال

لما رأيت البدر فى ساعدى * ونرجس الانجم قد صوحا
اقتبت رشفاته ريق الدجا * من قبل أن ترشف شمس الضحا

وقوله

صهباء ريقته رشفت سلافها * وتقلبت فعجزت ان اتكلما
واذا سئلت أقل لمن هو سائل * انى لاعلم ما تقول وانما

ومن محاسن الشيخ سراج الدين الوراق قوله

توارت من الواشى بليل ذوائب * لمن جبين واضح تحته فجر

فراق فان لم يكن استصحاب القوم فلا يتأخر بنفسه فسترد على خيمانه نيران والفاكار وأحوال منتظمة وأسباب مستقيمة

(ولوا لده اليه كتب ورقاع أنشأها هو ونسبها الى والده ليقرأها الافاضل من الكتاب فيستدلوا بها على فضل والده)

جعلنى الله فداك لا تزال الارض تلفظ رحلك والنوى تطرد راحلتك حتى تقلك ارض يجهل ما تها ومرعاها وهيهات ان يكون ذلك ونار جزعى وراءك موقدة وأبواب الرجاء دونك موصدة وقد بعثت اليك بما يصل ان شاء الله تعالى فان شئت اجعله جهاز طريقك فى انصرافك وان شئت امض على عقوقك فى خلافك رد الله تائب نأيك وعازب رأيك وهو

فدل عليها شعرها بظلامه * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر
نقله الشيخ شمس الدين بن الصائغ الى المداعبة وزاده تورية بقوله

تطلبت جحرا في الظلام فلم أجد * ومن يك مثلى في حمة دأبه الجحر
فنادانى البدر والاديب الى هنا * وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر

ويعجبنى من تضمين ابن أبى الاصبع قوله وهو منقول من الحماسة الى الغزل

لمن ودادى مثل كفيه صافيا * ولى منه ماضمت عليه الانامل
ومن قده الزاهى ونبت عذاره * صدور ورماح أشرعت وسلاسل

وقوله

هذا الذى أنا قد سمحت بحبه * كرما بلؤلؤ دمعى المنتظم
لا تحرمونى ضم اسمرقده * ليس الكريم على القنا بمحرم

ومن تضامين الشيخ محمود البديعة قوله

من حاتم عد عنه واطرح فيه * في الجود لا بسواه يضرب المثل
لو مثل الجود سرحا قال حاتمهم * لا ناقة لى في هذا ولا جمل

ومن محاسن تضامين شمس الدين محمد بن العفيف البديعة قوله

قالوا اغدا تندم عن لثمه * في خده اذ يغاب السكر
فقال لى مبسمه دعهم * اليوم خمر وغدا أمر

وقال

جلا ثغرا واطلع لى ثنايا * يسوق بها المحب الى المنايا
وأنشد ثغره يبغى افتخارا * انا ابن جلا وطلاع الثنايا

ومن تضامين مجير الدين بن تميم التى تطفل الناس عليها بعده قوله

ان نادثغر الاقاحى اذ نشبهه * بثغر حبك واستولى به الطرب
فقل له عند ما يحكيه مبتسما * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

ومن تضامين القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر البديعة قوله

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عنده وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فاطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

ومن تضامين الشيخ صلاح الدين الصفدى قوله

ملكت كتابا اخلق الدهر رسمه * وما أحد في دهره بمخلد
اذا عاينت كتبى الجديدة جلده * يقولون لا تهلك اسى وتجلد

وقال

قل للرقيب يستريح من عذلى * ما أصبح المعشوق عندى مشتهى
وارتد قلبى عن سيوف لحظه * وكل شئ بلغ الحد انتهى

وقال مضمنا ومكتفيا

رشفت ريقك حلوا * فلم يكن لى صبر

حسبى ونعم الوكيل
(وله أيضا)
الابوة باطلها حق والبنوة حقها باطل ولو علمت ان مناظرة الوالد بالحجة عقوق ومجاهرته بالشبهة فسوق لم يلقنى بابر من القبول واحسن من ترك الفضول
(ولابيه اليه عفا الله تعالى عنهما)
تأتينى الاخبار عنك بما ترتج منه الاضالع وتستك منه المسامع يبلغنى انك صابة نهارك هائم وسافة ليلك نائم فصار لك آلة تسوغها ودابة تروضها وجارية تستعرضها وما مكنك من هذا العبث الايسر ما أنت فيه كثير وقليل ما أنت معه جليل ولعل هذه الاحرف آخر ما تتأذى به من وعظى وتتقذى باسماعه من لفظى

وسوف أحظى بوصل * وأول الغيث قطر

ومن تضامين الشيخ عز الدين الموصلي

وعلق يرى التركي فيه تحمس * يقود عليه احدب و يعاشره
اذا جاءه الوطي يطلب وصله * ثنى طرفه نحوا لحسام يشاوره

وله أيضا

جادلنا كالشادن الربيب * لحظته بالنظر المريب
فقال في السكرة عند نومه * يارب سلها من الدبيب

وقال

نادمت قوما لا اخلاق لهم ولا * ميل الى طرب ولا اسمار
يستيقظون الى نهيق حميرهم * وتنام أعينهم عن الاوتار

وقال

الحديث نبت في العذار حلاوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المرد قلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

ومن تضامين الشيخ برهان الدين المعمار التي اجاد فيها قوله

عزمت على رقبي محاسن وجهه * بانوار آيات الضحى حين اقبلا
فلما بدا يفتر عن تظلم ثغره * بدأت ببسم الله في النظم أولا

وكتب الشيخ شرف الدين عبد العزيز الانصاري الى الشيخ سيف الدين الآمدي

لئن تقدم قوم عصر سيدنا * فكم تقدم خير المرسلين نبي
وان يكن عله فرع الاهم * فان في الخمر معنى ليس في العنب
وان أتت قبله كتب مؤلفة * فالسيف أصدق انباء من الكتب

ومن الغايات في هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفا والناس قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر ازاهره
والوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره *

ومما اجاد به الشيخ برهان الدين القيراطي في تضمينه

قل في اخضرار عذاره وقوامه * خلع الربيع على غصون البان
وانثر من الاغزال في اردانه * حللا فواصلها على الكثبان

ومن غايات الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة في هذا الباب قوله

قل للهلال وغيم الافق يستره * حكيت طلعة من اهواه بالبلج
لك البشارة فاخلع ما عليك فقد * ذكرت ثم على ما فيك من عوج

ومن تضامين علاء الدين بن ايبك الدمشقي البديعة قوله

أقول وقد عطشت وجه حبي * لعرق على ورد الخدود
أرى ماء وبي عطش شديد * ولكن لا سبيل الى الورود

ومن تضامين القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قوله

شعر
يا لك من قبرة بمعمر
خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ماشئت ان تنقري

(وله اليه أيضا تجاوز الله عنهما)

جعلني الله فداك اشهدك الله ان تسلم بخراسان انها مغرب شموسنا ومسقط نفوسنا وقد سمعت في مجمل ما رأيت في خالك كفالك والسلام

(ولابيه أيضا اليه عفا الله عنهما)

جعلني الله فداك ان كانت للفراق غاية فقد بلغتها وزدت اوللعة وقعطيبة فقد ركبتها أوكدت وان كان صدرك ينبوع صبر وقلبك جلود صخر فقد آن له ان يلين ولك ان تذكرني في الذاكرين جعلت فداك ما كان أولاك امرأ سوء بما مل بها

لقد قال لى اذ رحت من خمر ريقه * أحث كؤسا من المقبل
بلثم شفاهى بعد تقبيل مبسمى * تنقل فلذات الهوى فى التنقل

وظريف فى هذا الباب قول الشيخ بدر الدين بن المجبى

* ولما خلونا والمسرة بيننا * وقد عز شرب الراح فيناعن الشرب
تعوض كل بالحشيش عن الطلا * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب *

ومن تضامين شهاب الدين بن أبى حجلة البديعة قوله

يحكى سنا الفانوس من بعدلنا * برقا تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به اجفانه

وقال فيه

أنا فى الدجا الق الهوى وبمهجتى * حرق يذوب لها الفؤاد جميعه
وكأننى فى الليل صب مغرم * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

وقال وأجاد

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسا العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس (ى)

ومن تضامين الشيخ برهان الدين القيراطى

تجمعت من لطف ذاته * حتى بدا فى قالب فاسد
وليس على الله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

وقال مضمنا فى قطائف

لقد نطقت زهر الشنا بقطائف * تخيرتها فاختر لنفسك ما يحلو
تقول اسمعوا منى مدائح مرسلى * وكلى ان حدثتكم السن تتلو

وله فى باذهنج وأجاد

بروحى افدى باذهنجا موكلا * باطفاء ما القاه من حرق الجوى
اذا فضت فى الحر منه طوابق * أتانى هواها قبل ان اعرف الهوى

وقال فيه

ايا باذهنجا صح فيه لنا الهوا * صفاتك ماوفى بهن خطاب
وما شئت الا أن أدل عواذلى * على ان عشقى فى هواك صواب

وقال فيه الشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة وأجاد

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه ابدا عليل *
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

ويعجبنى من قصائد الشيخ برهان الدين القيراطى قوله

وموسوس عند الطهارة لم يزل * ابدا على الماء الكثير مواظبا
يستصغر البحر الكبير لذقنه * ويظن دجلة ليس تكفى شاربا

ومن غاياته فى هذا الباب قوله

عاملت ولا اسلف شر
يقابل بما قابلت فاهذه
البداءة على حين اسعفى
الشيب نداءه وغشانى
رداءه ولم ترض الايام بما
جرعتنيه من ثكل فراقك حتى
الحقت بك عمك وحرج على
الدهر مؤكدا أن لم ينقضى
عروة عروة ويحاق عقدة
عقدة وردكتابك بذكر
احوالك واستقامتها وانت
فيما ذكرت بين طرفى جد
ولعب وحدى صدق وكذب
فان قلته هزاحا فالفرع
لايمازح أصله اوكذبا فالرائد
لايكذب اهله وان كان
جدا ماذكرت وصدقا
ماوردت فاستدم الوسيلة
التى نلت بها الفضيلة
واستبق الذريعة التى

ولما بدا والليل اسود فاحم * قد انتشرت فى الخافقين غياهبه
اضاء بدر الثغر عند ابتسامه * دجا الليل حتى نظم الجزع ثاقبه

وقال بدر الدين حسن الزغارى وأجاد

وبى ساحرى مربى فى عمامة * قد اكتسبت من وجنتيه احمرارها
موردة دارت بوجه كانما * تناولها من خده فأدارها

ومثله قول الشيخ عز الدين الموصلى

وساحرى اعار البدر منه سنا * سمو نجما وهذا النجم غرار
تهتز قامته من تحت عمته * كأنه علم فى رأسه نار

ومن تضامين محيى الدين بن قرناص الحموى

افديه اغيد زارنى تحت الدجا * وعليه من فرعيه ليل ساجى
والفرق بين الشعر فوق جبينه * عريان يمشى فى الدجا بسراج

وقال ايضا

سقى الله روضا قد تبدى لناظرى * به شادن كالغصن يلهو و يمرح
وقد نضحت خداه من ماء ورده * وكل اناء بالذى فيه ينضح

وقوله فى كاحل

دعوا الشمس من كل الجفون فكفه * تسوق الى الطرف الصحيح الدواهيا
فكم اذهبت من ناظر بسواده * وخلت بياضا خلفها وما قيا

وقال الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * امسيت تمشى فى المسرة راكبا
ومتى طرقت عشى آنس ديرها * لم تلق الا راغبا او راهبا

وقال ابن الوردى تعجبت من اشتهار بيتين ما احكمهما بانيهما ولا اعتنى بعائبهما وهما

مقامات الغريب بكل ارض * كبنيان القصور على الثلوج
يذوب الثلج تنهدم البنايا * وقد عزم الغريب على الخروج

فخلصتهما من مقامات الغريب بكل ارض واوقدت فكرتى فذاب الثلج وانهدمت البنايا المستحقة للنقض وجعلتهما اسمى من السماء ونقلتهما من كثافة الارض فقلت

مليح ردفه والساق منه * كبنيان القصور على الثلوج
خذوا من خده القانى نصيبا * فقد عزم الغريب على الخروج

قلت وقد سألنى بعض حذاق الادب عن بيت ابن مطروح الذى لم تصل افواه البلغاء الى لثم اعتابه * ولا الحضور الى جنابه * ولا وجدوا طاقة للدخول من بابه * فضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لطرح نفسه خاضعا * وسلم الى مفاتيح بيته طائعا * وهو قوله

لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

فقلت

ولما خلعنا العذار * فككنا طويق الخجل
لبسنا ثياب العناق * مزررة بالقبل

اسكنتك المنزلة الرفيعة وهذه نصيحتى لك ووصيتى اليك والله حسبى فيك وخليفتى عليك والسلام

(وله الى اخيه)

كتابى اطال الله بقاءك ونحن وان بعدت الدار فرعا نبعة فلا تحملنك بعدى على فرقك ولا تمحون ذكرى من قلبك فالاخوان وان كان احدهما بخراسان والآخر بالحجاز مجتمعان على الحقيقة مفترقان على المجاز والاثنان فى المعنى واحد وفى اللفظ اثنان وما بينى وبينك الا ستر طوله فتر وان صاحبنى رفيق اسمه توفيق لنلتقين سريعا ولنسعدن جميعا والله ولى المأمول جملة فذاك الشفيق سيء الظن وما احوجنى الى ان اراك ولا قرابة الا الاخوة وتلك والله يعصمك نازلة الدهر وقاصمة الظهر وان يشأ

ومن تضامين الشيخ زين الدين بن الوردي ما ذكره في ديوانه انه كان لصاحب يدعى بالمجد
له اذية مفرطة من زوجته وأبيها وجدها فكتب اليه الشيخ

زوجة مجد الدين والداها * في ثلب عرض المجد اشبهاها
ان اباها وابا اباها * قد بلغا في المجد غايتاها

ومن تضمينى الذي ما حام فكر من ضمن اعجاز الملحة عليه * ولا سبقني جواد من فحول العرب
اليه * قولي مداعبا

نصبت أيري اذ نحوت نيكه * وهو يريد رفعها الى ابتدا
وبعد ذا الجرة قد اضفته * وفي المضاف ما يجر أبدا

وانشدني من لفظه الكريم قاضي القضاة شهاب الدين بن حجر من هذا الباب بيتين كان مولانا
قاضي القضاة علاء الدين يترنم بهما

تيه فلان الدين مع فقره * أقوى دليل انه جاهل
لثوبه بالصقل من فوقه * قعاقع ما تحتها طائل

وقال ايضا في المجون

وشاعر فاسق أتى امرأة * من خلف اذ سامه الملح قلي
وقال اذا ما انتبوه معتذرا * تلجي الضرورات في الامور الى

ومن تضامينى الغريبة

حثت عزمي شوقا اليكم * فلم اطق مكثه بارض
وحيث لم أحظ بالتلاقي * فغايتي ان اوم حظي

وقولي

يقول معذبي حسن تخبر * سواي فقلت قد عز اصطباري
وكم في الناس من حسن ولكن * عليك لشقوتي وقع اختياري

وانشد المقر المرحوم محمد بن منهال ناصر الدين عين الموقعين بدمشق المحروسة بيتين لابن
الوردي والاصل للحريري صاحب المقامات

لو جئته صيادكم نسخة * حريرية ملحة في الملح
يقول لنبت العذار اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

فنظمت في ذلك المجلس بيتين اعترفت لهما القصور العوالي بالقصر * وما شك أحد ان ابا بكر
مقدم على عمر

غدا طير أفراخنا ساهما * يحوم على ورد عذب القدح
فقلنا لدر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

ومن تضامينى الغريبة ما ضمنته قول عنترة في معلقته

واذا سكرت فانني مستهلك * مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلي وتكرمي

فقلت

الله يسلك سنا ويثبتك
ثباتا حسنا والله اولى بك
من اخيك وهو حسبي فيك
فاستعن بالله وحده اليس
الله بكاف عبده
(وله الى اخيه ابي سعيد)
كتابي اطال الله بقاءك
معدولا به اليك عن سيدنا
والخصم اذ تركوا الباب
وتسوروا المحراب فدخلوا
على داود سوى الخصومه
ومراد دون الحكومه
وتحت القنا بلايا اولها
ملامه على ان آخرها
سلامه ولها فاتحة فتح
على ان لها خاتمة صلح ولامر
ما صرفت الخطاب اليك
وقصرت الكتاب عليك
وزويته عن سيدنا والشوق
اليك شديد وهو الى غيرك
اشد وانت الشقيق العزيز
والشقيق منه اعز ولكني
افتتحت هذا الكتاب
مصدورا ورققته

جاد النسيم على الربا * بندى يديه وقال لى
أنا ما اقصر عن ندى * وكما علمت شمائلى

وبيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع
اذا رآه الاعادى قال قائلهم * حتام نحن نسارى النجم فى الظلم
الشيخ صفى الدين ضمن فى بيته الشطر الاول من مطلع المتنبى وشطره الثانى
* وما سراه على خف ولا قدم *
وبيت العميان
واسمح بنفسك وابذل فى زيارته * كرائم المال من خيل ومن نعم
والعميان ضمنوا الشطر الثانى من بيت الشريف الرضى وشطره الاول
* ماض من العيش لو يفدى بذلت له *
وبيت الشيخ عز الدين
ابداعها الفضل فى الاصحاب شرفهم * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم
والشيخ عز الدين ضمن الشطر الثانى من بيت المتنبى من قصيدته التى ضمن فيها الشيخ صفى الدين الشطر الاول وهو قوله
ولم تزل قلة الانصاف قاطعة * بين الرجال وان كانوا ذوى رحم
وبيت بديعيتى أنا مستقر فيه على المديح النبوى تابع لقولى وهو
وآله البحر آل ان يقس بندى * كفوفهم فافهموا تسكت مدحهم
وفى الوغى رادفوا لسن القنا سكنا * من العدا فى محل النطق بالكلم
واودعوا للثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم
وأنا أيضا ضمنت فى بيتى شطرا ثانيا من ميمية المتنبى والشطر الاول
* ولا تشك الى خلق فتشمته *
ووجه الاستحقاق هنا سافر لمستجلى محاسن هذا النوع والله أعلم
(ذكر التوهيم)
(والبعض ماتوا من التوهيم وطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم)
قلت هذا النوع أعنى التوهيم وتقدمه باب الترشيح كان الاليق بهما ان ينتظما فى سلك باب التورية ويذكر التوهيم مع ايهامها والترشيح مع المرشحة وقد تقرر كل من النوعين وتقدم فى بابه والذى مشى عليه الشيخ صفى الدين هنا هو ايهام التورية وهو قوله
حتى اذا صدروا والخيل صائمة * من بعد ما صليت الاسياف فى القمم
فذكر صيام الخيل هنا يوهم السامع ان السيوف صلت من الصلاة ومراده الصليل وهو صوت الحديد واعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى والنجم والشجر يسجدان بعد قوله الشمس والقمر بحسبان فان ذكر الشمس والقمر هنا يوهم السامع ان المراد بالنجم احد النجوم والمراد به النبت الذى لا ساق له قال ابن أبى الاصبع وقد يأتى التوهيم للمطابقة كقول أبى تمام رحمه الله تعالى

قلبى مغتاظا ونويت ان انفث تنفيسا عن صدرى وتخفيفا عن صبرى فخشيت ان يغلظ كلامى او يطغى قلمى وقشر الابوة رقيق لا يحتمله ومجال العتب ضيق بين العبد وسيده والوالد وولده فاستخرت الله عند ذلك فى صيانته وابتذالك اذ وجدتنى بك آنس وعليك اقدر ولك املك وفيك أنطق ومعك اجرأ واجرى فلا عليك ان تسمع ولا تضجر والكبر سلاحى عليك والسن عذيرى منك يأبى الله يا ابا سعيد ان اسعد من بلدك بحظ اوافوز من رحمك بصلة اعمامك فى الخفاء قدوة اصهارك وذو وسوآتك كذوات

التوهيم

تردّى ثياب الموت حمرا فما اتى * لها الليل الا وهى من سندس خضر

فانه اوهم بالمطابقة بين الاحمر والاخضر وليس يطابق اذ الاحمر لا يطابق الاخضر وفرّع منه ضربا آخر فقال هو أن يأتى المتكلم بكلمة توهم بما بعدها من الكلام ان المتكلم أراد تصحيفها ومراده خلاف ذلك كقول أبى الطيب

وان الفئام التى حوله * لتحسد ارجلها الارؤس

فان الارجل أوهمت السامع ان لفظة الفئام بالقاف ومراد الشاعر الفئام بالفاء وهى الجماعات الكثيرة هكذا اروى هذا البيت والمبالغة تقتضيه فان القيام بالقاف يصدق عليه اقل الجمع انتهى وبيت عز الدين الموصلى

يا سائرا مفردا اعربت حلك فى * توهيم منع رضاع الشاء من حلم

قلت هذا البيت المبارك عجزت عن حلّ معناه اذ ليس له تعلق بما قبله ولا بما بعده ولا بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ولم أزل فى حيرة الى أن وقفت على شرح المصنف فوجدته قد قال الحلم مشتق من الحلمة وهى رأس الثدى ويحصل فى جلد الشاة دود دقيقة تقول العرب حلمت وحلم اديمها أى وجد الدود فى جلدها ثم قال ومعنى البيت الى اخاطب سائرا فى الطريق منفردا بنفسه عن الناس لا يرغب فى مرافقة احد فقلت له وانت تتوهم بتركك اجتماعك بالناس معنى لا تظهره كما توهم الراعى بمنع رضاع الشاء ان جلودها حلمت وحلم بين حلم الشاة وحلم الاديب قلت والله ما ازددت الاحيرة فى تفسير هذا الشرح والذى اقوله ان الشرح والنظم فى العناد وعدم الفائدة كفرسى رهان وبيت بديعيتى تقدم قبله وهو

واودعوا الثرى اجسامهم فشكت * شكوى الجريح الى العقبان والرخم

وقلت بعده فى التوهيم

والبعض ماتوا من التوهيم واطرحوا * والسمر قد قبلتهم عند موتهم

فذكر الموت فى البيت يوهم السامع ان نساءهم السمر قد اداروتهم الى جهة القبلة كما هو المعهود والتوهيم هنا فى التقبيل وفى السمر والمراد بالسمر الرماح وبالتقبيل الطعن فى الافواه التى تنزل هنا منزلة التقبيل واستعارة التقبيل للرماح فى غاية الحسن فانهم شبهوا اسنان الرمح باللسان وشبهوا مواقع الطعن بالثغور ويعجبنى هنا قول ابن المزين فى الرمح

أنا أسمر والراية البيضاء لى * لا بالسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لى عيش الغداة لاننى * نوديت يوم الجمع بالمران

واذا تفاخرت الكماة بجحفل * كلهم فيه بكل لسان

(ذكر الالغاز)

(وكل ما ألغزوه حله لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم)

هذا النوع أعنى الالغاز يسمى المحاجاة والتعمية وهى اعم اسمائه وهو أن يأتى المتكلم بعدة الفاظ مشتركة من غير ذكر الموصوف ويأتى بعبارات يدل ظاهرها على غيره وباطنها عليه وابدع ما فيه أنه لم يسفر فى افق الحلى غير وجه التورية وأما تعسف الفرقة التى ليس لها المام بالتورية فى الالغاز فامرهم مسلم اليهم واما علماء هذا الفن فانهم ما قرروا غير ما قررناه فى ذلك

استارك والنية كالاعمال فسادا والليلة كالبارحة سوادا تحاسد والمثال قليل وتهاجر والعمر قصير والشيبة تحقر والشيب لا يوقر والصغير لا يعرف لكبيره والكبير لا يعطف على صغيره والدور بعيدة والقلوب ابعد والحيل ضيقة والاخلاق أضيق واللقاء عن عفر والسلام عن عذر والزيارة تاريخ والابتسام فتح الروم والاجتماع خلف النصول ما هذه الطباع وفيم هذا النزاع ولو كان فى قميص الخلافه او سرير الاماره لكان شنيعا وبئس صنيعا وكنت اظن بنشء العشيرة

الالغاز

ذلك قول أبي العلاء في ابرة

سعت ذات سم في قميص فغادرت * به أثرا والله شاف من السم *

كست قيصرا ثوب الجمال وتبعا * وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وقول ابن حراز في خيمة

ومضروبة من غير ذنب أتت به * اذا ما هدى الله الانام اظلت

قلت لغزا ابي العلاء ولغز محيي الدين لم تسفر فيهما الوجوه الحسان الا من وراء ستور التورية

ومنه قول ابن حراز فيمن اسمه عثمان

حروفه معدودة خمسة * اذا مضى حرف تبقى ثمان

ومن الطف الالغاز في القلم

وذي خضوع راكع ساجد * ودمعه من جفنه جاري

مواظب الخمس لاوقاتها * منقطع في خدمة الباري

وقول ابن عبد الظاهر في شربه في كوز الوزير

وذي اذن بلا سمع * له قلب بلا قاب *

اذا استولى على حب * فقل ما شئت في الصب

ومن لطائف ما وقع في باب الالغاز ان شيخ الشيوخ بحماة كتب الى والده ملغزا في باب بقوله

ماواقف بالمخرج * يذهب طورا ويجي

لست اخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده في الجواب

ذهاب ومجي موخوف وشر هذا باب خصومة والسلام * وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ملغزا في باب

اي شي تراه في الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق

هو زوج وتارة هو فرد * وهو في اكثر الاحايين يطرق *

وطليق في نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق

وهو في القلب يستوي وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق *

فاجبني عنه بقيت مطاعا * لست في حلبة الفضائل تسبق

وقال الشيخ برهان الدين القيراطي في باذهنج واجاد

اهواؤنا المختلفه * قد اصبحت مؤتلفه

في شامخ بأنفه * على العوالي انفه

وذي جناح لم يطر * وكل طير الفه

جناحه طول المدا * يبدي علينا رفرفه

في الريح ضاع قول من * على هواه عنفه

عليله الصحيح كم * شفى فلو بادنفه

وروحه لطيفة * وذاته منحرفه

اذا انتهت الى النوبة نعمت التوبة فقد عمت الجفوة الى الله ان ابتديكم شغفا ولا تجيبوني سرفا وكلما ازددت بكم خلفا ازددتم على تصلفا أكل هذا التقري اليكم وكل هذا الغنا كم عني يد الصون منافي التراب وحديث ماحديث سيدنا ربشه القول اني قاصد قصدكم العام وعدته الايام وشكري لاعقاب الشهور اذا انتهت وشوقي الى انجازها حين تقبل فلما جاشت النفس واختلجت العين وطنت الاذن لقرب القافلة وردت خالية من كتابه نفثات الامل حسيرا وعجبت لذلك كثيرا ولم اعجب من تأخر ركابه عجبي من تأخر كتابه ارايت

عن قبلة الدين ارى * حب الهوا قد صرفه
ولم تكن مع الهوا * اعطافه منعطفه
هوا متحت طوعه * كيف يشا صيرفه
مازال غير شاكر * ساكنه مذ الفه
وكلما أسرف في * بذل شكر ناسرفه
انفاسه كم اودعت * مجالسنا تلطفه
كم رشفت من غصن * وقامة مهفهفه
معناه هو العيش * عند من قد عرفه

وقال محيي الدين ملغزا في قرى

ما معمي ورأسه * في عداد المطير
كم له من مترجم * كم له من مصحر
كم خواف لم تبدت * لالتقاع المبصر
كله مجسم وان * زال بعض اسمه قرى

وقال المقر المرحوم الاميني صاحب دواوين الانشا الشريف بدمشق المحروسة ملغزا في فاختة

وما طائر يهوى الرياض تنزها * ويسرح في افنانها ويغرد
هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد
وبعدهما تصحيف باقيه ان ترد * بيانا له اذ هي تبين وتشهد
وفيه أخ ان تمت عنه فأخته * تدل على ما قد عنيت وترشد

هذا اللغز ورد الى الديار المصرية وحله بقية السلف الشيخ زين الدين بن العجمي واجاب عنه بقوله

ايا من له مجد اثيل وسودد * غدا دون مرقاه سماك وفرقد
تقيد يسارا المقتري بيمينه * وبسراه من يمنى الغمامة أجود
سؤالك عن انثى طروب ولم تزل * على عودها في الروض تشدو وتنشد
وتجذبني بالطوق عند نشيدها * لهو التصابي لا أطيق افند
ومذبان منها الطرف امست لعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد
وان حذفت ثاني الاخير فانه * على العكس خاف بل يلوح ويشهد
فأولها مع ما يليه وحرفها * لنا فاه بالمعنى الذى فيه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن بالعكس في ذاك يجهد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفي مفرق الجوزا لواؤك يعقد

وقال ملغزا في درة

أي شيء من الجمادات يلقى * وتراه من بعد ذا حيوانا
وترى ذلك الجماد عزيزا * غاليا منه رصعوا تيجانا

يا أبا سعيد كاليوم اسمعت بالتي نقضت غزلها انكاثا اقرأت قصة التي وهبت لواحدها اثاثا اتبغي بعد هذا ميراثا ارأيت الذى اتبع عقدة النكاح ثلاثا اعجبت من وعد الفريق في القايل غيا انا غرو وان قضيتك مع اخيك اظرف وحال اخيك معك اعجب عسى الله ان يجمع الشمل انه قدير كريم

(وله اليه ايضا)

لا يكاد خيالك يغبني يوما فما لكتابك لا يسرني يوما وكما لا يجب اباك ان تكون ابنه فقط كذلك لا ينبغي ان تكون اخي فحسب نهات واقفني بعذرك فيما اضعت من عمرك علام انفقت وفيم انفدت وما الذى افدت واعلم ان للمرسم امن المكاره موفورا ونصيبا من النصب

وترى الزوج منه في حيوان * ذي جناح يألف الطيرانا
واذا ما شدا على العود يوما * فوق دف يصرف الاغصانا
او بدا في مقفص فابن برد * عند اسجاعه يضر بها نا
كله طائر وفي ثلثيه * لك ذو اربع مع العكس بانا
* كله عاطل به تصطفي * كل خود وتستقل الجمانا
وتراه عند الملوك عظيما * وبتصحيفه حقيرا مهانا
عكسه في تصحيفه زد ينقص * فالمسمى هنا فكن يقظانا
واذا لم تدر التصاحيف دره * للذي فيه فهو يدري البيانا
وبتعريفه تؤدب من شئت اذا كان يجهل العرفانا
* ثالثاه دون تقديس وفي * فيه اذا جاء يصحب المرجانا
لكن الثلث عنده نصف وحش * ذب عنا تصحيفه ما اعترانا
وهو في البر نافر واذا ما * حضروه قلبا ألف الانسانا
فافترسه بالحل ان كنت ليثا * فهو لغز عن فضله قد ابانا
وعلى ذكر القمري والفاختة اوردت هنا ما الغزته في القفص وهو قولي
اي مغنى اعواده بيت شدو * مرقص مطرب وبالقلب صفق
لمجموعه النباتي حسن * فرت من بعضه بسجع المطوق
ونقل الشيخ جمال الدين الدميري في كتابه حياة الحيوان لغزا في بجع
ما طائر في قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره في وسطه * والعين منه في الذنب
وكتب علامة العصر الشيخ بدر الدين الدماميني الى المجدي فضل الله بن مكانس ملغزا في قدح فقال ما اسم حبيب الى النفوس * شبيه البدر حليف الشموس * ان قلب كان لقلبه من العين مكان الملابسه او سقط قلبه مع الفعل كان ضد اللاقوال الكاذبه * وان صحف بعد العكس انبأ عن الذكا وهذا غاية الشرح * وان غير ثانيه اعلم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح * ماشيئاه مع التصحيف آلة للصيد * معينة على المكر والكيد * وان قطع طرفه كان صراح باقيه قواما * وان عكس على الطرف صار بتصحيفه مداما * وان زال اوله كان العكس عقابا للمتعاطي اثمه * او صحف اشتاقت الشفاه الى تقبيله ولثمه * وربما كان الحد عند تصحيفه الآخر منافيا لاسمه * مباينا في الحقيقة لحده ورسمه * فكتب الجناب المجدي الجواب والغز في ورد بقوله يقبل الارض التي اطالت بالجفا حرمانه * وتداركته بعد اجراء دموعه فعظمت في الحالين شانه * وانهى المملوك الى اللغز الذي تمتع بحله * وشرب بقدحه * فابتهل شكرا * ومالت اعطافه بالقدح الفارغ سكرا * فوجده كما قال مولانا حبيبا الى النفوس * مجتهدا في التوصل بحلاله الى الرؤس * وكتب في الجواب لغزا * وشالف نفسه اذ قالت لا ينبغي مجاراة هذا الجواد الا (وهو) ما عاطل يحلى به المجالس * ويتفكه به في المجالس * ثمر وجناته من الشرب * ويحمد آثاره في البعد والقرب * ان قلبته وجدته تاجا * وان

مقدورا هو لا بد لاقيه فكن كالخمك لعل اتاك وفيكهما في صبالك فان لم يضربك صغيرا لم تعدم من يضربك كبيرا وان لم يتعبك صبيا اتعبك الدهر مليا وان سمت وانت طفل ندمت وانت كهل وابدأ بالقرآن قبل كل محفوظ ثم تفسيره والله ولي تيسيره ولا تشغلك كتب اللغة عما رسمت لك فقيها اضاعة الزمان ولا خير في لغة ليست في القرآن

(وله اليه ايضا)

كتابي والاخ على ما آتاه الله من جراءة قلب وقدم وبسط لسان وقلم يقدم على الاسد فلا يخشاه ويقول المحال فلا يتحاشاه والمحال لا يلتطم الحد انما يتجاوز الحد ولا يشج الراس انما يرفع القياس ذكرني كسلت عن اماتة فاطفئت

تركته على حاله زاد ذلك ابتهاجا * بعذب بالسار وغيره الجانى * وبرى بين ان بدلت اوله برد الامانى * يستخرج وهو داخل * و يرى دمعه من نار قلبه هاطل * لاتبرح به فى غبطه * ولا تجد فيه مع انهما لمنقطه * فان حذفت أوله وحرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب * وان فعلت كذا فى ثانيه رأيت ما بقى مولدا للمحبة بين الاحباب * وورّان حذفت آخره كن ورى * وغص فى بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج درا * والمملوك يسأل الصفح فانه لولا المحبة ما اجاب * ولا طرق بعد فقدا بيه هذا الباب * فكتب اليه الشيخ بدر الدين الجواب يقبل الارض وينهى ورود الجواب الذى شفى القلوب بوروده * واللغز الذى نسى بوروده بان الحمى وطيب وروده * فوجده روض بلاغة عدم العاتب والعاتب * وترعرع زهره حيث امطرته من الانامل المجدية خمس سحائب * فلو شاهده ابن الوردى لاحمر خجلا * او صاحب زهر الادب لتلون وجلا * ثم تأمل حل اللغز فوجده قد كشف المشكل وجلى * واعترف انه لم يذقه اطيب من ذلك الحل ولا احلى * وتحقق أن مولانا اوسع المملوك فى مقام الادب بفضله ايناسا * وتناول منه قدحا أعاده بالفاظه المسكرة كاسا * وانتهى المملوك الى اللغز المخدومى فقال

مولاى يحمد الله يا من فضله * يروى وجود كفوفه يروى الصدى
الغزت فى اسم عاطل حليته * فبنا بدر اللفظ او قطر الندى
ان أوردا التحريف فى اثنائه * قد كان للشانى هلا كا اوردى

وقال مجيباله أيضا عن الورد

لله لغزك يا مولى فضائله * قد عطر الكون منها طيب انفاس
انى بورد خيالى على قدحى * به وابهجنى ماين جلاسى
وقد اساجرح كسرى حين اقبل لى * روحى الفداء اذ كرالورد والاٰس

(ى)

فاستعلى المملوك بالتحريف ورده * وود لو اقتطف من اغصان حروفه ورده * ورده الى ذل القصور عاريا عن ملابس عزه * وانشد قول ابن قلاقس وقد نقل بنار عجزه *

اذا امتنعت اثمار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراح على بهرج هذا الرأى الكاسد * واقتنع بالشميم على رغم انف الحاسد * وعلم ان تلك الورود لا تخرج الامن تلك الحضره * وان هذه الفاكهة لا تخرجها الا غصان اقلام لها باليد المخدومية بهجة ونضره * وتشبى المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقة * ورأى كل ورقة فاحمرت الوجنات الحمر فصيرا هى وردة ام شقيقه * وتفكه به معجبا بثمار غرسه * منشدا لمن كرر النظر فى صحيفتى طرسه

ان كنت تزعم ما فى خده عجبا * فانظر الى الورد فى خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه الوردى بالعنبر لورده * وعوذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد * وتأملت بقصور راحتى نكتة برد الامانى * فانعقد لسحر البيان لسانى * وتيقنت أنه لا يقوى على فهم هذا البرد الا كل حديد النظر * ووجدت تصحيف هذه الكلمة يا شمس الفضائل للعقول قمر * وعلمت ان الفكر لا يجارى من بديهته من بحر الفضائل رويه * وان

ذلك الفصل ذريعة الى رضاه وانما معنى اشتم عرض الانط والعن زغب البط واقول لم يرجع على ولم يرجع الى ولم يحم حوالى كانه العتب لو رجع صاحبه فاما اذا لم يرجع فلا عتب وان كان فلا عتبى وذكر اعتداده بما فعلت وقلت وثقته بما اعتقده من مودته وانما كتبت ذلك لتعلم لا لتعتد وانحى لا لامتن واما ما وصف من شوقه فمعلوم لان الصبر عن مثله لوم والعجب شوقى اليه والوجه فلوس والرأس روس والجملة شيطان والتفصيل سلطان وانا مع ذلك افديه عضوا عضوا الا المجدود الموروث كيلا يحفظ على المحدود وتبلغ سلامى الى فلان والى فلانة واهامن قلبى ما لا يحمل الزمان عقدته ومن

الخاطر لا يقوى على سلطان هذا الغزلان شوكته قوية * وقلت الذهن رد بعضه لتتمهل شرا با سائغا * وزد تصحيفه ليكون فى التعريف بمناه مبالغا * وتمتعت من ورده بالمشموم * ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم * فاستقطر البين ماء الورد من حدقى ولولا انا الصفح عن مقابلة هذا الدر بالسقط * وغمرهم بهذا الحشف الملتقط * قلت وعلى ذكر القدح والورد حسن ان نورد هنا لغزا فى المدام وقفت عليه للشيخ صلاح الدين الصفدى بخطه

وماشئ حشاه فيه داء * واوله وآخره سواء
اذا ما زال آخره فجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان اهملت اوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

قلت لابد للمدام من ماء من حيث الممازجة ووقفت بالديار المصرية على لغز للشيخ زين الدين ابن العجمى الغزه فى الماء فاعجبنى وهو قوله سألتك اعزك الله عن سائل لاحظ له فى الصدقة ولم يكن متصل النسب بالاشراف * وتراه كثير الرجفان من غير أن يخاف * كم رد سائله نهرا * وعفر وجهه فاند فى التراب قسرا * مذكر كثير الحيض * لطيف الانبساط سريع القبض * مطلق التصرف وعليه الحجر * وطالما قبل العشاء أبدى لنا الفجر * يتشعب وينكسر * ويتعوج ويتدور * وتبدو له خمسون عينا واكثر * يحمل القناطير المقنطرة * ويعجز عن حمل ابره * سريع الاستحالة * قل ان يثبت على حاله * بعيد الغوص ليس له قرار * ويعاجل صفاء وداده بالاكدار * ويسكن فى تخوم الغبرا * ويتم على احوال السماء نثرا * بعيد الغوص رقيق القلب على كل عديم * وكيف لا وهو المولى الحميم * يجود بالخير الحلى * ولا يرد من نداه مؤملا * كم عمر سبيلا * وقطع طريقا وأخاف سبيلا * وكم طغى واحترق * واظهر الجفاء وهو كثير الملق * صقيل يجلو الصداء * ويظهر على شدة البرد تجلدا * قد جمع فيه الخوف والرجا * والكدر والصفا * فسبحان من جمع فيه هذه الاضداد * وارسله رحمة للعباد * ويعجبنى فيه قول ابى الفضل بن الخازن

وخل صفاء زرته بعد هجعة * فالفيت شخصى فى حشاه مصورا
واودعته سرى فافشاه للورى * فيا حسن ما افشى الغداة واظهرا
ابوه حليف للثريا وامه * به حامل فى بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يبارى الرياح الذاريات اذا جرى
تزر عليه الريح ثوبا موردا * وتكسوه شهب الليل ثوبا مدنرا

قلت وعلى ذكر الماء يحسن ان نورد هنا لغزا فى القربة كتب الشيخ بدر الدين الدمامينى الى المقر الامينى امين الدين الحمصى كاتم السر بدمشق صاحب ديوان الانشاء بالشام لغزا فى قربة تزاحم سرب الادب على الشرب منها * ولو عاش صريع الدلاء ود أن يكون راوية عنها وهو قوله

اكاتب سر الملك والفاضل الذى * ثناه على الافكار فرض مرتب
يحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما اتاه اللغز يرويه مصعب
فديتك ماذات أطالعكم بها * ويبحث فى الاسفار عنها وتطلب

السلامة ما الاخلق الايام جدته

(وله الى ابى الفتح ولد ابى طالب)

ارانى اذكر الشيخ اذا طلعت الشمس او هبت الريح او نجم النجم او لمع البرق او عرض الغيث او ذكر الليث او ضحك الروض ان للشمس محياه وللريح رياه وللنجم حلاه وعلاه وللبرق سناؤه وسناه وللغيث نداؤه ونداه وفى كل صالحة ذكراه وفى كل حادثة اراه فمتى انساه واشدة شوقاه عسى الله ان يجمعنى واياه

(وله اليه ايضا)

حشوا المطى فهذه نجد غاب الهوى وتطلع السعد وقد برح الشوق برحا لا استطيع له شرحا وغلى الوجد غليا لا يرده صبر ولا يسعه صدر

تشدو كم في الارض قار أمالها * وصدق اذا ما قيل تملي وتكتب
وماهي في التحقيق راوية وكم * لها خبر في الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها * زمانا وفي وقت لها يتجنب
وتبلغ منها الحياض حقيقة * ولكن رأينا قلبها وهو طيب
يزيد مريدوها اذا ما تصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها اربع لكن بساق رأيتها * على السعي في الاحياء بالنفع تدأب
وما نال اغافي تعاطيه بعدما * رأيناه من تلك العتيقة يشرب
وشم فمها المفتوح كم راح سائلا * وما نطقت حرفا عن القصد يعرب
وترضع احيانا وما حان وضعها * وكم من فتى في حملها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسل فاعجب لمن مسلسل * غدا مرسلا عنه الرواية تجتب
وكم من خليع شمته اذ تعنقت * يعد اليها الراح لهوا ويطرب
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب
وتعبيقها يا جبهة الدهر بلدة * حواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد في الافلاك عالية لها * وبألفها بعض الجوارى ويصحب
ويامن لرق الفضل اصبح مالكا * فما لي الاشخو عليه مذهب
تلقت اللغز نحو بابك قد أتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

قال بعضهم ملغزا في قربة السباحة

وذات فم طورا تسبح ربها * ولم تكتسب اجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رهط

قلت أما لغز الشيخ بدر الدين في القربة فنسيج وحده وما ذاك الا انه لم يجنح فيه الى عقادة من تمذهب بغير مذهبنا ولم يسبكه في غير قوالب التورية وقد ذكرني لغزا ألغزته في قصب السكر بطرابلس المحروسة وقد انشد في بعض المخاديم وهو المقر المرحومي الشهابي الدنيسري لغزا في قصب السكر ايضا وهو

وحاملة درا حكي الخرلذة * ونشرا يروى شربه ويقوت
تعيش اذا لم يبد منها فان بدا * فمهجتها في اثر ذاك تفوت
فلم ترعيني مرضعا في مثالها * من الخلق تسقي درها وتموت

وقال بعد الانشاد ولا اعلم في هذا الباب مثل هذا اللغز لانه سالم من التعقيد والتصحيف والتحريف والعكس والحذف والابدال فنظمت هذا اللغز في يوم الانشاد وهو

وعسالة تبدو بغير أسنة * ولا طعن فيها وهي داخلة الصدر
ممشقة هيفاء حلو مذاقها * به يطرح المراد في المهمه القفر
منعمة لفاء مهضومة الحشا * تكاد بأن تنقد من رقة الخصر
وتحلو على البيض الرشاق شمائلا * اذا ما انثنت في غلائلها الخضر

وابرح ما يكون الشوق يوما
اذا دنت الديار من الديار
فحيا الله طلعة الشيخ وبارك
في مقدمه بركة تعمه من
فرقه الى قدمه ووصل له
الخيرات بهذا السفر حتى
تستقر له عن كل محبوب
وقد أصحت السماء قليلا
وصفا الجو يسيرا والحمد لله
كثيرا فليعجل اهتمامه امامه
وليعد اعتزامه قدامه
وليفرج بين الخطا حتى يشفى
علة ويحاوط الة ويبدئ لة
ويؤنس وحشة وهو بذلك
يستوجب شكرا

(وله اليه ايضا)

ولو ان ما اودعته من محبة
اودعه الجبال لا تتبسا
التباسا يجعل رأسيها
راسا واساسيها اساسا
واني لاذكره يقظان فاتصور
مثاله واحلم به نائما واواصل
خياله وله على كل خطراتي

بلذ قبيل العصر فى الظهر رشفها * وبرد لماها من أليم الجوى يبرى
وان سقيت ماسقتك سلافة * بطيب مزاج وهى طيبة النشر
وينبت حلو الثغر حلو نباتها * فيرشف أريا قا الذ من الخمر
وان لمت فى ثغرها وتبلجت * دع ابن جلا يقرع ثناياه فى الثغر
على عودها كم للرباب مواقع * وموصولها يغنى عن الناى والزمر
وان قطعوا موصولها شبهت به * أولوا الذوق تشبيها شفى غلة الصدر
وترفع بعد النصب والكسر جرها * فتجزم ما للقارىء من الذكر
وهمزاتها همزات وصل وقطعها * اذا ما أصابت جائزلك يامقرى
وفى أول الاعراف تروى من الظما * وتضرم نيران الجوى وهى فى العصر
ومن حلها ان افرغت فى قوالب * بقول الورى هذا هو السكر المصرى
ومن أجل ذا عنها ابن سكرة روى * وأما النباتى قال من ههنا قطرى
كذا ابن الحلاوى قلبه معها نرى * كسيرا وكم قد أوردته لظى الجمر
فيا من حلا ذوقا وحل بدائعى * وفى عقد الالغاز يانافث السحر
تأملت بعد الحل كيف تنوعت * حلاوتها حتى رقت منبر الشكر
بنية فكر من حماة تغربت * وغربتها والله قد اشغلت فكرى
ومن شط ذاك النهر يابحر قد أتت * فلا تنهروها فهى فى حيرة البحر
سعت من ابى بكر لاحمد خدمة * واحمد من أولى الورى بابى بكر
فلازلت فى حل وظعن مؤملا * لكل غريب جاء حتى من الشعر

قلت وبعد قصب السكر يحلو أن نورد هنا شيأ مما الغزوه فى العسل فمن ذلك ما كتب به الشيخ شرف الدين عيسى العالية الى سيدنا الشيخ الامام العالم العلامة بدر الدين بن الدماميني وهو

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع سمعت الخير أمرا محكما * يمضى على الالغاز جمعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا اصله * أكرم به انغزا يروقك طعمه
لكنه ماحاز منقارا ولا * ريشا واجنحة ولست اذمه
من أين يعرف ما اسم شئ ربما * أكلته فى بعض الجماعة امه

فاجابه الشيخ بدر الدين بقوله

يافاضلا نثر المحاسن نظمه * والغزه قد ذل بحزاحمه
وتطرزت حلل البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لأعراض البدائع سابق * ومن الفضائل قد توفر قسمه
الغزت فى اسم عاطل حليته * بنفيس در صح فينا نعمه
فاذا اصفت القلب منه لاصله * قلنا بهذا الفعل قد وضح اسمه
واذا عكست الاصل منه فهوان * أعربت لمن ليس يجهل حكمه

رقيب وعلى كل تطرانى حسيب ولا يقدح فى الحال بيننا أن يتأخر كتاب متوقع انما اوجب ذلك عذر الوقع كحالنا العام انى اثبت هذه الاسطر ونصفى راحل وابلى مقيمة وكتبها والاحمال تشد والعلوفات تعد والخبز تؤكف والمكارى يزاف والدواب تسرج والجمال تقدم والجمال يشتم وفى اثناء هذه الاحوال تضل الآراء وانا ان شاء الله وارد غزنة وراجع عنها الى هراة فكاتب الشيخ بما يجدده الله من حال ويقربه من منال ويفيضه من جاه ومال ويلغنيه من أمان وآمال ويحسنه الى من دار ومآل وماذلك

قد كانت الاذهان منه خلية * فغدت به شهد الذيذ طعمه
ورأى ابن سكرة حلاوة طعمه * فقضى بتقطير المرارة وهمه
ورأى بعين لغزك الحلو الجلى * حلو المذاق فحار فيه فهمه
واعاذه بعلى امير النحل اذ * اضحى عليا فى الفصاحة نظمه
فاصفح بفضلك عن جواب سائل * يا طالعا فى خير افق نجمه

قلت وعلى ذكر العسل يحلو أيضا ان نورد هنا ما ألغزه مولانا المقر المرحومى القاضى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى فى سكر نبات وكتب به الى وهو

يا قاضى الادب احكم لى فذا ادبى * حلا مذاقا ووقع لى بتحسين
واقبل شهادة ما أهديته ترمن * تصحيف معكوسه ثان بن كيفى

ورسم لى بحل اللغز والجواب فالغزت مع الحل لغزا زائد الحلاوة فى قطر وهو

اهديت لغزا حلا ذوقا مكرره * فاضحى منه حل فى قلبى بتمكين
وفزت منه بشكر فى مصحفه * وجاء منه بان قلت يكفينى
تصحيف معكوسه من غير تزكية * وحكمه ثابت عندى بتبيين
جماة منبته لكن بعصرله * مزية تزدرى نبت الرياحين
فخل منه انا لغزا يجانسه * يحل احشاء رضينا فيرضينى
يرادف اسم رباب فهو يطربنى * هذا وتصحيفه فى العيد يأتينى
حلو رقيق بلا حشو لذا تقه * لان قطر النبات عنه يغنينى
فلا برحت برغم الكسر تجبرنى * وكلما مر لى عيش تحليني

قلت وعلى ذكر القطر يحلو أن نورد هنا شيأ من بديع ما ألغزوه فى الكنافة والقطائف فمن ذلك ما ألغزه الشيخ برهان الدين ابراهيم القيراطى فى النوعين وهو قوله

هذان لغزان قد حلا ببابك يا * قاضى البرية ما هذان خصمان
اسمان كل خماسى اذا كتبت * حروفه فهما لاشك حرفان
تباينا فى الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما فى الاصل مثلان
هما الى الصين منسوب مقرهما * ان احضرا فى مكان بين اخوان
لذا كنى وهو بين الناس ليس له * من كنية ما اتحى فى ذلك اثنان
فى البر يلقى وان فتشت عنه تجد * فى لجة البحر ملقى جسمه الثانى
نبت ارى النار قد ابدت له ورقا * فاعجب له ورقا ينمو بنيران
يحيا اذا ما سقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان
ذو رقة فاذا صحفته ظهرت * كثافة منه فاستره بكتمان
هذا وكم من بدور منه قد طلعت * فى آخر الشهر لم تمحق بنقصان
فقدها خيط فجر أبيض عجلا * بالبرق يسطو عليها سطوة الجانى
واللغز الآخر فى اسم ذات ألسنة * لم يبد منها النبا بالنطق حرفان
يا حسنها ألسنا اضحت حلاوتها * يحلو المديح لها من كل ملسان

على الله بعزيز وقد طالت مراجعات الشيخ فى حديث ابى طالب جوابى الله دواه وابو طالب جلدة بين العين والانف ولا يعيش بعدى الا من يا كثرها فانه قرة عينى وبصرى ويدى ولسانى ويدى وانس يومى وذخيرة غدى وفلذ كبدى وقطعة من جسدى والزيادة على التمام فضول وليس بعد الغاية سول فان رأى الشيخ وأبت الكريمة عنده الاتراد فشرط ذلك أن يبعد شأوه فى العلم ويرسخ قدمه فى الدين ويتحامى من اخلاق الشيخ تعاطى الشرب ويقتدى به فى سائر أخلاق الفضل ويزورنى لاخبره عاما

بالطى والنشر فى حال قد اتصفت * والطى والنشر فيما قيل ضدان
كم سكرت فقصدنا بالدخول بها * أبو ابيها فتلقتنا باحسان
حسناء أجمع اهل العقد كلهم * والحل منها عليها بعد عرفان
وصالها حل بالاجماع فى زمن * فيه الوصال حرام عند اعيان
ثلثا ثلاثة اخماس لها وجدا * شيأ يجىء بايضاح وتبيان
وماذكرت من الاخماس قد نطقت * صدقا بذكر اسمها من غير بهتان
وخمسها جبل لكن بقيتها * فى مكة يرتجى فوز ابغفران
مامل راو من القالى أماليه * عنها وماخاطر القالى لها شانى
فى الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون بجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف * جهرا ويوصف مع هذا باتقان
بالحل أنم سق القطر المواطئ من * اقدام سعيك من ار واء ظما آن

وكتب مولانا قاضى القضاة صدر الدين بن الآدمى الحنفى رحمه الله الى علامة العصر سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين بن الدماميى رحمه الله ملغزا فى لوزنيج واجاد الى الغاية وهو

يامن له فى علوم النظم أى يد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
ما اسم دوائره فى نظمها ائتلف * والثلم فى صدرها مستعمل حينا
اجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هذا ويقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه * يا فرد يارحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

فحله المشار اليه رحمه الله وأجاد الى الغاية والجواب

يامرسلا من شهى النظم لى كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحاسنا
حليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يافاتنى رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا فى دوائره * للكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضماره مستحسنا فأبن * بالكشف عنه لمن وافاك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أمينا رشيد العقل مامونا

والله تعالى يمن على أنواه شاكريه بما هو اشهى من اللوزنيج وأحلى * ويحلى اعناق المتادبين من كلمه بما هو انفس من الدر وأغلى * وكتب الشيخ بدر الدين المشار اليه ايضا الغزا فى دواة وجهزه الى المقر المرحومى الامينى المقدم ذكره وهو هذا

كتبت واعذارى اليك تقرر * ونظمى بها يا كاتب السر يجهر
اتتك بابيات المعانى فرضتها * وحكت حبير اللفظ وهو محرر
وحليت اهل العصر اذ كنت خاتما * لهم فمابك الآن بعقد خنصر
وما انت الا البحر جاش عبابه * ولكن رأينا منك علما يحبر
فما كلمة افديك دام اعتلاؤها * وفيها دواء ان عراها تغير

فان بعثت الكريمة فجمع الله بينها وبينى وأقر بلقائها عينى أعظمت قدرها ونفذت امرها وأقررت بكل مراد عينها ووصلت أبا طالب رحمه الله واستعنت بالله على ما أنويه فيه

(وله ايضا)

ورد العام من هراة ابو فلان وهو منى بمنزلة السمع والبصر والشيخ يعرض عليه نفسه ذاهبا وجائيا ويصلح شؤونه عائدا وباديا ويرد من بوشنج فلان وهو أخو الرئيس بها فليحسن خدمته متصدقا بين يديه عارضا نفسه عليه والحاكم ابو عثمان وهو لى بمنزلة العم فليخصصه من العناية بالاهم ويرد من بيته فلان وهو من صدور خراسان وكبرائهم والشيخ يحسن خدمته فيما وجداليه سبيلا ويرد من بلخ ولى نعمتى ابو جعفر وهو ابن الشيخ الجليل ابى

ويحفظها دولسر وهي التي وشت * وذلك من عاداتها ليس ينكر
وما مسها الا وجادت بنفسها * وحتف ترى المقصود بالنفس يظهر
وتحمل سمر الخط رايات ملكها * على الرأس عباسية حين تخطر
كحيلة طرف تعشق العين شكلها * ويحسن مرآها اذا ما تحبر
مؤنثة كم ذكر تنا بلونها * عهود الصبا والشئ بالشئ يذكر
وكم قد أرانا ريقها من مسلسل * بلذته فى الذوق ورد ومصدر
وكم لاقت الاحبار منها محاسنا * فعادت اليها الجهال بالعي تحصر
مسودة ان ترض فالعيش أخضر * وان غضبت فالموت لاشك أحمر
ويعذب للسمر الرقاق رضابها * فتنهل منها موردا لا يكدر
لقد أحكمت والنسخ مازال دأبها * بذلك قد جاء الكتاب المسطر
وماهى الاذات مترية غدت * وكم ذى غنى عن قصدها ليس يفتر
والسنا نراها غير سائلة ولم * تقصه بسؤال فاعترانا التحير
فانعم بحل اللغز يا خير منعم * فانت به والله أجدى وأجدر
فلا زالت الاقلام تسعى اشكركم * على رأسها طول المدى لا تقصر

فكتب المقر المرحومى الامينى الجواب بعد أيام وهو قوله

مواقع أقلام لها الفضل ينشر * وروضة آداب بها القلب يجبر
تحرر معنى حسنه نسج وحده * فيا حبذا الاسكندرى المحرر
تشق على الافهام ثقة شأوها * فكم من بليغ عن مداها يقصر
أتت سهلة الالفاظ ممنوعة الذرا * حماها من العلياء لا يتسور
تشير الى الحبلى التى عز وضعها * فاحشاؤها فيها الاجنة تقبر
ينامون لا تغشاهم سنة الكرى * فان هب فرد ظل يسعى ويحضر
وان أرشفته من زلال رضابها * تهادى بها نشوان يمشى ويعثر
وأما اذا عموا السواد فكلهم * خطيب له فوق الانامل منبر
وينطق عن علم وطول نباهة * وعما رآه فى المنام يعبر
تطاول سمر الخط انى تشاكلت * سموا ومع هذا على الطول تقصر
وكل بنى الآداب تلفى بيوتهم * تقام بها بين الانام وتعمر
فاكرم بعاقد ولدته وانشات * وربت ويكفيها بذلك مفخر
نجية وجهى ان جلست وجهها * تجاهى وجاهى عندها ليس يحقر
وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * وأنى استقالت فهى فى ذاك تعذر
فلا زلتم أهل الجمال وخيركم * لدى النقص مثلى فهو حظ موفر
بمدحكم الاقلام يضحك سنها * بحق وافواه الدواة تقطر

ويعجبنى من الالغاز فى التورية قول شهاب الدين الغزاوى فى قوس وهو

ماعجوز كبيرة بلغت سنا طويلا وتتقيها الرجال

العباس فليوثم سدته وليغتنم خدمته وأوصيت به خيرا واستوصى خيرا وان عرض له بالرى عارض شغل تولاه هذا الشيخ وبلغ مراده منه ويكفى من الخدمة قدر الطاقة ولا يحمل على نفسه كعادتها فى الاعوام قبلها ويرد ابو فلان وهو العالم الفرد والكوكب الفذ ويصل معه ان شاء الله ما خدمت به سيدنا الشيخ فوصلت به اباطالب فليعن بخدمته فضل عنايته وسلام عليه وعلى من تشمله جملته وتضمه قبيلته من صغير وكبير وله أيده الله فيما يؤنسنى به من كتبه ويعرفنيه من سار أخباره رأيه الموفق ان شاء الله

(وله اليه ايضا)

أنا منذ أسعدنى الله بما اساومه على الايام واقترحه

وابها فى البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال

ومن غريب ما أعجبنى فى هذا الباب قول القائل فى كمون وهو

يا أيها العطار اعرب لنا * عن اسم شئ قل فى سومك

تنظره بالعين فى يقظة * كما ترى بالقلب فى نومك

ومثله قول شمس الدين الهيتى فى ورق وهو

وشئ بلا جرم يصلب تارة * ويقطع حينا فى حضور واسفار

ومن قدم قد بيض الله وجهه * على انه ما انفك يوما عن القار

ومن لطائف الشيخ شمس الدين ابن الصاحب فى هذا الباب قوله فى سهم

لله مملوك اذا * ما قام فى الشغل اعترض لكنه فى لحظة * يحصل لك الغرض

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله ملغزا فى قلم

مولاى ما اسم لناحل دنف * وما به علة ولا سقم

لسان قوم فان حذفت وان * صحفت بعض الحروف فهو فم

وقال ملغزا فى على

امولاى ما اسم جلى اذا * تعوض عن حرفه الاول

لك الوصف من شخصه سالما * وان قلبت عينه فهو لى

ويعجبنى فى هذا الباب قول ابن المرجانى ملغزا فى مشط وهو

يا اماما سألته حل لغز * شط منه مزار أهل الذكاء

اهمل الثلث باعتناء وقلب * تره جاء قائد الشعراء

ويعجبنى قول الشيخ صلاح الدين ملغزا فى قريشة

أى شئ يروق للناس اكلا * ذو بياض واصله من حشيشه

خمسه أثقل الجمادات وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

ويعجبنى لغز ابن منقذ فى الضرس وهو

وصاحب لا امل الدهر صحبته * يسعى لنفعى ويسعى سعى مجتهد

لم القه مذ تصاحبنا فذ وقعت * عينى عليه تفارقنا الى الابد

ومن الغايات التى لم تدرك فى هذا الباب قول القاضى صدر الدين بن الآدمى رحمه الله ملغزا فى كشتوان

ما رفيق وصاحب لك ثلثا * ه معينا على بلوغ المرام

هو للعين واضح وجلى * وتراه فى غاية الابهام

واستظرف قول بعض موالياه ملغزا فى بدرة

محبوبتى وجهها يغنى عن المقباس * واسمها ينقذ العاشق من الافلاس

ان تعكسوا تجدوا ضدين فى الاجناس * هذا نقوروهذا يقبل الايناس

وسألنى جماعة من فضلاء أهل الادب بالديار المصرية ان انظم لهم لغزا فى كرمة واطلق لهم عنان القلم فى ذلك فقلت

على الزمان من لقاء الشيخ وجاءت البشارات بقدمه وشكا اعتد الانفاس واستخبر الناس واشكر اعقاب الايام واستبطئ مرى الليالى فأهلا بالقادم ومرحبا بالوارد والعيش البارد والظل الدائم والانس الكامل والروح الواصل وياشوقاه متى اراه وحتام ذكراه سهل الله جمعنا واياه خير المواهب أدام الله عز الشيخ ماشابه بعض الاذى لكون مصرفة لعين الكمال ولولا اختلاف السيوف والتقاء الجموع واضطراب الجيوش واختلال الامور وفساد الطريق وتناول الملوك ومايتبع هذه الاحوال من الاهوال لاستقبلته بنفسى مائة فرسخ وباحبابى مثله لكن العوائق ظاهرة فلا يصمان ذلك على جهل بمقدار

(ى)

أخبروني عن فاضل باصول * وفروع يسمو على كل فاضل
اسبغ الله ظله فهو ظل * سابغ وافر مديد وكامل
وأبو محجن يقول ادفنوني * تحته ان أتاني الموت عاجل
كم الينا قد مد كفا نديا * صير العيش أخضرا في المنازل
نقط الطل فوقه وضعته * عند توقيعها به وهو عاطل
ماتدى لتابعين ولكن * حرفته وصحفته الافاضل
فرأينا للترك فيه اسم عين * بفتور الاجفان جاءت تغازل
ان تذكره أحرف الكل تبدى * كرما والندى من الكف هاطل
أو تؤنثه يقبل الهاء في الحا * ل ومن بعد ذا يرى وهو حامل
ويقل شطره لمن عابه منه * للشهم بالعكس عندى حاصل
هو حلو وفيه مر لك يبدو * عند تحريف عكسه المتماثل
وبلا أول يرى فعل أمر * واقلب الفعل منه فالامر ساحل
وهو خشب مسندات ولكن * ساز فجلا يبدو رقيق الغلائل
ومن العز جسمه الغض يدمى * وتراه من بعد ذا وهو ذابل
واذا ما فرطت فيه تراه * لم يحل عنك وهو نعم الخصائل
ذو بياض وحمرة ولدالى * فرحا راح ساريا في المفاصل
فتراه يوما عقود بلخش * نظمت سلكها بغير أنامل
وتراه يبدو عقود جمان * مالها غير ثغر حبى مماثل
وتراه طورا سلافة راح * ولدرا لحباب فيها حواصل
وعلى عوده يغنى علينا * أعجمى به تهيج البلابل
للتمنه فواكه وشراب * كل غصن البك تلقاه واصل
وحلا واته بها كل قلب * كسروه والكسر للقلب حامل
وترى وصله بصبر قليلا * وهو بالشام لايزال يواصل
وتراه بذات عرق مقيما * فى نعيم وظله غير زائل
واذا قلت في الخيم بالغو * ر رأينا لك فيه اصدق قائل
ولقد جاءنا بعتب لطيف * عند تصحيفه لمن هو هازل
كيف لا والكتاب عن جنتيه * قد اتى مخبرا بكل الفضائل
فتفكه من حمله بقطوف * دانيات لكل آت وراحل
واقسم تحت ظله فهو لغز * ظله ظاهر على كل قائل
ثم دم للالغاز فى الحل والعقـ * ـد غنيا اذا اتى اللغز سائل

قلت ومما الحقوه بالالغاز ما حكى عن بعض ولاة الطوف ببغداد جاؤا اليه بغلامين غلب عليهما السكر فقال لاحدهما من ابوك فقال

انا ابن الذى لاينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود

نعمة الله فى اقباله ولا يستوحش انا نخوى عن استقباله ان الامر على ما وصفت ولا آمن ان خرجت عينا نطرق بسوء أو بدا تعقب تبشر فيضيق لذلك قلبه فاذا ورد ان شاء الله ورد على الاسماع والابصار ومشى على العروق والهام ووصل الى الفؤاد وتمشش فى العظام وحظيت به الصدور حظوة البلد القفر بصائب القطر ووردت كتب فلان مشحونة بشكره مملوأة من الثناء عليه فازددت لها قامة وزدت بها قيمة وشكرت الله تعالى على ماوفق له الشيخ من التصنف بين يديه والتقرب اليه ووردت الكتب بخط فلان وقد كنت اخذلت بحديثه فى الكتاب اليه سهوا وغلطا ثم اعتمدت ذكاء الشيخ

ترى الناس افواجا الى ضوء ناره * فمنهم قيام حولها وقعود

فاطلقه وعظم في عينه وقال هذا ابو من بيت كبير وقال للآخر من ابوك فقال

انا ابن من دانت الرقاب له * ما بين مخزومها وهاشمها

تأتيه بالرغم وهي صاغرة * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالي ما أشك ان هذا أبوه كان ملكا شجاعا فامر باطلاقهما فلما انصرفا كان في المجلس رجل نبيه فقال للوالي الشاب الاول كان ابوه فوالا والثاني كان ابوه حجاما فاعجب الوالي منه ذلك فقال

كن ابن من شئت واكتسب ادبا * يغنيك مضمونه عن النسب

ان الفتى من يقول ها أنا ذا * ليس الفتى من يقول كان ابي

وبيت الشيخ صفي الدين على الالغاز في بديعيته

حران ينقع حر الكر غلته * حتى اذا ضمه برد المقيل ظمي

الشيخ صفي الدين ألغز هنا في السيف فانه يروى في حر الكر بالدماء واذا دخل القراب الذي كني به عن برد المقيل كان ظامئا والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته

ان المنافق لغز قلبه زغل * وهو المعمى كمثل الارزة الرزم

قلت الشيخ عز الدين غفر الله له لم يأت في بيته بغير الجناس المقلوب في لغز وزغل واما التعمية بالارزة الرزم فتأملت ما المراد منهما حتى نظرت في شرحه فوجدته قد قال الرزم القائم والارزة شجرة الصنو برفما ازددت في التعمية غير تعمية وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

وكلما ألغزوه حل ألسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم

قد تقدم وتقرر ان احسن التعمية في اللغز ما أسفر بعد الحل عن تورية بديعة في بابها وهذا البيت ايضا بديع في هذا الباب فان اللغز في الرمح والتورية في لسن لان لسان الرمح لسان القائل في التورية للمتكلم وفي التعقيد المشترك بين تعقيد اللغز وتعقيد الرمح واما المناسبة بين الحل والتعقيد والازراء بالفهم بعد ذكر الالغاز فمحاسنها لا تخفى على حذاق الادب والله سبحانه وتعالى اعلم بالصواب

(ذكر سلامة الاختراع)

(وقدّه باختراع سالم الف * يبدو بتروبسه من رأس كل كمي)

هذا النوع اعني سلامة الاختراع هو ان يخترع الشاعر معنى لم يسبق اليه كقول عنترة في وصف الذباب

وخلا الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم

هزجا يحك ذراعه بذراعه * قدح المكب على الزناد الاجذم

هذا المعنى اذا تأمله المتأدب وتخيله في فكره يجده غريبا في بابه فانه قال ان هذا الذباب لما خلا بهذه الروضة التي اعاد الضمير اليها في قوله بها صار هزجا مترنما يحك ذراعه بذراعه من

وفطنته في الامور فكان كما ظننت ووردت كتب السادة من الحجاج بشغل ما ورد به كتاب فلان وأجبت عن كل كتاب ورد وأرجوه وصل ان شاء الله تعالى

(وله اليه ايضا)

ولما نزلنا منزلا طله الندى انيقا وبستانا من النور حاليا

اجدّ لنا طيب المكان وحسنه منى فتمنينا فكنت الامانيا

اليوم طلق والهواء رطب والماء عذب والمكان رحب والسماء مصحية والريح رخاء فاين سيدي أبو الفتح اشهد ما اليوم جميلا ولا الهواء طيبا ولا الماء يبرد غليلا ولا نسيم الروض الا ثقيلا ولا الانس الا دخيلا ولا الزمان الا بخيلا

واني لتعروني لذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

(سلامة الاختراع)

الطرب الذى اعتراه فشبهه عنترة برجل أجذم قاعد يقدح زنادا بذراعيه والاجذم المقطوع اليد والتقدير فى البيت قدح الاجذم المكب على الزناد انتهى ومنه قول ابن الرقاع فى تشبيه قرن الخشف

يزجى أغن كأن ابرة روقه * قلم أصاب من الدواة مدادها

وعدوا قول ابن الرومى من المخترعات التى لم يسبق اليها فانه قال فى تشبيه الرقاقة حين يبسطها الخباز

لم انس بالامس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة وشك اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء يرمى فيه بالحجر

وأجمعوا على ان قول ابى الطيب من الاختراعات التى لم يسبق اليها وهو قوله

حاشى وفيا ان رددت الى الصبا * لفارقت شيبى موجع القلب باكيا

قلت اما ابو الطيب فانه شن الغارات على معانى المتقدمين كثيرا وما خفى ما أورده عليه الحاتمى فى الحاتمية وكان قد عن لى أن أورد فى هذا الشرح المبارك له ولمن تقدمه ولمن تأخر عنه جملة مستكثرة مما وقع لهم من معانيهم من سلامة الاختراع بالنسبة الى اطلاعى وخفت أن يقع اختيارى على معنى أعده لصاحبه من سلامة الاختراع فيأتى من تصرف اطلاعه على معنى له لغيره ممن تقدمه فأضربت عن ذلك وجنحت الى ذكر ما وقع لى فى نظمى من سلامة الاختراع التى لم أسبق اليها ولا حام طائر فكر غيرى عليها فمن ذلك قولى من قصيدة رائية

وحمرة الخد أبدت خيط عارضه * فخلت كأس مدام وهو مشعور
ومذ بدت نسمات الثغر باردة * بدا بافضاء ذاك الجفن تكسير

وقلت منها فى وصف القلم

له يراع سعيد فى تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير

ومنها

واشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل أسمر عينه السوداء يلحظها * وهدب اجفانها تلك المشاعير

ومثله قولى من القصيدة

كذا محابره سود العيون فان * دنت أياديه فهى الاعين الحور

ومنه قولى من قصيدة ميمية

حين قابلت خده بدموعى * أثرت خلت ثوب خزمنمنم

ومنه قولى فى وصف جاذ من قصيدة طائية

ينظم بالشطين درغمارها * عقودا لها العاصى رأيناه كالسمط
وقد مد ذاك النهر ساقا مدملجا * وراح بنقش النبت يمشى على بسط

وليس الشوق الى مولاى بشوق انما هو وقع السهام ولا الصبر عن لقياه بصبر انما هو كاس الحمام وما للسم سلطان هذا الهم ولا للجمر طغيان هذا الامر ولو شاء الله لاجتمع الشمل ولا تصل الحبل ولكن الله يفعل ما يريد وورد كتابه مع فلان لطيفا حجمه ظريفا طيه مليحا شكله بارزا عنوانه سارا صدره حسنا خطه سديدا معناه وافظه وفهمت مودعه وحمدت الله تعالى على ما خصنى من سلامته وسألته المزيد له من فضله فاما ما شكاه من تأخر كتبى عنه فما علمت ان سيدنا الشيخ تأخر عنده فصولى ولا علمت أن مولاى يعتد بكتبى ولا أنه يعاتب فى قصورها عنه وظننت الفصل بلاغا وله العتبى من بعد وأما

لو بنا خلا خيل النواعير فالتوت * وأبدت لنا دورا على ساقة الشط

وقلت من قصيدة أخرى

وعاص رحيب الصدر قد خرطانعا * ودولابه كالقلب يخفق فى الصدر

وقلت من قصيدة أخرى

وهزرت فيه كل عود أراكة * أضحى بها تيك الثغور مطيبا

والمعنى المخترع قولى بعده

ودخلت كل خباء زهر قد غدا * بدموع اجفان الغمام مطنبا

ومن اختراعاتى التى لم اسبق اليها وسارت الركبان بها قولى فى المدائح المؤيدية

فرج على المجنون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر

فانبت منه زحافه فى وقعة * يا من بأحوال الوقائع شاعر

وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر

والمعنى المخترع فيها قولى

وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

ومنها فى سلامة الاختراع قولى

واذا مسددت يراع رمحك ماله * الاقلوب الدارعين محابر

ونعال خيلك كالعيون ومالها * الاجماجم من قتلت محاجر

ومنه قولى متغزلا فى مليح مشطوب

بالصدغ أبدى شطبة * من شكله محوط

سألته عن أمرها * فقال زادالغلط

قلت بدالى عارض * مشكل منقط

جئت شطبت فوقه * وقلت هذا غلط

ولى من قصيدة بديعة مشتملة على وصف متنزهات حماة المحروسة

والنبت يضبطها بشكل معرب * لما يزيد الطير فى التلحين

والمعنى المخترع قولى بعده

والغصن يحكى النون فى ميلانه * وخياله فى الماء كالتنوين

وقلت فى مطلع قصيد

الف القد مدها لى بعزه * وعليها من عطفة الصدغ همزه

وقلت من قصيدة قافية

وعارضه فى الوضع لام وصدغه * اذا مدها من فوقه تشكوف

ولعمرى ان الشرح قد طال ولولا خشية الاطالة لذكرت من هذا الباب قدرا وافيا بالنسبة الى ما أدى اليه اجتهادى وقلت انى مخترعه وبشهادة الله انى ما تطفلت بالنسبة الى على على معنى لغيرى اللهم الا أن تكون احكام الموارد قد حكمت على فالحكم لله العلى الكبير وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته على سلامة الاختراع قوله

ماوصف من حال الشوق وبرحه فانا فى غنى عن شرحه لما انطوى عليه له ولا عجب ان يتطرقه وقد توسطنى وان يكده وقد هدنى والقلبان بحمد الله قلب والروحان على ذلك الب ووصل ما اتفق به من الاتن والرسم فى مثلها ان ترد الى الوطن وتنقل الى المأمن وليت الذى هنا هنالك على انه حسن موقعه والطف مورده فليكن ما يصلنى به من تلك الديار طيب الجبن ومبرز الزبيب وفائق الزعفران وما يقرب من هذا الباب فاما انواع الثياب فالكلفة فى هذا انه ظاهرة والله لا يحب المتكلفين ولو أقام ابو فلان الى شهر لافردت لكل واحد من ولدى ابى طالب وابى فلان خلعة جمال وسلعة مال وتذكرة حال ولكنه اقام عشر

كادت حوافرها تدمى جحافلها * حتى تشابهت الاحجال بالرثم

جحفلة الفرس شفته العليا والرثم بياض شفته وكانه يقول ان هذه الفرس لسرعة جريانها اتصلت أحجالها الى شفتها فتشابها فى البياض والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى رحمه الله فى بديعيته قوله

سلامة لاختراعى فى علاهم هى * اسمى وفعلى كحرف عند رسمهم

وقال فى الشرح اسمى علا وفعلى علا والحرف المشبه بهما على هذا المعنى على الذى هو معدود من حروف الجر قلت لو ألحق الشيخ عز الدين ما قاله هنا بالالغاز لكان أقرب وأليق فان سلامة الاختراع وغرابة المعنى عنه بمعزل وبيت بديعيتى تقدمه قولى فى الالغاز بالرمح بقولى

وكلما الغزو حله لسن * مذ طال تعقيده ازرى بفهمهم

ولم أخرج عن الرمح بل قلت مخترعا فيه اختراعا بعد من المرقص والمطرب بعد بيت الالغاز وهو

وقده باختراع سالم ألف * يبدو بترويسه من رأس كل كمى

تقدم قولى أنه كان عن لى ان أورد هنا من سلامة الاختراع للمتقدمين والمتأخرين جملة مستكثرة ولم يصدنى عن ذلك الا الخيفة ممن تحجر على فى المطالعة فيورد ما أثبت من المعنى المخترع لزيد انه مسبوق اليه من عمرو فاردت ان اخلص من هذا الاعتراض واورد هنا نبذة من مخترعات ابن حجاج فانه منوال ما نسج عليه غيره * وقد تقدم قول الشيخ جمال الدين بن نباتة فى ديباجة كتابه المسمى بتلطيف المزاج من شعر ابن الحجاج * وأما أشعار ابى عبد الله الحسين بن حجاج فانه امة غريبة تبعث وحدها وذرية تبلغ باتقان اللهو رشدها فمن ذلك قوله

يا دبة الصفع صبى * على قفا المتنبى
وأنت يا ريح بطنى * على عذاريه هبى
ويا قفاه تقدم * واقعد قليلا بجنبى
وان صفعتك ألفا * فلا تقولن حسبى
وقد تعشقت معنى * طرطورك المتعبى
بالمية هى عين جهل شيخنا النذل تنبى
قومى ادخلى جوف بطنى * فقد وقعت بقلبى
وانت عندى مكان السواد من عين صلبى

ومنه قوله

كأنما بابسور ببعرها * عنقود كرم مزبب العنب
كأنما الاير فوق عصعصها * راكب حمارة على قتب

ومنه قوله

جارية قد سمطت فيشتى * بوهج حى سرمها الصالب

ليال ولقينى فيها ثلاث مرات اقيا خيال فاصحبته مقتضى مقامه وموجب ايامه وهو الطل يتبعه الوابل والموعد ان شاء الله القابل أردت أن اختم هذا الفصل بطى الكتاب ثم اتت جاشية الصدر وغلت حامية الصبر فاستأنفت قليلا ان لم ابث طويلا ما ظننت النأى يثنى والدا عن ولده حتى يقطع رحمه وينسى اسمه الا اتفاقا والله المستعان انا واثق من مولاى بجميل الصيانة وكريم الرعية وانما يشتمل ستره على شقة من قلبى وقطعة من كبدى وجزء من روحى ولعمرى ما الوديعة عنده بضيعة ولا الامانة عنده بضالة وكل سترفعه لستره وكل صهر فداء لصهره وانما هو طيب المولد وكرم المحتد

اخذت

أخذت في الليل بحس استها السماعي * وقد نامت الحواجب
أو بحب اخراج دم فاسد * من عين قيفال استها الضارب
لبظرها الاسود دينية * تصلح للقاضي أبي السائب
خطبت بالامس عليها استها * فأنعمت للخاطب الراغب
وبات ايري رافضي الخصي * يعطي قفا مبعرها الناصب

وقال أيضا

قوموا افصوا باب سرمها ولجوا * فكل عضو من استها شرج
قوموا فعين استها لرؤيتكم * بالليل فوق الفراش تختلج
ان لم يسعكم رعصعصها * فثم بالطول تحته زج
* وفي استها خاتم الولبه * طوق محلي وفصه سبج
اذا الخصي صاح استها خريت * تحق وبالبيض تعمل الحجج

وقال أيضا

بابي من عكست من فؤادي * فانا الدهر كله في اجتهاد
قدها في القيام من قوم يأجو * ج ولكن بظرها قوم عاد
وقفت لي فبستها من قعود * بوسة بردت غليل فؤادي
ولها شعرة ولا زبد الجشر بياضا وعصعص كالمداد
وحر اشمط العذارين الحي * فيه سمت النسالة والعباد
بظرها فوقه كدنية الحا * كم يوم الحداد في السواد
ما توهمته وحقك الا * بعض أصحابنا بني حماد
يوم حاملتها فلما أحسنت * في خراها بجشل شرط القصاد
جذبت لحيتي وقالت ايا شيخ ترى أنت كافر بالمعاد
أنت ممن يبغي خلافا على الله ويسعى في ارضه بالفساد
قلت كفي انا وجدنا على هذا اور الآباء والاجداد
فرفتي وخبريني كذا * نت سيوف الخصي بلا أغماد

ومن غاياته في هذا الباب قوله

مولاي يدعوك شيخ لا وقار له * حتى القيامة سكران ومخمور
ما فيه للشيب اكرام فيزجره * عن الفجور ولا للسن توقير
بقول بالامرد المعقول عارضه * مقسما فيه تأنيث وتذكير
وبالقشاة التي تنور مدخلها * بعد العشا الشوى الخصيان مسجور
وبالعجوز التي في أصل عنبلها * غداة يبعث الخاصي ينفخ الصور
زبال زرع استها يسقي بداليه * وبظرها واقف في الزرع ناطور
لها حر اشمط قد شاب مفرقه * عليه بظر طويل فيه تدوير
كأنه شاعر قد جاء من حلب * شيخ على رأسه المخلوق طرطور

وصدق الفتوه ونصح المروه ونافع الحمية وناصح الامانة فالله يجزيه خيرا ولا يريه فيما يليه سوءا برحمته ما سرني فصل من كتابه كالفصل الذي ابلغني فيه سلام فلان وبشرني بسلامته والله يسبغها عليه وأعددت جا أبعداه من سلامة الاخوة ولئن كان لابي فلان حرس الله روحه الشعب الاوسع من قلبي والنصيب الاوفر من نفسي فان لكل من سادتي لمكانا من كبدي مكينا وحصنا من قلبي حصينا ولسيدي ابي فلان من المحبة ما يجعل لبه ثم ارا وليت شعري بمولاي ابي فلان كيف اقتصر على الفصل على انه كان بلاغا من الفضل ولو افرد كتابا لافردت جوابا وعليه من السلام ما يرد شبابه طريا ووجدت في فصله اثر اعراض حتى فارقت لديها وما علمت سببا حتى الآن والآن فما علمت الا ظنا ولا اتحققها الا رجاء فان كانت

هذا الاستطراد في البيت الاخير استطرد فيه الى أبي الطيب وهو في غاية اللطف والظرف وقد تقدمت اشارته الى طرطوره في الابيات المتقدمة البائية ومن اختراعاته في هذا الباب قوله

آحب من الكش تقبيله * اذا كان في شفتيه لعس
ويعجبني منه اني اذا * نقرت أنفه بقمدي عطس
وواسعة السرم تشكو استها * اذا مسها النيك ضيق النفس
فتاة لدرب استها حارس * يعلق من خصيتيه بجرس

ويعجبني قوله من قصيدة

في استها سدرة اذا نفضوها * جمعوا الى من تحتها كف نبق
وهو نبق بلا نوى اسود اللو * ن اذا الكته تحمض شدقي

(ذكر التفسير)

(وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور في دجى الظلم)

هذا النوع اعني التفسير من مستخرجات قدامة وسماه قوم التبيين وهو ان يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره اما في البيت الآخر أو في بقية البيت ان كان الكلام يحتاج الى التفسير في أوله والتفسير يأتي بعد الشرط وما هو في معناه و بعد الجار والجرور وبعد المبتدا الذي يكون تفسيره خبره بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر مفصلا *فمن بديع التفسير الذي وقع في بيت واحد قول بعض المغاربة

صالوا وجادوا وضاؤا واحتبوا فهم * اسد ومزن واقمار واجبال

فانه احسن الترتيب في عجز البيت كله وجعل المفسر في الصدر بحيث أتى كل قسم مستقلا بنفسه ومثال ما وقع من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط قول الفرزدق

لقد جئت قوما لو لجأت اليهم * طريد دم او حاملا ثقل مغرم
لالفيت منهم معطيا ومطاعنا * وراءك شزرا بالوشيج المقوم

والفرزدق ما راعى حسن الترتيب في بيته فان عندهم عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لا ينقص حسن الكلام البليغ الا ترى الى قوله تعالى يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك وأما الذين ابيضت وجوههم ومن الامثلة الواقعة بعد الجار والجرور في باب التفسير قول شرف الدين القيرواني

لمختلفي الحاجات جمع ببابه * فهذا له فن وهذا له فن
فللخامل العليا وللمعدم الغنى * وللمذنب العقبى وللخائف الامن

ومما جاء من التفسير بعد المبتدا قول ابن الرومي

اراؤكم ووجوهكم وسيوفكم * في الحادثات اذا دجون نجوم
منها معالم للهدى ومصابح * تجلو الدجى والاخريات رجوم

قالوا ان هذا ابلغ ما وقع في التفسير من الامثلة الشعرية فانه راعى فيه الترتيب احسن مراعاة *ومن بديع هذا النوع قول محمد بن وهيب في المعتصم

في كنف من الحياة فانشد الله مولاي لما أحسن اليها ووفر عليها وقضى من حقها مدة حياتها وسأبعث ان شاء الله لها امدادا من نفقة ومدادا من معونة والى حين وصولها فمولاي خليفتي على تعهدها وحسن تفقدها ونعم الخليفة والوكيل ولولا ما منيت به من فساد هذه المداد ونضوب هذه الدواة لاحببت ان اطيل ولكن شجوبه قد أضجرني وورد هذا العام همذان في جملة الحجاج ابو فلان وابو فلان فاما ابن أحمد قاضي هراة وامام خراسان فليحسن حقوقه له واختلافه اليه وتعرضه لحاجاته وأما ابو الفضل فمن افاضل هراة ومعدوديها في الجلالة فليقض حقه بالزيارة ذاهبا وعائدا ورأى الشيخ في مواصلتي بكتبه كل وقت وتصريفي على حاجاته موفق ان شاء الله

(التفسير)

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها * شمس الضحى وابو اسحق والقمر

ومثله فى الحسن قول محمد بن شمس الخلافة

شيئان حدث بالقساوة عنهما * قلب الذى يهواه قلبى والحجر

وثلاثة بالجود حدث عنهم * البحر والملك المعظم والمطر

ومن معجز التفسير ما جاء فى الكتاب العزيز وهو قوله تعالى والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشى على بطنه ومنهم من يمشى على رجلين ومنهم من يمشى على اربع * فذكر سبحانه الجنس الاعلى اولا حيث قال كل دابة فاستغرق اجناس كل ما دب ودرج ثم فسر سبحانه هذا الجنس بعد ذلك بالاجناس المتوسطة والانواع حيث قال فمنهم ومنهم ومنهم مراعيا للترتيب وذلك انه قدم ما يمشى على غير آلة لكون الآية سيقت لبيان القدرة وتعجب السامع وما يمشى بغير آلة اعجب مما يمشى بآلة فلذلك كان تقديمه ملائما لمقصود الآية الشريفة ثم ثنى بالافضل فأتى بما يمشى على رجلين وهو الآدمى والطير لتمام خلق الانسان وكمال صورته ولما فى الطير من عجيب الطيران الدال على الخفة مع ما فيه من الكثافة الارضية وثلث بما يمشى على اربع لانه احسن الحيوان البهيمى واقواه فتضمنت هذه الكلمات التى هى بعض آية عدة من المحاسن وهى صحة التفسير وصحة التقسيم مع مراعاة الترتيب والاشارة وائتلاف اللفظ مع المعنى وحسن النسق والفرق بين التفسير والايضاح ان التفسير تفصيل الاجمال والايضاح رفع الاشكال لان المفسر من الكلام لا يكون فيه اشكال * وبيت صفى الدين على التفسير قوله

هم النجوم بهم يهدى الانام وبى * سحاب الظلام وبهم يمحى صيب الديم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم * وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

ذكر الامام وابنيه بفسره * على والحسنان اكرم بذكرهم

الشيخ عز الدين ما افادنا فى التفسير هنا شيأ * وبيت بديعيتى اقول فيه عن الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم فسروا من بدور فى دجى الظلم

هذا هو التفسير الذى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه فى الشطر الاول من البيت الا بتفسيره من الشطر الثانى على الترتيب * واما ذكر الامام على كرم الله وجهه وذكر ولديه عليهما السلام فى بيت الشيخ عز الدين رحمه الله فانه غير محتاج الى تفسير والله اعلم

(ذكر حسن الاتباع)

(ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم)

هذا النوع اعنى حسن الاتباع هو ان يأتى المتكلم الى معنى اخترعه الغير فيحسن اتباعه فيه بحيث يستحق به بوجه من الوجوه الزائدة التى توجب للمتأخرين استحقاق معنى التقدم اما باختصار لفظه او قصر وزن او عذوبة لفظ او تمكين قافية او تتميم نقص او تحلية من البديع توجب الاستحقاق كاتباع ابى نواس جريرا فى قوله

اذا غضبت عليك بنو تميم * حسبت الناس كلهم غضابا

(وله اليه ايضا)
مازلت اعرف الشيخ ظريف الجملة كريم الخلقه واسع العطن عذب المورد وما علمته يبلغ من الفضل فوق غايته ويسع من المجد اكثر من قلته لقد قفات قافلة الحجاج واثنوا عليه ثناء لو رقى به الشباب لعاد سريعا اوصب على الفراق لانقلب شملا جميعا ومازلت معتمدا بفضله واثقا بكريم فعله وانا اليوم به اكثر اعتضادا واقوى ظهرا وفؤادا وكتبت هذه الرقعة على حد شخوصى الى حضرة السلطان ولم اتسع فيه وسترد عليه ان شاء الله بقية ما فى الصدر ووصل ما انفذه وحسن موقعه فانما قرة العين وقوة الظهر ومسكة النفس ومنة الامل لحاجة ولدى ابى طالب حرسه الله تعالى

(حسن الاتباع)

فنقل ابو نواس المعنى من الفخر الى المدح بقوله

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

فزاد على جرير زيادات منها قصر الوزن وحسن السبك واخراج كلامه من الظن الى اليقين وأيضا فان ذكر العالم أعم من ذكر الناس فى بيت جرير * وعدوا من الشواهد الحسنة فى حسن الاتباع قول منصور النميرى فى زينب اخت الحجاج واترابها وهو

وهن اللواتى ان برزن قتلننى * وان غبن قطعن الحشا حسرات

فاحسن اتباعه ابن الرومى بقوله

ويلاه ان نظرت وان هى اعرضت * وقع السهام ونزعهن اليم

قلت وقع السهام ونزعهن بعد ويلاه فى بيت ابن الرومى تركت بيت النميرى اطلالا بالية وقال ابو عبادة البحترى

اخجلتنى بندى يديك فسودت * ما بيننا تلك اليد البيضاء

صلة غدت فى الناس وهى قطيعة * عجبا وبر راح وهو جفاء

واحسن ابو العلاء وقال

لو اختصرتم من الاحسان زرتكم * والعذب يهجر للافراط فى الخصر

لانه استوعب معنى البيتين فى صدر بيته وأخرج العجز مخرج المثل السائر مع الايجاز والايضاح وحسن البيان وقال عنترة

انى امرؤ من خير عبس منصبا * شطرى واحمى سائرى بالمنصل

فاحسن اتباعه منصور الفقيه فى شريف نسبه وكان شرفه من جهة أبيه لا من جهة امه بقوله

ان فاتنى بابيه فلم يفتنى بامه * ورام شتمى ظلما سكت عن نصف شتمه

فان هذا الفقيه احسن غاية الاحسان من وجوه أحدها الايجاز فانه حمل معنى عنترة الذى جاء به فى بيت تام من الكامل فى بيت من المجتث واتى بالمطابقة المعنوية فاما قوله سكت عن نصف شتمه ففيه من التأدب الدينى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحتراس ما يزيد على الوصف وقال ابن الرومى

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا * نبال العدا عنى فكنتم نصالها

وكنت أرجى منكم خير ناصر * على حين خذلان اليمين شمالها

فان كنتم لا تحفظون مودتى * ذماما فكونوا لا عليها ولا لها

قفوا وقفة المعذور عنى بمعزل * وخلوا نبالى للعدا ونبالها

فاحسن ابن سنان الخفاجى اتباعه بقوله

اعددتكم لدفاع كل ملمة * عونا فكنتم عون كل ملمة

وتخذتكم لى جنة فكانما * نظر العدو مقاتلى من جنتى

فلانفضن يدى يأسا منكم * نفض الانامل من تراب الميت

ويعجبنى هنا قول القائل

وقد نوبت له غيرما كنت عليه وبقدر له الايام من كل مراد فليواظب الشيخ على تهذيبه وتأديبه والسلام عليه ولم يرد من الشيخ سيدنا كتاب فى هذه السنة ووالله ليفين بوعده وليلحقن بولده بل بعبده أولا تقطعن مكاتبته ما عشت ومواصلته ما بقيت ولى فيما افعل اسوة بيوسف عليه السلام ثم ان قصدنى واصلا وحضرنى زائرا لاخدمنه خدمة يتحدث بها الركبان برا وبحرا وتسير بها الاخبار شرقا وغربا

(وله اليه ايضا)

وما اشبه نفسى ادام الله عز الشيخ فى هذه الاسفار الا بالخيال الطارق او بلمع البارق

واخوان حسبتهم دروعا * فكانوها ولكن للاعادى
وخلتهم سهاما صائبات * فكانوها ولكن فى فؤادى
وقالوا قد صفت منا قلوب * لقد صدقوا ولكن من ودادى

وقال ابن الرومى
سدّ السداد فى عمايريكم * لكن فم الحال عنى غير مسدود

واحسن زكى الدين بن ابى الاصبع اتباعه فقال
هبنى سكت فالسان ضرورتى * اهبى لكل مقصر عن منطق

وقال سليك بن سلكة
وتبسم عن المى اللثاة مفلج * خليق الثنايا بالعذوبة والبرد
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم برق فى السحابة من بعد

وقال نصيب
كان على أنيابها الخمر شجها * بماء الندى فى آخر الليل عابق
وماذقته الا بعينى تفرسا * كما شيم فى اعلى السحابة بارق

واحسن بشار بن برد اتباعهما بايجازه وقال
يا أطيب الناس ريقا غير مختبر * الا شهادة اطراف المساويك

وقال السموأل
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فاحسن بشار اتباعه بزيادة محاسن فقال
* أفناهم الصبر اذ أبقاهم الجزع *

وقال الاسود بن يعفر
يسعى بها ذو تؤامين كانما * قنأت أنامله من الفرصاد

واحسن أبو نواس اتباعه بزيادة من المحاسن وقال
تبكى فتذرى الدمع من نرجس * وتلطم الورد بعناب

استوفى ابو نواس المعنى فى نصف بيت وأخذه الواوا الدمشقى من ابى نواس وزاد عليه زيادة عجيبة بقوله
وامطرت لؤلؤا من نرجس فسقت * وردا وعضت على العناب بالبرد

وقال مسلم بن الوليد
تجرى محبتها فى قلب عاشقها * مجرى المعافاة فى اعضاء منتكس

فاحسن أبو نواس اتباعه فقال
فتمشت فى مفاصلهم * كتمشى البرء فى السقم

وجميع ذلك مأخوذ من قول بعض الملوك باليمن
منع البقاء تقلب الشمس * وطلوعها من حيث لا تمسى
تجرى على كبد السماء كما * يجرى حمام الموت فى النفس

أو الغلام الآبق أو الجواد السابق أو جرب السارق أو السهم المارق وانما هو الشد والترحال والخيل والبغال والجمر والجمال وبين المقيل والمبيت بون بعيد وبين المصبح والممسى نأى طويل وبين المضرب والمقصد طى المراحل بالبيد والشيخ يستقصر كتبى ويستبطئ رسلى وما بى اغفال ولكن امكان وقد استقرت بحمد الله القدم وكل وقت رسول قاصد وكتاب نافذ ان شاء الله والشيخ أبو فلان لا يزال يسلفنى بداءً غراء يرتهن بها شكرى ثم لا يلبث قدر ما اقتضى من منة حتى يتبعها اختها لاجرم انى استخير الله فى الكسل وله ايده الله من قلبى الحبة السوداء ومن صدرى شعب فارغ ان شاء الله تعالى

(وله اليه أيضا)

نقل أبو هلال العسكري في الصناعتين عن الصولي انه قال حدثني أبو بكر بن هارون بن عبد الله المهلبي قال كنا في حلقة دعبل الشاعر فجرى ذكر ابي تمام فقال دعبل كان يتبع معاني فيأخذها فقال له رجل في مجلسه مثل ماذا أعزك الله فقال قلت

وان امرأ أسدى الي بشافع * اليه ويرجو الشكر مني لاحمق

فاخذه ابو تمام وقال

واذا امرؤ أسدى اليك صنيعة * من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل احسن والله فقال دعبل كذبت والله قبحك الله فقال الرجل ان كان سبقك بهذا المعنى وتبعته فما احسنت وان كان اخذه منك فقد أجاد فصار اولى به منك على الحالين فغضب دعبل وقام وقال بشار

من راقب الناس لم يظفر بحاجته * وفاز بالطيبات الفاتك اللهج

فاحسن اتباعه سلم الخاسر وقال

من راقب الناس مات غما * وفاز باللذة الجسور

فلما سمع بشار هذا البيت قال قد ذهب ابن الفاعلة ببيتي ومن زاد على المتقدمين بحسن سبكه وعذوبة لفظه ابن المعتز رحمه الله بقوله

ولاح ضوء هلال كاد يفضحه * مثل القلامة قد قدت من الظفر

وهو مأخوذ من قول الاول

كأن ابن ليلته جانحا * الى مسقط الافق من خنصر

وقال ابو العتاهية

كم نعمة لا تستقل بشكرها * لله في طي المكاره كامنه

فاحسن أبو تمام اتباعه فقال

قد ينعم الله بالبلوى وان عظمت * ويبتلي الله أدنى القوم بالنعم

فزاد عليه الا انه أتى بعكس المعنى ومايعرف للمتقدمين معنى شريف الا نازعهم اياه المتأخرون وطلبوا الشركة معهم فيه الا قول عنترة

* وخلا الذباب بها فليس ببارح *

فانه ما نوزع في هذا المعنى على جودته وقد رامه بعض المجتهدين فافتضح وتقرر ذلك في بيت سلامة الاختراع * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على حسن الاتباع قوله

ينازع السمع فيها الطرف حين جرت * فيرجعان الى الآثار في الا كم

بيت الشيخ صفي الدين ماخوذ من قول القائل

وطرف يفوت الطرف في جريانه * ولكن للاسماع فيه نصيب

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

والجزع حن اليه بعد فرقته * حسن اتباع لتلك الاربع الحرم

ذكر الشيخ عز الدين في شرحه انه اتبع الفرزدق في قوله في مديح الامام زين العابدين على

مضى العيد اطال الله بقاء الشيخ الرئيس فلا صدقات الفطر ولا صدقات العطر ولا فضلات القطر ولا لفظات الذكر واسمع الناس يقولون ان الشيخ الامام مستبرد لي مستوحش مني وأنا سليم نواحي القول والفعل والنية وانما أنا كالحية اضمن ان لا اسع ولا أضمن ان لا يفزع والسلام

(وله اليه أيضا)

الصدق اطال الله بقاء الشيخ الرئيس حسن جميل والجنة ميعاده والكذب سيئ قبيح وأسوأ منه معاده ومن قبيح العار ونسيج الادبار ودواعي البوار وموحشات الدار وموجبات النار حلف المرء قبل ان يستحلف فاسمع اللهم ان كانت سنة احدى واثنتين اشتملتا على على يوم وليلة واحدة اخلفت الشيخ الرئيس فيهما من ورد دعاء نهارا وورود دعاء ليلا فانا من حولك

ابن الحسين بن على عليهما السلام وهو هذا

هذا ابن من تعرف البطحاء وطأته * والركن يعرفه والبيت والحرم

و بيت بديعيتى تقدمه قولى فى حق الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

وصحبه بالوجوه البيض يوم وغى * كم قمروا من بدور فى دجى الظلم

ثم انى قلت بعده فى حسن الاتباع عن الصحابة

ذكراه يطربهم والسيف ينهل من * اجسامهم لم يشن حسن اتباعهم

هذا المعنى سبقنى اليه الشيخ شرف الدين بن الفارض وكنت فى صغرى أترنم به وهو قوله

لى ذكرها يحلو على كل صيغة * ولو مزجوه عذلى بخصام

الشيخ شرف الدين قرر ان ذكر محبوبه يحلو ولو كان فى محل خصام من العذال وقولى أبلغ فى حق الصحابة رضى الله عنهم لان ذكر النبى صلى الله عليه وسلم يطربهم والسيوف تنهل من اجسامهم وأين الطرب فى هذا المقام من يحلو فى ذلك المقام واين المخاصمة بالالسن من التكليم بالسنة السيوف والزيادة التى ماعلى حسنها من مزيد قولى لم يشن حسن اتباعهم فان شدة الحرب وتكليم النفوس ماشان حسن السيوف وذهاب الانفس ماشان حسن اتباعهم للنبى صلى الله عليه وسلم يوما من الايام والتورية فى حسن الاتباع الذى هو المراد من تسمية النوع محاسنها لاتخفى على المنصفين من أهل الادب والله اعلم

(ذكر المواردة)

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته فى سيوفهم

هذا النوع اعنى المواردة هو أن يتوارد الشاعران على بيت أو بعض بيت بلفظه ومعناه فان كان أحدهما اقدم من الآخر واعلى رتبة فى النظم حكم له بالسبق والا فا كل منهما ما نظمه كما جرى لامرئ القيس وطرفة بن العبد فى معلقتيهما وهو قول امرئ القيس

وقوفا بها صحبى على مطيهم * يقولون لاتهلك أسى وتجمل

قال طرفة أسى وتجلد فلما تنافسا فى ذلك واحضر طرفة بن العبد خطوط أهل بلده فى اى يوم نظم هذا البيت كان اليوم الذى نظما فيه واحدا وقد يقع مثل ذلك أو دونه فى بيت يخالف وزن البيت الاصلى و بيت الشيخ صفى الدين على المواردة قوله

تهوى الرقاب مواضيهم فتحسبها * حديدها كان اغلالا من القدم

و بيت الشيخ صفى الدين ذكر فى شرحه أنه نظم بيتا من جملة ابيات وهو

تهوى مواضيك الرقاب كأنما * من قبل كان حديدها اغلالا

ثم ذكر انه سمع بعد ذلك بيتا لايعلم قائله وهو

تهوى الرقاب مواضيه فتحسبها * تود لو أصبحت اغلالا من أسرا

فاسقط البيت الذى له فلما تعددت عليه الانواع فى نظم البديعية ووصل الى المواردة الجأته الضرورة الى نظمها ليكون البيت المنظوم منتظما فى سلك شواهد بديعيته بحيث لاتخلو من هذا النوع و بيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

وقوتك بزى وعلى مقتك ولعنتك جرى وما اعتقد بهذا انى اصون الاطراف محفوظ الاسباب وان امر أصلاحى فى ناصيته ومعاشى فى ناحيته وبقائى فى عافيته ملحق بالاكثر من صالح الدعاء ولو نالت اليد الثريا والذى أحب ان يعلمنى شكورا ويتصورنى مخلصا ومابى تسوية الخراج وتهنئة الضياع انما أنا المرء لايشغفنى القيل ولايروينى النيل ولكن عبد تلك الاخلاق وفداء ذلك الحلم ولو ان الذى خولنيه سلبنيه مانقصته محبة

واقسم لو رويت سيفك من دمى * لاغريالود الصحيح مجرب

واستغفر الله على افراط الشعر على انى له نعم العبد

(وله اليه ايضا)

سئل بعض الفقهاء اطال الله بقاء الشيخ الرئيس عن

ليت المدائح تستوفي علاه ولو * تواردت في مديح غير منصرم

الشطر الاول من هذا البيت ذكر الشيخ عز الدين في شرحه أنه تواردهو وأبو الطيب المتنبي عليه والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم ومن المواردة في بيت بديعيتي اني كنت مدحت تمربغا الافضلي الشهير بمنطاش وبرياحين الشبيبة غضة ونشوة الابتداء تحث على دور كاسات الادب وكان المشار اليه اذ ذاك كافل المملكة الحلبية بقصيدة رائية سارت بديع محاسنها الركبان واحتوت على معان لم أسبق اليها وتمثلت في غصون نظمها بين يدي شيخي وهو مولانا قاضي القضاة علاء الدين أبو الحسن علي القضامي الحنفي رحمه الله وقد علق بخاطري منها أبيات فانشدته في ذلك الوقت ما علق بخاطري وهو قولي منها

له مطالعة في الحرب حين يرى * دم العدا فوق طرس الارض قد سطرا
ان راسل القوم انشا في رسائله * سجعات ضرب بها الهامات قد نثرا
كتابه السيف والخطي له قلم * والرسل أسهم حتى توضح الخبرا
ان كان قد قطع الاعدا مكيدتهم * فقل لهم انه من قبلهم شعرا
لانه بديع الحسن لف لنا * شملا ولكن لأرقاب العدا نشرا
وخط من فوق ألواح الصدور لهم * بابا من الخوف في احشائهم وقرا
وصار يكتب بالهندي ويعجم بالخطي * فعل شجاع قد قرا ودرى
تراه بالرمح بدرا حاملا غصنا * وبالتريسة غصنا حاملا قمرا
ان جس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا

وصرت كلما انشدته بيتا من هذه الابيات يترنم كثيرا ويرسم لي باعادته حتى انتهيت الى قولي

كأنما الهام أحداق اضر بها * سهد وأسيافه في الحرب طيب كرى

فلما سمع هذا البيت لم يترنم كما ترنم بالابيات التي قبله وقال أبو الطيب هو ابو عذرة هذا المعنى ولكن احسنت الاتباع بقولك اضر بها سهد وبقولك في الشطر الثاني طيب كرى فان فيه زيادتين حسنتين فالتزمت له بيمين اني ما ملكت ديوان المتنبي يوما من الايام ولا طالعته عند الغير وما كنت في ذلك الوقت اطالع غير ديوان الشيخ جمال الدين بن نباتة وديوان الشيخ صفي الدين الحلي فتعجب مولانا قاضي القضاة من ذلك وبالغ في الجبر والثناء ولكني اسقطت البيت من القصيد خوفا من قدح حاسد فلما وصلت بديعيتي الى نوع المواردة الجأت الضرورة الى نظمه في سلك أنواعها * وبيت المتنبي الذي حصلت المواردة به قوله

كأن الهام في الهيجا عيون * وقد طبعت سيوفك من رقاد

وبيت بديعيتي

كأنما الهام احداق مسهدة * ونومها واردته في سيوفهم

والترشيح ايضا هنا ظاهر في قولي مسهدة والترشيح في تورية المواردة بتسمية النوع وزيادة المعنى غير خاف على أهل الادب

(ذكر الايضاح)

لحم الذباب الميت فقال من اشتهاه حاطر بما فيأكله هنيئا مريئا انا لا اعلم لا سلطان في مالي حاجة ولا للشيخ الرئيس في خرق جبة وأبو فلان به مابي فلم لا يرحم شبابي والغلط الواقع في ابن أبي القطان واحربا والى الله اشكو لحرب اظن والله اجلي قد اقترب وبالله للموت في وقته خير من الحياة في غير وقتها اللهم توفني مسلما وألحقني بالصالحين رب العالمين

(وله اليه يعزيه عن بعض مستوراته)

كتابي ولا اخلال بفرض الخدمة ولا رغبة عن مشاركة ولي النعمة ان مأتم قوم في الصدور اشد من مأتم آخرين في الدور ان المصيبة لتشق من قوم ظاهر الجيوب ومن قوم باطن القلوب والغلائل

(الايضاح)

(هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * في كل معترك من بطش ربهم)

هذا النوع أعني الايضاح هو أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لبس فلا يفهم من أول وهلة حتى يوضحه في بقية كلامه كقول الشاعر

يذكرنيك الخير والشر كله * وقيل الخنى والحلم والعلم والجهل
فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك في محبوبها ولك الفضل

معنى البيت الاول ملتبس وماذاك الا انه يقتضي المدح والذم ولكنه أوضحه بقوله

فالقاك عن مكروهها متنزها * والقاك في محبوبها ولك الفضل

وقد يكون الايضاح في الوصف الذي لا يتعلق به مدح ولا هجاء وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شئ واحد يحصل فيه الاشكال فيوضح ذلك الاشكال بما يفهم منه كشف اللبس عن الحد الاول كقول ابن حيوس

ومقرطق يغني النديم بوجهه * عن كأسه الملأى وعن ابريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها * في مقلتيه ووجنتيه وريقه

فانه لو اقتصر على البيت الاول أشكل الامر من جهة الوجه فانه وان كان حسنا لا يغني النديم عن الخمر فأزال اللبس في البيت الثاني وأوضحه وقد تقدم وتقرر الفرق بين الايضاح والتفسير وبيت الشيخ صفي الدين قوله

قادوا الشوازب كالاجبال حاملة * أمثالها ثبتة في كل مصطدم

العميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

للخير والشر ايضاحا به فبذا * أمر وعن ذا النهي حب نصحهم

والذي أقوله أن الشيخ عز الدين غفر الله له لم يتضح في بيته غير الاشكال وبيت بديعيتي تقدم قولي قبله في وصف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بحسن الاتباع والصبر والاقدام الى أن قلت في الموارده

كأنما الهام أحداق مسهدة * ونومها واردته في سيوفهم

ثم اني قلت بعده في الايضاح

هذا وتزداد ايضاحا مخافتهم * في كل معترك من بطش ربهم

الاطناب والمبالغة في وصف الصحابة رضي الله عنهم قد تقدم بالشجاعة التي هي فوق الوصف فلما قلت في هذا البيت ان مخافتهم تزداد ايضاحا في كل معترك ظهر اللبس فأوضحته بقولي من بطش ربهم والتورية بتسمية النوع الذي هو المطلوب هنا محاسنها لم تفتقر الى الايضاح والله الموفق

(ذكر التفريع)

(ما العودان فاح نشرا أوشدا طربا * يوما باطرب من تفريع وصفهم)

هذا النوع أعني التفريع وهو ضد التأصيل هو أن يصدر الشاعر أو المتكلم كلامه باسم منفي بما خاصة ثم يصف ذلك الاسم المنفي بأحسن أوصافه المناسبة للمقام اما في الحسن واما في القبح

ابراهيم بالذبيح اسمعيل وجد بفعل الافاعيل وان لم يكن للتراب على الرأس نقع ولليدين على الارض وقع ولكنا علمنا ان القعود على هذا الموقف أبلغ في الخدمة من القيام والسكوت عن هذا المصاب أفصح من الكلام حتى لقد سخف قوم وسفهت أحلام قال الفرزدق

وجفن سلاح قد رزئت فلم أنح
عليه ولم أبعث عليه البواكيا
وفي جوفه من دارم ذو حفيظة
لو أن المنايا أنسأته لياليا

فأثار هذا الشجن العجيب وأطار هذا اللفظ الغريب وطرب هذا التطريب وليم مع ذلك وعيب على أنه قال لم أنح عليه ولم أبعث البواكي وعزى المتنبي بالامس سيف الدولة عن بعض مستوراته فعدت في هناته ورثى ابن الرومي أمه فنوقض بما نوقض

التفريع

ثم يجعله أصلا يفرع منه جملة من جار ومجرور متعلقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك ثم يخبر عن ذلك الاسم بأفعل التفضيل ثم يدخل من على المقصود بالمدح أو الذم أو غيرهما ويعلق المجرور بأفعل التفضيل فتحصل المساواة بين الاسم المجرور بمن وبين الاسم الداخل عليه ما النافية لان حرف النفي قد نفى الافضلية فتبقى المساواة بيان ذلك أن تقول ما الزهر اذا بكى الغمام فضحك بأحسن من أخلاق زيد فالمساواة بين الزهر والاخلاق ههنا ثابتة بالشروط المذكورة ومن الامثلة الشعرية قول الاعشى

ما روضة من رياض الحسن معشبة * غناء جاد عليها مسبل هطل
يضاحك الزهر منها كوكب شرق * مؤزر بعميم النبت مكتهل
يوما بأطيب منها طيب رائحة * ولا بأحسن منها اذ دنا الاصل

وقد يجيء الفرع والاصل في بيت واحد كقول أبي تمام

ما ربع مية معمورا يطيف به * غيلان أبهى ربا من ربعها الخرب
ولا الخدود وان أدمين من خجل * أشهى الى ناظري من خدها الترب

فذكر في البيت الاول الاصل والفرع وكذلك في البيت الثاني فالاصل هو الاسم المنفي مع ما ذكر من أوصافه والفرع هو أفعل التفضيل مع ما يتعلق به ويعجبني في هذا الباب قول ابراهيم بن سهل الاشبيلي من قصيد وهو

وما وجد اعرابية بان دارها * وحنت الى بان الحجاز ورنده
اذا آنست ركبا تكفل شوقها * بنار قراه والدموع بورده
وان أوقدوا المصباح ظنوه بارقا * يحيي فهشت للسلام ورده
بأعظم من وجدي بموسى وانما * يرى أنني أذنبت ذنبا لوده

ومن انشاء القاضي شهاب الدين محمود في هذا الباب قوله وما أم طفل قذفها الزمن العنيد في بعض البيد في أرض موحشة المسالك قليلة السالك قد لمع سرابها وتوقدت هضابها وصرخ بومها ونفر ظليمها وحضر سمومها وغاب نسيمها فلما خافت على ولدها من الظما الهلاك أجلسته الى جنب كثيب هنالك ثم ذهبت في طلب الماء للغلام ائلا يقضي عليه الاوام فانتهى بها المسير الى روضة وغدير وآثار مطي بوارك تدل على أن الطريق هنالك فعادت الى ولدها مسرعه وكل أعضائها اليه عيون متطلعه فلما شارفت جنب الكثيب رأت ولدها في فم الذيب بأكثر مني حسرة وتلهفا وأعظم مني حرقة وتأسفا

وأغزر دمعا عند ما قيل لي الذي * كلفت به اضحى على البعد مزمعا

وذكر صاحب الايضاح للتفريع قسما ثانيا لم يذكره غيره ولا نسج على منواله أصحاب البديعيات فألغيته أيضا والشيخ زكي الدين بن أبي الاصبع اخترع قسما ثالثا ولكن وجدت هذا النوع الذي نحن بصدده أحلى في الاذواق وأوقع في القلوب وعلى سننه مشى أصحاب البديعيات وألغيت أيضا ما اخترعه ابن أبي الاصبع رحمه الله وبيت الشيخ صفي الدين الحلي على هذا النوع في وصف الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

ويعورض بما عورض ثم سمعت من بعد انه أقيم المأتم وحضر العالم فخشيت أن أنسب الى الاخلال وما أردت غير الاجلال ولقد جادلت الزمان في غير هذا الموقف حتى وقف الجدال أنشدته

ما الزمان وصرفه لا ينتهي * الا العلا ومنازل الاشراف

فأنشدني

لا تعتبن على الزمان وصرفه * ما دام يقنع منك بالاطراف

فقلت له

صرفان في أيام عام واحد * يا فرط ما أخذت به الاقدار

فقال لي

هل تنقمون على الليالي حكمها * لا سيما ندرت به الاعمار

فألزمته قولي

هلا سوى الاغصان انيك آخذا * والفرع انيك لا محالة فاعلا

فانفصل بقوله

ان الاشاء اذا أصاب مشذبا * منه أغل ذرا وأث أسافلا

ماروضة وشع الوسمي بردتها * يوما بأحسن من آثار سعيهم

والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

ما الدوح تفريعه بالزهر متسق * نظما بأطيب من تعريف ذكرهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

ما العود ان فاح نشرا أو شدا طربا * يوما بأطيب من تفريع وصفهم

هذا البيت فيه نوع التفريع الذي هو القصد هنا والتورية بتسميته والاستخدام ومراعاة النظير وفيه الانسجام والتمكين والله أعلم

(ذكر حسن النسق)

(من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم في حلبة الكرم)

هذا النوع أعني حسن النسق ويسمى التنسيق من محاسن الكلام وهو أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر والابيات من الشعر متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا مستبهجا وتكون جملها ومفرداتها متسقة متوالية اذا أفردمنها البيت قام بنفسه واستقل معناه بلفظه كقول شرف الدين القيرواني

جاور عليا ولا تحفل بحادثة * اذا ادّرعت فلا تسأل عن الاسل

سل عنه وانطق به وانظر اليه تجد * ملء المسامع والافواه والمقل

فالحظ حسن النسق وصحة هذا التركيب فيه واستيعاب هذا التقسيم ووضوح هذا التفسير ومنه قول أبي نواس

واذا جلست الى المدام وشربها * فاجعل حديثك كله في الكاس

واذا نزعت عن الغواية فليكن * لله ذاك النزع لا للناس

حسن النسق هنا الامرين بين فنين متضادين في هذين البيتين وهما المجون والزهد حتى صارا كأنهما فن واحد وبيت الشيخ صفي الدين الحلي قوله

والذنب سلم والجني أسلم والشعبان كلم والاموات في الرحم

والعميان مانظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

فالضيق أذهب والتوفيق سبب والتنسيق رتب في تصديق حكمهم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضوان الله عليهم بقولي

من ذا يناسقهم من ذا يطابقهم * من ذا يسابقهم في حلبة الكرم

(ذكر التعديد)

(تعديد فضلهم يهدي لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم)

هذا النوع أعني التعديد ذكره الامام فخر الدين الرازي وغيره وسماه قوم الاعداد وهو عبارة عن ايقاع أسماء منفردة على سياق واحد فان روعي في ذلك ازدواج أو مطابقة أو تجنيس أو مقابلة فذلك الغاية في حسن النسق مثاله قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع

حسن النسق

ورجحت بقولي
الدهر أدهى تعليما كان منفردا
وفي الثريا فريد الحسن مطرد
وقابل بقوله
ان يبق منفردا فالشمس منفرد
والسيف منفرد والليث منفرد
ولولم أهب الجبال وأخف الملال لقلت وقال أيد الله الشيخ الرئيس لو كان أحد دون أن يذكر بالله واحد فوق أن يذكر بالله لكنت وكان ولكنه بحمد الله ممن اذا ذكر بالله هضمته هيبة العلم ولم تأخذه العزة بالاثم وأنا أذكره الله الذي خلقه من قبل ولم يك شيأ مذكورا ثم جعل بجرة العرب قبيلته ثم جعل أشرف تلك القبيلة فصيلته ثم اصطفاه من بينهم وفضله عليهم ثم جعل أبناء ملوك العجم خوله ثم أوطأ سادة العرب عقبه أن ينسى الكثير من نعم الله لقليل من بلاء

التعديد

ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين ومن الامثلة الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

الخيل والليل والبيداء تعرفني * والسيف والرمح والقرطاس والقلم

وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على هذا النوع قوله

يا خاتم الرسل يا من علمه علم * والعدل والفضل والايفاء والذمم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت عز الدين في بديعيته قوله

تعديد أوصافهم في المدح يعجزنا * أهل التقى والنقا والجد والهمم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضي الله عنهم أجمعين بقولي

تعديد أوصافهم يبدي لسامعه * علما وذوقا وشوقا عند ذكرهم

(ذكر التعليل)

(نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم)

هذا النوع أعني التعليل هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدم قبل ذكره علة وقوعه لكون رتبة العلة تتقدم على المعلول كقوله تعالى لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم فسبق الكتاب من الله تعالى علة النجاة من العذاب وكقوله صلى الله عليه وسلم لولا أن أشق على أمتي لامرتهم بالسواك عند كل صلاة فخوف المشقة على الامة هو علة في التخفيف عنهم من الامر بالسواك عند كل صلاة ومن أمثلته الشعرية قول البحتري

ولو لم تكن ساخطا لم أكن * اذم الزمان وأشكو الخطوبا

فوجود سخط الممدوح هو علة في شكوى الشاعر ومنه قول ابن هانئ الاندلسي

ولو لم تصافح رجلها صفحة الثرى * لما صح عندي علة للتيمم

وفي رواية لما كنت أدري وعلى كلا الروايتين في الغلو قبح واساءة أدب كيف انه لم يدر علة للتيمم الا بما ذكر وقد علمت صحة التيمم من نص الكتاب والسنة * ولقد أحسن ابن رشيق القيرواني في تعليل قوله صلى الله عليه وسلم جعلت لي الارض مسجدا وطهورا حيث قال

سألت الارض لم جعلت مصلى * ولم كانت لنا طهرا وطيبا
فقالت غير ناطقة لاني * حويت لكل انسان حبيبا

فتخلص مما وقع فيه ابن هانئ لكونه سأل الارض عن العلة وتلطف في استخراج علة مناسبة لا حرج عليه في ايرادها وقد تقدم المعلول على العلة في هذا الباب وعلى هذا المنوال نسج ابن رشيق وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته على التعليل قوله

لهم أسام سوام غير خافية * من أجلها صار يدعى الاسم بالعلم

وبيت العميان

لم تبرق السحب الا انها فرحت * اذ ظللته فأبدت حسن مبتسم

التعليل

الله لا تزيده النعمة الا شكرا والمصيبة الا صبرا أو بضيق بترادف هاتين المصيبتين ذرعا ويسوء بالله ظننا ان السعد من ورث أولاده وقدم أحبابه وأنا أرجو أن يكون أولنا للدنيا اصابه وآخرنا الى الآخرة اجابه وان يوصل ما أوتي من نعمة في العاجل بخير منه في الآجل

(وله اليه أيضا)

نعم العون على عزة الشيخ الرئيس دينه الابيض الناصع واسلامه الصادق النافع لقد عجمت عوده في أمرين منكرين فوجدته طيب المكسر فوالله لا أولن ما دام يسمع ولا دنن ما وجدته ينتصح عسى الله ان يوفقني قائلا ويوفقه قابلا هذا الذي يستخرج فعله الاحداث لو سمي مال النثار أو مال الديوان أو اسما آخر غير مال الاحداث كانت الحاجة تدرك والدين وافر قوي

وبيت الشيخ عز الدين قوله

تعليل طيب نسيم الروض حين سرى * بأنه نال بعضا من ثنائهم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة

نعم وقد طاب تعليل النسيم لنا * لانه مر في آثار تربهم

(ذكر التعطف)

(تعطف الخير كم أبدوا المذنبهم * والخير ما زال في أبواب صفحهم)

التعطف شبيه بالترديد في اعادة اللفظة بعينها في البيت والفرق بينهما ان التعطف شرطه أن تكون احدى كلمتيه في مصراع والاخرى في مصراع آخر ذلك وهذا النوع أيضا من الانواع التي تقدمت وقررت ان ليس تحتها كبير أمر وان رتبة البديع أعلى من هذه الانواع السافلة ولكن تقدم قولي ان القوم كلما طلبوا الكثرة تغالوا في الرخيص والشروع في المعارضة ملزم وقد استشهدوا على هذا النوع أعني التعطف بقول أبي الطيب المتنبي

فساق الي العرف غير مكدر * وسقت اليه المدح غير مذمم

وبيت الشيخ صفي الدين على هذا النوع الرخيص قوله

وصحبه من لهم فخر اذا افتخروا * ما ان يقصر عن غايات فضلهم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تعطفوا برضا أحبابهم وعلى * أعدائهم عطفوا بالصارم الخذم

وبيت بديعيتي أنا مستمر فيه على وصف الصحابة رضي الله عنهم بقولي

تعطف الخير كم أبدوا المذنبهم * والخير ما زال في أبواب صفحهم

وقلت بعده مشيرا اليهم

(ذكر الاستتباع)

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

الاستتباع هو استفعال من تتبع الرجل اذا اقتفى أثره وفي الاصطلاح هو أن يذكر الناظم أو الناثر معنى مدح أو ذم أو غرض من أغراض الشعر فيستتبع معنى آخر من جنسه يقتضي زيادة في وصف ذلك الفن كقول أبي الطيب المتنبي

نهبت من الاعمار ما لو حويته * لهنئت الدنيا بانك خالد

فانه مدحه بالشجاعة على وجه استتبع مدحه بكونه سببا لاصلاح الدنيا حيث جعلها مهنأة بخلوده ومثله قوله

الى كم ترد الرسل فيما أتوا به * كأنهم فيما وهبت ملام

فمدحه بالشجاعة اعياه وألغز في رد الرسل عما أتوا به وصدهم عن مطلوبهم والتهاون برسلهم واستتبع في آخر البيت مدحه بالكرم لعصيان الملام في الهبات ويعجبني هنا قول أبي بكر الخوارزمي

سمح البديهة ليس يمسك لفظه * فكأنما ألفاظه من ماله

التعطف

والكفر صاغر في ولكان المراد يرتفع والاسلام سالم والشيطان راغم انه ليس المسؤل لم أخذت كالمسؤل لم كفرت وسأضرب مثلا ومثالا لما قدمت انه قضى الله أن لا ربا فقالت قريش ضاق علينا العيش فأمروا أن يشتروا ويبيعوا فقالت طائفة ان الذي أمرنا به كالذي نهينا عنه فأنزل الله سبحانه تسخيفا لكلامها وتسفيها لاحلامها قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا صدق الله وكذب القياس وأمر الله فليطع الناس انه ليس بين الحرام الموبق والحلال الطيب الا نظر المسلم لنفسه وهل بين الجنة والنار الا جواب من كلام أو حاجز من صدقة أو صيام وهل بين الزنا والنكاح الا ما بين الربا والبيع المباح قول معروف يفتح رضوان الله وحسن مآب وتهاون يثمر لعنة الله ودار ا

الاستتباع

فانه مدحهم بذلاقة اللسان على وجه استتبع الكرم وبيت الشيخ صفي الدين في بديعيته على
هذا النوع قوله

الباذلو النفس بذل الزاد يوم قرى * والصائنو العرض صون الجار والحرم

وبيت العميان

تجري دماء الاعادي من سيوفهم * مثل المواهب تجري من كفوفهم

وبيت الشيخ عز الدين

يستتبعون ببذل العلم بذل ندى * ويحفظون المعالي حفظ عرضهم

وبيت بديعيتي

يحمون مستتبعين العفو ان ظفروا * ويحفظون وفاهم حفظ دينهم

(ذكر الطاعة والعصيان)

(طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بمدحهم)

هذا النوع أعني الطاعة والعصيان استنبطه أبو العلاء المعري في شرحه الذي سماه معجز أحمد عند نظره في شعر أبي الطيب وهو قوله

يرد يدا عن ثوبها وهو قادر * ويعصي الهوى في طيفها وهو راقد

وسماه الطاعة والعصيان وقال انما أراد أبو الطيب ان يقول يرد يدا عن ثوبها وهو مستيقظ بحيث تطيعه المطابقة في قافية البيت بقوله راقد فلم يطعه الوزن في ذلك ولما عصاه الوزن عدل الى لفظة قادر وجعلها مكان مستيقظ لما فيها من معنى اليقظة وزيادة فأطاعه التجنيس المقلوب بين قادر وراقد وعصته المطابقة بين راقد ومستيقظ فلم يخل بيته عن معنى بديعي وقيل ان هذا النوع لم يسمع لمثال قبل أبي العلاء ولا بعده في سائر كتب البديع لقلة وقوعه وتعذر اتفاقه وانما وقع للمتنبي نادرا قلت أنا تابع في هذا النوع مذهب علامة هذا العلم وهو الشيخ زكي الدين ابن أبي الاصبع تغمده الله برحمته ورضوانه فانه كشف عن وجه الاشكال وأرشد من كان متعلقا بحبال المحال فان القوم أضربوا عن هذا النوع وهو ظاهر لان الشيخ زكي الدين قال اضرابهم عن النظر فيه اما لحسن ظنهم بالمعري وموضعه من الادب واعتقادهم فيه العصمة من الخطا والسهو واما أن يكون مر عليهم ما مر عليه في هذا البيت اذ ليس في البيت شئ أطاع الشاعر ولا شئ عصاه ودليل ذلك قول المعري ان المتنبي أراد مستيقظا ليحصل بينها وبين لفظة راقد طباقا فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول في هذا الوزن وهذا محال لان المتنبي لو أراد أن يقول يرد يدا عن ثوبها وهو ساهر لحصل له غرضه من الطباق ولم يعصه الوزن وانما المتنبي قصد أن يكون في بيته طباق وجناس فعدل عن لفظة ساهر الى قادر لان القادر ساهر وزيادة وحصل بين راقد وقادر الطباق المعنوي وجناس العكس لان الطباق أنواع منه المعنوي كما ان الجناس أنواع منه العكس ومذهب المتنبي ترجيح المعاني على الالفاظ ولاسيما وبالعدول عن الطباق اللفظي حصل في البيت الطباق والجناس معا وما كان فيه الطباق والجناس معا أفضل مما ليس فيه سوى الطباق ولو عدل المتنبي الى ما ذكره المعري لفاته هذا

الفضل

الطاعة والعصيان

لها سبعة أبواب وهراة اليوم بحمد الله مدينة السلام وخطة الاسلام ودار السنة ومدارها ونار الهداية ومنارها ولو فسد الملح لفسد الطعم ولو وهن الرأس لوهن الجسم وانما الشيخ الرئيس امامها وقوامها ولا يتم صلاحها حتى يتم صلاحه ولا يتم صباحها حتى يتم صباحه وكما نيط بسلام الرأس سلامة الجسد كذلك نيط بصلاح الرئيس صلاح البلد وكل يسئل عما يفعل وهو أيده الله يسئل عما فعلوا وقد سمع وعيد الله على الحدود وأخذ الله على اليهود فيما آتاهم من كتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه ثم أخذ على هذه الامة من العهود أوثق مما أخذ على اليهود وان المسلم لينشط الى الفسق مغترا بعفو الله متسعا في حلم الله ولا ينشط الى الكفر انها الحالة التي لا تقنعها المحالة والقالة التي

الفضل والله أعلم وقد ثبت من هذا البحث ان بيت المتنبي لا يصلح أن يكون شاهدا على هذا الباب لانه لم يعصه فيه شيء ولم يطعه غيره وكذلك بيت الشيخ صفي الدين في بديعيته وهو قوله

لهم تم الوجه بالحياء كما * مقصوره مستهل من اكفهم

فانه ذكر في شرحه أنه أراد الجناس بين الحياء والحيا ولما عصاه الوزن وتعذر التجنيس عدل الى لفظة مقصوره وهو ردف لفظة الحيا فأطاعه الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه اهـ قلت والذي قرره الشيخ صفي الدين أيضا محال ولو قال

لهم تم الوجه بالحياء كما * لنا الحيا مستهل من اكفهم

لحصل له ما أراد من الجناس وخلص من ثقل مقصوره وحصل لبيته طلاوة في الاذواق وخلا من المقادة وتحقق المتأمل ان عصيان الوزن هنا محال وكذلك بيت الشيخ عز الدين وهو

أطاعه وعصاه المؤمنون ومن * ناواه ذا الفرق بين الانس والنعم

فانه ذكر في شرحه انه أراد الطباق بين المؤمنين والكافرين فعصاه الوزن وتعذرت المطابقة فأتى بلفظة ناوى فأطاعته المطابقة وعصاه الوزن قلت والذي قرره الشيخ عز الدين أيضا ههنا محال ولو قال

أطاعه وعصاه المؤمنون وجشم الكافرين ولم يحفل بجمعهم

لحصل له ما أراد من المطابقة بين المؤمنين والكافرين وخلص من ثقل ناوى وتجشم الانس والنعم التي زلزلت أركان بيته وأما قوله أطاعه وعصاه فهذه المطابقة تحصيل الحاصل لانهما تسمية النوع الذي هو المراد هنا وجل القصد ان عصيان الوزن في بيت أبي الطيب وبيت الشيخ صفي الدين وبيت الشيخ عز الدين محال وبيت بديعيتي أقول فيه عن الصحابة رضي الله عنهم أجمعين

طاعاتهم تقهر العصيان قدرهم * له العلو فجانسه بعدهم

هذا البيت أردت أن أجانس فيه بين العلو والغلو فلم يطع فيهما الوزن فلما عصى ذلك عدلت الى لفظة جانسه فحصل الجناس المعنوي باشارة ردفه اليه فهذا البيت مشتمل على الطاعة والعصيان حقيقة فان الناظم أراد فيه جناس التصحيف فعصاه الوزن وأطاعه الجناس المعنوي والعصيان ما نظموه في بديعيتهم والله أعلم

(ذكر المدح في معرض الذم)

(في معرض الذم ان رمت المديح فقل * لا عيب فيهم سوى اكرام وفدهم)

هذا النوع أعني المدح في معرض الذم من أنواع ابن المعتز وهو أن يأتي بصفة ذم ثم يستثني صفة مدح كقولك لا عيب في زيد سوى أنه يكرم الضيف وأعظم الشواهد على هذا النوع قوله تعالى لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيما الا قيلا سلاما سلاما ومن الشواهد الشعرية قول النابغة الذبياني

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم * بهن فلول من قراع الكتائب

ومنه قول الشاعر

لا تسعها الاقالة والمهواة التي لا يبلغها عفو الله ولا تدركها رحمة الله عزمة من عزمات الله أبرمها في الكفار انهم من اصحاب النار ومعنى مال الاحداث اغمان الحدود وحدود الله لا تباع ورسوم الله لا تضاع فان قيل فالرشد أصاب والحق أجاب خار الله له الخيرة ووفقه لصالح القول والعمل

(وله اليه أيضا)

قسما انه ان استرقني الشيخ الرئيس حديثا لقد استحقني قديما ولئن اشتراني طريفا لقد ملكني تليدا ولقد أحله الله بين أعاديه فلا تناله يد أحد بسوء ومنهم شقي وسعيد فالسعيد من أغناه وعقبه بعده والشقي من أغناه وحده فاذا استاذن ذو فضيلة للعود الى بلده لم يرض بما سلف من انعامه حتى يتبعه باضعافه ثم يأذن له في انصرافه فاذا وصل الى

المدح في معرض الذم

ولا عيب فيكم غير أن ضيوفكم * تعاب بنسيان الاحبة والوطن

ومنه أيضا قول الشاعر

ولا عيب فى هذا الرشا غير أنه * له معطف لدن وخد منعم

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى

لا عيب فيهم سوى أن النزيل بهم * يسلو عن الاهل والاوطان والحشم

وبيت العميان فى بديعيتهم

لا عيب فيهم سوى أن لا ترى لهم * ضيفا يجوع ولا جارا لهم تضم

قلت بين قول الشيخ صفى الدين عن الضيف انه يسلو عن الاهل والاوطان والحشم وبين قول العميان عن الضيف انه لا يجوع بون بعيد وبيت الشيخ عز الدين

فى معرض الذم ان رمت المديح فهم * لا عيب فيهم سوى الاعدام للنعم

وبيت بديعيتى

فى معرض الذم ان رمت المديح فقل * لا عيب فيهم سوى اكرام وفدهم

(ذكر البسط)

(هم معشر بسطوا جودا اسقاه حيا * فاخضر العيش فى أكناف أرضهم)

هذا النوع أعنى البسط من مستخرجات ابن أبى الاصبع والبسط بخلاف الايجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام لكن شرطه زيادة الفائدة كقول النبى صلى الله عليه وسلم الدين النصيحة فقيل لمن يا رسول الله قال لله ولكتابه ولنبيه ولائمة المسلمين وعامتهم فبسط هذه اللفظة الجامعة ليفرد الائمة بالذكر من جملة المسلمين ولم يكن الاقتصار على الائمة لاجل نقص المعنى ادغامه لا يكون الا بذكر عامة المسلمين فأتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر ومن الامثلة الشعرية المستحسنة على البسط قول البحترى فى الخيرى وهو المنثور الاصفر

قد نفض العاشقون ما صنع الشهجر بألوانهم على ورقه

فان حاصل هذا الكلام الاخبار بصفرة الخيرى فبسط اللفظ الذى لو اقتصر عليه لما حصل به المراد لما فى البسط من حسن ادماج الغزل فى الوصف بغير لفظ التشبيه ولا قرينة اذ مفهوم اللفظ ان صفرة المنثور تشبه ألوان المهجورين وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته

سهل الخلائق سمح الكف باسطها * منزه قوله عن لا ولن ولم

والعميان ما نظموه فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

ذو بسط كف وخلق زانه خلق * أثنى عليه اله العرش بالعظم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم أجمعين

هم معشر بسطوا جودا اسقاه حيا * فاخضر العيش فى أكناف أرضهم

(ذكر الاتساع)

(نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعانى اتساع فى عليهم)

البسط

الدرب فثم ناس قدهم افراس وناس معهم لباس وناس معهم أكياس فاذا وصل الى المنزل الاول فهنالك رجال معهم جمال ورجال معهم بغال واخرون معهم حمير واعبد يدفعها كبير يرى انه وقع تقصير وان ما حمل يسير واذا وصل الى المنزل الثانى فالحجارة بنفيس من الاعلاق وأصناف خلق للانفاق وكثير من المعاذير اشباه الدنانير وهلم جرا الى آخر المملكة فى كل أرض يطؤها منحة تعلقه وهدية تلحقه هذه حال الظاعن فما حال القاطن ثم ان الجود أيسر خصاله هلم الى الدين المتين فوالله لقد مضت ليلة الرقود ولم يشعر بعضيها وأتى النيروز ولم يحس باتيانه فأما المسكر وشربه والمسكر وقربه والعود وضربه والنرد ونصبه والشطرنج ولعبه فقد نزه الله هذه العتبة وطهر هذه الجنبة عنها وعمن يجالسها ويجانسها

الاتساع

هذا النوع أعنى الاتساع يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظم فيه وبحسب ما تحتمل ألفاظه من المعانى كقول امرئ القيس

اذا قامتا تضوّع المسك منهما * نسيم الصبا جاءت بريا القرنفل

فان هذا البيت اتسع النقد فى تأويله فمن قائل تضوّع المسك منهما بنسيم الصبا ومن قائل تضوّع المسك منهما تضوّع نسيم الصبا ومن قائل تضوّع المسك منهما بفتح الميم يعنى الجلد بنسيم الصبا وهو أضعف الوجوه والوجه الثانى مذهب ابن أبى الاصبع وهو أنور الوجوه ومن ذلك فواتح السور التى اقسم الله بها فانهم اتسعوا فى تأويلها ولم يترجح من ذلك الا أنها اسماء السور وبيت الحلى فى بديعيته قوله

بيض المفارق لا عار يدنسهم * شم الانوف طوال الباع والامم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

بان اتساع المعانى فى الصحابة كالـ * ـفاروق ثم شهيد الدار ذى الحرم

وبيت بديعيتى أنا مستمر فيه على مدح الصحابة رضى الله عنهم اجمعين

نور القبائل ذو النورين ثالثهم * وللمعانى اتساع فى عليهم

(ذكر جمع المؤتلف والمختلف)

*(جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم)*

هذا النوع أعنى جمع المؤتلف والمختلف ذكر المؤلفون فيه أقوالا كثيرة غير سديدة ومثلوه بامثلة غير مطابقة ولم يحرره ويطابقه بالامثلة الصحيحة اللائقة غير الشيخ زكى الدين بن أبى الاصبع والذى تحرر عنده ان هذا النوع عبارة عن ان يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين فيأتى بمعان مؤتلفة فى مدحهما ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتى لاجل الترجيح بمعان تخالف معنى التسوية كقوله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فحصلت المساواة فى الحكم والعلم فساوى بينهما فى اهلية الحكم ثم رجح سليمان فقال ففهمناها سليمان ثم راعى حق الوالد فقال وكلا آتينا حكما وعلما فحصلت المساواة فى الحكم والعلم وكقول الخنساء فى أخيها وقد أرادت مساواته بابيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة مدح لا ينقص به حق الولد

جارى أباه فاقبلا وهما * يتعاوران ملاءة الفخر
وهما وقد برزا كأنهما * صقران قد حطا على وكر
حتى اذا نزت القلوب وقد * لزت هناك العذر بالعذر
وعلا هتاف الارض ايهما * قال المجيب هناك لا أدرى
برقت صفيحة وجه والده * ومضى على غلوائه يجرى
أولى فأولى أن يساويه * لولا جلال السن والكبر

جمع المؤتلف والمختلف

ولابسها وحارسها وأما الملك وحراسته والامر وسياسته والدولة واقبالها فكما عرف حالها وسارت أمثالها وأما البلدة فهى التى غيرتها الحراب والحروب ونحو بها الخطاب والخطوب ولا فصل البق بما مضى من تهنئة القاضى بالنصر الذى اتاحه الله للمسلمين فقد علم اى حق حق وأى باطل زهق وأى خيل كشفت اى خيل بل اى نهار فضح اى ليل وأى قطر سبق الى اى قفر واى مغونة ادركت اى لونة وأى ماء أهدى الى ظماء فما انسحبت الرياح نوضع فالمقراة كما انسحبت السحب وريه هراة فالحمد لله الذى أراح وسكن تلك الرياح واتضى من السلطان الكبير من اذا

وبيت الشيخ صفي الدين الحلي رحمه الله في بديعيته قوله

هم هم في جميع الفضل ما عدموا * سوى الآخا ونص الذكر والرحم

قلت الحلي اساء الادب في نظم هذا البيت وكان يجب ان يؤدب على نظمه فانه بخس فيه حق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذب في الثلاثة التي استثناها وقال ان الصحابة رضي الله عنهم عدموها وقوله هم هم في جميع الفضل لا يفهم منه مدح لانه سلبهم الفضل في الشطر الثاني من البيت ولهذا قال الشيخ عز الدين في بديعيته مشيرا الى هذا البيت

هم هم في جميع الفضل ما عدموا * ما قاله الرافضي النذل في الكلم

وعلى هذا الترتيب الفاسد فما اجتمع في بيت الصفي غير المختلف لان المؤتلف عنه بمعزل والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين في بديعيته قوله

جمع لمؤتلف فيهم ومختلف * في العلم والحلم مع تقديم ذي قدم

وبيت بديعيتي يجب ان لا يستشهد على هذا النوع بغيره فاني قلت فيه عن الصحابة رضي الله عنهم

جمعت مؤتلفا فيهم ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

(ذكر التعريض)

*(تعريض مدح أبي بكر يقدمني * في سبق حليهم مع موصليهم)*

هذا النوع أعني التعريض نوع لطيف في بابه وهو عبارة عن ان يكني المتكلم بشيء عن آخر لا يصرح به ليأخذه السامع لنفسه ويعلم المقصود منه كقول القائل ما أقبح البخل فيعلم انك أردت ان تقول له أنت بخيل وكقول بعضهم للآخر لم تكن أمي زانية يعرض بان أمه زانية والتعريض نوع من الكناية ومن امثلته الشعرية قول الحجاج يعرض بمن تقدمه من الامراء

لست براعي ابل ولا غنم * ولا بجزار على ظهر وضم

والشواهد على هذا النوع كثيرة ولكن أردت أن أجعل العمدة فيه على بيتي المنتظم في سلك بديعيتي فانه من الامثلة البديعة وليس في هذا النوع له مثال ولكن نبدأ ببيت الشيخ صفي الدين رحمه الله لاجل الترتيب وهو

ومن أتى ساجدا لله ساعته * ولم يكن ساجدا في العمر للصنم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

تطويل تعريض شانئهم يعظمهم * والرفض أقبح شيء موجب الاضم

وبيتي الذي اطنبت في وصفه هو قولي بعد

جمعت مؤتلفا فيه ومختلفا * مدحا وقصرت عن أوصاف شيخهم

تعريض مدح أبي بكر يقدمني * في سبق حليهم مع موصليهم

(ذكر الترصيع)

*(انم ترصع شعري واعتلت هممي * وكم ترفع قدري وانجلت غممي)*

التعريض

اعتل قد واذا اعترض قط ومن الامير العادل من اذا شاء رفع واذا شاء حط هنيئا لتلك الديار نيل الخبار ولكتب القاضي موقع من قلبي لطيف وشعب من نفسي فارغ فلم لا يسرني بها والسلام

(وله أيضا)

ليس الشوق اليك يا سيدي بشرق اغماهو النار تطيش وتطير والسم يسري ويسير وليست أياديك عندي بأياد هذه في واد وتلك في واد وهن أطواق الحمام وقلائد لكنهن من العظام وليس تقصيري عنها بتقصير لكنه حياء من مقابلتها بغير كفئها وهيهات ليس التخلق في المكرمات بخلق وقد جاءت شيخي ابا فلان رسالة انتهى اليها حتى يأتيك كتاب

الترصيع

هذا النوع أعني الترصيع هو عبارة عن مقابلة كل لفظة من صدر البيت اوفقرة النثر بلفظة على وزنها ورويها وهو مأخوذ من مقابلة ترصيع العقد ومن أمثلته الشريفة في الكتاب العزيز قوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ومثله قوله تعالى ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم ومنه قول الحريري في المقامات يطبع الاسجاع بجواهر لفظه ويقرع الاسماع بزواجر وعظه وان كان مع الترصيع زيادة بديع كطباق أومقابلة أوجناس كان ذلك زيادة حسنة ومن أمثلته الشعرية قول أبي فراس

وافعالنا للراغبين كرامة * وأموالنا للطالبين نهاب

ومنه قول الشاعر

فيا يومها كم من مناف منافق * ويا ليلها كم من موافٍ موافق

والمبرز في هذا النوع هو الذي يخلي نظم بيته من الحشو والحشو فيه عبارة عن تكرار الالفاظ التي ليست من الترصيع بحيث لا يأتي في صدر بيته بلفظة الا ولها أخت تقابلها في العجز حتى في العروض والضرب كقول ابن النبيه

فحريق جمرة سيفه للمعتدي * ورحيق خمرة سيبه للمعتفي

فهذا البيت وقع الترصيع في جميع ألفاظه فان المقابلة فيه حاصلة بين حريق ورحيق وبين جمرة وخمرة وبين سيفه وسيبه وبين المعتدي والمعتفي وأبو فراس بيته خال من ترصيع العروض والضرب والشاهد الثاني كرر فيه ناظمه حرف النداء فدخل عليه الحشو وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في الترصيع قوله

من حاسر بغرار العضب ملتحف * وسافر بغبار الحرب ملتثم

صفي الدين فاته في هذا البيت ترصيع العروض والضرب وقد تسامحوا فيهما ولكن الغاية ماقررته في نظم هذا النوع وايضا فان الشيخ صفي الدين غير عاجز عن ذلك فانه أتى في بيته بالحشو مع عدم ترصيع العروض والضرب وناهيك ان العميان تبصروا ونظموه في بديعيتهم وهو

فهجر ربعي لذاك الربع مغتنمي * ونثر جمعي لذاك الجمع معتصمي

هذا البيت استشهد به العميان على الترصيع الواقع في جميع ألفاظ البيت ولكن ذاك في مقابلة ذاك اعتذر عنهما الشيخ شهاب الدين أبو جعفر الشارح وقال ان معناهما مختلف فان الاشارة الاولى للربع والثانية للجمع وعلى كل تقدير فالنظر فيهما مجال وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

كم رصعوا كلما من در لفظهم * كم ابدعوا حكما في سر علمهم

الشيخ عز الدين رصع حتى في العروض والضرب ولكن كرر في بيته لفظة كم ودخل عليه الحشو وهو من وفى والكمال لله وبيت بديعيتي أقول فيه بعد قولي في بيت التعريض

نعم ترصع شعري واعتلت هممي * وكم ترفع قدري وانجلت غممي

التنبيه على محاسن هذا البيت كالتنبيه على محاسن بيت ابن النبيه فان ناظمه وفى حقوق هذا النوع في نظمه وأما الجماعة المذكورون معه فما منهم الا من بخسه بعض حقه لما أدخله

على اثرها وعلى ابي فلان سلام يصحبه شوق يضم الجوانح هضما ويبري لها وعظما ويا كلني خضما وقضما وانفثه نثرا ونظما وانا في عهدة قصيدته الغراء واياديه الغر وكأن قد والسلام

وله الى صديق جواب كتاب ورد منه يذكر وصوله اليه يوم العيد

كتابي يا سيدي كتاب من لا همة له الا قربك ولا غاية له الا حديثك فخرج عليك وحرام لا يحله الا الوفاء ان تقيم ساعة تطرك فيه او تعرج على شيء دون التأهب للخروج وحبذا العزم الذي نبهك الله له واسعدني به ومرحبا بيوم لقائك ويا شوقاه الى وجهك ولي بقربك عيدان ونعم الموعد العيد الا انه بعيد والمراحل أقل من الايام فلو تفضلت واختصرتها وساءني ماذكرت في كتابك من الارتياد لسيرك بادية والله اني استبعدك وأنت معي في ازار فكيف في دار

في بيته وقد تميز بيتي على بيت ابن النبيه أيضا في ترصيع نظمه بزيادة جوهرتين فاني قابلت فيه خمسة بخمسة وابن النبيه وبقية القوم قابلوا أربعة بأربعة والزيادة على ابن النبيه أيضا في تسمية النوع الذي هو الترصيع ولعمري انها تورية ما رصع في العقود نظيرها وهذا البيت مشتمل على الترصيع والتورية والجناس اللاحق واللزوم والتمكين والترصيع والموازنة ومراعاة النظير والسهولة والانسجام والله أعلم

(ذكر السجع)

*(سجعي ومنتظمي قد أظهرا حكمي * وصرت كالعلم في العرب والعجم)*

السجع مأخوذ من سجع الحمام واختلف فيه هل يقال في فواصل القرآن اسجاع أولا فمنهم من منعه ومنهم من أجازه والذي منع تمسك بقوله تعالى كتاب فصلت آياته فقال قد سماه فواصل وليس لنا أن نتجاوز ذلك والسجع ينقسم أربعة اقسام المطرف والمتوازي والمشطر والمرصع القسم الاول المطرف وعلى منواله نسج نظام البديعيات وهو ان يأتي المتكلم في أجزاء كلامه أو في بعضها باسجاع غير متزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين بشرط أن يكون روي الاسجاع روي القافية كقوله تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطوارا وكقولهم جنابه محط الرحال ومخيم الآمال ومن الامثلة الشعرية قول أبي تمام

تجلى به رشدي وأثرت به يدي * وفاض به ثمدي وأورى به زندي

الثاني الموازي وهو ان تتفق اللفظة الاخيرة من القرينة مع نظيرتها في الوزن والروي كقوله تعالى سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم أعط منفقا خلفا وأعط ممسكا تلفا ومنه قول الحريري في المقامات الجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع أرض واسط وقوله وأودى بي الناطق والصامت ورثى لي الحاسد والشامت ومن أمثلته الشعرية قول أبي الطيب المتنبي

فنحن في جذل والروم في وجل * والبر في شغل والبحر في خجل

القسم الثالث المشطر وهو ان يكون لكل نصف من البيت قافيتان مغايرتان لقافيتي النصف الاخير وهذا القسم مختص بالنظم كقول أبي تمام

تدبير معتصم بالله منتقم * لله مرتقب في الله مرتغب

الرابع المرصع وقد تقدم الكلام عليه قلت واذ كنت منشئ ديوان الانشاء الشريف انشأت جميع ما يحتاجون اليه من الفوائد التي أخذتها عن علماء هذا الفن فان قصر الفقرات يدل على قوة المنشئ وأقل ما يكون من كلمتين كقوله تعالى يا أيها المدثر قم فانذر وربك فكبر وثيابك فطهر وامثال ذلك كثيرة في القرآن العزيز لكن الزائد على ذلك هو الاكثر وكان بديع الزمان يكثر من ذلك كقوله كميت نهد كأنما راكبه في مهد يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر لكن قالوا التلذذ السامع بما زاد على ذلك اكثر لتشوقه الى ما يرد منه متزايدا على سمعه وأما الفقر المختلفة فالاحسن أن تكون الثانية أزيد من الاولى بقدر غير كثير لئلا يبعد على السامع وجود القافية فتذهب اللذة وان زادت القرائن على اثنتين فلا يضر تساوي القرينتين الاوليين وان زادت الثانية على الاولى يسيرا والثالثة على

الثانية

السجع

وفي دار فكيف في جوار وهذه الحضرة من ضيق المنازل وعوزها وعزتها على غاية لا يمكن عليها مزيد ولا أعرف لك مسكنا تاوي به اوفق بك ولا أرفق بي من صدري ولا غرفة أولى بك وأخبأ لك من صدقي وما ضاقت دار تحابين وأنا في حجرة تسعنا وفيها مربط للدواب واليها الهجرة وعليها النزول وأما الشيخ الذي وصفت حاله وتوسله بكتاب سيدي فلان فاهلا به على ان الوسيلة الاولى لا تقصر عن الثانية فليرد مستصيرا بالله متوكلا عليه والله المعين على ما يخرج من عهدة وسيلته وهو حسبي ونعم الوكيل

(وله أيضا)

كتابي عن سلامة لولا ما ينغصها من فراقك وعافية لو متعت بلقائك يكاد كتابك يرويني ان عطشت ويغذوني

الثانية فلا باس ولا يكون أكثر من المثل ولا بد من الزيادة في آخر القرائن مثاله في القرينتين وقالوا اتخذ الرحمن ولدا لقد جئتم شيأ ادا تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا فالثانية أطول من الاولى ومثاله في الثالثة قوله تعالى وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا واذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا ومن قواعد الانشاء أن تكون كل فاصلة مخالفة لنظيرتها في المعنى لان اللفظ اذا كان من القرينة بمعنى نظيره من الاخرى كان معيبا كقول الصاحب بن عباد يصف منهزمين طاروا واقين بظهورهم صدورهم وباصلابهم نحورهم فالظهور بمعنى الاصلاب والصدور بمعنى النحور ومنه قول الصابي يسافر رأيه وهو لا يبرح ويسير وهو ثاو لا ينزح ويبرح وينزح بمعنى واحد ويسافر ويسير كذلك ومن فوائد الانشاء التي يطول بها باع المنشئ ان السجع مبنى على الوقف وكلمات الاسجاع موضوعة على ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفا عليها لان الغرض ان يجانس المنشئ بين القرائن ويزاوج ولا يتم له ذلك الا بالوقف اذ لو ظهر الاعراب لفات ذلك الغرض وضاق ذلك المجال على قاصده الا ترى انهم لو بينوا الاعراب مثل قولك ما ابعد مافات وما أقرب ماهو آت للزم ان تكون التاء الاولى مفتوحة والثانية مكسورة منونة فيفوت غرض الاتفاق ومن ذلك ان السجع مبنى على التغيير فيجوز ان تغير لفظة الفاصلة لتوافق أختها فيجوز فيها حالة الازدواج ما لا يجوز فيها حالة الانفراد في ذلك الامالة فقد يكون في الفواصل ماهو من ذوات الياء وماهو من ذوات الواو فتمال التي هي من ذوات الواو وتكتب بالياء حملا على ماهو من ذوات الياء لاجل الموافقة نحو قوله تعالى والضحى والليل اذا سجى اميلت والضحى وكتبت بالياء حملا على ماهى من ذوات الياء لاجل الموافقة وكذلك والشمس وضحاها اميلت فيها ذوات الواو وكتبت بالياء حملا على ماهى من ذوات الياء ومن ذلك حذف المفعول نحو قوله تعالى ما ودعك ربك وما قلى الاصل وما قلاك حذفت الكاف لتوافق الفواصل ومن ذلك صرف ما لا ينصرف كقوله تعالى قواريرا قواريرا صرفه بعض القراء السبعة ليوافق فواصل السورة الكريمة ولو تتبع المتأمل ذلك في الكتاب العزيز لوجده كثيرا ومما جاء من الحديث قوله صلى الله عليه وسلم أعيذه من الهامة والسامه ومن كل عين لامه والاصل عين ملمة لانه من آلم ولكنه لاجل الموافقة قيل لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ارجعن مأزورات غير مأجورات الاصل موزورات بالواو لانه من الوزر ولكن ليوافق مأجورات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم الاصل ما وادعوكم ولكن حذف الالف ليحصل الاتفاق مع تركوكم وسمعت ان بعض علماء الانشاء صنع مؤلفا في أحكام الفواصل ومن ذلك ان المراد من علم الانشاء البلاغة في المقاصد والبلاغة هي ان يبلغ المتكلم بعبارته كنه مراده مع ايجاز بلا اخلال واطالة من غير املال والفصاحة خلوص الكلام من التعقيد وقيل البلاغة في المعاني والفصاحة في الالفاظ فيقال لفظ فصيح ومعنى بليغ والفصاحة خاصة تقع في المفرد يقال كلمة فصيحة ولا يقال كلمة بليغة وأنت تريد

ما عشت لا اذكر معه شغلا وان اهم وكانى اتامل من سطوره صفحات صدرك واعلم ان مصدره عن صدر زجاجي الطبع باطنه كظاهره اما ما ذكرته من حديث اقامتي وظعنى فالمقام ما اقام الشتاء والظعن اذا ساعد القضاء واما انصراف القوم الى نيسابور فليس بصواب انى اذا أحسست من الهواء رطبا راحل نحوهم لا محالة ان شاء الله واما ما وصفت من اتفاذ ما انفذت وابتياع ما ابتعت فما زدتنى علما بما عرفت انى اذا شككت في الشمس ضحوة نهار لم اشك في فضلك واما أبو فلان فلو عرف ما يجرى له في هذه الديار لقر عينا ولو نشط فألم كان خيرا وأما حديث أبى فلان فقد اخبرته وذكران أصحاب الجمال قبضوا ما لهم منه

المفرد فانه يقال للقصيدة كلمة كما قالوا كلمة لبيد ففصاحة المفرد خلوصه من تنافر الحروف
والفصاحة أعم من البلاغة لان الفصاحة تكون صفة للكلمة والكلام يقال كلمة فصيحة
وكلام فصيح والبلاغة لا يوصف بها الا الكلام فيقال كلام بليغ ولا يقال كلمة بليغة واشتركا فى
وصف المتكلم بهما فيقال متكلم فصيح بليغ * فن الانشاء * الفصيح البليغ قول ابن عباد وقد
قيل له ما أحسن السجع فقال ما خف على السمع فقيل مثل ماذا قال مثل هذا ومنه
ما كتب به عبد الحميد عند ظهور الخراسانية بشعار السواد فاثبتوا ريثما تنجلى به
هذه الغمرة وتصحو هذه السكرة فينضب السيل وتمحى آية الليل ومنه قول أبى نصر
العتبى دب الفشل فى تضاعيف احشائهم وسرى الوشل فى تفاريق اعضائهم فجيوب
الاقطار عنهم مزرورة وذيول الخذلان عليهم مجرورة ومنه قول الصابى نزغ به شيطانه
وامتدت فى الغى أشطانه ومنه قول بديع الزمان كتابى الى البحر وان لم أره فقد سمعت
خبره والليث وان لم القه فقد تصورت خلقه ومن رأى من السيف أثره فقد رأى
أكثره ومنه قول القاضى الفاضل رحمه الله ووافينا قلعة نجم وهى نجم فى سحاب وعقاب
فى عقاب وهامة لها الغمامة عمامة وانملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال
لها قلامة ويعجبنى فى هذا الباب من انشاء الشهاب محمود قوله فى وصف مقدم سرية
لا زال فى مقاصده أخف من وطأة ضيف وفى مطالبه أخفى من زورة طيف وفى تنقله
أسرع من سحابة صيف وأروع للعدا من سلة سيف ومثله فى الحسن قوله فى صدر مثال
شريف سلطانى اصدرناها والسيوف قد أنفت من الغمود ونفرت من قربها والاسنة
قد ظمئت الى موارد القلوب وتشوقت الى الارتواء من قلبها والسيوف قد اضرمت الحمية للدين
نار غضبها وعداها حر الاشفاق على ثغور المسلمين فاعرضت عن برد الثغور وطيب شنبها
والحماة ما منهم الا من استظهر بامكان قوته وقوة امكانه والابطال ما فيهم من يسأل عن عدد
العدو بل عن مكانه قلت ما أوردت كثيرا من الانشاء ههنا الا لان يطيب للمتأمل تنقله
من شطوط البحور الى التنزه فى رياض المنثور فن ذلك ما انشأته فى تقليد مولانا المقر
الاشرف المرحومى القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الشافعى بصحابة دواوين الانشاء
الشريف بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولى وقد أوصلناه الى رتبة استحقاقه من رتب
المعالى ورقيناه الى درجات الكمال علما ان الكمال ما خرج عن بيته العالى فانه المنشئ الذى
ما للصاحب دخول الى ديوانه ولا لابن عبد الظاهر بلاغته وقوة سلطانه ولا للشهاب
محمود ان يباهى كماله فى طارفه وتليده ولا للقاضى الفاضل شرف البارزى وتمييزه ولو بالغ
فى كثرة شهوده ما نثر فى كمام طرسه زهره الا وأرانا ذبول زهر المنثور ولا قرع أبواب
المصطلح الا فتحت ودخل بيتها بغير دستور ولا تسنم منبر الاجياد بالفاظ كان مزاجها من
تسنيم وقالت البلغاء للفصاحة المحمدية ما ثم الا الرضا والتسليم ومنه ما أنشأته فى تقليد
ولده وهو مولانا المقر الاشرف الكمالى عظم الله شأنه بصحابة دواوين الانشاء الشريف
بالممالك الاسلامية المحروسة وهو قولى فانه من البيت الذى وهبه الله شرف العلم ورحم منه
كل ميت فقل لكل من مشايخ الاسلام ناشدتك الله هل تنكر هبة الله لهذا البيت وما خفى

المال فان رأى الصواب
ان يخرج فالامر اليه ان
شاء الله تعالى

(وله ايضا)

وصلت كتبك بما شرحته
من حالك وقصصته من
حديثك وقلنا لو غشى
ذات حمل لوضعت ويوما
تذهل كل مرضعة عما
ارضعت وقد شاهدت
نيسابور يوم غضب السلطان
وتوظيفه على الديار ووجوه
التجار مائتى ألف دينار
كيف طارت العقول من
ذلك الحديث وزاغت
العيون وطاشت القلوب
وحشرجت النفوس هذا
ولم يتجاوز القول الى الفعل
ولم يتعد الوعيد الى الايقاع
فما ظنك بثلثمائة ألف دينار
توجه وجوهها فى ثلاثة
أيام ثم تحصل عن آخرها
بتمام فلم يمكن عرض
تلك الحال فى تلك الاهوال
ولعمرى ما انت فيما تأتى

ان امامكم الاعظم أول من راعى حقوقه و بادر الى رفع مثاله وشرع فى رفع قواعده وتشييد
كماله وابهم هذا الفرع الذى زكت أصوله وسقيناه ماء القرب فاثمر وقد انبته الله نباتا حسنا
والنبات الحموى حسنه لا ينكر غاب نيره الاكبر فابدر بعده وهذا البدر فى كماله ما أبهاه
ولجأ الى الله ثم الينا فزاده الله كمالا وعلمنا ان الكمال لله وسلكناه فى حياة والده فكان لمشيختنا
الشريفة نعم المريد وأخذ عنا الادب فجاد نظمه وها هو فى البيوت البارزية بيت القصيد
والكتابة دون كماله ومحاسنه تجل أن تقابل بمثال وان كان الكمال زها بحاشيته
فحاشيتنا زهت بهذا الكمال وكان والده عقدا فرط فيه الزمان ولكن استدرك فارطه
وقد نظمناه فى عقد سلكنا الشريف الى أن صار به نعم الواسطه وامتدت ألسن الاقلام الى
ثغور المحابر فقبلتها وانشرحت صدور الاوراق وعلق فيها عنا برسطور رقمتها وقالت لمر
أقلامه اهلا بالعربيات التى ليس لها الا الايدى الجهينية غرر ومرحبا بعد النوبة بقهوة
الانشاء فان شباب الزمان قد عاد و زهر المشور قد زهر وجاء الامام الذى ان كتب تقليدا
قالت البلغاء هذا الامام الذى يجب تقليده وهذا هو الخليفة على السر الشريف وأمينه
ومأمونه ورشيده ان تحمس فى انشائه قال الجبان لا أقعد الجبن عن الهيجا أو استطرد
الى وصف روض ممرج زاد هرجا ومرجا أو ترسل غراميا فاحديقة زهير عند زهر منثوره
أو كتب عنا تهديدا اسال جامد الصخر ولو سمعت الجوزاء حديثه لسقطت مع الحصى عند تحريره
فانه المنشئ الذى ما اعتقل رمح قلمه بيمينه وهزه هزه الا قال كل منشئ دخلت اصبع قلمى من
دواتى تحت درزه ولاحول من دوح أقلامه فرعا الا تساقط بين الاوراق ثمرات شهيه فلو
ادركها الصاحب اقدمها وأخر القوا كه البدريه ولو ناسبه الفتح لقابله المؤمنون بالقتال
وكان والده قد اعترف بكماله وهذا التقليد لثبوت ذلك الاعتراف اسجال فانه الامين
الذى ان تصرف فى خزانتنا الشريفة فقد ثبت ان توثيق العرا لبيته العالى أو أملى فى
دواتنا الشريف كانت اماليه أمالى المحب لا أمالى القالى ولولا خشية الاطالة لأوردت
هذا التقليد الشريف بكماله لانه فى صناعة الانشاء لنسيج وحده * ومنه ما أنشأته عن
مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه من غيث الرحمة جوابا عن مكاتبة الملك الناصر
صاحب اليمن وهو لازال جناس مجده سعيد الحركة بين اليمن واليمن وسيفه اليمانى لم يرض
بمجانسة سيف ابن ذى يزن والامة بامداحه تهنأ بجنات عدن فى عدن ولابرحت صنائعه
بصنعاء محبرة حتى فى سطور الطروس وأقلام الثناء سود اللمم بمدحه ولو تركت لاعترها
شيب الرؤس وتحياته المكرمة مخصوصة منا بشرف التسليم وبدور موداته سافرة فى
ليالى سطورها بين بديعى التكميل والتتميم أصدرناها وشاهد المودة قد وضع رسم شهادته
وكتب واثبت مقدمات الاخلاص فحكم له قاضى المحبة بالموجب وأودعناها من
السلام ما تنعمه رحمة الله وبركاته ومن طيب الثناء ما ينارج بين أدراج ذلك المندل الرطب
نفحاته ومن خالص المودة ما يضم به بعد حسن المخلص من طيب اعرافه حسن الختام
ومن مسجعات الاشواق كل مصونة ليس لها غير سواد النقس لثام وتبدى لعلمه ورود المثال
العالى بطيب تلك المعادن التى ود النسيم أن يقيدها وتحتبس ولقد رافقها الاكتساب

جازم ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال سيد
الشهداء يوم القيامة حمزة
ابن عبد المطلب ورجل قام
الى أمير جائر فامره ونهاه
افتريد ان تكون سهيم حمزة
فى الشهادة وقسيمه فى
السيادة وانت تألم الضرب
وتكره القيد وتعاف
الغل وتخاف الذل
وتعاشر الناس ويعجبك
ان تناط بك الآمال كلا
وان كنت مشفقا على
نفسك فقف عند مقدارك
انما ذلك لمن ودع اهله وخرج
من بيته مستعدا للموت
ليشرب كاسه والسيف
يلحم رأسه فان سلم فنادر
يؤرخ حديثه وان قتل
فشهيد تقسم مواريثه
وانما ترك الامر بالمعروف
لهذا الخوف والصواب
أن لا يطلب هذا الثواب
والجواب أن لا يغادر هذا
الباب انما ينبغى هذا الامر

اللطيف ولكن سرق من طيب عرفها وتكلم بنفس فأكرم به مثالا أرانا خفر الملك على كل قرينة لها من حجب البلاغة ستور وخدامها من سود سطورها وبيض طروسها عنبر وكافور وردهف الصفاء صقيلة فتمثل فيها وأظهر من أوراقه ثمرات المودة ونحن بيد القبول نجتنيها وقدم من ذلك الحرم الاحمدي فكان أكرم وافد وقوبل منا بالاكرام وفتح أبواب الدخول الى السلام فسلمنا وقلنا لخواصنا ادخلوها بسلام ولقد علنا بكاس انشائه وهو بحضرتنا الشريفة دائر وعلمنا ان هذا الانشاء لا يصدر الا من فاضل والفاضل لا ينسب الا الى الناصر وتغزلنا في محاسنه بحيرة اليمن بعد تغزلنا بحيرة العلم وراعنا تحمس بلاغته فقلنا هذا لا يصدر الا من رب سيف وقلم وود كل دوح أن يملأ طروس أوراقه بريحان سطوره وتطفل كل روض أريض عند وروده على زهر منثوره وقالت فصاحته وتلك البلاغة التي جاءت بسحر البيان هل يفتي لنا بصدق المحبة فقال لهما القلب قضي الامر الذي فيه تستفتيان فهذا نفس طيب عرفنا معدن طيبه فلم نقل من أين وهذه سلافة انشاء درت سلطانياتها فانشأت أهل الخافقين وهذا مصر صدقت عزائمه في العطف والقبول بين الملكين وابطل هذا السحر الحلال ما حرم ببابل من سحر الملكين واشتمل على نظم ونثر رأينا شعار السلطنة عليهما اعيانا كأن البلاغة قالت لهما قد ما استجعل لكما سلطانا فيا له من مثال تدرع زرد ميماته فقلنا الا طعن فيك لطاعن وتشرع طباق بديعه فكانت على أكتاف النيل من أثره مساكن وأطرب بانفاس علمنا أنها من يراع ما برح بالسعادة موصولا وطاف في حضرتنا الشريفة بكاس يمانية كان مزاجها زنجبيلا ولقد أكثر هذا المقال في كتابه المبين من ايناس الخطاب وقضت به الوحشة أجلها فقلنا لكل أجل كتاب وهذا الجواب أيضا ولولا خشية الاطالة لاستوعبته بكماله فان اليمن ما دخل اليها من الديار المصرية نظيره والله أعلم * ومنه ما أنشأته عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه جوابا عن مكاتبة وردت من صاحب تونس وهو المتوكل على الله أبو فارس عبد العزيز رحمه الله وهو لا زالت سيوف عزائمه في الجهاد ماضية الضرب ولا برح جوده واقدامه متطابقين في السلم والحرب نخصه بسلام هو لنا والشوق برد وسلام وسقاية وداد ماء زمزم تسنيم قبولها الا تعالى ذلك المقام وتحيات تنطق بها عند مواظبة الجس ألسنة الاقلام وثناء يقلد بخالص عقوده جيد الزمان وينسي قلائد العقيان ومحبة يقمر صدقها في ذلك الافق الغربي ويشمس وتزيل وحشة من سلا عن غيرها في المغرب وتونس (منها) واستطردت مفاوضتكم الى الوصية بحاج المغرب فبادرنا الى قبول ذلك فان هذا قد تبرك من النجب السائرة به بالمبارك وقد اعددناه محوطا بالسلامة وحداته تطرب بنغمة الحجاز به وتهيم اشتياقا عند تشبيها بذكر الطلعة المتوكلية واعدنا جواب ذلك على يد رسولكم الذي لم يقابل منا بغير القبول ليكون خالص ودنا متمسكا بالكتاب والرسول * ومنه ما كتبته جوابا عن مكاتبة وردت من الجناب العالي الناصري محمد بن أبي يزيد بن عثمان وهو لا زالت تحياته مخصوصة منا بشرف التسليم وسيره العثماني محفوظا في بيعة المودة بالتقديم وشعراء الاخلاص في كل بيت من معاني محبته تهيم وفروض

لمن يصابر الجرو يولي الرمح عرضا ويقول وعجلت اليك رب لترضى ما أعرف مقاما أخلق بالعثار وأقرب من الشار والتراب المثار من المقام الذي يقومه في المرام الذي يرومه ولا يغرنك منشور الخليفة وذكر المسلمين في الصحيفة ان كتاب الله حرم ذلك المنشور وليس بين الاخماس والعشور الا تقوية يد الآمر بالمعروف واعانة الملهوف وقد نبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا وان كنت تريد صلاح دنياك فانا أعبر رؤياك ان الآمر بالمعروف اذا قصد جاها يعرض أو مالا يكثر أو صيتا يبعد وقتل دون امره حبط عمله وخاب امله وان أراد الآخرة وشاب بها أشياء ما عددت ونبذ ما ذكرت كتب في المشركين وانا انشدك الله في نفسك انها عليك عزيزة والبدك حبيبة وفي مالك أنك اخرجته من لهوات الاسود وجمعته

الجهاد بسيوفه المسنونة فى كل وقت تقام وبلاده الاسلامية محروسة بالجناب المحمدى عليه السلام وهمزات عوامله بصدور الكفار موصولة وألسن سيوفه بثغور بلادهم من رشف أرياق دمائهم مبلولة ولا برح يجاهد فى سبيل الله برا ويتخذ فى البحر سبيله فانه من الذى علا بجميد مقامه واتصم بالخلف العثمانى نظامه واقتدى بمشيختنا المؤيدية والنصح فى هذا الاقتداء له شريك وساعدته توريه السعادة لما تمسك بقول من قال ولابد من شيخ يريك ولم يبق بعد الاقتداء بهذه المشيخة الا الفتوحات المقبولة والمشاركة فى القبول على ما يرضى الله ورسوله صدرت هذه المفاوضة الى الجناب المحمدى تتأرج بطيب السلام عليه وتنسم نسمات القبول من أخبارها الطيبة ما تنته اليه وجعلناها ثناء أطلقناعنان كميت القلم وهو غرة فى جبهته وتوجهت رؤس الاقلام قبل ركوعها الى قبلته (ومن الانشاء الملوكى ما أطلق به فصيح القلم لسانه وخضر الشباب على عوارض نفسه ومحاسن صفحاته وقال القاضى الناصر هذا الانشاء الذى ما خرس لسان قلمه ولا شابت لمة دواته) ونبدى لعلمه الكريم وروداً عدا من ثمرات المودة يانعا فى أوراقه مختالا فى شعار الاخلاص فعلمنا انه عنوان لعهده وميثاقه وقد اقتطف من نبات الايناس ما غرس باكناف النيل فحلا نباته ودنت قطوف انسه وظهر فى فروع المحبة ثمراته فاقتطفنا زهرا المنثور من رياضه عند الورود وتغزلنا فى رقم سطوره على بياض طروسه بين العوارض والخدود وطالعنا مجموع محاسنه الذى لم ينس فعلمنا انه للملوك تذكرة وتبصرنا فيما أدهش من حكمه فرأينا المدهش فى التبصرة وقلنا هذه لمعة لو أدركها السراج لقصر لسانه وقال سراج الملوك حرمته قوية أو القاضى السعيد لقال ما سناء الملك بهجة عند هذه الانوار المحمدية (منها) وقد تيقظت عيون عزمنا الشريف للجهاد وعن قريب تهجر مقل السيوف أجفانها وتتجرد لقتال المشركين وقد تكفل لها النصر بأيه فايد سلطانها واذا قدحت سيوف الدولتين فى عباب البحر على الكفار نارا تلا لسان النصر لا تذر على الارض من الكافرين ديارا (ومن انشاء الفاضل عن الناصر هنا ما يحسن ان يشنف به سمعه الكريم فانه عن أبى الفتوحات الذى مشى على هذا الصراط المستقيم) وهو اذا كان الله قد أعطانا البلاد وهى آلة المقيم الراتب وأعطاهم المراكب وهى آلة الظاعن الهارب فقد علمنا لمن عقبى الدار ومن سنة الله تعالى انتقال قوم نوح من الماء الى النار فالجناب يوطن نفسه على حسن المآل فى الحالين ويعلم انه من المكرمين فى الدارين وقد تلفظت ألسن سيوفنا شوقا للاقوة نصره وتحركت عيدان رماحنا طربا عند سماع ذكره ونفضت جوارح سهامنا ريش اجنحتها لاقتناص تلك الغربان وهامت فرساننا المؤيدية الى منازل الاحباب لتريه من اعدائه مقاتل الفرسان فانه المجاهد الذى حط بنى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود وكم أذاقهم الموت الاحمر وكمال التدبير يقول أهلا بعيش أخضر يتجدد وتتولد نصرتنا عنده برفع راية الفرح فى كل وقت عليه مباركة ويتأيد بعز نصرنا المؤيدى حتى يقول له لسان الحال أعز الله انصارك فمقدمه العثمانى من جهة الاستحقاق قد ثبت عندنا وتقرر وهو اليوم امام المجاهدين الذى ماصلت سيوفه

على الايام البيض والليالى السود ان تعرضه للتفريق وفى اطفالك ان تدعهم على قارعة الطريق ودار سلطانك واقسم حيطانك واعرف زمانك واقطع لسانك انه سبع بين فكيك فاحذر ان ينم عليك فاما شكرك للشيخ الامام فشكرا نا مجاوره مجاورة النار للعود وملابسه ملابسة الوجود للبود ومقارنه مقارنة الوفاء للعهود ومخالطه مخالطة الخدود للاصداغ السود ومعاشره معاشرة البدر للسعود وانا اجاهد نفسى فاستنزلها عن لجاجها اجابة لك وا كاتب حضرته اجلها الله واما شكرك لفلان فشكر فضول انه ليس من الدنيا وما يتعاطاه أهلها فى

فى محراب القتال الاقال مرقى النصر الله أكبر والله يجريه على أجمل العوائد من هذا النصر ليصير الكافرون فى زلزلة من قارعة سيوفه بهذا العصر (ومنه) ما كتبته جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله عهده عن مثال كريم ورد من قرا يوسف صاحب العراقين وهو أعز الله أنصار المقر الكريم العالى الجمالى اليوسفى لازالت زوراء العراق فى أيامه القويمة مستقيمة الجانبين وحلته الفيحاء عالية المنار وشمل الدين بها مجتمعا فى الجامعين وعراق العرب والعجم بارزين من محاسنه اليوسفية فى حلتين فلامية العرب تقول

ولولا اجتناب الذم لم يلف مشرب * يعاش به الالدى وما كل

ولامية العجم تقول

حلو الفكاهة مر الجد قد مزجت * بشدة الباس منه رقة الغزل

فا كرم بهما الامين دارا على وجنات الطروس لكمال المحاسن اليوسفية وفتحت لها الميمات أفواه الشكر لانها من الاحرف المؤيدية أصدرناها الى المقر وسواجعها تغرد بالثناء بين أوراقها والسن الاقلام قد أودعت صدور طروسها سر أشواقنا عند انطلاقها فانها الصدور التى تعرب من نفثاتها عن ضمائر الاشواق واذا أطلقت من فض الختم خفقت اجنحتها بذلك الثناء على الاطلاق ونبدى لكريم علمه ورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حل بالاسماع قبل رؤيته تشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت مافى القلوب من التلهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى الى لاجد ريح يوسف وتاملنا كريم مثاله فوجدناه قد مد اطناب المحبة وخيم على معانى المودة وحام عليه صادى الاشواق فوجده منهلا قد اعذب الله فى مناهل الصفاء ورده وأومض البرق فى الظلمات من رقم سطوره فما شككنا انه نظم برده فهو مثال يوسفى ولكن ظهر السر الداودى من فصل خطابه وصدقنا رسوله لما جاءنا بكريم كتابه والتقمت من كاس سطوره آرام الايناس فاقتنصنا منها ما هو عن العين شارد والفت القلوب على الولاء فضربت الاعداء من جماد الجسد فى حديد بارد وامست الدجلة والنيل لامتزاجهما بسلاف المحبة كالماء الراكد وهذه الفة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقاد الينا وقد تعين على القران يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا وسرتنا الاشارة الكريمة بالتمكين من أرض الاعداء ومطابقة الطول بالعرض وعلمنا ان هذا الاسم الكريم قد شملته العناية قديما بقوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض وأما قراعثمان فقل سيوفنا ما غمضت عنه فى اجفانها وأنامل أسنتنا ماذكرت نوبته الا شرعت فى جس عيدانها وجوارح سهامنا مابرحت تنفض ريش اجنحتها للطيران اليه وان كان معنى سافلا فلابد لاجل الغرض اليوسفى ان نخيم عليه وننزل سلطان قهرنا بارضه ونغرس فيها عوامل المران وان كانت من الاسماء التى ما أنزل الله بها من سلطان ولم يهمل الا الاشتغال الدواتين بالدخول فى تطهير الارض من الخوارج وايقاع الضرب الداخل بعد جس العيدان فى كل خارج وقد آن سله لئلا يكون بين المحب والمحبوب رقيبا ولا بد أن يجانسه العكس ويرى ذلك قريبا ويدهمه من أبى النصر ابناء حرب شرف فى انساب

شئ وانما يقوم لله ويقعد لله وما يكاد مثله يصنع بكتاب مثلى وان ابيت الا ذاك لم أرض الا رضاك وأما فلان فما يخفى عنى فضله والخير الذى هو أهله وان لم يحظ بعضنا من بعض بعشرة ولم يجر رسمى بمفاتحة وقليل فى الواجب ان ابلغ مرادك فانتظر فى الجملة كتبى فانها تصل عن قريب ورأيك فى معرفة ما كتبته والمواظبة على العادة التى اجدتها منك وقراءة السلام على الاخوان موفقا ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

سيدى وجدت قلبا فارغا فتمكنت ومعقلا من صدرى فتحصنت فكيف ازعجك وقلبى حصارك ام كيف أغلبك وكلى انصارك

الوقائع جدهم وورد الجوع الصحيحة الى التكسير فردهم واذا كثرت الحدود وتواردت
بالدماء غردت بورق الحديد الاخضر مردهم واذا امتدوا الى أمد تلا لهم حصنهم سورة الفتح
قبل القتال فانهم مريدون ولهم شيخ منحه الله بكثرة الفتوح والاقبال واذا صرفوا الهمم
المؤيدية لم تكن لهم حصونهم عند ذلك الصرف مانعة ولم يسمع لساكنيها مجادلة اذا صدموا
بالحديد وذات تلك الحصون الواقعة وان كانت المنايا غابت عنه مدة كلمه السنة سيوفهم وقالت
حصرت واذا طرق بروجه منهم طارق رأى سماء تلك البروج قد انفطرت وما خفى عن كريم
علمه ما جمعه الناصر من الجموع التى مزقها الله أيدى سبا وكم سائل سأل وقد رآهم فى النازعات
عن ذلك النبا وقد أشار بعض شعراء دولتنا الشريفة الى ذلك بقصيد كامل بحرها مديد
ولكن القصد هنا من أبيات تلك القصيد

يا حامى الحرمين والاقصى ومن * لولاه لم يسمر بمكة سامر
والله ان الله خولك ناظر * هذا وما فى العالمين مناظر
فرج على الجبون نظم عسكرا * وأطاعه فى النظم بحر وافر
فانبت منه زحافه فى وقعة * يا من باحوال الوقائع شاعر
وجميع هاتيك البغاة باسرهم * دارت عليهم من سطاك دوائر
وعلى ظهور الخيل ماتوا خيفة * فكأن هاتيك السروج مقابر

وما خفى عن علمه الكريم أمر الذين نقضوا بيعتنا بعد الناصر فاشتروا الضلالة بالهدى
ودعوا سيوفهم الصقيلة لما حاق بهم المكر السيئ فأجابهم الصدا ولم يكن لحرارة عزمنا
الشريف عند عصيانهم البارد فتره حتى أظهرنا تلون الشام من دمائهم على تدبيج الدروع
ألوان النصره وأخذوا سريعا شبان حرب ما شابت عوارضهم الا بغبار الوقائع وكم
برشدهم ولم ينزجروا من تحت حجر المقامع وقد أسبغ الله ظلال الملك وخيم به على الدولتين
ولم يظهر لخراب بهجة الا بهاتين القبيلتين ولو صلت السيوف لغيرهما ما قبلت
أو صرفت العوامل للاعراب عن سواهما ما عملت وقد نبهنا مذاكريم الالتفات الى ان
تدار كؤس الانشاء بيننا ممزوجة بصافى المودة وعلمنا انها أحكام صحيحة فى شرع الاخوة
وهذه الاحكام عندنا معمدة وتالله لقد سابق القصد اليوسفى بسهام مراده الى الغرض
وقضى حاجة فى نفس يعقوب ليس عنها عوض ولم يبق الاتصال شمل الاوصال بكل
رسالة سطور الاخوة فى رقاعها محققه وتصديق ما يقصه فى الجواب فان القصة
اليوسفية ما برحت مصدقة والله تعالى يمتع الاسماع والابصار بمشاهدة أمثلته وطيب
أخباره ويفكهنا من بين أوراقها بشهى ثماره (ومما) انشأته بالديار المصرية وحصل اجماع
الامة على انه من الافراد تقليد مولانا قاضى القضاة جلال الدين شيخ الاسلام البلقينى نور
الله ضريحه بعد عزل الهروى ويوم قراءته بالجامع المؤيدى أرخه المؤرخون وذكروا
أنه لم يتفق بمثله مصر يوم نظيره وهو الحمد لله الذى أبان فضل العرب على العجم فى الكتاب
والسنة وأظهر جلال سراجهم المنير فاوضح بحسن تدبيره طريق الجنة وأزال ظلام
الجهل بنور هذا الجلال فله الحمد على هذه المنة ونشكره حمده على نصرة أصحاب

ومادمنا ظماء وكنت لنا ماء
فنحن نشربك فارفق بنا
لاقربنا يخاف ولاوردنا
يعاف والسلام

وله الى ابى الوفاء صاحب
ديوان بست

لو يجعل راسينا رأسا لما
زدته ودا ولو حال بينى وبينه
سور الاعراف ما نقصته
حبا ولقد اختلفت على
مواضعه حتى ظننت ان
القضاء يكابر واوردت زيارته
بالامس ثم وقع من الاضطراب
ما ثنى العزم فان نشط الى
هذه الليلة عرفنى مستقره
لاحضره ان شاء الله تعالى
والسلام

(وله الى الفقيه أبى سعيد)

وصلت رقعة الفقيه ولولا
وده وأنا استبقيه لشتمت العام
والخاص وذكرت العاص
والماص ولتجاوزت دار
الرجال الى حجرة العيال

الشافعي وعود حيرته الى منازلها العالية ونشكره على نيل الغرض بسهام ابن ادريس فمن جهل أحكام القضاء أمست عليه قاضية ونشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له شهادة نستعين بحسن ادائها على القضاء والقدر ونشهد ان محمدا عبده ورسوله الذى من قابل شريعته المطهرة بدنس الجهل فقد كفر صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أزالوا بفصاحتهم العربية كل عجمه وميزوا على العجم بقوله تعالى انا جعلناه قرآنا عربيا وهذا التمييز نصبه مرفوع على كل أمه صلاة نسن بها سيوف السنة على من تسربل بدروع ضلاله ونقيم حدودها على من بدل حديث النبي صلى الله عليه وسلم وجهل أسماء رجاله وسلم تسليما كثيرا أما بعد فالهناء بنصرة هذا الدين القيم بين هذه الامة مشترك وكيف لا وقد ظهر جلاله مقمرا وأنشدوا

يا ليل طل أو لا تطل * فليس نرعى قمرك

وقد حلا مكرر الحمد بنشر الاعلام المؤيدية على ائمتنا الاعلام وحلت أيضا مواقع التورية بنصرة شيخ الاسلام فهو الليث الذى كان لظما العلماء الى امامهم نعم الغوث والغيث حتى تأيد وابعوئيدهم وأعز الله انصارهم بالشافعي والليث تجنباه عن غيوم العزل وقلنا وقد ساعدنا رأينا الشريف فى اظهاره

اصالة الرأى صانتنى عن الخطل * وحلية الفضل زانتنى لدى العطل

وولى غيره فانشد كل عالم أظلم ضوء نهاره

ما كنت اوثر ان يمتد بى زمنى * حتى أرى دولة الانذال والسفل

واعتلت كتب العلم فقالت وعيون سطورها باكية

لعل المامة بالجذع ثانية * يدب منها نسيم البرء فى عللى

وأنشد لسان حال شيخ الاسلام وقطوف قربه دانية

تقدمتنى رجال كان شوطهم * وراء خطوى لو أمشى على مهل

وأشار الينا وقال وخواطرنا الشريفة باشارته راضيه

لعله ان بدا فضلى ونقصهم * لعينه نام عنهم أو تنبه لى

فتنبهنا له وقلنا الضده وقد اهبطناه من تلك الرتبة العالية

فان جنحت اليه فاتخذ نفقا * فى الارض أو سلما فى الجو فاعتزل

وكيف يطلب من نار خامدة هدى أو يجعل السراب ماء * واذا دعونا الرى جاوبنا الصدى * ويأبى الله أن يطابق سحبان باقل أو يجارى فارس العلم براجل

ومن يقل للمسك أين الشذى * كذبه فى الحال من شما

وتالله لقد زادنا بحجبه فى غيوم العزل علما بعلو مقداره وكان عزلا أظلمت بسببه الدنيا الى أن من الله على المسلمين بابداره وقالت الامة ذلك ما كنا نبغى واستوفى كل عالم شروط المحبة واستوعب وعلمنا ان الحكم العدل حكم بتقديم هذا الامام بالموجب انلنا وظيفته غيره فزلزلت الارض زلزالها وقلنا يخف على قلبنا فاخرجت الارض أثقالها وأظهرنا جلال العرب فاطلقوا أعنة بلاغتهم فى ميادين الفصاحه وما أحقهم هنا بقول

ما هذه الاسجاع التى كتبها والفصاحة التى عرضها بكر وتالم الطلق أعلى رأسى يتعلم الحلق أم لم يجد غيرى يجرب سيفه عليه اعله الرواية كل يوم فلما قال فانية هجانى

وكتب الى رئيس بلخ وجيدها محمد بن ظهير

كانى وللشيخ الرئيس رسم فى الراسيات مخول وله فى الفضل آخر وأول ولا يعلوله طرف من شرف ومن انتهت الى المجد حدوده وعطست بانف شامخ جدوده ونبت فى مغرس الفضل عوده ووقف الثناء على متصرفاته وأقام عليه بعد وفاته ومازالت جفنته تدور على الضيف فى الشتاء والصيف حتى عبرت بحسان فارتهنت منه اللسان وحيرفيهم

الفاضل وتناجدت اهل نجد فكل صاح ياصباحه وعلمنا ان هذا فضل رفل به ابناء العرب فى حلل التقديم وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم وامتلأ صحن جامع القلعة بحلاوة هذه البشرى وهلل مؤذنوه وذكروا طلعته الجلالية فكبروا وأنشدوا

لوان مشتاقا تكلف فوق ما * فى وسعه لسعى اليك المنبر

وازهرت هذه البشرى فى ربيع ولكنه ربيع الابرار الذى نزه الله روحه وريحانه عن كل غمام وصان فيه المسلمين ممن يأكل أموال الناس بالباطل ويدلى بها الى الحكام ونشر الله اعلام كتب العلم وزاد الله بالسيف المؤيدى اسعافها وكانت ستور الجهل قد اسبلت على التفاسير فاظهر السر للآى كشافها أما القرا آت فهى فى قرى شيخ الاسلام وفضله فى اعاصم من الجهل ونافع وأما الحديث فهو مجلى مبهماته بنور جلاله الساطع وأما العربية فقد ظهر بعد وعر العجم تسهيلها وشرعت بيوت العرب لشواهدها وأكرم نزيلها وأما المعانى فقد أظهر الله بيانها وجليت بها عروس الافراح واهتدينا بنور جلالها ففتحت لنا أبوابها بغير مفتاح وأما المنطق فمقدمات منطقه العذب أرتنا نتائجه يقينا وأما العقليات فما رأينا من ناظره فيها فى هذه المدة عقلا ولولا الحياء لقلنا ولا دينا وها هو قد نبه الفقه من سنة الغفلة بعد ما أمرض الجهل عيونه وأرمد والحاوى أظهر ما حواه من العلم بعد ما كان هلك أسى وتجلد والروضة أزهرت فى حدائق هذه المسرة بين أوراقها فأينعت ومدت الشافعية أصول دوحتها فتفرعت وظهرت رفعة الرافعى فى افق كماله ونور الله ضريح الشافعى بنور سراجه وبهجة جلاله (ولما كان) الجناب الكريم الجلالى هو الذى ناظرنا بالغير فقال نور الشريعة وهو أشهر من نار على علم

وما انتفاع أخى الدنيا بناظره * اذا استوت عنده الانوار والظلم

فعلمنا انه حجة الشافعى الذى منه الاستقصاء واليه منتهى السؤال وما أبدر فى أفق درس الا أزال ظلم الشك بأنواره واستقر ابداره عن التتمة والاكمال وهو ابو العلماء الذى ولدمن الام افراحهم وابو المهمات الذى شهر من العدة الكاملة فى ميدان الفرسان سلاحهم واليه انتهت الغاية فانه ما برح يأتينا فى وجيز تقريبه بالعجاب ويغنينا عن موضح القشيرى فانه يغذينا فى اباتته باللباب اقتضت آراؤنا الشريفة ان نعيده الى منازل شرفه بعد التعجب وها هو قد ظهر وتسلسل فى أيامنا الشريفة عند الرواة حديث ابن عمر فلذلك رسم بالامر الشريف العالى المولوى السلطانى الملكى المؤيدى السيفى لازالت الشافعية فى أيامه الشريفة بجلالهم فى ترشيح بهجة وابتهاج وثبت الله القواعد وأقامها فى ملكه على التحرير ومشى الرعية فيها على أوضح منهاج ان تفوض الى الجناب المشار اليه وظيفة كذا وكذا وقد وقع التمويه فى الفروق بينه وبين الغير عند أهل التبصرة والهداية وهو نهاية المطلب وعيون المسائل وتاج رؤسها والمذهب الذى تهذيبه فى أدب القاضى كفاية وهو البحر الذى ما دخلنا بسيطه المبسوط الا قالت التورية انه فى البسط كامل ولا نظرنا الى حليته الجلالية الا غنينا عن المصباح بنوره الشامل وقد ميزناه على مناظريه لما أقروا له بالتعجيز وقرت عيون ابن البارزى نور الله ضريحه بهذا التمييز والتنبيه كرعلوم يجل قدره عن نسبتها اليه ولكن

القصائد الحسان فهذا الزمان يخلق وهى جديدة وتلك العظام تبلى فى الثرى وهذه المحاسن تبقى بين الورى وحق على الله ان لا يخلى كرمامن لسان يبث احدوثته وما اثبت دولة الشيخ الرئيس برهى فى هذه القوس وقد خطب القاضى ولسانه مقراض الخفاجى يضعه حيث يشاء وبحر لا تكدره الدلاء وصدر كانه الدهناء وقلب كانه الارض والسماء وشرف دونه الجوزاء وحوله الخلفاء وخلفه العوامل والقصور والسفاح والمنصور فما ظن الشيخ بثناء يصدر عن هذه الجملة وقد حضر هراة فزانها وآنس سكانها وملأها شكر الله وثناء عليه ثم رحل عنها يسلبها جمالا

ثغور رسيناتها تبسم عند ذكره وافواه ميمانها تكثر الثناء عليه فليتلق ذلك فانه العزيز
عندنا والمنتقى لهذا التشريف الذى هو ديباجة رقه واذا ذكرنا الاصول فاصوله
محفوظة وهو المعتمد عليه فى التمهيد والمستصفى ببديع علمه ولو عاش ابن الحاجب ما
تغزل فى رفع حاجبه وخفض له جانبه وعلم ان جلال الناعين الاسلام فلم نرفع على العين حاجبه
والوصايا كثيرة ولكن جواهر ذخائرنا تلتقط من املائه وأماليه وهو جامع مختصراتها
ومظهر زوائدها ببيانه ومعانيه لازالت حديث فضله يتسلسل مع الرواة ويسند ولا برح
أجل من أوضح الرسالة فى مسند محمد وأحمد (ورسم) لى فى الايام الشريفة المؤيدية سنة
تسع عشرة وثمانمائة أن أنشئ رسالة بوفاء النيل المبارك لم أسبق اليها ولا حام طائر
فكر عليها وأحضر مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى
الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية تغمده الله بالرحمة
والرضوان قطعة من انشاء القاضى الفاضل بوفاء النيل وقرئت على المسامع الشريفة
المؤيدية وحذرت من التعرض الى شئ من ألفاظها ومعانيها فانشأت رسالة حكم لابى بكر
بها على كل فاضل بالتقديم وان كان لسان القلم قد طال فانا أقطعه ههنا تأدبا مع عبد
الرحيم وقد وصلناها ههنا شمل القطعتين ليتفكه المتأمل فى جنى الجنتين ويتنزه نظره فى
حدائق الروضتين ويطرب لسجع حمام الدوحتين (قال القاضى الفاضل) نعم الله سبحانه
وتعالى من اصوبها بزوغا واضفاها سبوغا واصفاها ينبوعا واسناها منفوعا وامدها
بحر مواهب وأضمنها احسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها
مده وجزره ويربى النبات جره ويجرى على سواد الارض بفضته البيضا ويهنأ بيده
المخضبة نقب الجرب من الجربى ويحيى مطلعه أنواع الحيوان ويجنى ثمرات الارض
صنوان وغير صنوان وينشر مطوى سحر برها وينشر مواتها ويوضح معنى قوله تعالى
وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وكان وفاء النيل المبارك فى تاريخ كذا وكذا فاسفر وجه
الارض وان كان قد تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفا يترقب فرأينا الابانة عن
لطائف الله سبحانه وتعالى وقد حققت الظنون ووفت بالرزق المضمون ان فى ذلك لآيات
لقوم يؤمنون وقد أعلمناك لتوفى حقه من الاذاعه وتبعده من الاضاعه وتتصرف
فيه على ما يصرفك من الطاعه وتشهر ما أورده البشير من البشرى باياته وتمده بايصال
رسمه اليه على عادته (فقلت بعد الفاضل) ونبدى لعلمه ظهور رآية النيل المبارك الذى عاملنا
الله فيه بالحسنى وزيادة وأجراه لنا فى طرق الوفاء على أجمل عادة وحلق أصابعه ليزيل
الابهام فاعلن المسلمون بالشهادة كسر بمسرى فاصبح كل قلب بهذا الكسر مجبورا
واتبعناه بنوروز وما برح هذا الاسم بالسعد المؤيدى مكسورا دق قفا السودان فالراية
البيضاء من كل قلع عليه وقبل ثغور الاسلام وأرشفها ريقه الحلو فمالت باعطاف غصونها
اليه وشبب خريره فى الصعيد بالقصب ومد سباتكها الذهبية الى جزيرة الذهب فضرب
الناصرية واتصل بام دينار وقلنا انه صبغ بفوة لما جاء وعليه الاحرار وأطال الله عمر
زيادته فتردد الناس على الآثار وعمته البركة فابرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجرى

الا ما بقى ابها من ثنا على الرئيس خلقه فيها وله فى التمسك بالعادة التى انتجت هذه السعادة والشيمة التى اثمرت هذه الاثنية الكريمة رأيه الموفق ان شاء الله تعالى

(وله ايضا)

شاهدت من طلعة الشيخ دارة القمر وجنيت من حديثه طيب الثمر وانتهى الى من اخلاقه مونس الخبر واقتصر الزمان منه على هذا المقدار وصنع له تلك الاسفار ومصائب قوم فوائد آخرين ومضى فقضى حجه المبرور ورجع فعاود منزله المعمور وعدت عوادى هذه المحن عن ان أزوره مهنئا أو أكاتبه معتذرا وكان شئ الى شئ فانعقدت بخجلة سدت الباب

من

من تحتها الانهار وحصن مشتهى الروضة فى صدره وحنى عليه حنو المرضعات على الفطيم

وأرشفه على ظما زلالا * الذ من المدامة للنديم

وراق صديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات وسق الارض سلافته الخمرية لخدمته بحلاوة النبات وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فالق النوى والحب فارضع جنين النبت وأحيى لها امهات العصف والاب وصالحته كفوف الموز لختمها بخواتيمه العقيقية ولبس الورد تشريفه وقال أرجوان تكون شوكتى فى أيامه قوية ونسى الزهرى بحلاوة لقائه مرارة النوى وهامت به الشقراء فارخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوا واستوفت الاشجار ما كان لها فى ذمة الرى من الديون ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون وانجذب اليه الكباد وامتد ولكن قوى قوسه لما حظى منه بنصيب سهم لا يرد ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعده التاج وفتح منشور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ أمره وراج فتناول معالم الشنبر وعلم باقلامها ورسم لمحبوس كل سد بالافراج وسرح بطائق السفن فخفقت بخلق بشائره وأشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال أوامره وحظى بالمشوق وبلغ من كل أمنية مناه فلا سكن على البحر الاخرلك سا كنه للمطالعة بعدما تفقه واتقن باب المياه ومد شفاه أمواجه الى تقبيل فم الخور وزاد بسرعته فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل بركة الحبش فدخل التكرور تحت طاعته وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر فى مسجد الخضر عين الحياة فاقر الله عينه وصار أهل دمياط فى برزخ بين المالح وبينه وطلب المالح رده بالصدر وطعن فى حلاوة شمائله فاشعر الا وقد ركب عليه ونزل فى ساحله وأمست واوات دوائره على وجنات الارض عاطفه وثقلت أردافه على خصور الجوارى فاضطربت كالخائفة ومال اليه باسق النخل فلثم طلعه وقبل سوالفه وأمست سود السفن كالحسنات فى جرة وجناته وكلما زاد زاد الله فى حسناته فلا فقير الا وحصل له من فيض نعمائه الفتوح ولا ميت خليج الا عاش به ودبت فيه الروح ولكنه اجرت عيونه على الناس بزيادة وترفع فقال له المقياس عندى قبالة كل عين اصبع فنشر النيل اعلام قلوعه وحمل وله من ذلك الخرير زمجره ورام ان يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزمنا المؤيدى وكسره وقد آثرنا المقر بهذه البشرى التى عم فضلها برا وبحرا وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا ليأخذ حظه من هذه البشرى البحرية بالزيادة الوافرة وينشق من طيها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم انفاسا عاطره والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها فى كل وقت مشنفا ولا برح من نيلنا المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين فى وفا (ومما انفردت بانشائه رسالة السكين) فان الشيخ جمال الدين بن نباتة سبق الى رسالة السيف والقلم وتقدمه أبو طاهر اسمعيل بن عبد الرزاق الاصفهانى الى رسالة القوس وكتاب الانشاء لا بد لهم من سكين فقلت وينهى

وتوالى ربعى السعاة فتوجهت بهذا الكتاب واعتقدت بالقاضى وعقدته جسرا الى رضاه ووجدته من مولاه الشيخ بحيث يطاع الشفاعة ولا يدخر السمع والطاعة فان كان لهذا الكتاب موقع فما يتلوه عريض طويل وان لم يكن له موقع فالتطويل ثقيل وشدما اقتنص الشيخ جملة هذا القاضى فما ينتمى الا اليه ولا يرفرف الا عليه ولا يطمئن الا لديه ولا يرى الشرف الا من يديه ولا الحياة الا من حواليه امتع الله بعضهما ببعض وزادهما من كل خير ان شاء الله تعالى

وصول السكين التي قطع المملوك بها اوصال الجفاء وأضافها الى الادوية فحصل بها البرء والشفاء وتالله ماغابت الاوصلت الاقلام من تعثرها الى الجفاء زرقاء كم ظهر للبيض منها الوان خرساء ومن العجائب انها لسان كل عنوان ماشاهدها موسى الا سجد في محراب النصاب وذل بعد ان خضعت له الرؤس والرقاب كم أيقظت طرف القلم بعد ماخط وعلى الحقيقة ماروى مثلها قط وكم وجد بها الصاحب في المضائق نفعا وحكم بحسن صحبتها قطعا ماضية العزم قاطعة السن فيها حدة الشباب من وجهين لانها بالشباب والنصاب معلمة الطرفين وانها صبح تقمصت بسواد الدجى فعوذتها بالضحى والليل اذا سجى ولسان برق امتد في ظلمات الليل فتنكرت اشعة الانجم وماعرف منها سهيل هذا وتقطيعها موزون اذلم يتجاوز في عروض ضربها الحد ومعلوم ان السيف والرمح لم يعرفا غير الجزر والمد من اجل ذا تدخل في مضائق ليس للسيف فيها قط مدخل وكلما تفعله تو بجزه والرمح في تعقيده مطول ان هجعت بجفنها كانت أمضى من الطيف وكم لها من خاصة جازت بها الحد على السيف تنسى حلاوة العسال فلا يظهر لها وله طائل وتغنى عن آلة الحرب بايقاع ضربها الداخل ان مرت بشكلها الحلى تركت المعادن عاطله ولم يسمع للحديد في هذه الواقعة مجادله شهد الرمح بعد التهانها أقرب منه الى الصواب وحكم لها بصحة ذلك قبل ان تستكمل النصاب ماطال في رأس القلم شعرة الاسرحتها باحسان ولا طالعت كتابا الأزالت غلطه بالكشط من رأس اللسان تعقد عليها الخناصر لانها عدة وعده وتالله ماوقعت في قبضة الاأطالت لسانها وتكلمت بحده ان ادخلت الى القراب كانت قدسبكت على الدخول أوأبرزت من غمده كان على طلعتها قبول تطرف باشعتها الباهرة عين الشمس وباقامتها الحد حافظت الاقلام على مواظبة الخمس وكم لها من عجائب صار بها جدول السيف في بحر غمده كالغريق ولوسمع بها قبل ضربه ماحل التطريق فلو عارضها أبوطاهر لعرك من قوسه الاذنين وقال له جددت رسالتك ياذا القرنين فان جذبت الى مقاومتها وكان لك يد عند وصلت السكين الى العظم وصار عليك قطع وانتهى أمرك الى هذا الحد وهل تعاند السكين صورة ليس لها من تركيب النظم الاماجات ظهورها أوالحوايا أوما اختلط بعظم ولولحها الفاضل لحقق قوله ان خاطر سكينه كل أوأدركها ابن نباته ماأقر برسالة السيف وفل وقال للقلم رسالته أطلق لسانك بشكر مواليك وأخلص الطاعة لباريك وماقصد المملوك الايجاز في رسالة السكين ونظمها الالتكون مختصرة لحجمها لازالت صدقات مهديها تتحف بمايذبح نحر فقري وتأتي بمايشفي وايهام التورية يقول ويبرى (قلت) الذي أوردته ههنا من انشائي وانشاء الغير كان من الواجب لان الباب الذي تحتم على شرحه وبيانه وايضاحه باب التسجيع وهو عبارة عن علم الانشاء وقد تقدم تقرير السجع وأقسامه وعلم انها أربعة أقسام وهي المطرف والموازى والمشطر والمرصع وذكرت فيه الفوائد التي منها أحكام الفواصل وأوردت المباحث في الانشاء الذي فيه نظر بالنسبة الى الحالة التي هي المطلوب وأوردت من بديع الانشاء وغريبه هذه النبذة التي هي من انشائي وانشاء الغير

ولولا

وله أيضا الى اسمعيل بن أحمد الدواني

ولايزال يستخفني الى الشيخ الامير شوق ونزاع لولا العوائق تطاع فيذكرني طلوع الشمس محياه ونسيم السحر رياه وعسى الله ان يجمعنا واياه انه على ذلك قدير والمكارم أدام الله عز الشيخ كوامن في الاحرار ككمون النار في الاحجار وكمون الماء في الاشجار ثم لاتقدح تلك النار ولا ينبط ذلك الماء بمثل هذه الاعمال السلطانية انها تمكن اليد من بسطتها وتعين الهمة على مرادها ومحال ان أخلى من الشيخ بحظوتي ويبلغ هو من الرفعة

ولولا خشية الاطالة لاوردت من ذلك مايذبل عنده زهر المنثور ويقرّط فى قلائد النحور ومن أراد البحث من صحة ذلك فعليه بمصنفى المسمى بقهوة الانشاء فانه خمس مجلدات منها مجلد انشأته بالبلاد الشامية قبل أن استقر منشئ دواوين الانشاء الشريف بالديار المصرية والممالك الاسلامية وثلاث مجلدات انشأتها عن مولانا السلطان الملك المؤيد سقى الله ثراه ومجلد انشأته عن الملك المظفر والملك الظاهر والملك الصالح وعن مولانا السلطان الملك الاشرف وعن مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما انتهى والفرق بين التسجيع والتجزئة اختلاف زنة اجزائه ومجيئه على قافية واحدة من غير عدد معين محصور وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسجيع قوله

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاهوال ملتزم بالله معتصم

وبيت العميان

من لى بمستلم اليد معتصم * بالعيس لامسئم يوما ولاسئم

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

كم قائل بصميم الجمع مقتحم * وقائل لنظيم السجع ملتزم

قلت الذى يظهر لى ان الشيخ عز الدين لم يمش فى نظم بديعيته مشى محقق لانه تقرر عنده وعند الجماعة فى شروحهم ان التسجيع هو ان يأتى المتكلم فى اجزاء بيته أو كلامه أو فى بعضها باسجاع غير متزنة والشيخ أتى فى شطر بيته الاول باسجاع قابل كلا منها فى الشطر الثانى بوزنه مثل قائل وقائل وصميم ونظيم وجمع وسجع ومقتحم وملتزم وهذا هو الترصيع بعينه فان الترصيع من شرطه ان تقابل كل لفظة من البيت بوزنها ورويها ولبته نقل هذا البيت الى الترصيع فان بيته فى الترصيع ناقص بالذى أظهره مع قصر باعه فيه من الحشو وهو

كم رصعوا كلما من درّ لفظهم * كم أبدعوا حكما فى سر علمهم

مع انه تطرف بيت الشيخ صفى الدين الحلىّ وهو

فعال منتظم الاحوال مقتحم الاهوال ملتزم بالله معتصم

ورأى اختلاف الوزن بين ملتزم ومعتصم وبيت بديعيتى أقول فيه

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى * وصرت كالعلم فى العرب والعجم

(ذكر التسميط)

(تسميط جوهره يلقى بابحره * ورشف كوثره يروى لكل ظمى)

هذا النوع أعنى التسميط هو ان يجعل الشاعر كل بيت بسمطه أربعة أقسام ثلاثة منها على سجع واحد بخلاف قافية البيت كقول مروان بن أبى حفصة

هم القوم ان قالوا أصابوا وان دعوا * أجابوا وان أعطوا أطابوا وأجزلوا

والفرق بين التسميط والتسجيع كون اجزاء التسميط غير ملتزم ان تكون على روى البيت وكون اجزائه متزنة فيكون عددها محصورا والفرق بين التفويف وبينه تسجيع بيت التسميط قال ابن أبى الاصبع ماخالفوا بين قافية البيت واسجاع التسميط الالتكون

(وله ايضا الى ابن ميكال رئيس نيسابور) اعجوبة لكنها محجوبة حتى تصلى على النبى بنشاط وتنزل عن قيراط ماهى ياخبيث اليك بساق الحديث ان عشنا وعشت رأيت الاتان تركب الطيلسان روح ولا جسد وصوت ولا أحد والعود أحد ومتى فرزنت يابيدق وأف القوم سدتهم ويابؤس عصر أحوجهم اليك ويالهف من يافد على واقد وشر دهرك آخره أشهد لئن صدق البحترى فى اللامية لقد صدق الاعشى فى الصادية وان وصف الدريدى فى المقصورة فلقد تغير الامير عن الصورة وان كان كالآخر الاول فما احوج الكتب الى المقراض واكذب السواد على البياض افراطا فى الامتداح وقصدا فى السماح ان ظلم ابن الرومى فى الطائية فالقول

(التسميط)

القافية كالسمط والاجزاء المسجعة بمنزلة حب العقد لان السمط يجمع حب العقد والمراد باجزاء التسميط بعض اجزاء التقطيع ويسمى تسميط التبعيض ومن التسميط نوع آخر يسمى تسميط التقطيع وهو ان تسجع جميع اجزاء التفعيل على روى يخالف القافية كقول ابن ابى الاصبع

واسمر مثمر من مزهر نضر • من مقمر مسفر عن منظر حسن

فجاءت جميع اجزاء التفعيل من هذا البيت من سباعيها وخماسيها مسجعة على خلاف سجعة الجزء الذى هو قافية البيت وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته على التسميط

فالحق فى أفق والشرك فى نفق • والكفر فى فرق والدين فى حرم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تسميط ذى أدب تنظيم ذى ارب • تحقيق ذى طلب بالنصر ملتزم

وبيت بديعيتى اشرت فيه الى نظمى ونثرى ترفعا بمدح النبى صلى الله عليه وسلم وصحابته رضى الله عنهم بقولى

سجعى ومنتظمى قد أظهرا حكمى • وصرت كالعلم فى العرب والعجم

وقلت بعده مشيرا الى النظم

تسميط جوهره يلفى بابحره • ورشف كوثره يروى لكل ظمى

التورية فى التسميط هنا منتظمة فى سلك الجواهر وقد تقرر ان السمط هو الذى يجمع حب العقد ولهذا قلت تسميط جوهره والمناسبة البديعية حاصلة بقولى يلفى بابحره فحاسنه غير خافية بعد ذكر الجوهر ومثل ذلك الرشف للكوثر والرى للظامى وتمكين القافية ظاهر والله أعلم

•(ذكر الالتزام)•

(لأن مدح رسول الله ملتزمى • فيه ومدح سواه ليس من لزمى)

هذا النوع الذى سماه قوم الالتزام ولزوم مالا يلزم ومنهم من سماه الاعنات والتضييق وهو فى الاصطلاح ان يلتزم الناثر فى نثره أو الناظم فى نظمه بحرف قبل حرف الروى أو بأكثر من حرف بالنسبة الى قدرته مع عدم التكلف وقد جاء فى الكتاب العزيز فى مواضع تجل عن الوصف كقوله تعالى فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس وكقوله تعالى ما أنت بنعمة ربك بمجنون وان لك لاجرا غير ممنون ومثله قوله تعالى والليل وماوسق والقمر اذا اتسق وأما الشعراء فابو العلاء كان أكثرهم فى هذا النوع التزاما حتى انه صنع كتابا وسماه اللزوميات جاء فيه باشياء بديعة الا ان فيه من عثرات لسانه كثيرا كقوله

ضحكنا وكان الضحك منا سفاهة • وحق لسكان البسيطة أن يبكوا

يحطمنا صرف الزمان كاننا • زجاج ولكن لا يعاد لنا سبك

ومنه قوله

لا تطلبن بآلة لك رفعة • قلم البليغ بغير حظ مغزل

سكن السماكان السماء كلاهما • هذا له رمح وهذا أعزل

ومنه قوله

قول السوفسطائية باعجبا
بلد الاغر البهيم وولد
آزر ابراهيم وليت الذى
أخرج الميت من الحى رد
هذا الثوب الى الطى
يا أيها العام الذى قدرا بق
أنت الفداء لكل عام أول
وما أقذى العام لكن الانعام
وما اشكو الايام لكن اللئام
عام اول عرفان والعام هذا
الفرقان لنا فى كل قرار امير
يملأ بطنه والجار جائع وتحفظ
ماله والعرض ضائع
لبدات الاشياء حتى نلمتها
ستبدى غروب الشمس
من حيث تطلع
كانت السيادة فى المطابخ
فصارت فى المطاطخ أشهد لئن
كثرت مزارعكم لقد قلت
مشارعكم ولئن سمنت انفسكم
لقد هزلت انفسكم اف لكم
يارذالة الزمن والراغبين
عن تقلد المنن
وأبيكم لا يصون العرض جاركم
ولا يدر على مرعاكم اللبن

(الالتزام)

يقولون فى البستان للعين لذة * وفى الراح والماء الذى غير آسن
اذا شئت ان تلقى المحاسن كلها * ففى وجه من تهوى جميع المحاسن

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى على لزوم ما لا يلزم قوله

من كل مبتدر للموت مقتحم * فى مارق بغبار الحرب ملتحم

وبيت العميان

وسيل دمعى لنيل القرب من شيمى * وسيل دمعى بذيل الترب كالديم

وبيت الشيخ عز الدين قوله

لى التزام بمدحى خير معتصم * بربه وارتباط غير منفصم

وبيت بديعيتى أقول فيه

لان مدح رسول الله ملتزمى * فيه ومدح سواه ليس من لزمى

(ذكر المزاوجة)

(اذا تزاوج ذنبى وانفردت له * بالمدح منّ وجبانى من النقم)

هذا النوع سموه المزاوجة والازدواج وهو فى اللغة مصدر زاوج بين الشيئين اذا قارب بينهما وفى الاصطلاح قال السكاكى ومن تبعه هو ان يزاوج المتكلم بين معنيين فى الشرط والجزاء كقول البحترى

اذا ما نهى الناهى فلج بى الهوى * اصاخت الى الواشى فلج بها الهجر

ومنه قوله

اذا احتربت يوما ففاضت دماؤها * تذكرت القربى ففاضت دموعها

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

ومن اذا خفت فى حشرى فكان له * مدحى فجوزت وكان المدح معتصمى

وبيت العميان

اذا تبسم فى حرب وصاح بهم * يبكى الاسود ويرمى الالسن بالبكم

وبيت الشيخ عز الدين

اذا تزاوج خوف الذنب فى خلدى * ذكرت أن خلاقى فى مديحهم

وبيت بديعى أقول فيه

اذا تزاوج ذنبى وانفردت له * بالمدح منّ وجبانى من النقم

(ذكر التجزئة)

وزينت فى كلى جزيت من قسمى * ابديت من حكمى جليت كل عمى

التجزئة هى ان يأتى المتكلم ببيت ويجزئه جميعه اجزاء عروضية ويسجعها كلها على وزنين مختلفين جزأ بجزء أحدهما على روى يخالف روى البيت والثانى على روى البيت كقول الشاعر

هند بلحظاتها خطية * خطراتها دارية قصاتها

وبيت الشيخ صفى الدين

(المزاوجة)

اللامية قول البحترى
ثلاثة تجب تنبيك عن خبرى
فيها وعن خبر الشاه ابن ميكال
والصادية قول الاعشى
كلا ابويكم كان فرعا دعامة
ولكنهم زادوا واصبحت ناقصا
والمقصورة قول الدريدى
ان ابن ميكال الامير انتاشنى
من بعدما قد كنت كالشئ اللقا
والطائية قول ابن الرومى
يا آل وهب حدثونى عنكم
لم لا ترون العدل والاقساطا
ما بال ضرطتكم يحل رباطها
عفوا ودرهمكم يشد رباطا
صيروا ضراطكم المبذر سركم
عند السؤال الغلس والقيراطا
اوفا سمعوا بنو الحكم
وضراطكم
هيهات لستم للنوال نشاطا
لكنكم افرطتم فى واحد
وهو الضراط فعدلوا الاسقاطا
(وله الى قيس بن زهير)
اعوز الصوف فبعثت

(التجزئة)

يبارق خذم فى مأزق أمم * أوسابق عرم فى شاهق علم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عزالدين قوله

ذى فضل انديه ذى عدل تجزئة * فالذئب فى ظلم يمشى مع الغنم

الشيخ عزالدين سها فى هذا البيت عن رتبة التجزئة فى الشطر الثانى بالنسبة الى التقرير فى شطر الرتبة وبيت بديعيتى أشير فيه الى ما أبديته من المحاسن فى المديح النبوى بقولى

وريت فى كلى جزيت من قسمى * أبديت من سكمى جليت كل عمى

(ذكر التجريد)

(لى المعانى جنود فى البديع وقد * جردت منها المدحى فيه كل كمى)

التجريد عرفه صاحب التلخيص بأن قال هو أن ينتزع من أمر ذى صفة آخر مثله وفائدة المبالغة فى تلك الصفة كقولك مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة تجردت من الرجل قسيم متصفة بالبركة وعطفتها عليه كأنها غيره وهى هو ومن أمثلته الشعرية قول الشاعر

اعانق غصن البان من لين قدها * وأجنى جنى الورد من وجناتها

فانه جرد من قدها غصنا ومن وجنتيها وردا وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

شوس ترى منهم فى كل معترك * أسد العرين اذا حر الوطيس حمى

الشيخ صفى الدين جرد فى بيته اسد العرين من الشوس وبيت العميان فى بديعيتهم

من وجه أحمد لى بدر ومن يده * بحر ومن لفظه در لمنتظم

وبيت الشيخ عزالدين الموصلى قوله

من افظه واعظ بالنصح جردلى * يانفس توبى والتجريد فالتزمى

وبيت بديعيتى فى المديح النبوى قولى

لى فى المعانى جنود فى البديع وقد * جردت منها المدحى فيه كل كمى

(ذكر المجاز)

(وهو المجاز الى الجنات ان عبرت * اياته بقبول سابغ النعم)

المجاز هو عبارة عن تجوز الحقيقة فان المراد منه ان يأتى المتكلم بكلمة يستعملها فى غير ما وضعت له فى الحقيقة فى أصل اللغة هذا رأى السكاكى وأصحاب المعانى والبيان وقال البديعيون المجاز عبارة عن تجوز الحقيقة بحيث يأتى المتكلم الى اسم موضوع لمعنى فيخصه اما ان يجعله مفردا بعد أن كان مركبا أو غير ذلك من وجوه الاختصاص والمجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة كالاستعارة والمبالغة والارداف والتمثيل والتشبيه وغير ذلك مما عدل فيه عن الحقيقة الموضوعة للمعنى المراد وهذه الانواع وان كانت من المجاز فكونها متعددة خلوها عن معنى زائد عن تجوز الحقيقة كالاستعارة والتشبيه وبقية ماذكره من الانواع فلما لم يكن له غير تجوز الحقيقة اختصارا أفرد باسم المجاز اذ لا يليق به غيره وعمل الشريف الرضى كتابا سماه مجاز القرآن ومات قبل استيفائه ومن أمثلته الشعرية قول العتابى

يا ليلة لى بحوارين ساهرة * حتى تكلم فى الصبح العصافير

(التجريد)

السلك بقروفطفقت تلوم وظلت تقعد فى العتاب وتقوم وارانى ما بعدت فى العباس ولا خرجت عن متعارف الناس فالصوف نفس القرو الا انه نسيج والقرو نفس الصوف الا انه مديح فكل فرو صوف وليس كل صوف فروا فان النعت وجدت الفرو فطرة والصوف بدعة وان تطرت وايت الفرو صوفا وزيادة فكان نعمى وسعادة والفرو ويرفى الشتاء وقطع فى الصيف فان فرسك البرد فالبسه وان قيس وان فشيك المطر فاقلبه وانت تبس

(المجاز)

قوله خلوها الخ كذا فى النسخ والصواب أخذ من السابق واللاحق لعدم خلوها الخ اه

قوله ساهرة مجاز وبيت الشيخ صفي الدين قوله

صالوا فنالوا الامانى من مرادهم * يبارق فى سوى الهيجاء لم يشم

المجاز فى بيت الشيخ صفى الدين فى لفظة بارق والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

أحى فؤادى مجازى نحو حجرته * وقد دهشت بجمع فيه مزدحم

وبيت بديعيتى تقدمه قولى انى تجردت لمدح النبى صلى الله عليه وسلم وقلت بعده فى المجاز

وهو المجاز الى الجنات ان عمرت * أبياته بقبول سابغ النعم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع المعنى)

تآلف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

هذا النوع ذكره قدامة أعنى ائتلاف اللفظ مع المعنى وترجمه منفردا ولم يستوف معناه وشرحه الآمدى وأطال ولم توف عبارته بايضاحه وأوضحه ابن أبى الاصبع وقال مختصر عبارة هذه التسمية ان تكون ألفاظ المعانى المطلوبة ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى ان كان اللفظ جزلا كان المعنى فخما أو رشيقا رقيقا كان المعنى غريبا كقول زهير بن أبى سلمى

أثافى سفعا فى معرس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم

فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا انعم صباحا أيها الربع واسلم

فان زهيرا قصد تركيب البيت الاول من ألفاظ تدل على معنى غريب لكن المعنى غير غريب فركبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال ولما جنح فى البيت الثانى الى معنى أبين من الاول وأغرب ركبه من ألفاظ مستعملة معروفة وبيت الحلى فى بديعيته قوله

كانما حلق السعدى منتثرا * على الثرى بين منقض ومنقصم

والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

تؤلف اللفظ والمعنى فصاحته * تبارك الله منشى الدر فى الكلم

بيت الشيخ عز الدين فى هذا النوع عامر وبيت الشيخ صفى الدين خراب لانه غير صالح للتجريد ولم يظهر له معنى حتى يأتى بالمشبه به فى البيت وعلى هذا التقدير لم يحصل فى بيته ائتلاف بين اللفظ والمعنى وبيت بديعيتى أقول فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم

تآلف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

(ذكر ائتلاف اللفظ مع الوزن)

(واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

هذا النوع أعنى ائتلاف اللفظ مع الوزن قال قدامة هو ان تكون الاسماء والافعال تامة لم يضطر الشاعر فى الوزن الى نقصها فى البنية ولا الى الزيادة ولا الى التقديم والتأخير ومنهم من قال هذا النوع لا مثال له بصورة معينة لانه عبارة عن انه لا يضطر الى ما لا يلزم منه فساد صورة المعنى وذهاب رونق اللفظ كقول الفرزدق

وما مثله فى الناس الا مملكا * أبو أمه حى ابوه يقاربه

ائتلاف اللفظ مع المعنى

ائتلاف اللفظ مع الوزن

(وله الى ابى على الشادى جوابا عن رسالة كتبها يعتذر اليه فيها) وصلت رقعتك ياشيخ وحضر رسولك فادى رسالتك وسرد مقالتك وسأل اقالتك وقد صانك الله عما ظننت فافترقنا وحشة فجمعنا معذرة ولا قطعنا جرم فتصلنا مغفرة اما ما اعتذرت عنه من حق لم تقضه وواجب أخللت بفرضه فاجعل الله الصلة فرضا حتى تصير قرضا ولم اقرضك مكرمة انتظر بازائها ان تشمر لجزائها وقد كان يوجب فضلك ان آخذ نفسى لك بما تأخذها الى فانى على السعى اقوى وأقدر والاعتذار من جانبى اولى واجدر واما ما ذكرت من غفلتك يوم اجتيازى عن القيام فقد علمت ان على ذلك الباب الرفيع عالما كبيرا وجما غفيرا ولم يقم لاجتيازى الانفر معدودون فان كان

وفى رواية اخوانه فان اضطرار الوزن حمله على رداءة السبك فحصل فى الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة ولو قال وما مثله الا الملك أبوه يقاربه شأنه لسهل مأخذه وقرب تناوله وبيت الشيخ صفى الدين فى بديعيته قوله

فى ظل أبلج منصور اللواء له * عدل يؤلف بين الذئب والغنم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

أولف اللفظ مع وزن بمدحته مع * لانا ونم صدقو بين الشيم

قلت ثقل الهمزة فى لفظة أولف والوقوف لتحرير الوزن عند قوله بمدحته مولانا كان سببا فى عدم ائتلاف اللفظ مع الوزن فى بيت الشيخ عز الدين وبيت بديعيتى قلت فيه عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد قولى فيه فى ائتلاف اللفظ مع المعنى

تآلف اللفظ والمعنى بمدحته * والجسم عندى بغير الروح لم يقم

وقلت بعده

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

(ذكر ائتلاف المعنى مع الوزن)

(والوزن صح مع المعنى تآلفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم)

هذا النوع أعنى ائتلاف المعنى مع الوزن هو أن تأتى المعانى فى الشعر صحيحة لا يضطر الشاعر فى الوزن الى قلبها عن وجهها ولا الى خروجها عن صحتها كقول عروة بن الورد

فانى لو شهدت ابا سعاد * غداة غدا بمهجته يفوق

فديت بنفسه نفسى ومالى * وما آلوه الا ما يطيق

فانه أراد أن يقول فديت نفسه بنفسى ومالى فألجأته ضرورة الوزن الى قلب المعنى ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذى ائتلف معناه مع وزنه وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

من مثله وذراع الشاة حذره * عن سمه بلسان صادق الرنم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

تولف اللفظ والمعنى مدائحه * فالمعانى ترى الالفاظ كالخدم

قلت بيت الشيخ صفى الدين فى هذا النوع قاصر عن بيت الشيخ عز الدين فان الشيخ عز الدين اتى اولا بالانسجام والسهولة مع التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فان لفظة رنم فى بيت الشيخ صفى الدين غير ممكنة وأيضا فان الوزن والمعنى فى بيت الموصلى فى غاية الائتلاف وبيت بديعيتى قلت فيه

واللفظ والوزن فى أوصافه ائتلفا * فما يكون مديحى غير منسجم

وقلت بعده فى ائتلاف المعنى مع الوزن

والوزن صح مع المعنى تآلفه * فى مدحه فأتى بالدر فى الكلم

قوله وقلت بعده ضائع بعد قوله أولا قلت فيه عن النبى الخ

ائتلاف المعنى مع الوزن

قيام القائم يسر فقعود القاعد لا يضر واما ماذكرت من منزلتك كانت عند الامير من قبل وتغيرها الآن فان الزمان يقلب الاعيان فكيف الالوان هذا عيبه العتيق وطبعه العريق وقد لبسنا على هذا العيب ولو انصفك خلفك ولو احسن عشرتك ما غير قشرتك ولكنه كما شاب هامتك اشاب كرامتك وكما اوهى ركنك اوهن رتبتك ومن ذا الذى يا عز لا يتغير وقد حضرنى يا شيخ خاطر نصح لك فى قبوله حظ ولى فى ايراده وعظ ومثلى لا يعظ مثلك ولا يعيب فعلك ولكن للديانة قريحة والمسلم نصيحة فاسمعها وان لم ترضها فدعها وقد توجهت تلقاء امراوى لشأن لاتأتيه او غدا اليه بدا

(ذكر ائتلاف اللفظ مع اللفظ)

(واللفظ باللفظ في التأسيس مؤتلف * في كل بيت بسكان البديع حي)

هذا النوع أعني ائتلاف اللفظ مع اللفظ هو أن يكون في الكلام معنى يصح معه هذا النوع ويأخذ عدة معان فيختار منها اللفظة بينها وبين الكلام ائتلاف كقول البحتري في الابل النحيلة

كالقسي المعطفات بل الاسهم مبرية بل الاوتار

فان تشبيه الابل بالقسي كناية عن هزالها فلو شبهها بغير ذلك كالعرجون والدال جاز لكن المناسبة والائتلاف بين الاسهم والاوتار والقسي حسنت التشبيه وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته

خاضوا عباب الوغى والخيل سابحة * في بحر حرب بموج الموت ملتطم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الموصلي في بديعيته

ساروا وجدوا النوى واللفظ مؤتلف * من لسن دمعي بالفاظ خد منسجم

الذي فهمته من هذا النوع معنى الشطر الاول وأما الشطر الثاني فما حصل بينه وبين هذا النوع ائتلاف وبيت بديعيتي قلت قبله

والوزن صح مع المعنى تألفه * في مدحه فأتى بالدر في الكلم

وقلت بعده في ائتلاف اللفظ مع اللفظ

واللفظ باللفظ في التأسيس مؤتلف * في كل بيت بسكان البديع حي

(ذكر التمكين)

(تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمي)

هذا النوع أعني التمكين وهو ائتلاف القافية منهم من سماه بالتمكين ومنهم من سماه ائتلاف القافية وهو ان يمهد الناثر لسجعه فقرة أو الناظم لقافية بيته تمهيدا تأتي به القافية متمكنة في مكانها مستقرة في قرارها غير نافرة ولا قلقة ولا مستدعاة بما ليس له تعلق بلفظ البيت ومعناه بحيث ان منشد البيت اذا سكت دون القافية كملها السامع بطباعه بدلالة من اللفظ عليها وأكثر فواصل القرآن على هذه الصورة والذي عقد البديعيون عليه الخناصر في هذا الباب قول أبي الطيب

يا من يعز علينا ان نفارقهم * وجداننا كل شيء بعدكم عدم

وقال ابن أبي الاصبع لم نسمع لمتقدم شعرا متمكنا في قافية أشد من تمكين النابغة الذبياني حيث قال

كالأقحوان غداة غب سمائه * جفت أعاليه وأسفله ندي

زعم الهمام ولم أذقه بأنه * يروى بريقته من العطش الصدى

قلت ويعجبني هنا قول صدر الدين بن عبد الحق ولعمري انه أمكن وألطف وأظرف وهو

ورب ظبي آنس * حشاشتي ملكته * أسقيته أسكرته * حركته نبهته

نادمته أعجبته * حدثته أطربته * مددته كشفته * بلا طويل نكته

ائتلاف اللفظ مع اللفظ

قوله هو ان يكون الخ عبارة غير مؤدية للمقصود بل فاسدة ولو قال هو ان يكون في الكلام معنى يصح تأديته بعبارات مختلفة فيختار منها لفظة بينها وبين الكلام ائتلاف لسلم من ذلك اهـ

التمكين

فقد أوجعني الآن ما أوجعك غدا أراك تلقى هذا الامير بدلال وتنسبه الى ملال وهما مركبان خلقان بالعشار فاجعل قصاراك تحسين امر مولاك وتباعد اذا أدناك وتواضع اذا اعلاك الا ان دنوت وأدناك صرت في حجره فتعرضت لهجره وان علوت واعلاك الجأته الى دفعك واحوجته الى وضعك ثم اشكره اذا رفعك ولا تشكه اذا وضعك على انى اراك ترفع فوق حدك وتتجاوز بل قدر مثلك اقتسم همتك الى ابعد من حيث رتبتك ارايت لو ان صاحبك الشار ورد الى هذه الدار ما كان يصنع بهذا الامير أكان يجلسه على السرير أرأيت لو كانت

وبيت الحلي على تمكين القافية قوله

به استغاث خليل الله حين دعا * رب العباد فنال البرد في الضرم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته قوله

تمكين حبك في قلبي نهضت به * محبة الكل من عرب ومن عجم

وبيت بديعيتي أقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

تمكين سقمي بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمي

(ذكر الحذف)

(وقد أمنت وزال الخوف محذفا * محو العدو ولم أحقر ولم أضم)

هذا النوع أعني الحذف عبارة عن ان يحذف المتكلم من كلامه حرفا من حروف الهجاء أو جميع الحروف المهملة بشرط عدم التكلف والتعسف وهذا هو الغاية كما فعل الحريري في المقامة السمرقندية بالخطبة المهملة التي اجمع الناس على انها نسيج وحدها * وواسطة عقدها (وقد عن لي) ان أوردها ههنا بكمالها * واورد معها ما نسج المتأخرون على منوالها * وهي قوله * الحمد لله الممدوح الاسماء * المحمود الآلاء * الواسع العطاء * المدعو لحسم اللأواء * مالك الامم * ومصور الرمم * واهل السماح والكرم * ومهلك عاد وارم * ادرك كل سر علمه * ووسع كل مصر حلمه * وعم كل عالم طوله * وهد كل مارد حوله * احمده حمد موحد مسلم * وادعوه دعاء مؤمل مسلم * وهو الله لا اله الا هو الواحد الصمد * لا والد له ولا ولد * ارسل محمدا للاسلام ممهدا * وللملة موطدا * ولادلة الرسل مؤكدا * وللاسود والاحمر مسددا * وصل الارحام * وعلم الاحكام * ووسم الحلال والحرام * ورسم الاحلال والاحرام * كرم الله محله * وكمل الصلاة والسلام له * ورحم آله الكرماء * وأهله الرحماء * ما همر ركام * وهدر حمام * وسرح سوام * وسطا حسام * اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء * واكدحوا لمعادكم كدح الاصحاء * واردعوا اهواءكم ردع الاعداء * واعدوا للرحلة اعداد السعداء * وادرعوا احلال الورع * وداووا اعلال الطمع * وسووا أود العمل * وعاصوا اوساوس الأمل * وصوروا لاوهامكم حؤول الاحوال * وحلول الاهوال * ومساورة الاعمال * ومصارمة المال والآل * واذكروا الحمام وسرعة مصرعه * والرمس وهول مطلعه * واللحد ووحدة مودعه * والملك وروعة سؤاله ومطلعه * والمحوا الدهر ولؤم كره * وسوء محاله ومكره * كم طمس معلما * وأمر مطعما * ولمطمح عرمرما * ودمر ملكا مكرما * همه سد المسامع * وسح المدامع * واكداء المطامع * وارداء المسمع والسامع * عم حكمه الملوك والرعاع * والمسود والمطاع * والمحسود والحساد * والاساود والآساد * ما مؤول الامال * وعكس الآمال * ولا وصل الاوصال * وكلم الاوصال * ولا سر الاوسا * واؤم واسا * ولا اصح الاولاد الداء * وروع الاوداء * الله الله * رعاكم الله * الحم مداومة اللهو * ومواصلة السهو * وطول الاصرار * وحمل الاصار * واطراح كلام الحكماء *

الحذف

قوله أو جميع الحروف الخ عبارة ناقصة تمامها أو المعجمة مع ابدال كل بكل اه

غرشستان ميزانك وكان النثار خرانك اين كنت تروم ان تقعد وتقوم وجدتك تذكر عظيم حقك في هذه الدولة فلو اتصلت هذه الدولة بلسان وفم لناقشتك الحساب وقالت يا ابا علي حقك حقك انك شيخ فقط لا اللفظ يسعدك ولا الخط ولا الرأي يصحبك ولا السيف ولا الاصل يعضدك ولا النفس ولا المال يرفعك ولا الدين ولا الجد يقومك ولا المزح يفضلك فما هذا الحق العظيم ما كنت تزال قائلا هل هي الا الصحبة الطويلة الثقيلة فتنقلب عليك الوسيلة فيلزمك اكثر مما يلزمك صحبتها فلم ترتق فتقا ولم تشدد لها ازرا وصحبتك فاشبعت جوفك وامنت خوفك فالحاصل عليك لا لك أبا علي هذه كلمات

ومعاصاة اله السماء أما الهرم حصاد كم والمدر مهاد كم اما الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما الساعة موعد كم والساهرة مورد كم اما أهوال الطامة اصكم مرصده امادار العصاة الحطمة المؤصده حارسهم مالك وروادهم هالك وطعامهم السموم وهواؤهم السموم لامال أسعدهم ولاولد ولاعدد حماهم ولاعدد ألا رحم الله امرأ ملك هواه وأم مسالك هداه وأحكم طاعة مولاه وكدح لروح مأواه وعمل مادام العمل مطاوعا والعمر موادعا والصحة كامله والسلامة حاصله ولادهمه عدم المرام وحصر الكلام والمام الآلام وحموم الحمام وهدوء الحواس ومراس الارماس آها لها حسرة ألمها مؤكد وأمدها سرمد ومحارسها مكمد مالواهمه حاسم ولالسدمه راحم ولاله مما عراه عاصم الهمكم الله أحمد الالهام وردأكم رداء الاكرام وأحلكم دار السلام واسأله الرحمة لكم ولاهل ملة الاسلام وهو أسمح الكرام والمسلم والسلام (قلت) رحم الله أبا القاسم الحريري أتى في عاطل هذه الخطبة بالسهل الممتنع ولكن ألجأته ضرورة العاطل في مواضع الى الاتيان بالفاظ تفتقر الى الحل وقد تعين هنا تفسيرها لئلا يتعذر على الطالب مرام ولا يحصل هذا الاشكال في مرآة الافهام فاللأواء الشدة والاحمر والاسود العرب والعجم ووسم بمعنى علم وهمر بمعنى صب والركام السحاب المتراكم والكدح عمل الانسان من الخير والشر والاورد المعوج والمساورة المواثبة وطمطم بمعنى هدر وهلك والسك ضيق الصماخ والرعاع السفلة والاساود الحيات والآصار جمع اصر وهو الثقل والساهرة قيل انها عرصات القيامة وقيل انها وجه الارض انتهى (وأوقفني) رجل من طلبة العلم بحلب المحروسة يقال له الشيخ بدر الدين بن محمد بن الضعيف سنة أربع عشرة وثمانمائة على رسالة مشتملة على حكم ومواعظ على طريق الفقهاء لا على طريق الادباء وسألني الكتابة عليها فامتنعت من ذلك فتوصل الى ان رسم لي مولانا المقر الاشرف القاضوي الناصري محمد بن البارزي الجهني الشافعي صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية روح الله روحه وجعل من الرحيق المختوم غبوقه وصبوحه ان اكتب له على رسالته العاطلة تقريظا عاطلا فقلت هذا النوع من المستحيلات فان الخطب والوعظيات ثمرات ألفاظها دانية القطوف وأما التقريظ فالتوصل الى تحصيل ألفاظه العاطلة غير ممكن لان كف المتناول من ذلك صفر والطريق مخوف فلم يحصل عن المرسوم رجوع وعلمت أن الصرف الى غير الامتثال ممنوع (فكتبت) هذا التقريظ الذي ما سبقني أحد اليه ولا حام طائر فكره عليه وهو طالع المملوك رسالة محمد وسلم واحكم السمع والطاعة لكلامها المحكم والله ما سمعها عالم الاوهام ولاردع سحرها الحلال مسلما الا كره الحرام وعاد عاملا واعد للصلاح حواصله وصارله مع الله معامله ما احلى ما كرر عاطلها الحلي واهلا لسهولة مسلكها وسهلا مالولدساعدة سعدا حكامها ولالاهل العصر سكر الاما أدار كاس مدامها ولاللعمارة عامر صرحها ورهطه ولا للصدرة كلؤلؤها وسمطه ولا لولد مطروح مع طرحها الهمر ومطارحه ولامصار لولادة رسالة مسموعة ولالسرحها آرام سارحه ولامسارح الماء الحلو لملحها الا كالآل

حمرة الالتحاق ولو أورد نصحك بلحسنت فصحك ولو كنت الله عدوا أوأردت بك سوأ لقلت لاترض برتبتك وطالب بحق صحبتك والق هذا الامر بادلالك ودع باذلالك ولو فعلت ذلك اوأخطرته ببالك نحريت على مسالك وكنت سبب الجناية وأيضا فان نسبتك ولي نعمتك الى الملال نوع من أنواع الاخلال لانه ذلك ينفر من لايعرف خلقه من الزوار ويردع من يريد قصده من الاحرار ويعرض في العاجل للعار وفي الآجل للنار فلاتمرض بما صرحت وقد نصحتك ان انتصحت وأما اخوك الذي نصفه فمن هو لا أعرفه ان كنت عنيت الاستاذ ابافلان فاسأل الله

وماعاصر ما أسسه المعمار الا أطلال وما المطاعم الحلوة معها الا مالحه وماصوادح الكلام الصادح الاحول دوحها صادحه وما لطعم الراح مع حلاوة وردها راحه ولا السلسل الورد معها طلاوة ولو كال المال أدواحه ولا السلوك الدر دو سلوكها ولا الممسوك العاطرة عطر مسوكها ولم لا وحكمها حرسه الله صار ملكا ولحكمه أحكام وكلام الملوك ملوك الكلام لا اله الا الله ما أسرار ولد آدم الاحكمه وما كلام الحكماء وما أحكموه الا حرمه وما أمة رسول الملك العلام الاسادة الامم وما سماء صدورهم الا مطالع أهل الحكم أطال الله عمره وما ملها سامع واطلع هلال دالها وسعد السعود لها طالع وحصل للعالم لما اهل هلالها سرور وا كرموا حلها وأحلوه الصدور أحكامها عمدة لامة محمد وما أعادها السامع الا صار العود أحمد

سلسلوا دورها السمع كساه * درها وهو عاطل كل حله
لا سماع الالها لا كلام * سواها كرره كرره الله

ودع ما حكاه ولد همام أورواه واسمع مسامرة همام صعد طور الحكم وساعده الله وحسم كل كلام منه مادة العواطل وسلسل اطروسه وسطور مسلاسل الدرر ودور السلاسل ولو سمعها ملك العواطل امال رؤس رماحه وكل حد سلاحه وسع معالم العلم ومعاهد صدره وأدر لاهل الموارد الحلوة ولله در ما للكمال أصول سطوره الكامله ولا ورد مع رسول كرسالة محمد مرسله رحم الله امرأ أطاع اوامر حكمها وتبع مرسوم رسمها ودارس ما احكمه عهدها واملاه امد الله عمره والحمد لله * والحلى بيت بديعيته في باب الحذف على العاطل وهو

آل الرسول محل العلم ما حكموا * لله الا وعدوا أعدل الامم

والعميان ما نظموا نوع الحذف في بديعيتهم وانا والشيخ عز الدين تعذر علينا نظم الحذف عاطلا لاجل تسمية النوع في البيت اذ فيه الذال والفاء ولا بد من التورية بتسمية النوع كما شرط أولا فكل منا جنح في باب الحذف الى جهة أما الشيخ عز الدين فانه ذكر انه نظم بيته من الحروف النورانية المقطعة وسمى الحذف في بيته اسقاطا فقال

اروم اسقاط ذنبي بالصلاة على * محمد وعلى صديقه العلم

وبيت بديعيتي حذفت منه الاحرف التي تنقط من تحت وهو الذى نظمته بعد قولى

عكس سقمى بدا من خيفة حصلت * لكن مدائحه قد أبرأت سقمى

فقلت

وقد أمنت وزال الخوف منحذفا * نحو العدو ولم احقر ولم أضم

(ذكر التدبيج)

(واخضر أسود عيشى حين دبجه * بياض حظى ومن زرق العداة حمى)

نوع التدبيج من مستخرجات ابن أبى الاصبع وهو عبارة عن ان يذكر الناظم أو الناثر الوانا يقصد بها التورية والكناية بذكرها عن أشياء من تشبيب أو مدح أو وصف أو غير ذلك من الاغراض فن التدبيج على طريق التورية قول الحريرى فى المقامة الزورائية فذا غبر العيش

تعالى ستراعند ووجها لا يسود سبحان الله اقل ما فى الباب ان ترتيبه فى الخطاب ترتيب مولانا يا شيخ هذه الالفاظ وان جنت على الاعضاء حى الرضاء فانه العمل فى الامعاء عمل الدواء فافتح لها حجاب اذنك وافسح لها فنا صدرك فقد والله نصحتك وان أوحشتك وان شئت غششتك فقد ظلمك الدهر بما بخسك والسلطان بما نقصك واساء الادب من زاحمك والعشرة من تقدمك واخطأ الرأى من لم يتصرف على أمرك ونهيك لانك نسيج وحدك وسواد العراق بستان جدك وعلى بن عيسى خادم عبدك وعبيد الله غرس يدك وذو

(التدبيج)

الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثا لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر ومنه ما كتبت به جوابا عن مولانا السلطان الملك المؤيد رحمه الله الى الجناب العالى الناصرى محمد بن أبى يزيد بن عثمان فانه المجاهد الذى جعل حظ بنى الاصفر فى البحر الازرق من بيض سيوفه اسود فاذاقهم الله به الموت الاحمر وكال التدبيج يقول أهلا بعيش اخضر يتجدد ومن الامثلة الشعرية فى باب التدبيج قول ابن حيوس

ان ترد خبر حالهم عن يقين * فالقهم فى منازل اونزال
تلق بيض الوجوه سود مثار النقع خضر الاكناف حمر النصال

ومثله قوله

ببياض عزم واحمرار صوارم * وسواد نقع واخضرار رحاب

وظريف هنا قول الشيخ زين الدين بن الوردى من ابيات

ولى صاحب بالمدح والهجو كسبه * يقول اتدرى كيف أصنع بالخلق
اذا احمروا وجهى وما بيضوا يدى * ازرق لهم رجلى ولو خضر واعنق

ويعجبنى قول الشيخ عز الدين فى هذا الباب

خضرة الصدغ والسواد من العيش * ن بياض المشيب تداو رثانى
واحمرار الدموع صفر خدى * كل ذا من تلونات الزمان

قلت تلونات الزمان فى باب التدبيج غاية فى الحسن وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى التدبيج قوله

خضر المرابع حمر السمر يوم وغى * سود الوقائع بيض الفعل والشيم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته

خضر المرابع حمر البيض سود ردى * بيض الثنا فاستمع تدبيج وصفهم

قلت ما يليق بالشيخ عز الدين ما اعتمده فى بيت الشيخ صفى الدين من أخذ لفظه ومعناه والحق انه تلون فى باب التدبيج على الصفى وتحرم على الحلى وبيت بديعيتى قولى

واخضر اسود عيشى حين دبجه * بياض حظى ومن زرق العدا دمى

*(ذكر الاقتباس)

(وقلت ياليت قومى يعلمون بما * قد قلت كى يلحظونى باقتباسهم)

الاقتباس هو ان يضمن المتكلم كلامه كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله خاصة هذا هو الاجماع والاقتباس من القرآن على ثلاثة أقسام مقبول ومباح ومردود فالاول ما كان فى الخطب والمواعظ والعهود ومدح النبى صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك والثانى ما كان فى الغزل والرسائل والقصص والثالث على ضربين أحدهما ما نسبه الله تعالى الى نفسه ونعوذ بالله ممن ينقله الى نفسه كما قيل عن أحد بنى مروان انه وقع على مطالعة فيها اشكاية من عماله ان الينا ايابهم ثم ان علينا حسابهم والآخر تضمين آية كريمة فى معنى هزل ونعوذ بالله من ذلك كقول القائل

الرياستين فى كمك وذو العلمين فى جيبك والمقتدر بالله ولى عهدك والقائم بالامر من بعدك وغباوة من الايام تأخير مثلك وجهل من الاقدار اضاعة فضلك وعمى بالخلافة عن محلك وغفلة بالملوك عن كفايتك وشين على السرير قعود غيرك والشمس تزداد ضوأ بطلعتك والدهر معتز بكونك من اهله فاما ابن العميد فاحسن العميد ببابك والمهلبى صبى كتابك وانما اضطربت أمور خراسان حين خذلها تدبيرك وما استقامت حتى وسعها ضميرك وما شئت من هذا الباب وا كثرت من هذا الجراب فاختر من القولين

(الاقتباس)

أوحى الى عشاقه طرفه * هيهات هيهات لما توعدون
وردفه ينطق من خلفه * لمثل ذا فليعمل العاملون

ومن الاقتباسات التى هى غير مقبولة قول ابن النبيه فى مدح الفاضل

قمت ليل الصدود الا قليلا * ثم رتلت ذكركم ترتيلا
ووصلت السهاد أقبح وصل * وهجرت الرقاد هجرا جميلا
مسمعى كل عن سماع عذول * حين ألقى عليه قولا ثقيلا
وفؤادى قد كان بين ضلوعى * أخذته الاحباب أخذا وبيلا
قل لراقى الجفون ان لعينى * فى بحار الدموع سبحا طويلا
ماس عجبا كأنه ما رأى غصـ * ـنا طليحا ولا كثيبا مهيلا
وحمى عن محبه كأس ثغر * كان منه مزاجها زنجبيلا
بان عنى فصحت فى اثر العيـ * ـس ارحمونى ومهلوهم قليلا
انا عبد للفاضل بن على * قد تبتلت بالثنا تبتيلا
لا تسمه وعدا بغير نوال * انه كان وعده مفعولا

ونعوذ بالله من قوله بعد ذلك

جل عن سائر الخلائق فضلا * فاشترعنا فى مدحه التنزيلا

واعلم ان الاقتباس على نوعين نوع لا يخرج به المقتبس عن معناه كقول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب حتى أنشد فأغرب فان الحريرى كنى به عن شدة القرب وكذلك هو فى الآية الشريفة ونوع يخرج به المقتبس عن معناه كقول ابن الرومى

لئن أخطأت فى مدحـ * ـك ما أخطأت فى منعى
لقد انزلت حاجاتى * بواد غير ذى زرع

فان الشاعر كنى به عن الرجل الذى لا يرجى نفعه والمراد به فى الآية الكريمة أرض مكة شرفها الله وعظمها ثم اعلم انه يجوز ان يغير لفظ المقتبس منه بزيادة أو نقصان أو تقديم أو تأخير أو ابدال الظاهر من المضمر أو غير ذلك فالزيادة وابدال الظاهر من المضمر كقول الشاعر

كان الذى خفت ان يكونا * انا الى الله راجعونا

فزاد الالف فى راجعون على جهة الاشباع وأتى بالظاهر مكان المضمر فى قوله انا الى الله ومراده آية التعزية فى المصيبة وهى قوله تعالى انا لله وانا اليه راجعون والنقصان ما تقدم من قول الحريرى فلم يكن الا كلمح البصر أو أقرب فانه اسقط لفظة هو اذ الآية الكريمة لفظها كلمح البصر أو هو أقرب والتقديم والتأخير كقول الشاعر

قال لى ان رقيبى * سيئ الخلق فداره
قلت دعنى وجهك الجنة حفت بالمكاره

هذا الاقتباس من الحديث فانه تقدم ان الاجماع على جواز الاقتباس من القرآن ومنهم من عد المضمن فى الكلام من الحديث النبوى اقتباسا وزاد هنا الطيبى فى الاقتباس من

أسهما اليك وأنا على ما ترى من فراغى مشغول الضمير ضيق الاوقات حرج البال فلا عليك ان لا تزيدنى شغلا وذكرت حرصك على عشرين واسفك على الفائت منها فلا بأس وان فاتك كلى فلا بأس وان لك فى عشرة غيرى متسعا وباخلاق سواى مستمتعا فاهون لمن أهون بك واخلط لاخيك شيأ من الوحشة بهذا الانس ونعيا من المأتم بهذا العرس واجعلنى آخر خطائك وأول منسائك وان رأيت ان لا ترانى حتى أراك فعلت ذلك ان شاء الله تعالى

(وله أيضا)

لا والله لا أطلت أطال الله الشيخ الفاضل وزيادة والفاضل وكرامة ولبس من

مسائل الفقه والشاعر قدمهم فى لفظ الحديث وأخر لان لفظ الحديث حفت الجنة بالمكاره ومن هنا يتبين لك قطع نظرهم فى الاقتباس عن كونه نفس المقتبس منه ولولا ذلك لزمهم الكفر فى لفظ القرآن والنقص منه ولكنهم يأتون به على انه لفظ القرآن ومن أمثلته الشعرية قول الحاجرى

اذا رمت عنها سلوة قال شافع * من الحب ميعاد السلو المقابر
سيبقى لها فى مضمر الحب والحشى * سرائر تبقى يوم تبلى السرائر

ومنه

أهدى اليكم على بعد تحيته * حيوا باحسن منها أو فردوها

ويعجبنى هنا قول ابن سنا الملك فى بعض مطالعه

رحلوا فلست مسائلا عن دارهم * انا باخع نفسى على آثارهم

ومن لطائف هذا الباب قول القاضى محي الدين بن عبد الظاهر فى معشوقه المسمى بالنسيم

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فانا الذى اتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

ومثله فى الحسن قول شيخ شيوخ حماة المحروسة رحمه الله تعالى

يانظرة ما جلت لى حسن طلعته * حتى انقضت وأدامتنى على وجل
عاتبت انسان عينى فى تسرعه * فقال لى خلق الانسان من عجل

ومثله

ان دمعت عينى فمن أجلها * بكى على حالى من لا بكى
اوقعنى انسانها فى الهوى * يا أيها الانسان ما غركا

ومثله

قسما بشمس جبينه وضحاها * ونهار مبسمه اذا جلاها
وبنار خديه المشعشع نورها * وبليل صدغيه اذا يغشاها
لقد ادعيت دعاو يا فى حبه * صدقت وافلح من بذا زكاها
فنفوس عذالى عليه وعذرى * قد ألهمت بفجورها وتقواها
فالعذر أسعدها مقيم دليله * والعذل منبعث له أشقاها

ومنه قول القاضى محي الدين بن قرناص

ان الذين ترحلوا * نزلوا بعين باصره
انزلتهم فى مقلتى * فاذا هم بالساهرة

ومنه قول الشيخ جمال الدين بن نباته رحمه الله تعالى

واغيد جارت فى القلوب لحاظه * واسهرت الاجفان أجفانه الوسنى
أجل نظرا فى حاجبيه وطرفه * ترى السحر منه قاب قوسين أو أدنى

ومنه قول الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

الانصاف ان تخاطب بالكاف ان عمل البريد اليك ومدار الانهاء عليك وأولى ما يجب لعامل الانهاء ان يخاطب بالهاء ولكنك طفقت لانتهاب سلطان العلم فأعلمناك ان سلطان العلم لايهابك ولو اتصلت باسباب السماء أسبابك أنت عافاك الله اذ قلدت البريد تبردت هذا التبريد يؤذن انك لو وليت الديوان لقتلت الاخوان فلو قلدت الوزارة ما كنت تصنع أكنت أول من يصفع واذا بيل على سبيل الطائع وهو الطلفسة فى الجيفة يا شيخ حشمة فى الراس وعشرة بين الناس فاذا رفعت فالانهاء نعمة ولبس التمام قيمة ولو نسجت الدر فى الذهب ما كنت

رب فلاح مليح * قال يا أهل الفتوه
كفلى أضعف خصيرى * فأعينونى بقوه

ومنه قول المعمار

ابن الجابى مات حقا * برح بى موته واذى
ورحت اقرا عليه جهرا * يا ليتنى مت قبل هذا

ويعجبنى فى هذا الباب قول سيدنا الامام القدوة الحافظ الشيخ شهاب الدين بن حجر العسقلانى الشافعى تغمده الله برحمته وهو

خاض العواذل فى حديث مدامعى * لما جرى كالبحر سرعة سيره
فحبسته لاصون سر هواكم * حتى يخوضوا فى حديث غيره

وقال

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * تلوين دمعى بعد فرقة حبه
اكن به لما سمعت نباحات * فغدت مطوقة بما بخلت به

وهنا فائدة يتعين ذكرها فى هذا الباب وهى ان العلماء فى هذا الباب قالوا ان الشاعر لا يقتبس بل يعقد ويضمن وأما الناثر فهو الذى يقتبس كالمنشئ والخطيب فمن ذلك قول الحريرى فطوبى لمن سمع ووعى وحقق ما ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وأن ليس للانسان الاماسعى وأن سعيه سوف يرى وقوله انا انبئكم بتأويله واميز صحيح القول من عليله وكقول ابن نباته الخطيب فى الخطب التى فى ديوانه أما أنتم بهذا الحديث تصدقون مالكم لا تشفقون فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون قلت وأما عبد المؤمن الاصفهانى صاحب أطباق الذهب فانه عنوان هذا الكتاب وامام هذا المحراب فمن قوله فى الاطباق فمن عاين تلوين الليل والنهار لا يغتر بدهره ومن علم ان بطن الثرى مضجعه لا يمرح على ظهره فيا قوم لا تركضوا خيل الخيلاء فى ميدان العرض أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الارض وقوله ولو علم الجذل صولة النجار وعضة المنشار لما تطاول شبرا ولا تخايل كبرا وسيقول البلبل المعتقل ليتنى كنت غرابا ويقول الكافر يا ليتنى كنت ترابا وقوله

قد تحت قباب العز طائفة * اخفاهم فى رداء الفقر اجلالا
هم السلاطين فى أطمار مسكنة * استعبدوا من ملوك الارض أقيالا
هذى المكارم لا ثوبان من عدن * خيطا قميصا فعادا بعد أسمالا
هذى المناقب لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد ابوالا

هم الذين جبلوا براء من التكلف يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف (وقوله) أهل التسبيح والتقديس لا يؤمنون بالتربيع والتسديس والانسان بعد علو النفس يجل عن ملاحظة السعد والنحس وان فى الدين القويم لشغلا عن الزيج والتقويم الايمان بالكهانه باب من أبواب المهانه فأعرض عن الفلاسفه وغض بصرك عن تلك الوجوه الكاسفه فأكثرهم عمدة الطبع وحرسة الكواكب السبع فالمنجم

الا السائل ومن جملة أولئك ولما توجهت من مجلس الشيخ اسمعيل ورأيت قيامات الثقيل ونهوضات العليل صعدت السطح أنصع أعلى المواضع فرأيت منارة الجامع اشرف المطالع فبدرت ان اقصدها ونويت ان اصعدها فاذا صرت منها فى الدرجة العليا خويت على الدنيا والسلام

(وله الى ابي الفوارس الاصم)

يعجبنى ان يكون الشيخ فصيح اللسان طويله حسن البيان جميله ولا يعجبنى ان يطول لسانه حتى يلمس به جبينه ويضرب به صدره ويحك به قفاه فخير الامور أوساطها وأمام الساعة أشراطها والغاية شؤم

الغبي وما الكاهن الاجنبي وسر حجب عن غير النبي وهل يخدع بالفأل الا قلوب الاطفال وان امرأ جهل حال قومه وما الذي يجرى عليه في يومه كيف يعرف حال الغد وبعده ونحس الفلك وسعده وان قوما يأكلون من قرصة الشمس لهزولون وانهم عن السمع لمعزولون ما السموات الا مجاهل والكواكب ضواها وما النجوم الاهيا كل سبعة ومن الله قواها كل يسرى لأمر معمى وكل يجرى لاجل مسمى (وقوله) الحرص يسبل على وجوه الظلمة براقعا والظلم يدع الديار بلاقعا يرضون طيب الحياة وينسون يوم النشور ويفتكون فتك البزاة ويؤملون عمر النسور فلا تغرنك من الظلمة كثرة الجيوش والانصار انما نؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار (وقوله) اغتنم فودك الفاحم قبل ان يبيض فانما الدنيا جدار يريد أن ينقض فلا يغرنك قطفها النضيج هو غيث اعجب الكفار نباته ثم يهيج (وقوله) في آخر مقالة من الاطباق تلك أمة قد خلت ذكروا الله في الخلوات فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات (وقوله) أصدق الارواح روحان ممتزجان وأخلص القلوب قلبان يزدوجان يتصاحبون قياما وقعودا وعلى جنوبهم وآخرون يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم وقوله قه دره فيا هذا لاتحسد المتنعم على ترفه ولا تغبط المتكبر على شرفه وقل له اذا برزت الجحيم وقدم له الحميم ذق انك أنت العزيز الكريم (وقوله) أليس من الخسران بزار يأكل الميت ومكى لا يزور البيت فلا تكن كالجمل الطليح يحمل لغيره أسفارا ولاتك كالحمار يحمل أسفارا (قلت) هذا القدر الذي أوردته هنا كاف في الاقتباسات التي تليق بمواعظ الخطب فيتعلم بليغ الخطباء منها سلوك الادب ولم يبق الا اظهار نور الاقتباس من مشكاة نور المترسلين فانهم ملوك هذا الشأن ومن استضاء بسعر اقتباسهم قال ان هذا الا سحر مبين ومن ذلك قول مالك ازمة هذا الفن القاضي الفاضل من تقريظ ورأيت كل معتاض غيره لصناعة البديع لا هجا بالبدعة خارجا عن الشرعة دارجا في غير عشه مخرجا ميت القول من طرسه على نعشه فهي المدام ومادون فهم عنها اقدام ووفود بلاغة لو وجهت الى الجنة لقال رضوانها ادخلوها بسلام وكل ابنة فكر ما طالعت فكره الا صاح لسان طربه يا بشراي هذا غلام وكل غصن ألف وكل همزة حمام وفيم ساوفيها وأخاف ان أقول ولا أوفيها وليت هذه المحاسن وليت الاسماع وألقت القناع وفي العمر مستمتع وفي قوس الشيبة منزع ولكن ضاق فتر عن مسير وجاء فضلها الاول في الزمن الاخير وقد حان ان تخيب في البلاغة القدحان وأني وانه قضى الامر الذي فيه تستفتيان (وقوله) لازالت الملوك تنزل لركوبه والسيوف تضحك لقطوبه واسبغ عليه نعمه باطنة وظاهره وكتب له في الدنيا حسنة وفي الآخره وغض عيون اعدائه فاذاهم بالساهره (وقوله) وقف الخادم على الكتاب فارتقى الى سماء المكرمات وكانت سطوره درجا واضاءت في خاطره فما استمدت مدادا ولكن اذ كتب سرجا ونهجت له طريق السعادة فلله من كتاب لولا الغلو لقلنا من كتاب لم يجعل له عوجا (وقوله) ورد على الخادم الكتاب الكريم فشكره وقربه نجيا

والاستقصاء لوم فان الحمار يشب على حمارته فتارة بعض الانصراف وتارة كل الانصراف وتارة تحت الاكاف ثم يوعيه في الغلاف ويزعم الحمار انه لوشاء في اول شبابه لاتى الامر من بابه واقر الحق في نصابه وكان هذا ظننا به ولكن لوقوف السيارة وتعيير النظارة وتعريض الحمارة فلا تكن أحمر من حماري ولا عليك ان يبلك غيري فان الجحر من الجحر ينب ومن الكبائر والله طفيلي يدب ومن النوادر ذباب يثب واللص في بيت النائب آمين وانما يقع في الحريم ويحتك بحائط الحجيم

(وله الى الشيخ أبي الحسن الشبلي)

احدى عشرة ليلة كنت حدثتك يا شيخ حديثها

اليد الشريفة النبويه وخصته على الاقلام بهذه المزيه وأطلعته فى ليالى النقع والشك سراجا وهاجا وفتح باب الدين الى ان دخلت فيه الناس أفواجا فهو ذو العزم الثاقب وسماء المجد الذى زينت آثاره بزينة الكواكب والحد الذى كانه ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب تحسم به ادواء الفتن المعضله وتحذف همه الجازمة حروف العله ويجنى من سماء القتام بالضرب فقل يسألونك عن الاهله يجلس على رؤس الاعداء قهرا ويصرع ابناء الشجاعة فاتلا للقلم ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا وهل يفاخر من وقف الموت على بابه وعضت الحرب الضروس بنابه وقذف شياطين القراع بشهبه ومن آيات شريفة منها طلوع الشمس من غربه ومنها ان الله أنشأ برقه وكان للمارد مصرعا وللرائد مرتعا ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا فقام القلم فى دواته وقعد واضطرب على وجه القرطاس وارتعد وانحرف الى السيف وقال أيها المضرب طبعه المغر بلمعه الناقض حبل الانس بقطعه الناسخ بهجره من ظلال العيش فيأ السراب الذى يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيأ الحبيس الذى طالما عادت عليه عوائد شره الكمين الابليس الذى لو أمر لى بالسجود لقال خلقتنى من نار وخلقته من طين فاقطع عنك أسباب المفاخره واستر من نابك فى هذه المكاشره فما يحسن بالصامت محاورة المفصح والله يعلم المفسد من المصلح اولست الذى قيل فيه

شيخ يرى الصلوات الخمس نافلة * ويستحل دم الحجاج فى الحرم

فدع عنك هذا الفخر المديد وتأمل قدرى اذا كشف عنك الغطاء فبصرك اليوم حديد قلت ولولا خشية الاطالة لاوردت هنا رسالة السيف والقلم بكمالها ولكن فى هذا القدر من نور اقتباسه ما يهتدى به الاعشى ويستغنى بانشائه عن سلافة الانشاء ومن غريب اقتباسات الشيخ جمال الدين أيضا ما كتب به مع منقد نحاس (وهو قوله فيه) طالما جددت معاشرته ولذت فى الليالى مسامرته وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران وتلا على الريح والشلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران (ومن ذلك) بديع الاقتباس للشيخ زين الدين بن الوردى فى خطبته فى الكلام على المائة غلام (وهو) لعمرى ما أنصفنى من اساء بى الظن وقال انى رضيت مع درجة العلم بهذا الفن والصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (ومن ذلك) قوله فى توقيع عدالة بعض الشهود بجانب المحروسة (وهو) الحمد لله الذى شاد رتبة العدالة وحماها وجعلها همة من شرفت نفسه فزكت وقد أفلح من زكاها وعصمة من فرقة فى قلوب الحكام من نار تدليسهم وقود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود (ومن ذلك) ما كتب به عنه وعن أخيه يوسف واذا عنى الصاحب بالاخ رفقا واحسانا تلونا هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا والله يعلينا بعلوك ويبلغنا من جودنا بلوغ مرجوك حتى يقول أولاد الصاحب عنا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا (ومن ذلك) ما كتب به بقية السلف الشيخ زين الدين أبو بكر العجمى على قصيدتى الكافية البرهانية تقريظا أشرقت أقطار الادب بنور اقتباسه والاقتباس فى التقريظ فما له من قصيد ردعون أعيان هذه الصناعة من الحياء مطرقه تالية على من قال ها يا امرئ القيس فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة (ومن ذلك) ما كتب به الشيخ برهان الدين القيراطى الى الشيخ جمال

الدين

اليك ثلاثة دنانير منقبا شرك حرس الله هذه الدنانير ورزقنا منها الكثير انها تفعل ما لا يفعل التوراة والانجيل وتفق ما لا يغنى التأويل والتنزيل وتصلح ما لا يصلح جبريل وميكائيل فاما الامير والشيخ الجليل ومنشورهما الطويل فنسأل الله سترا جميلا وسبحان الله بكرة وأصيلا والسلام

(وله الى الفقيه أبى الحسن الظريف)

من استلام فى اخوة أو قصد فى مروة فالفقيه السابق الى كل كريم من الخصال المبتهج بكل نبيه من الكمال الحالى بكل نادرة غراء العاطل من كل فاحشة عذراء ان ذكر الجمال طلع بدرا او السخاء زخر بحرا او العميد رسخ

الدين بن نباته يقبل الارض التى سقت السماء نباتها وعمر الله بمعانى الحسن أبياتها (منها) فلا غرو ان فضح بديع الزمان بلفظه البديع وأزهرت الاوراق بمنثور رسائله التى كل فصل منها ربيع وخجلت صفحة الخد المنمنمة بطراز العذار المرقوم وقالت الكؤس حين شبهت فى امالة الاعطاف بالفاظه ومامنا الاله مقام معلوم (منها) فسبحان من أسرى بها فى ليل نقسها الى المحل الاقصى وحباها بالفضل الذى لايحصى وأنبت دوحها فى رياض الفصاحه وغق حداثقها التى لوفتح النرجس عينه فى عينها انتسب الى الوقاحه فتبارك الذى جعل فى سماء دوحته لشمس بلاغته بروجا وأعلى همه التى لاترضى الشهب جيادا والاهلة سروجا حتى أقام يراع قلمه اسوق الادب قصبه وشاد من قصائده كل بيت اذا مر الحاسد ببابه قبل العتبه وسارت كالسبعة السيارة مصنفاته وعلت من قصوره المشيد بسينات سطوره شرفاته وفديت بالمباسم والقدود ميماته وألفاته وزهت امداحه المؤيدية فاصبحت بيوته المرفوعة ذات العماد وراقت محاسنها التى لم يخلق مثلها فى البلاد وفضحت لسهلها الممتنع أدباء العصر الذين جابوا الصخر بالواد (منها) طالما سرح الناظر فى بستانها منظره ورام ابن سكرة فتح الابواب لمعارضة قطرها النباتى فوجدها مسكره وعلم المتنبى ان هذا خاتم الادباء لامحاله والمترسل الذى نهض دونه باعباء كل رساله وأقام بتقديمها على غيرها براهين الاحتجاج وقال الملى عندما قابل بحرها الحلو بحره هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن ذلك مانقلته من خط الصاحب فخر الدين ابن مكانس تغمده الله برحمته (وهو) وردعلينا شخص من اهل القير وانضر يسمى عبد الله الزغبى يتعاطى نظم الشعر المقفى الموزون الخالى عن المعانى فتردد الىّ فى مجالس متفرقة ثم بلغنى انه وشى الى صاحبنا الشيخ زين الدين ابن أبى بكر العجمى عين كتاب الانشاء الشريف بانى اهتضمت جانبه وانتقصته وغضضت منه بالنسبة الى الادب وانه يستعين بكلام الغير كثيرا فتأذى من ذلك وتأذيت من كذب الناقل فكتبت ليس على الاعمى حرج بلغنى ٣ بلغ الله سيدنا ومولانا الامام العالم العلامة الاديب الشاعر الناظم الناثر المحقق الامه الكاتب الحجة زين الدنيا والدين قرة عين الكرام الكاتبين أقصى ماينتهى اليه تنافس المتنافس وتبتهج به صدور الاولياء والرؤساء والمجالس ولازال زينة يحلى به العاطل ويظل تحت جناح أدبه القائل من غيبة ذلك الضرير ٣ مالاخشى الله فيه بظهر الغيب ونقل الى المسامع الكريمة مالايحتاج للاعتذار عنه لمافيه من الريب ولكن لاغناء للسيف عن المملوك الكليل من التنصل ولابد من نهله اعتذار على سبيل التعلل وكان المملوك يترقب سببا للمطارحة فهذا المغتاب الآن صار عنده محمودا اذ كان السبب لحسن التوسل الى صناعة الترسل (منها) فلو اختلف الادباء على امام لاهل هذه الصناعة مطهر من الارجاس لقال لهم لسان البلاغة مروا أبابكر فليصل بالناس فكيف يسوغ للمملوك ان يدعى غير هذا وكيف ولم ولماذا أحسدا على الادب فما أحوجنى له من عصر الصبا بحمد الله وما اغنانى اوتفاخرا بالنظم فما اشغلنى عنه بتدبير الممالك بما عنانى نعم وان كان جوهر الالفاظ مما يحسد عليه فما أزهدنى والله فى هذا العرض الفانى (منها) والمسؤل من احسانه امران (احدهما) الجواب فانه يقوم عند المملوك مقام

صغرا اوالرأى اسفر فجرا اوالحياء رشح خمرا اوالذكاء توقد جمرا وقد وصلت كتبه تترى وما تأخر الجواب عنها لعذر الا لعادة كسل لبسنى عليها الاخوان قبله وان لم يكونوا مثله ولم يبلغوا فضله وأرجو ان يكون هذا الكتاب لما خرقه الكسل رفوا ولما جرحه التهاون أسوى وقد نهض أبو فلان وهو منى بمنزلة العين واليدين وأوصيته ان لايغب زيارته يوما وكما أوصيته كذلك أوصى الفقيه ان لايألوه معاضدة ومراغدة انه بصدد شغل ابلده فليجمع يده الحيده فى كل ما هو بصدده ومما أخبره به ما أجريت بحضرة الشيخ من حديثه وقرائه عليه من كتابه وشحذت عزمه

القرح من هذه الشدة والآخر رد كل فاسق عن الباب العالى فان ابا بكر أول من تصلب
فى الرده وبلغ المملوك ان هذا الضرير قصد بعض الاصحاب برمية كهذه فاصمى وتردد
اليه مرة أخرى فعبس وتولى أن جاءه الاعمى (ومن ذلك) ما كتب به الى المقر الصاحبى
الفخرى المشار اليه بعد توجهى من خدمته الى دمشق المحروسة ومشاهدتى ما قدر الله
عليها من الحريق والحصار من قبل الملك الظاهر سنة احدى وتسعين وسبعمائة وهذه الرسالة
التى سارت بها الركبان وجاء البديع الاقتباس فى معانيها بيان (وهى) يقبل الارض التى
من يممها أو تيمم بترابها حصل له الفخر والمجد فلا برح هيام الوفود الى ابوابها أكثر من هيمان
العرب الى ربا نجد ولا زالت فحول الشعراء تطلق اعنة ألفاظها وتركض فى ذلك المضمار
وتهيم بواديها الذى يجب ان ترفع فيه على أعمدة المدائح بيوت الاشعار وينهى بعد
اشواق أمست العين بها فى مجارى العين معبره ولولم يقرا انسانها برسالات الدمع اذلت
فى حقه قتل الانسان ما أكفره وصول المملوك الى دمشق المحروسة فيا ليته قبض قبل ان
يكتب عليه ذلك الوصول ودخوله اليها والله لقد تمنى خروج الروح عند ذلك الدخول
(منها) وتطرقت بعد ذلك الى الحدادين ولقد نادتهم النار بلسانها من مكان بعيد آتونى زبر
الحديد ولقد كان يوم حريقها يوما عبوسا قمطريرا ضج المسلمون فيه من الخيفة وقد رأوا
سلاسلا وأغلالا وسعيرا يا مولاى لقد لبست دمشق فى هذه المأتم السواد وطبخت قلوب
أهلها وسلقوا من الاسنة بالسنة حداد ولقد نشفت عيونهم من الحريق واستنشقوا فلم
ينشقوا رائحة الغادية وكم رؤى فى ذلك اليوم وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا
حاميه وكم رجل تلا عند لهيب بيته تبت يدى أبى لهب وخرج هاربا وامرأته حمالة الحطب
(منها) وتطرقت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفت الآزفة
وستروا برجها من الطارق بتلك الستائر وهم يقولون ليس لها من دون الله كاشفة (منها)
وتطاول الى السور المشرف وقد فصل فى علم الحرب وحفظ أبوابه المقفلات فما وقفنا على باب
الا وجدناه لم يترك خلفه لصاحب المفتاح تخلصا أبدا من المشكلات فلا وأبيك لو نظرته
يوم الحرب وقد تصاعدت فيه أنفاس الرجال لقلت ونفخ فى الصور ذلك يوم الوعيد والى
المحاصرين وقد جاؤا فارسا وراجلا ليشهدوا القتال لقلت وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد
والى كواكب الاسنة وقد انتثرت والى قبور الشهداء وهى من تحت أرجل الخيل قد بعثرت
والى كر الفوارس وفرها لقلت علمت نفس ما قدمت وأخرت (منها) وتصفحت بعد ذلك فاتحة
باب النصر فعوذته بالاخلاص وزدت لله شكرا وحمدا وتأملت أهل الباب وهم يتلون لاهل
البلد سورة الفتح وللمحاصرين وجعلنا من بين أيديهم سدا وكم طلبوا فتحه ولم يجدوا لهم طاقة
وضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب (منها) هذا وكم من مؤمن
قوم خرج من دياره حذرا الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قوم لمساعدتهم
على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ياقوم مالى أدعوكم الى النجاة وتدعوننى الى النار
(منها) فاصبح ذماء بقى من السبعة بالسبع المثانى والقرآن العظيم فكم رأينا بها يعقوب
حزن رأى سواد بيته فاصفر لونه وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم (منها) وتوصلت الى

فيه من اصطناعه وصوبت
رأيه فيه من اختياره وأبو
فلان يقوم بوصفه وما
أسرنى بكتابه واردا ورسوله
قاصدا وحديثه جاريا
وخياله طارقا فليهد منها
ما استطاع ان اكل موقعا
والفقيه فيما يراه التوفيق
والسداد ان شاء الله
تعالى

(وله الى طاهر الداوردى
يهنئه بابن له)

حقا لقد انجز الاقبال وعده
ووافق الطالع سعده وان
الشأن فيما بعده وحبذا
الاصل وفرعه وبورك
الغيث وصوبه وا ينبع
الروض ونوره وحبذا
سماء اطلعت فرقدا وغابة
ابرزت اسدا وظهر وافق
سندا وذكر يبقى ابدا
ومجد يسمى ولدا وشرف
لحمة وسدا

ظاهر كيسان فانفقت كيس الصبر لما افتقرت من دنانير تلك الازهار والدراهم رباها وكابرت الى اطراف الباب الصغير فوجدت فاضل النار لم يغادر منها صغيرة ولا كبيرة الا أحصاها (منها) هذا وكم خاتف قبل اليوم آوينا بها الى ربوة ذات قرار وكم كان بها مطرب طير خرج بعدما كان يطرب على عود وطار وأضحت أوقات الربوة بعد ذلك العيش الخضل واليسر عسيرة ولقد كان أهلها فى ظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة (ومن ذلك) ما أنشأته قديما فى توقيع لمولانا قاضى القضاة علاء الدين عالم المسلمين أبى الحسن على الحنبلى جمل الله الوجود بوجوده بنظر البيمارستان النورى بحماة المحروسة والذى أوردته فى التوقيع من الاقتباسات البديعة قولى وصفت مشارب الصفاء بعد الكدر وسقاهم ربهم شرابا طهورا وتلا من سعى لهم فى ذلك وجزى بالخيرات ان هذا كان لكم جزاء وكان سعيكم مشكورا ودار شراب العافية على اهل تلك الحضرة بالطاس والكاس وحصل لهم البرء من تلك البرانى التى يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس وتمشت الصحة فى مفاصل ضعفائهم وقيل لهم جوزيتم بما صبرتم وامتدت مقاصيرهم وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم (ومن ذلك) ما اقتبسته فى ديباجة عهد مولانا أمير المؤمنين المعتضد بالله زاده الله شرفا وتعظيما وهو الحمد لله الذى شد عضد هذه الامة بمن أمسى به معتضدا واسعفنا من البيت النبوى بخليفة ما برح شيخ الملوك فى تقديم بيته الشريف مجتهدا وأقام العلم العباسى بعد ابى مسلم بابى النصر فاكرم بحسن الختام وحسن الابتدا ونشكر رحده على سلطان مؤيد أتحف به العلماء الاعلام وظهر بجلالهم فى ايامه الزاهرة بهجة فقال هذا زمان مشايخ الاسلام نحمده على حكمته التى اقتضت ان تكون الخلافة عمدة الاحكام يزول بها الالتباس وهو القائل تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض فاحكم بين الناس (ومن ذلك) ما اقتبسته فى عهد مولانا السلطان الملك الظاهر ططر بقولى منه فان البغاة بغت لاحتجاب السلطنة عنه سدا أسسته على الطغيان فقيل لاهل البيعة قد فتح الله لابى الفتح فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان (ومن ذلك) ما اقتبسته فى مثال شريف مؤيدى كان جوابا لقرا يوسف ونبدى لعلمه الشريف ورود البشير بالقرب اليوسفى وقد حصل بالاسماع قبل رؤيته تشنف وهبت نسمات قبوله فاطفأت ما فى القلوب من التلهف وضاع نشرها اليوسفى فقال شوقنا اليعقوبى انى لاجد ريح يوسف وهذه الفئة خولتنا فى نعم الله وزمام الاخوة منقادا الينا وقد تعين على المقرآن يقول أنا يوسف وهذا أخى قد من الله علينا (واتفق لى) فى تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى اقتباسات بديعة (منها) وكم قال هذا المنصب رب قد اضعفنى اليتم وصار الباطل قويا فهب لى من لدنك وليا (ومنها) واعاذنا الله من ولاية قوم يسمعون بينة الحق واذا اجتمعوا على الرشوات تفرقوا واختلفوا من بعدما جاءهم البينات (ومن ذلك) ما كتبته على ديوان المقر البارعى الكاملى الاديبى العمادى اسمعيل بن الصائغ الحلبى احد أعيان كتاب الانشاء الشريف الذى عارض به ديوان الصبابة للشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة رحمه الله وهو وقفت على هذا الكتاب الذى رفع عماد الادب فى هذا الجيل وشرعت فى ذكر محاسنه فقال لسان

انجب ايام والداه به
اذ نجلاه فنعم ما نجلا
شهاب ذكاء وبدر علاء
وبجداه ابن حجلا
ايض يدعوا بنجلى
كمثله اولى فلا
اذا الندى احتفلا

(وله الى أبى المظفر فى شأن أبيه أبى الحسن البغوى)

بلغنى ان أباه دائم العبث
بلحيى والتنقل يشتفى
وانه حسن البصيرة فى بغضى
كثير التناول من عرضى
وايم الله ان دم الصديق
لا يشرب على الريق ولحم
الوريد لا يصلح للقديد
والولى لا يقلى ولا يتخذ له
نقلا بالقدح وعى املائنا
بالجرح او يقصر عنه
ويتداركه وهذه نعلم أن
من أملى من مقامات الكدية
اربعمائة مقامة لا مناسبة
بين المقامتين لفظا ولا معنى
وهو لا يقدر منها على عشر
حقيق الانهاج لكشف
عيوبه والسلام

القلم واذكر في الكتاب اسمعيل (ومنه) واما ابن حجة فقد ذهب الى الوقفة على عرفات هذا الفضل المعروف والامتثال هنا واجب ولكن الكف صفر والطريق مخوف هذا وقد ذوت من حدائق فكري زهرة الشباب واختفي لساني كما قال ابن نباتة واغلق عليه من شفتيه مصراعي باب وخمد جمر القريحة وجمد ذلك الذهن السيال ونأى عن خدي كافور الطروس وعنبر المداد وصواب المقال ولكن هبت على نسمات الشبيبة من دوحة هذا المصنف الجليل فقلت وقد شبت نار القريحة وأملت على هذا الوصف الجميل الحمد لله الذي وهب لي على الكبر اسمعيل وهذا القدر الذي أوردته كاف هنا في الاقتباس من القرآن فاني اخشى باب الملالة ولكن عن لي ان أفرد كتابا واسميه رفع الالتباس عن بديع الاقتباس وقد تقدم وتقرر أيضا انه ان جاء في المنظوم فهو عقد وتضمين وان كان في المنثور فهو اقتباس وقد أوسع بعض علماء هذا الفن المجال في ذلك فذكر ان الاقتباس يكون في مسائل الفقه وقال بعضهم اذا قلنا بذلك فلا معنى للاقتصار على مسائل الفقه بل يكون في غيره من العلوم وعلى هذا التقدير تعين ان نورد هنا ما وقع من الاقتباس في الحديث النبوي وبقية العلوم بحيث لا يخلو هذا الشرح الغريب من الغرائب فان الظاهر من كلامهم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث فما وقع من الحديث النبوي قول الصاحب بن عباد

اقول وقد رأيت له سحابا * من الهجران مقبلة الينا
وقد سحت غواديها بهطل * حوالينا الصدود ولا علينا

الصاحب اقتبس من قوله عليه الصلاة والسلام حين استسقى وحصل نزول مطر عظيم اللهم حوالينا ولا علينا (ومنه) قول أبي الحسن علي بن المفرج المنجم لما احترقت دار الوجيه بن صورة بمصر

أقول وقد عاينت دار ابن صورة * وللنار فيها مارج يتضرم
كذا كل مال أصله من نهاوش * فعما قليل في نهابر يعدم
وما هو الا كافر طال عمره * فجاءته لما استبطأته جهنم

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم من أصاب مالا من نهاوش اهلكه الله في نهابر النهاوش بالنون المظالم والنهابر المهالك الواحد نهبور (ومنه) قول شمس الدين محمد بن عبد الكريم الموصلي

ومنكر قتل شهيد الهوى * ووجهه ينبئ عن حاله
اللون لون الدم من خده * والريح ريح المسك من خاله

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم في وصف دم الشهيد اللون لون الدم والريح ريح المسك ومن اقتباسات الحديث في النثر قول الحريري في المقامات انما الاعمال بالنيات وبها انعقاد العقود الدينيات ومنه قوله شاهت الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه

اقتبس

(وله الى بعض اخوانه في شأن أبي الحسن المحتسب)

بلغني اطال الله بقاءه أن فاضلا يكنى أبا الحسن معدودا في نزل الكتاب وفرج أهل الفضل والآداب انتدب للآفاق وبيني وبينه مهامه فيح وما شككت انا اذا وردنا نيسابور استقبلنا مراحل بفضائله وتلقانا فراسخ بمسائله وقد وردناها فلا ارض استقبال قطع ولا قوس نضال نزع ولا باب سؤال قرع وما زلنا ننتظر نشاطه لما اسلف حتى اخلف ونصرته لما بذل حتى خذل واهتزازه لما اقدم حتى احجم وقيامه لما وعد حتى قعد ووفاءه فيما قال حتى استقال واقدامه على ما نذر حتى اعتذر فهو ابده الله وان لم يستقل بلسان قوله فقد استقال بلسان فعله ولم يعتذر بظاهر أمره فقد

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم يوم حنين وقد رمى الكفار بكف من الحصى شاهت الوجوه ويعجبني من المنظوم هنا قول الشيخ شهاب الدين أبي جعفر بن مالك الاندلسي الغرناطي

لاتعاد الناس في أوطانهم * قلما يرعى غريب في الوطن
واذا ماشئت عيشا بينهم * خالق الناس بخلق ذي حسن

اقتبس من قوله صلى الله عليه وسلم لابي ذر اتق الله حيثما كنت وأتبع السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وهذا الحديث حديث صحيح ومن الاقتباس في مسائل الفقه في المنظوم قول بعضهم

اقول لشادن في الحسن اضحى * يصيد بلحظه قلب الكمي
ملكت الحسن اجمع في نصاب * فاذ زكاة منظرك البهي
فقال ابو حنيفة لي امام * يرى ان لازكاة على الصبي
وان تك مالكي الرأي أومن * يرى رأي الامام الشافعي
فلاتك طالبا مني زكاة * فاخراج الزكاة على الولي

ومثله قول ابي العلاء احمد بن سليمان المعري

ايا جارة البيت الممنع جاره * غدوت ومن لي عندكم بمقيل
لغيري زكاة من جمال فان تكن * زكاة جمال فاذكري ابن سبيل

ومما ينسب الى الامام الشافعي رحمه الله

خذوا بدمي هذا الغزال فانه * رماني بسهمي مقلتيه على عمد
ولا تقتلوه انني انا عبده * وفي مذهبي لا يقتل الحر بالعبد

ومنه قول القاضي عبد الوهاب المالكي

يزرع وردا ناضرا ناظري * في وجنة كالقمر الطالع
فلم حرمتم شفتي قطفها * والحكم ان الزرع للزارع

وله ايضا

ونائمة قبلتها فتنبهت * وقالت تعالوا فاطلبوا اللص بالحد
فقلت لها اني فديتك غاصب * وما حكموا في غاصب بسوى الرد

ومنه قول أبي الطيب المتنبي

بليت بلى الاطلال ان لم أقف بها * وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه
قفي تغرمي الاولى من اللحظ مهجتي * بثانية والمتلف الشئ غارمه

المعنى ان النظرة الاولى اتلفت مهجتي فلزم غرمها بنظرة ثانية لانه من أتلف شيأ حكم عليه

اعتذر في باطن سره ولا اعلم ما الذي نهاه كما لا اعلم ما الذي أغراه وما اعرف السبب في نشوزه كما لا اعرفه في بروزه ولعل العلة في عذره الآن كالعلة في نذره كان ومن طاب لغير ارب هرب لغير سبب ومن شهر سيفه قبل الحرب اغمده قبل الضرب ومن حارب لغير احنة صالح بغير هدنة وما احسن البناء على القاعدة واقبح الصلف تحت الراعدة ورحم الله الجاحظ فقط ضرب حالي مع هذا الفاضل في قالب قصة طريفة وحكاها في معرض اعجوبة لطيفة وذكر في كتاب طبائع الحيوان ان فأرين خرجا من نقبين فتوعد كل منهما صاحبه وجعل يهز رأسه ويرفع صدره ويخبط أرضه ويحرق نابه ثم هرب كل من صاحبه من

بغرمه ولكن فى التركيب قلق وعقادة (ومنه) قول شمس الدين محمد بن جابر الاندلسى رحمه الله تعالى

طلبت زكاة الحسن منها لجاوبت * اليك فهذا ليس تدركه مثلى
على دون العيون فلا ترم * زكاة فان الدين يسقطها عنى

ومنه قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل

يا سيدى ان جرى من مدمعى ودمى * للعين والقلب مسفوح ومسفوك
لا تخش من قود يقتص منك به * فالعين جارية والقلب مملوك

ومن الاقتباسات فى علم المنطق قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمسانى

للمنطقيين اشتكى أبدا * عين رقيب فليته هجعا
صادرها من أحبه فأبى * ان نختلى ساعة ونجتمعا
كيف غدت دائما وما انفصلت * مانعة الجمع والخلو معا

وهذه الابيات فى غاية الحسن ولكن اورد بعضهم ايرادا وقال ظاهر كلامه التعجب من هذه القضية والمراد فى مثل هذا ان يتعجب مما خرج عن القواعد وهذه القضية موجودة مستعملة وذلك قولهم العدد اما زوج واما فرد فهذه القضيه مانعة الجمع فان الزوجية والفردية لا يجتمعان ومانعة الخلو فان العدد لا يخلو من أحدهما فلا معنى للتعجب ومنه قول بعضهم

مقدمات الرقيب كيف غدت * عند لقاء الحبيب متصله
تمنعنا الجمع والخلو معا * وانما ذاك حكم منفصله

هذا تعجب مما يسوغ التعجب منه لان منع الجمع لا يكون فى المتصلة وانما هو فى حكم المنفصلة وأما الاقتباس فى علم الجدل فمنه قول شمس الدين بن العفيف

وما بال برهان العذار مسلما * ويلزمه دور وفيه تسلسل
وعندى ان الشمس بالصحو آذنت * وسكرى أرى من مقلتيه يقبل

وأما الاقتباس من علم النحو فقد اتسع مجالهم فيه حتى غلب على غالبهم التوجيه فمنه قول أبى الطيب

حولى بكل مكان منهم خلق * تخطى اذا جئت فى استفهامها بمن

أبو الطيب يقول اذا استفهمت عن مثل هؤلاء الاقوام لا تستفهم عن لان من لمن يعقل وهؤلاء عندى بمنزلة ما لا يعقل فحقهم ان يستفهم عنهم بما ومنه قوله

اذا كان ما ينويه فعلا مضارعا * مضى قبل ان تلقى عليه الجوازم

يقول اذا هم بفعل اوقعه قبل ان يمنع وينهى عنه ويقال له لا تفعل او ينفى فيقال لم يفعل ومنه قول ابن عنين فى معزول

دون اللقاء فآوى الى بحره وقد كان عجب من رآهما فى ذلك الفرار عقيب ذلك الضرار وذلك الهرب تلو هذا الطلب وتلك الشماسة بعد هذه الحماسه ولو شاهد هذا النفار انسى القار وما الوم هذا الفاضل على بساط شرطواه وموقد حرب اجتواه لكنى ألومه على ما نواه ثم لم يبلغ هواه واراده ثم لم يورناده ورامه ثم لم يبلغ مرامه فاقول قد ضرب فأين الايجاع وانذر فأين الايقاع وهذى بوارقه فاين صواعقه وذا التوعيده فاين عديده وتلك بنوده فأين جنوده وهذى معاهده فأين عهوده وما أهول رعده لو أمطر بعده ولا كفران فلعله اشفق على غريب ان يظهر

فلا تغضبن اذا ما صرفت * فلا عدل فيك ولا معرفه

ومنه قول ابن أبي الاصبع في ذلك

أيا قمرا من حسن وجنته لنا * وظل عذاريه الضحى والاصائل

جعلتك للتمييز نصبا لناظرى * فهلا رفعت الهجر فالهجر فاعل

قلت ومن أغرب ما وقع في هذا الباب أن شرف الدين محمد بن عنين مرض فكتب الى الملك المعظم هذين البيتين

انظر الى بعين مولى لم يزل * يولى الندى وتلاف قبل تلاف

انا كالذى أحتاج ما يحتاجه * فاغنم ثنائى والدعاء الوافى

فجاءه الملك المعظم يعوده ومعه ألف دينار وقال له أنت الذى وانا العائد وهذه الصلة ومنه قول البهاء زهير

يا القامن قد أقبلت * بالله كونى الف الوصل

ومنه قول الامير امين الدين على السليمانى

أضيف الدجا معنى الى لون شعره * فطال ولولا ذاك ما خص بالجر

وحاجبه نون الوقاية ما وقت * على شرطها فعل الجفون من الكسر

ومنه قول شمس الدين بن العفيف

يا ساكنا قلبى المعنى * وليس فيه سواه ثانى

لأى معنى كسرت قلبى * وما التقى فيه ساكنان

أما البيتان فانهما فى غاية اللطف ولكن أوردوا عليهما أيضا ايرادا حسنا وهو أن الساكنين اذا اجتمعا كسر أحدهما وهو الاول وكلامه فى البيتين أن المكسور غير الاثنين ومنه قول ابن الوردى

شاعر أخرج نصفا زغلا * عند خباز فلما أن عرف

قال لم تصرف هذا قال مه * يصرف الشاعر ما لا ينصرف

قلت قد أتيت فى معنى هذه النكتة بما هو أبدع من بيت زين الدين بن الوردى وما ذاك الا ان مولانا المقر الاشرف القاضوى الناصرى محمد بن البارزى الجهنى الشافعى صاحب دواوين الانشاء الشريف رحمه الله أحالنى على شهاب الدين الذهبى بخمسين دينارا ومطل بها مدة فكتبت اليه

قد منعتم صرف الدنانير عنى * ولكم فى الورى هبات كثيره

وانا شاعر وفى شرع نظمى * صرفها جائز لاجل الضروره

ويعجبنى فى هذا الباب الى الغاية قول الشيخ زين الدين بن الوردى رحمه الله تعالى

وأغيد يسألنى * ما المبتدا والخبر

مثلهما لى مسرعا * فقلت أنت القمر

وحكى أنه كان بالعراق غلامان أحدهما اسمه عمر والآخر أحمد فعزل عمر عن عمله وولى احمد مكانه بسبب مال وزنه فقال بعض الشعراء فى ذلك

أيا عمر استعد لغير هذا * فأحمد فى الولاية مطمئن

عواره وان طار طواره فأمسك عن معاياته وان قصد هذا القصد فقد أساء الى نفسه من حيث أحسن الى وأجحف بفضله من حيث أبقى على وأوهم الناس أنه هاب البحر أن يخوضه والاسد أن يروضه والحية أن تطوقه والسم أن يذوقه وظننت غير المظنون بفضله بعد أن شربت بكاس الغم من أجله وهجرت الوساد من خوفه وبينا أنشد

ان جنبى عن الفراش لناب

حتى أنشدت

طاب ليلى وطاب فيه شرابى

وبينا أقول

ما للقلب كأنه ليس منى

حتى قلت

أين من كان قاعدا ايانى

ومن وقع بما لم يكتسب شجا من حيث لم يحتسبه وما أحسن منارا فى هذا الفاضل أن وجد خلف العافية فامتراه وظهر السلامة فامتطاه ومن أبى

٢ قوله فى الهامش أين من كان قاعدا ايانى لعله أين من كان قائلا إنا أعنى

وكل منكما كفه كريم * ومنع الصرف فيه كاينطق
فيصدق فيك معرفة وعدل * وأجد فيه معرفة ووزن

ومنه قول الفاضل

لي عند كم دين ولكن هل له * من طالب وفؤادي المرهون
فكأنني ألف ولام في الهوى * وكأن موعد وصالك التنوين

ويعجبني في الاقتباس من علم العروض قول القائل

وبقلبي من الجفاء مديد * وبسيط ووافر وطويل
لم أكن عالما بذلك الى أن * قطع القلب بالفراق الخليل

وهذا القدر كاف في الاقتباس من القرآن والحديث النبوي ومسائل الفقه والمنطق وعلم العربية والعروض وغيره وقد تقدم ان الاقتباس مقصور على القرآن والحديث في النثر وأما في النظم فهو عبارة عن عقد وتضمين ونظام البديعيات لم يقتبسوا من غير القرآن * وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

هذي عصاي التي فيها مآرب لي * وقد أهش بها طورا على غنمي

وبيت العميان

ذو مرة فاستوى حتى دنا فرأى * وقيل سل تعطه قد خيرت فاحتكم

وبيت الشيخ عز الدين

فأصبحوا لا ترى الا مساكنهم * ولا اقتباس يرى من هذه الامم

وبيت بديعيتي قولي

وقلت يا ليت قومي يعلمون بما * قد نلت كي يحظوني باقتباسهم

(ذكر السهولة)

يارب سهل طريقي في زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

السهولة ذكرها التيفاشي مضافة الى باب الطلاقة وشركها قوم بالانسجام وذكرها ابن سنان الخفاجي في كتاب سر الفصاحة فقال في مجمل كلامه هو خلوص اللفظ من التكلف والتعقيد والتعسف في السبك وقال التيفاشي السهولة أن يأتي الشاعر بألفاظ سهلة تتميز على ما سواها عند من له أدنى ذوق من أهل الادب وهي تدل على رقة الحاشية وحسن الطبع وسلامة الروية ومن ألطف الامثلة قول الشاعر

أليس وعدتني ياقلب أني * اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها أنا تائب عن حب ليلى * فمالك كلما ذكرت تذوب

ومنه قول أبي العتاهية

اتته الخلافة منقادة * اليه تجرر أذيالها
فلم تك تصلح الا له * ولم يك يصلح الا لها

ومذهبي أن البهاء زهيرا قاعد عنان هذا النوع وفارس ميدانه فمن ذلك قوله

ومدام من رضاب * بحباب من ثنايا

الايام قبل الليالي ومن عصى الزجاج أطاع العوالي ومن لم يشرب كأس السلامة هنيأ سقي سجل الندامة رويا ولن يعدم طالب الملامة عبوسا ولا خاطب الندامة عروسا ولئن أساء بدأ لقد أحسن عودا ولئن أوعد قولا لقد أمن فعلا وبقي أن ينظم على النضال ولا يندم على الافضال فيأتينا من باب المعاشرة ان لم يأتنا من المكاشرة وينشر لنا في الوداد ان لم يطونا في باب الجهاد اللهم الا أن يكون بقي في صدره غرض أو في قلبه مرض ولا يجد من امتحاننا بدا فحينئذ نسأله أن يستر علينا ما يظهر له وليت شعري بم أراد امتحاني ورام امتهاني فليفطن اني غفلت عما فطن واسترحت مما تعب

(وله ايضا)

اللون أعدل شاهد والتعين

(السهولة)

كان ما كان ومنه * بعد فى النفس بقايا

ومثله قوله

ان أمرى لعجيب * ما يرى أعجب منه
كل أرض لى فيها * غائب أسأل عنه

ومثله قوله

شوقى اليك شديد * كما علمت وازيد
وكيف تنكر شيأ * به ضميرك يشهد

ومثله قوله

أوحشتنى والله يا مالكى * قطعت يومى كله لم أرك
هذا جفا منك ما اعتدته * فليتنى أعرف من غيرك

ومثله قوله

سيدى قلبى عندك * سيدى أوحشت عبدك
اترى تذكر عهدى * مثل ما اذكر عهدك
اترى تحفظ ودى * مثل ما احفظ ودك
قم بنا ان شئت عندى * مسرعا أوشئت عندك
انا فى دارى وحدى * فتفضل انت وحدك

ومنه قوله

هذا كتاب محب * قد زادفيك غرامه
أضناه فرط اشتياق * فرق حتى كلامه
اما ترى كيف اضحى * مثل النسيم سلامه

ومنه قوله

كأنى والمدام فى فمه * قد نفحت من حباب مبسمه
وماس كالغصن فى تمايله * سكران يشتط فى تحكمه
بالله يا برق هل تحدثه * عن نار وجدى وعن تضرمه
وهل نسيم سرى يبلغه * رسالة من فمى الى فمه
عجبت من بخله على وما * يذكره الناس من تكرمه
هم علوه فصار يهجرنى * رب خذ الحق من معلمه

وقال ويكاد يسيل رقة وسهولة وهو

كتبت اليك اشكو فى كتابى * اموراً من فراقك أشتكيها
وفى سوق الهوان عرضت نفسى * رخيصاً لم اجد من يشتريها
فهل وعد الى سنة فانلم * يكن فيها يكن فيما يليها
وقد أنهيت من شوقى فصولا * لمولانا علو الرأى فيها

ومثله فى الرقة والسهولة قوله

أعرف ناقد فليتمثل فى اللون وشحوبه والقلب وخفوقه والجسم ونحوله والاجفان ودرها والانفاس وحرها والافكار وغوصها فوالله لقد تحملت وجداً لو لاقى الصخر لجابه أو الحديد أذابه أو الطفل أشابه أو الكوثر لشابه أو الموت اهابه والسلام

(وله ايضا)

لا والله لا أطأ العشر قبعدها ولا أريد كرامة لا تحتمل غرامة ولا أقبل محبة لا تساوى حبة والسلام

(وله أيضا)

الانسان يولد على الفطرة من طرفه استطرفه ومن لحمه استطلمه حين لا يسوى قرطبانا حتى يشقى زمانا فاذا تعب دهراً طويلا بسى

ملكتمونى رخيصا * فاشحط قدرى لديكم
فاغلق الله بابا * دخلت منه اليكم
حتى ولا كيف انتم * ولا السلام عليكم

وألطف منه قوله

انا أدرى بأنى * قل قسمى لديكم
فالى كم تطلعى * والتفاتى اليكم
كان ما كان بيننا * وسلام عليكم

والطف منه قوله

اما تقـــررأنا * فلم تأخرت عنا
وما الذى كان حتى * حلت ما قد عقدنا
ولم يكن لك عذر * ولو يكون علمنا
فلا تلمنا فانا * قلنا وقلنا وقلنا

ومنه قوله

قال ما ترجع عنى قلت لا * قال ما تطلب منى قلت شى
فانثنى يحمر منى خجلا * وثناه التيه عنى لا الى
كدت بين الناس أن الثمه * آه لو أفعل ما كان على

ومنه قوله

قالوا كبرت عن الصبا * وقطعت تلك الناحيه
فدع الصبا لرجاله * واخلع ثياب العاريه
ونعم كبرت وانما * تلك الشمائل باقيه
ويميل نحو الصبا * قلب رقيق الحاشيه
فيه من الطرب القديـ * ـم بقية فى الزاويه

وقال وزنا وقافية وسال برقته

من لى بقلب أشتريـ * ـه من القلوب القاسيه
والبسك يا ملك الملا * ح وقت اشكو حاليه
انى لأطلب حاجة * ليست عليك بخافيه
انعم على بقبلة * هبة وإلا عاريه
واعيدها لك لا عدمـ * ـت بعينها وكما هيه
واذا اردت زيادة * خذها ونفسى راضيه

ومنه قوله

ان شكا القلب هجركم * مهد الحب عذركم
لو أمرتم بما عسى * ما تعديت امركم
قصروا عمر ذا الجفا * طول الله عمركم

كشفا لا نقيلا والضب اذا شب كان بالخيار ان شاء سمى لحم الحوار أو كفى أبا الجار أو لقب برد اللباب أوشبه بالجدار أو أطلال الدار وان شاء سمى برقعة الاحباب أو زينة الاتراب أو تمرة الغراب أو دمية المحراب او نوحة الاياب وعلى الام ان تلد البنين وتغذوهم سنين وتقيهم الماء والنار وتكنهم الليل والنهار فان خرجوا خبائث فقد قضت ما عليها من الحديث وان قرم السرم فلغيرها الجرم وان حل الشرج فى الاير الفرج وعلى ابنها الحرج أما الام فى العراء وان رغمت أنوف الشعراء وما جلت من امرئ فى ضلوعها أعق من الجانى عليه لسانيا

شرفوني بزورة * شرف الله قدركم
كنت أرجو بأنكم * شهركم لي ودهركم
قد نسيتم وانما * آلام آنس ذكركم
لو رأيتم محلكم * من فؤادي لسركم
لو وصلتم محبكم * ما الذي كان ضركم

ومن المرقص في هذا الباب قوله

تعيش أنت وتبقى * أنا الذي مت عشقا
حاشاك يا نور عيني * تلقى الذي أنا ألقى
ولم أجد بين موتي * وبين هجرك فرقا
يا أنعم الناس بالا * الى متى فيك أشقى
سمعت عنك حديثا * يارب لا كان صدقا
وما عهدتك الا * من اكرم الناس خلقا
لك الحياة فاني * أموت لاشك حقا
يا ألف مولاي مهلا * يا ألف مولاي رفقا
قد كان ما كان مني * والله خير وأبقى

وبيت الشيخ صفي الدين في السهولة قوله

وقلت هذا قبول جاءني سلفا * ما ناله أحد قبلي من الامم

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم ولا وجدته في بديعية الشيخ عز الدين الموصلي الا أن يكون في نسخة غير التي نقلت منها وعلى كل تقدير فالشيخ عز الدين قدم العقادة في بيته على السهولة وبيت بديعتي

يارب سهل طريقي في زيارته * من قبل أن تعتريني شدة الهرم

(وقلت بعده في حسن البيان)

(حتى يشبهبي في محاسنه * حسن البيان وأشدو في مجازهم)

حسن البيان قالوا هو عبارة عن الابانة عما في النفس بعبارة بليغة بعيدة عن اللبس اذ المراد منه اخراج المعنى الى الصورة الواضحة وايصاله الى فهم المخاطب باسهل الطرق وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الايجاز وطورا من طريق الاطناب بحسب ما يقتضيه الحال وهذا بعينه هو البلاغة وحقيقتها * وفي البيان الاقبح والاوسط والاحسن * فالاقبح كبيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبي في يده فأراد أن يقول أحد عشر فأدركه العي حتى فرق أصابعه وأدلع لسانه فأفلت الظبي ومن هنا يعلم أنه ليس كل ايجاز بلاغة ولا كل اطالة عيا فانه لا ايجاز في الافهام أوجز من بيان باقل لان المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة وقد ضرب به المثل بالعي في بيانه وكان الاحسن أن يقول احد عشر * والاوسط أن يقول ستة وخمسة أو عشرة وواحد والنوع المبين في هذا الباب بيان القرآن الكريم كقوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم كم تركوا من جنات وعيون وزروع ومقام كريم ونعمة كانوا فيها فاكهين وكقوله سبحانه وتعالى وقد أراد أن يبين عن الوعد ان المتقين في مقام أمين وكقوله

وقد بلغني عن فلان ما كاد يوحش وسوء الاستمساك خير من حسن الصرعة والسلام

(وله الى ابن أخته)

أنت ولدي ما دمت والعلم شانك والمدرسة مكانك والمحبرة حليفك والدفتر اليفك فان قصرت ولا اخالك فغيري خالك والسلام

(وله أيضا الى وارث مال)

وصلت رقعتك يا سيدي والمصاب لعمر الله كبير وأنت بالجزع جدير ولكنك بالصبر اجدر والعزاء عن الاعزة رشد كأنه الغي وقد مات الميت فليحيى الحي فاشدد على مالك بالخمس فانت اليوم غيرك بالامس قد كان ذلك الشيخ رحمه الله وكيلك تضحك ويبكي لك وقد مولك بمالك بين سراه وسيره وخلدك فقيرا الى الله غنيا

حسن البيان

سبحانه وقد أراد ان يبين عن الوعيد ان يوم الفصل ميقاتهم أجمعين وكقوله تعالى فى الاحتجاج القاطع للخصم وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم قل يحييها الذى انشاها أول مرة وهو بكل خلق عليم وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن العدل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وامثال هذا الباب كثيرة لمن يتتبعها فى القرآن ومما جاء من ذلك فى الشعر قول أبى العتاهية

يضطرب الخوف والرجاء اذا * حرك موسى القضيب او فكرا

وكقول الآخر

له لحظات فى خفايا سريرة * اذا كرها فيها عتاب ونائل

فان هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة بعد الله سبحانه وتعالى فاذا نظر أحدهما نظرة أو حرك القضيب مرة أو اطرق مفكرا اضطرب الخوف والرجاء فى قلوب الناس فابانا عن هذه المعانى باحسن ابانة وبيت الشيخ صفى الدين رحمه الله تعالى

وعدتنى فى منامى ما وثقت به * مع التقاضى بمدح فيك منتظم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين قوله

حسن البيان بحمد الله بين لى * هدى النبى الرضى الواضح اللقم

وبيت بديعيتى قلت قبله فى السهولة

يا رب سهل طريقى فى زيارته * من قبل ان تعتريني شدة الهرم

وقلت بعده فى حسن البيان

حتى يبث بديعى فى محاسنه * حسن البيان وأشدو فى حجازهم

(وقلت بعده فى الادماج)

قد عز ادماج شوقى والدموع لها * على بهار خدودى صبغة العنم

هذا النوع أعنى الادماج هو ان يدمج المتكلم غرضا له فى ضمن معنى قد نحاه من جملة المعانى ليوهم السامع انه لم يقصده وانما عرض فى كلامه لتتمة معناه الذى قصده كقول عبد الله بن عبد الله لعبيد الله بن سليمان بن وهب حين وزر للمعتضد وكان ابن عبد الله قد اختلت حاله فكتب لابن سليمان

أبى دهرنا اسعافنا فى نفوسنا * واسعفنا فى من نحب ونكرم

فقلت له نعماك فيهم أتمها * ودع امرنا ان المهم المقدم

فادمج شكوى الزمان وشرح ما هو عليه من الاختلال فى ضمن التهنئة وتلطف فى التلويح ورقق التحيل لبلوغ الغرض مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال لا جرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله ومن لطيف الادماج قول ابن نباتة السعدى

ولا بد لى من جهلة فى وصاله * فهل من حليم أودع الحلم عنده

ابن نباتة ادمج الفخر فى الغزل فانه جعل حلمه لا يفارقه البتة ولا يرغب عنه بنفسه جملة وانما عزم على ان يودعه اذ كان لا بد له من وصل هذا المحبوب لان الوداع استعاد ثم استفهم عن

عن غيره وسيجعم الشيطان عودك فان استلانه رمال بقوم يقولون خير المال ما أتلف بين الشراب والشباب وأنفق بين الحباب والاحباب والعيش بين الانداح والقداح ولولا الاستعمال لما أريد المال فان أطعتهم فاليوم فى الشراب وغدا فى الخراب واليوم واطربا للكاس وغدا واحربا من الافلاس يا مولاى ذلك الخارج من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك المسموع من الناى هو اليوم فى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعة والقنطار فى هذا العمل بضاعه وان لم يجد الشيطان مغمزا فى عودك من هذا الوجه رماك بآخرين يمثلون الفقر حذاء عينك فتجاهد قلبك وتحاسب بطنك وتناقش غبنك وتمنع نفسك وتبوء فى دنياك بوزرك وتراه

الادماج

الخل الصالح الذي يصلح لهذه الوداعة استفهاما انكاريا فيكون مفهوم الخطاب قد احله لعدم من يصلح للوداعة ثم أدمج في ضمن الفخر الذي أدمجه في الغزل شكوى الزمان لقلة الاخوان بحيث انه لم يبق منهم من يصلح لهذا الشان ومنه قول ابن المعتز في وصف الخيري

قد نفض العاشقون ما صنع الدهر بالوانهم على ورقه

قصد وصف الخيري بالصفرة وأدمج فيه وصف ألوان العشاق وبيت الحلي في الادماج قوله

لصدق قولك لو حب امرء حجرا * لكان في الحشر عن مثواه لم يرم

هذا البيت فيه ادماج سؤاله حسن الحشر في زمرة النبي صلى الله عليه وسلم في طي تصديقه الحديث المأثور عنه وبيت العميان

لهم أحاديث مجد كالرياض اذا * أهدت نواسم أحيت دارس السلم

قال الشيخ أبو جعفر الشارح ان الناظم جعل لهم اولا احاديث مجد طيبة وأدمج في ذلك وصف الرياض و بيت الشيخ عز الدين الموصلي

ادمجت شكواي من ذنبي بمدحته * عسى تشفع لي يا شافع الامم

الشيخ عز الدين ذكر انه أدمج الشكوى من ذنبه لكن نوع الادماج البديعي لا أعلم أين أدمجه والله أعلم وبيت بديعيتي

وقد عزا دماج شوقي والدموع لها * على بهار خدودي صبغة العنم

هذا البيت أبدع من بيت ابن المعتز وفيه زيادة وادماج آخر فان ابن المعتز غاية قصده وصف الخيري بالصفرة وأدمج فيه ألوان العشاق وأنا قصدت شرح الحال في غرة ادماج الشوق بواسطة جريان الدمع وأدمجت في ذلك صفرة اللون وحمرة الدموع هذا ومحاسن التورية بتسمية النوع غير خافية على أهل الانصاف من حذاق الادب والله اعلم

(ذكر الاحتراس)

فان اقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

الاحتراس هو ان يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دخل فيفطن له فيأتي بما يخلصه من ذلك ومثاله في كتاب الله عز وجل اسلك يدك في جيبك تخرج بيضاء من غير سوء فاحترس بقوله سبحانه وتعالى من غير سوء عن امكان ان تدخل في البرص والبهق وغير ذلك ومثال ذلك في الشعر قول طرفة

فسقى ديارك غير مفسدها * صوب الغمام وديمة تهمي

فقوله غير مفسدها احتراس من مقابله وهو محوه معالمها والفرق بين الاحتراس والتتميم والتكميل ان المعنى قبل التكميل صحيح تام ثم يأتي التكميل بزيادة تكمل حسنه اما بفن زائد او معنى والتتميم يأتي لتتميم نقص المعنى ونقص الوزن معا والاحتراس انما هو لدخل يتطرق الى المعنى وان كان تاما كاملا ووزن الشعر صحيحا وبيت الشيخ صفي الدين الحلي في بديعيته قوله

فوفني غير مأمور وعودك لي * فليس رؤياك اضغاثا من الحلم

احتراس الشيخ صفي الدين في قوله غير مأمور وفات لفظة وفني في البيت فعل أمر ومرتبة

قوله الدهر في نسخة الهجر

قوله أحيت الخ في نسخة

تحمي بالي الرحم في الآخرة في ميزان غيرك لا ولكن قصدا بين الطريقين وسلا عن الفريقين لا منع ولا اسراف والبخل افقر حاضر وصبر عاجل وانما يبخل المرء خيفة ما هو فيه فليكن لله في مالك قسط وللمروأة قسم فصل الرحم ما استطعت وقدر اذا قطعت فلان تكون في جانب التقدير خير لك من أن تكون في جانب التبذير

(وله أيضا الى ابي الحسن البيهقي)

حزني وانا حصير يد الفضل طويلة ولسان الشكر قصير اما بالله وبهذا العلاج يأتي بيهق وهدايا هما والشيخ الفاضل وبيته وما احسن هذه العادة واحسن منها الاعادة والبر في كل فصل جديد والفطام كما علمت شديد وابتداء الفضل سهل والشان في ترتيبه والاقط مطبوخا طيب والباذنجان نضيجا اقرب ونحن الى الدعوة احوج والصديق

الآمر فوق مرتبة المأمور فاحترس بقوله غير مأمور والعميان ما نظموا هذا النوع وبيت الشيخ عز الدين

حمى له تمشي في المفاصل قل * بالاحتراس تمشي البرء في السقم

قلت الشيخ صفي الدين احترس في بيته بقوله غير مأمور واحتراس الشيخ عز الدين بعزت عن تحقيقه بل عن تحقيق معناه فان هذا البيت مأخوذ من قول أبي نواس في وصف الخمرة

فتمشت في مفاصلهم * كتمشي البرء في السقم

وبيت بديعيتي

فان أقف غير مطرود بحجرته * لم أحترس بعدها من كيد مختصم

فقولي غير مطرود هو الاحتراس الذي يليق بمقام المادح بالنسبة الى مقام النبي صلى الله عليه وسلم والتورية باسم النوع في قولي لم أحترس بعدها محاسنها تورى والتكميل بقولي من كيد مختصم هو الذي زاد محاسنها بهجة وكمالا

(وقلت في براعة الطلب)

(وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم اصرح فلم أحتج الى الكلم)

هذا النوع من مستخرجات الشيخ عز الدين الزنجاني في كتاب المعيار وهو أن يلوح الطالب بالطلب بألفاظ عذبة مهذبة منقحة مقترنة بتعظيم الممدوح خالية من الالحاف والتصريح بل يشعر بما في النفس دون كشفه كقول أبي الطيب المتنبي

وفي النفس حاجات وفيك فطانة * سكوتي بيان عندها وخطاب

والفرق بين براعة الطلب وبين الادماج أن الادماج أن يقدر معنى من المعاني ثم يدمج غرضه ضمنه ويوهم انه لم يقصده وهذا مقصور على الطلب فقط وهو أيضا فرق بينه وبين الكناية وبيت الشيخ صفي الدين قوله

وقد علمت بما في النفس من أرب * وأنت أكرم من ذكرى له بفمي

والعميان ما نظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله قوله

براعة بان فيها منتهى طلبي * وأنت أكرم من نطق بلا ولم

وبيت بديعيتي

وفي براعة ما أرجوه من طلب * ان لم أصرح فلم أحتج الى الكلم

(وقلت بعده في العقد)

(قد صح عقد بياني في مناقبه * وان منه لسحرا غير منصرم)

العقد ضد الحل لان العقد نظم المنثور والحل نثر المنظوم ومن شرائط العقد ان يؤخذ المنثور بجملة لفظه او بمعظمه فيزيد الناظم فيه وينقص ليدخل في وزن الشعر ومتى اخذ بعض معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من انواع السرقات ولا يسمى عقدا الا اذا اخذ الناظم المنثور برمته وان غير منه طريقا من الطرق التي قدمناها كان المبقى منه اكثر من المغير بحيث يعرف من البقية صورة الجميع كما فعل ابو تمام في كلام عزى به الامام على بن أبي طالب كرم الله وجهه الاشعث بن قيس في ولده وهو ان صبرت صبر الاحرار والا سلوت سلو

البهائم

لايغبن وانا الا استزيد فتى القدر تدرك وفي أي ليلة تحضر والسلام

(وله أيضا)

اناا اطال الله بقاء الشيخ ان كان اللقاء أول تطرته جفاء فعود الرحال على ارتحال والمرء كالسيف مضاه تحت شباه فمن رأى فرنده فقد عرف ما عنده (قيل لنصراني) ان المسيح يحيي الموتى فقال واحرباه كذا من اشبه آباه ولولم استدل على فضله الا باصطناع ذلك الشيخ له لكنت خليقا ان لا اضل طريقا فهل ترى ان نشترك في خدمة ذلك الشيخ على ان تكون على مؤنها وله منها والى كلفها وله تحفها فان رأى ذلك الصواب فليحسن المآب وليعرفني لا كون الرقعة الثانية اذا رسع أويدانى على ما اصنع فما اشوقني الى ذلك المجلس الشريف وما احوجني الى التعريف ورأيه الموفق في ذلك ان شاء الله تعالى

براعة الطلب

العقد

البهائم فعقده أبو تمام شعرا فقال

وقال على فى التعازى لاشعث * وخاف عليه بعض تلك المآثم
أتصبر للبلوى عزاء وحسبة * فتؤجر أم تسلو سلو البهائم

وبيت الشيخ صفى الدين قوله

ماشب من خصلتى حرصى ومن أملى * سوى حديث لى شبى وفى هرمى

المقصود فى هذا البيت من العقد قول النبى صلى الله عليه وسلم يشيب ابن آدم ويشب فيه خصلتان الحرص وطول الامل والعميان مانظموا هذا النوع فى بديعهم وبيت الشيخ عز الدين فى بديعيته قوله

عقد اليقين صلاتى والسلام على * محمد دائماً منى بلا سأم

قلت أما الشيخ صفى الدين فانى لم أصادف فى بيته من عقد الحديث النبوى محلا ولكن ذكر فيه حكاية حاله وأما الشيخ عز الدين غفر الله له فانه ذكر فى شرحه أن الصحابة رضى الله عنهم قالوا يارسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وفى حديث آخر قولوا اللهم صل على محمد عبدك ورسولك النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم وفى الحديث اكثروا من الصلاة على ومنه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبى ياأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وذكر انه عقد الآية والحديث ولم يظهر لى حل هذا العقد فى أى موضع هو من البيت وبيت بديعيتى

قد صح عقد بيانى فى مناقبه * وان منه لسحرا غير محترم

العقد هنا قوله صلى الله عليه وسلم ان من البيان لسحرا والله أعلم

(ذكر المساواة)

(تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على مافى بديعهم)

هذا النوع أعنى المساواة مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى وشرحه بأن قال هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى بحيث لايزيد عليه ولا ينقص عنه وهذا من البلاغة التى وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال كأن ألفاظه قوالب لمعانيه ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك * واعلم أن البلاغة قسمان ايجاز واطناب والمساواة معتبرة فى القسمين معا فأما الايجاز فكقوله تعالى ولكم فى القصاص حياة ياأولى الالباب والاطناب فى هذا المعنى كقوله تعالى ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف فى القتل وقال سبحانه وتعالى فى قسم الايجاز من غير هذا المعنى خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين وقال عز من قائل فى الاطناب ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية ولا بد من الاتيان بهذا الفصل لئلا يتوهم المتأمل ان الاطناب لايوصف بالمساواة ومن الشواهد على المساواة قول امرئ القيس

فان تكتموا الداء لانخفه * وان تبعثوا الحرب لانقعد
وان تقتلونا نقتلكم * وان تقصدوا الدم لانقصد

(وله الى أبى على بن مشكويه)

الاستاذ الفاضل وان كان باذلا فى التجارب حنكته والايام عركته فقد يخفى على العارف وجه الامر لغموض سببه وعين الناظر أبصر من عين المناظر وليس من يدأب كمن يلعب وهذا شئ لاتحمد خاتمته ودست لاتحمد قائمته وقد جعل ابليس بجريدته فليجعل العفو بيت قصيدته وليكن الحلم سلطان غضبه وليرش الماء على لهبه فبالله ماأذخره ودا ولاآلوه نصحا وفقنى الله قائلا ووفقه قابلا وبعد الآن الى حديث الشوق وتقسم فكرى بخروجه وهذه عادة الايام معى اذا عقدت اصبعى وذلك انى لم أثق بصاحب * من الناس الاثنانى وترحلا فى البيت لفظ قلبته لغرض

المساواة

وقول زهير

ومهما تكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وقول طرفة

ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

وبيت الشيخ صفى الدين الحلى فى بديعيته قوله

وقد مدحت بما تم البديع به * مع حسن مفتتح منه ومختتم

والعميان ما نظموا هذا النوع فى بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلى فى بديعيته قوله

خطت مساواة معناه وصورته * فى الحسن شاهده فى نون والقلم

وبيت بديعيتى فى المساواة قولى

تمت مساواة أنواع البديع به * لكن يزيد على ما فى بديعهم

(وقلت بعده فى حسن الختام)

(حسن ابتدائى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى)

هذا النوع ذكر ابن أبى الاصبع انه من مستخرجاته وهو موجود فى كتب غيره بغير هذا الاسم فان التيفاشى سماه حسن المقطع وسماه ابن ابى الاصبع حسن الخاتمة وهذا النوع الذى يجب على الناظم والناثر ان يجعلاه خاتمة لكلامهما مع أنهما لا بد ان يحسنا فيه غاية الاحسان فانه آخر ما يبقى فى الاسماع وربما حفظ من دون سائر الكلام فى غالب الاحوال فلا يحسن السكوت على غيره وغاية الغايات فى ذلك مقاطع الكتاب العزيز فى خواتم السور الكريمة فمن المعجز فى ذلك قوله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها وأخرجت الارض أثقالها وقال الانسان ما لها يومئذ تحدث أخبارها بأن ربك أوحى لها يومئذ يصدر الناس أشتاتا ليروا أعمالهم فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره انظر أيها المتدبر هذه البلاغة المعجزة فان السورة الكريمة بدئت بأهوال يوم القيامة وختمت بقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره (ومثله) قوله تعالى فى سورة عبس يوم يفر المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة ومن ذلك قوله تعالى وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين (ومن كلام أمير المؤمنين) على بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو المقدم فى فنون البلاغة على بلغاء البدو والحضر فى ختام جواب كتاب كتب به الى معاوية ثم ذكرت ان ليس لى ولاصحابى عندك الا السيف فلقد أضحكت بعد استعبار وانى مرقل اليك بجحفل من المهاجرين والانصار وقد صحبتهم ذرية بدرية وسيوف هاشمية عرفت مواقع نصالها فى أخيك وخالك وجدك وما هى من الظالمين ببعيد وأجمعوا

حسن الختام

أصيته ومعنى غيرته لشئ آثرته وهو الظرف الهمذانى فليعلم ذلك والسلام

(وله الى أبى سعيد الطائى الهمذانى)

انا بما يهدى الى من أخبار الشيخ قرير العين قوى الظهر مستظهر على الدهر معتد للايام بما يوليه من حال رضاها ومحاب يبلغها راغب الى الله تعالى فى حفظ ما خوله والزيادة فيما أحله وعن فتق سمعى بالثناء عليه وبرد صدرى بحسن القول فيه أبو فلان فقد أبدأ وأعاد وأبلغ وزاد وأحسن وأجاد ووراء الانفصال ووراء الى ما خلف من حظه بخدمته ومكانه من مجلسه وسألنى تزويده هذه الاحرف ليتخذها عنده ذريعة وتكون لديه وديعة فأنعمت له بالجواب وسيصل بمشيئة الله فلا

بعد ذلك على ان فواصل المقامات يقوم غالبها مقام المثل السائر وحسن خواتمها تعقد عليه الخناصر (وقد عن لى) ان أورد هنا مقامة كاملة فاذا نظر المتأمل الى براعة استهلالها وفهم القصد الذى جنح اليه الحريرى عرف مقدار حسن الختام الذى تمت به الفائدة وحسن السكوت عليه (وقد اخترت المقامة الثالثة عشرة) وهى الزورائية لانه ثبت عن القاضى الفاضل انه شرع فى معارضة المقامات وعارض منها كل فصل بفصل أحسن منه الى ان وصل الى فصل هذه المقامة الذى سيأتى وأنبه عليه فى موضعه والمقامة الموعود بايرادها هى قوله (حكى الحرث بن همام) قال ندوت بضواحى الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار بغبار ولا يجرى معهم ممار فى مضمار فأفضنا فى حديث يفضح الازهار الى ان نصفنا النهار فلما غاض در الافكار وصبت النفوس الى الاوكار لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت صبية أخف من المغازل وأضعف من الجوازل فما كذبت اذ رأتنا أن عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف وان لم يكن معارف اعلموا يا مآل الآمل وثمال الارامل انى من سروات القبائل وسريات العقائل (والفصل الذى عجز القاضى الفاضل عنه هو) لم يزل أهلى وبعلى يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهرا لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهت اليمين وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب (قلت) وهذا الفصل الذى أحجم القاضى عن معارضته قلت فى معناه وكتبت الى سيدنا قاضى القضاه صدر الدين بن الآدمى نور الله ضريحه رسالة تجسده مشتملة على ذلك جميعه راعيت فيها النظير لاجل الصدر من الرأس الى القدم ولم أخرج فيها عن حسن الختام الذى ما ختمت رسالة بنظيره والتزمت فيها السجع الذى فر الحريرى منه فى فصله (وقد عن لى) ان أثبت الرسالة هنا بكمالها وارجع الى ما كنا فيه من حسن الختام فى المقامة الحريرية (وهى)

يقبل أرضا بالعلا قد تجسدت * بأرواح أهل العلم روضة مشتهى
وهبت بانفاس العلوم قبولها * ولا زال صدر الدين منشرحا بها

وينهى أن الصدر رأس العلوم وكم له من فرق دق على الافهام وهو كالغرة فى جباه الايام لا زال المجد له حاجبا مقرونا بسعده الشامل ولا برح بعلمه عينا لوجوه المسائل فلله أهداب معانيه التى هى أسحر من عيون الغزلان وأمضى من السيوف اذا برزت من الاجفان واصداغ فضائله التى هى عاطفة على وجنات الوجود لانها كالعوارض الماطرة وكم أنست عند ذكره من سالفة وكم لها فى قلوب الاعداء من خدود وندى جوده الذى اذا جاء الشارب وجد عنده شفاه وحلا وتنظمه الذى انسانا ذكر العذيب وثناياه وعنق مكارمه التى لفت من البديع الالتفات واوصافه التى غدت على خد الدهر شامات حتى تبدلت سيآته حسنات كف عنا تعب الفقر بكرم راحته المتزايد من غير أن يقال له ساعد وشهدنا بأن أيادى بحر ينبض بصنائعه فأشار النيل الى قبول هذه الشهادة بأصابعه فلله ندى يمينه الذى لم يزل

بالوه اعزازا واهتزازا وانا الى ما أتطلعه من سائر أخباره فقير وهو بامدادى بها جدير ويسرنى له ان يصل رحم البلدية بالجواب اذا لم يصلها بالانتاج فليفعل وليهد الى من ثمرات يديه ولسانه ما أسكن اليه وأشكره عليه الشيخ أبو فلان وصف لى ظما فى جوار البحر وسغبا فى جنان الخلد وضيقا فى فضاء الارض على قرب الرحم وعلو السن والذنب فى ذلك لتمام الاجل وانقضاء المدة ومثل الشيخ من شال بضبع الاحرار من هذه الادبار وكان به فضل الاستظهار على الليل والنهار فان فعل خيرا شكر وان عاق عائق عذر وانا الى ذلك الشيخ بالاشواق ثم انا كل الطعام ونمشى فى الاسواق حتى يفرج الله ويرتاح فيصل عقدة

المملوك به فى بلاد الشام مكتفى وكم فاض منه الب النيل وجهدان يوفيه بالباع والذراع فما وفى جبلت على محبته القلوب فصار حبه ظاهرا فى كل باطن وحنت اليه الجوارح لمسارت مناقبه الى كل جانب فحركت كل ساكن ورفع المملوك أدعيته التى هى ان شاء الله تعالى نعيم للبدن الكريم واعتدال لطيف ذلك المزاج وأثنيته التى هى كالمناطق على خصور الحسان وبها الكل قلب ابتهاج لكن تثاقلت عليه أرداف النوى وأسكنت فى وسط قلبه الجوى وقدما الانقطاع بسيفه الذى زاد فى حده ولكن جار فى قده ولو حصر المملوك ما ساق اليه البعد من الاشتياق الى تقبيل الاقدام لم تسعه قائمه وهو بعد القلب بالصبر ولكن كاذ كرككب عن مواعيد عرقوب فنسأل الله حسن الخاتمة (رجع) الى ما كنا فيه من تكملة المقامة الحريرية والتنبيه على حسن ختامها قال بعد الفصل الجد الذى آخره ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومى الابيض وابيض فودى الاسود حتى رثى لى العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر وتلوى من ترون عينه فراره وترجمانه اصفراره قصوى بغية أحدهم ثرده وقصارى امنيته برده وكنت آليت ان لا أبذل الحر الا للحر ولو أنى مت من الضر وقد ناجتنى القرونة بأن توجد عندكم المعونة وآذنتنى فراسة الحوباء بأنكم ينابيع الحباء فنضر الله امرأ أبر قسمى وصدق توسمى ونظر الى بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود (قال الحرث بن همام) فهمنا البراعة عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك فقالت يفجر الصخر ولا فخر فقلنا لها ان جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم أولا شعارى ثم لأرينكم أشعارى فأبرزت ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وانشأت تقول

أشكو الى الله اشتكاء المريض * جور الزمان المتعدى البغيض
يا قوم انى من أناس غنوا * دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع * وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة أعوزت * فى السنة الشهباء روضا أريض
تشب للسارين نيرانهم * ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا * ولا لروع قال حال الجريض
فغيضت منهم صروف الردى * بحار جود لم أخلها تغيض
وأودعت منهم بطون الثرى * آساد تحامى وأساة المريض
فحملى بعد المطايا المطا * وموطنى بعد اليفاع الحضيض
وافرخى ما تأتلى تشتكى * بؤساله فى كل يوم وميض
اذا دعا القانت فى ليله * مولاه نادوه بدمع يفيض
يا رازق النعاب فى عشه * وجابر العظم الكسير المهيض
اتح لنا اللهم من عرضه * من دنس اللوم نقى رحيض

الحرمان وتقبل أنياب الزمان والسلام

(وله الى أبى القاسم الكاتب)

أما لا أحمد أحدا على ما خوله الله من نعمة ورزقه من خير ولكن هذه الكتب التى تصدر عن قلم الشيخ يجل عنها قدره ولا أحب أن يصدر مثلها عن صدره ولا أراه يحمد الله الا موفيا على أمسه ولا أجد آثار الربيع الا لآثار خمسه أنجب والله عبد الشيخ الجليل وبارك الله فى السليل وحاضره تلقه والشيخ الفاضل خلفه وما عاصره مابقى جبينه وصونه وأما المواصل فانها غير مواصل والسلام

(وله الى صديق له يستدعى بقرة)

الكدخدائية زرع ان لم يصادف ثرى ثريا من التدبير وجوا غنيا عن

يطفئ نار الجوع عنا ولو * بمذقة من حازر أو مخيض
فهل فتى يكشف ما نابهم * ويغنم الشكر الطويل العريض
فو الذي تعنو النواصي له * يوم وجوه الجمع سود وبيض
لولاهم لم تبد لي صفحة * ولا تصديت لنظم القريض

(قال الراوي) فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخل يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة بعد ممرها الى سبرها لتبلو مواقع برها فكفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت أقفو أثر العجوز حتى انتهت الى سوق مفتصة بالانام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار وامّلست من الصبية الاغمار ثم عاجت بخلو بال الى مسجد خال فأماطت الجلباب ونضت النقاب وأنا ألمحها من خصاص الباب وأرقب ما ستبدي من العجاب فلما انسرت أهبة الخفر رأيت محيا أبي زيد قد سفر فهممت بأن أهجم عليه لأعنفه على ما أجرى اليه فاستلقى استلقاء المتزردين ثم رفع عقيرة المغردين واندفع ينشد

يا ليت شعري أدهري * أحاط علما بقدري
وهل درى كنه غوري * في الخدع أم ليس يدري
كم قد قمرت بنيه * بحيلتي وبمكري
وكم برزت بعرف * عليهم وبنكر
أصطاد قوما بوعظ * وآخرين بشعر
وأستفز بخل * عقلا وعقلا بخمر
وتارة أنا صخر * وتارة أخت صخر
ولو سلكت سبيلا * مألوفة طول عمري
لخاب قدحي وقدحي * ودام عسري وخسري
فقل لمن لام هذا * عذري فدونك عذري

(قال الحرث بن همام) فلما ظهرت على جلية أمره وبديعة أمره وما زخرف في شعره من عذره علمت أن شيطانه المريد لا يسمع التفنيد ولا يفعل الا ما يريد فثنيت الى أصحابي عناني وأبثثتهم ما أثبته عياني فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) قد علمت أيها المتأمل أن هذه المقامة البديعة بنيت على ترهات هذه العجوز وما زخرفته من الباطل في نظمها ونثرها الذي خلب كل منهما القلوب وسلب عقول السامعين الى أن بالغوا في اكرامها فلما كشف لهم الغطاء عن جميع ما لفقته وتحققوا أنه بني على الباطل كانت الخاتمة فوجموا لضيعة الجوائز وتعاهدوا على محرمة العجائز (قلت) والالفاظ المحتاجة الى الحل في هذه المقامة هي قوله ندوت أي حضرت النادي والجوازل فراخ الحمام واحدها جوزل وعرتنا قصدتنا بشأن عراه واعتراه والمصارف الوجوه والمعارف الثانية من المعرفة وغال

التقدير لم يحصل بالغنم ولم يجن بأنسه والجملة اذا اجتمعت على معهد مختلفة الاهواء متفقة الارجاء طاحنة الرحى جرت الى الاحتيال فيما يقيم الاود ويكفي العدد وقد احتيج في الدار الى بقرة يحلب درها فلتكن صفوفا تجمع بين قعبين في حلبه كما تنظم بين دلوين في شربه وليملأ العين وصفها كما يملأ اليد ثلثها وليزن مشيها الذرع كما يزين درها سعة الضرع ولتكن عوان السن بين البكر والمسن ولتكن طروح الفصل رموح الرجل وليصف لونها صفاء لبنها وليكن غثها كفاء سمنها ولتكن رخصة اللحم جمة الشحم كثيرة الطعم سريعة الهضم صافية كالجون فاقعة اللون واسعة البطن وطيئة الظهر محتملة

القوم من يقوم بأمرهم وسروات القبائل السر وهو السخاء والمروأة واحد السروات سراة لايجوز أن يكون سراة بالضم وسريات جمع سرية وهى العقيلة السخية والقلب هنا قلب العسكر ويمطون الظهر أى يحملون المنقطع ويولون اليد أى النعمة وأردى أهلك والاعضاد جمع عضد وهو مايمسك الشئ ويقويه والجوارح هنا الاعضاء التى تجرح وقوله وانقلب ظهر البطن المراد به عكس الحال ونبا ارتفع والحاجب صاحب الامير وصلد الزند أى لم يور ووهت أى ضعفت واليمين القوة والثنية الناقة التى لها ستة أعوام والناب المسنة واغبر العيش أى تكدر وازورّ مال والمحبوب الاصفر هو الدينار وفودى صدغى والموت الاحمر كناية عن الفقر والعدوّ الازرق الشديد العداوة والاصل فيه العطش وبه فسر قوله تعالى ونحشر المجرمين يومئذ زرقا أى عطاشا وتلوى تابى وعينه فراره أى عيانه يغنيك عن اختباره وفى المثل ان الجواد عينه فراره أى عيانه وقصارى أمره أى آخر أمره وآليت أى حلفت وابذل الحر أى الوجه والقرونة النفس والحوباء النفس أيضا ونضر بمعنى حسن ويقذيها يلقى فيها القذى والجمود الامساك ويقذيها الجود يخرج عنها القذى والحامل بمعنى تلمك الشعر والشعار الثوب الذى يلى الجسد والدثار مافوقه والردن الكم ودرديس من أسماء الداهية والسنة الشهباء المجدبة ونشب توقد وغريض طرى وساغب جائع والجريض الغصص والاساة الاطباء والمطايا الابل والمطا الظهر واليفاع التل المشرف والحضيض القرار من الارض تأتلى تترك والتعاب فرخ الغراب والمهيض الذى كسر بعد جبر وأمح وفق ورحيض مغسول وبعذقة أى بجرعة واعشار القلوب أى قطع القلوب وحق ماحهامن دينه الامتياح أى أعطاها من عادته يعطى وافعوعم امتلا وفاغر مفتوح فاشرأبت تطلعت وسبرها اختبارها واستنباط استخراج والمرموز المبهم والغمار الزحام والاغمار البله وعاجت عطفت وأماطت الجلباب باعدته وهو الرداء ونشت جرّدت وخصاص جمع خصاصة وهو النقب فى الباب وكذلك الصير وفى الحديث من نظر الى قوم من صير باب فقئت عينه وانسرت انكشفت والخفر الحياء وسفر انكشف وأسفر أضاء وأجرى قصد واستلقى رقد على ظهره ورفع رجلا على رجل والمفردين المطربين والعقيرة الصوت وكنه غورى حقيقة أمرى والخل والخمر هنا كنايتان عن الخير والشر وقدحى سهمى وقدحى استخراجى أمره العجيب والمريد العاتى والمرادة العتو وجوا أى سكتوا اه تفسير الالفاظ المحتاجة الى البيان من هذه المقامة (ومن صناعات القاضى الفاضل فى حسن الخواتم قوله) فى حسن خاتمة رسالة كتب بها الى الديوان العزيز الخليفى وهو لابرحت راياته السود سويدات قلوب العساكر وأجنحة الدعاء المحلق الى السماء من أفق المنابر ومثله قوله لابرحت الاقدار له جنودا والجديدان يسوقان اليه فى أيامهما ولياليهما اماء وعبيدا ومثله قوله والله تعالى يرد ردّ السحب الهاطلة الى الامكنة الجدوب والمغفرة الشاملة الى مواقع الذنوب والمسرة الى مستقرها من مطالع القلوب (ومن ذلك) قوله فى ختام جواب كتاب ناصرى ولازال كالئا للاسلام بسيفه الذى جفنه بجفنه ساهر ولا أخلى الله منه الدين بقوة منه ولا ناصر (ومنه

الصهوة فسيحة اللهوة لاتضيق بطنها عن العلف فيؤديها الى التلف ترد الهول ولاتخافه وتشرب الرنق ولاتعافه واجهد أن تكون كبيرة الخلق لتكون فى العين أهيب ضيقة الحلق ليكون صوتها فى الاذن أطيب واحذر ان تكون نطوحا أو بلوحا وايالك ان تبعثها ملوحا أو رشوحا ولتكن مطاوعة عند الحلب لاتمنع نفسها ولاتكثر لسها وداهية فى الرعى لاقرب سعى سقاء الى الحوض كالنجبة لاتأمن من البجبة الوفة للراعى الذى يرعاها مجيبة لصوته اذا دعاها مهتدية الى المنزل بغير هاد ذاهبة الى المرعى بغير قياد ولا أظنك تجدها الاهم الاان يسخ القاضى بقرة وهو على رأى التناسخ جائز فاجهد جهدك وابدل ماعندك

قوله) والله تعالى يغنى عن المكاتبات بلقائه كما أغنى عن بقية الخلق ببقائه (ومن ذلك قول العلامة الشهاب محمود فى ختام رسالة) والله تعالى يجعل الآمال منوطة به وقد فعل ويجعله كهفا للاولياء وقد جعل (وصرع) ابن الصاحب أمين الدين مرزما وهو من أصناف الطير الجليل ومن طيور الواجب وسأل الشيخ جمال الدين فى انشاء مطالعة الى الحضرة الشريفة المقدسة الخليفية يسأل فيها القبول فيما صرعه من الواجب فانشأ الشيخ جمال الدين بن نباتة رسالة بديعة فى هذا المعنى وحسن ختامها ابدع (وهو) والله المسؤل سبحانه ان يمتع المملوك فى ولاء المواقف المقدسة باتباع طرقه وان ينفعه بالانتماء اذ ألزمته الدنيا طائره فى يديه وألزمته الآخرة طائره فى عنقه (ومن ذلك) حسن ختام العهد الذى انشأه القاضى محيي الدين ابن عبد الظاهر عن السلطان الملك المنصور سيف الدين قلاوون لولده الملك الاشرف صلاح الدين خليل (وهو) والله تعالى يجعل استخلافه هذا للمتقين اماما وللمعتدين انفصاما ويطفئ بماء سيوفه نار كل حطب حتى تصبح كما أصبحت نار سميه بردا وسلاما (ومن ذلك) حسن ختام رسالتى التى تقدم ذكرها فى باب الاقتباس المشتملة على الكائنة التى قدرها الله تعالى على دمشق المحروسة من الحريق وغيره (وهو) فوصل المملوك الى البلاد وقد ودّ يومه لو تبدل بالامس ولم يسلم له فى وقعة الحرب غير الفرس والنفس فأعاذ الله مولانا وبلاده من هذه القيامة القائمة وبدأه فى الدنيا ببراعة الامن وفى الآخرة بحسن الخاتمة (ومن أبدع الامثلة التى ليس لها مثال فى حسن الختام قولى فى تقليد بالاشارة الشريفة) والوصايا كثيرة ولكن لايهدى تمر الى هجر فانا الى مشورته أحوج من المبتدا الى الخبر والله تعالى يديمه ركنا لهذا البيت الشريف الذى تطوف الناس حوله وتسعى اليه ولا برح كلامه فى المشورة لفظا ومعنى تتم الفائدة به ويحسن السكوت عليه (وقلت فى خاتمة تقليد بنظر الكسوة) فليباشر ذلك عاملا أن الله من تقرب الى الله بخدمة بيته فقد فاز ولا بد ان يصير لديباجة هذا البيت بحسن توشيحه دار الطراز فقد أسعده الله وظهر له فى توشيح هذا البيت نظم مفيد ولا ينكر حسن هذا التوشيح للقاضى السعيد والله تعالى يكرم مثواه فى الآخرة بتشييد هذا البيت وقيام شعاره ولا زالت انامل بره تختم بخواتيم الخير وتنقل أحاديث المحاسن بفصها فى اخباره (ومثله قولى) فى تقريظ كتبته لاقضى القضاة ولى الدين القرنى على كتابه المسمى بهجة المناسك (وهو) والله تعالى يزيد صناعة هذا النسك بهجة على كل ناظم ويجعله لاعماله الصالحة المقبولة من أحسن الخواتم (وتقدم لى بالديار المصرية) بشارة بوضع المقر الاشرف سيدى موسى ولد المقام الشريف المؤيدى سقى الله من غيث الرحمة ثراه من رأس القلم بالحضرة الشريفة جاءت نسيج وحدها وواسطة عقدها (منها) حملت به أمه وأبرزته كشمس الحمل بهجة ونورا وأصبح فؤاد أم موسى فارغا ولكن ملأ الدنيا سرورا (وتوجهت) بعد ذلك التاريخ الى ثغر الاسكندرية المحروسة فى مهم شريف فورد على نائب الثغر المحروس بشارة شريفة بمولد سيدى المقر الاشرف الناصرى محمد ولد المقام الشريف المؤيدى نور الله ضريحه فركب نائب السلطنة الشريفة بالثغر المحروس الى ان جاء عندى وسألنى الجواب

واجعل اهتمامك امامك وحرصك قدامك يوفق سعيك ويحسن هديك واستعن بالله تعالى فانه نعم المولى ونعم المعين والسلام

(وله نسخة وصية)

هذا ما أوصى أحمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد يوصى وهو يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له اليه متابه وما آبه خالقه ولم يك شيأ مذكورا ورزقه قدرا مقدورا وضرب له أمدا ممدودا وأمره ونهاه فأطاعه وعصاه ولم يطعه الا بتوفيق من عنده ولم يعصه الا اعتمادا على لطفه بعبده واتكالا على رحمته وعفوه لا اجتراء على لعنته ومقته ولا معتزا بنفسه وقته ويشهد أن محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق فبلغ الرسالة وأدى الامانة ونصح الامة وأراهم الجادة وحذرهم ثنيات الطرق

قوله من رأس القلم كذا فى النسخ ولعل معناه بدون تفكر اه

فكتبت تهنئه بديعة وحسن ختامها أبدع منها (وهو) أكرم بها صحيفة محمدية أمسى بها كل قلب مأنوسا وتلت مسرتها من تقدم قبلها من الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى فالحمد لله على تواتر هذه التهانى التى أتم بها كل حاد والمجد وعمت بركتها ابراهيم وموسى ومحمد والله تعالى يوصل أحاديث التهانى المؤيدية ليتسلسل كل حديث بسنده ولا برحت الخواطر الشريفة مسرورة بمحمد وحديثه ومولده (ومن ذلك) قولى فى ختام تقليد قاضى القضاة ولى الدين العراقى بقضاء قضاة الشافعية بالديار المصرية والممالك الاسلامية (وهو) والله تعالى يطلق له أعنة الاقبال ويقيله من نعمه ما لا يخطر قبل وقوعه ببال ويحلى به جيد الدهر وقد تحلى بعد ما ذهب رونقه وزال وكما أحسن له فى البداية أن يحسن اليه فى النهاية حتى يقول الحمد لله على كل حال (ومثله) فى الحسن ختام تقليد قاضى القضاة أبى البقاء علم الدين صالح البلقينى (وهو) والله يرفع علم علمه على كل غادر ورائح ويجعل كلا من عمله وحكمه واسمه الكريم صالحا فى صالح فى صالح (وقد عن لى) أن أختم ما تقدم لى من الامثلة فى حسن الخواتم بختام كتاب المسك من أقل عبيده ويود منثور الدر ان ينتظم فى سلك عقوده وذلك انى كتبت للمقر المرحوم القاضى فتح الله صاحب دواوين الانشاء الشريف بالممالك الاسلامية كتابا على لسان قاضى القضاة شرف الدين مسعود الشافعى وأعيان طرابلس المحروسة وقد وصلوا الى الديار المصرية فى البحر قسرا مما عاينوه من أهوال تلك المحنة المشهورة التى قدرها الله تعالى على طرابلس المحروسة وحسن الختام فى القصة المذكورة قولى والقوم بانتظام الملك قد دهمهم من لم يفرق بين التحليل والتحريم الى ان صرحوا بالطلاق ووقعوا فى التعابين وشمت المنافقون ومنعوا فى الجمعة الصف وأمست فرقتهم المحصنة فى الحشر ولم يسمع لهم مجادلة لما فزعوا بالحديد فى هذه الواقعة ولكن من الرحمن وطلع قمر الامن ولاح لهم نجم السعد وصعدوا طور النجاة وكفكفوا ذاريات الدموع وطردت عنهم العداة الى قاف لما دخلوا حجرات مصر وحظوا من مولانا السلطان بعد سد المذاهب بالفتح (قلت) هذا الختام جعلته خاتمة للامثلة المنثورة فى هذا الباب وأما الامثلة الشعرية فمن المجيدين فيها أبو نواس حيث قال فى خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب

وانى جدير اذ بلغتك بالمنى * وأنت بما أملت منك جدير

فان تولنى منك الجميل فأهله * والا فانى عاذر وشكور

ومنه قول أبى تمام معتذرا فى آخر قصيدة

فان يك ذنب عن أو تك هفوة * على خطا منى فعذرى على عمد

ومنه قول أبى الطيب فى ختام قصيدة

فلا حطت لك الهيجاء سرجا * ولا ذاقت لك الدنيا فراقا

وقال أبو العلاء من ختام قصيدة

ولا تزال بك الدنيا ممتعة * بالآل والحال والعلياء والعمر

وقول الارجانى فى ختام قصيدة

ويأمرهم أن يأخذوا بالسنة ويعضوا عليها بالنواجذ وضمن الجنة لمن أخذ وخلف فيهم القرآن حبلا ممدودا وجسرا معقودا ليتخذوه اماما ولا يجعلوا دونه حلالا ولا حراما ثم لحق بالرفيق الاعلى وقد خرج عن عهدة ما حمل وصدع بما أمر فصلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليما فأوصى وهو يقول ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين وأوصى وهو يدين لله تعالى بما دان به السلف الصالح والصدر الاول من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان بريأ من الأهواء والبدع والرأى المخترع والافك المتسع راجيا قوى الطمع خائفا شديد الفزع حاذرا أهوال المطلع مؤمنا بعذاب القبر وفتنته عائذا بالله منهما ومنه راغبا اليه فى ان يلقنه حجته ويثبته بالقول الثابت موقنا بالبعث والحشر شاهدا

بقيت

بقيت ولا أبقى لك الدهر كاشحا * فانك فى هذا الزمان فريد
علاك سوار والممالك معصم * وجودك طوق والبرية جيد

وقال ابن نبيه فى ختام قصيدة أشرفية

دمتم بنى ايوب فى نعمة * تحوز فى التخليد حد الزمان
والله لا زلتم ملوك الورى * شرقا وغربا وعلى الضمان

وقال شيخ شيوخ حماة فى ختام مديح مظفرى

فلا زلت ذا ملك جديد مؤيد * تدين لك الدنيا وتصفو لك الاخرى
ولا زال للايام طول على الورى * وما الطول الا ان يطيل لك العمرا

وقال ابن سنا الملك فى ختام مديح عادلى

بقيت حتى يقول الناس قاطبة * هذا ابو الياس او هذا أبو الخضر

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله فى ختام مديح مؤيدى

فابق عالى المقام دانى العطايا * قاهر الباس ظاهر الانباء
يتمنى عدوك العيش حتى * أتمنى له امتداد البقاء

وقال الشيخ برهان الدين القيراطى رحمه الله تعالى فى ختام مديح نبوى

يا امام الهدى عليك صلاة * وسلام فى الصبح ثم العشاء
ماصبا فى أصائل قلب صب * ذكر الملتقى على الصفراء

ومثله قول الشيخ زين الدين عمر بن الوردى فى ختام قصيد نبوى

صلى عليك الله يا خير الورى * ما نار نور من ضريحك فى الدجى

ومثلهما قولى فى ختام مديح نبوى ولكن مسك هذا الختام أضوع من ختامهما فى المديح النبوى وهو

عسى وقفة او قعدة لابن حجة * على بابكم يسعى بها وهو محرم
فقد جاء يشكو من ذنوب تعاظمت * وقدرك فى يوم الشفاعة اعظم
وقد نابه فى عنفوان شبابه * هموم وسيف الهم للظهر يقصم
وعارضه قد شاب فى زمن الصبا * عسى بك من ذا العارض الصعب يسلم
فبادر دنا الصافى طبو رقاوينا * عليك اذا ما نابها الضيم حوم

وقلت بعده فى حسن الختام

عليك سلام نشره كلما بدا * به يتغالى الطيب والمسك يختم

وبيت الشيخ صفى الدين فى حسن الختام

فان سعدت فمدحى فيك موجبه * وان شقيت فذنبى موجب النقم

وبيت العميان فيه

لكن وان طال مدحى لا أفى أبدا * فاجعل العذر والاقرار مختتمى

وبيت الشيخ عز الدين الموصلى قوله

فاجعل له مخلصا من قبح زلته * فى حسن مفتتح منه ومختتم

ان الجنة حق وحسنت مستقرا ومقاما وان النار حق وان عذابها كان غراما وان الساعة آتية لاريب فيها وان الله يبعث من فى القبور اوصى اذا جاءه الحق واشخصه الامر وجد به الجد وتوفاه الموت ان لا تعقد عليه مناحة ولا يلطم خد ولا يخمش وجه ولا ينشر شعر ولا يمزق ثوب ولا يشق جيب ولا يهال نقع ولا يرفع صوت ولا يدعى ويل ولا يسود باب ولا يخرق متاع ولا يقلع غرس ولا يهدم بناء ولا يطرق الشيطان اليه طريقا ولا يمثل له امرا فمن فعل ذلك فليس من الله تعالى فى حل ولا من الميت فى حل وانما يفعل ذلك من لا يرى الحياة عارية ولا يرى العارية مردودة ومن علم ان الدنيا

و بيت العميان فى حسن الختام ابدع من بيت الشيخ صفى الدين الحلى فى حسن ختامه وموجب ذلك التورية بتسمية النوع وتمكين القافية فى آخر البيت و بيت الشيخ عز الدين أبدع من بيت العميان اذ فيه الترشيح بذكر التخلص والافتتاح والختم ولكن فاته الترتيب فانه قدم ذكر التخلص على الافتتاح وبيت بديعيتى

حسن ابتدائى به أرجو التخلص من * نار الجحيم وهذا حسن مختتمى

هذا البيت العامر بمدح النبى صلى الله عليه وسلم ختامه مسك لكونه بخاتمة ما وصلت اليه القدرة من الاوصاف النبوية واجتمع فيه حسن الابتداء مورى به مع حسن التخلص وحسن الختام على الترتيب ولو قال الشيخ عز الدين فى بيته بحسن مبتدا ساعدته التورية بتسمية النوع الذى هو حسن الابتداء قال المؤلف رحمه الله تعالى هذا المصنف المبارك أعنى البديعية وشرحها اذا املكه متأدب شرفت نفسه عن النظر فى غيره من تذاكر الادب فانى ما تركت نوعا من أنواع البديع الا أطلقت عنان العلم فى ميادين الطروس مستطردا الى استيعاب ماوقع من جيده ورديئه ونصبت فيه البحث بين المقصرين والمجيدين بيدانى أقول و بالله المستعان ان العميان اختصر وا جانبا كبيرا من البديع وما أجادوا النظم فيما وقع اختيارهم عليه والشيخ صفى الدين الحلى أجاد فى الغالب لخلاصه من التورية فى تسمية النوع ولكنه قصر فى مواضع نبهت عليها فى مظانها والشيخ عز الدين رحمه الله قصر فى غالب بديعيته لالتزامه بتسمية النوع البديعى ومراعاة التورية والبحث مقرر مع كل منهم فى اجادته وتقصيره عندا يراد بيته على ذلك النوع الوارد وقد تقدم الاطناب فى تقرير حسن الابتداء و براعة الاستهلال وفى الفرق بينهما وأوردت فى حسن التخلص ماوقع من غريبه و بديعه وما تقرر من البحث مع المقصر فى نظمه وما يتفرق به شمل مجاميع الادب وينسى تذاكره وقد انتهت الغاية بحمد الله الى حسن الختام وأوردت فيه ما اختفت محاسنه على المتأمل ولا ضمه صدر كتاب وأنا أسأل الله سبحانه وتعالى حسن الخاتمة ببركة الممدوح عليه أفضل الصلاة وأتم السلام

قال المصنف رحمه الله فرغت من تأليف هذا الكتاب فى شهر ذى الحجة الحرام سنة ست وعشرين وثمانمائة وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وسبحان الله و بحمده سبحان الله العظيم واستغفر الله العظيم وأتوب اليه وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى وعلى آله وصحبه وسلم

دار جهاز وان الموت جسر جواز استشعره قبل حلوله ولم يرعه وقت نزوله وان يكفن فى ثلاثة أثواب بيض قباطى لا سرف فيها وحرج على من يتولى امره ان يقرنه ثوب خيلاء من مطرز او معلم او ابريسيم او منسوج بذهب انه لمحتاج ان يستضيق ويتشبه بالمساكين نحن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم وان يتولى الصلاة عليه أصحاب الحديث واهل السنة وان يلحد ولا يبنى عليه ولا تشهد النساء فيحملهن على الصراخ والعويل *(تم)*

بعد حمد الله على آلائه والصلاة والسلام على خاتم انبيائه يقول راجى شفاعة المختار ابراهيم الدسوقى الملقب بعبد الغفار خادم تصحيح كتب العلوم بدار الطباعة أعانه الله على مشاق هذه الصناعة

تم بعون ملهم الحجة طبع كتاب خزانة ابن حجة موشاة الطرر بانشاآت ذات الجنى الدانى المنسوبة لاديب زمانه البديع الهمذانى على ذمة صاحب الاخلاق الغرر حضرة على أفندى قر بالمطبعة العامرة ذات التحريرات الباهرة المتوفرة دواعى المجد المشرقة كواكب السعد فى ظل فرد الزمان ونور طلعة كيوان حسنة الليالى والايام مركز مدار العدل فى سائر الاحكام صاحب السمت الجميل والقدر الجليل جناب عزيز مصر

الخديو اسمعيل لازالت الايام مشرقة بطلعة وجوده والليالى منيرة بكوكب سعوده ولا برح قرير العين منتعش الروح والعين برؤية انجاله الكرام وأشباله الفخام لافتئت الايام مضيئة بشموس علاهم والليالى منيرة ببدور حلاهم وكان طبعه الميمون وتمثيله المصون مشمولا بادارة من خاطبته المعالى بابالتأعى سعادة حسين بك حسنى ونظارة وكيله السالك جادة سبيله من لم تزل عليه احاسن اخلاقه تثنى حضرة محمد افندى حسنى

وملاحظة ذى الرأى المسدد حضرة ابى العينين افندى احمد وكان

تمام طبعه فى اوائل الشهر المعظم وهو شهر الله المحرم ابتداء

سنة ١٢٩١ الف ومائتين واحدى وتسعين من هجرة

خاتم النبيين صلى الله وسلم عليه وآله

وكل منتسب اليه ماذر

شارق ولمع بارق

آمين

م